فهرسة الجزء الاول من السيرة الحلبية

صحيفة

٤ باب نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم

٣٤ باب تزويج عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم آمنة أمه صلى الله عليه وسلم وحفر زمزم

٤٩ باب ذكر حمل أمه به صلى الله عليه وسلم

٥٣ باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم

٥٧ باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

٨٤ باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمدا

٩١ باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به

١١٣ باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم وحضانة أم أيمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه

١٢١ باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبى طالب له صلى الله عليه وسلم

١٢٦ باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب الى الشام

١٣١ باب ما حفظه الله تعالى به فى صغره صلى الله عليه وسلم من أمر الجاهلية

١٣٥ باب رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم

١٣٧ باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار

١٣٩ باب شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول

١٤٣ باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا

١٤٨ باب تزوجه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها

١٥٢ باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى

١٩٧ باب ما جاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار وطرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر صفته فى الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرهما

٢٣٩ باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه

٢٤٠ باب بيان حين المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم

٢٤٩ باب بدء الوحى له صلى الله عليه وسلم

٢٨٠ باب ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم أول البعثة

٢٨٥ باب ذكر أول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم

٣٠١ باب استخفائه صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى دار الارقم بن أبى الارقم رضى الله تعالى عنهما ودعائه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام جهرة وكلام قريش لابى طالب فى أن يخلى بينهم وبينه وما لقى هو وأصحابه من الاذى واسلام عمه حمزة رضى الله تعالى عنه

٣٢١ باب عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم أشياء من خوارق العادات وغير العادات ليكف عنهم لما رأوا المسلمين يزيدون ويكثرون وسؤالهم له أشياء من خوارق العادات معينات وغير معينات وبعثهم الى أحبار يهود بالمدينة يسألونهم عن صفة النبى صلى الله عليه وسلم وعما جاء به وحديث الزبيدى وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ومن حديثهم حديث الاراشى ومن قصد أذيته صلى الله عليه وسلم فرد خائبا

٣٤٣ باب الهجرة الاولى الى أرض الحبشة وسبب رجوع من هاجر اليها من المسلمين الى مكة واسلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

٣٥٧ باب اجتماع المشركين على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب ابنى عبد مناف وكتابة الصحيفة

٣٥٨ باب الهجرة الثانية الى الحبشة

٣٦٧ باب ذكر خبر وفد نجران

٣٦٨ باب ذكر وفاة عمه أبى طالب وزوجته صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله تعالى عنها

٣٧٦ باب ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الطائف

٣٨٨ باب ذكر خبر الطفيل بن عمرو الدوسى واسلامه رضى الله تعالى عنه

٣٨٩ باب ذكر الاسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس

﴿تمت﴾

فهرسة الجزء الاول من السيرة النبوية التى بهامش السيرة الحلبية

صحيفة	
٥	باب فيما ورد على لسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من التنويه بشأنه صلى الله عليه وسلم مع ماورد من ذلك على لسان آبائه
٣٢	ومن الارهاصات التى وقعت قبل وجود النبى صلى الله عليه وسلم قصة أصحاب الفيل
٦٠	باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم
٨٤	باب فى وفاة جده عبد المطلب ووصيته لابى طالب
١٠٤	باب رعايته صلى الله عليه وسلم الغنم
١١٠	باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام
١١٧	باب ماجاء من أمر رسول الله صلى الله عليه عن احبار اليهود وعن الرهبان من النصارى
١٦٣	باب سلام الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة
١٦٤	باب بيان خبر المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم
١٧٦	باب فى مراتب الوحى وأقسامه
١٨١	ذكر أول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
١٩٤	بيان من أسلم بدعاية الصديق أبى بكر رضى الله عنه
٢٥٨	باب فى بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين
٢٧٨	ذكر اسلام عمر رضى الله عنه
٣٠٠	باب خبر الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه
٣٠١	باب ذكر الاسراء والمعراج
٣٠٦	باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب ان يحموه الخ
٣٦٧	باب معاداة اليهود
٣٨٥	باب مغازيه صلى الله عليه وسلم
٣٨٨	سرية عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف
٣٨٨	سرية سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه
٣٨٩	غزوة بواط
٣٩٠	غزوة العشيرة
٣٩٠	غزوة بدر الاولى
٣٩١	سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش رضى الله عنه
٣٩٢	غزوة بدر الكبرى

﴿تمت﴾

الجزء الاول

من انسان العيون فى سيرة الامين المأمون
المعروفة بالسيرة الحلبية تأليف الامام
العالم العلامة الحبر البحر الفهامة
على بن برهان الدين الحلبى
الشافعى نفع الله
بعلومه
آمين

وبهامشها السيرة النبوية والآثار المحمدية لمفتى
السادة الشافعية بمكة المشرفة السيد أحمد زينى
دحلان رحمه الله

بمطبعة
محمد افندى مصطفى
بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن نضر وجوه اهل الحديث وصلاة وسلاما على من نزل عليه أحسن الحديث وعلى آله وأصحابه أهل التقدم فى القديم والحديث صلاة وسلاما دائمين ما سارت الائمة فى جمع سير المصطفى السير الحثيث ﴿وبعد﴾ فيقول أفقر المحتاجين وأحوج المفتقرين لعفو ذى الفضل والطول المتين على بن برهان الدين الحلبى الشافعى ان سيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام من أهم ما اهتم به العلماء الاعلام وحفاظ ملة الاسلام كيف لا وهو الموصل لعلم الحلال والحرام والحامل على التخلق بالاخلاق العظام وقد قال الزهرى رحمه الله فى علم المغازى خير الدنيا والآخرة وهو أول من ألف فى السير قال بعضهم أول سيرة ألفت فى الاسلام سيرة الزهرى وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال كان أبى يعلمنا مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه فيقول يابنى هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها وأحسن ما ألف فى ذلك وتداولته الاكياس سيرة الحافظ أبى الفتح بن سيد الناس لما جمعت من تلك الدرارى والدرر ومن ثم سماها عيون الاثر غير انه أطال بذكر الاسناد الذى كان للمحدثين به مزيد الاعتداد وعليه لهم كثير الاعتماد اذ هو من خصائص هذه الامة ومفتخر الائمة لكنه صار الآن لقصور الهمم لاتقبله الطباع ولاتمتد اليه الاطماع وأما سيرة الشمس الشامى فهو وان أتى فيها بما يعد فى صفائح وجوه الصحائف حسنات لكنه أتى فيها بما هو فى اسماع ذوى الافهام كالمعادات ولايخفى ان السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل والمنقطع والمعضل دون الموضوع ومن ثم قال الزين العراقى رحمه الله

وليعلم الطالب أن السيرا * تجمع ما صح وما قد أنكرا

وقد قال الامام أحمد بن حنبل وغيره من الائمة اذا روينا فى الحلال والحرام شددنا واذا روينا فى الفضائل ونحوها تساهلنا وفى الاصل والذى ذهب اليه كثير من أهل العلم الترخص فى

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿أما بعد﴾ فيقول العبد الفقير المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زينى بن أحمد دحلان غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ومحبيه والمسلمين أجمعين انه لما من الله تعالى علىّ بقراءة الشفا فى حقوق النبىّ المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بمدينته المنورة فى عام الثامن والسبعين بعد المائتين والالف يسر الله لى مطالعة جملة من شروح الشفا مع مراجعة المواهب وشرحها العلامة الزرقانى ومع مراجعة شئ من كتب السير كسيرة ابن سيد الناس وسيرة ابن هشام والسيرة الشامية والسيرة الحلبية وهذه الكتب هى أصح الكتب المؤلفة فى هذا الشان فأحببت أن ألخص ما احتوت عليه من سيرته صلى الله عليه وسلم ومن المعجزات وخوارق العادات الدالة على صدق أشرف المخلوقات صلى الله عليه وسلم لانى رأيتها منتشرة فى تلك الكتب مخلوطة بمباحث لاتعلق بها الا انها زائدة على المراد بحيث يعسر على القاصرين فى هذه الازمان أن يفهموها ويقفوا على حقيقتها لصعوبتها وطولها وانتشارها فيحملهم ذلك على اهمالها وعدم قراءتها فلا يكون عندهم علم ولا اطلاع عليها ولا يكاد يعلم ذلك ويطلع عليه الا الراسخون فى العلم مع ان الاطلاع على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من أعظم الاسباب التى يحصل بها قوة الايمان ورسوخه فى القلوب لما فى ذلك من التبصر والاعتبار حتى تصير أطوار النبى صلى الله عليه وسلم وأحواله كأنها مشاهدة للنظار قال الزهرى فى علم المغازى خير الدنيا والآخرة وهو أول من ألف فى السير

الرفائق

وكان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يعلم بنيه سيرة النبىّ صلى الله عليه وسلم ومغازيه وسراياه ويقول يابنى هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها وفى ذكر السير أيضا معرفة فضائل النبى صلى الله عليه وسلم وكمالاته وفضائل الصحابة وقريش وسائر العرب وكل ذلك من الاسباب المقوية للايمان وفيها معرفة معانى كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الى غير ذلك من الفضائل التى لا يمكن حصرها وينبغى قبل الشروع فى ذلك التبرك بذكر شئ من فضائل قريش وفضائل سائر العرب ويعلم من ذلك فضائل النبىّ صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وأصحابه بالاولى لان العرب انما فضلوا بسببه صلى الله عليه وسلم والاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة * فمن ذلك ما روى عن سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه قال قيل يارسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال أبعده الله انه كان يبغض قريشا وفى الجامع الصغير مرفوعا قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما أن الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن أرادها بسوء خزى فى الدنيا والآخرة وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله وعن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على أصحاب الفيل وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لئلاف قريش * قوله وعبدوا الله سبع سنين فى رواية عشر سنين قال بعضهم المراد منها السنون التى كانت فى أول بعثته صلى الله عليه وسلم فان أول المؤمنين الذين اتبعوه كانوا من قريش وصبروا معه على كثير من الاذى الحاصل من بقية قريش الذين لم يسلموا واستمر الاسلام يتقوى بمن أسلم منهم حتى فشا وظهر باسلام الاوس والخزرج وذلك القدر يبلغ عشر سنين وعن أنس رضى الله عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر

الرقائق وما لا حكم فيه من اخبار المغازى وما يجرى مجرى ذلك وانه يقبل منها ما لا يقبل فى الحلال والحرام لعدم تعلق الاحكام بها فلما رأيت السيرتين المذكورتين على الوجه الذى لا يكاد ينظر اليه لما اشتملتا عليه عن لى أن ألخص من تينك السيرتين انموذجا لطيفا يروق للاحداق ويحلو للاذواق يقرأ مع ما أضمه اليه بين يدى المشايخ على غاية الانسجام ونهاية الانتظام ولازلت فى ذلك أقدم رجلا وأؤخر أخرى لكونى لست من أهل هذا الشان ولا ممن يسابق فى ميدانه على خيل الرهان حتى أشار علىّ بذلك وبسلوك تلك المسالك من اشارته واجبة الاتباع ومخالفة أمره لا تستطاع ذو البديهة المطاوعة والفضائل البارعة والفواضل الكثيرة النافعة من اذا سئل عن أى معضلة أشكلت على ذوى المعرفة والوقوف لاتراه يتوقف ولا يخرج عن صوب الصواب ولا يتعسف ولا أخبر فى كثير من الاوقات عن شئ من المغيبات وكاد أن يتخلف وهو الاستاذ الاعظم والملاذ الاكرم مولانا الشيخ أبو عبد الله وأبو المواهب محمد فخر الاسلام البكرى الصديق كيف لا وهو محل نظر والده من نشر ذكره ملأ المشارق والمغارب وسرى سره فى سائر المسارى والمسارب ولى الله والقائم بخدمته فى الاسرار والاعلان والعارف به الذى لم يتمار فى انه القطب الفرد الجامع اثنان مولانا الاستاذ أبو عبد الله وأبو بكر محمد البكرى الصديق ولا بدع فانه نتيجة صدر العلماء العاملين واستاذ جميع الاستاذين والمعدود من المجتهدين صاحب التصانيف المفيدة فى العلوم العديدة مولانا الاستاذ محمد أبو الحسن تاج العارفين البكرى الصديق أعاد الله تعالى علىّ وعلى أحبابى من بركاتهم وجعلنا فى الآخرة من جملة أتباعهم فلما أشار علىّ ذلك الاستاذ بتلك الاشارة ورأيتها منه أعظم بشارة شرعت معتمدا فى ذلك على من يبلغ كل مؤمل أمله ولم يخيب من قصده وأمله وقد يسر الله تعالى ذلك على أسلوب لطيف ومسلك شريف لا تمله الاسماع ولا تنفر منه الطباع والزيادة التى أخذتها من سيرة الشمس الشامى على سيرة أبى الفتح بن سيد الناس الموسومة بعيون الاثر ان كثرت ميزتها بقولى فى أولها قال وفى آخرها انتهى وان قلت أتيت بلفظة أى وجعلت فى آخر القولة دائرة هكذا ٥ بالحمرة وربما أقول وفى السيرة الشامية وربما عبرت عن الزيادة القليلة بقال وعن الكثيرة بأى وما ليس بعد تلك الدائرة فهو من الاصل أعنى عيون الاثر غالبا وقد يكون من زيادتى على الاصل والشامى كما يعلم بالوقوف عليهما وربما ميزت تلك الزيادة بقولى فى أولها أقول وفى آخرها والله أعلم وقد يكون من الزيادة ما أقول وفى السيرة الهشامية بتقديم الهاء على الشين وحيث أقول قال فى الاصل أو ذكر فى الاصل أو نحو ذلك فالمراد به عيون الاثر ثم عن لى أن اذكر من أبيات القصيدة الهمزية المنسوبة لعالم الشعراء وأشعر العلماء وهو الشيخ شرف الدين البوصيرى ناظم القصيدة المعروفة بالبردة ما تضمنته تلك الابيات وأشارت اليه من ذلك السياق فانه أحلى فى الاذواق وربما أحل ذلك النظم بما يوضح معناه ويظهر تركيب مبناه وربما أذكر أيضا من أبيات تائية الامام السبكى ما يناسب المقام وربما أذكر أيضا بعض أبيات من كلام صاحب الاصل من قصائده النبوية المجموعة بديوانه المسمى ببشرى اللبيب بذكرى الحبيب وقد سميت مجموع ذلك ﴿انسان

العيون فى سيرة الامين المأمون ✲ وأسأل من لا مسؤل الا اياه أن يجعل ذلك وسيلة لرضاه آمين

✲ باب نسبه الشريف ✲

صلى الله عليه وسلم هو محمد صلى الله عليه وسلم ✲ ابن عبد الله ✲ ومعنى عبد الله الخاضع الذليل له تعالى وقد جاء أحب أسمائكم وفى رواية أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وجاء أحب الاسماء الى الله ما تعبد به وقد سمى صلى الله عليه وسلم بعبد الله فى القرآن قال الله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وعبد الله هذا هو ✲ ابن عبد المطلب ✲ ويدعى شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له أى لانه كان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الامور فكان شريف قريش وسيدها كمالا وفعالا من غير مدافع وقيل قيل له شيبة الحمد لانه ولد وفى رأسه شيبة أى وفى لفظ كان وسط رأسه أبيض أو سمى بذلك تفاؤلا بانه سيبلغ سن الشيب ٥ قيل اسمه عامر وعاش مائة وأربعين سنة أى وكان ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ٥ وكان مجاب الدعوة وكان يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السماء لانه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤس الجبال قال وكان من حلماء قريش وحكمائها وكان نديمه حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبى سفيان وكان فى جوار عبد المطلب يهودى فاغلظ ذلك اليهودى القول على حرب فى سوق من أسواق تهامة فأغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها الابن عم اليهودى حفظا لجواره ثم نادم عبد الله بن جدعان انتهى ملخصا وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب لما جاء به صغيرا من المدينة أردفه خلفه أى وكان بهيئة رثة أى ثياب خلقة فصار كل من يسأل عنه ويقول من هذا يقول عبدى أى حياء ان يقول ابن أخى فلما دخل مكة أحسن من حاله وأظهر انه ابن أخيه وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب ويحكم انما هو شيبة ابن أخى هاشم ٥ لكن غلب عليه الوصف المذكور فقيل له عبد المطلب أى وقيل لانه تربى فى حجر عمه المطلب وكان عادة العرب أن تقول لليتيم الذى يتربى فى حجر احدهم عبده وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيئات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الى ان هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسىء باساءته أى فالظلوم شانه فى الدنيا ذلك حتى اذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهى معدة له فى الآخرة ورفض فى آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله سبحانه وتعالى وتؤثر عنه سنن جاء القرآن باكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهى عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان كذا فى كلام سبط ابن الجوزى ✲ ابن هاشم ✲ وهاشم هو عمرو العلا أى لعلو مرتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين وكانت رجل هاشم أى أصبعها ملتصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما أى بين بنى العباس وبين بنى أمية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة

وعن أبى هريرة رضى الله عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم فى قريش وقال أيضا الائمة فى قريش وقال أيضا لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة منهم الامام أحمد رضى الله عنه هذا العالم هو الشافعى رضى الله عنه لانه لم ينتشر فى طباق الارض من علم عالم من قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعى رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وفى رواية ولا تعالموها أى لا تغالبوها ولا تكاثروها فيه وفى رواية ولا تعلموها أى لا تعلوا عليها يعنى لا تجعلوها فى المقام الادنى الذى هو مقام التعلم والقصد أن لا تحتقر وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا قريشا فان من أحبهم أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة من بغاها العواثر أى من طلب لها المكايد كبه الله لمنخريه أى كبه الله على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وقال صلى الله عليه وسلم خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفى رواية وشرار قريش شرار الناس والرواية الاولى أصح وأثبت وقال صلى الله عليه وسلم قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم ✲ وروى الترمذى عن سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانى الله قال تبغض العرب فتبغضنى وروى الطبرانى عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وروى الترمذى عن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى ولم تنله مودتى وقال صلى الله عليه وسلم

وقعت العداوة بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس لان هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسده أمية ابن أخيه فتكلف ان يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعاها هاشما للمنافرة فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضى أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى وكان بعسفان فخرج كل منهما فى نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر فنصر هاشم على أمية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل واطعم الناس وخرج أمية الى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارث ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل أقداح النضار أى الذهب ويقال لهم المجبرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب قال بعضهم ولا يعرف بنو أب تباينوا فى محال موتهم مثلهم فان هاشما مات بغزة أى كما سيأتى وعبد شمس مات بمكة وقبره بأجياد ونوفلا مات بالعراق والمطلب مات بردمان من أرض اليمن أى وقيل له هاشم لانه أول من هشم الثريد بعد جده ابراهيم فان ابراهيم أول من فعل ذلك أى ثرد الثريد وأطعمه المساكين ٥ وفيه ان أول من ثرد الثريد وأطعمه بمكة بعد ابراهيم جد هاشم قصى ففى الامتاع وقصى أول من ثرد الثريد وأطعمه بمكة وفيه أيضا هاشم عمرو العلا أول من أطعم الثريد بمكة وسيأتى ان أول من فعل ذلك عمرو بن لحى فليتأمل وقد يقال لا منافاة لان الاولية فى ذلك اضافية فأولية قصى لكونه من قريش وأولية عمرو بن لحى لكونه من خزاعة وأولية هاشم باعتبار شدة مجاعة حصلت لقريش والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

واطعم فى المحل عمرو العلا ✲ فللمسنتين به خصب عام

✲ وقال أيضا ✲

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه ✲ مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابى للوفود اذا ✲ لبوا بمكة ناداهم مناديه
أو امحلوا أخصبوا منها وقد ملئت ✲ قوتا الحاضر منهم وباديه

وقد قيل فيه

قل للذى طلب السماحة والندى ✲ هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش ✲ والقائلون هلم للاضياف

✲ وعن بعض الصحابة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله تعالى عنه على باب بنى شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله ✲ ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم ✲ منعوك عن عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر رضى الله عنه فقال أهكذا قال الشاعر قال

أحبوا العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى وقال صلى الله عليه وسلم ان لواء الحمد بيدى يوم القيامة وان أقرب الخلائق من لوائى يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم الا كنت فى خيرهما وأفتى بعض العلماء بقتل من سب العرب وفى الصحيحين آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وروى الطبرانى حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم من الكفر ومن أحب العرب فقد أحبنى ومن أبغض العرب فقد أبغضنى ✲ وروى ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم حب أبى بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابى فعليه لعنة الله ومن حفظنى فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة قال بعض شراح الشفا والاحاديث كثيرة فى هذا الباب وبالجملة من أحب شيأ أحب كل شئ يحبه وهذه سيرة السلف فيجب على كل أحد أن يحب أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة من العرب والعجم لاسيما جنسه صلى الله عليه وسلم ولا يكون من الخوارج فى بغض أهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض فى بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب أهل البيت ولا من الاروام الذين يكرهون العرب بالطبع الملام ويرمونهم بسوء الكلام فانه يخشى منه سوء الختام

✲ باب فيما ورد على لسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من التنويه بشأنه صلى الله عليه وسلم مع ما ورد من ذلك على لسان آبائه ✲
يروى من طرق شتى ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ألهمه الله أن قال يا رب لم كنيتنى أبا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد صلى الله عليه وسلم فى سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور قال هذا النور نور نبى من ذريتك اسمه فى

السماء أحمد وفي الارض محمد لولاه ماخلقتك ولاخلقت سماء ولا أرضا وروى الحاكم في صحيحه عن عمر رضى الله عنه مرفوعا ان آدم
عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وأن الله تعالى قال لآدم عليه السلام لولا محمد ماخلقتك * وفي
المواهب ان آدم عليه السلام رأى مكتوبا 6 على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة من قصر وغرفة ونحور الحور العين وورق
شجرة طوبى وورق سدر المنتهى
وأطراف الحجب وبين أعين
الملائكة اسم محمد صلى الله عليه
وسلم مقرونا باسم الله تعالى وهو
لا اله الا الله محمد رسول الله فقال
آدم يارب هذا محمد من هو فقال
الله هذا ولدك الذى لولاه
ماخلقتك فقال يارب بحرمة هذا
الولد ارحم هذا الوالد فنودى يا آدم
لو تشفعت الينا بمحمد صلى الله عليه
وسلم في أهل السماء والارض
لشفعناك وعن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم
الخطيئة قال يارب أسألك بحق
محمد صلى الله عليه وسلم الا ماغفرت
لى فقال الله تعالى يا آدم وكيف
عرفت محمدا ولم أخلقه قال يارب
لانك لما خلقتنى بيدك أى من
غير واسطة أم وأب ونفخت فيّ
من روحك أى من الروح المبتدأة
منك المتشرفة بالاضافة اليك
رفعت رأسى فرأيت على قوائم
العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد
رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى
اسمك الا أحب الخلق اليك فقال
الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب
الخلق اليّ واذ سألتنى بحقه فقد
غفرت لك ولولا محمد ماخلقتك
رواه البيهقى في دلائله * وروى
أبو الشيخ والحاكم عن ابن عباس
رضى الله عنهما مرفوعا أوحى الله
تعالى الى عيسى عليه السلام آمن
بمحمد صلى الله عليه وسلم ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد
خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن صححه الحاكم وروى الديلمى
عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا أتانى جبريل فقال ان الله تعالى يقول لولاك ماخلقت الجنة ولولاك ماخلقت النار * وروى

لا والذى بعثك بالحق ولكنه قال

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحالهم * منعوك من عدم ومن اقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكافى

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف على السقاية والرفادة فكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد ويقال لذلك الرفادة واتفق انه أصاب الناس سنة جدب شديد فخرج هاشم الى الشام وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمى بذلك هاشما وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء قال بعضهم لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء قال ابن الصلاح روينا عن الامام سهل الصعلوكى رضى الله عنه انه قال في قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أراد فضل ثريد عمرو العلا الذى عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقى له ولعقبه ذكره وقد أبعد سهل في تأويل الحديث والذى أراه أن معناه تفضيل الثريد من الطعام على باقى الطعام لان سائر بمعنى باقى أى فالمراد أى ثريد لا خصوص ثريد عمرو العلا حتى يكون أفضل من ثريد غيره وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف قال وقد ذكر انه كان اذا أهل هلال ذى الحجة قام صبيحته وأسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته يامعشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما أى عقولا وأوسط العرب أى أشرفها أنسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما يامعشر قريش انكم جيران بيت الله تعالى أكرمكم الله تعالى بولايته وخصكم بجواره دون بنى اسمعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزواره فانهم يأتون شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح فأكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لى مال يحتمل ذلك لكفيتكموه وأنا مخرج من طيب مالى وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة انتهى وقيل في تسمية شيبة الحمد عبد المطلب غير ماتقدم فقد قيل انما سمى شيبة الحمد عبد المطلب لان أباه هاشما قال للمطلب الذى هو أخوه هاشم وهو بمكة حين حضرته الوفاة أدرك عبدك يعنى شيبة الحمد بيثرب فمن ثم سمى عبد المطلب كذا في المواهب وقدمه على ماتقدم وفيه انه حكى غير واحد ان هاشما خرج تاجرا الى الشام فنزل على شخص من بنى النجار بالمدينة وتزوج بنته على شرط انها لا تلد ولدا الا في أهلها أى ثم مضى لوجهه قبل أن يدخل بها ثم انصرف راجعا فبنى بها في أهلها ثم ارتحل بها الى مكة فلما أثقلت بالحمل خرج بها فوضعها عند أهلها بالمدينة ومضى الى الشام فمات بغزة قيل وعمره حينئذ

ابن سبع عن على رضى الله عنه ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم من أجلك أسطح البطحاء وأموج الموج وأرفع السماء وأجعل
الثواب والعقاب قال العلامة الزرقانى وهذا ليس لغيره من نبى ولا ملك ولله در من قال ومن عجب اكرام ألف لواحد *
لعين تفدى ألف عين وتكرم * وقال آخر * وكان لدى الفردوس في زمن الصبا * 7 وأثواب شمل الانس محكمة السدى
يشاهد في عدن ضياء مشعشعا
يزيد على الانوار في الضوء والهدى
فقال الهى ما الضياء الذى أرى
جنود السما تعشو اليه ترددا
فقال نبى خير من وطئ الثرى
وأفضل من في الخير راح أو اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا
والبسته قبل النبيين سوددا
واعددته يوم القيامة شافعا
مطاعا اذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع في انقاذ كل موحد
ويدخله جنات عدن مخلدا
وان له اسماء سميته بها
ولكننى أحببت منها محمدا
فقال الهى امنن عليّ بتوبة
تكون على غسل الخطيئة مسعدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التى
خصصت بها دون الخليقة أحمدا
أقلنى عثارى يا الهى فانّ لى
عدوا لعينا جار في القصد واعتدى
فتاب عليه ربه وحماه من
جناية ما أخطاه لا متعمدا
(وعن ابن عباس رضى الله عنهما)
ان الله تعالى خلق حواء من ضلع
آدم الأيسر وهو نائم فلما استيقظ
ورآها سكن ومال اليها فمد يده اليها
فقالت الملائكة مه يا آدم تريد
بذلك نهيه فقال ولم وقد خلقها
الله لى فقالوا حتى تؤدى مهرها
قال وما مهرها قالوا أن تصلى
على محمد صلى الله عليه وسلم
ثلاث مرات (وفي رواية) ان
آدم عليه السلام لما طلب منه المهر قال يارب وما أعطيها قال يا آدم صل على حبيبى محمد بن عبد الله عشرين مرة (وروى ابن
عساكر) عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال هبط جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك ان
كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم عليّ منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك

حينئذ عشرون سنة وقيل أربع وقيل خمس وعشرون وولدت شيبة الحمد فمكث بالمدينة تسع سنين وقيل ثمان فمر رجل على غلمان يلعبون أى ينتضلون بالسهام واذا غلام فيهم اذا أصاب قال أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن أنت ياغلام فقال أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه مارأى فذهب الى المدينة فلما رآه عرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من أمه وفي لفظ أنه عرفه بالشبه وقال لمن كان يلعب معه أهذا ابن هاشم قالوا نعم فعرفهم انه عمه فقالوا له ان كنت تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلم به أمه فانها ان علمت بك لم تدعك وحالت بينك وبينه فدعاه المطلب وقال يا ابن أخى أنا عمك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ ناقته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم به أمه حتى كان الليل فقامت تدعوه فاخبرت ان عمه قد ذهب به وكساه حلة يمانية ثم قدم به مكة فقالت قريش هذا عبد المطلب أى فان هذا السياق يدل على ان عبد المطلب انما ولد بعد موت أبيه هاشم بغزة وكون عمه المطلب كساه حلة لا ينافى ماسبق انه دخل به مكة وثيابه رثة خلقة لانه يجوز ان تكون هذه الحلة ألبسه له عند أخذه ثم نزعت عنه في السفر أى أو أن هذه الحلة اشتراها بمكة كما يصرح به كلام بعضهم وما وقع هنا من تصرف الراوى على انه يجوز ان يكون اشترى له حلتين واحدة ألبسها له بالمدينة وأخرى اشتراها بمكة وألبسها له ○ وفي السيرة الهشامية ان أم عبد المطلب كانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشرطوا لها ان أمرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته أى وانها لا تلد ولدا الا في أهلها كما تقدم وان عمه المطلب لما جاء لاخذه قالت له لست بمرسلته معك فقال لها المطلب انى غير منصرف حتى أخرج به معى ان ابن أخى قد بلغ وهو غريب في غير قومه ونحن أهل بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الاقامة في غيرهم فقال شيبة لعمه انى لست بمفارقها الا أن تأذن لى فأذنت له ودفعته اليه فأردفه خلفه على بعيره ويحتاج الى الجمع بين هذا وما قبله فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه أى ظنا منهم انه اشتراه من المدينة فان الشمس أثرت فيه وعليه ثياب أخلاق فقال لهم ويحكم انما هو ابن أخى هاشم ولا يخالف هذا ماسبق من انه صار يقول لمن يسأله عنه من هذا فيقول عبدى لانه يجوز ان يكون بعض الناس قال من عند نفسه هذا عبد المطلب ظنا منه وبعضهم سأله فأجابه بقوله هذا عبدى كما تقدم ولما دخل مكة قال لهم ويحكم الى آخره وهاشم ﴿ابن عبد مناف﴾ وعبد مناف اسمه المغيرة أى وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله وهذا هو الجد الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجد الرابع لعثمان بن عفان والجد التاسع لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنهما ووجد كتاب في حجر انا المغيرة بن قصى أوصى قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم ومناف أصله مناة اسم صنم كان أعظم أصنامهم وكانت أمه جعلته خادما لذلك الصنم وقيل وهبته له لانه كان أول ولد لقصى على ماقيل لان عبد مناف ﴿ابن قصى﴾ أى ويسمى قصى زيدا وعن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ان اسمه يزيد ويدعى مجمعا أيضا وقيل له قصى لانه قصى أى بعد عن عشيرته الى أخواله بنى كلب في ناديهم وقيل بعد الى قضاعة مع أمه لانها كانت منهم أقول لا منافاة لجواز أن تكون أم قصى من بنى

ومنزلتك عندى ولولاك ماخلقت الدنيا وما أحسن قول العارف بالله سيدى على وفى رضى الله عنه

سكن الفؤاد فعش هنيئا ياجسد * ذاك النعيم هو المقيم الى الابد * أصبحت فى كنف الحبيب ومن يكن *
جار الكريم فعيشه عيش الرغد * عش فى أمان الله تحت لوائه * لا خوف فى هذا الجناب ولا نكد * لاتخشى فقرا وعندك بيت من

كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن
هو فى المحاسن كلها فرد أحد
قطب النهى غوث العوالم كلها
أعلى على سار أحمد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد
لولاه ماتم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم
هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره
فى وجه آدم كان أول من سجد
أو لو رأى النمرود نور جماله
عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يرى
الا بتخصيص من الله الصمد
فابشر بمن سكن الجوانح منك يا
أنا قد ملأت من المنى عينا ويد
عين الوفا معنى الصفا سر الندى
نور الهدى روح النهى جسد
الرشد
هو للصلاة من السلام المرتضى
الجامع المخصوص ما دام الابد

(روى عن ابن عباس) رضى الله عنهما انه لما نفخ فى آدم الروح صار نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبهته كالشمس قال بعض العارفين لكن ابليس لم يبصر ذلك لخذلانه ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان استقبالهم لذلك النور فالمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم عليه السلام كالقبلة وتلك القبلة المقصد الاعظم منها انما هو النور المحمدى الذى فى جبهته ولما حملت حواء عليها السلام بشيث انتقل ذلك النور اليه لما وضعته عليه السلام ظهر ذلك النور فى جبهته وكان هو وصى آدم عليه السلام على ذريته وأوصاه آدم أن لا يضع ذلك النور الا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية بينهم تنتقل من قرن الى قرن الى أن وصل ذلك النور الى جده عبد المطلب ثم الى ابنه عبد الله ثم الى أمه آمنة وطهر الله تعالى

كلب وأبوها من قضاعة وانها رحلت بعد موت عبد مناف الى بنى كلب ثم لما تزوجت من قضاعة رحلت بها وأهل قضاعة كانت جهة الشام ولا يخالف ماقيل وقيل له قصى لانه بعد مع أمه الى الشام لان أمه تزوجت بعد موت أبيه وهو فطيم بشخص يقال له ربيعة بن حزام وقيل حزام بن ربيعة العذرى فرحل بهم الى الشام وكان قصى لا يعرف له أبا الا زوج أمه المذكور فلما كبر وقع بينه وبين آل زوج أمه شر أى فانه ناضل رجلا منهم فنضله قصى أى غلبه فغضب ذلك الرجل وعيره بالغربة وقال له ألا تلحق بقومك وببلادك فانك لست منا وفى لفظ لما قيل له ذلك قال ممن أنا قيل له سل أمك فشكا ذلك الى أمه فقالت له بلادك خير من بلادهم وقومك خير من قومهم أنت أكرم أباهم أنت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام تفد اليه العرب وقد قالت لى كاهنة رأتك صغيرا انك تلى أمرا جليلا فلما أراد الخروج الى مكة قالت له أمه لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج مع حجاج قضاعة فانى أخاف عليك فخرج مع الحجاج فقدم قصى مكة على قومه مع حجاج قضاعة فعرفوا له فضله وشرفه فأكرموه وقدموه عليهم لفساد فيهم ثم تزوج بنت حليل بالحاء المهملة المضمومة الخزاعى وكان أمر مكة والبيت اليه وهو آخر من ولى أمر البيت والحكم بمكة من خزاعة فجاء منها بأولاده الآتى ذكرهم فلما انتشر ولده وكثر ماله وعلم شرفه مات حليل فرأى قصى انه أولى بأمر مكة من خزاعة لان قريشا أقرب الى اسمعيل من خزاعة فدعا قريشا وبنى كنانة الى اخراج خزاعة من مكة فأجابوه الى ذلك وانضم له قضاعة جاءهم أخو قصى لامه فأزاح قصى يد خزاعة وولى أمر مكة وقيل ان حليلا جعل أمر البيت لقصى ولا منافاة لجواز أن تكون خزاعة لم ترض بما فعله حليل من ان يكون أمر البيت لقصى فقاتلهم وأخرجهم من مكة وقيل ان حليلا أوصى بذلك لابى غبشان بضم الغين المعجمة بعدان أوصى بذلك لابنته زوج قصى وقالت له لا قدرة لى على فتح البيت واغلاقه وان قصيا أخذ ذلك منه بزق خمر فقالت العرب أخسر صفقة من أبى غبشان وقيل ان أبا غبشان أعطى ذلك لبنت حليل زوج قصى وأعطاه قصى أوابا وابعرة فكان أبو غبشان آخر من ملك أمر مكة والبيت من خزاعة ولا يخالف ذلك ما تقدم من ان حليلا آخر من ولى أمر البيت والحكم بمكة لجواز أن يكون المراد آخر من ولى ذلك واستمر كذلك الى ان مات قال بعضهم وكان أبو غبشان خالا لقصى وكان فى عقله شئ فخدعه قصى فاشترى منه أمر مكة والبيت بأذواد من الابل والجمع بين هذه الروايات من ان قصيا أخذه من أبى غبشان بزق خمر وبين انه أخذ ذلك بأواب وابعرة وبين انه أخذ ذلك بأذواد من الابل يمكن بجواز ان يكون جمع بين الخمر والاواب والابل فوقع الاقتصار على بعضها من بعض الرواة تأمل (ثم جمع قصى) قريشا بعد تفرقها فى البلاد وجعلها اثنى عشر قبيلة كما سيأتى ومن ثم قيل له مجمع وفى كلام بعضهم ولذلك سماه النبى صلى الله عليه وسلم مجمعا والى ذلك يشير قول الشاعر

قصى لعمرى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها عبد المطلب مدحه بها حذافة بن غانم فان ركبا من جذام فقدوا رجلا منهم غالته بيوت مكة فلقوا حذافة فأخذوه فربطوه ثم انطلقوا به فتلقاهم

عبد

هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية (روى البيهقى) فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدنى من سفاح الجاهلية شئ ماولدنى الا نكاح الاسلام أى نكاح كنكاح الاسلام يعنى بعقد صحيح (وروى أبو نعيم) فى الدلائل عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم (وفى الشفاء) أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة قال اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتى وتقبل توبتى فتاب الله عليه وغفر له وهذا تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقيل ان الكلمات هى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانك خير الغافرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم قال بعضهم ولا مانع من كون آدم عليه السلام أتى بالجميع (وصح) فى أحاديث كثيرة انه صلى الله عليه وسلم كان فى صلب نوح عليه السلام حين ركب السفينة وفى صلب ابراهيم عليه السلام حين قذف به فى النار وانه هو المراد من قول ابراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى عليه السلام * وأما مانقل عن آبائه من ذكره عليه السلام والتنويه بشانه فكثير (فمن ذلك) ماروى عن جده كعب بن لؤى فانه كان يجمع قومه يوم العروبة وهو المسمى بيوم الجمعة ويعظهم ويذكرهم ببعث النبى صلى الله عليه وسلم ويخبرهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه فمما كان يقوله لهم سيأتى لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم وينشد أبياتا آخرها

على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

وينشد أيضا

ياليتنى شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

عبد المطلب مقبلا من الطائف معه ابنه أبو لهب يقوده وقد ذهب بصره فلما نظر اليه حذافة هتف به فقال عبد المطلب لابى لهب ويلك ماهذا قال هذا حذافة بن غانم مربوطا مع ركب قال ألحقهم واسألهم ماشأنهم فلحقهم فأخبروه الخبر فرجع الى عبد المطلب فقال ما معك قال والله ما معى شئ قال ألحقهم لا أم لك وأعطهم ما بيدك وأطلق الرجل فلحقهم أبو لهب فقال قد عرفتم تجارتى ومالى وأنا أحلف لكم لأعطينكم عشرين أوقية ذهبا وعشرا من الابل وفرسا وهذا ردائى رهنا بذلك فقبلوه منه وأطلقوا حذافة فأقبل به فلما سمع عبد المطلب صوت أبى لهب قال وأبى انك لعاص ارجع لا أم لك قال يا أبتاه هذا الرجل معى فناداه ياحذافة أسمعنى صوتك فقال ها أنا ذا بأبى أنت ياساقى الحجيج اردفنى فأردفه خلفه حتى دخل مكة فقال حذافة هذه القصيدة ومطلعها

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

وهى قصيدة جيدة فان قيل كيف قبل القوم من أبى لهب رهن ردائه على ماذكره لهم فى أن يخلوا عن الرجل مع أن رداءه لا يقع موقعا من ذلك أجيب بان سنة العرب وطريقتهم أن الواحد منهم اذا رهن غيره ولو شيأ حقيرا على أمر جليل لا يغدر بل يحرص على وفاء مارهن عليه ومن ثم لما أجدبت أرض تميم بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم عليهم ذهب سيدهم حاجب بن زرارة والد عطارد رضى الله تعالى عنه الى كسرى ليأخذ منه أمانا لقومه لينزلوا ريف العراق لاجل المرعى فقال له كسرى أنتم قوم غدر وأخاف على الرعايا منكم فقال له حاجب أنا ضامن أن لا تفعل قومى شيأ من ذلك فقال له كسرى ومن لى بوفائك قال هذه قوسى رهينة فضحك كسرى وجلساؤه وضحكوا منه فقيل له العرب لو رهن أحدهم شيأ لا بد أن يفى به فلما أخصبت أرض تميم بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم لهم لما وفد اليه جماعة منهم وأسلموا ومات حاجب أمر عطارد رضى الله عنه قومه بالذهاب الى بلادهم وجاء عطارد رضى الله عنه الى كسرى فطلب قوس أبيه فقال انك لم تسلم الى شيأ فقال أيها الملك أنا وارث أبى وقد وفينا بالضمان فان لم تدفع الى قوس أبى صار عارا علينا وسبة فدفعها له وكساه حلة فلما وفد عطارد على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم دفعها للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وقال انما يلبس هذه الحلة من لا خلاق له فكانت بنو تميم تعد ذلك القوس من مفاخرهم والى هذا أشار بعض الشعراء وقد أحسن وأجاد وتلطف بقوله

تزهو علينا بقوس حاجبها * تيه تميم بقوس حاجبها

وصار قصى رئيسا لقريش على الاطلاق حين أزاح يد خزاعة عن البيت واجلاهم عن مكة بعد أن لم يسلموا القصى فى ولاية أمر البيت ولم يجيزوا مافعل حليل وأبو غبشان على ماتقدم وذلك بعد ان اقتتلوا آخر أيام منى بعد ان حذرتهم قريش الظلم والبغى وذكرتهم ماصارت اليه جرهم حين ألحدوا فى الحرم بالظلم فأبت خزاعة فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل والجراح فى الفريقين الا انه فى خزاعة أكثر ثم تداعوا للصلح واتفقوا على ان يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا شريفا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا فلما اجتمعوا قام يعمر فقال ألا انى قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمى هاتين فلا تباعة لاحد على أحد فى دم وقيل قضى بأن

(ومن خطبه) التى كان يخطبها أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج ونهار صاح والارض مهاد والسما بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام والاولون كالآخرين فصلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم الدار أمامكم والظن غير ما تقولون وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة وقيل وعشرون وكانوا يؤرخون بموته حتى كان عام الفيل فأرخوا به ثم بموت عبد المطلب ثم كان التاريخ فى الاسلام بالهجرة (ومن ذلك) ما نقل عن جده صلى الله عليه وسلم كنانة بن خزيمة انه كان شيخا عظيما تقصده العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبى من مكة يدعى أحمد يدعو الى الله تعالى والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تفندوا أى لا تكذبوا ما جاء به فهو الحق وتواتر أن جده صلى الله عليه وسلم الياس كان يسمع من صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وسلم المعروفة فى الحج وكان كبيرا عند العرب يدعونه سيد العشيرة ولا يقضون أمرا دونه وهو أول من أهدى البدن الى البيت وجاء فى الحديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وكان فى العرب مثل لقمان الحكيم فى قومه وجاء فى الحديث أيضا لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين وفى رواية لا تسبوا مضر فانه كان على دين اسمعيل ومن كلامه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة وجاء أن خزيمة ومدركة ونزارا كل منهم كان يرى نور النبى صلى الله عليه وسلم بين عينيه وان نزارا لما ولد ونظر أبوه الى نور النبى صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال ان هذا كله نزر أى قليل بحق هذا المولود فسمى نزارا لذلك وكان أجل أهل زمانه وأكبرهم عقلا وجاء ان الله لما سلط بختنصر على العرب أمر الله أرمياء عليه السلام ان يحمل معه معد بن عدنان على البراق كى لا تصيبه النقمة وقال فانى سأخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرمياء ذلك واحتمله معه الى أرض الشام فنشأ مع بنى اسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن بموت بختنصر

دين

كل دم أصابته قريش من خزاعة موضوع وان ما أصابته خزاعة من قريش فيه الدية وقضى لقصى بأنه أولى بولاية مكة فتولاها قيل وكان يعشر من دخل مكة من غير أهلها أى بتجارة وكانت خزاعة قد ازالت بنى جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمى الاكبر ولى أمر البيت بعد ثابت بن اسمعيل عليه الصلاة والسلام فانه كان جد ثابت وغيره من أولاد اسمعيل لامهم واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولد اسمعيل فى ذلك لخؤلتهم واعظاما لان يكون بمكة بغى ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها حتى ان الرجل منهم كان اذا أراد أن يزنى ولم يجد مكانا دخل البيت فزنا فيه فأجمعت أى عزمت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد أن سلط الله تعالى على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون فى أنوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف فأفنى غالبهم أى وجاز أن يكون ذلك الدم ناشئا عن ذلك الدود فلا مخالفة وذهب من بقى الى اليمن مع عمرو بن الحرث الجرهمى آخر من ملك أمر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو أبياتا منها

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وكنا ولاة البيت من بعد ثابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والدهور البواتر

(ومن غريب الاتفاق) ما حكاه بعضهم قال كنت أكتب بين يدى الوزير يحيى بن خالد البرمكى أيام الرشيد فأخذه النوم فنام برهة ثم انتبه مذعورا فقال الامر كما كان والله ذهب ملكنا وذل عزنا وانقضت أيام دولتنا فقلت وما ذاك أصلح الله الوزير قال سمعت منشدا أنشدنى كأن لم يكن بين الحجون البيت وأجبته من غير روية بلى نحن كنا أهلها البيت فلما كان اليوم الثالث وأنا بين يديه على عادتى اذ جاءه انسان وأكب عليه وأخبره ان الرشيد قتل جعفرا الساعة قال أوقد فعل قال نعم فما زاد أن رمى القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة (ومما يؤثر عن يحيى هذا) ينبغى للانسان أن يكتب أحسن ما يسمع ويحفظ أحسن ما يكتب ويحدث بأحسن ما يحفظ وقال من لم يبت على سرور الوعد لم يجد لله نعمة طعما وصارت خزاعة بعد جرهم ولاة البيت والحكام بمكة كما تقدم وكان كبير خزاعة عمرو بن لحى وهو ابن بنت عمرو بن الحرث الجرهمى آخر ملوك جرهم المتقدم ذكره وقد بلغ عمرو بن لحى فى العرب من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية وهو أول من أطعم الحج بمكة سدائف الابل ولحمانها على الثريد والسدائف جمع سديف وهو شحم السنام وذهب شرفه فى العرب كل مذهب حتى صار قوله دينا متبعا لا يخالف وفى كلام بعضهم صار عمرو للعرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسوهم فى الموسم وربما نحر لهم فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة وهو أول من غير دين ابراهيم أى فقد قال بعضهم تظافرت نصوص العلماء على أن العرب من عهد ابراهيم استمرت على دينه أى من رفض عبادة الاصنام الى زمن عمرو بن لحى فهو أول من غير

(وحكى الزبير بن بكار) أن أول من وضع انصاب الحرم عدنان قيل وهو أول من كسا الكعبة أو كسيت فى زمنه وجاء انه انما سمى عدنان من العدن وهو الاقامة لان الله أقام ملائكة لحفظه وسبب ذلك ان أعين الجن والانس كانت اليه وأرادوا قتله وقالوا لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه (روى أبو جعفر) فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة وأسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير وجاء أيضا ان مضر انما سمى بذلك لانه كان يمضر القلوب أى يأخذها لحسنه وجماله ولم يره أحد الا أحبه لما كان يشاهد فى وجهه من نور النبى صلى الله عليه وسلم (ومن كلامه) خير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق وهو ما بين الحلبتين وهو أول من حدا الابل وذلك انه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال يا يداه يا يداه فأتت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وكان من أحسن الناس صوتا وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت اليه الابل فوضع الحداء وزاد الناس فيه ويقال لمضر مضر الحمراء وسبب ذلك انه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما نزار أخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء وأخذ ربيعة الخيل فقيل له ربيعة الفرس قيل ان قبر مضر بالروحاء وجاء ان معدا سمى بذلك لانه كان صاحب حروب وغارات على بنى اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع بالنصر بسبب نور النبى صلى الله عليه وسلم الذى فى جبهته وخزيمة قيل انه تصغير خزمة وانما سمى بذلك لانه خزم أى جمع فيه نور النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان فى آبائه ومدركة سمى بذلك لانه أدرك كل عز وفخر بسبب نور النبى صلى الله عليه وسلم وكان ظاهرا بينا فيه والنضر انما لقب بذلك لنضارة وجهه واشراقه وجماله من نور النبى صلى الله عليه وسلم قيل ان أم النضر برة بنت أد بن طابخة تزوجها أبوه كنانة بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كان عليه أهل الجاهلية اذا مات رجل خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها

دين ابراهيم وشرع للعرب الضلالات فعبد الاصنام وسيب السائبة وبحر البحيرة وقيل أول من بحر البحيرة رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع أذنيهما وحرم ألبانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته فى النار يخبطانه بأخفافهما ويعضانه بأفواههما وعمرو أول من وصل الوصيلة وحمى الحامى ونصب الاصنام حول الكعبة وأتى بهبل من أرض الجزيرة ونصبه فى بطن الكعبة فكانت العرب تستقسم عنده بالازلام على ما سيأتى وأول من أدخل الشرك فى التلبية فانه كان يلبى بتلبية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهى لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك فعند ذلك تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه فلما قال عمرو لبيك لا شريك لك قال له ذلك الشيخ الا شريكا هو لك فانكر عمرو ذلك فقال له ذلك الشيخ تملكه وما ملك وهذا لا بأس به فقال ذلك عمرو فتبعته العرب على ذلك أى فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده قال تعالى توبيخا لهم وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وهو أول من أحل أيضا أكل الميتة فان كل القبائل من ولد اسمعيل لم تزل تحرم أكل الميتة حتى جاء عمرو بن لحى فزعم ان الله تعالى لا يرضى تحريم أكل الميتة قال كيف لا تأكلون ما قتل الله وتأكلون ما قتلتم (وروى البخارى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه فى النار وفى رواية امعاءه أى وهى المرادة بالقصب بضم القاف وفى رواية رأيته يؤذى أهل النار بريح قصبه ويقال للامعاء الاقتاب واحدها قتب بكسر القاف وسكون المثناة الفوقية آخره باء موحدة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فى النار والاندلاق الخروج بسرعة (وقال صلى الله عليه وسلم) لا كثم بن الجون الخزاعى واسمه عبد العزى وأكثم بالثاء المثلثة وهو فى اللغة واسع البطن يا أكثم رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلا أشبه من رجل منك به ولا بك منه فقال أكثم فعسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر انه أول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان أى ودين اسمعيل هو دين ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام استمرت على دينه لم يغيره أحد الى عهد عمرو المذكور كما تقدم وفى كلام بعضهم أن أكثم هذا هو أبو معبد زوج أم معبد التى مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهجرة وأكثم هذا هو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الدجال فاذا أشبه الناس به أكثم بن عبد العزى فقام أكثم فقال أيضرنى شبهى اياه فقال لا أنت مؤمن وهو كافر ورده ابن عبد البر حيث قال الحديث الذى فيه ذكر الدجال لا يصح انما يصح ما قاله فى ذكر عمرو بن لحى وانما كان عمرو بن لحى أول من نصب الاوثان لانه خرج من مكة الى الشام فى بعض أموره فرأى بأرض البلقاء العماليق ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ورآهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه قالوا هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطونى منها صنما فأسير به الى أرض العرب فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه فى بطن الكعبة على بئرها وأمر الناس بعبادته وتعظيمه فكان الرجل اذا قدم من سفره بدأ به قبل أهله بعد طوافه بالبيت

ولذا قال تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وهذا كله غلط فاحش قال ابو عثمان الجاحظ ان كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد له ذكرا ولا أنثى فنكح بنت أخيها وهي برة بنت مر بن أد بن طابخة فولدت له النضر قال وانما غلط كثير لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمي الزوجتين وتقارب النسب قال وهذا هو الذي عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال صلى الله عليه وسلم ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن قال غير هذا فقد أخطأ وشك في هذا الخبر والحمد لله الذي طهره من كل وصم تطهيرا قال الدميري وهذا أرجو به الفوز للجاحظ في منقلبه وانه يتجاوز عنه فيما سطره في كتبه قال الحافظ الشامي وهو من النفائس التي يرحل اليها وهو الذي ينثلج له الصدر ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفئ شرره انتهى وقد أجمع العلماء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب ينتهي الى عدنان ولم يتجاوزه ويقول كذب النسابون وذلك لانه اختلف فيما بين عدنان واسمعيل اختلافا كثيرا ومن اسمعيل الى آدم متفق على أكثره وفيه خلف يسير في عدد الآباء وفي ضبط بعض الاسماء وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وقيل أقل وقيل أكثر وقال عروة ابن الزبير ما وجدت أحدا يعرف بعد معد بن عدنان (وسئل مالك) عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال على سبيل الانكار من أخبره بذلك فينبغي ان أراد ان يذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم ان يوصله الى عدنان بن أد ويقف اقتداء به صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على ان عدنان ينتهي نسبه الى اسمعيل عليه السلام فهو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ولله در القائل

ونسبة عز هاشم من أصولها * ومحتدها المرضي اكرم محتد

وحلق رأسه عنده وكان عند هبل سبع قداح قدح فيه مكتوب العقل اذا اختلفوا فيمن يحمله منهم ضربوا به فعلى من خرج حمله وقدح مكتوب فيه نعم وقدح مكتوب فيه لا وذلك للامر الذي يريدونه وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح من غيركم اذا اختلفوا في ولد هل هو منهم أو لا وقدح فيه بها وقدح فيه مابها اذا أرادوا أرضا يحفرونها للماء وكان هبل من العقيق على صورة انسان وعاش عمرو بن لحي هذا ثلثمائة سنة وأربعين سنة ورأى من ولده وولد ولده ألف مقاتل أي ومكث هو وولده من بعده في ولاية البيت خمسمائة سنة وكان آخرهم حليل الذي تزوج قصي ابنته كما تقدم وقيل كان لعمرو تابع من الجن فقال له اذهب الى جدة وائت منها بالآلهة التي كانت تعبد في زمن نوح وادريس عليهما السلام وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فذهب وأتى بها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام في العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان وقيل لهذيل ويغوث لمذحج بالذال المعجمة على وزن مسجد أبو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وقيل لهمدان ونسر لحمير أي وكانوا هؤلاء على صور عباد ماتوا فحزن أهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين أمثالهم من صفر ونحاس ليستأنسوا بهم فجعلوها في مؤخر المسجد فلما هلك اهل ذلك العصر قال اللعين لأولادهم هذه آلهة آبائكم تعبدونها ثم ان الطوفان دفنها في ساحل جدة فأخرجها اللعين (وفي كلام بعضهم) ان آدم كان له خمسة أولاد صلحاء وهم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فمات ود فحزن الناس عليه حزنا شديدا واجتمعوا حول قبره لا يكادون يفارقونه وذلك بأرض بابل فلما رأى ابليس ذلك من فعلهم جاء اليهم في صورة انسان وقال لهم هل لكم أن أصور لكم صورته اذا نظرتم اليها ذكرتموه قالوا نعم فصور لهم صورته ثم صار كلما مات واحد منهم صور صورته وسموا تلك الصور بأسمائهم ثم لما تقادم الزمان وماتت الآباء والابناء وأبناء الأبناء قال لمن حدث بعدهم ان الذين كانوا قبلكم يعبدون هذه الصور فعبدوها فأرسل الله لهم نوحا فنهاهم عن عبادتها فلم يجيبوه لذلك وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فأول ما حدثت عبادة الاصنام في قوم نوح فأرسله الله تعالى اليهم فنهاهم عن ذلك ويقال ان عمرو بن لحي هو الذي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد يحجون اليه ويعظمونه وكذلك الاوس والخزرج وغسان (وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني) في تفسيره لبعض الآيات القرآنية عند قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض ان أصل وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من العلماء الاقدمين فانهم نزهوا الله تعالى عن كل شئ وأمروا بذلك عامتهم فلما رأوا ان بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الاصنام وكسوها الديباج والحلي والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذي غاب عن عقولهم وغاب عن أولئك العلماء ان ذلك لا يجوز الا باذن من الله تعالى هذا كلامه (وكان في زمان جرهم) رجل فاجر يقال له اساف فجر بامرأة يقال لها نائلة في جوف الكعبة أي قبلها فيها كما في تاريخ الازرقي وقيل زنا بها فمسخا حجرين فأخرجا منها ونصب على الصفا والمروة ليكونا عبرة فلما كان زمن عمرو بن لحي أخذهما ونصبهما حول الكعبة أي على زمزم وجعلا في وجهها وصار من يطوف يتمسح بهما يبدأ باساف ويختم بنائلة وذلك قبل

سمت رتبة علياء اعظم بقدرها * ولم نسم الا بالنبي محمد

ورحم الله آخر حيث قال

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمري ولكن منه شيبان

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

(قال الماوردي) في كتاب اعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة (وفهر) اسمه قريش واليه تنتهي وتجتمع قبائل قريش وما فوقه كناني وسمي قريشا لانه كان يقرش أي يفتش على حاجة المحتاج فيسدها بماله وقيل كان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم (وكلاب) اسمه حكيم سمي بكلاب لانه كان يكثر الصيد بالكلاب وقيل من المكالبة أي المضايقة لمضايقته على أعدائه وقيل من الكلاب جمع كلب كأنهم يريدون الكثرة (وسئل) اعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو رزق ومرزوق ورباح فقال انما نسمي ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد أن الابناء عدة للاعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء (وقصي) اسمه زيد أو يزيد ويقال له مجمع به جمع الله القبائل من قريش في مكة بعد تفرقها قال الشاعر

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها حذافة بن غانم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم حيث أنجده من كربة وقعت له فوجده مربوطا ربطه ركب من جذام ادعوا عليه قتيلا قتله بمكة ففداه عبد المطلب بمال وأطلقه وكان مع عبد المطلب حين أطلقه ابنه أبو لهب فقال يمدح عبد المطلب وبنيه

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

الى أن قال

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

ومن كلام قصي من أكرم لئيما شاركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة

أن يقدم عمرو بهبل وبتلك الاصنام وكانت قريش تذبح ذبائحها عندهما (وذكر) أنه صلى الله عليه وسلم لما كسر نائلة عند فتح مكة خرجت منها امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها وهي تنادي بالويل والثبور وكان عمرو يخبر قومه بأن الرب يشتي بالطائف عند اللات ويصيف عند العزى فكانوا يعظمونهما وكانوا يهدون الى العزى كما يهدون الى الكعبة وقصي هو الذي أمر قريشا أن يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم ان فعلتم ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم فبنوا حول البيت من جهاته الاربع وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب الآن اليه كباب بني شيبة وباب بني سهم وباب بني مخزوم وباب بني جمح وتركوا قدر الطواف بالبيت فبنى قصي دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة واستمر الامر على أنه ليس حول الكعبة الا قدر المطاف وليس حوله جدار زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ولاية الصديق رضي الله عنه فلما كان زمن ولاية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم لما كان زمن ولاية عثمان رضي الله تعالى عنه اشترى دورا أخر وغالى في ثمنها وهدمها وزاد في سعة المسجد ثم ان ابن الزبير رضي الله عنهما زاد في المسجد زيادة كثيرة ثم ان عبد الملك بن مروان رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيأ ثم ان الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وحمل اليه أعمدة الرخام ثم زاد فيه المهدي والد الرشيد مرتين واستقر بناؤه على ذلك الى الآن وكانت قريش قبل ذلك أي قبل بناء منازلهم في الحرم يحترمون الحرم ولا يبيتون فيه ليلا واذا أراد أحدهم قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل (وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم) لما كان بمكة اذا أراد حاجة الانسان خرج الى المغمس بكسر الميم أفصح من فتحها وهو على ثلثي فرسخ من مكة وهابت قريش قطع شجر الحرم التي في منازلهم التي بنوها فقد كان بمكة شجر كثير من العضاه والسلم وشكوا ذلك الى قصي فأمرهم بقطعها فهابوا ذلك فقالوا نكره ان ترى العرب انا استخففنا بحرمنا فقال قصي انما تقطعونه لمنازلكم وما تريدون به فسادا بهلة الله أي لعنته على من أراد فسادا فقطعها قصي بيده وبيد أعوانه (وفي كلام السهيلي عن الواقدي) الاصح ان قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصي كيف نصنع في شجر الحرم فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك فكان أحدهم يحدق بالبنيان حول الشجرة حتى تكون في منزله قال وأول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقعيقعان لكنه جعل فداء كل شجرة بقرة وليتأمل الجمع (وأنزل قصي القبائل) من قريش أي فانه جعلها اثنتي عشرة قبيلة كما تقدم في نواحي مكة بطاحها وظواهرها ومن ثم قيل لمن سكن البطاح قريش البطاح ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر والاولى أشرف من الثانية ومن الاولى بنو هاشم والى ذلك يشير صاحب الاصل في وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله

من بني هاشم بن عبد مناف * وبنو هاشم بحار الحباء

من قريش البطاح من عرف النا * س لهم فضلهم بغير امتراء

قال بعضهم كان قصي أول رجل من بني كنانة أصاب ملكا ولما حضر الحج قال لقريش قد حضر

اصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفي ولما احتضر قال لبنيه اجتنبوا الخمرة فانها تصلح
الابدان وتفسد الاذهان وتزوج قصي من خزاعة حبي بنت حليل الخزاعي فولدت له عبد مناف وكانت ولاية الحرم لخزاعة وانتهت
الى حليل الخزاعي فأوصى بها لابنته زوج قصي فقالت لا قدرة لي على فتح البيت واغلاقه فجعل أبوها ذلك

الحج وقد سمعت العرب بما صنع فعظموه وهم لكم معظمون ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من
الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجا ففعلوا فجمع من ذلك شيئا كثيرا فلما جاء أوائل
الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزورا ونحر بمكة وجعل الثريد واللحم وسقى الماء المحلى
بالزبيب وسقى اللبن وهو أول من أوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النفر (ومما
يؤثر عن قصي) من أكرم لئيما أشركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه
الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود العدو الخفي ولما
احتضر قال لاولاده اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان (وحاز قصي شرف مكة
كله) فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة وكان عبد الدار أكبر أولاد
قصي وعبد مناف أشرفهم أي لانه شرف في زمان أبيه قصي وذهب شرفه كل مذهب وكان
يليه في الشرف أخوه المطلب كان يقال لهما البدران وكانت قريش تسمي عبد مناف الفياض
لكثرة جوده فأعطى قصي ولده عبد الدار جميع تلك الوظائف التي هي السقاية والرفادة
والحجابة والندوة واللواء والقيادة أي فانه قال له أما والله يا بني لالحقنك بالقوم يعني أخويه عبد
مناف والمطلب وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها
له أي بسبب الحجابة للبيت ولا يعقد لقريش لواء لحربها الا أنت بيدك أي وهذا هو المراد باللواء
ولا يشرب رجل بمكة الا من سقايتك وهذا هو المراد بالسقاية ولا يأكل أحد من أهل الموسم
الا من طعامك أي وهذا هو المراد بالرفادة ولا تقطع قريش أمرا من أمورها الا في دارك
يعني دار الندوة أي ولا يكون أحد قائدا لقوم الا أنت وذلك بسبب القيادة فلما مات عبد الدار
وأخوه عبد مناف أراد بنو عبد مناف وهم هاشم وعبد شمس والمطلب وهؤلاء اخوة لاب وأم
أمهم عاتكة بنت مرة ونوفل أخوهم لابيهم وأمه واقدة بنت حرملة أن يأخذوا تلك الوظائف من
بني عمهم عبد الدار وأجمعوا على المحاربة أي وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوأة طيبا فوضعوها
لاحلافهم في المسجد عند باب الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا هم وحلفاؤهم
ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا المطيبين أي أخرجتها لهم أم حكيم البيضاء
بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه ووضعتها في الحجر وقالت من تطيب
بهذا فهو منا فتطيب منها مع بني عبد مناف بنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى وبنو تيم بن مرة
وبنو الحرث بن فهر فالمطيبون من قريش خمس قبائل وتعاقد بنو عبد الدار وأحلافهم وهم بنو
مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا
الاحلاف لتحالفهم بعد أن أخرجوا جفنة مملوأة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يده
في دمها فلعق منه فهو منا وصاروا يضعون أيديهم فيها ويلعقونها فسموا لعقة الدم وقيل الذين
لعقوا الدم فسموا لعقة الدم بنو عدي خاصة ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة
والقيادة لبني عبد مناف والحجابة واللواء لبني عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وتحالفوا
على ذلك هذا والذي رأيته في الشرف فيما يحاضر به من آداب المشرق ولما شرف عبد مناف بن
قصي في حياة أبيه وذهب شرفه كل مذهب وكان قصي يحب ابنه عبد الدار أراد أن يبقى له

لابي غبشان الخزاعي فاشترى
منه قصي أمر البيت وأمر مكة
بزق من خمر ثم زاده أزوادا من
الابل وأثوابا فنازعته خزاعة فدعا
قريشا وبني كنانة لاعانته فاعانوه
حتى أزاح بني خزاعة وذلك بعد أن
اقتتلوا أيام منى بعد أن حذرتهم
قريش الظلم والبغي وذكرتهم
ما صارت اليه جرهم حين ألحدوا
في الحرم بالظلم فأبت خزاعة فاقتتلوا
قتالا شديدا وكثر القتل والجراح
في الفريقين الا أنه في خزاعة أكثر
ثم تداعوا للصلح واتفقوا على أنهم
يحكمون بينهم رجلا من العرب
فحكموا يعمر بن عوف وكان
رجلا عريفا فقال لهم موعدكم
فناء الكعبة غدا فلما اجتمعوا اقام
يعمر فقال ألا اني قد شدخت ما كان
بينكم من دم تحت قدمي هاتين
فلا تباعة لاحد على أحد وقضى
لقصي بأنه أولى بولاية مكة
فتولاها وكانت خزاعة قد أزالت
بني جرهم عن ولاية البيت فان
مضاض بن عمرو الجرهمي الاكبر
ولي أمر البيت بعد نابت بن اسمعيل
عليه الصلاة والسلام لانه كان
جد النابت وغيره من أولاد
اسمعيل لامهم لان اسمعيل تزوج
من جرهم فجاءه الاولاد منهم
فأخذوا ولاية البيت بعد نابت بن
اسمعيل مضاض بن عمرو الجرهمي
واستمرت جرهم ولاة البيت
والحكام لا تنازعهم ولد اسمعيل
في ذلك لخؤولتهم واعظاما لان يكون بمكة بغي ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير أهلها
وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها فأجمعت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد أن سلط الله على جرهم دواب تشبه
النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون في أنوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله عليهم

ذكرا

الرعاف فأفنى غالبهم وذهب من بقي الى اليمن مع عمرو بن الحرث الجرهمي آخر من ملك أمر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا
من أمر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو بن الحرث أبياتا منها كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر بلى نحن كنا أهله فأبادنا * صروف الليالي والدهور البواتر

ذكرا أعطاه الحجابة ودار الندوة واللواء وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة وجعل
عبد الدار الحجابة لولده عثمان وجعل دار الندوة لولده عبد مناف بن عبد الدار ثم وليها عبد العزى
ابن عثمان بن عبد الدار ثم وليها ولده من بعده * والسقاية كانت حياضا من أدم توضع بفناء
الكعبة وينقل اليها الماء العذب من الآبار على الابل في المزاود والقرب قبل حفر زمزم وربما
قذف فيها التمر والزبيب في غالب الاحوال لسقي الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا وهذه
السقاية قام بها والرفادة بعد عبد مناف ولده هاشم وبعده ولده عبد المطلب وكان شريفا مطاعا
جوادا وكانت قريش تسميه الفياض لكثرة جوده فلما كبر عبد المطلب فوض اليه أمر
السقاية والرفادة فلما مات المطلب وثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف وغصبه أركاحا أي أفنية
ودورا فسأل عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا وقالوا لا ندخل بينك وبين
عمك فكتب الى أخواله بني النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل فلما وقف خاله أبو سعد بن
عدي بن النجار على كتابه بكى وسار من المدينة في ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل الابطح فتلقاه
عبد المطلب وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى ألقى نوفلا فقال تركته في الحجر جالسا في مشايخ
قريش فأقبل أبو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال يا أبا سعد أنعم صباحا فقال له أبو سعد
لا أنعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن أختي أركاحه لاملأن
منك هذا السيف فقال قد رددتها اليه فأشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فأقام
عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة ولما جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بني أخيه عبد شمس على
بني هاشم وحالفت بنو هاشم خزاعة على بني نوفل وبني عبد شمس أي فان خزاعة قالت نحن أولى
بنصرة عبد المطلب لان عبد مناف جد عبد المطلب امه حبي بنت حليل سيد خزاعة كما تقدم
فقالوا لعبد المطلب هلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك
اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة
ما بل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة
انسان والمراد من ذلك الابد وعبد المطلب لما حفر زمزم صار ينقل الماء منها للتلك الاحواض
ويقذف فيها التمر والزبيب ثم بعده قام بها ولده أبو طالب ثم اتفق أن أبا طالب أملق أي افتقر
في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر فصرفها
أبو طالب في الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب
شيء فقال لاخيه العباس أسلفني أربعة عشر ألفا أيضا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك
فقال له العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لا كفلها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن
مع أبي طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك له السقاية فصارت للعباس ثم لولده عبد الله بن
عباس واستمر ذلك في بني العباس الى زمن السفاح ثم ترك بنو العباس ذلك * والرفادة اطعام
الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصي تخرجه من أموالها في كل
موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج يأكل منه من لم يكن معه سعة ولا زاد كما تقدم
حتى قام بها بعده ولده عبد مناف ثم بعد عبد مناف ولده هاشم ثم بعد هاشم ولده عبد المطلب ثم

ثم استمر الامر في خزاعة الى أن تزوج
قصي منهم وحصل ما تقدم ذكره
فأزاح بني خزاعة وولي أمر مكة
وشرفها فكان بيده السقاية
والرفادة والحجابة والندوة واللواء
والقيادة وكان عبد الدار أكبر أولاد
قصي وأحبهم اليه وكان عبد مناف
أشرفهم لانه شرف في زمن أبيه
وذهب شرفه كل مذهب وكانت
قريش تسميه الفياض لكرمه
فأعطى قصي تلك الوظائف ولده
عبد الدار لمحبته له وقال أما والله
يا بني لالحقنك بالقوم يعني بقية
اخوته وبني عمه وان كانوا قد شرفوا
عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة
حتى تكون أنت تفتحها ولا يعقد
لقريش لواء للحرب الا أن تعقده
أنت ولا يشرب رجل بمكة الامن
سقايتك ولا يأكل أحد من أهل
الموسم الا من طعامك وهذا هو
المراد من الرفادة ولا تقطع قريش
أمرا من أمورها الا في دارك يعني
دار الندوة ولا يكون أحد قائد
القوم في قتال الا أنت فلما مات
عبد الدار وأخوه عبد مناف
اختلف أبناؤهم فأراد بنو عبد
مناف وهم هاشم والمطلب وعبد
شمس ونوفل أن يأخذوا تلك
الوظائف من بني عمهم عبد الدار
وأجمعوا على المحاربة وأخرج بنو
عبد مناف جفنة مملوأة طيبا
فوضعوها لمن أراد أن يحالفهم
ويكون معهم في المسجد عند باب الكعبة فغمس جماعة من قريش أيديهم فيها للاشارة الى انهم معهم وتحالفوا بعد أن تطيبوا منها
معهم فسموا المطيبين وهم بنو عبد مناف وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر فالمطيبون
قبائل خمسة وتعاقد بنو عبد الدار مع أحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم

ولده أبو طالب وقيل ولده العباس ثم استمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده ثم استمر ذلك فى الخلفاء الى أن انقرضت الخلافة من بغداد ثم من مصر وأما القيادة وهى امارة الركب فقام بها بعد عبد مناف ولده عبد شمس ثم كانت بعد عبد شمس لابنه أمية ثم لابنه حرب ثم لابنه أبى سفيان فكان يقود الناس فى غزواتهم قاد الناس يوم أحد ويوم الاحزاب ومن ثم لما قال الوليد بن عبد الملك لخالد بن يزيد بن معاوية لست فى العير ولا فى النفير قال له ويحك العير والنفير عيبتى أى وعائى لان العيبة ما يجعل فيه الثياب جدى أبو سفيان صاحب العير وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير * ودار الندوة كانت قريش تجتمع فيها للمشاورة فى أمورها ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وانقلب بها فتحجب وهذه كانت سنة قصى فكان لا ينكح رجل امرأة من قريش الا فى دار قصى التى هى دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها ولا تدرع جارية من قريش الا فى تلك الدار فيشق عنها درعها ويدرعها بيده فكانت قريش بعد موت قصى يتبعون ما كان عليه فى حياته كالدين المتبع ولا زالت هذه الدار فى يد بنى عبد الدار الى أن صارت الى حكيم بن حزام فباعها فى الاسلام بمائة ألف درهم فلامه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وقال أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم رضى الله عنه ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله تعالى فأينا المغبون * قيل وقصى هو جماع قريش فلا يقال لاحد من أولاد من فوقه قرشى ونسب هذا القول لبعض الرافضة وهو قول باطل لانه توصل به الى أن لا يكون سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضى الله تعالى عنهما من قريش فلا حق لهما فى الامامة العظمى التى هى الخلافة لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش ولقوله صلى الله عليه وسلم لقريش أنتم أولى الناس بهذا الامر ما كنتم على الحق الا أن تعدلوا عنه لانهما لم يلتقيا مع النبى صلى الله عليه وسلم الا فيما بعد قصى لان أبا بكر رضى الله تعالى عنه يجتمع معه فى مرة كما سيأتى لان تيم بن مرة بينه وبين أبى بكر رضى الله عنه خمسة آباء وعمر رضى الله عنه يجتمع معه فى كعب كما سيأتى وبين عمر رضى الله عنه وكعب سبعة آباء ٥ ﴿وقصى ابن كلاب﴾ أى واسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لانه كان يحب الصيد وأكثر صيده كان بالكلاب وهو الجد الثالث لآمنة أمه صلى الله عليه وسلم ففى كلاب يجتمع نسب أبيه وأمه ﴿ابن مرة﴾ وهو الجد السادس لابى بكر رضى الله تعالى عنه والامام مالك رضى الله تعالى عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم فى هذا الجد الذى هو مرة أيضا ﴿ابن كعب﴾ أى وهو الجد الثامن لعمر رضى الله تعالى عنه وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة أى يوم الرحمة الذى هو يوم الجمعة ويقال انه اول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه اليه لكن فى الحديث كان أهل الجاهلية يسمون يوم الجمعة يوم العروبة واسمه عند الله تعالى يوم الجمعة قال ابن دحية ولم تسم العروبة الجمعة الا مذ جاء الاسلام وسيأتى فى ذلك كلام فكانت قريش تجتمع الى كعب ثم يعظمهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه ويقول سيأتى لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه

بعضهم ببعض لتحالفهم بعد أن أخرجوا جفنة مملوأة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يده فى دمها فلعق منها فهو منا ففعلوا ذلك ولذا سموا لعقة الدم ثم اصطلحوا على أن تكون الرفادة والقيادة والسقاية لبنى عبد مناف والحجابة واللواء لبنى عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وقيل ان دار الندوة بقيت فى يد بنى عبد الدار حتى باعها بعض من أبنائهم على حكيم بن حزام بن اسد بن عبد العزى بن قصى فاشتراها بزق خمر ثم باعها فى الاسلام بمائة الف درهم فقال له عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة الف وأشهدكم ان ثمنها فى سبيل الله فأينا المغبون وكانت دار الندوة لقريش يجتمعون فيها للمشاورة ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وينقلب بها فتحجب وكانوا لا يعقدون عقد نكاح الا فى دار قصى أعنى دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها * وأما القيادة وهى امارة الركب فقام بها من أبناء عبد مناف عبد شمس ثم ابنه أمية ثم ابنه حرب ثم ابنه أبو سفيان فكان يقود الناس فى غزواتهم قاد الناس يوم أحد ويوم الاحزاب وأما يوم بدر فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لانه أكبر من ابى سفيان اذ هو ابن عم أبيه وأيضا كان أبو سفيان مع العير ولم يكن حاضرا بمكة وقت خروج النفير * واما الرفادة وهى اطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصى تخرج من أموالها فى كل موسم فتدفعه الى قصى فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد ثم قام بذلك بعد قصى ابنه عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه عبد المطلب ثم ابنه أبو طالب ثم أخوه العباس واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده الى أن انقرضت الخلافة من بغداد ومن مصر وأما السقاية فقام بها أيضا عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه المطلب ثم لما كبر عبد المطلب بن هاشم

كريم وينشد أبياتا آخرها

على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر اخبارا صدوق خبيرها

وينشد أيضا يا ليتنى شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة وفى الامتاع وعشرون سنة لان الحق ان الخمسمائة والستين انما هى بين موت كعب والفيل الذى هو مولده صلى الله عليه وسلم كما ذكره أبو نعيم فى الدلائل النبوية وقيل ان كعبا أول من قال أما بعد فكان يقول أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج وفى رواية ليل ساج ونهار صاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام والاولون كالآخرين فصلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم الدار أمامكم والظن غير ما تقولون أى وقيل له كعب لعلوه وارتفاعه لان كل شئ علا وارتفع فهو كعب ومن ثم قيل للكعبة كعبة ولعلوه وارتفاع شأنه أرخوا بموته حتى كان عام الفيل أرخوا به ثم أرخوا بعد عام الفيل بموت عبد المطلب ﴿وكعب ابن لؤى﴾ أى بالهمزة أكثر من عدمها أى وفى سبب تصغيره خلاف ﴿ابن غالب ابن فهر﴾ سماه أبوه فهرا وقيل هو لقب واسمه قريش والمناسب أن يكون لقبا لقولهم انما سمى قريشا لانه كان يقرش أى يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا قال بعضهم وهو جماع قريش عند الاكثر قال الزبير بن بكار أجمع النسابون من قريش وغيرهم على أن قريشا انما تفرقت عن فهر وفهر هذا هو الجد السادس لابى عبيدة بن الجراح ولما جاء حسان بن عبد كلال من اليمن فى حمير وغيرهم لاخذ احجار الكعبة الى اليمن ليبنى بها بيتا ويجعل حج الناس اليه ونزل بنخلة خرج فهر الى مقاتلته بعد أن جمع قبائل العرب فقاتله وأسره وانهزمت حمير ومن انضم اليهم واستمر حسان فى الاسر ثلاث سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا أمره ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب قليل ما فى يديك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وان صار اليك ٥ ﴿وفهر هو ابن مالك﴾ قيل له ذلك لانه ملك العرب ﴿ابن النضر﴾ أى ولقب به لنضارته وحسنه وجماله واسمه قيس وهو جماع قريش عند الفقهاء فلا يقال لاحد من أولاد من فوقه قرشى ٥ ويقال لكل من أولاده الذين منهم مالك وأولاده قرشى فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش فقال من ولد النضر أى وعلى ان جماع قريش فهر كما تقدم فمالك وأولاده والنضر جده وأولاده ليسوا من قريش ٥ ﴿والنضر ابن كنانة﴾ قيل له كنانة لانه لم يزل فى كن من قومه وقيل لستره على قومه وحفظه لاسرارهم وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبى من مكة يدعى أحمد يدعو الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا أى تكذبوا ما جاء به فهو الحق قال ابن دحية رحمه الله تعالى كان كنانة يأنف أن يأكل وحده فاذا لم يجد أحدا أكل لقمة ورمى لقمة الى صخرة ينصبها بين يديه أنفة من أن يأكل وحده ومما يؤثر عنه رب صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح

فوض عمه المطلب السقاية اليه فلما مات المطلب وثب أخوه نوفل بن عبد مناف على ابن أخيه عبد المطلب واغتصبه أركاحا أى أفنية ودورا فسأل عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك فكتب الى أخواله بنى النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل فلما وقف خاله أبو سعد بن عدى النجار على كتابه بكى وسار من المدينة فى ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى ألقى نوفلا فقال تركته فى الحجر جالسا فى مشايخ قريش فاقبل أبو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال يا أبا سعد أنعم صباحا فقال له أبو سعد لا أنعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن أختى أركاحه لاملأن منك هذا السيف فقال قد رددتها عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فأقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة وبعد أن جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بنى أخيه عبد شمس على بنى هاشم وحالف بنو هاشم بنى المطلب وخزاعة على بنى نوفل وبنى عبد شمس اى فان خزاعة قالت نحن اولى بنصرة عبد المطلب وقالوا ان أم عبد مناف حبى بنت حليل الخزاعى فهلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب أى قام بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد من ذلك الابد قيل ان السقاية انتقلت من أبى طالب الى أخيه العباس فى حياة أبى طالب وسبب ذلك ان أبا طالب كان يقذف فى الماء التمر والزبيب تبعا لابيه عبد المطلب فاتفق انه أملق أى افتقر فى بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر فصرفها أبو طالب فى الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبى طالب شئ فقال لاخيه العباس أسلفنى اربعة عشر ألفا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك فقال العباس بشرط ان لم تعطنى تترك السقاية

فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر ﴿وكنانة ابن خزيمة بن مدركة﴾ ومدركة اسمه عمرو وقيل له مدركة لانه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ولعل المراد ظهوره فيه ﴿ومدركة ابن الياس﴾ بهمزة قطع مكسورة وقيل مفتوحة أيضا وقيل همزة وصل ونسب للجمهور وقيل سمي بذلك لان أباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد فولد له هذا الولد فسماه الياس وعظم أمره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته وكانت لا تقضي أمرا دونه وهو أول من أهدى البدن الى البيت وأول من ظفر بمقام ابراهيم لما غرق البيت في زمن نوح عليه السلام فوضعه في زاوية البيت كذا في حياة الحيوان فليتأمل وجاء في حديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وقيل انه جماع قريش أي فلا يقال لاولاد من فوقه قرشي وكان الياس يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة في الحج قيل وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وهو أول من مات بعلة السل ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حزنا شديدا لم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت ومن ثم قيل أحزن من خندف ﴿والياس ابن مضر﴾ قيل هو جماع قريش فلا يقال لاولاد من فوق مضر قرشي ففي جماع قريش خمسة أقوال قيل قصي وقيل فهر وقيل النضر وقيل الياس وقيل مضر ويقال له مضر الحمراء قيل لانه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما أعني نزارا أخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء وأخذ ربيعة الخيل ومن ثم قيل له ربيعة الفرس وجاء في حديث لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين أي وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان على ملة ابراهيم وفي حديث غريب لا تسبوا مضر فانه كان على دين اسمعيل ومما حفظ عنه من يزرع شرا يحصد ندامة ﴿أقول﴾ سيأتي في بنيان قريش الكعبة انهم وجدوا فيها كتبا بالسريانية من جملتها كتاب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة الى آخر ما يأتي وعن أبي عبيدة البكري أن قبر مضر بالروحاء بزار والروحاء على ليلتين من المدينة والله أعلم وكان مضر من أحسن الناس صوتا وهو أول من حدا للابل فانه وقع فانكسرت يده فصار يقول يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وقيل أول من سن الحداء للابل عبد له ضرب مضر يده ضربا وجيعا فصار يقول يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من مرعاها أي لان الحداء مما ينشط الابل لا سيما ان كان بصوت حسن فانها عند سماعه تمد أعناقها وتصغي الى الحادي وتسرع في سيرها وتستخف الاحمال الثقيلة فربما قطعت المسافة البعيدة في زمن قصير وربما أخذت ثلاثة أيام في يوم واحد وفي ذلك حكاية مشهورة ولاجل ما ذكر ذكر أئمتنا أنه مستحب * وفي الاذكار للامام النووي رضي الله تعالى عنه باب استحباب الحداء للسرعة في السير وتنشيط النفوس وترويحها وتسهيل السير عليها فيه أحاديث كثيرة مشهورة ﴿ومضر ابن نزار﴾ بكسر النون كان يرى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو أول من كتب الكتاب العربي على الصحيح والامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد الذي هو نزار بن ﴿معد بن عدنان﴾ هذا هو النسب المجمع عليه في نسبه صلى الله عليه وسلم عند العلماء بالانساب ومن ثم لما قال فقهاؤنا شرط الامام الاعظم أن يكون قرشيا

فان

لا كفاها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك له السقاية فصارت الى العباس ثم لولده عبد الله وهكذا وأما الحجابة فكانت في بني عبد الدار حتى جاء الاسلام فلما كان فتح مكة طلبها العباس من النبي صلى الله عليه وسلم فأراد ان يعطيه مفتاح الكعبة لتكون الحجابة عنده مع السقاية فأنزل الله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فرده صلى الله عليه وسلم الى عثمان ابن طلحة بن عبد العزى بن عثمان ابن عبد الدار الحجبي ثم صارت بعده لاخيه شيبة ثم بقيت في بني شيبة وكذلك اللواء كان بيدهم فكانوا يحملون لواء قريش في حروبها ولهذا قتل منهم جماعة يوم أحد كلما قتل واحد أخذ اللواء بعده واحد آخر منهم ﴿واما عبد مناف بن قصي﴾ فاسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله ووجد على بعض الاحجار كتابة منها أنا المغيرة بن قصي أوصي قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يضيء في وجهه وكان في يده لواء نزار وقوس اسمعيل واياه عني القائل بقوله

كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف

(وابنه هاشم) اسمه عمرو ويقال له عمرو العلا لعلو رتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين وكانت رجل هاشم أي أصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما الى أن اشتد الامر بين بني العباس وبني أمية سنة مائة وثلاث وثلاثين من الهجرة وأول العداوة وقعت بين هاشم وبين ابن اخيه أمية بن عبد شمس لان هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسده ابن اخيه أمية بن عبد شمس فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا أتتشبه بهاشم ثم دعا أمية هاشما للمنافرة فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن

فان لم يوجد قرشي جامع للشروط التي ذكروها فكناني قال بعضهم وقياس ذلك أن يقال فان لم يوجد كناني فخزيمي فان لم يوجد خزيمي فمدركي فان لم يوجد مدركي فالياسي فان لم يوجد الياسي فمضري فان لم يوجد مضري فنزاري فان لم يوجد نزاري فمعدي فان لم يوجد معدي فعدناني فان لم يوجد عدناني فمن ولد اسمعيل لان من فوق عدنان لا يصح فيه شئ ولا يمكن حفظ النسب فيه منه الى اسمعيل وقيل له معد لانه كان صاحب حروب وغارات على بني اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع بالنصر والظفر قال بعضهم ولا يخرج عربي في الانساب عن عدنان وقحطان قيل وولد عدنان يقال لهم قيس وولد قحطان يقال لهم يمن ولما سلط الله بختنصر على العرب أمر الله تعالى أرمياء أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كيلا تصيبه النقمة وقال فاني سأخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرمياء ذلك واحتمله معه الى أرض الشام فنشأ مع بني اسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن أي بموت بختنصر وكان عدنان في زمن عيسى عليه السلام وقيل في زمن موسى عليه السلام قال الحافظ ابن حجر وهو أولى أي ومما يضعف الاول ما في الطبراني عن أبي امامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلا وقعوا في عسكر موسى عليه الصلاة السلام فانتهبوه فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأوحى الله تعالى اليه لا تدع عليهم فان منهم النبي الامي البشير النذير الحديث اذ يبعد بقاء معد الى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ومعلوم انه لا خلاف في أن عدنان من ولد اسمعيل نبي الله تعالى أي أرسله الله تعالى الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن في زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وذكر بعضهم أن من العماليق فرعون موسى عليه الصلاة والسلام ومنهم الريان بن الوليد فرعون يوسف عليه الصلاة والسلام وكان اسمعيل بكر أبيه جاءله وقد بلغ أبوه من العمر سبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة ولد بين الرملة وايليا وكان بين عدنان واسمعيل أربعون أبا وقيل سبعة وثلاثون وفي النهر لابي حيان رحمه الله ان ابراهيم هو الجد الحادي والثلاثون لنبينا صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا يخفى ان اسمعيل أول من تسمى بهذا الاسم من بني آدم ومعناه بالعبرانية مطيع الله وأول من تكلم بالعربية أي البينة الفصيحة والا فقد تعلم أصل العربية من جرهم ثم ألهمه الله تعالى العربية الفصيحة البينة فنطق بها * وفي الحديث أول من فتق لسانه بالعربية البينة اسمعيل وهو ابن أربع عشرة سنة (وفي كلام بعضهم) لما خرج ابراهيم بهاجر وولدها اسمعيل الى مكة على البراق واحتمل معه قربة ماء ومزودا فيه تمر فلما أنزلهما بها ولى راجعا تبعته هاجر وهي تقول الله أمرك أن تدعني وهذا الصبي في هذا المحل الموحش الذي ليس به أنيس قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ولا زالت تأكل من التمر وتشرب من الماء الى أن نفد الماء الحديث وكان انزاله لهما بموضع الحجر وذلك لمضي مائة سنة من عمر ابراهيم وكون اسمعيل أول من تكلم بالعربية البينة لا ينافي ما قيل أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان وقحطان أول من قيل له أبيت اللعن وأول من قيل له أنعم صباحا ويعرب هذا قيل له أيمن لان هودا نبي الله عليه السلام قال له أنت

فقال قبل أن يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر فنفر هاشم على أمية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل وأطعم الناس وخرج أمية الى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارثت ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل اقداح النضار أي الذهب ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب ووقعت مجاعة شديدة في قريش بسبب جدب شديد حصل لهم فخرج هاشم الى الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر جزرا وجعل ذلك ثريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمي بذلك هاشما وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء ولم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء قال الامام أبو سهل الصعلوكي في قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أراد فضل ثريد هاشم الذي عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقي له واعقبه ذكره وقال ابن الصلاح الاولى حمل الحديث على العموم وان المراد تفضيل الثريد من الطعام على باقي الطعام لان سائر بمعنى باقي فالمراد أي ثريد وهذا لا ينافي بقاء المزية لثريد هاشم على غيره من أنواع الثريد ولبعضهم

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مرملون عجاف

ولآخر

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه * مر السحاب ولا ريح تجاريه
أجفانه كالجوابي للوفود اذا * لبوا بمكة ناداهم مناديه
وأكلوا أخصبوا منها وقد ملئت * قوتا الحاضره منهم وباديه

ولآخر

قل للذي طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش * والقائلون هلم للاضياف

وعن بعض الصحابة رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقتار
فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر رضي الله عنه وقال أهكذا قال الشاعر قال لا والذي بعثك بالحق لكنه قال
يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم
حتى يعود فقيرهم كالكافى
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وفي المواهب وشروحها ان نور النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوقد شعاعه في وجه هاشم ويتلألأ ضياؤه لا يراه حبر الا قبل يده ولا يمر بشئ الا خضع له تغدو اليه قبائل العرب ووفود الاحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه ان يتزوج بهن حتى بعث اليه هرقل ملك الروم وقال ان لى ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم الى حتى أزوجكها فقد بلغنى جودك وكرمك وانما أراد بذلك نور المصطفى صلى الله عليه وسلم الموصوف عندهم في الانجيل فأبى هاشم ذلك وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويؤدي الحق ويؤمن الخائف وكان اذا أهل هلال ذى الحجة قام صبيحته وأسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته يا معشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما أى عقولا وأوسط العرب أى أشرفها انسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما يا معشر قريش انكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بقية بنى اسمعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لى مال يحتمل ذلك لكفيتكموه وأنا مخرج من طيب مالى وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ

أيمن ولدى وسمى اليمن يمنا بنزوله فيه وهو أول من قال القريض والرجز وقيل سمى اليمن يمنا لانه على يمين الكعبة وقيل ان أول من كتب الكتاب العربى اسمعيل والصحيح ان أول من كتب ذلك نزار بن معد كما تقدم وكذا كون اسمعيل أول من تكلم بالعربية البينة لا ينافى ما قيل أول من تكلم بالعربية آدم فى الجنة فلما أهبط الى الارض تكلم بالسريانية قيل وسميت سريانية لان الله تعالى علمها آدم سرا من الملائكة وأنطقه بها قيل وأول من كتب الكتاب العربى والفارسى والسريانى والعبرانى وغيرها من بقية الاثنى عشر كتابا وهى الحميرى واليونانى والرومى والقبطى والبربرى والاندلسى والهندى والصينى آدم عليه السلام كتبها فى طين وطبخه فلما أصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه فأصاب اسمعيل الكتاب العربى أى وأما ما جاء أول من خط بالقلم ادريس فالمراد به خط الرمل (وفى كلام بعضهم) أول من تكلم بالعربية المحضة وهى عربية قريش التى نزل بها القرآن اسمعيل وأما عربية قحطان وحمير فكانت قبل اسمعيل ويقال لمن يتكلم بلغة هؤلاء العرب العاربة ويقال لمن يتكلم بلغة اسمعيل العرب المستعربة وهى لغة الحجاز وما والاها * وجاء من أحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فانه يورث النفاق وقد ذكر بعضهم أن أهل الكهف كلهم أعجام ولا يتكلمون الا بالعربية وأنهم يكونون وزراء المهدى واشتهر على ألسنة الناس أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا أفصح من نطق بالضاد قال جمع لا أصل له ومعناه صحيح لان المعنى أنا أفصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد فى غير لغتهم * واسمعيل عليه السلام أول من ركب الخيل وكانت وحوشا أى ومن ثم قيل لها العراب أو لما سيأتى وقد قال صلى الله عليه وسلم اركبوا الخيل فانها ميراث أبيكم اسمعيل عليه السلام وفى رواية أوحى الله تعالى الى اسمعيل أن اخرج الى أجياد الموضع المعروف سمى بذلك لانه قتل فيه مائة رجل من العمالقة من جياد الرجال فادع يأتيك الكنز فخرج الى أجياد فألهمه الله تعالى دعاء فدعا به فلم يبق على وجه الارض فرس بأرض العرب الا جاءته وأمكنته من نواصيها وذللها الله تعالى له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهى ميراث أبيكم اسمعيل ﴿وذكر﴾ الحافظ السيوطى رحمه الله ان له كتابا فى الخيل سماه جر الذيل فى علم الخيل وفى العرائس ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الخيل قال لريح الجنوب انى خالق منك خلقا فأجعله عزا لاوليائى ومذلة على أعدائى وجمالا لاهل طاعتى فقالت افعل ما تشاء فقبض قبضة فخلق فرسا فقال لها خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطيرى بلا جناح فأنت للطلب وأنت للهرب ﴿وعن وهب﴾ انه قيل لسليمان صلوات الله وسلامه عليه ان خيلا بلقا لها أجنحة تطير بها وترد ماء كذا فقال للشياطين على بها فصبوا فى العين التى تردها خمرا فشربت فسكرت فربطوها وساسوها حتى تأنست * قيل ويجوز أن يكون المراد من تلك الخيل الفرس الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق جاءنى به جبريل عليه السلام وجاء ان الله تعالى لما عرض على آدم عليه السلام كل شئ مما خلق قال له اختر من خلقى ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا أبد الآبدين ودهر

غصبا فكانوا يجتهدون فى ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه فى دار الندوة ومما نقل من شعر أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم قوله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم
اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت انساب عبد منافها
فى هاشم اشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا
هو المصطفى من سرها وكريمها
(وأما عبد المطلب بن هاشم) فكان من حلماء قريش وحكمائها وكان مجاب الدعوة محرما الخمر على نفسه وهو أول من تحنث بحراء والتحنث التعبد الليالى ذوات العدد كان اذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وكان صعوده للتخلى عن الناس يتفكر فى جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤس الجبال ولذلك كان يقال له مطعم الطير ويقال له الفياض ولد وفى رأسه شيبة فقيل له شيبة الحمد ولعل وجه اضافته الى الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لانه كان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الامور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعالا عاش مائة وأربعين سنة قيل انما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما قال لاخيه المطلب حين حضرته الوفاة أدرك عبدك يعنى شيبة الحمد بيثرب وقيل ان هاشما تزوج بالمدينة من بنى عدى بن النجار من الخزرج فولد له شيبة الحمد ومات أبوه وبقى عند أمه فمر رجل على غلمان وهم يلعبون أى ينتضلون بالسهام واذا غلام فيهم اذا أصاب قال أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن أنت يا غلام فقال أنا شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه ما رأى فذهب المطلب الى المدينة فعرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من أمه وقال له يا ابن أخى أنا عمك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ راحلته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم أمه حتى كان

الداهرين وهذا صريح فى أن الخيل خلقت قبل آدم (وقد سئل) الامام السبكى هل خلقت الخيل قبل آدم أو بعده وهل خلقت الذكور قبل الاناث أو الاناث قبل الذكور فأجاب بانا نختار أن خلق الخيل قبل آدم عليه السلام لان الدواب خلقت يوم الخميس وآدم خلق يوم الجمعة بعد العصر وان الذكور خلقت قبل الاناث لامرين أحدهما ان الذكر أشرف من الانثى والثانى حرارة الذكر أقوى من الانثى ولذلك كان خلق آدم قبل خلق حواء فليتأمل * وقد ذكر الامام السهيلى أن فى الفرس عشرين عضوا كل عضو منها يسمى باسم طائر ذكرها وبينها الاصمعى فمنها النسر والنعامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر قالوا وفى الحيوان أعضاء باردة يابسة كالعظام نظير السوداء وأعضاء باردة رطبة كالدماغ نظير البلغم * وأعضاء حارة يابسة كالقلب نظير الصفراء وأعضاء حارة رطبة كالكبد نظير الدم وعن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن شئ أحب اليه بعد النساء من الخيل وجاء ما من ليلة الا والفرس يدعو فيها ويقول رب انك سخرتنى لابن آدم وجعلت رزقى فى يده اللهم فاجعلنى أحب اليه من أهله وولده وقيل لبعض الحكماء أى المال أشرف قال فرس يتبعها فرس وفى بطنها فرس ومن ثم قيل ظهر الخيل حرز وبطنها كنز * وفى الحديث لما أراد ذو القرنين أن يسلك فى الظلمة الى عين الحياة سأل أى الدواب فى الليل أبصر فقالوا الخيل فقال أى الخيل أبصر فقالوا الاناث قال فأى الاناث أبصر قالوا الابكارة فجمع من عسكره ستة آلاف فرس كذلك * وأعطى الله اسمعيل القوس العربية وكان لا يرمى شيأ الا أصابه وفى الحديث ارموا بنى اسمعيل فان أباكم كان راميا أى قال ذلك لجماعة مر عليهم وهم ينتضلون فقال حسن هذا اللهو مرتين أو ثلاثا زاد فى بعض الروايات ارموا وأنا مع بنى فلان فأمسك الفريق الآخر فقال لهم ما بالكم لا ترمون فقالوا يا رسول الله كيف نرمى وأنت معهم اذا ينتضلوا قال ارموا وأنا معكم كلكم أخرجه البخارى فى صحيحه زاد البيهقى فى دلائل النبوة فرموا عامة يومهم ذلك ثم تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضا وقد جاء أحب اللهو الى اجراء الخيل والرمى ارموا واركبوا وأن ترموا أحب الى من ان تركبوا وقد جاء أحب اللهو الى الله تعالى اجراء الخيل والرمى وجاء كل شئ يلهو به الرجل باطل الا رمى الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته امرأته فانهن من الحق وجاء علموا أولادكم السباحة والرمى وفى رواية الرماية وفى رواية علموا بنيكم الرمى فانه نكاية العدو وقد جاء تعلموا الرمى فان ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة وروى مرفوعا حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى وجاء من تعلم الرمى ثم نسيه فليس منا وفى رواية فهو نعمة جحدها قال الحافظ السيوطى رضى الله عنه والاحاديث المتعلقة بالرمى كثيرة قال وقد ألفت كتابا فى الرمى سميته غرس الانشاب فى الرمى بالنشاب وفى العرائس كان اسمعيل مولعا بالصيد مخصوصا بالقنص والفروسية والرمى والصراع والرمى سنة اذا نوى به التأهب للجهاد لقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمى على حد قوله الحج عرفة والا فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الرمى والسيوف والسلاح وسئل الحافظ السيوطى رضى الله عنه هل ٢ ما ذكره الطبرى

٢ قوله ما ذكره الخ هكذا فى النسخ التى بأيدينا بلا خبر ولعل الخبر صحيح أو نحوه بدليل الجواب اه مصححه

الليل فقامت تدعوه فأخبرت أن عمه قد ذهب به وقيل انه استأذن امه وقال لها ان ابن أخي غريب في غير قومه ونحن اهل بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الاقامة في غيرهم فاذنت له فأردفه خلفه وكساه حلة يمانية فلما قدم به مكة قالت قريش هذا عبد المطلب وقيل ان الشمس اثرت في شيبة الحمد فقالت قريش هذا عبد المطلب فقال المطلب لهم ويحكم انما هو ابن اخي هاشم وقيل انما قيل له عبد المطلب لانه تربى بتيماء في حجر المطلب وكانوا يسمون اليتيم عبد المن تربى في حجره فنشأ عبد المطلب على أكمل الصفات وانتهت اليه الرياسة بعد عمه المطلب وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان يقولون ان يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الى ان هلك رجل ظلوم من ارض الشام ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باساءته اى فالظلوم شأنه ان تصيبه عقوبة فاذا خرج من الدنيا ولم تصبه عقوبة فهي معدة له في الآخرة ورفض عبد المطلب في آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله ويؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وان لا يطوف بالبيت عريان نقله الحلبي في السيرة عن ابن الجوزي وزاد في المواهب وشرحها كان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وفيه يقول القائل

على شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر وكانت قريش اذا أصابها قحط شديد تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير يستسقي الله لهم لما جربوه من قضاء الحوائج على يديه ببركة نور النبي صلى الله عليه وسلم ولما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بالهام من الله تعالى فكان يسأل الله لهم الغيث فيغيثهم ولما وجد النبي صلى الله عليه وسلم

والمسعودي في تاريخيهما أن أول من رمى بالقوس العربية آدم عليه الصلاة والسلام وذلك لما أمره الله تعالى بالزراعة حين أهبط من الجنة وزرع أرسل الله تعالى له طائرين يخرجان ما بذره ويأكلانه فشكى الى الله تعالى ذلك فهبط عليه جبريل وبيده قوس ووتر وسهمان فقال آدم ما هذا يا جبريل فأعطاه القوس وقال هذه قوة الله تعالى وأعطاه الوتر وقال هذه شدة الله تعالى وأعطاه السهمين وقال هذه نكاية الله تعالى وعلمه الرمي بهما فرمى الطائرين فقتلهما وجعلهما يعني السهمين عدة في غربته وانساً عند وحشته ثم صار القوس العربية الى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ثم الى ولده اسمعيل وهو يدل على ان قوس ابراهيم هي القوس التي هبطت على آدم عليه السلام من الجنة وانه ادخرها لابراهيم وهو خلاف قول بعضهم انها غيرها اهبطت الى ابراهيم عليه السلام من الجنة فاجاب الحافظ السيوطي رضي الله عنه بقوله راجعت تاريخ الطبري في تاريخ آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فلم أجده فيه ولا تبعد صحته فان الله تعالى علم آدم علم كل شيء وذكر ان ابن أبي الدنيا ذكر في كتاب الرمي من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال أول من عمل القسي ابراهيم عمل لاسمعيل ولاسحق قوسين فكانا يرميان بهما وتقدم أن اسحق جاء لابراهيم بعد اسمعيل بثلاث عشرة وقيل بأربع عشرة سنة أي حملت به أمه سارة في الليلة التي خسف الله تعالى بقوم لوط فيها ولها من العمر تسعون سنة وفي جامع ابن شداد يرفعه كان اللواط في قوم لوط في النساء قبل الرجال بأربعين سنة ثم استغنى النساء بالنساء والرجال بالرجال فخسف الله تعالى بهم قيل ولا يعمل عمل قوم لوط من الحيوان الا الحمار والخنزير وكان أول من اتخذ القسي الفارسية نمرود فليتأمل الجمع وقد يقال لا منافاة لجواز أن يكون ابراهيم عليه السلام أول من عمل القسي بعد ذهاب تلك القوس فالاولية اضافية ومعلوم ان اسمعيل بن ابراهيم خليل الله تعالى عليهما الصلاة والسلام أي ولم يبعث بشريعة مستقلة من العرب بعد اسمعيل الا محمد صلى الله عليه وسلم واما خالد بن سنان وان كان من ولد اسمعيل على ما قيل فقال بعضهم لم يكن في بني اسمعيل نبي غيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى عليه السلام أي وكان بينه وبين عيسى ثلثمائة سنة وخالد هذا هو الذي أطفأ النار التي خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب أن تعبدها كالمجوس كان يرى ضوؤها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب في الارض فلا يجد شيأ الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد بن سنان يضربها ويقول بدا بدا كل هدى وهي تتأخر حتى نزلت الى البئر فنزل الى البئر خلفها فوجد كلابا تحتها فضربها وضرب النار حتى أطفأها ويذكر أنه كان هو السبب في خروجها فانه لما دعا قومه وكذبوه وقالوا له انما تخوفنا بالنار فان تسيل علينا هذه الحرة نارا اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم ان قومي كذبوني ولم يؤمنوا بي الا ان تسيل عليهم هذه الحرة نارا فأرسلها عليهم نارا فخرجت فقالوا يا خالد ارددها فانا مؤمنون بك فردها قيل وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل رأسه في جيبه فيجيء المطر ولا يقلع الا ان رفع رأسه قيل

كان يحضره عبد المطلب معه في الاستسقاء فيسقون به وأمر أبا طالب ان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم معه في الاستسقاء ولما قدم أصحاب الفيل مكة هلكوا بدعاء عبد المطلب ومما نقل عنه في ذلك اليوم لا هم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك وقال يا معشر قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ومن شعره حين أراد ذبح ابنه عبد الله وكان يضرب بالقداح عليه قوله

يارب أنت الملك المحمود
وأنت ربي الملك المعبود
من عندك الطارف والتليد

وكان نديمه في الجاهلية حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان وكان في جوار عبد المطلب يهودي فأغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من أسواق تهامة وأغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي ثم نادم عبد الله بن جدعان التيمي ويروى ان حربا كان لا يلتقي مع أحد من رؤساء قريش أو غيرهم في عقبة أو مضيق الا تأخروا وتقدم هو ولا يستطيع أحد أن يتقدم عليه فالتقى حرب مع رجل من بني تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب أنا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه التميمي ومر بحاله فقال حرب موعدك مكة فبقي التميمي دهرا ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب بن هاشم فأتى التميمي ليلا دار الزبير بن عبد المطلب فدق الباب فقال الزبير لاخيه الغيداق قد جاءنا رجل اما مستجير أو طالب حاجة أو طالب قرى وقد أعطيناه ما أراد فخرج الزبير فأنشد الرجل

لاقيت حربا في الثنية مقبلا * والصبح أبلج ضوءه للساري
فدعا بصوت واكتنى ليروعني * ودعا بدعوته يريد فخاري
فتركته كالكلب ينبح وحده * وأتيت أهل معالم وفخار
ليثا هزبرا يستجار بقربه * رحب المنازل مكرما للجار
ولقد حلفت بمكة وبزمزم * والبيت ذي الاحجار والاستار
ان الزبير لمانعي من خوفه * ما كبر الحجاج في الامصار

وقدمت ابنته وهي عجوز على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير وأكرمها وبسط لها رداءه وقال لها مرحبا بابنة أخي مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه فأسلمت وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفي البخاري انا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بيني وبينه نبي قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان وقد يقال مراده صلى الله عليه وسلم بالنبي الرسول الذي يأتي بشريعة مستقلة وحينئذ لا يشكل هذا لما علمت انه لم يأت بشريعة مستقلة ولا ما جاء في رواية أخرى ليس بيني وبينه نبي ولا رسول ولا ما في كلام البيضاوي تبعا للكشاف من ان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعة أنبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحدا من العرب وهو خالد بن سنان وبعده حنظلة بن صفوان عليهما السلام أرسله الله تعالى لاصحاب الرس بعد خالد بمائة سنة لانه يجوز أن يكون كل من هؤلاء الثلاثة لم يبعث بشريعة مستقلة بل كان مقرر الشريعة عيسى عليه الصلاة والسلام أيضا كخالد بن سنان والرس البئر الغير المطوية أى الغير المبنية كذا في الكشاف والذي في القاموس كالصحاح المطوية باسقاط غير فانهم قتلوا حنظلة ودسوه فيها أي ودسوه فيها غارماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد أن كان ماؤها يرويهم ويكفي أرضهم جميعا وتبدلوا بعد الانس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة لانهم كانوا ممن يعبد الاصنام أي وكان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم ذي عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض على صبيانهم يخطفهم اذا أعوزه الصيد وكان اذا خطف أحدا منهم أغرب به أي ذهب به الى جهة المغرب فقيل له لطول عنقه ولذهابه الى جهة المغرب عنقاء مغرب فشكوا ذلك الى حنظلة عليه السلام فدعا على تلك العنقاء فأرسل الله تعالى عليها صاعقة فأهلكتها ولم تعقب وكان جزاؤه منهم ان قتلوه وفعلوا به ما تقدم وذكر بعضهم أن حنظلة هذا كان من العرب من ولد اسمعيل أيضا عليه الصلاة والسلام ثم رأيت ابن كثير ذكر ان حنظلة هذا كان قبل موسى عليه السلام وانه لما ذكر ان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فتحت تستر المدينة المعروفة وجدوا تابوتا في لفظ سريرا عليه دانيال عليه السلام ووجدوا طول انفه شبرا وقيل ذراعا ووجدوا عند رأسه مصحفا فيه ما يحدث الى يوم القيامة وان من وفاته الى ذلك اليوم ثلثمائة سنة وقال ان كان تاريخ وفاته القدر المذكور فليس بنبي بل هو رجل صالح لان عيسى بن مريم عليه السلام ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي بنص الحديث في البخاري * أقول قد علمت الجواب عن ذلك بأن المراد بالنبي الرسول وفيه ان هذا يبعده عطف الرسول على النبي المتقدم في بعض الروايات الا أن يجعل من عطف التفسير والله أعلم والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة وقيل ستمائة وقيل بزيادة عشرين سنة قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان الا تخرصا اى كذبا لان الخراص الكذاب كذا قيل * أقول لعل المراد بالكذب الغير المقطوع بصحته لان الخرص حقيقته الحزر والتخمين وكل من تكلم كلاما بناه على ذلك قيل له خراص ثم قيل للكذاب خراص توسعا وحينئذ كان القياس ان يقال الا تخرصا أى حزرا وتخمينا وعلى هذا كأن الصديقة رضي الله تعالى عنها أرادت المبالغة للتنفير عن الخوض في ذلك والله أعلم

فقال الزبير للتميمي تقدم فانا لا أتقدم على من تجيره فتقدم التميمي ودخل المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فعدا عليه الزبير بالسيف فعدا حرب حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرني من الزبير فاكفأ عليه جفنة كان أبوه هاشم يطعم الناس فيها فبقي تحتها ساعة ثم قال له عبد المطلب اخرج فقال كيف أخرج وتسعة من ولدك قد اجتمعوا ببسيوفهم على الباب فألقى عليه عبد المطلب رداء فخرج عليهم فعلموا انه أجاره فتفرقوا والى هذه القصة أشار ابن عباس رضي الله عنهما حين دخل على معاوية رضي الله عنه في أيام خلافته وعنده وفود العرب فذكر كلاما فيه افتخار وذكر في كلامه حرب بن أمية فقال له ابن عباس رضي الله عنهما فمن أكفأ عليه اناءه وأجاره برداءه فسكت معاوية رضي الله عنه وكان عبد المطلب يكرم النبي صلى الله عليه وسلم ويعظمه وهو صغير ويقول ان لابني هذا لشأنا عظيما وذلك مما كان يسمعه من الكهان والرهبان قبل مولده وبعده وكان عبد المطلب معظما في قريش وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع أحد أن يجلس على فراشه ولا أن يطأه بقدمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبد المطلب وربما جاء قبل جده عبد المطلب فجلس على فراشه فاذا أراد أحد من أعمامه أن يمنعه يزجره جده عبد المطلب ويقول دعوه ان له لشأنا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد المطلب كان يقول لهم دعوا ابني يجلس فانه يحس من نفسه بشئ أي بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده وفي رواية دعوا ابني انه ليؤنس ملكا أي يعلم من نفسه ان له ملكا وفي رواية ردوا ابني الى مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال سمعت أبي يقول كان لعبد المطلب مفرش في الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش

وعن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم انتسب حتى بلغ النضر بن كنانة ثم قال فمن قال غير ذلك أي مما زاد على ذلك فقد كذب أقول اطلاق الكذب على من زاد على كنانة الى عدنان يخالف ما سبق من ان المجمع عليه الى عدنان الا أن يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون عمرو بن العاص لم يسمع ما زاد على النضر بن كنانة الى عدنان مع ذكره صلى الله عليه وسلم له الذي سمعه غيره وفي اطلاقه الكذب على ذلك التأويل السابق وأخرج الجلال السيوطي في الجامع الصغير عن البيهقي انه صلى الله عليه وسلم انتسب فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الى أن قال ابن مضر بن نزار وهذا هو الترتيب المألوف وهو الابتداء بالاب ثم بالجد ثم بأبي الجد وهكذا وقد جاء في القرآن على خلافه في قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب قال بعضهم والحكمة في ذلك انه لم يرد مجرد ذكر الآباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها فبدأ بصاحب الملة ثم بمن أخذها عنه أولا فأولا على الترتيب والله أعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا قال البيهقي والاصح ان ذلك أي قوله كذب النسابون من قول ابن مسعود رضي الله عنه أي لا من قوله صلى الله عليه وسلم * أقول والدليل على ذلك ما جاء كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني الذين يدعون علم الانساب ونفى الله تعالى علمها عن العباد ولا مانع أن يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم أولا ثم تابعه ابن مسعود عليه وقد يقال هذه الرواية تقتضي اما الزيادة على المجمع عليه واما النقص عنه أي زيادة أدد أو نقص عدنان فهي مخالفة لما قبلها وفي كلام بعضهم ان بين عدنان وأدد أدد فيقال عدنان بن أد بن أدد قيل له أدد لانه كان مديد الصوت وكان طويل العز والشرف قيل وهو أول من تعلم الكتابة أي العربية من ولد اسمعيل وتقدم ان الصحيح ان أول من كتب نزار وانظر هل يشكل على ذلك ما رواه الهيثم بن عدي ان الناقل لهذه الكتابة يعني العربية من الحيرة الى الحجاز حرب بن أمية بن عبد شمس وقد يقال الاولية اضافية أي من قريش وعدنان سمي بذلك قيل لان أعين الانس والجن كانت اليه ناظرة قال بعضهم اختلف الناس فيما بين عدنان واسمعيل من الآباء فقيل سبعة وقيل تسعة وقيل خمسة عشر وقيل أربعون والله أعلم قال الله عز وجل وقرونا بين ذلك كثيرا أي لا يكاد يحاط بها فقد جاء كان ما بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون وبين نوح وابراهيم عليهما السلام عشرة قرون وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان مدة الدنيا أي من آدم عليه السلام سبعة آلاف سنة أي وقد مضى منها قبل وجود النبي صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف وسبعمائة وأربعون سنة وعن أبي خيثمة وثمانمائة سنة قلت وفي كلام بعضهم من خلق آدم الى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وثمانمائة سنة وثلاثون سنة وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من طرق صحاح انه قال الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم منها وفي كلام الحافظ السيوطي دلت الاحاديث

والآثار

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب ما لابني يبكي قالوا أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وأبهة الاشراف ﴿وعما أكرم الله به عبد المطلب﴾ وكان من الارهاصات لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حفر بئر زمزم وحاصل القصة أن عمرو بن الحرث الجرهمي لما أحدث قومه جرهم بحرم الله تعالى الحوادث خاف نزول العذاب بهم فعمد الى أنفس الاموال وهي غزالان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر الركن وقيل حجر المقام فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى أن رفعت الحجب عنها برؤيا رآها عبد المطلب دلته على حفرها بأمارات عليها روى ابن اسحق بسنده الى علي رضي الله عنه قال قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ أتاني آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحرث فوجد قرية النمل بين اساف ونائلة أعني الصنمين اللذين يذبحون عندهما ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم أي في محلهما وقوله برة بفتح الموحدة وتشديد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها وهو اسم صادق عليها

والآثار على ان مدة هذه الامة تزيد على الالف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة أصلا وانما تزيد بنحو أربعمائة سنة تقريبا وما اشتهر على ألسنة الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكث في قبره أكثر من ألف سنة باطل لا أصل له هذا كلامه وقوله لا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة هل يخالفه ما أخرجه أبو داود لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة سنة وفي كلام بعضهم قد أكثر المنجمون في تقدير مدة الدنيا فقال بعضهم عمرها سبعة آلاف سنة بعدد النجوم السيارة أي وهي سبعة وبعضهم اثنا عشر ألف سنة بعدد البروج وبعضهم ثلثمائة ألف وستون ألفا بعدد درجات الفلك وكلها تحكمات عقلية لا دليل عليها وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي أكمل الله خلق الموجودات من الجمادات والنباتات والحيوان بعد انتهاء خلق العالم الطبيعي باحدى وسبعين ألف سنة ثم خلق الله الدنيا بعد ان انقضى من مدة خلق العالم الطبيعي أربع وخمسون ألف سنة ثم خلق الله تعالى الآخرة يعني الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة ولم يجعل الله تعالى للجنة والنار أمدا ينتهي اليه بقاؤهما فلهما الدوام قال وخلق الله تعالى طينة آدم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة ومن عمر الآخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة وخلق الله تعالى الجان في الارض قبل آدم بستين ألف سنة أي ولعل هذا هو المعنى بقول بعضهم خلق الله قبل آدم خلقا في صورة البهائم ثم أماتهم قبل وهم الجن والبن والطم والرم والحس والبس فأفسدوا في الارض وسفكوا الدماء كما سيأتي قال الشيخ محيي الدين وقد طفت بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فقال لي واحد منهم أما تعرفني فقلت لا قال أنا من أجدادك الاول فقلت له كم لك منذ مت قال لي بضع وأربعون ألف سنة فقلت ليس لآدم هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أم عن غيره فتذكرت حديثا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق مائة ألف آدم فقلت قد يكون ذلك الجد الذي نسبني اليه من أولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك هذا كلامه وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني وكان وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه يقول سأل بنو اسرائيل المسيح عليه الصلاة والسلام ان يحيي لهم سام بن نوح عليهما الصلاة والسلام فقال أروني قبره فوقف على قبره وقال يا سام قم باذن الله تعالى فقام واذا رأسه ولحيته بيضاء فقال انك مت وشعرك أسود فقال لما سمعت النداء ظننت انها القيامة فشاب رأسي ولحيتي الآن فقال له عيسى عليه السلام كم لك من السنين ميت قال خمسة آلاف سنة الى الآن لم تذهب عني حرارة طلوع روحي وسبب الاختلاف فيما بين عدنان وآدم ان قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم من بعض ولعله لا يخالفه ما تقدم من ان أول من كتب معد أو نزار وفي كلام سبط بن الجوزي أن سبب الاختلاف المذكور اختلاف اليهود فانهم اختلفوا اختلافا متفاوتا فيما بين آدم ونوح وفيما بين الانبياء من السنين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لعلمه أي لو أراد ان يعلم ذلك للناس لعلمه لهم وهذا أولى من يعلمه بفتح الياء وسكون العين وذكر ابن الجوزي ان بين آدم ونوح شيثا وادريس وبين نوح وابراهيم هودا وصالحا وبين ابراهيم وموسى

لانها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار وسميت أيضا المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق وفى الحديث
مرفوعا من شرب من زمزم فليتضلع فانه افرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون أن يتضلعوا منها رواه الدارقطني وروى الزبير
ابن بكار ان عبد المطلب قيل له احفر المضنونة ضننت بها على الناس الا عليك وقوله لا تنزف أى لا يفرغ ماؤها ولا يلحق
قعرها وقوله ولا تذم أى لا توجد
قليلة الماء من قول العرب بئر ذمة
أى قليل ماؤها والغراب الاعصم
فسره النبى صلى الله عليه وسلم بأنه
الذى احدى رجليه بيضاء رواه
ابن أبى شيبة فلما بين لعبد المطلب
شأنها ودل على موضعها وعرف
انه صدق غدا بمعوله ومعه ولده
الحرث ليس له يومئذ ولد غيره
فجعل يحفر ثلاثة أيام فلما بدا له
الطى كبر وقال هذا طى اسمعيل
فقاموا اليه فقالوا انها بئر أبينا
اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا
معك فيها فقال ما أنا بفاعل ان
هذا الامر قد خصصت به دونكم
وأعطيته من بينكم قالوا فأنصفنا
فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها
قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم
أحاكمكم اليه قالوا كاهنة سعد
ابن هذيم قال نعم وكانت باشراف
الشام فركب عبد المطلب ومعه
نفر من بنى عبد مناف وركب من
كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا
حتى اذا كانوا بمفازة بين الحجاز
والشام ظمئ عبد المطلب وأصحابه
حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا
من معهم من قبائل قريش فأبوا
وقالوا انا بمفازة نخشى على أنفسنا
مثل ما أصابكم فلما رأى ما صنع
القوم وما يتخوف على نفسه
وأصحابه قال ماذا ترون قالوا
ما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت
فأمرهم فحفروا قبورهم وقال
من مات واراه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم قال وحينئذ
والله ان القاءنا بأيدينا للموت لعجز انضرب فى الارض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من
تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش فقال هلم الى الماء

ابن عمران اسمعيل واسحق ولوط وهو ابن أخت ابراهيم وكان كابنا لابراهيم وشعيب وكان يقال
له خطيب الانبياء ويعقوب ويوسف ولد يوسف ليعقوب وله من العمر احدى وتسعون سنة
وكان فراقه له وليوسف من العمر ثمانى عشرة سنة وبقيا مفترقين احدى وعشرين سنة وبقيا
مجتمعين بعد ذلك سبع عشرة سنة هذا وفى الاتقان ألقى يوسف فى الجب وهو ابن ثنتى عشرة سنة
والقى أباه بعد الثمانين وعاش مائة وعشرين سنة وكان كاتبا للعزيز قيل وسبب الفرقة بين سيدنا
يعقوب وسيدنا يوسف عليهما السلام ان سيدنا يعقوب ذبح جديا بين يدى أمه فلم يرض الله تعالى
له ذلك فأراه دما بدم وفرقة بفرقة وحرقة بحرقة وموسى بن عمران بن منشاه وبين موسى بن
عمران وهو أول انبياء بنى اسرائيل وداود يوشع وكان يوشع كهرون يكتب لموسى ويذكران مما
أوصى به داود ولده سليمان عليهما السلام لما استخلفه يا بنى اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج
العداوة بين الاخوان أى ومن ثم قيل لا تمازح الصبيان فتهون عليهم ولا تمازح الشريف فيحقد
عليك ولا تمازح الدنىء فيجترئ عليك ولكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح وقد قيل المزاح يذهب
بالمهابة ويورث الضغينة وقيل آكد أسباب القطيعة المزاح وقد قيل من كثر مزاحه لم يخل
من استخفاف به أو حقد عليه واقطع طمعك من الناس فان ذلك هو الغنى واياك وما تعتذر فيه
من القول أو الفعل وعود لسانك الصدق والزم الاحسان ولا تجالس السفهاء واذا غضبت
فالصق نفسك بالارض أى وقد جاء فى الحديث اذا جهل على أحدكم جاهل فان كان قائما فليجلس
وان كان جالسا فليضطجع وممن مات من الانبياء فجأة داود وولده سليمان وابراهيم الخليل عليهم
أفضل الصلاة والسلام ثم بعد يوشع كالب بن يوفنا وهو خليفة يوشع ثم حزقيل وهو خليفة كالب
ويقال له ابن العجوز لان أمه سألت الله تعالى أن يرزقها ولدا بعدما كبرت وعقمت فجاءت به
وهو ذو الكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل والياس ثم طالوت الملك أى فان
شمويل عليه السلام لما حضرته الوفاة سأله بنو اسرائيل أن يقيم فيهم ملكا فأقام فيهم طالوت
ملكا ولم يكن من أعيانهم بل كان راعيا وقيل سقاء وقيل غير ذلك وبين داود وعيسى عليهما
السلام وهو آخر أنبياء بنى اسرائيل أيوب ثم يونس ثم شعياء ثم أحصياء ثم زكرياء ويحيى
عليهم السلام وفى النهر لابى حيان فى تفسير قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من
بعده بالرسل كان بينه وبين عيسى من الرسل يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء
وأرمياء وعزير اى وهو من أولاد هرون بن عمران وحزقيل والياس ويونس وزكرياء ويحيى
وكان بين موسى وعيسى ألف نبى هذا كلامه وكان يحيى يكتب لعيسى وتقدم الكلام على
من بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومما يدل على شرف هذا النسب وارتفاع شانه وفخامته
وعلو مكانه ما جاء عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله قتل فلان لرجل من
ثقيف فقال أبعده الله انه كان يبغض قريشا وفى الجامع الصغير قريش صلاح الناس ولا يصلح
الناس الا بهم كما أن الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب
ومن أرادها بسوء خزى فى الدنيا والآخرة قال وعن سعد بن أبى وقاص أيضا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله تعالى اهـ أى وأشد الاهانة ما كان فى الآخرة

لنا سقانا الله فاستقوا وشربوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى أسقاك هذا الماء
بهذه الفلاة لهو الذى أسقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم ثم
آذاه عدى بن نوفل بن عبد مناف وقال له يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال أبالقلة تعيرنى فوالله لئن
آتانى الله عشرة من الولد ذكورا
لانحرن أحدهم عند الكعبة
وقيل سفه عليه وعلى ابنه ناس
من قريش ونازعوهما وقاتلوهما
واشتد بذلك بلاؤه وكان معه ولده
الحرث ولم يكن له ولد سواه فنذر
لئن جاء له عشرة بنين وصاروا له
أعوانا ليذبحن أحدهم قربانا لله
عند الكعبة واحتفر عبد المطلب
زمزم فى عامه ذلك هو وابنه
الحرث قال ابن اسحق فوجد قرية
النمل ووجد الغراب ينقر عندها
بين اساف ونائلة التى كانت
قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء
بالمعول وقام يحفر حيث أمر
فقالت قريش والله ما نتركك
تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما
فقال لابنه ذدعنى حتى أحفر
فوالله لامضين لما أمرت به فلما
عرفوا أنه غير تارك خلوا بينه
وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر
الا يسيرا حتى بدا له الطى فكبر
وعرف أنه قد صدق فلما تمادى
به الحفر وجد الغزالين والاسياف
والادراع التى دفنتها جرهم فقالت
قريش انا معك فى هذا شركاء فقال
لا ولكن هلم الى أمر نصف بينى
وبينكم نضرب عليها القداح قالوا
كيف نصنع قال اجعل للكعبة
قدحين ولى قدحين ولكم قدحين
فمن خرج قدحاه على شئ كان له
ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا
أنصفت فجعل قدحين أصفرين
للكعبة وأسودين له وأحمرين لقريش فخرج الاصفران على الغزالين للكعبة والاسودان على الاسياف والادراع له وتخلف قدحا
قريش فضرب الاسياف بابا للكعبة وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة ثم أتم حفر زمزم وأقام
سقايتها للحاج فكانت له فخرا وعزا على قريش وعلى سائر العرب قال الزهرى انه اتخذ عليها حوضا يستقى منه وكان يخرب بالليل

وحينئذ اما ان يراد بالارادة العزم والتصميم أو المراد المبالغة أو يكون ذلك من خصائص قريش
فلا ينافى ان حكم الله المطرد فى عدله ان لا يعاقب على مجرد الارادات انما يعاقب ويجازى على
الافعال والاقوال الواقعة أو ما هو منزل منزلة الواقعة كالتصميم فان من خصائص هذه الامة
عدم مؤاخذتهم بما تحدث به نفسها وعن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله تعالى عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا أى ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا
يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل أى
على أصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفى لفظ عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة
من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لايلاف قريش وتسميته لايلاف قريش سورة يرد
ما قيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة ولينظر ما معنى عبادتهم الله تعالى دون
غيرهم فى تلك المدة وعن أنس رضى الله تعالى عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وعن
أبى هريرة رضى الله تعالى عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع
لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم فى قريش أى وقال الائمة من قريش وقد جمع الحافظ
ابن حجر طرق هذا الحديث فى كتاب سماه لذة العيش فى طرق حديث الائمة من قريش
وفى الحديث عالم قريش يملأ طباق الارض علما وفى رواية لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ
الارض علما وفى رواية اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة من
الائمة منهم الامام أحمد هذا العالم هو الشافعى رضى الله تعالى عنه لانه لم ينتشر فى طباق
الارض من علم عالم قرشى من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعى وفى كلام بعضهم
ليس فى الائمة المتبوعين فى الفروع قرشى غيره وفيه أن الامام مالك بن أنس من قريش
ويجاب بانه انما يكون قرشيا على القول الباطل من أن جماع قريش قصى وقد ذكر
السبكى انهم ذكروا ان من خواص الشافعى رضى الله تعالى عنه من بين الائمة ان من تعرض
اليه أو الى مذهبه بسوء أو نقص هلك قريبا وأخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم من أهان
قريشا أهانه الله تعالى هذا كلامه قال الحافظ العراقى اسناد هذا الحديث يعنى لا تسبوا قريشا
فان عالمها يملأ الارض علما لا يخلو عن ضعف وبه يرد ما زعمه الصغانى من أنه موضوع وحاشا
الامام احمد أن يحتج بحديث موضوع أو يستأنس به على فضل الشافعى وقال ابن حجر الهيتمى
هو حديث معمول به فى مثل ذلك أى فى المناقب وزعم وضعه حسد أو غلط فاحش أى وعن
الربيع قال رأيت فى المنام كأن آدم مات فسألت عن ذلك فقيل لى هذا موت أعلم أهل الارض
لان الله علم آدم الاسماء كلها فما كان الا يسيرا حتى مات الشافعى رضى الله تعالى عنه ورضى عنا به
ومما يؤثر عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه من أطراك فى وجهك بما ليس فيك فقد شتمك
ومن نقل اليك نقل عنك ومن نم عندك نم عليك ومن اذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك اذا
أسخطته قال فيك ما ليس فيك وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها أى
لا تتقدموها وفى رواية ولا تعالموها أى لا تغالبوها بالعلم ولا تكاثروها فيه وفى رواية ولا
تعلموها أى لا تجعلوها فى المقام الادنى الذى هو مقام المتعلم بالنسبة للعلم وقال صلى الله عليه وسلم

محمد له فلما أتمه ذلك قيل له فى النوم قل لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل فلما أصبح قال ذلك فكان من أرادها بمكروه رمى بداء فى جسده حتى انتهوا عنه وقوله حل بكسر الحاء المهملة ضد الحرام وبل بكسر الباء مباح وقيل شفاء قال ابن اسحق فعفت زمزم على آبار كانت قبلها وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها ولانها بئر اسمعيل وافتخر بها بنوا عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب فكان منها شرب الحاج وكان لعبد المطلب ابل كثيرة يجمعها فى الموسم ويسقى لبنها بالعسل فى حوض من أدم عند زمزم ويشترى الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ليكسر غلظها وكانت اذ ذاك غليظة فلما توفى قام بالسقاية أبو طالب ثم العباس وكان له كرم بالطائف فكان يحمل زبيبه اليها ويسقيه الحاج أيام الموسم فلما دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح قبض السقاية منه ثم ردها اليه ولما تكامل بنو عبد المطلب عشرة بعد حفر زمزم بثلاثين سنة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله وأقر الله عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى فى المنام قائلا يقول يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا وأطعمه للمساكين ثم نام فنودى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما هو أكبر من ذلك قال قرب أحد أولادك الذى نذرته فاغتم غما شديدا وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بالنذر فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح بكسر القاف السهم قبل أن يراش ويوضع فيه النصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا وأخذوا أقداحهم ودخلوا على هبل وهو اسم لصنم عظيم كان فى جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده وكان له قيم

أحبوا قريشا فانه من أحبهم أحبه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لولا أن تبطر قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله عز وجل وفى السنن المأثورة عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه رواية المزنى عنه قال الطحاوى حدثنا المزنى قال حدثنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ان قتادة ابن النعمان وقع بقريش وكأنه نال منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا قتادة لا تشتم قريشا فانك لعلك ترى منهم رجالا اذا رأيتهم عجبت بهم لولا أن تطغى قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله تعالى أى لولا انها اذا علمت ما لها عند الله من الخير المدخر لها تركت العمل بل ربما ارتكبت ما لا يحل اتكالا على ذلك لا علمتها به لكن فى رواية لاخبرتها بما لمحسنها عند الله من الثواب وهذا دليل على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة من بغاها العواثر أى من طلب لها المكايد أكبه الله تعالى لمنخريه أى أكبه الله على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وعن سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه انه كان بالمسجد فمر عليه سعيد بن العاص فسلم عليه فقال له والله يا ابن أخى ما قتلت أباك يوم بدر وما لى أن أكون أعتذر من قتل مشرك فقال له سعيد بن العاص لو قتلته كنت على الحق وكان على الباطل فعجب عمر من قوله وقال قريش أفضل الناس أحلاما وأعظم الناس أمانة ومن يرد بقريش سوأ يكبه الله لفيه هذا كلامه والذى قتل العاص والد سعيد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقيل سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال قتلت يوم بدر العاص وأخذت سيفه ذا الكتيفة وقال صلى الله عليه وسلم شرار قريش خير شرار الناس وفى رواية خيار قريش خيار الناس وشرار قريش شرار الناس أى ولعله سقط من هذه الرواية قبل شرار الثانية لفظ خيار لتوافق الرواية قبلها المقتضى لذلك المقام ويحتمل ابقاء ذلك على ظاهره لانه ممن يقتدى به فكانوا أشر الاشرار ويكون هذا هو المراد بوصفهم بانهم خيار شرار الناس ثم رأيت فى كتاب السنن المأثورة عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ما رواه المزنى عنه خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفى الحديث ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم ومن ثم قال الطحاوى قريش أهل أمانة هكذا قرأه علينا المزنى أهل أمانة أى بالنون وانما هو أهل امامة أى بالميم وفى كلام فقهائنا قريش قطب العرب وفيهم الفتوة * ومما يدل على شرف هذا النسب أيضا ما جاء عن عمرو بن العاصى رضى الله تعالى عنه ان الله اختار العرب على الناس واختارنى على من أنا منه من أولئك العرب وما جاء عن واثلة بن الاسقع رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم أقول وجاء بلفظ آخر عن واثلة بن الاسقع وهو ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم عليهما السلام واتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل ثم اصطفى من ولد اسمعيل نزار ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من ولد مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ثم اصطفانى من بنى عبد المطلب والله أعلم قال وفى رواية ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل كنانة واصطفى من بنى

كنانة

يدفعون القداح له فيضرب بها فدفع عبد المطلب الى القيم ثلاث القداح وقام يدعو الله تعالى ويقول اللهم انى نذرت نحر أحدهم وانى أقرع بينهم فاصب بذلك من شئت ثم ضرب السادن القدح فخرج على عبد الله وكان أحبهم اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل الى اساف ونائلة صنمين عند الكعبة تذبح وتنحر عندهما النسائك وأصلهما رجل وامرأة لرجل من جرهم يقال له اساف ابن يعلى والمرأة نائلة بنت زيد من جرهم أيضا وكان اساف يتعشقها فى أرض اليمن فجاء دخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فيه فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها فلما جاء عبد المطلب بابنه ليذبحه قام اليه سادات قريش فقالوا ما تريد ان تصنع والله لا ندعك تذبحه حتى نعذر فيه ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله ابن أخت القوم والله لا نذبحه أبدا حتى نعذر فيه فان كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة فلعلها أن تأمرك بامر فيه فرج لك فانطلقوا حتى أتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت لهم ارجعوا عنى حتى يأتينى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم أى أحضروه الى موضع ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعليه القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الابل عشرة ثم اضربوا أيضا وهكذا حتى يرضى ربكم فخرج القوم عنها ورجعوا الى مكة وقربوا عبد الله وعشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده عبد الله فلم يزل يزيد عشرا عشرا وهى تخرج على عبد الله حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك

كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وما جاء عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل فقال لى يا محمد ان الله بعثنى فطفت شرق الارض ومغربها وسهلها وجبالها فلم أجد حيا خيرا من مضر ثم أمرنى فطفت فى مضر فلم أجد حيا خيرا من كنانة ثم أمرنى فطفت فى كنانة فلم أجد حيا خيرا من قريش ثم أمرنى فطفت فى قريش فلم أجد حيا خيرا من بنى هاشم ثم أمرنى أن اختار فى أنفسهم أى اختار نفسا من أنفسهم فلم أجد نفسا خيرا من نفسك انتهى وفى الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال ليس من العرب قبيلة الا ولدت النبى صلى الله عليه وسلم مضرها وربيعتها ويمانها وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار الى خيار انتهى وقوله واختار من مضر قريشا يدل على ان مضر ليس جماع قريش والا كانت أولاده كلها قريشا وعن أبى هريرة يرفعه بسند حسنه الحافظ العراقى ان الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين قسم العرب قسما وقسم العجم قسما وكانت خيرة الله فى العرب ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وكانت خيرة الله فى مضر وقسم مضر قسمين فكانت قريش قسما وكانت خيرة الله فى قريش ثم أخرجنى من خيار من أنا منه قال بعضهم وما جاء فى فضل قريش فهو ثابت لبنى هاشم والمطلب لانهم أخص وما ثبت للاعم يثبت للاخص ولا عكس وفى الشفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى قسم الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فأنا أبر ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر وجعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا ولا فخر فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية هذا كلام الشفاء فليتأمل والى شرف هذا النسب يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

وبدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سودد وفخار * أنت فيه اليتيمة العصماء

أى ظهر لهذا العالم منك كريم أى جامع لكل صفة كمال وهذا على حد قولهم لى من فلان صديق حميم وذلك الكريم الذى ظهر وجد من أب كريم سالم من نقص الجاهلية آباؤه الشامل للامهات جميعهم كرماء أى سالمون من نقائص الجاهلية أى ما يعد فى الاسلام نقصا من أوصاف الجاهلية وهذا نسب لا أجل منه ولجلالته اذا تأملته تظن بسبب ما تحلى به من

يا عبد المطلب فزعموا أنه قال لا والله حتى اضرب عليها القداح ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الابل فقام عبد المطلب يدعو فخرجت على الابل ثم عادوا الثانية وهو قائم يدعو فضربوا فخرجت على الابل ثم الثالثة وهو قائم فخرجت على الابل فنحرت وتركت لا يصدعنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا

روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وروى الحاكم فى المستدرك عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابى فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا وخلفت المال عابسا هلك المال وضاع العيال فعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال معاوية رضى الله عنه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه ويعنى بالذبيحين عبد الله واسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وفى هذا الحديث دلالة على أن الذبيح هو اسمعيل لا اسحق وفى ذلك خلاف مشهور ومما يدل على أن الذبيح اسمعيل عليه السلام ان الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيرا لشأن اسمعيل وأمه ومعلوم أنهما هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وأمه ولو كان الذبح بالشأم كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشأم لا بمكة وأيضا مما يدل على أنه اسمعيل عليه السلام ظاهر القرآن الكريم فان الله سمى الذبيح حليما فى قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم لانه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه مع كونه مراهقا ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة ولما ذكر اسحق عليه السلام سماه عليما فى قوله انا نبشرك بغلام عليم وبشروه بغلام عليم وأيضا فان الله بعد ان قص فى كتابه قصة الذبح قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فهذا يدل على تقدم قصة الذبح فتكون مع اسمعيل وأيضا فان الله تعالى أجرى العادة البشرية أن أكبر الاولاد أحب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم عليه السلام لما سأل الله الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فأمر بذبح عن

الكمالات أى معاليها جعلت الجوزاء نجومها التى يقال لها نطاق الجوزاء قلادة لتلك المعالى وهذه القلادة نعم هى قلادة سيادة وتمدح موصوفة بأنك فى تلك القلادة الدرة اليتيمة التى لا مشابه لها المحفوظة عن الاعين لجلالتها لا يقال شمول الآباء للامهات لا يناسب قوله نسب لان النسب الشرعى فى الآباء خاصة لانا نقول المراد بالنسب ما يعم اللغوى أو قد يقال سلامة آبائه من النقائص انما هو من حيث أبوه أى كونه متفرعا عنه وذلك يستلزم أن تكون أمهاته كذلك وسيأتى لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وسيأتى الكلام على ذلك مستوفى وقد قال الماوردى فى كتاب أعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده صلى الله عليه وسلم علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة هذا كلامه ومن كلام عمه أبى طالب

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت أنساب عبد منافها * ففى هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

بالرفع عطفا على المصطفى وسر القوم وسطهم فأشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الافخاذ فخذه وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم وعن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانى الله تعالى قال تبغض العرب فتبغضنى وعن على رضى الله تعالى عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وفى الترمذى عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى ولم تنله مودتى قال الترمذى هذا حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم لا من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى وقال صلى الله عليه وسلم ان لواء الحمد يوم القيامة بيدى وان أقرب الخلق من لوائى يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وفى كلام فقهائنا العرب أولى الامم لانهم المخاطبون أولا والدين عربى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله تعالى آدم الا كنت فى خيرهما (أقول) وفى لفظ آخر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حين خلقنى جعلنى من خير خلقه ثم حين خلق القبائل جعلنى من خيرهم قبيلة وحين خلق الانفس جعلنى من خير أنفسهم ثم حين خلق البيوت جعلنى من خير بيوتهم فأنا خيرهم بيتا وأنا خيرهم نسبا وفى لفظ آخر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلنى فى خيرهم قسما ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا ثم جعل الثلث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيلة ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا وتقدم

المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده أعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق فى الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هى العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا عليهما الصلاة والسلام ولبعضهم

ان الذبيح فديت اسمعيل * نطق الكتاب بذاك والتنزيل

شرف به خص الاله نبينا * وأبانه التفسير والتأويل

وروى فيما ذكره المعافى بن زكريا أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سأل رجلا أسلم من علماء اليهود أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود ليعلمون أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون الذبيح أباكم فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحق * واعلم ان بعض العلماء ذكر ان أعمام النبى صلى الله عليه وسلم اثنا عشر فزادوا على العشرة السابقين الغيداق وقثم وعبد الكعبة فيكون أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر وان حمزة والعباس تأخرت ولادتهما عن قصة الذبح فيكون الموجود وقت الذبح عشرة غير عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل الغيداق هو حجل وعبد الكعبة هو المقوم وقثم لا وجود له فالاعمام تسعة فقط وعبد الله تمام العشرة ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الابل مر على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى وهى عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه وفيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله أحسن رجل رؤى فى قريش لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن فقال لها

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه
يحمى الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذى تبغينه

وفى السيرة الحلبية من شعر عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم

لقد حكم البادون فى كل بلدة * بأن لنا فضلا على سادة الارض
وان أبى ذو المجد والسودد الذى * نشاب هامابين نشز الى خفض

أى ارتفاع وانخفاض وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما لما خرج عبد المطلب بعد نحر الابل بابنه عبد الله ليزوجه مر به على

عن الشفاء مثل ذلك مع زيادة الاستدلال بالآيات وتقدم الامر بالتأمل فى ذلك والله أعلم وفيه أنه ورد النهى فى الاحاديث الكثيرة عن الانتساب الى الآباء فى الجاهلية على سبيل الافتخار من ذلك لا تفتخروا بآبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية فوالذى نفسى بيده ما يدحرج الجعل بانفه خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية أى والذى يدحرجه الجعل هو النتن وجاء فى الحديث ليدعن الناس فخرهم فى الجاهلية أو ليكونن أبغض الى الله تعالى من الخنافس وجاء آفة الحسب الفخر أى عاهة الشرف بالآباء التعاظم بذلك وأجاب الامام الحليمى بأنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك الفخر انما أراد تعريف منازل أولئك ومراتبهم أى ومن ثم جاء فى بعض الروايات قوله ولا فخر أى فهو من التعريف بما يجب اعتقاده وان لزم منه الفخر وهو اشارة الى نعمة الله تعالى عليه فهو من التحدث بالنعمة وان لزم من ذلك الفخر أيضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى حتى أخرجت نبيا أى وجدت الانبياء فى آبائه فسيأتى أنه قذف بى فى صلب آدم ثم فى صلب نوح ثم فى صلب ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بدليل ما يأتى فيه وفى لفظ آخر عنه ما زال النبى صلى الله عليه وسلم يتقلب فى أصلاب الانبياء أى المذكورين أو غيرهم حتى ولدته أمه اى وهذا كما لا يخفى لا ينافى وقوع من ليس نبيا فى آبائه فالمراد وقوع الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى نسبه عليه الصلاة والسلام كما علمت ضرورة ان آباءه كلهم ليسوا أنبياء لكن قال غيره لا زال نوره صلى الله عليه وسلم ينقل من ساجد الى ساجد قال أبو حيان واستدل بذلك أى بما ذكر من الآية المذكورة أى المفسرة بما ذكر الرافضة على ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين أى لان الساجد لا يكون الا مؤمنا فقد عبر عن الايمان بالسجود وسيأتى مزيد الكلام فى ذلك وهو استدلال ظاهرى والا فالآية قيل معناها وتصفحك احوال المتهجدين من أصحابك لانه لما نسخ فرض قيام الليل عليه وعليهم بناء على أنه كان واجبا عليه وعلى أمته وهو الاصح وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان واجبا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله صلى الله عليه وسلم طاف صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على بيوت أصحابه لينظر حالهم أى هل تركوا قيام الليل لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة المعراج حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير أى لان الله عز وجل افترض عليه صلى الله عليه وسلم أى وعلى أمته قيام الليل أو نصفه أو أقل أو أكثر فى أول سورة المزمل ثم نسخ ذلك فى آخر السورة بما تيسر أى وكان نزول ذلك بمكة بسنة ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ليلة المعراج كما سيأتى وجعل بعضهم ذلك من نسخ الناسخ فيصير منسوخا لما علمت أن آخر هذه السورة ناسخ لاولها ومنسوخ بفرض الصلوات الخمس واعترض بان الاخبار دالة على أن قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن انما نزل بالمدينة يدل على ذلك قوله علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله لان القتال فى سبيل الله انما كان بالمدينة فقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر اختيار لا ايجاب وقيل معنى وتقلبك فى الساجدين وتقلبك فى أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا فى الساجدين أى فى المصلين فنى

كاهنة من تبالة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية وكانت من أجمل النساء وأعفهن فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فعرضت نفسها عليه فلما أبى قالت

انى رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحناتم القطر

فسما لها نور يضىء به * ماحوله كاضاءة الفجر

ورأيت سقياها احيا بلد * وقعت به وعمارة القفر

ورأيتها شرفا ابوء به * ما كل قادح زنده يورى

لله ما زهرية سلبت * منك الذى سلبت وما تدرى

وقد روى عن العباس رضى الله عنه انه لما بنى عبد الله بآمنة رضى الله عنهما أحصوا مائتى امرأة من بنى مخزوم وبنى عبد مناف متن ولم يتزوجن أسفا على مافاتهن من عبد الله وانه لم تبق امرأة فى قريش الا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة ﴿ومن الارهاصات﴾ التى وقعت قبل وجود النبى صلى الله عليه وسلم قصة أصحاب الفيل وما حصل لهم من العذاب الوبيل ببركة دعاء عبد المطلب وتأليفا لقريش وتمهيد المولد النبى صلى الله عليه وسلم وبعثته وأمر ابرهة سائس الفيل أن يحضر فيله الاعظم بين يديه ليرهب عبد المطلب لما حضر لطلب الطلاق ابله التى أخذها جنود ابرهة فلما نظر الفيل الى عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وكان أبرهة قبل ذلك أرسل رجلا من قومه الى أهل مكة ليدخل الرعب فى قلوبهم فلما دخل مكة ورأى عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال أشهد أنك سيد قريش حقا وكان هذا الرسول قد قال له أبرهة اسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربا فأتنى به فدخل فسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم فقالوا له عبد المطلب فقال ما أمره به أبرهة بعد ان أفاق من غشيته فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام

الى

الساجدين ليس متعلقا بتقلبك بل بساجد المحذوف لا يقال يعارض جعل الساجدين عبارة عن المؤمنين ان من جملة آبائه صلى الله عليه وسلم آزر والد ابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم وكان كافرا لانا نقول أجمع أهل الكتابين على أن آزر كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما تسمى الخالة أما فقد حكى الله عن يعقوب عليه السلام أنه قال آبائى ابراهيم واسمعيل ومعلوم أن اسمعيل اخاه وعمه أى ويدل لذلك ان أبا ابراهيم كان اسمه تارخ بالمثناة فوق والمعجمة كما عليه جمهور أهل النسب وقيل بالمهملة وعليه اقتصر الحافظ فى الفتح لا آزر لكن ادعى بعضهم انه لقب له لان آزر اسم صنم كان يعبده فصار له اسمان آزر وتارخ كيعقوب واسرائيل قال بعضهم وقد تساهل من أخذ بظاهر الآية كالقاضى البيضاوى وغيره فقال ان أبا ابراهيم مات على الكفر وما قيل انه عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل ويوافقه ما فى النهر نقلا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن آزر كان اسم أبيه ويرد ذلك قول الحافظ السيوطى رحمه الله يستنبط من قول ابراهيم عليه السلام ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وكان ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة أن المذكور فى القرآن بالكفر والتبرى من الاستغفار له أى فى قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه هو عمه لا أبوه الحقيق قال فلله الحمد على ما ألهم أى ولا يخفى أن هذا لا يتم الا اذا كان أبوه الحقيقى حيا وقت التبرى منه وأن التبرى سببه الموت أى موت عمه على الكفر لا الوحى بانه يموت كافرا فليتأمل وحينئذ يكون أبوه الحقيقى هو المعنى بقول أبى هريرة أحسن كلمة قالها أبو ابراهيم أن قال لما رأى ولده وقد ألقى فى النار على تلك الحالة أى فى روضة خضراء وحوله النار لم تحرق منه الا كتافه نعم الرب ربك يا ابراهيم وكان سنه حين ألقى فى النار ست عشرة سنة كما فى الكشاف وفى كلام غيره كان سنه ثلاثين سنة بعد ما سجن ثلاث عشرة سنة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ان قريشا كانت نورا بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ألقى ذلك النور فى صلبه قال صلى الله عليه وسلم فأهبطنى الله تعالى الى الارض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح وقذفنى فى صلب ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ثم لم يزل ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى أخرجنى من بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط (أقول) قوله صلى الله عليه وسلم فأهبطنى ينبغى أن لا يكون معطوفا على ما قبله من قوله ان قريشا كانت نورا بين يدى الله تعالى الخ فيكون نوره صلى الله عليه وسلم من جملة نور قريش وأنه صلى الله عليه وسلم انفرد عن نور قريش وأودع فى صلب نوح عليه السلام الخ بل على ما يأتى من قوله كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام اللازم لذلك أن يكون نوره سابقا على نور قريش ويكون نور قريش من نوره صلى الله عليه وسلم وحكمة اقتصاره صلى الله عليه وسلم على من ذكر من الانبياء عليهم السلام لا تخفى وهى أنهم آباء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن ذرية نوح هود وصالح عليهما السلام ومن ذرية ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى وهرون بناء على أنه شقيق موسى أولابيه والا فسيأتى أن نوره انتقل

الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه ثم ذهب معه الى أبرهة واستأذن له وقال أيها الملك هذا سيد قريش يستأذن عليك وهو صاحب عير مكة ويطعم الناس فى السهل والجبل والوحوش والطير فى رؤس الجبال فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فعظم فى عين

أبرهة فأجله وأكرمه وكره أن يجلس تحته وان تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له حاجتى أن يرد الملك على مائتى بعير أصابها فقال لترجمانه قل له كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك أتكلمنى فى مائتى بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه فقال عبد المطلب انى أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه فقال ما كان يمتنع منى قال أنت وذاك فرد عليه ابله فقلدها وأشعرها وجللها وجعلها هديا للبيت وبثها فى الحرم وانصرف الى قريش وأخبرهم الخبر ثم جاء بهم الى البيت ودعا الله تعالى ثم أمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رؤس الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبشة ثم أقبل الحبشة يريدون دخول الحرم فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل وأهلكهم كما قص ذلك فى كتابه سبحانه وتعالى فكانت تلك القصة ارهاصا له صلى الله عليه وسلم والصحيح أن قصة الفيل كانت قبل ميلاده صلى الله عليه وسلم وكانت فى عام الولادة على الصحيح أيضا وجاء فى بعض الروايات ان نور النبى صلى الله عليه وسلم استدار فى وجه عبد المطلب لما أقبل على أبرهة مع ان النور كان قد انتقل الى ابنه عبد الله بل الى آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم لانها فى ذلك الوقت كانت حاملا به على الصحيح وأجاب المحققون عن ذلك بان النور وان كان قد انتقل عن عبد المطلب فى ذلك الوقت الا انه كان يستدير فى وجهه مثل ذلك النور الذى كان قبل انتقاله ويكون ذلك عند الاحتياج اليه كما فى هذه القصة وذلك من جملة الارهاصات أيضا * ومن ذلك رؤيا جده عبد المطلب روى أبو نعيم من طريق أبى بكر

الى شيث وتقدم انه صلى الله عليه وسلم من ذرية اسمعيل وعن على بن الحسين رضى الله عنهما عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف عام ورأيت فى كتاب التشريفات فى الخصائص والمعجزات لم أقف على اسم مؤلفه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام فقال يا جبريل كم عمرت من السنين فقال يا رسول الله لست أعلم غير أن فى الحجاب الرابع نجم يطلع فى كل سبعين ألف سنة مرة رأيته اثنين وسبعين ألف مرة فقال يا جبريل وعزة ربى جل جلاله أنا ذلك الكوكب رواه البخارى هذا كلامه فلما خلق الله آدم عليه السلام جعل ذلك النور فى ظهره أى فهو حالة كونه نورا سابق على قريش حالة كونها نورا بل سيأتى ما يدل على أن نوره صلى الله عليه وسلم سابق على سائر المخلوقات بل وتلك المخلوقات خلقت من ذلك النور آدم وذريته وحينئذ يحتاج الى بيان وجه كون آدم خلق من نوره صلى الله عليه وسلم وجعل نوره صلى الله عليه وسلم فى ظهر آدم عليه السلام فقد تقدم فى الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور فى ظهره أى فكان يلمع فى جبينه فيغلب على سائر نوره الخ ما يأتى ثم انتقل الى ولده شيث الذى هو وصيه وكان من جملة ما أوصاه به أنه يوصى من انتقل اليه ذلك النور من ولده أنه لا يضع ذلك النور الذى انتقل اليه الا فى المطهرة من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها فى القرون الماضية الى أن وصل ذلك النور الى عبد المطلب اى وهذا السياق يدل على أن ذلك النور كان ظاهرا فيمن ينتقل اليه من آبائه وهو قد يخالف ما تقدم من تخصيص بعض آبائه بذلك ولم تلد حواء ولدا مفردا الا شيث كرامة لهذا النور قيل مكث فى بطنها حتى نبتت أسنانه وكان ينظر الى وجهه من صفاء بطنها وهو الثالث من ولد آدم عليه السلام وكانت تلد ذكرا وأنثى معا أى فقد قيل انها ولدت لآدم أربعين ولدا فى عشرين بطنا وقيل ولدت مائة وعشرين ولدا وقيل مائة وثمانين ولدا وقيل خمسمائة ويقال ان آدم عليه السلام لما مات بكى عليه من ولده وولد ولده أربعون ألفا ولم يحفظ من نسل آدم الا ما كان من صلب شيث دون اخوته أى فانهم لم يعقبوا أصلا فهو أبو البشر وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى اخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى قد خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره الحديث وفيه أنه أصل لكل موجود والله سبحانه وتعالى أعلم * واختلف الناس فى عد طبقات أنساب العرب وترتيبها والذى فى الاصل عن الزبير بن بكار أنها ست طبقات وان أولها شعب ثم قبيلة ثم عمارة بكسر العين المهملة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة قال وقد نظمها الزين العراقى فى قوله

للعرب العربا طباق عدة * فصلها الزبير وهى ستة

اعم ذاك الشعب فالقبيلة * عمارة بطن فخذ فصيلة

أى فالشعب أصل القبائل والقبيلة أصل العمارة والعمارة أصل البطون والبطن أصل الفخذ والفخذ أصل الفصيلة فيقال مضر شعب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقيل شعبه خزيمة وكنانة قبيلته صلى الله عليه وسلم وقريش عمارته صلى الله عليه وسلم وقصى بطنه

ابن عبد الله بن أبي الجهيم عن أبيه عن جده قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال بينما أنا نائم في الحجر اذ رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة قريش فقلت لها اني رأيت الليلة كأن شجرة نبتت من ظهري قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب ما رأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم لها ساجدين وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تظهر ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها وقوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجها ولا أطيب ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدي لأتناول منها نصيبا فلم أنل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعورا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس فقال عبد المطلب لأبي طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج أي بعث ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الامين فيقال له ألا تؤمن به فيقول السبة والعار أي أخشى أو يعني وروى أبو علي القيرواني في كتاب البستان ان عبد المطلب رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض وقد صح في أحاديث كثيرة انه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وفي رواية لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وروى البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت في

صلى الله عليه وسلم وهاشم فخذه صلى الله عليه وسلم وبنو العباس فصيلته صلى الله عليه وسلم وقيل بعد الفصيلة العشيرة وليس بعد العشيرة شيء وقيل بعدها الفصيلة قال ثم الرهط وزاد بعضهم الذرية والعترة والاسرة ولم يرتب بينها وقد ذكرها محمد بن سعد اثني عشر فقال الجذم ثم الجمهور ثم الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط ثم الاسرة ثم الذرية وسكت عن العترة وفي كلام بعضهم الاسباط بطون بني اسرائيل والشعب في لسان العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاوراق والقبائل بطون العرب والشعوب بطون العجم فليتأمل

﴿باب تزويج عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم آمنة أمه صلى الله عليه وسلم وحفر زمزم وما يتعلق بذلك﴾

قيل خرج عبد المطلب ومعه ولده عبد الله وكان أحسن رجل في قريش خلقا وخلقا وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه وفي رواية انه كان أحسن رجل رئي بكسر الراء وبضمها ثم همزة مفتوحة منظرا في قريش وفي رواية انه كان أكمل بني أبيه وأحسنهم وأعفهم وأحبهم الى قريش وقد هدى الله تعالى والده فسماه بأحب الاسماء الى الله تعالى ففي الحديث أحب الاسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح وذلك لان أباه عبد المطلب حين أمر في النوم بحفر زمزم بئر اسمعيل عليه السلام أي لان الله تعالى أخرج زمزم لاسمعيل بواسطة جبريل كما يأتي ان شاء الله تعالى في بناء الكعبة أخرج زمزم مرتين مرة لآدم ومرة لاسمعيل عليهما الصلاة والسلام وكانت جرهم قد دفنتها أي فان جرهما لما استخفت بأمر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام قام فيهم رئيسهم مضاض بكسر الميم وحكي ضمها ابن عمرو خطيبا ووعظهم فلم يرعووا فلما رأى ذلك منهم عمد الى غزالتين من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الاموال أي السيوف والدروع على ما سيأتي التي كانت تهدى الى الكعبة ودفنها في بئر زمزم وفي مرآة الزمان أن هاتين الغزالتين أهداهما للكعبة وكذا السيوف ساسان أول ملوك الفرس الثانية ورد بان الفرس لم يحكموا على البيت ولا حجوه هذا كلامه وفيه ان هذا لا ينافي ذلك فليتأمل وكانت بئر زمزم نضب ماؤها أي ذهب فحفرها مضاض بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها ذلك أي ودفن الحجر الاسود أيضا كما قيل وطم البئر واعتزل قومه فسلط الله تعالى عليهم خزاعة فأخرجتهم من الحرم وتفرقوا وهلكوا كما تقدم ثم لا زالت زمزم مطمومة لا يعرف محلها مدة خزاعة ومدة قصي ومن بعده الى زمن عبد المطلب ورؤياه التي أمر فيها بحفرها قيل وتلك المدة خمسمائة سنة أي وكان قصي احتفر بئرا في الدار التي سكنتها أم هانئ أخت علي رضي الله تعالى عنهما وهي أول سقاية احتفرت بمكة وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ أتاني آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه

فجاءني

القرن الذي كنت فيه وفي السيرة الحلبية قال الحافظ السيوطي الذي تلخص أن أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم أي في الاحاديث وأقوال السلف وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة أقوال الاشبه انه لم تبلغه الدعوة لانه مات وسن النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل انه كان على ملة ابراهيم عليه السلام أي لم يعبد الاصنام وقيل ان الله أحياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات دليل على ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بأنه طاهر وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية حيث قال

لم تزل في ضمائر الكون تختا ... ر لك الامهات والآباء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة وفي رواية خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح أهل الاسلام ولما أراد الله انتقال النور من جده عبد المطلب تزوج فاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عمرو بن مخزوم فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم فانتقل النور الى عبد الله وكان قد تزوج قبلها زوجات قيل أول زوجة تزوجها قيلة بنت جندب ويقال صفية بنت جندب وهي أم ولده الحرث وأن سبب تزوجه أنه بعد أن بلغ الحلم نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فبقي متحيرا لا يدري من فعل ذلك به فأخذ بيده عمه المطلب ثم انطلق به الى كهنة قريش فأخبرهم بذلك فقالوا ان اله السماء قد أذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قيلة بنت جندب فولدت له الحرث ثم لما تزوج فاطمة بنت عمرو المخزومية وولدت له عبد الله انتقل النور اليه وكان أي عبد الله أحسن رجل في

فجاءني وقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم قال لا تنزف ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل وقوله لا تنزف أي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وفيه انه ذكر انه وقع فيها عبد حبشي فمات بها فانتفخ فنزحت من أجله ووجدوا قعرها فوجدوا ماءها يفور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها التي من ناحية الحجر الاسود وقوله ولا تذم بالذال المعجمة أي لا توجد قليلة الماء من قولهم بئر ذمة أي قليلة الماء قيل وليس المراد انه لا يذمها أحد لان خالد بن عبد الله القسري أمير العراق من جهة الوليد بن عبد الملك ذمها وسماها أم جعلان واحتفر بئرا خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها وفيه ان هذا جراءة منه على الله تعالى وقلة حياء منه وهو الذي كان يعلن ويفصح بلعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على المنبر فلا عبرة بذمه وقيل لزمزم طيبة لانها للطيبين والطيبات من ولد ابراهيم وقيل لها برة لانها فاضت للابرار وقيل لها المضنونة لانه ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق وقد جاء في رواية يقول الله تعالى ضننت بها على الناس الا عليك ولعل المراد الا على أتباعك فيكون بمعنى ما قبله وفي رواية انه قيل لعبد المطلب احفر زمزم ولم يذكر له علامتها فجاء الى قومه وقال لهم اني قد أمرت أن أحفر زمزم قالوا فهل بين لك أين هي قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت فان يكن حقا من الله تعالى بين لك وان يكن من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأتاه فقال احفر زمزم انك ان حفرتها لن تندم وهي ميراث من أبيك الاعظم لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم فقال عبد المطلب أين هي فقال هي بين الفرث والدم عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم غدا أي والاعصم قيل أحمر المنقار والرجلين وقيل أبيض البطن وعلى هذا اقتصر الامام الغزالي حيث قال في قوله صلى الله عليه وسلم مثل المرأة الصالحة في النساء مثل الغراب الاعصم بين مائة غراب يعني الابيض البطن هذا كلامه وقيل الاعصم أبيض الجناحين وقيل أبيض احدى الرجلين فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحرث ليس له ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم أي في محلهما وذلك بين اساف ونائلة الصنمين اللذين تقدم ذكرهما وتقدم ان قريشا كانت تذبح عندهما ذبائحها أي التي كانت تتقرب بها وهذا يبعد ما جاء في رواية أنه لما قام يحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم فبينما هو كذلك ندت بقرة من ذابحها فلم يدركها حتى دخلت المسجد فنحرها في الموضع الذي رسم له وقد يقال لا يبعد لانه يجوز أن يكون فهم أن يكون الفرث والدم موجودين بالفعل فلا يلزم من كون المحل المذكور محلهما وجودهما فيه في ذلك الوقت فلم يكتف بنقرة الغراب في محلهما فأرسل الله له تلك البقرة ليرى الامر عيانا وذكر السهيلي رحمه الله لذكر هذه العلامات الثلاث حكمة لا بأس بها ولعل اسافا ونائلة نقلا بعد ذلك الى الصفا والمروة بعد ان نقلهما عمرو بن لحي من جوف الكعبة الى المحل المذكور فلا

قريش خلقا وخلقا وفى رواية كان أكمل بنى أبيه وأحسنهم وأعفهم وأحبهم الى قريش وكان نور النبى صلى الله عليه وسلم بينا فى وجهه
وفى رواية يرى فى وجهه كالكوكب الدرى وفى شرح المواهب كان يتلألأ نورا فى قريش وكان أجملهم فشغفت به نساء قريش
وكدن أن تذهل عقولهن * قال أهل السير فلقى عبد الله فى زمنه من النساء من العناء مثل مالقى يوسف فى زمنه
من امرأة العزيز وقد هدى الله
والده فسماه بأحب الاسماء الى
الله ففى الحديث أحب الاسماء الى
الله عبد الله وعبد الرحمن وهو
الذبيح كما تقدم وكان ذا عفة وكرم
وسماحة ولما بلغ من العمر ثمان
عشر سنة خرج مع أبيه ليزوجه
آمنة بنت وهب فمر على جملة من
النساء فصارت كل واحدة تعرض
نفسها عليه وهو يأبى لديانته
وعفته فأتى عبد المطلب عم آمنة
وهو وهب بن عبد مناف بن زهرة
ابن قصى وقيل ان وهبا المذكور
أبوها لا عمها فزوج آمنة لعبد الله
وهى يومئذ أفضل امرأة فى
قريش نسبا وموضعا فدخل بها
عبد الله حين أملك عليها فحملت
برسول الله صلى الله عليه وسلم
وانتقل ذلك النور اليها وعن قتادة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أجرى فرسه مع أبى أيوب الانصارى
رضى الله عنه فسبقته فرس
المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال
صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك
انه لهو الجواد البحر يعنى فرسه
وقال فى بعض غزواته
أنا النبى لا كذب
أنا ابن عبد المطلب
أنا ابن العواتك وجاء أنا ابن العواتك
من سليم والعاتكة فى الاصل
المتلطخة بالطيب أو الطاهرة
وعن بعض التابعين أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فى يوم
أحد أنا ابن الفواطم واختلف الناس فى عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل * وقد نقل
الحافظ ابن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم أربع عشرة وقيل احدى عشرة وأولهن أم لؤى بن غالب واللواتى من
سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال أم هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال أم أبى أمه

يخالف ماذكره القاضى البيضاوى وغيره ان اسافا كان على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل
الجاهلية اذا سعوا مسحوهما أى ومن ثم لما جاء الاسلام وكسرت الاصنام كره المسلمون
الطواف أى السعى بينهما وقالوا يارسول الله هذا كان شعارنا فى الجاهلية لاجل التمسح
بالصنمين فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية ويقال ان بقرة نحرت بالحزورة
بوزن قسورة فانفلتت ودخلت المسجد فى موضع زمزم فوقعت مكانها فاحتمل لحمها فأقبل
غراب أعصم فوقع فى الفرث فليتأمل الجمع وقد يقال لامنافاة لان قوله فى الرواية الاولى فندت
بقرة من ذبحها أى ممن شرع فى ذبحها ولم يتمه حتى دخلت المسجد فنحرها أى تمم ذبحها فقد
نحرت بالحزورة وبالمسجد أو يراد بنحرها فى الحزورة ذبحها وبنحرها فى المسجد سلخها وتقطيع
لحمها فقدر أن الحيوان بعد ذبحه يذهب الى موضع آخر ثم يقع به وعند ذلك جاء عبد المطلب
بالمعول وقام ليحفر فقامت اليه قريش فقالوا له والله لانتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر
عندهما فقال عبد المطلب لولده الحرث ذدعنى أى امنع عنى حتى أحفر فوالله لامضين لما أمرت
به فلما رأوه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطى أى
البناء فكبر وقال هذا طى اسمعيل عليه السلام أى بناؤه فعرفت قريش انه أصاب حاجته
فقاموا اليه وقالوا والله ياعبد المطلب انها بئر أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فأشركنا معك فقال
ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم فقالوا لنخاصمنك فيها فقال اجعلوا بينى وبينكم
من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيم وكانت بأعالى الشام أى ولعلها التى لما
حضرتها الوفاة طلبت شقا وسطيحا وتفلت فى فمهما وذكرت ان سطيحا يخلفها فى كهانتها ثم
ماتت فى يومها ذلك وسطيح سيأتى ترجمته وأما شق فقيل له ذلك لانه كان شق انسان يدا
واحدة ورجلا واحدة وعينا واحدة فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف وركب من
كل قبيلة من قريش نفر وكان اذ ذاك مابين الحجاز والشام مفازات لاماء بها فلما كان عبد
المطلب ببعض تلك المفاوز فنى ماؤه وماء أصحابه فظمؤا ظمأ شديدا حتى أيقنوا بالهلكة فاستقوا
ممن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبد
المطلب لاصحابه ماترون قالوا مارأينا الاتبع لرأيك فقال انى أرى أن يحفر كل أحد منكم حفيرة
يكون فيها الى أن يموت فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه حتى يكون آخرهم
رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أى بتركه بلا مواراة أيسر من ضيعة ركب جميعا ففعلوا ثم
ما أمرت به فحفر كل حفيرة لنفسه ثم قعدوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب لاصحابه والله
ان القاءنا بأيدينا هكذا الى الموت لعجز فلنضرب فى الارض فعسى الله أن يرزقنا فانطلقوا كل
ذلك وقومهم ينظرون اليهم ماهم فاعلون فتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت
انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب
وشرب أصحابه وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا
واستقوا فجاؤا فشربوا واستقوا ثم قالوا لعبد المطلب قد والله قضى لك علينا ياعبد
المطلب والله لانخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك
زمزم

صلى الله عليه وسلم وهب وقيل أراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بنى سليم أبكارا أرضعنه كل واحدة منهن تسمى عاتكة (وأما الفواطم)
من جداته فقيل عشر وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان منهن فاطمة أم عبد الله وفاطمة أم قصى وقيل لم يرد خصوص الامهات التى
فى عمود نسبه بل أراد الاعم حتى يشمل فاطمة أم أسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التى هى أم على بن أبى طالب رضى الله عنه
وفاطمة أمها وهؤلاء الفواطم
غير الثلاث الفواطم اللاتى قال
صلى الله عليه وسلم فيهن لعلى وقد
دفع اليه ثوب حرير اقسم هذا بين
الفواطم الثلاث فان هؤلاء
فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة
بنت أسد ومن جداته الفواطم
أم عمرو بن عائذ وفاطمة بنت عبد
الله بن رزام وأمها فاطمة بنت
الحرث وفاطمة بنت نصر بن
عوف أم أم عبد مناف والله أعلم
(والسبب) الذى دعا عبد المطلب
لاختيار بنى زهرة أنه قدم اليمن
مرة فنزل على حبر من اليهود
فقال ممن الرجل فقال من بنى
هاشم قال أتأذن لى ان أنظر بعضك
قلت نعم مالم يكن عورة ففتح احدى
منخرى فنظر فيها ثم نظر فى
الاخرى فقال أشهد ان فى احدى
يديك ملكا وفى الاخرى نبوة
وانما نجد ذلك أى كلا من الملك
والنبوة فى بنى زهرة فكيف
ذلك قلت لا أدرى قال هل لك
من شاعة أى زوجة من بنى زهرة
قلت اما اليوم فلا فقال اذا تزوجت
فتزوج منهم فتزوج عبد المطلب
هالة بنت وهيب بن عبد مناف
أم حمزة وصفية قيل وأم العباس
أيضا وقيل غير ذلك وزوج ابنه
عبد الله آمنة بنت وهب رجاء لما
أخبره به الحبر وقيل الذى دعا
عبد المطلب لاختيار آمنة من بنى
زهرة لولده عبد الله ان سودة بنت زهرة الكاهنة عمة وهب والد آمنة أمه صلى الله عليه وسلم كان من أمرها انها لما ولدت رآها
أبوها سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة أى يدفنونها حية ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة فأمر أبوها
بوأدها وأرسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لاتئد الصبية وخلها البرية فالتفت فلم ير

زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة فلما جاء
وأخذ فى الحفر وجد فيها الغزالتين من الذهب اللتين دفنتهما جرهم ووجد فيها أسيافا
وادراعا فقالت له قريش ياعبد المطلب انا معك فى هذا شرك فقال لا ولكن هلموا الى أمر
نصف بينى وبينكم والنصف بكسر النون وسكون الصاد المهملة وبفتحها النصفة
بفتحات نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولى قدحين
ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل
قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم
أعطوها لصاحب القداح الذى يضرب بها عند هبل أى وجعلوا الغزالتين قسما والاسياف
والادراع قسما آخر وقام عبد المطلب يدعو ربه بشعر مذكور فى الامتاع فضرب صاحب
القداح فخرج الاصفران على الغزالتين وخرج الاسودان على الاسياف والادراع وتخلف
قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب فى الباب الغزالتين فكان
أول ذهب حليت به الكعبة ذلك * ومن ثم جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما والله ان أول من
جعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب * وفى شفاء الغرام ان عبد المطلب علق الغزالتين فى
الكعبة فكان أول من علق المعاليق بالكعبة وسيأتى الجمع بين كونهما علقا بالكعبة وبين
جعلهما حليا لباب الكعبة وقد كان بالكعبة بعد ذلك معاليق فان عمر رضى الله تعالى عنه لما
فتحت مدائن كسرى كان مما بعث اليه منها هلالان فعلقا بالكعبة وعلق بها عبد الملك بن
مروان شمستين وقدحين من قوارير وعلق بها الوليد بن يزيد سريرا وعلق بها السفاح صحفة
خضراء وعلق بها المنصور القارورة الفرعونية وبعث المأمون ياقوتة كانت تعلق كل سنة فى
وجه الكعبة فى زمن الموسم فى سلسلة من ذهب ولما أسلم بعض الملوك فى زمنه أرسل اليها
بصنمه الذى كان يعبده وكان من ذهب متوجا ومكللا بالجواهر والياقوت الاحمر والاخضر
والزبرجد فجعل فى خزانة الكعبة ثم ان الغزالتين سرقتا وأبيعتا من قوم تجار قدموا مكة بخمر
وغيرها فاشتروا بثمنهما خمرا وقد ذكر ان أبالهب مع جماعة نفدت خمرهم فى بعض الايام وأقبلت
قافلة من الشام معها خمر فسرقوا غزالة واشتروا بها خمرا وطلبتها قريش وكان أشدهم طلبا لها
عبد الله بن جدعان فعلموا بهم فقطعوا بعضهم وهرب بعضهم وكان فيمن هرب أبو لهب هرب الى
أخواله من خزاعة فمنعوا عنه قريشا ومن ثم كان يقال لابى لهب سارق غزالة الكعبة وقد قيل
منافع الخمر المذكورة فيها انهم كانوا يتغالون فيها اذا جلبوها من النواحى لكثرة مايربحون فيها
لانه كان المشترى اذا ترك المماكسة فى شرائها عدوه فضيلة له ومكرمة فكانت أرباحهم تتكثر
بسبب ذلك وماقيل فى منافعها انها تقوى الضعيف وتهضم الطعام وتعين على الباه وتسلى
المحزون وتشجع الجبان وتصفى اللون وتنعش الحرارة الغريزية وتزيد فى الهمة والاستعلاء
فذلك كان قبل تحريمها لما حرمت سلبت جميع هذه المنافع وصارت ضررا صرفا ينشأ عنها
الصداع والرعشة فى الدنيا الشارب بها وفى الآخرة يسقى عصارة أهل النار وفى كلام بعضهم من
لازم شربها حصل له خلل فى جوهر العقل وفساد الدماغ والبخر فى الفم وضعف البصر

شيأ فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى ذلك المعنى فرجع الى أبيها وأخبره بما سمع فقال ان لها الشأنا وتركها فكانت
كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة فيكم نذيرة أو تلد نذيرا له شأن وبرهان وقيل ان الكاهن الذى فى اليمن قال له أرى نبوة وملكا
وأراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة * ولما حملت به أمه صلى الله عليه وسلم ظهر لها كثير من

خوارق العادات ارهاصا لنبوته
صلى الله عليه وسلم (منها) انها لم
تشك لحمله ثقلا وأتاها آت فى
المنام فقال لها انك حملت بسيد
هذه الامة ونبيها وتوفى أبوه وأمه
حامل به وكانت وفاته بالمدينة
وكان قد رجع ضعيفا مع قريش
لما رجعوا من تجارتهم ومروا
بالمدينة فتخلف عند بنى عدى بن
النجار وهم اخوال أبيه عبد
المطلب لان أمه منهم فأقام عندهم
مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة
سألهم عبد المطلب عنه فقالوا
خلفناه مريضا عند اخواله فبعث
عبد المطلب اليه أخاه الحرث
وقيل الزبير فوجده قد توفى
بالمدينة ودفن بها فقالت آمنة
زوجته ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم
وجاور لحدا خارجا فى الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها
وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره
تعاوره أصحابه فى التزاحم
فان تك غالته المنون وريبها
فقد كان معطاء كثير التراحم

وعن ابن عباس رضى الله عنهما
قال لما توفى عبد الله قالت الملائكة
يا الهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما
لا أب له فقال الله تعالى لهم أنا له
حافظ ونصير وفى رواية أنا وليه
وحافظه وحاميه وربه وعونه

والعصب وموت الفجاة ومميتة للقلب ومسخطة للرب ومن ثم جاء انها أى الخمرة ليست بدواء
ولكنها داء وجاء اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر أى كان مغلقا وجاء الخمر أم الفواحش وفى
رواية أم الخبائث وجاء فى الخمر لا طيب الله من تطيب بها ولا شفى الله من استشفى بها وقد قيل
لا منافاة بين كون الغزالتين علقتا فى الكعبة وسرقتا أو سرقت احداهما وبين كون عبد المطلب
جعلهما حلية الباب لانه يجوز أن يكون عبد المطلب استخلص الغزالتين أو الغزالة من التجار ثم
جعلهما حلية للباب بعد ان كان علقهما وفى الامتاع وكان الناس قبل ظهور زمزم تشرب من
آبار حفرت بمكة وأول من حفر بها بئرا قصى كما تقدم وكان الماء العذب بمكة قليلا ولما حفر عبد
المطلب زمزم بنى عليها حوضا وصار هو وولده يملآنه فيكسره قوم من قريش ليلا لاحسدا
فيصلحه نهارا حين يصبح فلما أكثروا من ذلك وجاء شخص واغتسل به غضب عبد المطلب غضبا
شديدا فأرى فى المنام ان قل اللهم انى لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل أى حلال مباح ثم
كفيتهم فقام عبد المطلب حين اختلفت قريش فى المسجد ونادى بذلك فلم يكن يفسد حوضه أحد
أو اغتسل الا رمى فى جسده بداء ثم ان عبد المطلب لما قال لولده الحرث ذدعنى أى امنع عنى حتى
أحفر ورأى انه لا قدرة له على ذلك نذر ان رزق عشرة من الولد الذكور يمنعونه ممن يتعالى عليه
ليذبحن أحدهم عند الكعبة أى وقيل ان سبب ذلك أن عدى بن نوفل بن عبد مناف أبا المطعم
قال له يا عبد المطلب تستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك أى متعدد بل لك ولد واحد ولا مال لك وما
أنت الا واحد من قومك فقال له عبد المطلب أتقول هذا وانما كان نوفل أبوك فى حجر هاشم أى
لان هاشما كان خلف على أم نوفل وهو صغير فقال له عدى وأنت أيضا قد كنت فى يثرب عند غير
أبيك كنت عند أخوالك من بنى النجار حتى ردك عمك المطلب فقال له عبد المطلب أو بالقلة
تعيرنى فلله على النذر لئن آتانى الله عشرة من الاولاد لانحرن أحدهم عند الكعبة وفى
لفظ ان أجعل أحدهم لله نحيرة قيل ان عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا ان سهل الله حفر زمزم
ذمن معاوية رضى الله عنه ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر بها أن ينحر
بعض ولده فلما صاروا عشرة أى وحفر زمزم أمر فى النوم بالوفاء بنذره أى قيل له قرب أحد
أولادك أى بعد ان نسى ذلك وقد قيل له قبل ذلك أوف بنذرك فذبح كبشا وأطعمه لفقرائهم
قيل له فى النوم قرب ما هو أكبر من ذلك فذبح ثورا ثم قيل له فى النوم قرب ما هو أكبر من ذلك
فذبح جملا ثم قيل له فى النوم قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما هو أكبر من ذلك فقيل له قرب
أحد أولادك الذى نذرت ذبحه فضرب القداح على أولاده بعد ان جمعهم وأخبرهم بنذره
ودعاهم الى الوفاء وأطاعوه ويقال ان أول من أطاعه عبد الله وكتب اسم كل واحد على قدح
ودفعت تلك القداح للسادن والقائم بخدمة هبل وضرب تلك القداح فخرجت على عبد الله أى
وكان أصغر ولده وأحبهم اليه مع ما تقدم من أوصافه فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم
أقبل به على أساف ونائلة وأتلاه على الارض ووضع رجله على عنقه فجذب العباس عبد الله من
تحت رجل أبيه حتى أثر فى وجهه شجة لم تزل فى وجه عبد الله الى أن مات كذا قيل وفيه أن
العباس لما ولد صلى الله عليه وسلم كان عمره ثلاث سنين ونحوها فمنه رضى الله عنه اذ كرمولد

ورازقه وكافيه فصلوا عليه وتبركوا باسمه وقيل لجعفر الصادق رضى الله عنه لم يتم النبى رسول
صلى الله عليه وسلم أى ما حكمة ذلك قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق والمراد الحقوق الثابتة بعد البلوغ لان أمه ماتت وعمره ست سنين
وليعلم ان العز بزمن أعزه الله وان قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى وأيضا ليرحم الفقير واليتيم

ولما دنت ولادتها أتاها آت فى المنام فقال لها قولى اذا ولدتيه أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وفى السيرة الحلبية عن
ابن عباس رضى الله عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة التى حمل فيها
وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا ومثل

هذا الابقال من قبل الرأى اهـ
ومن علامات حمل آمنة به صلى الله
عليه وسلم انتقال النور الذى كان
فى عبد الله اليها وعن كعب
الاحبار أن فى صبيحة تلك الليلة
أصبحت أصنام الدنيا منكوسة
ووقع ذلك أيضا عند ولادته صلى الله
عليه وسلم وروى الحاكم باسناد صحيح
أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا له يا رسول الله أخبرنا عن
نفسك فقال أنا دعوة أبى ابراهيم
وبشرى أخى عيسى ورأت أمى
حين حملت بى كأنه خرج منها
نور أضاءت له قصور بصرى من
أرض الشام وصح أيضا أنها رأت
ذلك عند الولادة قيل ان الذى عند
الحمل كان مناما والذى عند
الولادة كان يقظة وكانت تلك
السنة التى حمل فيها برسول الله
صلى الله عليه وسلم سنة الفتح
والابتهاج فان قريشا كانت قبل
ذلك فى جدب وضيق عيش عظيم
فاخضرت الارض وحملت الاشجار
وأتاهم الرغد والمطر من كل جانب
فى تلك السنة وأذن الله تلك السنة
لنساء الدنيا ان يحملن ذكورا
كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
* وولد صلى الله عليه وسلم مختونا
أى على صورة المختون مكحولا
نظيفا ما به قذر ولبعضهم

وفى الرسل مختون لعمرك خلقة
ثمان وتسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها فجىء به حتى نظرت اليه وجعلت
النسوة يقلن لى قبل أخاك فقبلته وقيل منعه أخواله بنو مخزوم وقالوا له والله ما أحسنت عشرة
أمه وقالوا له أرض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة وفى رواية وأعظمت قريش ذلك أى
وقامت سادة قريش من أنديتها اليه ومنعوه من ذلك وقالوا له والله لا تفعل حتى تستفتى فيه
فلانة الكاهنة أى لعلك تعذر فيه الى ربك لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه
أى و يكون سنة ولعل المراد اذا وقع له مثل ما وقع لك من النذر وقال له بعض عظماء قريش
لا تفعل ان كان فداؤه بأموالنا فديناه وتلك الكاهنة قيل اسمها قطبة وقيل غير ذلك كانت
بخيبر فأتاها فسألها فان أمرتك بذبحه ذبحته وان أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته فأتاها أى
مع بعض قومه وفيهم جماعة من أخوال عبد الله بن مخزوم فسألها وقص عليها القصة فقالت
ارجعوا عنى اليوم حتى يأتى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى
الخبر كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت تخرج عشرة من الابل وتقدح وكلما وقعت عليه
يزاد الابل حتى تخرج القداح عليها فضرب على عشرة فخرجت عليه فلا زال يزيد عشرة عشرة
حتى بلغت مائة فخرجت القداح عليها فقالت قريش ومن حضره قد انتهى رضا ربك فقال عبد
المطلب لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات أى ففعل ذلك وذبح الابل عند الكعبة لا يصد عنها
احد أى من آدمى ووحش وطير قال الزهرى فكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة
من الابل أى بعد ان كانت عشرة كما تقدم وقيل أول من سن ذلك أبو يسار العدوانى وقيل عامر
ابن الظرب فجرت فى قريش اى وعلى ذلك فأولية عبد المطلب اضافية ثم فشت فى العرب وأقرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من ودى بالابل من العرب زيد بن بكر من هوازن قتله أخوه
أى وأما ما قيل ان القدح بعد المائة خرج على عبد الله أيضا ولا زال يخرج عليه حتى جعلوا الابل
ثلثمائة فخرج على الابل فنحرها عبد المطلب فضعيف جدا وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما سألته امرأة انها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فأمرها بذبح مائة من
الابل أخذا من هذه القصة ثم سألت عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن ذلك فلم يفتها بشىء
فبلغ مروان بن الحكم وكان أميرا على المدينة فأمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير بدل ذبح
ولدها وقال ان ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم لم يصيبا الفتيا ولا يخفى ان هذا نذر باطل عندنا
معاشر الشافعية فلا يلزمه به شىء وعند أبى حنيفة ومحمد يلزمه ذبح شاة فى أيام النحر فى الحرم
أخذا من قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال القاضى البيضاوى وليس فيه ما يدل
عليه وفى الكشاف أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين أى عبد الله واسمعيل وعن بعضهم
قال كنا عند معاوية رضى الله تعالى عنه فتذاكر القوم الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق فقال
معاوية على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه أعرابى أى يشكو جدب
أرضه فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة هلك المال وضاع العيال فعد على مما أفاء الله عليك
يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقال القوم من الذبيحان يا أمير
المؤمنين قال عبد الله واسمعيل قال الحافظ السيوطى هذا حديث غريب وفى اسناده من

وحنظلة عيسى وموسى وآدم * ونوح شعيب سام لوط وصالح سليمان يحيى هود يس خاتم وقيل ختنه جده وقد يجمع بأنه تمم
ختانه جريا على المعتاد * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة اصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها وفى رواية
عن أمه أنها قالت فلما خرج من بطنى نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل وفى رواية شاخصا ببصره الى

السماء وفى رواية أنه قبض قبضة من تراب فبلغ ذلك رجلا من بنى لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الغلام ليغلبن هذا المولود أهل الارض أى لانه قبض عليها وصارت فى يده * وروى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت امى حين وضعتنى أنه سطع منها نور أضاء له قصور بصرى وفى رواية أنها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له مابين المشرق والمغرب فأضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت أعناق الابل ببصرى ولذلك قال عمه العباس رضى الله عنه فى قصيدة مدحه بها لما رجع من تبوك

وأنت لما ولدت أشرقت الـ
أرض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ
نور وسبل الرشاد نستبق

(وقال البوصيرى فى الهمزية)

وتراءت قصور قيصر بالرو
م يراها من داره البطحاء

(قال فى المواهب) وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجىء به من النور الذى اهتدى به أهل الارض وزالت به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم (روى) السهيلى أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربى الرفيع وروى أيضا أنه قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وعن عثمان بن أبى العاص عن أمه رضى الله عنها أنها قالت شهدت ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فلم أنظر من البيت الا نورا وانى لانظر الى النجوم تدنو حتى انى لاقول ليقعن على وقولها ليلا أى قرب الفجر جمعا بين الروايات * قال بعض المفسرين ان الله أقسم بالليلة التى ولد فيها فى قوله تعالى والضحى والليل وقيل المراد ليلة الاسراء * وعن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنها قالت لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فسمعت قائلا يقول رحمك الله والى ذلك يشير قول البوصيرى فى الهمزية

شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقوله الشفاء

قال بعضهم لعله عطس فحمد الله فشمتته الملائكة ويدل لهذا الحديث الذى

لا يعرف حاله قال بعضهم لما أحب ابراهيم ولده اسمعيل بطبع البشرية أى لاسيما وهو بكره ووحيده اذ ذاك وقد أجرى الله العادة البشرية أن بكر الاولاد أحب الى الوالد أى وخصوصا اذا كان لا ولد له غيره أمره الله بذبحه ليخلص سره من حب غيره بأبلغ الاسباب الذى هو الذبح للولد فلما امتثل وخلص سره له ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم لان مقام الخلة يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة فلما خلصت الخلة من شائبة المشاركة لم يبق فى الذبح مصلحة فنسخ الامر وفدى هذا وجاء مما يدل على أن الذبيح اسحق حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى النسب أشرف وفى رواية من أكرم الناس فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله عليهم السلام كذا روى قال بعضهم والثابت يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وما زاد على ذلك من الراوى * وما ذكر أن يعقوب لما بلغه أن ولده بنيامين أخذ بسبب السرقة كتب الى العزيز وهو يومئذ ولده يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدى فربطت يداه ورجلاه ورمى به فى النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبى فوضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وانك حبسته وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام لم يثبت ففى كلام القاضى البيضاوى وما روى أن يعقوب كتب ليوسف من يعقوب بن اسحق ذبيح الله لم يثبت أى ولعله لم يثبت أيضا ما فى أنس الجليل أن موسى لما أراد مفارقة شعيب وذهابه الى وطنه بمملكة فرعون بسط شعيب يديه وقال يارب ابراهيم الخليل واسمعيل الصفى واسحق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد على قوتى وبصرى فأمن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته وذكر أن يعقوب رأى ملك الموت فى منامه فقال له هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حى وعلمه ما يدعو به وهو ياذا المعروف الدائم الذى لا ينقطع معروفه أبدا ولا يحصيه غيره فرج عنى * وذكر ان سبب ذبح اسحق أى على القول بأنه الذبيح أن الخليل قال لسارة ان جاءنى منك ولد فهو لله ذبيح فجاءت سارة باسحق وكان بينه وبين ولادة هاجر لاسمعيل ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة واسحق اسمه بالعبرانية الضحاك وجاء فى حديث راويه ضعيف الذبيح اسحق وان داود سأل ربه فقال أى ربى اجعلنى مثل آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب فأوحى الله اليه انى ابتليت ابراهيم بالنار فصبر وابتليت اسحق بالذبح فصبر وابتليت يعقوب أى بفقد ولده يوسف فصبر الحديث * وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا قال بشر به نبيا حين فداه الله تعالى من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده أى لما صبر الاب على ما أمر به وسلم الولد لامر الله تعالى جعلت المجازاة على ذلك باعطاء النبوة قال الحافظ السيوطى وجزم بهذا القول عياض فى الشفاء والبيهقى فى التعريف والاعلام وكنت ملت اليه فى علم التفسير وأنا الآن متوقف عن ذلك أى كون اسحق هو الذبيح هذا كلامه وقد تنبأ كل من اسمعيل واسحق ويعقوب فى حياة

ابراهيم

فيه انه قال حين خروجه الحمد لله كثيرا * وعن آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها أنها قالت لما اخذنى ما يأخذ النساء أى عند الولادة رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بى ما رأيت أضوأ منهن وجوها وكأن واحدة من النساء تقدمت الى فاستندت اليها وأخذنى المخاض واشتد على الطلق وكأن واحدة منهن تقدمت الى وناولتنى شربة من الماء أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من الشهد فقالت لى اشربى فشربت ثم قالت الثانية ازدادى فازددت ثم مسحت بيدها على بطنى وقالت بسم الله اخرج باذن الله فقلن لى أى تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين قال بعضهم لعل ذلك كان قبل وجود الشفاء وأم عثمان عندها ولعل الحكمة فى شهود مريم وآسية كونهما تصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم فى الجنة مع كلثم أخت موسى عليه السلام وقد حمى الله هؤلاء النسوة أن يطأهن أحد فقد روى أن آسية لما زفت الى فرعون أخذه الله عنها وكان هذا حاله معها وقد رضى عنها بالنظر اليها * قالت أمه صلى الله عليه وسلم ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة * ولما ولد صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين لان عادتهم اذا ولد لهم مولود فى الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد صلى الله عليه وسلم وضعوه فى رواية تحت برمة ضخمة فلما أصبحوا أتوا البرمة فاذا هى قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء وهو يمص ابهامه يشخب أى يسيل لبنا * ولما ولد صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها فقالت له يا أبا الحرث ولد لك مولود له أمر عجيب فذعر عبد المطلب وقال أليس بشرا سويا فقالت بلى ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه وأصبعيه الى السماء فأخرجته له ونظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ودعا الله تعالى ثم خرج فدفعه اليها وعن عكرمة أن ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال لجنوده قد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا

ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فبعث الله اسمعيل لجرهم واسحق الى أرض الشام ويعقوب الى أرض كنعان ولا ينافى ذلك أى كون اسحق هو الذبيح تبسمه صلى الله عليه وسلم من قول القائل له يا ابن الذبيحين ولم ينكر عليه لان العرب كما تقدم تسمى العم أبا * وفى الهدى اسمعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأما القول بأنه اسحق فمردود بأكثر من عشرين وجها ونقل عن الامام ابن تيمية ان هذا القول متلقى من أهل الكتاب مع انه باطل بنص كتابهم الذى هو التوراة فان فيه ان الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره وفى لفظ وحيده وقد حرفوا ذلك فى التوراة التى بأيديهم اذبح ابنك اسحق أى ومن ثم ذكر المعافى بن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سأل رجلا أسلم من علماء اليهود أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود يعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون أباكم للفضل الذى ذكره الله تعالى عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق أبوهم ولى رسالة فى ذلك سميتها القول المليح فى تعيين الذبيح رجحت فيها القول بأن الذبيح اسمعيل جوابا عن سؤال رفعه الى بعض الفضلاء وعلى أن الذبيح اسمعيل فمحل الذبح بمنى وعلى أنه اسحق فمحله معروف بالارض المقدسة على ميلين من بيت المقدس وفى كلام ابن القيم تأييد كون الذبيح اسمعيل لا اسحق ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة واستشكل كون أولاد عبد المطلب عند ارادة ذبح عبد الله كانوا عشرة بأن حمزة ثم العباس انما ولدا بعد ذلك وانما كانوا عشرة بهما وحينئذ يشكل قول بعضهم فلما تكامل بنوه عشرة وهم الحرث والزبير وجحل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله هذا كلامه وأجيب عن الاول بأنه يجوز أن يكون له حينئذ أى عند ارادة الذبح ولد ولد أى فقد ذكر ان لولده الحرث ولدين أبو سفيان ونوفل وولد الولد يقال له ولد حقيقة هذا وذكر بعضهم ان أعمامه صلى الله عليه وسلم كانوا اثنى عشر بل قيل ثلاثة عشر وان عبد الله ثالث عشرهم وعليه فلا اشكال ولا يشكل كون حمزة أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة وكلاهما أصغر من عبد الله على ما تقدم من أن عبد الله كان أصغر بنى أبيه وقت الذبح لانه يجوز أن يكون المراد انه كان أصغرهم حين أراد ذبحه أى لا بقيد كونهم عشرة أو بذلك القيد ولا ينافيه كونه ثالث عشرهم لان المراد به واحد من الثلاثة عشر وكان عبد الله كما تقدم أحسن فتى يرى فى قريش وأجملهم وكان نور النبى صلى الله عليه وسلم يرى فى وجهه كالكوكب الدرى أى المضىء المنسوب الى الدر حتى شغفت به نساء قريش ولقى منهن عناء ولينظر ما هذا العناء الذى لقيه منهن * قيل انه لما تزوج آمنة لم تبق امرأة من قريش من بنى مخزوم وعبد شمس وعبد مناف الا مرضت أى أسفا على عدم تزوجها به فخرج مع أبيه ليزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بضم الزاى واسكان الهاء وأما الزهرة التى هى النجم فبضم الزاى وفتح الهاء والزهرة فى الاصل هى البياض أى وأم وهب اسمها قيلة بنت أبى كبشة أى وكان عمر عبد الله حينئذ نحو ثمان عشرة سنة فمر على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى أى يقال لها قتيلة وقيل رقية وهى أخت ورقة بن نوفل وهى عند الكعبة وكانت تسمع من أخيها ورقة انه كائن فى هذه الامة

فقال له جنوده لو ذهبت اليه فحملته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل فركضه برجله ركضة وقع بعدن * وعن
ابن عباس رضى الله عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها يأتون باخبارها ما سمع فى الارض فيلقونها
على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام ٤٢ حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن أربع سموات * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم حجبوا عن الكل وحرست السماء بالشهب فما يريد أحد منهم استراق السمع الا رمى بشهاب وازداد ذلك عند المبعث * وقد أخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فمن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال انى لغلام يفعة أى غلام مرتفع ابن سبع أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودى بيثرب يصرخ ذات غداة على أطمة أى محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وأنا أسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة أى الذى طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة فى بعض الكتب القديمة * وعن كعب الاحبار قال رأيت فى التوراة ان الله تعالى أخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أى من بطن أمه وموسى أخبر قومه ان الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بنى اسرائيل وعن عائشة رضى الله عنها ترويه عمن كان موجودا وقت ولادته صلى الله عليه وسلم قالت كان يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال
القوم والله ما نعلمه فقال احفظوا ما أقول لكم ولد هذه الليلة نبى هذه الامة الاخيرة وهو منكم معاشر قريش على كتفه شامة فيها شعرات متواترات أى متتابعات كأنهن عرف فرس أى وتلك العلامة هى خاتم النبوة أى علامتها والدليل عليها لا يرضع ليلتين وذلك فى الكتب القديمة من دلائل نبوته وعند قول اليهودى ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله

نبى أى وان من دلائله أن يكون نور فى وجه أبيه أو انها ألهمت ذلك فقالت لعبد الله أى وقد رأت نور النبوة فى غرته ٥ أين تذهب يا عبد الله قال مع أبى قالت لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن قال أنا مع أبى ولا أستطيع خلافه ولا فراقه وأنشد

أما الحرام فالممات دونه * والحل لاحل فأستبينه

يحمى الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذى تبغينه

قال ومن شعر عبد الله والده صلى الله عليه وسلم كما فى تذكرة الصلاح الصفدى

لقد حكم البادون فى كل بلدة * بأن لنا فضلا على سادة الارض

وأن أبى ذو المجد والسودد الذى * يشار به ما بين نشز الى خفض

أى ارتفاع وانخفاض (وعن أبى يزيد المدينى) ان عبد المطلب لما خرج بابنه عبد الله ليزوجه فمر به على امرأة كاهنة من أهل تبالة بضم التاء المثناة فوق بلدة باليمن قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فقالت له يا فتى هل لك أن تقع على الآن وأعطيك مائة من الابل فقال عبد الله ما تقدم اه (أقول) قال الكلبى كانت أى تلك الكاهنة من أجمل النساء وأعفهن فدعته الى نكاحها فأبى ولا منافاة لانه جاز أن تكون أرادت بقولها وقع على الآن أى بعد النكاح وفهم عبد الله أنها تريد الامر من غير سبق نكاح فانشد الشعر المتقدم الدال على طهارته وعفته وهذا بناء على اتحاد الواقعة وان المرأة فى هاتين الواقعتين واحدة وانه اختلف فى اسمها وانه مر على تلك المرأة فى ذهابه مع أبيه ليزوجه آمنة ويدل لذلك قوله فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت وظاهر سياق المواهب يقتضى أنهما قضيتان وأن الاولى عند انصرافه مع أبيه ليزوجه آمنة وقوله قد قرأت الكتب أى جاز أنها رأت فى تلك الكتب أن النبى صلى الله عليه وسلم المنتظر يكون نور راقى وجه أبيه وأنه يكون من أولاد عبد المطلب أو أنها ألهمت ذلك فطمعت ان يكون ذلك النبى منها ويؤيد الثانى ما سيأتى عنها والله أعلم * فأتى عبد المطلب عم آمنة وهو وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا وكانت فى حجره لموت أبيها وهب بن عبد مناف وقيل أتى عبد المطلب الى وهب بن عبد مناف فزوجه ابنته آمنة وقدم هذا فى الاستيعاب فزوجها لعبد الله وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين أملك عليها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها (قيل) وقع عليها يوم الاثنين فى شعب أبى طالب عند الجمرة الوسطى (أقول) فيه انه سيأتى فى فتح مكة نزل بالحجون بفتح الحاء المهملة عند شعب أبى طالب المكان الذى حصرت فيه بنو هاشم وبنو المطلب ويمكن أن يقال ذلك الشعب الذى كان فى الحجون كان محلا لسكن أبى طالب فى غير أيام منى وهذا الشعب الذى عند الجمرة الوسطى كان ينزل فيه أبو طالب أيام منى فلا مخالفة والله أعلم * ثم أقام عندها ثلاثة أيام وكانت تلك السنة عندهم اذا دخل الرجل على امرأته أى عند أهلها أى فهى وأهلها كانوا بشعب أبى طالب ثم خرج من عندها فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين على اليوم ما عرضت بالامس فقالت له فارقك النور الذى كان معك بالامس فليس

فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاؤا
لليهودى فأخبروه الخبر أى قالوا له أعلمت ولد فينا مولود فقال اذهبوا معى حتى أنظر اليه فخرجوا حتى أدخلوه على أمه فقالوا اخرجى
الينا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه ٤٣ فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال والله ذهبت النبوة
من بنى اسرائيل أفرحتم به يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب * وعن الواقدى أنه كان بمكة يهودى يقال له يوسف لما كان اليوم أى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلم به أحد من قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبى هذه الامة هذه الليلة فى بحرتكم أى ناحيتكم هذه وجعل يطوف فى أنديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فقال هو نبى والتوراة وكان بمر الظهران راهب من أهل الشام يدعى عيص وكان قد آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول يوشك أى يقرب أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب أى تذل وتخضع ويملك العجم أى أرضها وبلادها هذا زمانه فمن أدركه أى أدرك بعثته واتبعه أصاب حاجته أى ما يؤمله من الخير ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته فكان لا يولد مولود بمكة الا ويسئل عنه فيقول ما جاء بعد أى الآن فلما كان صبيحة اليوم أى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف على أصل صومعته فناداه فقال من هذا
فقال أنا عبد المطلب فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم به وان نجمه طلع البارحة وعلامة ذلك أيضا أنه وجع
فيشتكى أى لا يرضع ثلاثا ثم يعافى فاحفظ لسانك لا تذكر ما قلته لك لاحد من قومك فانه لم يحسد أحد حسده ولم يبغ على أحد كما يبغى
عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت فى وتر دونها وذلك جل أعمار أمته * وتنكست الاصنام عند ولادته صلى الله

لى اليوم بك حاجة * قال وفى رواية أنه لما مر عليها بعد أن وقع على آمنة قال لها مالك لا تعرضين على ما عرضت بالامس قالت من أنت قال أنا فلان قالت له ما أنت هو لقد رأيت بين عينيك نورا ما أراه الآن ما صنعت بعدى فأخبرها فقالت والله ما أنا بصاحبة ريبة ولكن رأيت فى وجهك نورا فأردت أن يكون فى وأبى الله الا أن يجعله حيث أراد اذهب فأخبرها أنها حملت بخير أهل الارض اه (أقول) وفى رواية ان المرأة التى عرضت نفسها عليه هى ليلة العدوية وأن عبد الله كان فى بناء له وعليه الطين والغبار وانه قال حتى أغسل ما على وأرجع اليك وأنه رجع اليها بعد أن وقع على آمنة وانتقل منه النور اليها وقال لها هل لك فيما قلت قالت لا قال ولم قالت لقد دخلت بنور وما خرجت به * أى وفى سيرة ابن هشام مررت بى وبين عينيك غرة فدعوتك فأبيت ودخلت على آمنة فذهبت بها ولئن كنت أى وحيث كنت ألممت بآمنة لتلدن ملكا ولا يخفى ان تعدد الواقعة ممكن وان هذا السياق يدل على ان هذه المرأة كان عندها علم بان عبد الله تزوج آمنة وأنه يريد الدخول بها وانها علمت أنه كائن نبى يكون له الملك والسلطان وغير خاف ان عرض عبد الله نفسه على المرأة لم يكن لريبة بل ليستبين الامر الذى دعاها الى بذل القدر الكثير من الابل فى مقابلة هذا الشئ على خلاف عادة النساء مع الرجال ولا يخالف ذلك بل يؤكده ما فى الوفاء من قوله ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فأقبل اليها الحديث والله أعلم * وعن الكلبى * أنه قال كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم أى من قبل أمه وأبيه فما وجدت فيهن سفاحا والمراد بالسفاح الزنا أى فان المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان أراد ٥ ولا شيأ مما كان من أمر الجاهلية أى من نكاح الام أى زوجة الاب لانه كان فى الجاهلية يباح اذا مات الرجل أن يخلفه على زوجته أكبر أولاده من غيرها وفى كلام بعضهم كان أقبح ما يصنعه أهل الجاهلية الجمع بين الاختين وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة الاب ويسمونه الضيزن والضيزن الذى يزاحم أباه فى امرأته ويقال له نكاح المقت وهو المعقد على الرابة وهى امرأة الاب والراب زوج الام * وما قيل ان هذا أى نكاح امرأة الاب وقع فى نسبه صلى الله عليه وسلم لان خزيمة أحد آبائه صلى الله عليه وسلم لما مات خلف على زوجته أكبر أولاده وهو كنانة فجاء منها بالنضر فهو قول ساقط غلط لان الذى خلف عليها كنانة بعد موت أبيه ماتت ولم تلد منه ومنشأ الغلط أنه تزوج بعدها بنت أخيها وكان اسمهما موافقا لاسمها فجاء منها بالنضر وبهذا يعلم ان قول الامام السهيلى نكاح زوجة الأب كان مباحا فى الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات التى انتهكوها ولا من العظائم التى ابتدعوها لانه أمر كان فى عمود نسبه صلى الله عليه وسلم فكنانة تزوج امرأة أبيه خزيمة وهى برة بنت مرة فولدت له النضر بن كنانة وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه واقدة فولدت له ضعيفة ولكن هذا خارج من عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها أى واقدة لم تلد جدا له صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا من نكاح لا من سفاح ولذلك قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أى الا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء أن لا يعاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم أنه لم يكن فى أجداده

عليه وسلم وتقدم أنها انتكست أيضا عند الحمل وعن عبد المطلب قال كنت في الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من أماكنها وخرت سجدا وسمعت من جدار الكعبة قائلا يقول ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الاصنام ويأمر بعبادة الملك العلام * وفي السيرة الحلبية أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان هذا الامر حدث ثم أنشد بعضهم أبياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من أمره ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير أي مرتفع يقول

تردى لمولود أنارت بنوره * جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

قال في الهمزية

وتوالت بشرى الهواتف أن قد * ولد المصطفى وحق الهناء

وتزلزلت الكعبة واضطربت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وارتجس أي اضطرب وانشق ايوان كسرى أنوشروان وكان مبنيا بناء في غاية الاحكام بحيث لا تعمل فيه الفؤس وسمع لشقه صوت هائل وسقط منه أربع عشرة شرافة وليس ذلك لخلل في بنائه وانما أراد الله أن يكون ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الارض (يروى) أن الرشيد أراد هدم الايوان فقال له وزيره يحيى بن خالد البرمكي يا أمير المؤمنين لا تهدم بناء هو آية الاسلام وخمدت نار فارس أي معابدها أي وكتب صاحب فارس لكسرى ان بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوة بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شيء من الماء مع شدة اتساعها أي وكتب لكسرى عامله بذلك أيضا والى ذلك يشير البوصيري في الهمزية بقوله

وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ما تداعى البناء

صلى الله عليه وسلم من كان من بغية ولا من سفاح ألا ترى أنه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن أي عالم يبح لهم الا ما قد سلف نحو قوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولم يقل الا ما قد سلف ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ولم يقل الا ما قد سلف ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها الا في هذه وفي الجمع بين الاختين لان الجمع بين الاختين قد كان مباحا أيضا في شرع من كان قبلنا وقد جمع يعقوب عليه السلام بين راحيل وأختها ليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى هذا كلامه فلا التفات اليه ولا معول عليه على أن قوله ان يعقوب جمع بين الاختين ينازعه قول القاضي البيضاوي ان يعقوب عليه السلام انما تزوج ليا بعد موت أختها راحيل (وفي أسباب النزول) للواحدي ان في البخاري عن اسباط قال المفسرون كان أهل المدينة في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها فألقى ثوبه على تلك المرأة وصار أحق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء أن يتزوجها تزوجها من غير صداق الا الصداق الذي أصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيأ وان شاء عضلها وضارها لتفتدي منه فمات بعض الانصار فجاء ولده من غيرها وطرح ثوبه عليها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدي منه فأتت تلك المرأة وشكت حالها للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى الآية ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية (وقيل) توفي أبو قيس فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت اني أعدك ولدا ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره فأتته فأخبرته فأنزل الله تعالى الآية * وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال لقيت خالي يعني أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه ومعه الراية فقلت أين تريد قال أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة أبيه أن أضرب عنقه زاد في رواية أحمد وآخذ ماله (وذكر بعضهم) أن في الجاهلية كان اذا أراد الشخص أن يتزوج يقول خطب ويقول أهل الزوجة نكح ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول * ومن نكاح الجاهلية الجمع بين الاختين فانه كان مباحا عندهم أي مع استقباحهم له كما تقدم (وذكر بعضهم) أن قبل نزول التوراة كان يجوز الجمع بين الاختين أي ثم حرم ذلك بنزولها قال وقد افتخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجداته أي تحدث بنعمة ربه قاصدا به التنبيه على شرف هؤلاء النسوة وفضلهن على غيرهن فقال أنا ابن العواتك والفواطم * فعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرى فرسه مع أبي أيوب الانصاري فسبقته فرس المصطفى فقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعني فرسه * وقال صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته أي في غزوة حنين وفي غزوة أحد أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك (وجاء) أنا ابن العواتك من سليم والعاتكة في الاصل المتلطخة بالطيب أو الطاهرة وعن بعض الطالبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في يوم أحد أنا ابن الفواطم أي ولا ينافيه ما سبق أنه قال في ذلك اليوم أنا ابن العواتك لانه يجوز أن يكون قال كلا من الكلمتين في ذلك اليوم (واختلف) الناس في عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل وقد نقل الحافظ ابن عساكر أن العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم أربع عشرة وقيل احدى عشرة أي وأولهن أم لؤي بن غالب واللواتي من بني سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف

وعاتكة

وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كا * ن لنيرانهم بها اطفاء

ورأى الموبذان وهو القاضي الكبير وقيل خادم النيران الكبير ورئيس الاحكام في منامه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها وكان كسرى قد رأى ما هاله وأفزعه من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فلما أصبح تصبر ولم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى انه لا يدخر هذا الامر عن مرازبته أي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا قال تدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا الا أن يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران وكتاب من صاحب ايليا يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان وادي سماوة انقطع تلك الليلة وكتاب صاحب طبرية ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم أخبرهم بما رأى وما هاله من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فقال الموبذان فأنا أصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الليل فقال أي شيء هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الي رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال ألك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليسألني الملك عما أحب فان كان عندي علم منه أعلمته والا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام أي أعاليها وهي الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد أشفى على الضريح أي الموت وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة وكان جسدا ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا

وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال أم هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال أم أبي أمه وهب أي وقيل أراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بني سليم أبكارا أرضعنه كما سيأتي في قصة الرضاع وكل واحدة منهن تسمى عاتكة (قال) وعن سعد أن الفواطم من جداته عشرة اهـ (أقول) وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان ولم أقف على من اسمه فاطمة من جداته من جهة أبيه الا على اثنتين فاطمة أم عبد الله وفاطمة أم قصي الا ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يرد الامهات التي في عمود نسبه صلى الله عليه وسلم بل أراد الاعم حتى يشمل فاطمة أم أسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التي هي أم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة أمها وهؤلاء الفواطم غير الثلاثة الفواطم اللاتي قال صلى الله عليه وسلم فيهن لعلي وقد دفع اليه ثوبا حريرا وقال له اقسم هذا بين الفواطم الثلاثة فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت أسد ثم رأيت بعضهم عد فيهن أم عمرو بن عائذ وفاطمة بنت عبد الله بن رزام وأمها فاطمة بنت الحرث وفاطمة بنت نصر بن عوف أم أم عبد مناف والله أعلم (وعن عائشة) وابن عباس رضي الله تعالى عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت من نكاح غير سفاح أي زنا فقد تقدم أن المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان أراد فكانت العرب تستحل الزنا الا أن الشريف منهم كان يتورع عنه علانية والا بعض أفراد منهم حرمه على نفسه في الجاهلية * أي وفي حديث غريب خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام * قال وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة اهـ (أقول) والبغايا كن في الجاهلية ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما لمن أرادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون به شبهه فالتاط أي تعلق والتصق به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك والله أعلم * قال وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وقال أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما كنكاح الاسلام أي يخطب الرجل الى الرجل موليته فيصدقها ثم يعقد عليها اهـ (وعن الامام السبكي) الانكحة التي في نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى آدم كلها مستجمعة شروط الصحة كأنكحة الاسلام ولم يقع في نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى آدم الا نكاح صحيح مستجمع لشرائط الصحة كنكاح الاسلام الموجود اليوم قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والآخرة (وقال بعضهم) وهذا من أعظم العناية به صلى الله عليه وسلم أن أجرى الله سبحانه وتعالى نكاح آبائه من آدم الى ان أخرجه من بين أبويه على نمط واحد وفق شريعته صلى الله عليه وسلم ولم يكن كما كان يقع في الجاهلية اذا أراد الرجل أن يتزوج قال خطب وتقول أهل الزوجة نكح كما تقدم ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول والمراد بنكاح الاسلام ما يفيد الحل حتى يشمل التسري بناء على ان أم

غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وفى كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى رأسه وفى لفظ لم يكن له
عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان وكان لسطيح سرير اذا أريد نقله من مكان الى مكان يطوى من رجليه الى
ترقوته كما يطوى الثوب ويوضع على السرير ٤٦ فيذهب به الى حيث يشاء واذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك سقاء

اسمعيل كانت مملوكة لابراهيم حين حملت باسمعيل ولم يعتقها ولم يعقد عليها قبل ذلك (وعن
عائشة) رضى الله تعالى عنها كما فى البخارى أن النكاح فى الجاهلية كان على أربعة انحاء نكاح
كنكاح الناس اليوم أى بايجاب وقبول شرعيين دون أن يقول الزوج خطب ويقول أهل
الزوجة نكح وحينئذ يزيد على ذلك النكاح الذى كان يقال فيه ذلك ونكاح البغايا ونكاح
الاستبضاع ونكاح الجمع أى ومن أنكحة الجاهلية نكاح زوجة الاب الاكبر أولاده والجمع بين
الاختين على ما تقدم وحينئذ يكون المراد ليس فى نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح زوجة
الاب خلافا لما تقدم عن السهيلى ولا الجمع بين الاختين ولا نكاح البغايا وهو أن يطأ البغى جماعة
متفرقين واحدا بعد واحد فاذا حملت وولدت ألحق الولد بمن غلب عليه شبهه منهم ولا
الاستبضاع وذلك أن المرأة كانت فى الجاهلية اذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها ارسلى
الى فلان استبضعى منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل
الذى تستبضع منه فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا أحب وليس فيه نكاح الجمع وهو أن
تجتمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلهم يطؤها فاذا
حملت ووضعت ومر عليها الليالى بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل أن يمتنع حتى
يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يافلان تسمى من
أحبت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل ان لم يغلب شبهه عليه فنكاح البغايا
قسمان وحينئذ يحتمل أن يكون أم عمرو بن العاص رضى الله عنه من القسم الثانى من نكاح
البغايا فانه يقال انه وطئها أربعة وهم العاص وأبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب
وادعى كلهم عمرا فألحقته بالعاص وقيل لها لم اخترت العاص قالت لانه كان ينفق على بناتى
ويحتمل أن يكون من القسم الاول ويدل عليه ماقيل انه ألحق بالعاص لغلبة شبهه عليه وكان
عمرو يعير بذلك عيره بذلك على وعثمان والحسن وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضى
الله تعالى عنهم وسيأتى ذلك فى قصة قتل عثمان عند الكلام على بناء مسجد المدينة (قال) وجاء
أنه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات أى وفى
رواية لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة وروى البخارى بعثت
من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت فى القرن الذى كنت فيه اهـ وقد تقدم فى قوله
تعالى وتقلبك فى الساجدين قيل من ساجد الى ساجد وتقدم مافيه ومن جملته قول أبى حيان
ان ذلك استدل به بعض الرافضة على ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين أى متمسكين
بشرائع أنبيائهم ثم رأيت الحافظ السيوطى قال الذى تلخص من أجداده صلى الله عليه وسلم
من آدم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم أى فى الاحاديث وأقوال السلف وبقى بين مرة وعبد
المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل وعبد المطلب سيأتى الكلام فيه وتذكر فى عبد
المطلب ثلاثة أقوال أحدها وهو الاشبه انه لم تبلغه الدعوة أى لانه سيأتى انه مات وسنه صلى
الله عليه وسلم ثمان سنين والثانى انه كان على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أى لم يعبد
الاصنام والثالث ان الله تعالى أحياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات وهذا أضعف الاقوال

اللبن الذى يمخض ليخرج زبده
فينتفخ ويعتلى ويعلوه النفس
فيخبر عما يسأل عنه وكانت جمجمته
اذا لمست أثر اللمس فيها لينها فسلم
عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد
عليه سطيح جوابا فأنشأ يقول عبد
المسيح الابيات المشهورة التى أولها
* أصم أم يسمع غطريف اليمن *
فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح
رفع رأسه وقال عبد المسيح على
جمل مشيح أى سريع جاء الى
سطيح وقد وافى الضريح بعثك
ملك ساسان لارتجاس الايوان
وخمود النيران ورؤيا الموبذان
رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا
قد قطعت دجلة وانتشرت فى
بلادها ياعبد المسيح اذا كثرت
التلاوة وظهر صاحب الهراوة
وغاضت بحيرة ساوة وخمدت
نار فارس فليست بابل للفرس
مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك
منهم ملوك وملكات على عدد
الشرفات وكل ماهو آت آت ثم
مات سطيح من ساعته * وذكر
الطبرى أن ابرويز بن هرمز جاءه
جاء فى المنام فقيل له سلم مافى يدك
الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا
حتى كتب له النعمان بظهور
النبى صلى الله عليه وسلم بتهامة
وعند موت سطيح نهض عبد المسيح
الى رحله وهو يقول أبياتا منها
شمر فانك ماضى العزم شمير
ولا يغرنك تفريق وتغيير
والخير والشر مقرونان فى قرن * والخير متبع والشر محذور فلما قدم عبد المسيح على كسرى واوها ها
وأخبره بما قال سطيح قال كسرى الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور فملك منهم بعضهم فى خلافة عمر رضى الله عنه
وملك الباقون فى خلافة عثمان رضى الله عنه وكان مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستين سنة ومن ملوك بنى ساسان

ساپور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع أكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء الى منازل بنى تميم فر وامنه ومن جيشه وتركوا
عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا فى قفة لعدم قدرته على الجلوس فأخذ وجىء به اليه واستنطقه فوجد عنده أدبا ومعرفة
فقال للملك أيها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون أن ملكنا سيصير اليهم ٤٧ على يد نبى يبعث فى آخر الزمان فقال له عمير

وأوهاها لم يرد قط فى حديث ضعيف ولا غيره ولم يقل به أحد من أئمة السنة وانما حكى عن بعض
الشيعة (قال بعضهم) وقوله صلى الله عليه وسلم من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات
دليل على ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم وأمهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر
لا يوصف بانه طاهر وفيه ان الطاهرية فيه يجوز أن يكون المراد بها ماقابل أنكحة الجاهلية
المتقدمة وقد أشار الى اسلام آبائه وأمهاته صاحب الهمزية بقوله

لم تزل فى ضمائر الكون تختا * ر لك الامهات والآباء

أى لان الكافر لا يقال انه مختار لله (والسبب) الذى دعا عبد المطلب لاختيار بنى زهرة
ماحدث به ولده العباس رضى الله تعالى عنه قال قال عبد المطلب قدمنا اليمن فى رحلة الشتاء
فنزلنا على حبر من اليهود يقرأ الزبور أى الكتاب ولعل المراد به التوراة فقال من الرجل قلت
من قريش قال من أيهم قلت من بنى هاشم قال أتأذن لى أن أنظر بعضك قلت نعم مالم يكن
عورة قال ففتح احدى منخرى فنظر فيه ثم نظر فى الاخرى فقال أنا أشهد ان فى احدى يديك
وهو مراد الاصل بقوله فى منخريك ملكا وفى الاخرى نبوة وانا نجد ذلك أى كلا من الملك
والنبوة فى بنى زهرة فكيف ذلك قلت لا أدرى قال هل لك من شاعة قلت وما الشاعة قال
الزوجة أى لانها تشايع أى تتابع وتناصر زوجها قلت أما اليوم فلا أى ليست لى زوجة من
بنى زهرة ان كان معه غيرها أو مطلقا ان لم يكن معه غيرها فقال اذا تزوجت فتزوج منهم
أى وهذا الذى ينظر فى الاعضاء وفى خيلان الوجه فيحكم على صاحبها بطريق الفراسة يقال
له حزاء بالمهملة وتشديد الزاى آخره همزة منونة (وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى) عن
شيخه سيدى على الخواص نفعنا الله تعالى ببركاتهما أنه كان اذا نظر لانف انسان يعرف جميع
زلاته السابقة واللاحقة الى أن يموت على التعيين من صحة فراسته هذا كلامه * أى ومن
ذلك ان معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما تزوج امرأة ولم يدخل بها فقال لزوجته ميسون
أم ابنه يزيد اذهبى فانظرى اليها فأتتها فنظرت اليها ثم رجعت اليه وقالت هى بديعة الحسن
والجمال ما رأيت مثلها لكن رأيت خالا أسود تحت سرتها وذلك يدل على ان رأس زوجها يقطع
ويوضع فى حجرها فطلقها معاوية رضى الله تعالى عنه ثم تزوجها النعمان بن بشير رضى الله
تعالى عنه وكان واليا على حمص فدعا لابن الزبير وترك مروان ثم خاف من أهل حمص لما تبعوا
مروان ففر هاربا فتبعه جماعة منها فقطعوا رأسه ووضعوها فى حجر تلك المرأة ثم بعثوا بتلك
الرأس الى مروان وقتل النعمان هذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لان أمه لما ولدته
وكان أول مولود ولد للانصار بعد الهجرة على ماسيأتى حملته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعا بتمرة فمضغها ثم وضعها فى فيه فحنكه بها فقالت يارسول الله ادع الله تعالى أن يكثر ماله
وولده فقال أما ترضين أن يعيش حميدا ويقتل شهيدا ويدخل الجنة وهو الذى أشار على يزيد
ابن معاوية باكرام آل البيت لما قتل الحسين ممن كان مع الحسين من أولاده وأولاد أخيه
وأقاربه وقال له عاملهم بما كان يعاملهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم على هذه
الحالة فرق لهم يزيد وأكرمهم ورده معهم وأمره باكرامهم على ماسيأتى ذكره ان شاء الله

فأين حلم الملوك وعقلهم ان يكن
هذا الامر باطلا فلن يضرك وان
يكن حقا ألفوك ولم تتخذ عندهم يدا
يكافئونك عليها ويعظمونك بها فى
دولتهم فانصرف سابور وترك
تعرضه للعرب وعن العباس رضى
الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم
قال يارسول الله دعانى الى الدخول
فى دينك اشارة أى علامة لنبوتك
رأيتك فى المهد تناغى القمر أى تحدثه
فتشير اليه باصبعك فحيث ما أشرت
اليه مال قال كنت أحدثه ويحدثنى
ويلهينى عن البكاء وأسمع وجبته
أى سقطته حين يسجد تحت
العرش وكان مهده صلى الله
عليه وسلم يحرك بتحريك الملائكة
وتقدم أن أمه رأت من يقول لها
فسميه اذا ولدتيه محمدا * وعن أبى
جعفر محمد الباقر رضى الله عنه
قال أمرت أمه آمنة فى المنام
وهى حامل برسول الله صلى الله
عليه وسلم أن تسميه أحمد ولا مانع
من رؤية الامرين فأخبرت جده
فسماه وقيل ألهم ذلك أيضا ولا مانع
منهما ولما سماه بمحمد قيل له
ماحملك على ان تسميه بمحمد
وليس من أسماء آبائك ولا قومك
فقال رجوت أن يحمد فى السماء
والارض وقد حقق الله رجاءه
﴿فائدة﴾ جرت العادة أن الناس
اذا سمعوا ذكر وضعه صلى الله
عليه وسلم يقومون تعظيما له صلى الله
عليه وسلم وهذا القيام مستحسن
لما فيه من تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك كثير من علماء الامة الذين يقتدى بهم قال الحلبى فى السيرة فقد حكى بعضهم
أن الامام السبكى اجتمع عنده كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصرى فى مدحه صلى الله عليه وسلم
قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب

وأن تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس كبير فى ذلك المجلس وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن قال الامام أبو شامة شيخ النووى ومن أحسن ما ابتدع فى زماننا ما يفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبة النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فى قلب فاعل ذلك وشكرا لله تعالى على ما من به من ايجاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله رحمة للعالمين قال السخاوى ان عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال أهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم وقال ابن الجوزى من خواصه انه أمان فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك الملك المظفر أبو سعيد صاحب أربل وألف له الحافظ ابن دحية تأليفا سماه التنوير فى مولد البشير النذير فأجازه الملك المظفر بألف دينار وصنع الملك المظفر المولد وكان يعمله فى ربيع الاول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا وطالت مدته فى الملك الى أن مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة قال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان حكى لى بعض من حضر سماط المظفر فى بعض الموالد فذكر أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف من صحن حلوى وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور وكان يصرف على المولد ثلثمائة ألف دينار واستنبط الحافظ ابن حجر تخريج عمل المولد على أصل ثابت فى السنة وهو ما فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة

تعالى * ومما روى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للشيطان مصالى وفخوخا وان مصاليه وفخوخه البطر بنعم الله والفخر بعطاء الله والتكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله (وقد ذكر) ان حمص نزل بها تسعمائة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا (وفى حياة الحيوان) ان حمص لا تعيش بها العقارب واذا طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها قيل لطلسم بها * وفى حديث ضعيف ان حمص من مدن الجنة وقيل الحزاء هو الكاهن وقيل هو الذى يحزر الاشياء ويقدرها بظنه ويقال للذى ينظر فى النجوم فانه ينظر فيها بظنه فربما اخطأ أى لان من علوم العرب الكهانة والعيافة والقيافة والزجر والخط أى الرمل والطب ومعرفة الانواء ومهاب الرياح (فلما رجع) عبد المطلب الى مكة تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة وصفية وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب أخى وهيب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فكانت قريش تقول فلج عبد الله على أبيه أى فاز وظفر لان الفلج بالفاء واللام المفتوحتين والجيم الفوز والظفر أى فاز وظفر عبد الله بما لم ينله أبوه من وجود هذا المولود العظيم الذى وجد عند ولادته ما لم يوجد عند ولادة غيره * أى وفى كلام ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة بنت وهيب عم آمنة فى مجلس خطبة عبد الله لآمنة وتزوجا ولما تم ابتناؤهما ثم رأيت فى أسد الغابة ما يوافقه وهو ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله فى مجلس واحد قيل وفيه تصريح بان عبد الله كان موجودا حين قال الحبر لعبد المطلب ان النبوة موجودة فيه وكيف تكون موجودة فيه مع انتقالها لعبد الله وقد يقال من أين ان عبد المطلب تزوج هالة عقب مجيئه من عند الحبر حتى يكون قول الحبر لعبد المطلب صادرا بعد وجود عبد الله جاز أن يكون ذلك صدر من الحبر لعبد المطلب قبل ولادة عبد الله وفيه ان هذا لا يحسن الا لو كانت أم عبد الله من بنى زهرة الا أن يقال يجوز أن يكون عبد الله وجد من بنى زهرة لجواز أن يكون عبد المطلب تزوج من بنى زهرة غير هالة فأولدها عبد الله * ثم ان قول الحبر لعبد المطلب انه يجد فى احدى يديه الملك وانه يكون فى بنى زهرة مشكل أيضا لان الملك لم يكن الا فى أولاد ولده العباس ولا يستقيم الا لو كانت أم العباس من بنى زهرة اما هالة التى هى أم حمزة أو غيرها وأم العباس ليست من بنى زهرة خلافا لما وقع فى كلام بعضهم ان العباس ولدته هالة فهو شقيق حمزة لانه خلاف ما اشتهر عن الحفاظ الا أن يقال جاز أن يكون الملك والنبوة اللذان عناهما الحبر هما نبوته وملكه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم أعطيهما أى كلا من الملك والنبوة المنتقلين اليه من أبيه عبد الله بناء على ان أم عبد الله من بنى زهرة ولعله لا ينافيه قول بعضهم تزوج عبد المطلب فاطمة بنت عمرو وجعل مهرها مائة ناقة ومائة رطل من الذهب فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم لانه يجوز أن تكون فاطمة هذه من بنى زهرة وحينئذ لا يشكل قول الحبر اذا تزوجت فتزوج منهم أى من بنى زهرة بعد قوله ألك شاعة وقيل الذى دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بنى زهرة لولده عبد الله أن سودة بنت زهرة الكاهنة وهى عمة وهب والد آمنة أمه صلى الله عليه وسلم كان من أمرها انها لما ولدت رآها أبوها زرقاء شيماء أى سوداء وكانوا يئدون

فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكرا فقال نحن أولى بموسى منكم وقد جوزى أبو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب اعتاقه ثويبة لما بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم وانه يخرج له من بين أصبعيه ماء يشربه كما أخبر بذلك العباس فى منام رأى فيه أبا لهب ورحم الله القائل وهو حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر حيث قال

اذا كان هذا كافرا جاء ذمه * وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور بأحمد
فما الظن بالعبد الذى كان عمره * بأحمد مسرورا ومات موحدا

باب فى ذكر شئ من الخوارق التى ظهرت فى زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم

أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم أمه ثم ثويبة الاسلمية مولاة أبى لهب التى أعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم * واختلفوا فى أنها أدركت البعثة وأسلمت أم لا وكان من عادة العرب اذا ولد لهم مولود يلتمسون له مرضعة من غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له فجاء نسوة من بنى سعد الى مكة يلتمسون الرضعاء ومعهم حليمة السعدية فكل امرأة أخذت رضيعا الا حليمة قالت حليمة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها يتيم فلما أجمعنا الانطلاق أى عزمنا عليه قلت لصاحبى تعنى زوجها والله انى لاكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك فلآخذنه فقال لا بأس عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فأخذته وفى رواية قالت فاستقبلنى عبد المطلب فقال من أنت فقلت امرأة من بنى سعد فقال ما اسمك فقلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندى غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بنى سعد فأبين ان يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك أن ترضعيه فعسى أن تسعدى به فقلت ألا تذرنى حتى أشاور

من البنات من كانت على هذه الصفة أى يدفنونها حية ويمسكون من لم يكن على هذه الصفة مع ذل وكآبة أى لانه سيأتى ان الجاهلية كانوا يدفنون البنات وهن أحياء خصوصا كندة قبيلة من العرب خوف العار أو خوف الفقر والاملاق وكان عمرو بن نفيل يحيى الموؤدة لاجل الاملاق يقول للرجل اذا أراد أن يفعل ذلك لا تفعل أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان صعصعة جد الفرزدق يفعل مثل ذلك فأمر أبوها بوأدها وأرسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها فى البرية فالتفت فلم ير شيأ فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى المعنى فرجع الى أبيها وأخبره بما سمع فقال ان لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة فيكم نذيرة او تلد نذيرا فاعرضوا على بناتكن فعرضن عليها فقالت فى كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو تلد نذيرا له شأن وبرهان منير أى فاختيار عبد المطلب لآمنة من بنى زهرة عبد الله واضح من سياق قصة هذه الكاهنة وأما اختياره لتزوجه بعض نساء بنى زهرة فسببه ما تقدم عن الحبر بناء على ان أم عبد الله كانت من بنى زهرة وأما جعل الشمس الشامى ما تقدم عن الحبر سببا لتزويج عبد المطلب ابنه عبد الله امرأة من بنى زهرة ففيه نظر ظاهر اذ كيف يتأتى ذلك مع قوله اذا تزوجت فتزوج منهم بعد قوله ألك شاعة أى زوجة ثم رأيت ابن دحية رحمه الله تعالى ذكر فى التنوير عن البرقى أن سبب تزويج عبد الله آمنة ان عبد المطلب كان يأتى اليمن وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم فنزل عنده مرة فاذا عنده رجل ممن قرأ الكتب فقال له ائذن لى أن أفتش منخرك فقال دونك فانظر فقال أرى نبوة وملكا وأراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب فولدت له حمزة وزوج ابنه عبد الله آمنة فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا واضح لانه أسقط قول الحبر لعبد المطلب هل لك من شاعة الى آخره فاحتاط عبد المطلب فتزوج من بنى زهرة وزوج ولده عبد الله منهم وحينئذ كان المناسب للبرقى رحمه الله تعالى أن يزيد بعد قوله ان سبب تزويج عبد الله آمنة قوله وتزوج عبد المطلب هالة

باب ذكر حمل أمه به صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين

عن الزهرى رحمه الله تعالى قال قالت آمنة لقد علقت به صلى الله عليه وسلم فما وجدت له مشقة حتى وضعته وعنها انها كانت تقول ما شعرت بفتح أوله وثانيه أى ما علمت بأنى حملت به ولا وجدت له ثقلا بفتح القاف كما تجد النساء الا أنى أنكرت رفع حيضتى بكسر الحاء الهيئة التى تلزمها الحائض من التجنب وأما بالفتح فالمرة الواحدة من دفعات الحيض أى والذى ينبغى أن يكون الثانى هو المراد واستعملت المرة فى مطلق الدم الذى تراه الحائض وربما يؤيد أن هذا هو المراد أن بعضهم نقل ان الحيضة بالكسر اسم للحيض قالت وربما ترفعنى وتعود أى فلم يكن رفعها دليلا على الحمل اى وهذا ربما يفيد ان حيضها تكرر قبل حملها به صلى الله عليه وسلم ولم أقف على مقدار تكرره

صاحبي قال بلى فانصرفت الى صاحبي فأخبرته فكان الله قذف في قلبه فرحا وسرورا فقال لي يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب
فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم الصبي فاستهل وجهه فرحا فأخذني وأدخلني بيت آمنة فقالت لي أهلا وسهلا وأدخلتني في البيت
الذي فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج ٥٠ في ثوب صوف أبيض من اللبن وتحته حريرة خضراء راقدا على قفاه يغط
تفوح منه رائحة المسك فأشفقت أي خفت ان أوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الي تخرج منهما نور حتى دخل عنان السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وحملته وما حملني على أخذه أي في ابتداء الامر الا اني لم أجد غيره والا فما ذكرته من أوصافه مقتض لاخذه وفي شرح الزرقاني على المواهب انها لما دخلت عليه صلى الله عليه وسلم سمع جده هاتفا يقول

ان ابن آمنة الامين محمدا
خير الانام وخيرة الاخيار
ما ان له غير الحليمة مرضع
نعم الامينة هي على الابرار
مأمونة من كل عيب فاحش
ونقية الاثواب والاوزار
لا تسلمنه الى سواها انه
أمر وحكم جاء من جبار

قالت حليمة ثم أعطيته ثديي الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن ثم حولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حاله بعد قال أهل العلم ألهمه الله ان له شريكا فعدل وفي رواية ان أحد ثديي حليمة كان لا يدر اللبن فلما وضعته في فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب أخوه معه حتى روي ثم نام وما كانا ينام معه قبل ذلك أي لعدم نومه من الجوع قالت وقام زوجي الى شارفنا فاذا هي حافل أي ممتلئة الضرع
من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا وبتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين أصبحنا
والله يا حليمة لقد أخذنا نسمة مباركة فقلت والله اني لارجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته معي عليها فوالله انها قطعت بالركب
ما يقدر على مرافقتها شيء من حمرهم حتى ان صواحبي يقلن لي يا بنت أبي ذؤيب ويحك اربعي علينا أي اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة

وقد ذكر أن مريم عليها السلام حاضت قبل حملها بعيسى عليه الصلاة والسلام حيضتين قالت آمنة وأتاني آت أي من الملائكة وأنا بين النائمة واليقظانة وفي رواية بين النائم أي الشخص النائم واليقظان فقال هل شعرت بأنك قد حملت بسيد هذه الامة ونبيها أي وفي رواية بسيد الانام أي اعلمي ذلك وأمهلني حتى دنت ولادتي أتاني فقال قولي أي اذا ولدتيه أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد أي ثم سميه محمدا فان اسمه في التوراة والانجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الارض وفي القرآن محمد أي والقرآن كتابه وسيأتي عن محمد الباقر رضي الله تعالى عنه أن تسميه أحمد قال بعضهم ويذكر بعد هذا البيت أبيات لا أصل لها واذا ثبت انها قالت له ذلك بعد ولادته كان دليلا لما يقوله بعض الناس ان آمنة رقت النبي صلى الله عليه وسلم من العين (أقول) ظاهر هذا السياق انها لم تعلم بحملها الا من قول الملك لانها لم تجد ما تستدل به على ذلك لانها لم تجد ثقلا وعادتها ان حيضها ربما عاد بعد عدم وجوده في زمنه المعتاد لها أي ولم تعول على مفارقة النور لعبد الله وانتقال النور الى وجهها على ما ذكر بعضهم في كلام هذا البعض المفارق لنور وجه عبد الله انتقل الى وجه آمنة ولا على خروج النور منها مناما أو يقظة بناء على انه غير الحمل على ما يأتي لخفاء دلالة ما ذكر على ذلك ولعل أباه صلى الله عليه وسلم عبد الله لم يبلغها قول المرأة التي عرضت نفسها عليه اذهب فأخبرها أنها حملت بخير أهل الارض والنقل في ابتداء الحمل الذي حمل عليه بعض الروايات كما سيأتي يجوز أن يكون بعد اخبار الملك لها لكن في المواهب في رواية عن كعب رضي الله تعالى عنه أن مجيء الملك لها كان بعد ان مضى من حملها ستة أشهر فليتأمل فان الستة أشهر لا يقال انها ابتداء الحمل ونص الرواية كانت آمنة تحدث وتقول أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر في المنام وقال لي يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شأنك الا أن يقال يجوز تعدد الملك أو تكرر مجيء الملك لها فليتأمل والله أعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة أي التي حمل فيها أي في اليوم قبلها برسول الله صلى الله عليه وسلم أي بناء على ما هو الظاهر مما تقدم انه حين وقع عليها انتقل اليها ذلك النور وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا أي ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي (أقول) دلالة الاول على مطلق الحمل به صلى الله عليه وسلم لا على خصوص حمل آمنة به صلى الله عليه وسلم حينئذ واضحة وأما دلالة الثاني عليه فقد يتوقف فيها الا أن يقال ان ذلك كان من علامة الحمل به في الكتب القديمة مع أن المدعي في كلام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انما هو خصوص حمل آمنة به على ان السياق يدل على أن المراد علم أمه بحملها به والله أعلم * وعن كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه ان في صبيحة تلك الليلة أصبحت أصنام الدنيا منكوسة أي ولعل ذلك كان من علامة حمل أمه به في الكتب القديمة وقول الصادق لا يتخلف وسيأتي ان عند ولادته أيضا تنكست الاصنام ولا مانع من التعدد قال وروى الحاكم وصححه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك فقال أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ورأت أمي

في السير ألست هذه أتانك التي كنت عليها تخفضك طورا وترفعك طورا آخر فأقول لهن بلى والله انها لهي فيقلن والله ان لها لشأنا
قالت حليمة وكنت أسمع أتاني تنطق وتقول والله ان لي لشأنا ثم شأنا أي بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي ويحكن يا نساء
بني سعد انكن لفي غفلة وهل ترين من على ظهري على ظهري ٥١ خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين
وحبيب رب العالمين ذكره في السيرة الحلبية وذكر انها لما أرادت فراق مكة رأت تلك الاتان سجدت أو خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازلنا بني سعد ولا أعلم أرضا من أراضي الله أجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا شباعا لبنا أي غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي رواية نحلب ما شاء الله وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعائهم ويحكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب يعنونني فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفطمته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاما جفرا أي غليظا شديدا وعن حليمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين يحبي الى كل جانب وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفي أربعة كان يمسك الجدار ويمشي وفي خمسة حصلت له القدرة على المشي فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة أشهر كان
يرمي بالسهام مع الصبيان وعن حليمة أيضا رضي الله عنها قالت انه في حجري اذ مرت بنا غنيمات فاقبلت واحدة منهن حتى سجدت له
وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها قالت رضي الله عنها وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه والى قصة ارضاعه
صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية حيث يقول
وبدت في رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء

حين حملت بي كأنه خرج منها نور وفي لفظ سراج وفي لفظ شهاب أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام قال الحافظ العراقي وسيأتي انها رأت النور خرج منها عند الولادة وهو أولى لكون طرقه متصلة ويجوز أن يكون خرج منها النور مرتين مرة حين حملت به ومرة حين وضعته أي وكلاهما يقظة ولا مانع من ذلك أو هذه أي رؤية النور حين حملت به كانت مناما كما صرح به الرواية الآتية وتلك يقظة فلا تعارض بين الحديثين اه (أقول) الرواية الآتية هي رواية شداد بن أوس ولفظها انها رأت في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا أي وهي تفيد أن ذلك النور هو نفس حملها فهو بعد تحقق الحمل ووجوده والرواية التي هنا تفيد أن النور غيره وانه كان وقت ابتداء وجود الحمل فلا يصح حمل احداهما على الاخرى الا أن يقال المراد بحين حملت زمن حملها وان النور كان هو ذلك الحمل لكن الذي ينبغي أن تكون رواية شداد التي حملت عليها الرواية الاولى حاصلة قبيل الولادة فتكون رأت النور عند الولادة مناما ويقظة تأنيسا لها على أنه يجوز ابقاء الروايات الثلاث على ظاهرها وانها رأت مناما انها خرج منها نور عند ابتداء الحمل ثم رأت كذلك عند قرب ولادتها ان الذي في بطنها خرج نورا ثم رأت يقظة عند وضعه خروج النور وسيأتي في رواية عن أمه انها قالت لما وضعته خرج معه نور وهي لا تخالف هذه الرواية الثالثة حتى تكون رابعة فبصرى أول بقعة من الشام خاص اليها نور النبوة وعلى انه مرتين ناسب قدومه صلى الله عليه وسلم لها مرتين مرة مع عمه أبي طالب ومرة مع ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها كما سيأتي وبها مبرك الناقة التي يقال ان ناقته صلى الله عليه وسلم بركت فيه وأثر ذلك فيه وبني على ذلك المحل مسجد ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام في الاسلام وكان فتحها صلحا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه على يد خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وبها قبر سعد بن عبادة وهي من أرض حوران والله أعلم ووقع الاختلاف في مدة حمله صلى الله عليه وسلم فعن ابن عائذ أي بالياء المثناة تحت والذال المعجمة انه صلى الله عليه وسلم بقي في بطن أمه تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء أي وقد ولد عند وجود المشتري وهو كوكب نير سعيد فقد كانت ولادته صلى الله عليه وسلم عند وجود السعد الاكبر والنجم الانور وكانت أمه صلى الله عليه وسلم تقول ما رأيت من حمل هو أخف منه ولا أعظم بركة منه وروى ابن حبان رحمه الله عن حليمة رضي الله تعالى عنها عن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت ان لابني هذا شأنا اني حملت به فلم أجد حملا قط كان أخف علي ولا أعظم منه بركة وقيل بقي عشرة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل سبعة أشهر وقيل ثمانية أشهر أي ويكون ذلك آية كما ان عيسى عليه السلام ولد في الشهر الثامن كما قيل به مع نص الحكماء والمنجمين على أن من يولد في الشهر الثامن لا يعيش بخلاف التاسع والسابع والسادس الذي هو أقل مدة الحمل أي فقد قال الحكماء في بيان سبب ذلك أن الولد عند استكماله سبعة أشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته في الشهر السادس فان خرج عاش وان لم يخرج استراح في البطن عقب تلك الحركة المضعفة له فلا يتحرك في الشهر الثامن ولذلك تقل حركته في البطن في ذلك الشهر فاذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف فلا

اذ أبته ليتمه مرضعات * قال ما في اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء
أصبحت شولا عجافا وأمست * ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبي منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الاجـ * ـر عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله أناسا * لسعيد فانهم سعداء

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان أول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطم الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وتكلم بهذا أيضا عند خروجه من بطن أمه كما تقدم وفي رواية أول كلام تكلم به في بعض الليالي وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم وكان لا يمس شيئا الا قال بسم الله وعن حليمة رضي الله عنها قالت لما دخلت به الى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته واعتقاد بركته في قلوب الناس حتى ان أحدهم كان اذا نزل به أذى في جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الأذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذا اذا اعتل لهم بعير أو شاة قالت حليمة رضي الله عنها فقدمنا مكة على أمه أي بعد أن بلغ سنتين ونحن أحرص شئ على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت ابني عندي حتى يغلظ وفي رواية قلنا نرجع به هذه السنة الاخرى فاني أخشى عليه وباء مكة أي مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته معنا وقيل ان أمه آمنة رضي الله عنها قالت لحليمة رضي الله عنها ارجعي بابني على الفور فاني أخاف عليه وباء مكة أي كما تخافين أنت أيضا عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه يعني من الرضاع لفي بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يشتد أي يعدو فقال لي ولأبيه ذلك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه أي يدخلان يديهما في بطنه

يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى لم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش وعلى فرض أن يعيش يكون معلولا لا ينتفع بنفسه وذلك لان الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت أي وقيل بل كان حمله ووضعه في ساعة واحدة وقيل في ثلاث ساعات أي وقيل بذلك في عيسى عليه السلام أي وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك في جدب وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرغد من كل جانب في تلك السنة وفي حديث مطعون فيه قد أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا ان يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي ولم أقف على ما يجري على ألسنة المداح من أنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله في بطن أمه كما نقل عن عيسى عليه السلام انه كان يكلم أمه اذا خلت عن الناس ويسبح الله ويذكره اذا كانت مع الناس وهي تسمع وعن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل شيخ كبير من بني عامر هو بدرة قومه أي المقدم فيهم يتوكأ على عصا فمثل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه الى جده فقال يا ابن عبد المطلب اني انبئت انك تزعم انك رسول الله الى الناس أرسلك بما أرسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الا انك فهت بعظيم وانما كانت الانبياء والخلفاء أي معظمهم في بيتين من بني اسرائيل وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان فمالك وللنبوة ولكن لكل حق حقيقة فأنبئني بحقيقة قولك وبدء شأنك قال فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسئلته ثم قال يا أخا بني عامر ان لهذا الحديث الذي سألتني عنه نبأ ومجلسا فاجلس فثنى رجليه ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال يا أخا بني عامر ان حقيقة قولي وبدء شأني اني دعوة أبي ابراهيم عليه السلام أي حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم أي وعند ذلك قيل له قد استجيب لك وهو كائن في آخر الزمان كذا في تفسير ابن جرير قال في ينبوع الحياة اجمعوا على ان الرسول المذكور هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (أقول) وفيه ان جبريل عليه السلام أعلم ابراهيم عليه السلام قبل ذلك بأنه يوجد نبي من العرب من ذرية ولده اسمعيل فقد جاء ان ابراهيم لما أمر باخراج هاجر وولدها اسمعيل عليه السلام حمل هو وهي وولدها على البراق فلما أتى مكة قال له جبريل انزل فقال حيث لا زرع ولا ضرع قال نعم ههنا يخرج النبي الامي من ذرية ولدك يعني اسمعيل عليه السلام الذي تتم به الكلمة العليا الآن يقال الغرض من دعائه صلى الله عليه وسلم بذلك تحقيق حصوله وتقدم ان أم اسمعيل قالت لابراهيم ما قاله لجبريل والله أعلم ثم قال وبشرى أخي عيسى وفي رواية أنا آخر من بشر بي عيسى عليه السلام أي آخر نبي بشر بي من الانبياء عيسى بدليل الرواية الاخرى وكان آخر من بشر بي عيسى لان الانبياء بشرت به قومها والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

ما مضت فترة من الرسل الا * بشرت قومها بك الانبياء

وبشرى

قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه أي متغيرا لما ناله من رؤية الملائكة لا من الشق لانه بغير ألم قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا مالك يابني قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأقبلا يبتدراني فأخذاني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا فوجداه وأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو قالت حليمة فرجعنا به الى خبائنا وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب يعني بشئ من الجن فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به واخرجي من أمانتك وفي رواية قالت قال زوجي أرى أن ترديه على أمه لتعالجه والله ان أصابه ما أصابه الا حسدا من آل فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه وقدمنا به مكة على أمه قيل وهو ابن أربع وقيل خمس وقيل سنتين وأشهر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن حليمة رضي الله عنها كانت تحدث أنه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لي يا أماه مالي لا أرى اخوتي بالنهار يعني اخوته من الرضاع وهم أخوه عبد الله وأختاه أنيسة والشيماء أولاد الحرث قالت فدتك نفسي انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل قال ابعثيني معهم فكان يخرج مسرورا ويعود مسرورا قالت فلما كان يوم من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتاني أخوه وفي رواية ابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح عرقا باكيا ينادي يا أمه ويا أبت الحقا أخي محمدا فما تلحقانه الا ميتا قلت وما قضيته قال بينا نحن قيام اذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا أدري ما فعل به قالت حليمة فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعيا شديدا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فأكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت فدتك نفسي ما الذي دهاك قال خير يا أماه بينا أنا الساعة قائم اذ أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق فضة وفي يد الآخر طست من زمرذة خضراء فأخذوني وانطلقوا بي الى ذروة الجبل فعمد أحدهم

وبشرى عيسى في قوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد أي والمبشر بهم من الانبياء قبل وجودهم أيضا أربعة اسحق ويعقوب ويحيى وعيسى قال الله تعالى في حق سارة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قيل بشرت بأن تبقى الى أن يولد يعقوب لولدها اسحق وقال في حق زكريا ان الله يبشرك بيحيى وقال في حق مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ثم قال واني كنت بكر أبي وأمي وانها أحملتني كأثقل ما تحمل النساء وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل ما تجد ثم انها رأت في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا قالت فجعلت أتبع بصري النور والنور يسبق بصري حتى أضاءت له مشارق الارض ومغاربها الحديث وستأتي تتمته في الرضاع أي وقال ابن الجوزي ممن روى عن أمه صلى الله عليه وسلم هو صلى الله عليه وسلم لما قيل له يارسول الله ما كان بدء أمرك قال دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي قالت خرج مني نور أضاءت له قصور الشام قال الحافظ أبو نعيم الثقل الذي وقع في هذه الرواية كان في ابتداء الحمل والخفة التي جاءت فيما سبق من الروايات كانت عند استمرار الحمل ليكون ذلك خارجا عن المعتاد كذا قال (أقول) قد قدمنا أنه يجوز أن يكون هذا الثقل الواقع في ابتداء الحمل كان بعد اخبار الملك لها بالحمل فلا يخالف ما سبق وفيه ما سبق والجواب عنه لكن تقدم عن الزهري قال قالت آمنة لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ويمكن أن يكون المراد بالمشقة ما تقدم في بعض الروايات لم تشك وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء أي فمع وجود الثقل لم يحصل لها المشقة المذكورة وحينئذ لا ينافي ذلك شكواها ما تجده من ثقله والله تعالى أعلم

باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم

عن ابن اسحق لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ان توفي وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به أي كما عليه أكثر العلماء ٥ أي وصححه الحافظ الدمياطي وسيأتي في بعض الروايات ما يدل على أن ذلك من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة قيل وان موت والده صلى الله عليه وسلم كان بعد ان تم لها من حملها شهران وقيل قبل ولادته بشهرين وقيل كان في المهد حين توفي أبوه ابن شهرين وذكر السهيلي ان عليه أكثر العلماء فليتأمل مع ما قبله وقيل كان ابن سبعة أشهر أي وقيل ابن تسعة أشهر قيل وعليه الاكثرون والحق انه قول كثيرين لا الاكثرين ٥ وقيل ابن ثمانية عشر شهرا وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا أي وما يأتي في الرضاع من أن المراضع أبته ليتمه يخالفه لتمام زمن الرضاع وكذا يخالف القول الذي قبله لانه لم يبق من زمن الرضاع الا شهران وكانت وفاته بالمدينة خرج اليها يمتار تمرا أو لزيارة أخواله بها أي اخوال أبيه عبد المطلب ٥ بني عدي بن النجار أي ولا مانع من قصد الامرين معا وقيل خرج الى غزة في عير من عيرات قريش والعيرات بكسر العين وفتح المثناة تحت جمع عير وهي التي تحمل الميرة خرجوا للتجارة ففرغوا من تجارتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال أنا أتخلف

فأضجعني الى الارض ثم شق من صدرى الى عانتى وأنا أنظر اليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما الى آخر القصة وفى رواية أنها لما قدمت به مكة
لترده بعد هذه القصة أضلته فى اعالى مكة فقالت انى قدمت بمحمد فى هذه الليلة فلما كنت باعالى مكة اضلنى فوالله ما ادرى أين هو فقام
عبد المطلب يدعو الله أن يرده عليه وانشد ٥٤ يارب رد ولدى محمدا * اردده ربى واصطنع عندى يدا فسمع هاتفا من السماء يقول أيها
الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله
ولن يضيعه فقال عبد المطلب من
لنا به فقال انه بوادى تهامة عند
الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب
نحوه وتبعه ورقة بن نوفل فوجداه
صلى الله عليه وسلم تحت شجرة
يجذب غصنا من أغصانها فقال
له جده من أنت يا غلام فقال أنا
محمد بن عبد المطلب قال وأنا جدك
فدتك نفسى واحتمله وعانقه وهو
يبكى ثم رجع الى مكة وهو قدامه
على قربوس فرسه ونحر الشاه
والبقر وأطعم أهل مكة وعلى هذه
القصة حمل بعض المفسرين قوله
تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل
ان هذه القصة تكررت وانه حصل
له ضياع مرة أخرى فوجد أبو
جهل فاركبه بين يديه على ناقته
وجاء به الى جده وقال ماتدرى ماوقع
من ابنك فسأله فقال أنخت الناقة
واركبته من خلفى فأبت أن تقوم
فاركبته امامى فقامت قالت حليمة
فلما قدمت به قالت أمه ما اقدمك
به ولقد كنت حريصة عليه وعلى
مكثه عندك قلت قد بلغ الله وقضيت
الذى على وتخوفت الاحداث
فأديته عليك كما تحبين قالت
ماشأنك فاصدقينى خبرك قالت فلم
تدعنى حتى أخبرتها قالت فتخوفت
عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا
والله ما للشيطان عليه سبيل وان
لابنى هذا شأنا الا أخبرك خبره
قلت بلى قالت رأيت حين حملت به
ان خرج منى نور أضاء له قصور
بصرى من ارض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت أى علمت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر ووقع
ابى
حين ولدته وانه لواضع يده بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقى راشدة وعن حليمة رضى الله عنها أنه مر بها جماعة من
اليهود فقالت الا تحدثونى عن ابنى هذا حملته أمه كذا ووضعته كذا ورأت عند ولادته كذا وذكرت لهم كل ما سمعته من أمه وكل ما رأته

هى بعد أن أخذته وأسندت الجميع الى نفسها كأنها هى التى حملته ووضعته فقال أولئك اليهود بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أو يتيم هو
فقالت لا هذا أبوه وانا أمه فقالوا لو كان يتيما اقتلناه لان ذلك عندهم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم وعن حليمة أيضا رضى الله عنها
انها نزلت به صلى الله عليه وسلم بسوق عكاظ وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ٥٥ ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا قصدت
الحج أقامت بهذا السوق شهر شوال
يتفاخرون ويتناشدون الاشعار
ويبيعون ويشترون وانما سمى
عكاظ لان المعاكظة المفاخرة يقال
عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره
وغلبه فى المفاخرة قيل كان سوق
عكاظ لثقيف وقيس عيلان فلما
وصلت حليمة به سوق عكاظ رآه
كاهن من الكهان فقال يا أهل
عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له
ملكا فزاغت أى مالت به وحادت
عن الطريق فأنجاه الله وفى الوفاء
للسيد السمهودى لما تامت سوق
عكاظ انطلقت حليمة برسول الله
صلى الله عليه وسلم الى عراف من
هذيل يريه الناس صبيانهم فلما
نظر اليه صاح يامعشر هذيل
يامعشر العرب فاجتمع الناس من
أهل الموسم فقال اقتلوا هذا
الصبى فانسلت به حليمة فجعل الناس
يقولون أى صبى هذا فقال هذا
الصبى فلا يرون أحدا فيقال له ماهو
فيقول رأيت غلاما والآلهة
ليقتلن أهل دينكم وليكسرن
آلهتكم وليظهرن أمره عليكم
فطلب فلم يوجد وعنها رضى الله تعالى
عنها أنها لما رجعت به مرت بذى
المجاز وهو سوق للجاهلية على
فرسخ من عرفة أى وهذا السوق
قبله سوق مجنة كانت العرب
تنتقل اليه بعد انقضاضهم من
سوق عكاظ فتستقيم به عشرين
يوما من ذى القعدة ثم تنتقل الى
هذا السوق الذى هو سوق ذى المجاز فتقيم به الى ايام الحج وكان بهذا السوق عراف أى منجم يأتون اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة فى عينيه صاح يامعشر العرب اقتلوا هذا الصبى فليقتلن أهل دينكم
وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم ان هذا لينتظر أمرا من السماء وجعل يغرى بالنبى صلى الله عليه وسلم فلم يلبث أن وله

عند اخواله بنى عدى بن النجار والنجار هذا اسمه تيم وقيل له النجار لانه اختتن بقدوم أى وهو
آلة النجار وقيل لانه نجر وجه رجل بقدوم فأقام عندهم مريضا شهرا أى وهذا أثبت من
الاول ٥ ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم أبوه عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه عند أخواله
بنى عدى بن النجار وهو مريض فبعث اليه أخاه الحرث وهو أكبر أولاد عبد المطلب كما تقدم
أى ومن ثم كان يكنى به ولم يدرك الاسلام فوجده قد توفى أى وفى أسد الغابة ان عبد المطلب
ارسل اليه ابنه الزبير شقيق عبد الله فشهد وفاته ودفن فى دار التابعة بالتاء المثناة فوق والباء
الموحدة والعين المهملة أى وهو رجل من بنى عدى بن النجار أى فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم
لما هاجر الى المدينة ونظر الى تلك الدار عرفها وقال ههنا نزلت بى أمى وفى هذه الدار قبر أبى عبد
الله وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار ومن هذا ومما جاء عن عكرمة عن ابن عباس رضى
الله تعالى عنهم انه صلى الله عليه وسلم كان هو وأصحابه يسبحون فى غدير أى فى الجحفة فقال
النبى عليه السلام لاصحابه ليسبح كل رجل منكم الى صاحبه فسبح كل رجل الى صاحبه وبقى
النبى عليه السلام وأبو بكر فسبح النبى عليه السلام الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه حتى اعتنقه
وقال أنا وصاحبى أنا وصاحبى وفى رواية أنا الى صاحبى انا الى صاحبى يعلم رد قول بعضهم
وقد سئل هل عام صلى الله عليه وسلم الظاهر لا لانه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم سافر فى بحر
ولا بالحرمين بحر قال وقيل قد توفى ودفن أبوه بالابواء محل بين مكة والمدينة اه (أقول)
سيأتى ان الذى بالابواء قبر أمه صلى الله عليه وسلم على الاصح فلعل قائل ذلك اشتبه عليه الامر
لانه يجوز أن يكون سمعه صلى الله عليه وسلم يقول وهو بالابواء هذا قبر أحد أبوى وقد ذكر
بعضهم فى حكمة تربيته صلى الله عليه وسلم يتيما مالا نطيل به وقد جاء ارحموا اليتامى وأكرموا
الغرباء فانى كنت فى الصغر يتيما وفى الكبر غريبا وقد جاء ان الله لينظر كل يوم الى الغريب
ألف نظرة والله أعلم وأورد الخطيب عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الله أحيا له أباه وآمن به
وفى المواهب أحيا الله له أبويه حتى آمنا به قال السهيلى وفى اسناده مجاهيل وقال الحافظ ابن
كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هو حديث موضوع قال ويرده
القرآن والاجماع وعلى ثبوته يكون ناسخا أى معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل
أين أبى فقال فى النار فلما قفا أى ولى دعاه وقال له ان أبى وأباك فى النار وفيه ان هذا رواه مسلم
فلا يكون ذلك الحديث ناسخا أى معارضا له (أقول) هو على تقدير ثبوته يكون معارضا على ان
حديث مسلم هذا لم تتفق الرواة على قوله فيه ان أبى وأباك فى النار وهذه اللفظة انما رواها حماد
ابن سلمة عن ثابت عن أنس وخالفه معمر عن ثابت عن أنس فروى بدل ذلك اذا مررت بقبر
كافر فبشره بالنار وقد نصوا على ان معمرا أثبت من حماد فان حمادا تكلم فى حفظه ووقع
فى أحاديثه مناكير ذكروا ان ربيبه دسها فى كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها
وأما معمر فلم يتكلم فى حفظه ولا استنكر شئ من حديثه وأيضا ما رواه معمر ورد من حديث
سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه فقد أخرج البزار والطبرانى والبيهقى من طريق ابراهيم
ابن سعد عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه أن اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين

أبى فقال فى النار قال فأين أبوك قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار وهذا الاسناد على شرط
الشيخين فاللفظ الاول من تصرف الراوى رواه بالمعنى بحسب مافهم فاخطأ وذكر الحافظ
السيوطى أن مثل هذا وقع فى الصحيحين فى روايات كثيرة من ذلك حديث مسلم عن أنس فى
نفى قراءة البسملة والثابت من طريق آخر نفى سماعها ففهم منه الراوى نفى قراءتها فرواه بالمعنى
على مافهمه فاخطأ كذا أجاب امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه عن حديث نفى قراءة البسملة
والذى ينبغى أن يقال يجوز أن يكون هذا أى ما فى الصحيح كان قبل أن يسأل الله تعالى أن يحييه
له فأحياه وآمن به كما أشار اليه الاصل أو أنه قال ذلك لمصلحة ايمان ذلك السائل بدليل انه لم
يتدارك صلى الله عليه وسلم الا بعد ما قفا فظهر له صلى الله عليه وسلم من حاله أنه تعرض له فتنة
أى يرتد عن الاسلام فأتى له بما هو شبيه بالمشاكلة مريدا بأبيه عمه أبا طالب لا عبد الله لانه كان
يقال لابى طالب قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا وقالوا له اعطنا ابنك وخذ هذا مكانه فقال
أعطيكم ابنى تقتلونه الى غير ذلك مما يأتى على انه تقدم أن العرب تسمى العم أبا لا يقال على ثبوت
هذا الحديث وصحته التى صرح بها غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه كيف ينفع
الايمان بعد الموت لانا نقول هذا من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم لكن قال بعضهم من
ادعى الخصوصية فعليه الدليل أى لان الخصوصية لا تثبت بمجرد الاحتمال ولا تثبت الا
بحديث صحيح وفى كلام القرطبى قد أحيا الله سبحانه وتعالى على يديه صلى الله عليه وسلم
جماعة من الموتى واذا ثبت ذلك فما يمنع ايمان أبويه بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة فى كرامته
وفضيلته صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن احياء أبويه نافعا لايمانهما وتصديقهما لما احييا كما ان رد
الشمس لو لم يكن نافعا فى بقاء الوقت لم ترد والله أعلم قال الواقدى المعروف عندنا وعند أهل العلم
ان آمنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل سبط ابن الجوزى ان عبد الله لم
يتزوج قط غير آمنة ولم تتزوج آمنة قط غيره ونقل اجماع علماء النقل على ان آمنة لم تحمل بغير
النبى صلى الله عليه وسلم ومعنى قولها لم أحمل حملا اخف منه المفيد أنها حملت بغيره صلى الله
عليه وسلم أنه خرج على وجه المغالبة اه (أقول) هذه الرواية لم أقف عليها والذى تقدم ما رأيت
من حمل هو أخف منه * وفى رواية أخرى حملت به فلم أجد حملا قط أخف منه على وحمل الرؤية
والوجدان على العلم الحاصل باخبار غيرها من ذوات الحمل لها عن حالهن ممكن فلا يقتضى ذلك
أنها حملت بغيره ولا ينافيه قولها اخف على لان المراد على فيما علمت والله أعلم قال والحافظ
ابن حجر نسب سبط ابن الجوزى فى نقل الاجماع الى المجازفة فقال وجازف سبط ابن الجوزى
كعادته فى نقل الاجماع ولا يمتنع أن تكون آمنة اسقطت من عبد الله سقطا افاشارت بقولها
المذكور اليه اه (أقول) وحينئذ تكون حملت بذلك السقط بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بناء
على أن والده صلى الله عليه وسلم لم يمت وهو حمل بل بعد وضعه وانها وجدت المشقة فى حمل ذلك
السقط وأن اخبارها بذلك تأخر عن حملها بذلك السقط وانها رأت فى حملها بذلك السقط من
الشدة مالم تجده فى حمله صلى الله عليه وسلم وأما حملها بذلك السقط قبل حملها به صلى الله عليه وسلم
فلا يتأتى لمخالفته لما تقدم من أن عبد الله دخل بها حين أملك عليها وانتقل اليها النور عند ذلك

فذهب عقله حتى مات وفي السيرة الشامية ان نفرا نصارى من الحبشة رأوه مع أمه السعدية حين رجعت به الى أمه بعد فطامه فنظروا اليه وقبلوه ورأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينه وقالوا لها هل يشتكي عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا ٥٦ وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شان نحن نعرف أمره فأبت وأتت به الى أمه وقصة شق الصدر جاءت بروايات كثيرة ففي بعضها عنه صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر القصة قال بينا نحن كذلك اذا بالحي قد أقبلوا بحذافيرهم أي بأجمعهم واذا بظئري أي مرضعتي امام الحي تهتف أي تصيح بأعلى صوتها وتقول واضعيفاه فأكبوا على يعني الملائكة وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي ومابين عيني وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئري واوحيداه فأكبوا على فضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي ومابين عيني وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل الارض ثم قالت ظئري وايتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فأكبوا على وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي ومابين عيني وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما أريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما أبصرتني أمي وهي ظئري قالت لا أراك الا حيا بعد فجاءت حتى أكبت على وضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها ويدي في أيديهم يعني الملائكة والقوم لا يعرفونهم أي لا يبصرونهم فأقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد أصابه لمم أي طرف من الجنون أو طائف من الجن وهي الله فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت يا هؤلاء ما بي مما فقال تذكرون شيء ان آرابي أي أعضائي سليمة وفؤادي صحيح وليس بي قلبة أي علة فقال أبي وهو زوج ظئري ألا ترون كلامه صحيحا اني لارجو أن لا يكون بابني باس واتفقوا على أن يذهبوا بي الى الكاهن فلما انصرفوا بي اليه قصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى أسمع من

ولانه يخرج بذلك عن كونه بكرا أبيه وأمه وأما رواية جلت الاولاد فوجدت حملا فقال فيها الواقدي لانعرف عند أهل العلم كما بينا ذلك في الكوكب المنير على أن امكان حملها بأسقط لا يقدح في نقل الاجماع على أنها لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم لامكان أن مراده حملا تاما وفي الخصائص الصغرى للجلال السيوطي ولم يلد أبواه غيره صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال وترك عبد الله جاريته أم أيمن بركة الحبشية أسلمت قديما هي وولدها أيمن وكان من عبد حبشي يقال له عبيد اهـ (أقول) في كلام ابن الجوزي أنه صلى الله عليه وسلم أعتقها حين تزوج خديجة وزوجها عبيدا الحبشي ابن زيد من بني الحرث فولدت له أيمن ولا ينافيه ما في الاصابة كانت أم أيمن تزوجت في الجاهلية بمكة عبيدا الحبشي ابن زيد وكان قدم مكة وأقام بها ثم نقل أم أيمن الى يثرب فولدت له أيمن ثم مات عنها فرجعت الى مكة فتزوجها زيد بن حارثة قاله البلاذري والله أعلم قال وقد تزوجها صلى الله عليه وسلم أي بعد النبوة مولاه زيد بن حارثة أي وانما رغب زيد فيها لما سمعه صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج بام أيمن فجاءت منه باسامة فكان يقال له الحب بن الحب وقيل أعتقها عبد الله قبل موته وقيل كانت لامه صلى الله عليه وسلم وترك أي عبد الله خمسة أجمال وقطعة من غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيه امه اى فهو صلى الله عليه وسلم يرث ولا يورث قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وروى بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يرث بناته اللاتي متن في حياته فعلى تقدير صحته جاز أن يكون صلى الله عليه وسلم ترك أخذ ميراثه تصدقا وسيأتي وقال ابن الجوزي وأصاب أم أيمن هذه عطش في طريقها لما هاجرت أي الى المدينة على قدميها وليس معها أحد وذلك في حر شديد فسمعت شيئا فوق رأسها فتدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فشربت منه حتى رويت وكانت تقول ما أصابني عطش بعد ذلك ولو تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر ما عطشت أي وفي مزيل الخفاء قال الواقدي كانت أم أيمن عسرة اللسان فكانت اذا دخلت على قوم قالت سلام لا عليكم أي بدل سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول سلام عليكم أو السلام عليكم هذا كلامه فليتأمل فان هذا يقتضي ان الصيغة الاصلية في السلام سلام الله عليكم مع ان الصيغة في السلام اما السلام عليكم أو سلام عليكم وكذا عليكم السلام ولم يذكر أئمتنا تلك الصيغة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وأم أيمن عنده فقالت يارسول الله اسقني فقلت لها ألرسول الله صلى الله عليه وسلم تقولين هذا فقالت ما خدمته أكثر فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت فسقاها وذكر بعض المؤرخين ان بركة هذه من سبي الحبشة أصحاب الفيل وكانت سوداء أي لونها أسود ولهذا خرج ابنها اسامة في السواد أي وكان أبوه زيد أبيض ومن ثم كان المنافقون يطعنون في نسب اسامة ويقولون هذا ليس هو ابن زيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشوش من ذلك وقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل على النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا فقال ألم ترى أن مجززا المدلجي قد دخل على فرأى اسامة وزيدا عليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وقد بدت أقدامهما

الغلام فانه أعلم بأمره منكم فسألني فقصصت عليه أمري من أوله الى آخره فوثب الي وضمني الى صدره ثم نادى بأعلى صوته يا للعرب يا للعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فأدرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا ٥٧ بمثله فعمدت ظئري فنزعتني من حجره وقالت لانت أعته وأجن ولو علمت ان هذا قولك ما أتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلي هذا الغلام ثم احتملوني الى أهلهم ثم أصبحت فزعا مما فعلوا يعني الملائكة وأصبح أثر الشق ما بين صدري الى منتهى عانتي ولعل الحكمة في بقاء أثر التئام الشق الدلالة على وجود الشق وقد أشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

وأتت جده وقد فصلته ... وبها من فصاله البرحاء
اذ أحاطت به ملائكة الله ... فظنت بانهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد ... لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها ... ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه وأخرج منه ... مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو ... دع ما لم يدع له أنباء
صان أسراره الختام فلا الفض ... ض ملم به ولا الافضاء

وقد تكرر شق الصدر هذه المرة الاولى لينشأ على أكمل الحالات وأتم الصفات والمرة الثانية عند بلوغه عشر سنين أو عشرين سنة وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الامام أحمد عن أبي بن كعب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله ما أول

مارأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت يا أبا هريرة أني لفي صحراء وأنا ابن عشرين سنة وأشهر اذا بكلام فوق رأسي واذا رجل يقول لآخر أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا الي يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني بلا

فقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض وقد جعل أئمتنا ذلك أصلا لوجوب الاخذ بقول القائف في الحاق النسب قال الابي رحمه الله والمعروف أن الحبشية انما هي بركة أخرى جارية أم حبيبة قدمت معها من الحبشة وكانت تكنى أم يوسف كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم أي وهي التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي قيل وورث صلى الله عليه وسلم من أبيه مولاه شقران وكان عبدا حبشيا فأعتقه بعد بدر وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه وقيل بل وهبه عبد الرحمن بن عوف له صلى الله عليه وسلم

باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا أي مقطوع السرة وجاء أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ولد نزل جبريل عليه السلام وقطع سرته وأذن في أذنه وكساه ثوبا أبيض وولد نبينا صلى الله عليه وسلم مختونا أي على صورة المختون أي ومكحولا ونظيفا ما به قذر (أقول) أي لم يصاحبه قذر وبلل فلا ينافي جواز وجود البلل والقذر بعده أي في زمن امكان النفاس فلا يستدل بذلك على ان أمه صلى الله عليه وسلم لم ترنفاسا فان النفاس عندنا معاشر الشافعية هو البلل الحاصل بعد الولادة في زمن امكانه وهو قبل مضي خمسة عشر يوما الا الحاصل مع الولد والله أعلم قال وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتي أي لئلا يرى أحد سوأتي عند الختان قال الحاكم تواترت الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وتعقبه الذهبي فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا وأجيب بانه أراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت أحاديث كثيرة في ذلك قال الحافظ ابن كثير فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان أي وقد يدعى أنه لا مخالفة بين هذه الاقوال الثلاثة لانه يجوز أن يكون من قال صحيحة أراد صحيحة لغيرها والصحيحة لغيرها قد تكون حسنة لغيرها ومن قال ضعيفة أراد في حد ذاتها وفي الهدى ان الشيخ جمال الدين بن طلحة صنف في أنه ولد مختونا مصنفا أجلب فيه من الاحاديث التي لا خطام لها ولا زمام ورد عليه في ذلك الشيخ جمال الدين بن العديم وذكر أنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب وولد من الانبياء على صورة المختون أيضا غير نبينا صلى الله عليه وسلم ستة عشر نبيا وقد نظم الجميع بعضهم فقال

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة ... ثمان وتسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف ... وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح ... سليمان يحيى هود يس خاتم

وليس هذا من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل غيرهم من الناس يولد كذلك ومن خرافات العامة أن يقولوا لمن يولد كذلك ختنه القمر أي لان العرب تزعم ان المولود في القمر تنفسخ قلفته فيصير كالمختون وربما قالت العامة ختنته الملائكة وبهذا يرد على ماذكره الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولادته مختونا وقيل ختن

صلى الله عليه وسلم أى ختنه الملك الذى هو جبريل كما صرح به بعضهم يوم شق قلبه صلى الله عليه وسلم عند ظئره أى مرضعته حليمة قال الذهبى انه خبر منكر وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته صلى الله عليه وسلم قال العراقى وسنده غير صحيح اه أى لما تقدم عنه صلى الله عليه وسلم بكبش كما سيأتى (أقول) وقد يجمع بانه يجوز أن يكون ولد مختونا غير تام الختان كما هو الغالب فى ذلك فتمم جده ختانه لكن ينازع فيه ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى أى لاجل الختان كما هو الظاهر ان صح كما قدمنا وفى كلام بعضهم ان عيسى عليه السلام ختن بآلة وعلى صحته يجمع بنحو ما تقدم والظاهر أن المراد بالآلة التى ختن بها عيسى والتى ختن بها صلى الله عليه وسلم بناء على ان جده ختنه كانت بالآلة المعروفة أى هى الموسى ولا التفات لان ذلك مما تتوفر الدواعى على نقله لا يقال عدم وجود القلفة نقص من أصل الخلقة الانسانية فقد قالوا فى حكمة وجود العلقة السوداء التى هى حظ الشيطان فيه ولم يخلق بدونها بل خلق بها تكملة للخلق الانسانى لانا نقول انما لم يخلق بتلك القلفة ليحصل كمال الخلقة الانسانية لان هذه القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل أحد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية بها عين الكمال بخلاف العلقة السوداء وكره الحسن أن يختن الولد يوم السابع لان فيه تشبها باليهود أى لان ابراهيم عليه السلام ما ختن ولده اسحق عليه السلام يوم سابع ولادته فاتخذه بنو اسرائيل فى ذلك اليوم سنة وختن ولده اسمعيل عليه السلام لثلاث عشرة سنة قال أبو العباس ابن تيمية فصار ختان اسمعيل عليه السلام أى فى ذلك الوقت سنة فى ولده بنى العرب ويؤيده قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانوا لا يختنون الغلام حتى يدرك أى لان الثلاثة عشر هى مظنة الادراك ثم ما سئل ابن عباس عن سنه حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنا يومئذ مختون أى فى أوائل زمن الختان والله أعلم * والمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها (أقول) وفى رواية عن أمه أنها قالت لما خرج من بطنى نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل ولا مخالفة لجواز أن يراد باصبعيه السبابتان من اليدين والله أعلم وفى سجوده اشارة الى أن مبدأ أمره على القرب من الحضرة الالهية قال وروى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على يديه رافعا رأسه الى السماء وفى رواية وقع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره الى السماء اه (أقول) وفى رواية وقع جاثيا على ركبتيه ولا يخالف هذا ما سبق من أنها نظرت اليه فاذا هو ساجد لجواز أن يكون سجوده بعد رفع رأسه وشخوص بصره الى السماء ولا مخالفة بين كونه وقع على الارض مقبوضة أصابع يديه وبين وقوعه على كفيه لجواز أن يكون قبض أصابعه ما عدا السبابة بعد ذلك ولا ينافيه قوله مقبوضة المنصوب على الحال لقرب زمنهما من الوقوع على الارض والاقتصار على الركبتين لا ينافى الجمع بينهما وبين الكفين ورأيت فى كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم ولد واضعا احدى يديه على عينيه والاخرى على سوأته فليتأمل والله أعلم والى رفع رأسه صلى الله عليه وسلم وشخوص بصره الى السماء يشير صاحب الهمزية بقوله

رافعا رأسه وفى ذلك الرفع * الى كل سودد ايماء

قصر ولا هصر أى من غير اتعاب فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له اخرج الغل والحسد فاخرج شيأ كهيئة العلقة ثم نبذها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا الذى ادخله يشبه الفضة ثم نقر ابهام رجلى اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت وعندى رأفة على الصغير ورحمة على الكبير قيل ان الصواب ان ذلك وعمره عشر سنين وان ذكر العشرين غلط من بعض الرواة والمرة الثالثة عند ابتداء الوحى والمرة الرابعة عند المعراج والحكمة فى الشق الثانى الذى كان وعمره عشر سنين قال فى السيرة الشامية ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشئ مما يعاب على الرجال والشق الثالث قال الحافظ ابن حجر الحكمة فيه زيادة الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير والحكمة فى الرابع الزيادة فى اكرامه ليتأهب للمناجاة وعن حليمة رضى الله تعالى عنها أنها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع اخته من الرضاع وهى الشيماء وكانت تحضنه مع أمها ولذلك تدعى أم النبى صلى الله عليه وسلم أيضا وكانت ترقصه وتقول

هذا أخ لى لم تلده أمى
وليس من نسل أبى وعمى
فأنمه اللهم فيمن تنمى

ومما كانت ترقصه به اخته الشيماء

يا ربنا ابق لنا محمدا
حتى أراه يافعا وأمردا
ثم أراه سيدا مسودا
واكبت أعاديه معا والحسدا
واعطه عزا يدوم أبدا

قال الازدى ما أحسن ما أجاب الله به دعاءها فقالت حليمة فى هذا الحر اى ما ينبغى أن يكون الخروج والوقوف فى هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد أخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى اذا انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول حقا يا بنية قالت أى والله فجعلت تقول أعوذ بالله من شر ما نحذر على ابنى وفى كلام بعضهم أن حليمة رضى الله عنها فى بعض الاوقات رأت الغمامة

رامقا

رامقا طرفه السماء ومرمى * عين من شأنه العلو العلاء

أى وضعته حالة كونه رافعا رأسه الى السماء وفى ذلك الرفع الذى هو أول فعل وقع منه بعد بروزه صلى الله عليه وسلم الى هذا العالم اشارة الى حصول كل رفعة وسيادة ووضعته حالة كونه رامقا ببصره الى السماء وسر ذلك الاشارة الى علو مرماه اذ مرمى عين الذى قصده ارتفاع مكانه الرفعة والشرف قال وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قبض قبضة من تراب وأهوى ساجدا فبلغ ذلك رجلا من بنى لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الفأل ليغلبن هذا المولود أهل الارض أى لانه قبض عليها وصارت فى يده والفأل بالهمز وبدونه يقال فيما يسر والتطير فيما يسوء فالفأل ضد الطيرة بكسر الطاء وقد جاء انى أتفاءل ولا أتطير وقيل له صلى الله عليه وسلم ما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم وقال صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة وفى رواية وأحب الفأل الصالح وفرق بعضهم بين الفأل والتفاؤل بان الاول يكون فى سماع الآدميين والثانى يكون فى الطير باسمائها وأصواتها ومرها وقوله لا عدوى معارض لما جاء أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم انا قد بايعناك فارجع فرجع ولم يصافحه وجاء لا تديموا النظر للمجذومين وسيأتى الجواب عنه بما يحصل به الجمع بينه وبين ما جاء أنه أخذ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة وقال كل بسم الله عز وجل وتوكلا عليه وبنو لهب بكسر اللام وسكون الهاء حى من الازد أعلم الناس بالزجر أى زجر الطير والتفاؤل بها وبغيرها فقد كان فى الجاهلية اذا أراد الشخص أن يخرج لحاجة جاء الى الطير وأزعجها عن أوكارها فان مر الطائر على اليمين سمى سانحا واستبشر مريد الحاجة بقضائها وان مر على اليسار سمى بارحا بالموحدة والراء والحاء المهملة وتعدم مريد الحاجة عنها تفاؤلا بعدم قضائها أى وهذا ما فسر به امامنا الشافعى الحديث الآتى أقروا الطير فى مكامنها فعن سفيان ابن عيينة قال قلت للشافعى رضى الله تعالى عنه يا أبا عبد الله ما معنى هذا الحديث فقال علم العرب كان فى زجر الطير كان الرجل منهم اذا أراد سفرا جاء الى الطير فى مكامنها فطيرها الحديث ويحكى عن وائل بن حجر وكان زاجرا حسن الزجر أنه خرج يوما من عند زياد بالكوفة وهو الذى ألحقه معاوية بابيه أبى سفيان وهو والد عبيد الله بن زياد الذى قاتل الحسين وكان اميرها المغيرة ابن شعبة فرأى غرابا ينعق بالغين المعجمة أى يصيح فرجع الى زياد وقال له هذا غراب يرحلك من ههنا الى خير فقدم رسول معاوية الى زياد من يومه بولاية البصرة وقد ذكر ان أبا ذؤيب الهذلى الشاعر كان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ولما كان وقت السحر هتف بى هاتف وأنا نائم وهو يقول

قبض النبى محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالتسجام

قال فقمت من نومى فزعا فرأيت فى السماء فلم أر الا سعد الذابح فتفاءلت به وعلمت ان النبى صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتى وحثثتها حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطير فأخبرنى بوفاته صلى الله عليه وسلم فلما قدمت المدينة فاذا فيها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج فسألت فقيل لى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى وقد خلا به أهله وأبو هذيل هذا هو القائل

تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ووفدت عليه حليمة رضى الله عنها بعد تزوجه بخديجة رضى الله عنها تشكو اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة رضى الله عنها فاعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات من الابل وفى رواية أربعين شاة وبعيرا ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه وفى رواية قدمت مع زوجها وولدها فبسط لهم رداءه وفى رواية وأجلسهم على ثوبه وفى كلام القاضى عياض ثم جاءت أبا بكر فبسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك (قال فى السيرة الحلبية) نقلا عن ابن الاثير فتكون قد عمرت دهرا طويلا وعن أبى الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة بعد رجوعه من حنين والطائف وأنا غلام شاب فأقبلت امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه فقيل أمه التى أرضعته وفى رواية استأذنت امرأة على النبى صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال أمى أمى وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه قال ابن حجر فى شرح الهمزية من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها وغلط من أنكر اسلامها بل أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وقبرها معروف يزار رضى الله عنها * وفى السيرة الحلبية أن بنتها الشيماء أخت النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع كانت فى السبى يوم حنين فلما أخذها المسلمون قالت أنا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا رسول الله أنا اختك قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه وكلام المواهب يقتضى انهما قضيتان فى كل منهما قام وبسط رداءه واحدة عند مجىء أخته وواحدة عند مجىء أمه خلافا لمن وهم فى ذلك وأنكر مجىء الام وقال بل هى الاخت فقط قال ابن عبد البر فى الاستيعاب حليمة السعدية أم النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه

فأسلمت عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع يقال لها الشيماء أغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فأخذوها فيمن أخذوا من السبي الحديث وقد ألف الحافظ مغلطاي تأليفا في اسلام حليمة رضي الله عنها رادا على من أنكر

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل خمسا وقيل ستا وقيل أكثر من ذلك توفيت أمه وروى الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه الى أخوال جده وهم بنو عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم أيمن بركة الحبشية فأقامت به عندهم شهرا وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يذكر أمورا كانت في مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال ههنا نزلت بي أمي وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته ثم رجعت به أمه الى مكة وفي رواية أبي نعيم قال صلى الله عليه وسلم فنظر الي رجل من اليهود يختلف ينظر الي فقال يا غلام ما اسمك قلت أحمد ونظر الى ظهري فسمعته يقول هذا نبي هذه الامة ثم راح الى اخوانه فأخبرهم فأخبروا أمي فخافت علي فخرجنا من المدينة فلما كانت بالابواء توفيت ودفنت فيها وقيل بالحجون وقيل جمعا بين الروايتين انها دفنت أولا بالابواء ثم نبشت ونقلت الى مكة ودفنت بالحجون والابواء موضع من أعمال الفرع بين مكة والمدينة وكان عمرها حين توفيت في حدود العشرين سنة (وروى أبو نعيم) في دلائل النبوة من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت شهدت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع أي مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه الى وجهه ثم قالت

بارك الله فيك من غلام * يا ابن الذي من حومة الحمام

أمن المنون وريبه تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع
وتجلدي للشامتين أريهم * اني لريب الدهر لا أتضعضع
والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

ومن زجر الطير ما حكاه بعضهم قال جاء اعرابي الى دار القاضي أبي الحسين الازدي المالكي فجاء غراب فقعد على نخلة في تلك الدار وصاح ثم طار فقال الاعرابي هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام فصاح الناس عليه وزجروه فقام وانصرف ففي سابع يوم مات هذا القاضي وقد جاء النهي عن ذلك أي عن الزجر والطيرة في قوله صلى الله عليه وسلم أقروا الطير على مكامنها أي لا تزجروها وجاء الطيرة شرك وجاء من أرجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك أي حيث اعتقد أنها تؤثر وجاء اذا رأى أحدكم من الطيرة ما يكره فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يدفع السيآت الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك وفي رواية اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي لحاجته وقد جاء لا عدوى ولا طيرة ولا هام وفي لفظ ولا هامة بالتخفيف زاد في رواية ولا صفر والهامة هو انه كان أهل الجاهلية يزعمون أنه اذا قتل القتيل ولم يؤخذ بثاره يخرج له طائر يقول عند قبره اسقوني من دم قاتلي اسقوني من دم قاتلي ولا يزال يقول ذلك حتى يؤخذ بثار القتيل كانت العرب تسميه الهامة بالتخفيف وأما الهامة بالتشديد فواحدة الهوام وهي الحيات والعقارب وما شا كلها ومن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في تعويذه للحسن والحسين أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا ابراهيم عليه السلام كان يعوذ اسمعيل واسحق وقوله ولا صفر ذكر الامام النووي ان المراد به حية صفراء تكون في جوف الانسان اذا جاع تؤذيه كذا كانت العرب تزعم ذلك قال وهذا التفسير هو الصحيح الذي عليه عامة العلماء وقد ذكره مسلم عن جابر راوي الحديث فتعين اعتماده * وروى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت أمي حين وضعتني سطع منها نور أضاءت له قصور بصرى وفي رواية أنها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب فأضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت أعناق الابل ببصرى وفي الخصائص الصغرى ورأت أمه عند ولادته نورا خرج منها أضاء له قصور الشام وكذلك أمهات الانبياء عليهم السلام يرين اه ولعل المراد يرين مطلق النور لا الذي تضيء منه قصور الشام وقوله قصور الشام الخ ظاهر في ان المراد جميع الاقليم لا خصوص بصرى ولعل الاقتصار على بصرى في الروايات لكون النور كان بها أتم ومن ثم قالت حتى رأيت أعناق الابل ببصرى أو رأت مرة وصول النور الى بصرى خاصة ومرة جاوزها تأمل والى هذا النور يشير عمه العباس رضي الله تعالى عنه بقوله في قصيدته التي امتدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وقد قال له في مرجعه من تلك الغزوة يا رسول الله اني أريد ان امتدحك فقال له رسول الله قل لا يفضض الله فاك فقال قصيدة منها

وانت

نجا بعون الملك العلام * فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام * ان صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث الى الانام * تبعث في الحل وفي الحرام
تبعث في التحقيق والاسلام * دين أبيك البر ابراهام
فالله أنهاك عن الاصنام * أن لا تواليها مع الاقوام

ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكري باق وولدت طهرا قالت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك

تبكي الفتاة البرة الامينه
ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه
أم نبي الله ذي السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه
صارت لدى حفرتها رهينه
لو فوديت لفوديت ثمينه
وللمنايا شفرة متينه
لا تبق ظعانا ولا ظعينه
الا أتت وقطعت وتينه
أما دللت أيها الحزينه
عن الذي ذو العرش يعلي دينه
فكلنا والهة حزينه
نبكيك للعطلة أو للزينه
أو للضعيفات وللمسكينه

(قال الزرقاني في شرح المواهب) نقلا عن الجلال السيوطي بعد ذكر أبياتها السابقة وهذا القول منها صريح في أنها موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وسلم بالاسلام من عند الله ونهيه عن الاصنام وموالاتها وهل التوحيد شيء غير هذا فان التوحيد هو الاعتراف بالله والهيته وانه لا شريك له والبراءة من عبادة الاصنام ونحوها وهذا القدر كاف في التبري من الكفر وثبوت صفة التوحيد في زمن الجاهلية قبل البعثة وانما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة ولا يظن بكل من كان في الجاهلية أنه كان كافرا على العموم فقد تحنف فيها جماعة فلا بدع أن تكون أمه صلى الله عليه وسلم منهم كيف وأكثر من تحنف منهم انما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وسلم من انه قرب بعث نبي من الحرم صفته كذا وأمه صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها وشاهدت في حمله وولادته من آياته

وأنت لما ولدت أشرقت الا رض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

أي رؤيت قصور ملك الروم في بلاد الروم يبصرها الذي داره بمكة قال وهذا ظاهر في انها رأت ذلك النور يقظة وتقدم في حديث شداد أنها رأت أنه مناما وقد تقدم الجمع اه أي وتقدم ما في ذلك الجمع (وذكر) أن أم امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه رأت وهي حامل به ان النجم المسمى بالمشتري خرج من فرجها فوقع في مصر ثم وقع في كل بلدة منه شظية فتأول ذلك أصحاب تأويل الرؤيا أنها تلد عالما يكون علمه بمصر أولا ثم ينتشر الى سائر البلدان (وروى) السهيلي عن الواقدي انه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربي الرفيع وروى ان أول ما تكلم به لما ولدته أمه حين خروجه من بطنها الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ولا مانع من انه صلى الله عليه وسلم تكلم بكل ذلك والاولية في الرواية الثانية اضافية لما لا يخفى * وقد وقع الاختلاف في وقت ولادته صلى الله عليه وسلم أي هل كان ليلا أو نهارا وعلى الثاني في أي وقت من ذلك النهار وفي شهره وفي عامه وفي محله فقيل ولد يوم الاثنين قال بعضهم لا خلاف فيه والله بل أخطأ من قال ولد يوم الجمعة أي فعن قتادة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وذكر الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر ان ذلك كان حين طلوع الفجر ويدل له قول جده عبد المطلب ولد لي الليلة مع الصبح مولود وعن سعيد بن المسيب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابهار النهار أي وسطه وكان ذلك لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول أي وكان ذلك في فصل الربيع وقد أشار الى ذلك بعضهم بقوله

يقول لنا لسان الحال منه * وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي * ربيع في ربيع في ربيع

قال وحكى الاجماع عليه وعليه العمل الآن أي في الامصار خصوصا أهل مكة في زيارتهم موضع مولده صلى الله عليه وسلم وقيل لعشر ليال مضت من ربيع وصحح اه أي صححه الحافظ الدمياطي أي لان الاول قال فيه ابن دحية ذكره ابن اسحق مقطوعا دون اسناد وذلك لا يصح أصلا ولو أسنده ابن اسحق لم يقبل منه لتجريح أهل العلم له فقد قال كل من ابن المديني وابن معين ان ابن اسحق ليس بحجة ووصفه مالك رضي الله تعالى عنه بالكذب قيل وانما طعن فيه مالك لانه بلغه عنه أنه قال هاتوا حديث مالك فأنا طبيب بعلله فعند ذلك قال مالك وما ابن اسحق انما هو رجل من الدجاجلة أخرجناه من المدينة قال بعضهم وابن اسحق من جملة من يروي عنه شيخ مالك يحيى بن سعيد وقال بعضهم ابن اسحق فقيه ثقة لكنه مدلس وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية وهو الذي لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ وقال القطب القسطلاني هو اختيار أكثر أهل الحديث أي كالحميدي وشيخه ابن حزم * وقيل لليلتين خلتا منه وبه جزم ابن عبد البر وقيل لثمان عشرة ليلة خلت منه رواه ابن

الباهرة مايحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذى خرج منها أضاءت له قصور الشام حتى رأتها وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن فى كلمات أخر من هذا النمط وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت به الى مكة فهذا كله مما يؤيد أنها تحنفت فى حياتها وأما أبوه رضى الله عنه فنقل عنه كلمات وأشعار تدل على توحيده أيضا كقوله حين عرضت المرأة نفسها عليه

أما الحرام فالممات دونه * والحل لاحل فاستبينه

يحمى الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذى تبغينه

مع ما كان عليه من العفة حتى افتتن به النساء ولم ينلن منه شيأ وكان نور النبى صلى الله عليه وسلم يضىء فى وجهه كالكوكب وقد قال صلى الله عليه وسلم لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات فالكافر لا يوصف بأنه طاهر ففيه دليل على طهارة آبائه وأمهاته من الكفر قال فى المواهب وقد روى ان آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبرانى وابن شاهين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون كئيبا حزينا وفى رواية وهو بالحزين فأقام به ماشاء الله ثم رجع مسرورا قال يخاطب عائشة رضى الله عنها سألت ربى فأحيا لى أمى فآمنت بى ثم ردها أى الى ما كانت عليه من الموت وروى السهيلى من حديث عائشة رضى الله عنها أيضا احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به ولفظه بسنده الى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما قال السهيلى والله قادر على كل شئ وليس تعجز رحمته وقدرته عن شئ ونبيه صلى الله عليه وسلم أهل أن يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته ورواه الخطيب البغدادى وقد جزم بعض العلماء بان أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا فى النار بل فى الجنة تمسكا بهذا الحديث ونحوه قال من

أبى شيبة وهو حديث معلول وقيل لاثنتى عشرة بقين منه وقيل لاثنى عشرة وقيل لثمان ليال خلت من رمضان وصححه كثير من العلماء وهذا هو الموافق لما تقدم من أن أمه صلى الله عليه وسلم حملت به فى أيام التشريق أو فى يوم عاشوراء وانه مكث فى بطنها تسعة أشهر كوامل لكن قال بعضهم ان هذا القول غريب جدا ومستند قائله انه أوحى اليه صلى الله عليه وسلم فى رمضان فيكون مولده فى رمضان وعلى انها حملت به فى أيام التشريق الذى لم يذكروا غيره يسلم ما فى بقية الاقوال قال وقيل ولد فى صفر وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى محرم وقيل فى عاشوراء أى كما ولد عيسى عليه السلام وقيل لخمس بقين منه اه * أى وذكر الذهبى أن القول بأنه ولد صلى الله عليه وسلم فى عاشوراء من الافك أى الكذب وفيه ان كان ذلك لانه لا يجامع انها حملت به صلى الله عليه وسلم فى أيام التشريق وأنه مكث فى بطنها تسعة أشهر كوامل لا يختص الافك بهذا القول بل يأتى فيما عدا القول بأنه ولد فى رمضان ثم رأيت بعضهم حكى انه حمل به فى شهر رجب وحينئذ يصح القول المشهور بولادته فى ربيع الاول * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد يوم الاثنين فى ربيع الاول وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين فى ربيع الاول وهاجر الى المدينة يوم الاثنين فى ربيع الاول وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين فى ربيع الاول وتوفى يوم الاثنين فى ربيع الاول قال بعضهم وهذا غريب جدا (وقيل) لم يولد نهارا بل ولد ليلا فعن عثمان ابن أبى العاص عن أمه رضى الله تعالى عنهما انها شهدت ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شئ أنظر اليه من البيت الا نور وانى لانظر الى النجوم تدنو حتى انى لاقول لتقعن على قال ابن دحية وهو حديث مقطوع قال بعضهم ولا يصح عندى بوجه انه ولد ليلا لقوله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه بنقل العدل عن العدل انه سئل عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت واليوم انما هو النهار بنص القرآن وأيضا الصوم لا يكون الا نهارا وأفاد البدر الزركشى ان هذا الحديث أى المتقدم عن أم عثمان بن أبى العاص على تقدير صحته لا دلالة فيه على انه ولد ليلا قال فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز أن تسقط النجوم نهارا أى فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل والى التردد فى وقت ولادته صلى الله عليه وسلم هل هو فى الليل أو النهار أشار صاحب الهمزية بقوله

ليلة المولد الذى كان للديـ * ـن سرور بيومه وازدهاء

فهنيأ به لآمنة الفضـ * ـل الذى شرفت به حواء

من لحواء انها حملت أحـ * ـمد أو أنها به نفساء

يوم نالت بوضعه ابنة وهب * من فخار مالم تنله النساء

أى ليلة المولد الذى وجد فيه الفرح والافتخار للدين بيومه وقد أضاف كلا من الليل واليوم للولادة مراعاة للخلاف فى ذلك فهنيأ لآمنة الفضل الذى حصل لها بسبب ولادتها له صلى الله عليه وسلم أى لا يشوب ذلك الفضل كدر ولا مشقة الذى شرفت بذلك الفضل حواء التى هى أم البشر ومن يشفع لحواء فى انها حملت به وأنه أصابها نفاس به يوم أعطيت آمنة بنت وهب بسبب وضعه من الفخار وهو ما يتمدح به من الخصال العلية والشيم المرضية مالم يعطها غيرها

السيوطى مال الى أن الله أحياهما حتى آمنا به طائفة من الائمة وحفاظ الحديث واستندوا الى هذا الحديث وادعى بعضهم أنه موضوع وهذا مردود والحق أنه ضعيف لا موضوع والضعيف يعمل به فى الفضائل ولقد أحسن الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقى حيث قال

حبا الله النبى مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا

فأحيا امه وكذا أباه * لايمان به فضلا منيفا

فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدنى بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعنى الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة قال الزرقانى فى شرح المواهب بعد ذكر حديث احيائهما وقد جعل هؤلاء الائمة هذا الحديث ناسخا للاحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا على أنه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها وقال الشهاب ابن حجر فى مولده وفى شرح الهمزية ان الحديث غير ضعيف بل صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا للطعن فيه وعلى ذلك قول بعضهم

أيقنت ان أبا النبى وأمه * أحياهما الرب الكريم البارى

حتى له شهدا بصدق رسالة * سلم فتلك كرامة المختار

هذا الحديث ومن يقول بضعفه * فهو الضعيف عن الحقيقة عار

قال الزرقانى الذى يظهر لى أن المراد صححوا العمل به فى الاعتقاد وان كان ضعيفا لكونه فى مرتبته فيرجع لكلام السيوطى وقال التلمسانى روى اسلام أمه بسند صحيح وكذا روى اسلام أبيه وكلاهما بعد الموت تشريفا له وسيذكر فى المواهب فى المعجزات ان الله أحيا على يده صلى الله عليه وسلم خمسة منهم الابوان قال القرطبى فى التذكرة ان فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع الى حين مماته فيكون احياؤهما مما فضله الله به وأكرمه ولا يرد ذلك اجماع ولا قرآن وليس احياؤهما وايمانهما مما يمتنع عقلا ولا شرعا فقد ورد فى الكتاب العزيز احياء قتيل بنى اسرائيل

من النساء أى وقد أقسم الله بليلة مولده صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى والضحى والليل وقيل أراد بالليل ليلة الاسرى ولا مانع أن يكون الاقسام وقع بهما أى استعمل الليل فيهما ويدل لكون ولادته صلى الله عليه وسلم كانت ليلا قول بعض اليهود ممن عنده علم الكتاب لقريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبى هذه الامة الاخيرة الى آخر ما يأتى وسيأتى ما يدل على ذلك وهو وضعه تحت الجفنة وولادته صلى الله عليه وسلم قيل كانت فى عام الفيل قيل فى يومه فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل وعن قيس بن مخرمة ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل صحح فى لدان قال الحافظ ابن حجر المحفوظ لفظ العام أى بدل لفظ اليوم وقد يراد باليوم مطلق الوقت فيصدق بالعام كما يقال يوم الفتح ويوم بدر وعليه فلدان معناه متقاربان فى السن بالموحدة وعلى أن المراد باليوم حقيقته يكون بالنون وفى تاريخ ابن حبان ولد عام الفيل فى اليوم الذى بعث الله تعالى الطير الابابيل فيه على أصحاب الفيل وعند ابن سعد ولد يوم الفيل يعنى عام الفيل اه أى لما تقدم عن ابن حجر وعليه فيكون قول ابن حبان فى اليوم تفسير اللعام على ان المراد باليوم مطلق الوقت الصادق بالعام وقيل ولد بعد الفيل بخمسين يوما كما ذهب اليه جمع منهم السهيلى قال بعضهم وهو المشهور قال وقيل بخمسة وخمسين يوما وقيل بأربعين يوما وقيل بشهر وقيل بعشر سنين وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل بثلاثين سنة وقيل بأربعين سنة وقيل بسبعين سنة اه أى وعلى انه بعد الفيل بخمسة وخمسين يوما اقتصر الحافظ الدمياطى رحمه الله وعبارة المواهب حكاه الدمياطى فى آخرين وكونه فى عام الفيل قال الحافظ ابن كثير هو المشهور عند الجمهور وقال ابراهيم بن المنذر شيخ البخارى رحمه الله لا يشك فيه أحد من العلماء ونقل غير واحد فيه الاجماع وقال كل قول يخالفه وهم أى وقيل قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة قال بعضهم وهذا غريب منكر وضعيف أيضا (أقول) والقول بأنه ولد قبل عام الفيل أو فيه أو بعده بعشر سنين يقتضى تضعيف ما ذكره الحافظ أبو سعيد النيسابورى ان نور النبى صلى الله عليه وسلم كان يضىء فى غرة جده عبد المطلب وكانت قريش اذا أصابها قحط أخذت بيد عبد المطلب الى جبل ثبير يستسقون به فيسقيهم الله تعالى ببركة ذلك النور وانه لما قدم صاحب الفيل لهدم الكعبة لتكون كنيسته التى بناها ويقال انها القليس بحجر لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لانها فى أعلى الرؤس مكان الكعبة فى الحج اليها وقد اجتهد ابرهة فى زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب كان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وشدد على عمالها بحيث اذا طلعت الشمس قبل أن يأخذ العامل فى عمله قطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهى امرأة عجوز فتضرعت اليه فى أن لا يقطع يد ولدها فأبى الا قطع يده فقالت له اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغد لغيرك فقال لها ويحك ما قلت فقالت نعم كما صار هذا الملك من غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك فأخذته موعظتها فعفا عنه ورجع عن هذا الامر فعند ذلك ركب عبد المطلب فى قريش الى جبل ثبير فاستدار ذلك النور فى وجه عبد المطلب كالهلال وألقى

واخباره بقاتله كما قص الله ذلك في سورة البقرة وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يده
جماعة من الموتى قال الزرقاني فأحيا ابنة الرجل الذي قال لا أومن بك حتى تحيى لي ابنتي فجاء الى قبرها وناداها فقالت لبيك وسعديك
رواه البيهقي في الدلائل وأباه وأمه وتوفى شاب من الانصار فقالت أمه وهي عجوز عمياء بهجرتي الله ورسوله

فأحياه الله رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما ولما مات زيد بن حارثة الانصاري من سراة الانصار كشفوا عنه فسمعوا على لسانه قائلا يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وأخرج ابن الضحاك ان أنصاريا توفى فلما كفن وحمل قال محمد رسول الله هذا ملخص ماذكره المصنف يعني صاحب المواهب في المعجزات قال القرطبي بعد ذكر ما تقدم عنه واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضا بانهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة التي عم الجهل فيها وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصا وقد ماتا في حداثة السن فان والده صلى الله عليه وسلم عاش نحو ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت وهي في حدود العشرين تقريبا ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في ذلك الزمان وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد أطبقت الائمة الاشاعرة من أهل الاصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ويدخل الجنة قال الجلال السيوطي هذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الشافعي في الام والمختصر وتبعه سائر الاصحاب فلم يشر أحد منهم لخلاف واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهي مسئلة فقهية مقررة في كتب الفقه وهي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند الاشاعرة وهي قاعدة

شعاعه على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب الى ذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور مني الا أن يكون الظفر لنا فرجعوا فلما دخل رسول صاحب الفيل الى مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه أي فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب أي قال له صاحب الفيل أمره أن يقول لقريش ان الملك انما جاء لهدم البيت فان لم تحولوا بينه وبينه لم يرد هدمه وان احلتم بينه وبينه أتى عليكم فقال له عبد المطلب ما عندنا نامنعه ولا ندفع عن هذا البيت وله رب ان شاء منعه أي وفي لفظ قال عبد المطلب والله ما نريد حربه ومالنا منه بذلك طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليل الله فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان لم يحل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه وأمر ابرهة رسوله أيضا أن يأتي له بسيد القوم فقال لعبد المطلب قد أمرني أن آتيه بك فقال عبد المطلب افعل فجاءه راعي ابله وخيله وأخبره ان الحبشة أخذت الابل والخيل التي كانت ترعى بذي المجاز (وفي سيرة ابن هشام) بل وفي غالب السير الاقتصار على الابل وانها كانت مائتي بعير وقيل أربعمائة ناقة فركب عبد المطلب صحبة رسول صاحب الفيل وركب معه ولده الحرث فاستؤذن له على ابرهة أي قيل له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة يعني زمزم وهو يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤس الجبال فأذن له فلما دخل ورآه ابرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه على سرير ملكه فنزل عن سريره وأجلسه معه على البساط وقال لترجمانه اسأله عن حاجته فذكر ابله وخيله فذكر الترجمان له ذلك فقال للترجمان بلسان الحبشة قل له كنت أعجبتني اذ رأيتك ثم قد زهدت فيك اذ سألتني ابلا وخيلا وتركت أن تسأل عن البيت الذي هو عزك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب أنا رب الابل والخيل التي سألتها الملك وأما البيت فله رب ان شاء أن يمنعه من الملك فقال ابرهة ما كان ليمنعه مني فردعليه ما كان أخذ له وانصرف وابرهة بلسان الحبشة الابيض الوجه ثم ان الفيل لما نظر الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وأنطق الله سبحانه وتعالى الفيل فقال السلام على النور الذي في ظهرك ياعبد المطلب (وفي كلام بعضهم) أن ابرهة لما بلغه مجيء عبد المطلب اليه أمر أن عبد المطلب قبل دخوله عليه أن يذهب به الى الفيلة ليراها ويرى الفيل العظيم وكان أبيض اللون (أقول) رأيت أن ملك الصين كان في مربطه ألف فيل أبيض وكان مع الفرس في قتال أبي عبيد بن مسعود الثقفي أمير الجيش في خلافة الصديق أفيلة كثيرة عليها الجلاجل وقدموا بين أيديهم فيلا عظيما أبيض وصارت خيول المسلمين كلما حملت وسمعت حس الجلاجل نفرت فأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة فقتلوها عن آخرها وتقدم أبو عبيد لهذا الفيل العظيم الابيض فضربه بالسيف فقطع زلومه فصاح الفيل صيحة هائلة وحمل على أبي عبيد فتخبطه برجله ووقف فوقه فقتله فحمل على الفيل شخص كان أبو عبيد أوصى أن يكون أميرا بعده فقتله ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص أبو عبيد عليهم واحدا بعد واحد وهذا من أغرب الاتفاقيات والله أعلم وانما أرى عبد المطلب الفيلة ارهابا له وتخويفا فان العرب لم تكن تعرف

شكر المنعم واجب بالسمع لا بالعقل ومرجعها الى قاعدة كلامية هي التحسين والتقبيح العقليان وانكارهما متفق عليه بين الاشاعرة
وترجع مسئلة من لم تبلغه الدعوة الى قاعدة ثانية أصولية وهي ان الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب في الاصول لقوله تعالى ذلك ان
لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ثم اختلفت عبارة الاصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فأحسنها من قال أنه ناج واياها

اختار السبكي ومنهم من قال كأهل الفترة ومنهم من قال مسلم قال الغزالي والتحقيق أن يقال في معنى المسلم وقد مشى على هذا في والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من العلماء فصرحوا بانهما لم تبلغهما الدعوة قال السيوطي وكان شيخنا شيخ الاسلام شرف الدين المناوي يقول به ويجيب به اذا سئل عنهما قال وقد ورد في أهل الفترة أحاديث انهم موقوفون الى أن يمتحنوا يوم القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهي كثيرة ومعانيها متقاربة والصحيح منها ثلاثة (الاول) حديث الاسود بن سريع وأبي هريرة معا مرفوعا أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيأ ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة الحديث أخرجه الامام أحمد وابن راهويه والبيهقي وصححه وفيه وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب اليها (والثاني) حديث أبي هريرة رضى الله عنه موقوفا وله حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأي أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم واسناده صحيح على شرط الشيخين (والثالث) حديث ثوبان مرفوعا أخرجه البزار والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي قال الحافظ ابن حجر والظن بآله صلى الله عليه وسلم كلهم الذين ماتوا في الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض في الاحاديث التي فيها انه صلى الله

الافيال وكانت الافيال كلها ماعدا الفيل الاعظم تسجد لابرهة وأما الفيل الاعظم فلم يسجد الا للنجاشي فلما رأت الفيلة عبد المطلب سجدت حتى الفيل الاعظم وقيل ان ابرهة لم يخرج الا بالفيل الاعظم ولما بلغ ابرهة سجود الفيلة لعبد المطلب تطير ثم أمر بادخال عبد المطلب عليه فلما رآه ألقيت له الهيبة في قلبه فنزل عن سريره تعظيما لعبد المطلب ثم رأيت العلامة ابن حجر في شرح الهمزية حاول الجواب عن هذا الذي تقدم عن الحافظ النيسابوري من أن النور استدار في وجه عبد المطلب الى آخره أي وقول الفيل السلام على النور الذي في ظهرك ياعبد المطلب مع ان ولادته صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت يلزمها أن يكون النور انتقل من عبد المطلب الى عبد الله ثم انتقل من عبد الله الى آمنة بأن النور وان انتقل من عبد المطلب لكن الله سبحانه وتعالى أكرم عبد المطلب فأحدث ذلك النور في ظهره وفي وجهه وأطلع الفيل عليه هذا كلامه فليتأمل وذكر بعضهم أن الفيل مع عظم خلقته صوته ضئيل أي ضعيف ويفرق أي يخاف من السنور الذي هو القط ويفزع منه (وفي المواهب) والمشهور انه صلى الله عليه وسلم ولد بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته ومقدمة لظهوره وبعثته هذا كلامه وفيه انه قد يقال الارهاصات انما تكون بعد وجوده وقبل مبعثه الذي هو دعواه الرسالة لا قبل وجوده بالكلية الذي هو المراد بظهوره وحينئذ فقول القاضي البيضاوي انها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعد وجوده ومن ثم قال ابن القيم في الهدى ان مما جرت به عادة الله تعالى أن يقدم بين يدي الامور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل لها فمن ذلك قصة مبعثه صلى الله عليه وسلم تقدمها قصة الفيل هذا كلامه قال فلما شرع ابرهة في الذهاب الى مكة ووصل الفيل الى أول الحرم والمواهب أسقط هذا وهو يوهم انهم دخلوا مكة وان الفيل برك دون البيت فليتأمل وعند وصوله الى أول الحرم برك فصاروا يضربون رأسه ويدخلون الكلاليب في مراق بطنه فلا يقوم فوجهوا وجهه الى جهة اليمن فقام يهرول وكذا الى جهة الشام فعل ذلك مرارا فأمر أبرهة أن يسقى الفيل الخمر ليذهب تمييزه فسقوه فثبت على أمره ويقال انما برك لان نفيل بن حبيب الخثعمي قام الى جنب الفيل فعرك أذنه وقال ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام * ثم أرسل أذنه فبرك قال السهيلي رحمه الله الفيل لا يبرك فيحتمل أن يكون بروكه سقوطه الارض لما جاءه من أمر الله سبحانه ويحتمل أن يكون فعل البرك وهو الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك قال وقد سمعت من يقول ان في الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل وعند ذلك أرسل الله سبحانه وتعالى عليهم الطير الابابيل خرجت من البحر أمثال الخطاطيف ويقال ان حمام الحرم من نسل تلك الطير فأهلكتهم وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذي قيل انه من نسل الابابيل انما هو شئ يشبه الزرازير يكون بباب ابراهيم من الحرم والا فسيأتي أن حمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم الغار على ماسيأتي فيه وفي حياة الحيوان ان الطير الابابيل تعشش وتفرخ بين السماء والارض * ولما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا أهل الله لان الله معهم وفي لفظ لان الله سبحانه وتعالى قاتل عنهم وكفاهم مؤنة

عدوهم الذى لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة وغنموا أموال أصحاب الفيل أى ومن حينئذ مزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التى بناها ابرهة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكان كل من أراد أن يأخذ منها شيأ أصابته الجن واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذى هو أول خلفاء بنى العباس فذكر له أمرها فبعث اليها عامله على اليمن فخربها وأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها وقد كان عبد المطلب أمر قريشا أن تخرج من مكة وتكون فى رؤس الجبال خوفا عليهم من المعرة وخرج هو واياهم الى ذلك بعد ان أخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله سبحانه وتعالى ويستنصرونه على ابرهة وجنده وقال

لهم ان العبد يمـ * ـنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم غدوا محالك

أى فانهم كانوا نصارى ولاهم أصله اللهم فان العرب تحذف الالف واللام وتكتفى بما يبقى وكذلك تقول لاه أبوك تريد لله أبوك والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهى البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم القوة والشدة والغدو بالغين المعجمة أصله الغد وهو اليوم الذى يأتى بعد يومك الذى أنت فيه ويقال ان عبد المطلب جمع قومه وعقد راية وعسكر بمنى وجمع ابن ظفر بينه وبين ما تقدم من انه خرج مع قومه الى رؤس الجبال بأنه يحتمل انه أمر أن تكون الذرية فى رؤس الجبال أى وخرج معهم تأنيسا لهم ثم رجع وجمع اليه المقاتلة أى ويؤيد ذلك قول المواهب ثم ان برهة أمر رجلا من قومه يهزم الجيش فلما وصل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع الى آخر ما تقدم فاسقاط المواهب كون قريش جيشت جيشا مع قوله ثم ان ابرهة أرسل رجلا من قومه ليهزم الجيش لا يحسن ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيء القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا أى غالبهم وذهب غالب من بقى فاحتمل ما شاء من صفراء وبيضاء ثم آذن أى أعلم أهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا * وفى كلام سبط ابن الجوزى وسبب غناء عثمان ابن عفان أن أباه عفان وعبد المطلب وأبا مسعود الثقفى لما هلك أبرهة وقومه كانوا أول من نزل مخيم الحبشة فأخذوا من أموال أبرهة وأصحابه شيأ كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا أغنى قريش وأكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه عثمان رضى الله تعالى عنه أى ومن جملة من سلم من قوم ابرهة ولم يذهب بل بقى بمكة سائس الفيل وقائده فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أدركت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس (وأورد على هذ) ان الحجاج خرب الكعبة بضرب المنجنيق ولم يصبه شىء ويجاب بأن الحجاج لم يجئ لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما ليسلم نفسه وهذا أولى من جواب المواهب كما لا يخفى والله أعلم وكان مولده صلى الله عليه وسلم بمكة فى الدار التى صارت تدعى لمحمد بن يوسف أخى الحجاج أى وكانت قبل ذلك لعقيل بن أبى طالب ولم تزل بيد أولاده بعد وفاته الى أن باعوها لمحمد بن يوسف أخى الحجاج بمائة ألف دينار قاله الفاكهى أى

عليه وسلم جاء قبر أمه فبكى بكاء هائلا بكاؤه صلى الله عليه وسلم ليس لتعذيبها وانما هو أسف على ما فاتها من ادراك أيامه والايمان به قال الزرقانى وقد رحم الله بكاءه فأحياها الله حتى آمنت به ثم قال وما ألطف هذه العبارة من القاضى عياض فانها صريحة فى ان البكاء انما هو لكونها لم تحز شرف الدخول فى هذه الامة لا لكونها على غير الحنيفية وقال الفخر الرازى فى تفسيره ان أبوى النبى صلى الله عليه وسلم كانا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام كما كان زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه بل ان آباء الانبياء كلهم ما كانوا كفارا تشريفا لمقام النبوة وكذلك أمهاتهم وان آزر لم يكن أبا لابراهيم عليه السلام بل كان عمه ويدل لذلك قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين مع قوله صلى الله عليه وسلم لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون أحد من أجداده مشركا وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون منهم العلامة المحقق السنوسى والتلمسانى محشى الشفاء فقالا لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه وسلم شرك وكانا مسلمين لانه عليه الصلاة والسلام انتقل من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة ولا يكون ذلك الا مع الايمان بالله تعالى وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب وهذا لازم فى جميع الآباء وقد أيد الجلال السيوطى كلام الفخر الرازى بأدلة كثيرة وألف فى ذلك رسائل فجزاه الله خيرا وشكر سعيه فمن تلك الادلة حديث البخارى بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه مع ما ثبت أن الارض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الارض وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على رضى الله عنه قال لم يزل على وجه الارض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك لهلكت الارض ومن عليها وأخرج الامام أحمد فى الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما خلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الارض واذا قرنت بين هاتين

فادخلها

فادخلها فى داره وسماها البيضاء أى لانها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضاء وصارت تعرف بدار ابن يوسف لكن سيأتى فى فتح مكة انه قيل له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله تنزل فى الدور قال هل ترك لنا عقيل من رباع أو دور فان هذا السياق يدل على أن عقيلا باع تلك الدار فلم يبق بيده ولا بيد أولاده بعده الا أن يقال المراد باع ما عدا هذه الدار التى هى مولده صلى الله عليه وسلم أى لانه كما سيأتى فى الفتح باع دار أبيه أبى طالب لانه وطالبا أخاه ورثا أبا طالب لانهما كانا كافرين عند موت أبى طالب دون جعفر وعلى رضى الله تعالى عنهما فانهما كانا مسلمين وعقيل أسلم بعد دون طالب فان طالبا اختطفته الجن ولم يعلم به وان عقيلا باع دار رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى دار خديجة أى التى يقال لها مولد فاطمة رضى الله تعالى عنها وهى الآن مسجد يصلى فيه بناه معاوية رضى الله تعالى عنه أيام خلافته قيل وهو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام أى واشتهر بمولد فاطمة رضى الله تعالى عنها لشرفها والا فهو مولد بقية اخواتها من خديجة ولعل معاوية رضى الله تعالى عنه اشترى تلك الدار ممن اشتراها من عقيل ويدل لما قلناه قول بعضهم لم يتعرض صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لتلك الدار التى أبقاها فى يد عقيل أى التى هى دار خديجة فانه لم يزل بها صلى الله عليه وسلم حتى هاجر فأخذها عقيل * وفى كلام بعضهم لما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة ضرب مخيمه بالحجون فقيل له الا تنزل منزلك من الشعب فقال وهل ترك لنا عقيل منزلا وكان عقيل قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل اخوته حين هاجروا من مكة ومنزل كل من هاجر من بنى هاشم وفى كلام بعضهم كان عقيل تخلف عنهم فى الاسلام والهجرة فانه أسلم عام الحديبية التى هى السنة السادسة وباع دورهم فلم يرجع النبى صلى الله عليه وسلم فى شىء منها * وهى أى تلك الدار التى ولد بها صلى الله عليه وسلم عند الصفا فبنتها زبيدة زوجة الرشيد أم الامين مسجدا لما حجت * وفى كلام ابن دحية أن الخيزران أم هرون الرشيد لما حجت أخرجت تلك الدار من دار ابن يوسف وجعلتها مسجدا ويجوز أن تكون زبيدة جددت ذلك المسجد الذى بنته الخيزران فنسب لكل منهما وسيأتى أن الخيزران بنت دار الارقم مسجدا وهى عند الصفا أيضا ولعل الامر التبس على بعض الرواة لان كلا منهما عند الصفا وقيل ولد صلى الله عليه وسلم فى شعب بنى هاشم (أقول) قد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن تكون تلك الدار من شعب بنى هاشم ثم رأيت التصريح بذلك ولا ينافيه ما تقدم فى الكلام على الحمل من أن شعب أبى طالب وهو من جملة بنى هاشم كان عند الحجون لانه يجوز أن يكون أبو طالب انفرد عنهم بذلك الشعب والله أعلم قال وقيل ولد صلى الله عليه وسلم فى الردم أى ردم بنى جمح وهم بطن من قريش ونسب لبنى جمح لانه ردم على من قتلوا فى الجاهلية من بنى الحرث فقد وقع بين بنى جمح وبين بنى الحرث فى الجاهلية مقتلة وكان الظفر فيها لبنى جمح على بنى الحرث فقتلوا منهم جمعا كثيرا وردم على تلك القتلى بذلك المحل وقيل ولد بعسفان انتهى (أقول) مما يرد القول بكونه ولد بعسفان ما ذكره بعض فقهائنا أن من جملة ما يجب على الولى أن يعلم موليه اذا ميز أنه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة الا أن يقال ذلك بناء على ما هو الاصح

المقدمتين أعنى بعثت من خير قرون بنى آدم الخ وان الارض لم تخل من سبعة مسلمين الخ أنتج ما قاله الامام لانه ان كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين فى زمانهم فقيه المدعى وان كانوا غيرهم فاما ان يكونوا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام فهو المدعى واما ان يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين اما أن يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح واما ان يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالاجماع وقال تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الارض فى زمانهم وساق نصوصا وأدلة كثيرة فى ايمان الآباء الطاهرين من آدم الى ابراهيم عليهما السلام ثم قال وقد صحت الاحاديث فى البخارى وغيره وتظافرت نصوص العلماء بان العرب من عهد ابراهيم على دينه لم يكفر منهم أحد الى ان جاء عمرو بن عامر الخزاعى الذى يقال له عمرو بن لحى فهو أول من عبد الاصنام وغير دين ابراهيم وكان قريبا من كنانة جد النبى صلى الله عليه وسلم ثم ساق أدلة تشهد بان عدنان ومعدا وربيعة ومضر وخزيمة وأسدا والياس وكعبا على ملة ابراهيم ثم قال فتلخص من مجموع ما سقناه ان أجداده من آدم الى كعب وولده مرة مصرح بايمانهم الا آزر فانه مختلف فيه فان كان والد ابراهيم فانه يستثنى وان كان عمه كما هو أحد القولين فهو خارج عن الاجداد وسلمت سلسلة النسب قال الحافظ ابن ناصر رحمه الله

تنقل أحمد نورا عظيما
تلألأ فى جباه الساجدينا
تنقل فيهم قرنا فقرنا
الى ان جاء خير المرسلينا

قال السهيلى ان عبد المطلب لم تبلغه الدعوة وجاءت أدلة كثيرة تشهد بان عبد المطلب كان على الحنيفية والتوحيد وذكر ابن سيد الناس ان الله أحياه حتى آمن به صلى الله عليه وسلم لكن هذا لم يرد به حديث صحيح ولا ضعيف فالاكثرون على انه لم تبلغه الدعوة أو انه كان على الحنيفية ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم يبعث جدى عبد المطلب فى زى الملوك وأبهة الاشراف ذكره فى السيرة الحلبية عن ابن عباس رضى الله عنهما

ويؤيده أيضا ما اتضح له من المبشرات التي بشر بها على ألسنة الاحبار والكهان مع ما رآه من المنامات والاشارات حتى تبين له أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبي الموعود به آخر الزمن حتى ذكره بعضهم في الصحابة منهم الحافظ ابن حجر في الاصابة وابن السكن لما جاء عنه أنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم سيبعث كما ذكروا بحيرا الراهب وأنظاره ممن مات قبل البعثة من الصحابة وان كان الصحيح عند المحققين عدم ثبوت الصحبة لانها متوقفة على الاجتماع بعد البعثة وقد روى عن عبد المطلب أخبار كثيرة تقتضى انه عرف بها نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ان قوما من بنى مدلج وهم القافة المعروفون بالآثار والعلامات قالوا له في حق النبي صلى الله عليه وسلم احتفظ به فانا لم نر قدما أشبه بالقدم الذي في المقام منه أي وهي قدم ابراهيم عليه السلام وبينا عبد المطلب يوما في الحجر وعنده أسقف نجران والاسقف رئيس النصارى في دينهم وذلك الاسقف يحدثه ويقول انا نجد صفة نبي تقى من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا فأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه والى عينيه والى ظهره وقدميه فقال هو هو ماهذا منك قال هذا ابنى قال ما نجد أباه حيا قال هو ابن ابنى وقد مات أبوه وأمه حبلى به قال صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه وعن أم أيمن رضى الله عنها قالت كنت أحضن النبي صلى الله عليه وسلم أي أقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم أدر الا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول يا بركة قلت لبيك قال أتدرين أين وجدت ابنى قلت لا أدرى قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلى عن ابنى فان أهل الكتاب يزعمون انه نبي هذه الامة وأنا لا آمن عليه منهم وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا يقول علىّ بابنى أي أحضروه ويجلسه بجنبه وربما أقعده على فخذه ويؤثره بأطيب طعامه وعن رقيقة بنت أبى صيفى بن هاشم بن عبد مناف وهي أدركت الاسلام ولها صحبة قالت تتابعت على قريش سنون أي أزمنة قحط وجدب ذهبت

عندهم والردم هو المحل الذي كانت ترى منه الكعبة قبل الآن ويقال له الآن المدعى لانه يؤتى فيه بالدعاء الذي يقال عند رؤية الكعبة ولم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم وقف به ولعله لم يكن مرتفعا في زمنه صلى الله عليه وسلم لانه انما رفعه وبناه سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه في خلافته لما جاء السيل العظيم الذي يقال له سيل أم نهشل وهي بنت عبيدة بن سعيد ابن العاص فانه أخذها وألقاها أسفل مكة فوجدت هناك ميتة ونقل المقام الى أن ألقاه بأسفل مكة أيضا فجيء به وجعل عند الكعبة وكوتب عمر رضى الله عنه بذلك فحضر وهو فزع مرعوب ودخل مكة معتمرا فوجد محل المقام دثر وصار لا يعرف فهاله ذلك ثم قال أنشد الله عبدا عنده علم من محل هذا المقام فقال المطلب بن رفاعة رضى الله تعالى عنه أنا يا أمير المؤمنين عندى علم بذلك فقد كنت أخشى عليه مثل ذلك فأخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بحفاظ فقال له اجلس عندى وأرسل فأرسل فجيء بذلك الحفاظ فقيس به ووضع المقام بمحله الآن وأحكم ذلك واستمر الى الآن فعند ذلك بنى هذا المحل الذي يقال له الردم بالصخرات العظيمة ورفعه فصار لا يعلوه السيل وصارت الكعبة تشاهد منه والآن قد حالت الابنية فصارت لا ترى ومع ذلك لا بأس بالوقوف عنده والدعاء فيه تبركا بمن سلف ولعل هذا محمل قول من قال أول من نقل المقام الى محله وكان ملصقا بالكعبة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلا ينافي أن الناقل له هو صلى الله عليه وسلم كما سيأتي لكن رأيت ابن كثير قال وقد كان هذا الحجر أي الذي هو المقام ملصقا بباب الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فأخره عنه لئلا يشغل المصلين عنده الطائفون بالبيت هذا كلامه وقوله من قديم الزمان ظاهره من عهد ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فليتأمل * وعن كعب الاحبار انى أجد في التوراة عبدى أحمد المختار مولده بمكة أي وهو ظاهر في أن كعب الاحبار كان قبل الاسلام على دين اليهودية (قال) وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه عن أمه الشفاء أي بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء وقيل بفتحها وتشديد الفاء مقصورا قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى أي فهي دايته صلى الله عليه وسلم ووقع في كلام ابن دحية أن أم أيمن دايته صلى الله عليه وسلم وقد يقال اطلاق الداية على أم أيمن لانها قامت بخدمته صلى الله عليه وسلم ومن ثم قيل لها حاضنته وللشفاء قابلته وقد قيل في اسم الوالدة والقابلة الامن والشفاء وفي اسم الحاضنة البركة والنماء وفي اسم مرضعته أولا التي هي ثويبة الثواب وفي اسم مرضعته المستقلة برضاعه التي هي حليمة السعدية الحلم والسعد قالت أم عبد الرحمن فاستهل فسمعت قائلا يقول يرحمك الله تعالى أو رحمك ربك أي أو يرحمك ربك ولهذا القول الذي لا يقال الا عند العطاس أي الذي هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة حمل بعضهم الاستهلال الذي هو في المشهور صياح المولود أول ما يولد يقال استهل المولود اذا رفع صوته على العطاس مع الاعتراف بانه لم يجئ في شيء من الاحاديث تصريح بانه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس انتهى أي فقد قال الحافظ السيوطي لم أقف في شيء من الاحاديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة أحاديث

بالاموال واشفين أي أشرفن على الانفس فسمعت قائلا يقول في المنام يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم هذا ابان أي وقت خروجه وبه يأتيكم الحيا والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم أي أشرافكم نسبا طوالا عظاما أي طويلا عظيما أبيض مقرون الحاجبين أهدب الاشفار أي طويل شعر الاجفان أسيل الخدين أي لا شعر بهما رقيق العرنين أي الانف فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس أبى قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسق وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه وأخرجوا من كل بطن رجلا وفعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبى قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هؤلاء عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخلف والحافر أي البقر والابل والخيل والبغال والحمير فأشفت على الانفس أي أشرفت على ذهابها فأذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قال وسمعت شيخان قريش وهي تقول لعبد المطلب هنيئا لك يا أبا البطحاء بك عاش أهل البطحاء وفي هذه القصة تقول رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا
وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر
فجاء بالماء جونوله سبل
دان فعاشت به الانعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره
وخير من بشرت حقا به مضر
مبارك الاسم يستسقى الغمام به * ما في الانام له عدل ولا خطر

ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا في جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه ولعله يسأل الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا

المولد من مظانها أي وعطس بفتح الطاء يعطس بالكسر والضم وحكى الفتح ولعله من تداخل اللغتين لكن في الجامع الصغير استهلال الصبي العطاس وحينئذ يكون استهلال المولود له معنيان هما مجرد رفع الصوت والعطاس وحمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذي لا يقال الا عند العطاس وقد أشار الى التشميت صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

أي قالت له الاملاك رحمك الله أو رحمك ربك وقت وضع أمه له وفرحتنا بقولها المذكور الشفاء التي هي أم عبد الرحمن بن عوف (أقول) قال بعضهم ولعله صلى الله عليه وسلم حمد الله بعد عطاسه لما استقر من شرعه الشريف انه لا يسن التشميت الا لمن حمد الله تعالى هذا كلامه ويدل لما ترجاه ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم حين خروجه من بطن أمه قال الحمد لله كثيرا * وفي كلام بعض شراح الهمزية ويجوز أن يكون شمت من غير حمد تعظيما لقدره صلى الله عليه وسلم وقد جاء العاطس ان حمد الله تعالى فشمتوه وان لم يحمد فلا تشمتوه وجاء اذا عطس فحمد الله تعالى فحق على كل من سمعه أن يشمته وفي الصحيح أن رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم وحمد الله فشمته وعطس آخر فلم يحمد الله فلم يشمته * وفي حديث حسن اذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فاذا زاد على ثلاث فهو مزكوم فلا يشمت بعد ثلاث وتمسك بذلك أي بالامر بالتشميت بصيغة أفعل التي الاصل فيها الوجوب وبقوله حق أهل الظاهر على وجوب التشميت على كل من سمع وذهب بعض الائمة الى وجوبه على الكفاية وهو منقول عن مشهور مذهب مالك رضى الله تعالى عنه أي وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس على ابليس أشد من تشميت العاطس * وعن سالم بن عبيد الله الاشجعي وكان من أهل الصفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس أحدكم فليحمد الله عز وجل وليقل من عنده يرحمك الله وليرد عليه بقوله يغفر الله لى ولكم (ومن لطيف) ما اتفق ان الخليفة المنصور وشى عنده ببعض عماله فلما حضر عنده عطس المنصور فلم يشمته ذلك العامل فقال له المنصور ما منعك من التشميت فقال انك لم تحمد الله فقال حمدت في نفسى فقال قد شمتك في نفسى فقال له ارجع الى عملك فانك اذا لم تحابنى لا تحابى غيرى قال بعضهم والحكمة في قول العاطس ما ذكر انه ربما كان العطاس سببا لالتواء عنقه فيحمد الله على معافاته من ذلك وقال غيره لان الاذى وهي الابخرة المحتقنة تندفع به عن الدماغ الذي فيه قوة التذكر والتفكر أي فهو بحران الرأس كما ان العرق بحران بدن المريض وذلك نعمة جليلة وفائدة عظيمة ينبغى أن يحمد الله تعالى عليها أي ولان الاطباء كما زعمه بعضهم نصوا على ان العطاس من أنواع الصرع أعاذنا الله تعالى من الصرع وقد ينازع فيه ما تقدم وما ذكره بعض الاطباء أن العطاس للدماغ كالسعال للرئة قال والعطاس أنفع الاشياء لتخفيف الرأس وهو مما يعين على نقص المواد المحتبسة ويسكن ثقل الرأس فيحصل منه النشاط والخفة وفي نوادر الاصول للترمذى قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يخبركم عن الله تعالى ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات الا كان الايمان في قلبه ثابتا وفي الجامع الصغير

عند من شفعك وأجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم أصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وأولاده ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه وقال ٧٠ اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد تشعثت رؤسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فأتح لهم سحابا خوارة وسماء خرارة لتضحك أرضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة وكفاء لها دوى وقصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يا معشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا * وذكر ابن الجوزى أنه صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان في ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال يا عبد المطلب ان هذا الغلام نبي هذه الامة ولو لم أخرج اليك لخرب على ديري فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ثم عالجه وأعطاه ما يعالج به وفي رواية أن الراهب أخرج صحيفة وجعل ينظر اليها والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال يا عبد المطلب هذا رمد قال نعم قال ان دواءه معه خذ من ريقه وضعه على عينيه فأخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرأ لوقته ثم قال الراهب يا عبد المطلب وتالله هذا الذي أقسم على الله به فأبرئ المرضى وأشفي الاعين من الرمد وتقدم جملة من مناقب عبد المطلب وفيها ما يدل على توحيده منها أمره لبنيه بمكارم الاخلاق وتحنثه بغار حرا واطعامه المساكين حتى كان يرفع للطير والوحوش في رؤس الجبال من مائدته وقطعه يد السارق ووفاؤه بالنذر وتحريمه الخمر على نفسه ومنعه من الزنا ومن نكاح المحارم وقتل الموؤدة وأن لا يطوف بالبيت بنات

ان الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب والعطسة الشديدة من الشيطان وفي الحديث العطاس شاهد عدل وفي حديث حسن أصدق الحديث ما عطس عنده وقد جاء أن روح آدم عليه السلام لما نزلت الى خياشيمه عطس فلما نزلت الى فيه ولسانه قال الله تعالى له قل الحمد لله رب العالمين فقالها آدم عليه السلام فقال الحق يرحمك الله يا آدم ولذلك خلقتك وفي رواية وللرحمة خلقتك أي للموت وقد روى الترمذي مرفوعا بسند ضعيف العطاس والنعاس والتثاؤب في الصلاة من الشيطان وروى ابن أبي شيبة موقوفا بسند ضعيف أيضا ان الله يكره التثاؤب ويحب العطاس في الصلاة أي فيكون كل واحد من العطاس والتثاؤب في الصلاة من الشيطان العطاس فيها أحب الى الله تعالى من التثاؤب فيها والتثاؤب فيها أكره الى الله تعالى من العطاس فيها لان الكراهة مقولة بالتشكيك ويمكن حمل كون العطاس من الشيطان على شدته ورفع الصوت به كما تقدم التقييد بذلك في الرواية السابقة ومن ثم جاء اذا عطس أحدكم أي هم بالعطاس فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته أي ولا ينافي وجود الشفاء وجود أم عثمان بن العاص عند أمه صلى الله عليه وسلم عند ولادته ما روي عنها أنها قالت لما أخذني ما يأخذ النساء أي عند الولادة واني لوحيدة في المنزل رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي وفي كلام ابن المحدث ودخل على نساء طوال كأنهن من بنات عبد المطلب ما رأيت أضوأ منهن وجوها وكأن واحدة من النساء تقدمت الي فاستندت اليها وأخذني المخاض واشتد علي الطلق وكأن واحدة منهن تقدمت الي وناولتني شربة من الماء أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من الشهد فقالت لي اشربي فشربت ثم قالت الثالثة ازدادي فازددت ثم مسحت بيدها على بطني وقالت بسم الله اخرج باذن الله تعالى فقلن لي أي تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين لجواز وجود الشفاء وأم عثمان عندها بعد ذلك وتأخر خروجه صلى الله عليه وسلم عن القول المذكور حتى نزل على يد الشفاء لما تقدم من قولها وقع على يدي ولعل حكمة شهود آسية ومريم لولادته كونهما يصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم في الجنة مع كلثم أخت موسى ففي الجامع الصغير ان الله تعالى زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى وسيأتي عند موت خديجة أنه صلى الله عليه وسلم قال لها أشعرت ان الله تعالى قد أعلمني أنه سيزوجني وفي رواية أما علمت ان الله تعالى قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون فقالت الله أعلمك بهذا قال نعم قالت بالرفاء والبنين (وقد حمى) الله هؤلاء النسوة عن أن يطأهن أحد فقد ذكر أن آسية لما ذكرت لفرعون أحب أن يتزوجها فتزوجها على كره منها ومن أبيها مع بذله لها الاموال الجليلة فلما زفت له وهم بها أخذه الله عنها وكان ذلك حاله معها وكان قد رضي منها بالنظر اليها * وأما مريم فقيل انها تزوجت بابن عمها يوسف النجار ولم يقربها وانما تزوجها ليرفقها الى مصر لما أرادت الذهاب الى مصر بولدها عيسى عليه السلام وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة ثم عادت مريم وولدها الى الشام ونزلا الناصرة * وأخت موسى عليه السلام لم يذكر انها تزوجت وهذا يفيد أن

عريان ومن ذلك قوله والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسيء باساءته ومن ذلك قوله حين دعا لاهل مكة عند مجيء أصحاب الفيل لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك ومن ذلك قوله حين أراد ذبح ابنه عبد الله فكان يضرب القداح ويقول ٧١ يا رب أنت الملك المحمود وأنت ربي الملك المعبود من عندك الطارف والتليد فهل التوحيد شيء غير هذا كلا والله وأما فروع الشريعة فانها متوقفة على البعثة بالاجماع فلا يكلف أحد بها قبل ذلك وتقدم أنه كان يوضع له فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد غيره ويحدق به أشراف قريش فيجيء النبي صلى الله عليه وسلم ويجلس معه فأراد بعض أعمامه ان ينحيه فقال عبد المطلب ردوا ابني الى مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده ولما مات كان صلى الله عليه وسلم يبكي خلف سريره (وروى أبو نعيم في الحلية) والبيهقي ان سيف بن ذي يزن الحميري لما ولي على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاه وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر في يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف ابن ذي يزن الحميري استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على ما كان عليه آباؤه فجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب رؤسائهم كعبد الله بن جدعان التيمي وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف بن زهرة وقصي بن عبد الدار فأخبر بمكانهم وكان في قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فأذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب (وفي الوفاء للسيد السمهودي) وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسي من الذهب فوضعت لهم كراسي من الذهب

بنات عبد مناف أو بنات عبد المطلب على ما تقدم كن متميزات عن غيرهن من النساء في افراط الطول (وقد رأيت) ان علي بن عبد الله بن عباس وهو جد الخليفتين السفاح والمنصور أول خلفاء بني العباس أبو أبيهما محمد كان مفرطا في الطول كان اذا طاف كان الناس حوله وهو راكب وكان مع هذا الطول الى منكب أبيه عبد الله بن عباس وكان عبد الله بن عباس الى منكب أبيه العباس وكان العباس الى منكب أبيه عبد المطلب لكن ابن الجوزي اقتصر في ذكر الطوال على عمر بن الخطاب والزبير بن العوام وقيس بن سعد وحبيب بن سلمة وعلي بن عبد الله بن العباس وسكت عن عبد الله بن عباس وعن أبيه العباس وعن أبيه عبد المطلب (وفي المواهب) أن العباس كان معتدلا وقيل كان طوالا ورأيت ان عليا هذا جد الخلفاء العباسيين كان على غاية من العبادة والزهادة والعلم والعمل وحسن الشكل حتى قيل انه كان أجمل شريف على وجه الارض وكان يصلي في كل ليلة ألف ركعة ولذلك كان يدعى السجاد وان سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو الذي سماه عليا وكناه أبا الحسن فقد روي أن عليا رضي الله تعالى عنه افتقد عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما في وقت صلاة الظهر فقال لاصحابه ما بال أبي العباس يعني عبد الله لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى علي كرم الله وجهه قال امضوا بنا اليه فأتاه فهنأه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب زاد بعضهم ورزقت بره وبلغ أشده ما سميته قال أو يجوز لي أن أسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك أبا الاملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن فلما ولي معاوية الخلافة قال لابن عباس ليس لكم اسمه ولا كنيته يعني علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كراهة في ذلك وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه وقد يخالف ذلك ما ذكر بعضهم ان عليا المذكور لما قدم على عبد الملك بن مروان قال له غير اسمك أو كنيتك فلا صبر لي على اسمك وهو علي وكنيتك وهي أبو الحسن قال أما الاسم فلا أغيره وأما الكنية فأكتني بأبي محمد وانما قال عبد الملك ذلك كراهة في اسم علي بن أبي طالب وكنيته وعلي هذا دخل هو وولدا ولده محمد وهما السفاح والمنصور وهما صغيران يوما على هشام بن عبد الملك بن مروان وهو خليفة فأكرمه هشام فصار يوصيه عليهما ويقول له سيليان هذا الامر يعني الخلافة فصار هشام يتعجب من سلامة باطنه وينسبه في ذلك الى الحمق ويقال ان الوليد بن عبد الملك أي لما ولي الخلافة وبلغه عنه أنه يقول ذلك ضربه بالسياط على قوله المذكور وأركبه بعيرا وجعل وجهه مما يلي ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا علي بن عبد الله بن عباس الكذاب قال بعضهم فأتيته وقلت له ما هذا الذي يسنده اليك من الكذب قال بلغهم عني اني أقول ان هذا الامر يعني الخلافة ستكون في ولدي والله لتكونن فيهم فكان الامر على ما ذكر فقد ولي السفاح الخلافة ثم المنصور * وفي دلائل النبوة للبيهقي ان عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قدم على معاوية رضي الله تعالى عنه فأجازه وأحسن جائزته ثم قال يا أبا العباس هل تكون لكم دولة قال اعفني يا أمير المؤمنين قال لتخبرني قال نعم قال فمن أنصاركم قال أهل خراسان أي وهو أبو مسلم الخراساني يجيء بجيشه معه رايات سود يسلب دولة بني أمية ويجعل الدولة لبني العباس يقال ان أبا مسلم هذا قتل ستمائة ألف رجل صبرا غير

فجلسوا اعلاها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستأذنه فى الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك فقال ان الله
أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا وأنبتك نباتا طالت أرومته وعظمت جرثومته وأنت ملك العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه
العماد وكهفها الذى يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت فيهم خير خلف فان يهلك ذكر من أنت خلفه ولن يخمل ذكر
من أنت سلفه نحن أهل بيت حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذى أبهجنا من كشف الكرب الذى اثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة أى التعزية فعند ذلك قال له الملك من أنت أيها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا لان أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادن ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا سجلا أى كثير العطاء قد سمع مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحباء أى العطاء اذا ظعنتم ثم أمرهم بالنهوض الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الارزاق فاقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل الى عبد المطلب فأدناه ثم قال يا عبد المطلب انى مفض اليك من سر علمى لو غيرك يكون لم أبح له به ولكن رأيتك معدنه فأطلعتك طلعه أى عليه فليكن عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى ادخرناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد
سقط
غلام بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب أيها الملك ابت بخير ما آب بمثله
وافد قوم ولولا هيبة الملك واعظامه لسألته من مساره اياى أى مسارته اياى ما أزداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذى يولد

الذى قتله فى الحروب وهذه الرايات السود غير التى عناها صلى الله عليه وسلم بقوله اذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فان فيها خليفة الله المهدى فان تلك الرايات تأتى قبيل قيام الساعة ثم صارت الخلافة فى أولاد المنصور وقول على فى ولدى واضح لان ولد الولد ولد (وقد حكى) فى مرآة الزمان عن المأمون أنه قال حدثنى أبى يعنى هرون الرشيد عن أبيه المهدى عن أبيه المنصور عن أبيه محمد بن على عن أبيه على عن أبيه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد القوم خادمهم وذكر أنه مما يؤثر عن المأمون أنه كان يقول استخدام الرجل ضيفه لؤم * وكان يقول لو عرف الناس حبى للعفو لتقربوا الى بالجرائم وانى أخاف أنى لا أوجر على العفو أى لانه صار لى طبيعة وسجية (قالت أمه صلى الله عليه وسلم) ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة والله أعلم ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة بفتح الجيم فانفلقت عنه فلقتين قال وهذا مما يؤيد أنه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان فى عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوه تحت برمة زاد فى لفظ ضخمة والبرمة القدر فلما أصبحوا أتوا البرمة فاذا هى قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء فتعجبوا من ذلك وعن أمه انها قالت فوضعت عليه الاناء فوجدته قد تفلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه يشخب أى يسيل لبنا اه * أى وفى العرائس أن فرعون لما أمر بذبح أبناء بنى اسرائيل جعلت المرأة أى بعض النساء كما لا يخفى اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا الى واد أو غار فأخفته فيه فيقيض الله سبحانه وتعالى له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذى أتى السامرى لما جعلته أمه فى غار من الملائكة جبريل عليه السلام فكان أى السامرى يمص من احدى ابهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا ومن ثم اذا جاع المرضع يمص ابهامه فيروى من المص قد جعل الله له فيه رزقا والسامرى هذا كان منافقا يظهر الاسلام لموسى عليه السلام ويخفى الكفر وفى رواية أن عبد المطلب هو الذى دفعه للنسوة ليضعوه تحت الاناء (أقول) هذا هو الموافق لما سيأتى عن ابن اسحق من أن أمه صلى الله عليه وسلم لما ولدته أرسلت الى جده أى وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها أى فقالت له يا أبا الحرث ولد لك مولود له أمر عجيب فذعر عبد المطلب وقال أليس بشرا سويا فقالت نعم ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه وأصبعيه الى السماء فأخرجته له ونظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ثم خرج فدفعه اليها وبه يظهر التوقف فى قول ابن دريد أكفئت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه الا أن يقال يجوز أن يكون جده أخذه بعد انفلاق الجفنة ثم دخل به الكعبة ثم بعد خروجه به من الكعبة دفعه لها وللنسوة ليضعوه تحت جفنة أخرى الى أن يصبح فانفلقت تلك الجفنة الاخرى حتى لا ينافى ذلك ما تقدم عن أمه فوجدت الاناء قد تفلق وهو يمص ابهامه (وعن اياس) الذى يضرب به المثل فى الذكاء قال أذكر الليلة التى وضعت فيها وضعت أمى على رأسى جفنة وقال لامه ما شئ سمعته لما ولدت قالت يا بنى طست

فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه
ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض أى جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان أى يزجره
ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال
له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك سارى بافصاح فقد وضح لى بعض الايضاح قال والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب انك لجده يا عبد المطلب غير كذب ثلج صدرك وعلا كعبك فهل أحسست بشئ مما ذكرت لك قال نعم أيها الملك انه كان لى ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاء بغلام فسميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعنى أبا طالب فقال له الملك ان الذى قلت لك كما قلت فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا أى فحفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره ثم قال له واطو ما ذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فانى لست آمن أن تداخلهم النفاسة فى أن تكون لهم الرسالة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم من غير شك ولولا أعلم ان الموت مجتاحى أى مهلكى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار ملكه فانى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا انى أقيه الآفات وأحذر عليه
 العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره وأعليت على أسنان العرب كعبه ولكن سأصرف ذلك اليك
من غير تقصير عن معك ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد سود وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة أرطال
ذهبا وعشرة أرطال فضة ومائة من الابل وكرش مملوء عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول فأتنى بخبره

سقط من فوق الدار الى أسفل ففزعت فولدتك تلك الساعة (قال بعضهم) يولد فى كل مائة سنة رجل تام العقل وان اياسا منهم ولعل هذا هو المراد بما جاء فى الحديث يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة أمر دينها والمراد برأسها آخرها بان يدرك أوائل المائة التى تليها بان تنقضى تلك المائة وهو حى الا أنى لم أقف على ان اياسا هذا كان من المجددين والله أعلم (وفى تفسير ابن مخلد) الذى قال فى حقه ابن حزم ما صنف مثله أصلا ان ابليس رن أى صوت بحزن وكآبة أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين أهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وهو المراد بقول بعضهم يوم بعثه ورنة حين أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب والى رنته حين ولادته صلى الله عليه وسلم أشار صاحب الاصل بقوله

لمولده قد رن ابليس رنة * فسحقا له ماذا يفيد رنينه

وعن عطاء الخراسانى لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من أقطار الارض قالوا ما هذه الصرخة التى أفزعتنا قال أمر نزل بى لم ينزل قط أعظم منه قالوا وما هو فتلا عليهم الآية وقال لهم فهل عندكم من حيلة قالوا ما عندنا من حيلة فقال اطلبوا فانى سأطلب قال فلبثوا ما شاء الله ثم صرخ أخرى فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه الصرخة التى لم نسمع منك مثلها الا التى قبلها قال هل وجدتم شيأ قالوا لا قال لكنى قد وجدت قالوا وما الذى وجدت قال أزين لهم البدع التى يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون أى لان صاحب البدعة يراها بجهله حقا وصوابا ولا يراها ذنبا حتى يستغفر الله منها * وقد جاء فى الحديث أبى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته أى لا يثيبه على عمله ما دام متلبسا بتلك البدعة (وعن الحسن) قال بلغنى ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصى فقطعوا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهى الاهواء أى البدع وقد جاء فى الحديث أخاف على أمتى بعدى ثلاثا ضلالة الاهواء الحديث وأهل الاهواء هم أهل البدع (وعن عكرمة) أن ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال أى لجنوده لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا وهذا يدل على أن تساقط النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل عليه السلام فركضه برجله ركضة وقع بعدن وكون تساقط النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم مشكل مع قول بعضهم لما رجمت الشياطين ومنعت من مقاعدها فى السماء لاستراق السمع شكوا ذلك لابليس فقال لهم هذا أمر حدث فى الارض وأمرهم أن يأتوه بتربة من كل أرض فصار يشمها الى أن أتى بتربة من أرض تهامة فلما شمها قال من ههنا الحدث هكذا ساقه بعضهم عند ولادته صلى الله عليه وسلم الا أن يقال لا اشكال لان تساقط النجوم وان كان علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم لكن فى أى أرض على ان بعضهم أنكر كون ما ذكر كان عند الولادة وقد تقدم أن المذكور فى كلام غيره انما هو عند مبعثه صلى الله عليه وسلم كما سيأتى ولعله من خلط بعض الرواة وعبارة بعضهم روى ان الشياطين كانت تصعد الى

ومايكون من أمره بخلاف الملك قبل أن يحول الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول ان معه لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك
ولكن يغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين   قال الزرقانى فى شرح المواهب وما
ذكره الفخر الرازى من تفسير قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين بتنقله فى أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات هو وجه من
وجوه فى تفسير الآية وليس مراده الحصر فى هذا لوجه ولكن هذا الوجه هو الاولى بالقبول فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى ومن نبى الى نبى حتى أخرجتك نبيا ففسر تقلبه فى الساجدين بتقلبه فى أصلاب الانبياء ولو مع الوسائط وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا فى ذرية ابراهيم أوضح وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج فى قوله تعالى رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى قال فلن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه أنها لا اله الا الله باقية فى عقب ابراهيم عليه السلام وعن قتادة فى الآية قال هى شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده قال الشهاب ابن حجر الهيتمى ان أهل الكتابين والتاريخ أجمعوا على ان آزر لم يكن أبا لابراهيم حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما جزم به الفخر بل فى القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عمهم يعقوب وقد سبق
الرازى على ذلك جماعة من السلف فقد روى بالاسانيد عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وابن جريج والسدى   والله
قالوا ليس آزر أبا ابراهيم انما هو ابراهيم بن تارخ وقفت على أثر فى تاريخ ابن المنذر صرح فيه بانه عمه قال الزرقانى وبه يعلم عدم صحة
ما تحامل به بعض المتأخرين جدا فخطأ من قال انه عمه وزعم انه تبع الشيعة وانه مخالف للكتاب والسنة وأهلها وغيرهم وزعم اتفاق

السماء ثم تجاوز سماء الدنيا الى غيرها فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من مجاوزة
سماء الدنيا وصاروا يسترقون السمع فى سماء الدنيا حتى ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعوا من
التردد الى السماء الا قليلا أى فصاروا يسترقون السمع فى سماء الدنيا فى بعض الاحايين وفى أكثر
الاحايين يسترقون دونها حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم فمنعوا أصلا فصاروا لا يسترقون
السمع الا دون سماء الدنيا ثم رأيتنى نقلت فى الكوكب المنير فى مولد البشير النذير عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها
مما سيقع فى الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام حجبوا
عن ثلاث سموات وعن وهب عن أربع سموات ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن
الكل وحرست بالشهب فما يريد أحد منهم استراق السمع الا رمى بشهاب وسيأتى عند المبعث
ايضاح هذا المحل وقد أخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن
ثابت رضى الله عنه قال انى لغلام يفعة أى غلام مرتفع ابن سبع سنين أو ثمان أعقل ما رأيت
وسمعت اذ يهودى بيثرب يصيح ذات يوم غداة على أطمة أى محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا
اليه وأنا أسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة أى الذى طلوعه
علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة فى بعض الكتب القديمة وحسان هذا سيأتى
انه ممن عاش فى الجاهلية ستين سنة وفى الاسلام مثلها وكذا عاش هذا القدر وهو مائة وعشرون
سنة أبوه وجده ووالد جده قال بعضهم ولا يعرف أربعة تناسلوا وتساوت أعمارهم سواهم
وكان حسان رضى الله عنه يضرب بلسانه ارنبة أنفه وكذا ابنه وأبوه وجده وعن كعب الاحبار
رضى الله عنه رأيت فى التوراة ان الله تعالى أخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم
أى من بطن أمه وموسى عليه السلام أخبر قومه أن الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا اذا
تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أى وصار ذلك مما يتوارثه
العلماء من بنى اسرائيل وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة
التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة
مولود فقال القوم والله ما نعلمه قال احفظوا ما أقول لكم ولد هذه الليلة نبى هذه الامة الاخيرة
أى وهو منكم معاشر قريش على كتفه أى عند كتفه علامة أى شامة فيها شعرات متواترات
أى متتابعات كأنهن عرف فرس أى وتلك العلامة هى خاتم النبوة أى علامتها والدليل عليها
لا يرضع ليلتين وذلك فى الكتب القديمة من دلائل نبوته أى وعدم رضاعه لعله لتوعك يصيبه
وفى كلام الحافظ ابن حجر وأقره تعليلا لعدم رضاعه لان عفريتا من الجن وضع يده على فيه
وعند قول اليهودى ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى
منازلهم أخبر كل انسان منهم آله وفى لفظ أهله فقالوا لقد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب
غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاؤا اليهودى وأخبروه الخبر أى قالوا له أعلمت ولد فينا
مولود قال اذهبوا معى حتى أنظر اليه فخرجوا حتى أدخلوه على أمه فقال أخرجى الينا ابنك
فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال

المفسرين وغيرهم على ان والد ابراهيم كان كافرا وانما الخلاف فى اسمه وأطال فى بيان ذلك بما لا طائل تحته وحاصله انه احتجاج فقيه
بمحل النزاع وتخطئته هى الخطأ وحصره القول به للشيعة باطل كيف وقد قال أولئك السلف انه عمه وحكاه الرازى ونقله حافظ السنة
فى عصره وأقره وأيده بما لا محيص عنه ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار وقد وافق الرازى على الاستدلال بهذه
الآية لهذا المعنى الماوردى من أئمة الشافعية وناهيك بهما وأما الاخبار الواردة فى تعذيب بعض أهل الفترة المعارضة للقول بنجاتهم فقد أجاب العلماء عنها بأجوبة كثيرة منها أنها اخبار آحاد فلا تعارض القاطع كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا مع ضعف أكثر تلك الاخبار وقبول صحيحها للتأويل أو أنها منسوخة بما ورد فى الابوين مما يخالفها (فمن الاحاديث المعارضة) ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أبى كان يصل الرحم وكان وكان فاين هو قال فى النار فكأنه وجد من ذلك فقال أين أبوك أنت فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار فأسلم الاعرابى بعد فقال لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ما مررت بقبر كافر الا بشرته بالنار وأجمل صلى الله عليه وسلم الجواب بقوله حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار جريا على عادته اذا سأله أعرابى وخاف من افصاح الجواب له فتنة واضطراب قلب اجابه بجواب فيه تورية وايهام فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لابيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهة
الاستئثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فاورد له جوابا موهما تطييبا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ
وتقديمه على غيره مما غيره الرواة ورووه بالمعنى كرواية مسلم ان رجلا قال يا رسول الله أين أبى قال فى النار فلما قفى دعاه فقال ان أبى
وأباك فى النار فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقانى فى شرح المواهب وأحسن ما يقال فيها ان الرواة تصرفوا فيها

والله ذهبت النبوة من بنى اسرائيل أفرحتم به يا معشر قريش أما والله ليسطون عليكم سطوة
يخرج خبرها من المشرق الى المغرب أى وعن الواقدى رحمه الله انه كان بمكة يهودى يقال له
يوسف لما كان اليوم أى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم به أحد من
قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبى هذه الامة الليلة فى بحرتكم أى ناحيتكم هذه وجعل
يطوف فى أنديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لابن
عبد المطلب أى لعبد الله غلام فقال هو نبى والتوراة وكان بمر الظهران راهب من أهل الشام
يدعى عيص وقد كان آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول
يوشك أى يقرب أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب أى تذل وتخضع ويملك العجم أى
أرضها وبلادها هذا زمانه فمن أدركه أى أدرك بعثته واتبعه أصاب حاجته أى ما يؤمله من
الخير ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته فكان لا يولد بمكة مولود الا ويسأل عنه ويقول ما جاء
بعد أى الآن فلما كان صبيحة اليوم أى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف على أصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال أنا عبد المطلب
أى وقيل الجائى له عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم بناء على انه لم يمت وأمه حامل به أى ولعل
قائله أخذ ذلك من قول الراهب لما قيل له ما ترى عليه أى على ذلك المولود فقال كن أباه فقد
ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه وان نجمه أى الذى طلوعه علامة على وجوده طلع
البارحة وعلامة ذلك أى أيضا أنه الآن وجع فيشتكى ثلاثا ثم يعافى (أقول) أى ولا يرضع
فى تلك الثلاث ليلتين فلا يخالف ما سبق من قول الآخر لا يرضع ليلتين ولا دلالة فى قوله كن
أباه على ان الجائى للراهب عبد الله لان عبد المطلب كان يقال له أبو النبى صلى الله عليه وسلم
ويقال للنبى صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب وقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب
كما تقدم والله أعلم ثم قال له احفظ لسانك أى لا تذكر ما قلته لك لاحد من قومك فانه لم يحسد
حسده أحد ولم يبغ على أحد كما بغى عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت
فى وتر دونها فى احدى وستين أو ثلاث وستين زاد فى رواية وذلك جل أعمار أمته وعند ولادته
صلى الله عليه وسلم تنكست الاصنام أى أصنام الدنيا وتقدم أيضا انها تنكست عند الحمل
به وتقدم أنه لا مانع من تعدد ذلك وجاء ان عيسى عليه السلام لما وضعته أمه خر كل شئ يعبد
من دون الله فى مشارق الارض ومغاربها ساجدا لوجهه وفزع ابليس فعن وهب بن منبه
لما كانت الليلة التى ولد فيها عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم أصبحت الاصنام فى جميع
الارض منكسة على رؤسهم وكلما ردوها على قوائمها انقلبت فحارت الشياطين لذلك ولم
تعلم السبب فشكت الى ابليس فطاف ابليس فى الارض ثم عاد اليهم فقال رأيت مولودا
والملائكة قد حفت به فلم أستطع أن أدنو اليه وما كان نبى قبله أشد على وعليكم منه وانى
لا رجو أن أضل به أكثر ممن يهتدى به (أقول) قد علمت أن تنكيس الاصنام تكرر لنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم عند الحمل وعند الولادة فالخاص به ما كان عند الحمل لا ما كان عند الولادة
لمشاركة عيسى عليه السلام له فى ذلك وبهذا يعلم ما فى قول الجلال السيوطى فى خصائصه

واختلفت رواياتهم وأن الصواب هى الرواية الاولى فهى فى غاية الاتقان تبين بها ان اللفظ العام هو الصادر من النبى صلى الله عليه وسلم ورآه الاعرابى بعد اسلامه أمرا مقتضيا للامتثال فلم يسعه الا امتثاله ثم لو فرض اتفاق الرواة على رواية مسلم كان معارضا بالادلة القرآنية والادلة الواردة فى

أهل الفترة والحديث الصحيح اذا عارضته ادلة أخرى وجب تأويله وتقديم تلك الادلة عليه كما هو مقرر فى الاصول ﴿فان قيل﴾ حيث قررت أن أهل الفترة لا يقضى عليهم بشئ حتى يمتحنوا فكيف حكم صلى الله عليه وسلم على أبى السائل بانه فى النار أجاب السيوطى بجواز أنه يعصى عند الامتحان وأوحى اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فحكم بانه من أهل النار وبان حديثه متقدم على أحاديث أهل الفترة فيكون منسوخا بها وبجواز أنه عاش حتى أدرك البعثة وبلغته وأصر ومات فى عهده وهذا لا عذر له البتة قال الزرقانى وفى الثالث نظر لانه لو كان كذلك لما كان لسؤاله عن الاب الكريم وجه اذ الفرق لائح لان أباه بلغته البعثة والاب الشريف لم تبلغه اللهم الا أن يجاب بان الاعرابى توهم أنه لا يكفى بلوغ البعثة حتى يشاهد النبى ولا ينكر هذا منه لانه لم يكن حينئذ تفقه فى الدين بل لم يكن أسلم كما صرح به فى حديث سعد وابن عمر رضى الله عنهما وبعضهم روى هذه القصة بان السؤال عن الام وجمع بانه سأل مرة عن أبيه ومرة عن أمه ﴿ومن الاحاديث المعارضة للنجاة﴾ حديث مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا استأذنت ربى أن أستغفر لامى فلم يأذن لى واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة وأجيب كما فى الزرقانى بان حديث عدم الاذن فى الاستغفار لا يلزم منه الكفر بدليل أنه صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا فى أول الاسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء ومن الاستغفار له مع أنه من المسلمين وعلل بان استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصل ثواب دعائه الى منزله فى الجنة والمدين محبوس عن مقامه الكريم حتى يقضى دينه فقد تكون أمه مع

الصغرى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم تنكيس الاصنام لولده وعن عبد المطلب قال كنت فى الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من أماكنها وخرت سجدا وسمعت صوتا من جدار الكعبة يقول ولد المصطفى المختار الذى تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الاصنام ويأمر بعبادة الملك العلام ولا يقال قال ابليس فى حق عيسى عليه السلام لا أستطيع أن أدنو اليه وتقدم فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم ان ابليس دنا منه فركضه جبريل عليه السلام لانا نقول يجوز أن يكون الدنو فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم دنوا الى محله الذى هو فيه لا الى جسده والدنو المنفى فى حق عيسى عليه السلام دنو الى جسده فان قيل جاء فى الحديث ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان أى لقول أم مريم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفى رواية كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب أى وهى المشيمة التى يكون فيها الولد ولعل المراد بجنبه جنبه الايسر وعن قتادة كل مولود يمسه الشيطان باصبعه فى جنبه فيستهل صارخا الا عيسى ابن مريم وأمه مريم ضرب الله عليهما حجابا فأصابت الطعنة الحجاب فلم ينفذ اليهما منه شئ ولعل هذا الحجاب هو المشيمة ويحتمل أن يكون غيرها قلت وجاء عن مجاهد ان مثل عيسى فى عدم طعن الشيطان فى جسده حين يولد سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يقال من قبل الرأى وعلى تقدير صحة ذلك يكون تخصيص عيسى وأمه بالذكر كان قبل أن يعلم صلى الله عليه وسلم بان سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كعيسى وأمه وهذا الكلام يرد بيان القاضى عياض للضرر المنفى فى قوله صلى الله عليه وسلم من قال اذا أراد أن يأتى أهله بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان قدر بينهما فى ذلك الوقت ولد من ذلك الجماع لم يضره الشيطان أبدا بان المراد انه لا يطعن فيه عند ولادته بخلاف غيره وهذا أى عدم قربه من نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز أن يكون فى حق خصوص ابليس فلا ينافى ما تقدم عن الحافظ ابن حجر ان عدم ارتضاعه صلى الله عليه وسلم فى ليلتين بوضع عفريت من الجن يده فى فيه على تسليم صحته وصاحب الكشاف أخرج المس ومثله الطعن عن حقيقته وقال المراد به طمع الشيطان فى اغوائه وتبعه القاضى على ذلك وسيأتى فى شق صدره صلى الله عليه وسلم كلام يتعلق بذلك وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى ✱ أنه لابد لجميع بنى آدم من العقوبة والالم شيأ بعد شئ الى دخولهم الجنة لانه اذا انتقل الى البرزخ فلابد له من الالم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلابد له من ألم الخوف على نفسه أو غيره وأول الالم فى الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده من مفارقة الرحم وسخونته فيضرب به الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بالم البرد فيبكى فان مات فقد أخذ حظه من البلاء وقال بعد ذلك فى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام على يوم ولدت معناه السلامة من ابليس الموكل بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ الولد اذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى عليه السلام بل وقع ساجدا لله حين خرج فليتأمل هذا مع قوله ان استهلال المولود وصراخه حين يولد لحسه ألم البرد الذى يجده بعد مفارقة سخونة الرحم وقوله بل وقع

ساجدا

كونها ممتحنة محبوسة فى البرزخ عن الجنة لامور أخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له فى الاستغفار لها الى أن أذن الله فيه بعد ذلك قال وأما حديث أمى مع أمكما على ضعف اسناده فلا يلزم منه كونها فى النار لجواز أنه أراد بالمعية كونها معها فى دار البرزخ أو غير ذلك وعبر بذلك تورية وايهاما لتطييب القلوب بما قال وأحسن منه أنه صدر ذلك منه

قبل أن يوحى اليه أنها من أهل الجنة كما قال فى تبع لا أدرى تبعا ألعينا كان أم لا أخرجه الحاكم وابن شاهين عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال بعد أن أوحى اليه فى شأنه لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ عن سهل وابن عباس رضى الله عنهما فكأنه أولا لم يوح اليه فى شأنها بشئ ولم يبلغه القول الذى قالته عند موتها ولا تذكره فأطلق القول بانها مع أمهما جريا على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى اليه أمرها بعد قال ويمكن الجواب بانها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك أصل كبير فأحياها الله له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما فى شريعته ولذا تأخر احياؤها الى حجة الوداع حتى تمت الشريعة ونزل اليوم أكملت لكم دينكم فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ وتقدم عن القاضى عياض ان الاحاديث التى فيها البكاء عند قبر أمه تحمل على أن بكاءه ليس لتعذيبها وانما كان أسفا على ما فاتها من ادراك أيامه أى بعثته والايمان به وقد رحم الله بكاءه فأحياها حتى آمنت ﴿ومن الاحاديث المعارضة للنجاة﴾ ما رواه الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما الى المقابر أى أشار الى أنه يريد الذهاب اليها فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم فقلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذى جلست عنده قبر آمنة وانى استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى وانى استأذنته فى الدعاء وفى رواية فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وأنزل على "ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى"

ساجدا يدل على ان سجود نبينا صلى الله عليه وسلم حين ولد ليس من خصائصه والله أعلم وذكر أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فانكروا ذلك فأخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان هذا لامر حدث ثم أنشد بعضهم أبياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من أمره ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير أى مرتفع يقول

تردى لمولود أضاءت بنوره ✱ جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

الابيات والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وتوالت بشرى الهواتف ان قد ✱ ولد المصطفى وحق الهناء

أى تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه بان قد ولد المصطفى المختار على الخلق كلهم وثبت لهم الفرح والسرور وليلة ولادته صلى الله عليه وسلم تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولد النبى صلى الله عليه وسلم وارتجس أى اضطرب وانشق ايوان كسرى أنوشروان ومعنى أنوشروان مجدد الملك أى وكان بناء محكما مبنيا بالحجارة الكبار والجص بحيث لا تعمل فيه الفؤوس مكث فى بنائه نيفا وعشرين سنة أى وسمع لشقه صوت هائل وسقط من ذلك الايوان أربع عشرة شرافة بضم الشين المعجمة وسكون الراء أى وليس ذلك لخلل فى بنائه وانما أراد الله تعالى أن يكون ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الارض أى وقد ذكر أن الرشيد أمر وزيره يحيى بن خالد البرمكى أى والد جعفر والفضل بهدم ايوان كسرى فقال له يحيى لا تهدم بناء دل على فخامة شأن بانيه قال بلى يا مجوسى ثم أمر بنقضه بقدر له نفقة على هدمه فاستكثرها الرشيد فقال له يحيى ليس يحسن بك ان تعجز عن هدم شئ بناه غيرك هذا والذى رأيته فى بعض المجاميع ان المنصور لما بنى بغداد أحب ان ينقض ايوان كسرى فان بينه وبينها مرحلة ويبنى به فاستشار خالد بن برمك فنهاه وقال هو آية الاسلام ومن رآه علم ان من هذا بناؤه لا يزول أمره وهو مصلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه والمؤنة فى نقضه أكثر من الانفاق عليه ولا مانع من تكرر طلب نقضه من المنصور ومن ولد ولده الرشيد وانما قال الرشيد ليحيى بن خالد يا مجوسى لان جده والد خالد البرمكى وهو برمك كان من خراسان وكان أولا مجوسيا ثم أسلم وكان كاتبا عارفا محصلا لعلوم كثيرة جاء الى الشام فى دولة بنى أمية فاتصل بعبد الملك بن مروان فحسن موقعه عنده وعلا قدره ثم لما ان زالت دولة بنى أمية وجاءت دولة بنى العباس صار وزير السفاح ثم لاخيه المنصور من بنى العباس ورأيت عن برمك هذا حكاية عجيبة وهى انه سار الى زيارة ملك الهند فأكرمه وأنس به وأحضر له طعاما وقال كل فأكلت حتى انتهيت فقال لى كل فقلت لا أقدر والله أيها الملك فأمر باحضار قضيب فأخذه الملك وأمر به على صدرى فكأنى لم آكل شيأ قط ثم أكلت أكلا كثيرا حتى انتهيت فقال لى كل فقلت لا والله لا أقدر أيها الملك فأمر بالقضيب على صدرى فكأنى لم آكل شيأ قط فأكلت حتى انتهيت فقال لى كل فقلت والله ما أقدر على ذلك فأراد

فأخذني ما يأخذ الولد للوالد أي من الرقة والشفقة والجواب عنه انه حديث ضعيف ضعفه ابن معين وغيره قال الذهبي فيه أبو أيوب ابن هانئ ضعيف قال السيوطي فهذه علة تقدح في صحته فلا عبرة بتصحيح الحاكم له مع انه معارض بالاحاديث التي فيها ان الآية نزلت في أبي طالب وأما ما يذكره بعض المفسرين من ان قوله تعالى انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم نزلت في الابوين فذلك باطل لا أصل له بل الآية نزلت في اليهود والنصارى قال أبو حيان في البحر وسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك وقيل انها نزلت في أبي طالب وسيأتي الكلام عليه فان قلت قد صحت أحاديث بتعذيب بعض أهل الفترة كحديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار كحديث مسلم رأيت صاحب المحجن في النار وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فاذا بصر به أحد قال انما تعلق بمحجني وان غفل عنه ذهب به وأجيب عن ذلك بأجوبة أحدها انها أخبار آحاد تفيد الظن فلا تعارض القطع بانهم غير معذبين المأخوذ من الآيات القرآنية فوجب تقديم الآيات عليها وان صحت الثاني قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على هؤلاء اتباعا للوارد ولا نقيس عليهم غيرهم فلا تنافي القاطع والله أعلم بالسبب الموقع لهم في العذاب وان كنا نحن لا نعلمه الثالث قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة كعمرو بن لحي فانهم فعلوا من الضلال والاضلال ما لا يعذرون به كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع وقد قسم العلماء أهل الفترة ثلاثة أقسام (القسم الاول) من أدرك التوحيد وعرف الله ببصيرته أي بعلمه وخبرته فمنعه هذا التبصر عن عبادة غير الله ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة الايادي فانه آمن بالبعثة في زمن الجاهلية وعرف الله بعقله وكان يقول سيعلم حق من هذا الوجه وبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وقال لقومه كان ... الى مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش الابد ونعيم لا ينفد فان

أن يمر بالقضيب على صدري فقلت أيها الملك ان الذي دخل يحتاج الى ان يخرج فقال صدقت وامسك عني فسألته عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك ومما يحفظ عن يحيى بن خالد هذا زيادة على ما تقدم عنه اذا أحببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا أبغضت انسانا من غير سبب فتوق شره ومما يحفظ عنه أيضا وقد قال له ولده وأظنه الفضل وقد كان معه مقيدا في حبس الرشيد بعد قتله لولده جعفر وصلبه ونهبه أموال البرامكة ومن يلوذ بهم يا أبت بعد العز ونفوذ الكلمة صرنا الى هذه الحالة فقال يا ولدي دعوة مظلوم سرت ليلا غفلنا عنها وما غفل الله عنها أي فقد قال أبو الدرداء اياكم ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام أي ولان الله تعالى يقول انا أظلم الظالمين ان غفلت عن ظلم الظالم وقد قال صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانما يسأل الله حقه وان الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه وجاء اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين والمراد بالغمام الغمام الابيض الذي فوق السماء السابعة المعني بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام أي لا تقوى على حمله اذا سقط ونصر دعوة المظلوم استجابتها ولو بعد زمن طويل فهو سبحانه وتعالى وان أمهل الظالم لا يهمله وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كأنها شرارة أي تصعد الى السماء السابعة فما فوقها وجاء اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب وقد قال القائل

تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

ومما قيل في يحيى بن خالد هذا من المدح البليغ

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

ومما يحفظ عن والده خالد التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمولود ومما يحفظ عن جعفر ولد يحيى قوله شر المال ما لزمك الاثم في كسبه وحرمت الاجر في انفاقه وقوله المسيء لا يظن في الناس الا سوءا لانه يراهم بعين طبعه ومما قيل في جعفر من المدح قول الشاعر

تروم الملوك ندى جعفر * ولا يصنعون كما يصنع

وليس بأوسعهم في الغنى * ولكن معروفه أوسع

وخمدت نار فارس أي مع ايقاد خدامها لها أي كتب له صاحب فارس ان بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوة أي بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شيء من الماء مع شدة اتساعها أي كتب له بذلك عامله باليمن والى هذا يشير صاحب الاصل بقوله

لمولده ايوان كسرى تشققت * مبانيه وانحطت عليه شؤنه

لمولده خرت على الاشرفاته * فلا شرف للفرس يبقى حصينه

لمولده نيران فارس أخمدت * فنورهم اخماده كان حصينه

لمولده غاضت بحيرة ساوة * وأعقب ذاك المدجور يشينه

دعاكم فأجيبوه ولو علمت اني أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه في كلام آخر وروى اليعمري عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا رحم الله قسا اني أرجو أن يبعثه الله أمة وحده وسيأتي شيء من أخباره وكزيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة وعم عمر بن الخطاب فانه كان ممن طلب التوحيد وخلع الاوثان وجانب الشرك ومات قبل البعثة وكان يقول اني خالفت قومي واتبعت ملة ابراهيم واسمعيل وما كانا يعبدان وكانا يصليان الى هذه القبلة وأنا انتظر نبيا من بني اسمعيل يبعث ولا أراني أدركه وانا أومن به وأصدقه وأشهد انه نبي وقال لعامر بن ربيعة ان طالت بك حياة فأقره مني السلام قال عامر فلما أعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بخبره رد عليه السلام وترحم عليه وقال رأيته في الجنة يسحب ذيولا ومن هذا القسم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فانه ما كان يفعل ما يفعلون في الجاهلية وما سجد لصنم قط ولذا قال بعض المحققين كل من أبي بكر وعلي رضي الله عنهما يلقب بالصديق وانه يقال فيه كرم الله وجهه لكن اشتهر الصديق في أبي بكر وكرم الله وجهه في علي رضي الله عنهما وكل منهما لم يسجد لصنم قط ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير وأهل نجران وورقة بن نوفل فانهم تنصروا في الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية قال الزرقاني ولا بدع أن يكون الابوان الشريفان كالقسم الاول أعني زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة بل الابوان أولى بذلك كما تقدم (والقسم الثاني) من أهل الفترة من غير وبدل وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه وحلل وحرم وهم الاكثر من العرب كعمرو بن لحي بن قمعة بن الياس بن مضر أول من سن للعرب عبادة الاصنام وغير دين ابراهيم وجده قمعة بن خندف أبو خزاعة وخندف زوج الياس بن مضر وقد ذكر ابن اسحق في سبب تغيير عمرو بن لحي وتبديله واشراكه انه خرج الى الشام وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الاصنام فاستوهبهم واحدا منها وجاء به الى مكة فنصبه الى الكعبة وهو هبل وقيل كان له تابع من

كأن لم يكن بالامس ريا لناهل * وورد العين المستهام معينه

والى ذلك أيضا يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ما تداعى البناء

وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كا * ن لنيرانهم بها اطفاء

أي ومن العجائب التي ظهرت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم انهدام ايوان كسرى أنوشروان الذي كان يجلس به مع أرباب مملكته وكان من أعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما ولولا وجود علامة صادرة عنك الى الوجود ما تهدم هذا البناء العجيب الاحكام ومن ذلك أيضا انه صار تلك الليلة كل واحد من بيوت نار فارس التي كانوا يعبدونها خامدة نيرانه والحال ان في ذلك البيت غما وبلاء عظيما من أجل سكون لهب تلك النيران التي كانوا يعبدونها في وقت واحد ومن ذلك أيضا غور ماء عيون الفرس في الارض حتى لم يبق منها قطرة وحينئذ يستفهم توبيخا وتقريعا لهم فيقال هل تلك المياه التي غارت كان بها اطفاء لتلك النيران ويقال في جوابه لا بل اطفاؤها انما هو لوجود هذا النبي العظيم وظهوره ورأى الموبذان أي القاضي الكبير وفي كلام ابن المحدث هو خادم النار الكبير ورئيس حكامهم وعنه يأخذون مسائل شرائعهم ورأى في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا أي وهي خلاف البراذين قد قطعت دجلة أي وهي نهر بغداد وانتشرت في بلادها أي والابل كناية عن الناس ورأى كسرى ما هاله وأفزعه أي الذي هو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فلما أصبح تصبر أي لم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى انه لا يدخر ذلك أي هذا الامر الذي هاله وأفزعه عن مرازبته بضم الزاي أي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيما بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران أي وورد عليه كتاب من صاحب ايليا يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان وادي السماوة انقطع تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب طبرية يخبره ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم أخبرهم بما رأى وما هاله أي وهو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فقال الموبذان فانا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال أي شيء يكون هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الي برجل عالم بما أريد ان أسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني أي وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال ألك علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليسألني الملك عما أحب فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه فاخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خالي يسكن مشارف الشام بالفاء أي أعاليها أي وهي الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد اشفى

الجن يقال له أبو ثمامة جاءه ليلة فقال أجب أبا ثمامه فقال لبيك من تهامه ادخل بلا ملامه فقال ائت سيف جده تجد آلهة معده
تخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب قال فتوجه الى جده فوجد الاصنام التى كانت تعبد زمن نوح فحملها الى مكة ودعا الى عبادتها
فانتشرت بسبب ذلك عبادة الاصنام فى العرب وكانت التلبية من زمن ابراهيم عليه السلام لبيك اللهم لبيك لا شريك لك

لبيك حتى كان عمرو بن لحى فبينا هو يلبى تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال الشيخ الا شريكا هو لك فأنكر ذلك عمرو فقال ما هذا فقال قل تملكه وما ملك فانه لا بأس به فقالها عمرو فدانت بها العرب وشرع لهم الاحكام فبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامى فكانوا اذا انتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البحيرة وكان الرجل منهم يقول ان شفيت من مرضى أو قدمت من سفرى فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم أو ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم واذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره وكل هذه الاقسام يجعلونها لطواغيتهم وتبعته العرب فى غير ذلك أيضا مما يطول ذكره كعبادة الجن والملائكة وخرق البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة (و) القسم الثالث هو وهم

من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقى مدة عمره على حين غفلة عن هذا كله وفى الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم أهل الفترة الى الثلاثة الاقسام فيحمل من صح تعذيبه على القسم الثانى لاجل كفرهم بما تعدوا به من الخبائث وقد سمى الله هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال أحد منهم يقول

أى أشرف على الضريح أى الموت أى احتضر وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة أى ولم يذكره ابن الجوزى فى المعمرين وكان جسدا ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق فى كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى عظم رأسه وفى لفظ لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان قيل لكونه مخلوقا من ماء امرأة لان ماء الرجل يكون منه العظم والعصب أى كما سيأتى عنه صلى الله عليه وسلم من قوله نطفة الرجل يخلق منها العظم والعصب ونطفة المرأة يخلق منها اللحم والدم قال صلى الله عليه وسلم ذلك لما سأله اليهود فقالوا له مم يخلق الولد فلما قال لهم ما ذكر قالوا له هكذا كان يقول من قبلك أى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفيه ان عيسى عليه الصلاة والسلام على تسليم أنه خلق من نطفة وهى نطفة أمه كان فيه العظم والعصب فقد قيل تمثل لها الملك فى صفة شاب أمرد حتى انحدرت شهوتها الى أقصى رحمها وقيل لم يخلق من نطفة أصلا وقد صرح بالاول الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله حيث قال أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق من ماء أمه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا اشتدت اللذة بالنظر اليه فنزل الماء منها الى الرحم فتكون عيسى عليه السلام من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة منها فهو من ماء أمه فقط هذا كلامه أى وكون سطيح كان وجهه فى صدره لم يختص سطيح بهذا الوصف فقد رأيت ان عمرا ذا الاذعار انما قيل له ذلك لانه سبى أمة وجوهها فى صدورها فذعرت الناس منهم وعمرو هذا كان فى زمن سليمان بن داود عليهما السلام وقيل قبله بقليل وملكت بعده بلقيس بعد قتلها اياه وكان لسطيح سرير من الجريد والخوص اذا أريد نقله الى مكان يطوى من رجليه الى ترقوته وفى لفظ الى جمجمته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير فيذهب الى حيث يشاء واذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك وطب المخيض أى سقاء اللبن الذى يمخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيسئل فيخبر عما يسئل عنه وكانت جمجمته اذا لمست أثر اللمس فيها للينها قيل وهو أول كاهن كان فى العرب وهذا يدل على أنه سابق على شق وقد تقدم فى حفر زمزم ان الكاهنة التى ذهب اليها عبد المطلب وقريش ليتحاكموا عندها تفلت فى فم سطيح وفم شق وذكرت ان سطيحا يخلفها ومن ثم قال بعضهم لم يكن أحد أشرف فى الكهانة ولا أعلم بها ولا أبعد فيها صيتا من سطيح وكان فى غسان (وذكر بعضهم) ان سطيحا كان فى زمن نزار بن معد بن عدنان وهو الذى قسم الميراث بين بنى نزار وهم مضر واخوته وهو يؤيد ما تقدم من أنه عمر سبعمائة سنة ثم شق وعبد المسيح وهؤلاء كانوا رؤس الكهنة وأهل العلم الغامض منهم بالكهانة أى والافهم أى من أهل العلم الغامض مسيلمة الكذاب فى بنى حنيفة وسجاح كانت فى بنى تميم وسجاح أخرى كانت فى بنى سعد والكهانة هى الاخبار عن الغيب والكهانة من خواص النفس الانسانية لان لها استعدادا للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التى فوقها فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فأنشأ عبد المسيح

سخيل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى فى مقام الرد والانكار لما ابتدعوه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وانما قيل لهم لا يعقلون لانهم قلدوا فيه الآباء وهذا شأن أكثرهم
بخلاف القليل منهم فانه تباعد عن ذلك ووحد الله وهم أهل القسم الاول * وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم

غير معذبين اتفاقا اذا علمت ذلك تعلم أن والدى النبى صلى الله عليه وسلم اما أن يكونا من أهل القسم الاول كما دلت على ذلك أشعارهم وأقوالهم المنقولة عنهم فيما تقدم واما أن يكونا من القسم الثالث لم تبلغهما دعوة لتأخر زمنهما وبعد ما بينهما وبين الانبياء السابقين وكونهما فى زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقا وغربا وفقد فيها من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها الا نفرا يسيرا من أحبار أهل الكتاب مفرقين فى أقطار الارض كالشام وغيرها وما عهد لهما تقلب فى الاسفار سوى المدينة ولا أعطيا عمرا طويلا يسع الفحص عن المطلوب مع زيادة أن أمه صلى الله عليه وسلم مخدرة مصونة محجبة فى البيت عن الاجتماع بالرجال لا تجد من يخبرها واذا كان النساء اليوم مع فشو الاسلام شرقا وغربا لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء فما ظنك بزمان الجاهلية والفترة الذى رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم تعجب أهل مكة وقالوا أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك وربما كانوا يظنون أن ابراهيم عليه السلام بعث بما هم عليه فانهم لم يجدوا من يبلغهم شريعته

على وجهها الدثورها وفقد من يعرفها اذ كان بينهم وبينها أزيد من ثلاثة آلاف سنة وأما أهل القسم
الاول كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو فقد قال عليه الصلاة والسلام فى كل منهما انه يبعث أمة وحده واستغفر لهما وترحم عليهما
وأخبر بأنهما كانا على دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وذلك بهداية وتوفيق من الله تعالى واذا صح ذلك لمثل هذين فلا مانع

يقول * أصم أم يسمع غطريف اليمن * أى سيدهم الى آخر أبيات ذكرها فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه (أقول) قد يقال لا منافاة بين اثبات الرأس هنا ونفيه فى قوله ولم يكن له رأس لانه يجوز ان يكون المراد بالرأس المثبت الوجه لكن قد تقدم أنه لم يكن له عظم سوى ما فى رأسه أو الا جمجمته ففى ذلك اثبات الرأس وقد يقال لما كان رأسه وتلك الجمجمة يؤثر فيهما اللمس للينهما المخالفتهما الرأس غيره ساغ اثبات الرأس له ونفيه عنه والله أعلم وعند رفع رأسه قال عبد المسيح على جمل مشيح أى سريع الى سطيح وقد وافى على الضريح أى القبر والمراد به الموت كما تقدم بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة أى تلاوة القرآن وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه أى مات من ساعته والهراوة بكسر الهاء وهى العصا الضخمة أى وهو النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان يمسك العصا كثيرا عند مشيه وكان يمشى بالعصا بين يديه وتغرز له فيصلى اليها التى هى العنزة وفى الحديث حمل العصا علامة المؤمن وسنة الانبياء وفى الحديث من بلغ أربعين سنة ولم يأخذ العصا عدله أى عد من أخذ العصا من الكبر والعجب وقد يقال مراد سطيح بالعصا العنزة التى تغرز ويصلى اليها فى غير المسجد لانه لم يحفظ ان ذلك كان لمن قبله من الانبياء وذكر الطبرى ان ابرويز بن هرمز جاءه جاء فى المنام فقيل له سلم ما فى يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان بظهور النبى صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه وعند موت سطيح نهض عبد المسيح الى راحلته وهو يقول شعرا منه

شمر فانك ماضى العزم شمير * ولا يغرنك تفريق وتغيير
والناس أولاد علات فمن علموا * ان قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الام اما ان رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قاله سطيح قال له كسرى الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور فملك منهم عشرة فى أربع سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان رضى الله عنه أى فقد ذكر ان آخر من هلك منهم كان فى أول خلافة عثمان رضى الله عنه ه أى وكانت مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وأربعا وستين سنة ومن ملوك بنى ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع أكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بنى تميم وجدهم فروا منه ومن جيشه ووجد بها عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا فى قفة لعدم قدرته على الجلوس فأخذ وجىء به اليه فاستنطقه فوجد عنده أدبا ومعرفة فقال للملك أيها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون ان ملكنا يصير اليهم على يد نبى يبعث فى آخر الزمان فقال له عمير فأين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلن يضرك وان يكن حقا ألفوك

من حصول مثله لابائه الكرام وأمهاته الفخام واختلفوا في ثبوت الصحبة لقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
والاكثرون على عدم ثبوت الصحبة لان اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته وارساله الى الخلق فهم مؤمنون به بالغيب
قبل ظهوره ولذا جاء عنه عليه الصلاة والسلام ٨٢ أنهم يبعثون بينه وبين عيسى عليه السلام وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه
وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الدين الذي دخلوا فيه مالم يلحق أحدهم الاسلام الناسخ لكل دين لكن تبع لم يدرك الاسلام قطعا وقال فيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه فيه لا أدرى تبعا ألعينا كان أم لا ثم لما أوحى الله فيه قال لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أي وحد الله وصدق بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم لما كانت يهود يثرب يخبرونه قال الامام جلال الدين السيوطي انى لم أدع أن مسئلة الابوين اجماعية بل هي مسئلة اختلافية فحكمها حكم سائر المسائل المختلف فيها غير أنى اخترت أقوال القائلين بالنجاة لانه الانسب بهذا المقام والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بأنه اذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف قائم به وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة كيف وقد روى ابن منده وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءت سبيعة بنت أبي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان الناس يقولون أنت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب فقال ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذاني فقد آذى
الله وروى الطبراني والامام أحمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتؤذوا
الاحياء ولاريب ان أذاه صلى الله عليه وسلم كفر يقتل فاعله ان لم يتب وعند المالكية يقتل وان تاب فاذا سئل العبد عن الابوين

ولم تخمد عندهم نار يكافئونك عليها ويعظمونك بها في دولتك فانصرف سابور وترك تمرضه
للعرب وأحسن اليهم بعد ذلك وقول سطيح علك منهم ملوك وملكات لم أقف على أنه ملك منهم
من النساء الا واحدة وهي بوران ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لا يفلح قوم ملكتهم امرأة
فلكت سنة ثم هلكت وذكر ابن اسحق رحمه الله ان آمنة صلى الله عليه وسلم لما ولدته أرسلت
خلف جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فانظر اليه فاتاه ونظر اليه وحدثته بما رأته فأخذه
عبد المطلب ودخل به الكعبة أي وقام يدعو الله أي وأهله يؤمنون ويشكر له ما أعطاه * ثم
خرج به الى أمه فدفعه اليها وقد تقدم الوعد بذلك وتقدم ما فيه قال وتكلم صلى الله عليه وسلم
في المهد في أوائل ولادته وأول كلام تكلم به أن قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اه (أقول)
وتقدم أنه قال حين ولد جلال ربي الرفيع كما أورده السهيلي عن الواقدي وأنه روى أنه تكلم
حين خروجه من بطن أمه فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ولا مانع
من تكرر ذلك حين خروجه وحين وضعه في المهد وأنه زاد في المرة الثالثة وسبحان الله بكرة
وأصيلا وحينئذ يكون تكلمه حين خروجه من بطن أمه لم يشاركه فيه غيره من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام الا الخليل والا نوحا كما سيأتي بخلاف تكلمه في المهد على أنه سيأتي أنه يجوز أن
يكون المراد بالتكلم في المهد التكلم في غير أوان الكلام ويقال أنه قال ذلك عند فطامه
* وتقدم أنه قال الحمد لله لما عطس على الاحتمال الذي أبداه بعضهم كما تقدم ما فيه ولا مانع
من وجود هذه الامور الثلاثة التي هي جلال ربي الرفيع والله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
حين ولادته وعلم ترتيبها يتوقف على نقل وحينئذ تكون الاولية في الواقعة في بعض ذلك
اما حقيقية أو اضافية وقدمنا ان الاولية في قوله جلال ربي الرفيع بالنسبة لقوله الله أكبر
كبيرا والحمد لله كثيرا اضافية * قال وقد تكلم جماعة في المهد نظمهم الجلال السيوطي
رحمه الله تعالى في قوله

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم اه

قال بعضهم لكن هو صلى الله عليه وسلم حصر من تكلم في المهد في ثلاثة ولم يذكر نفسه
أي فقد روى عن أبي هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى وصاحب جريج وابن
المرأة التي مر عليها بامرأة يقال لها انها زنت وقد يقال هذا الحصر اضافي أي ثلاثة من بني
اسرائيل أو ان ذلك كان قبل أن يعلم بما زاد وذكر أن عيسى عليه السلام تكلم في المهد وهو
ابن ليلة وقيل وهو ابن أربعين يوما أشار بسبابته وقال بصوت رفيع انى عبد الله لما سمع بنو
اسرائيل على مريم عليها السلام وهي حاملة له صلى الله عليه وسلم وأنكروا عليها ذلك وأشارت
اليهم ان كلموه وضربوا بأيديهم على وجوههم تعجبا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا
قال لهم ما قصه الله سبحانه وتعالى ثم رأيتني في الكلام على قصة الاسراء والمعراج ذكرت ذلك

وان

الشريفين فليقل هما ناجيان في الجنة اما لانهما أحييا حتى آمنا به كما جزم به الحافظ السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وغيرهم
من المحققين واما لانهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها كما جزم به الابي في شرح مسلم واما لانهما كانا على الحنيفية والتوحيد
لم يتقدم لهما شرك كما قطع به الامام السنوسي والتلمساني محشي الشفاء ٨٣ فهذه خلاصة أقوال المحققين ولا تلتفت الى قول
من خالف شيأ من ذلك وقد نقل العلامة الطحطاوي من علماء الحنفية المتأخرين في حواشيه على الدر المختار في كتاب النكاح جملة من أقوال المحققين وذكر أن المحققين من الحنفية على هذا الاعتقاد ولا عبرة بمخالفة من خالف في ذلك قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال ان أبا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فأجاب بأنه ملعون لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ولا أذى أعظم من أن يقال أبوه في النار وأخرج ابن عساكر وأبو نعيم أن رجلا من كتاب الشام استعمل على كورة من كوره رجلا كان أبوه يزن بالمنانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال له ما حملك على أن تستعمل على كورة من كور المسلمين رجلا كان أبوه يزن بالمنانية فقال أصلح الله أمير المؤمنين وما على من كان أبوه كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا فقال عمر آه ثم سكت ثم رفع رأسه ثم قال أأقطع لسانه أأقطع يده ورجله أأضرب عنقه ثم قال لا تل لي شيأ ما بقيت وعزله عن الدواوين ولقد أطنب الجلال السيوطي رضي الله عنه في
الاستدلال لايمانهما فالله يثيبه على قصده الجميل وجملة مؤلفاته في ذلك ستة منها تأليف سماه مسالك الحنفا في نجاة آباء المصطفى
صلى الله عليه وسلم قال في مسالك الحنفا وقد سئلت ان أنظم في هذه المسئلة أبياتا أختم بها هذا التأليف فقلت

ان الذي بعث النبي محمدا * أنجى به الثقلين مما يجحف
ولامه وأبيه حكم شائع * أبداه أهل العلم فيما صنفوا

وان عيسى تكلم يوم ولادته قال لابن خال أمه يوسف النجار وقد خرج في طلب أمه وقد خرجت
لما أخذها ما يأخذ النساء من الطلق عند الولادة خارج بيت المقدس وجلست تحت نخلة يابسة
فاخضرت النخلة من ساعتها وتدلت عراجينها وجرت من تحتها عين ماء ووضعته تحتها أبشر
يا يوسف وطب نفسا وقر عينا فقد أخرجني ربي من ظلمة الارحام الى ضوء الدنيا وسآتي بني
اسرائيل وأدعوهم الى طاعة الله فانصرف يوسف الى زكريا عليه السلام وأخبره بولادة
مريم وقول والدها اذ ذكر صلى الله عليه وسلم (وفي النطق المفهوم) أن عيسى عليه السلام كلم
يوسف المذكور وهو في بطن أمه فقد قيل انه أول من علم بحمل مريم عليها السلام فقال لها
مقرعا لها يا مريم هل تنبت الارض زرعها من غير بذر وهل يكون ولد من غير فحل فقال له
عيسى عليه السلام وهو في بطن أمه قم فانطلق الى صلاتك واستغفر الله مما وقع في قلبك وعن
أبي هريرة رضي الله عنه أن عيسى عليه السلام تكلم في المهد ثلاث مرات ثم لم يتكلم حتى
بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان عادة أي ولعل المرة الثالثة هي التي حمد الله فيها بحمد لم تسمع
الآذان مثله فقال اللهم أنت القريب في علوك المتعالي في دنوك الرفيع على كل شئ من خلقك
حارت الابصار دون النظر اليك * ومبرى جريج تكلم كذلك أي في بطن أمه قيل له من
ابوك فقال الراعي عبد بني فلان وتكلم بعد خروجه من بطن أمه فقد تكلم مرتين مرة في بطن
امه ومرة وهو طفل كذا في النطق المفهوم ولم أقف على وقت كلامه ولا على ما تكلم به حينئذ
وأما يحيى عليه السلام فتكلم وهو ابن ثلاث سنين قال لعيسى أشهد انك عبد الله ورسوله
والخليل تكلم وقت ولادته وسيأتي ما تكلم به وفي كون ابن ثلاث سنين وفي كون من تكلم
وقت ولادته يكون في المهد نظر الا أن يكون المراد بالتكلم في المهد التكلم في غير أوان الكلام
ولم أقف على سن من تكلم في المهد حين تكلم غير من ذكر وغير الطفل الذي لذي الاخدود
فانه لما جيء بأمه لتلقى في نار الاخدود لتكفر وهو معها مرضع فتقاعست قال لها يا أماه اصبري
فانك على الحق قال ابن قتيبة كان سنه سبعة أشهر (وفي النطق المفهوم) ان شاهد يوسف
الصديق عليه السلام كان عمره شهرين وكان ابن داية زليخا * وفي الخصائص الصغرى
وخص صلى الله عليه وسلم بكلام الصبيان في المراضع وشهادتهم له بالنبوة ذكر ذلك البدر
الدماميني رحمه الله هذا كلامه وفيه نظر لانه لم يشهد له بالنبوة من هؤلاء الا مبارك اليمامة
حسبما وقفت عليه ورأيت في الاجوبة المسكتة لابن عون رحمه الله أن اليهود قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم ألست لم تزل نبيا قال نعم قالوا فلم لم تنطق في المهد كما نطق عيسى قال ان الله خلق عيسى
من غير فحل فلولا أنه نطق في المهد لما كان لمريم عذر وأخذت بما يؤخذ به مثلها وأنا ولدت
بين أبوين هذا كلامه وهو يخالف ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد الا أن يقال
مرادهم لم تنطق في المهد بمثل الذي نطق به عيسى أو ان ذلك منه صلى الله عليه وسلم ارخاء
للعنان فليتأمل * ثم رأيت ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما سقط على الارض
استوى قائما على قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد الحمد لله الذي
هدانا لهذا قال في النطق المفهوم ولد بالغار الذي ولد به نوح وادريس عليهما الصلاة والسلام

فجماعة أجروهما مجرى الذى * آباته خير الدعاء المسعف والحكم فيمن لم تجئه دعوة * أن لا عذاب عليه حكم مؤلف
فبذاك قال الشافعية كلهم * والاشعرية ما بهم متوقف وبسورة الاسراء فيه حجة * وبنحو ذا فى الذكر آى تعرف
ولبعض أهل الفقه فى تعليله * معنى أرق من النسيم وألطف ونحا الامام الفخر رازى الورى * منحى به للسامعين تشنف
اذهم على الفطر الذى ولدوا ولم
يظهر عناد منهم وتخلف
قال الالى ولدوا النبى المصطفى
كل على التوحيد اذ يتحنف
من آدم لابيه عبد الله ما
فيهم أخو شرك ولا يستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة
نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب
فى الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين فى
أسراره هبطت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير جزائه
وحباه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين فى زمان الجاهلي
ة فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الص
ديق ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكى بذاك مقالة
للاشعرى وما سواه مزيف
اذ لم تزل عين الرضا منه على الص
ديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادى فما
فى الجاهلية للضلالة يعرف
فلامه وأبوه أحرى سيما
ورأت من الآيات ما لا يوصف
وجماعة ذهبوا الى احيائه
أبويه حتى آمنا لا تحرفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا
فى ذاك لكن الحديث مضعف
هذى مسالك لو تفرد بعضها
لكفى فكيف بها اذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته
أدبا ولكن أين من هو منصف
صلى الاله على النبى محمد * ماجد الدين الحنيف محنف
وعلى صحابته الكرام وآله * أوفى رضاه يدوم لا يتوقف

ويقال لهذا الغار فى التوراة غار النور ويضم لهؤلاء ما ذكره الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله قال قلت لبنتى زينب مرة وهى فى سن الرضاعة قريبا عمرها من سنة ما تقولين فى الرجل يجامع حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم انى فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة فى مكة وكنت أذنت لوالدتها فى الحج فجاءت مع الحج الشامى فلما خرجت للاقاتها رأتنى من فوق الجمل وهى ترضع فقالت بصوت فصيح قبل أن ترانى أمها هذا أبى وضحكت وأرمت نفسها الى قال وقد رأيت أى علمت من اجاب أمه بالتشميت وهو فى بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها شهد عندى الثقات بذلك قال وهذا واحد يخصه الله بعلمه وهو فى بطن أمه ولا يعجبك قوله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ لانه لا يلزم من العالم حضوره مع علمه دائما (وفى النطق المفهوم) أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه تكلم فى بطن أمه فقال أنا المفقود والمغيب عن وجه أبى زمانا طويلا فأخبرت امه والده بذلك فقال لها اكتمى أمرك وفيه أن نوحا عليه السلام تكلم عقب ولادته فان أمه ولدته فى غار خوفا على نفسها وعليه فلما وضعته وأرادت الانصراف قالت وانوحاه فقال لها لا تخافى أحدا على يا أماه فان الذى خلقنى يحفظنى وفيه أن أم موسى عليه السلام لما وضعت موسى استوى قاعدا وقال يا أماه لا تخافى أى من فرعون ان الله معنا ومبارك اليمامة * قال بعض الصحابة دخلت دارا بمكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت فيها عجبا جاءه رجل بصبى يوم ولد وقد لفه فى خرقة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا غلام من أنا قال الغلام بلسان طلق انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بشئ فكنا نسميه مبارك اليمامة وكانت هذه القصة فى حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم يناغى القمر وهو فى مهده أى يحدثه يقال ناغت المرأة الصبى اذا كلمته بما يسره ويعجبه وعد ذلك من خصائصه ففى حديث فيه مجهول وقيل فيه انه غريب المتن والاسناد عن عمه العباس رضى الله عنه انه قال يا رسول الله دعانى الى الدخول فى دينك اشارة أى علامة نبوتك رأيتك فى المهد تناغى القمر أى تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيثما أشرت اليه مال قال كنت احدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء وأسمع وجبته أى سقطته حين يسجد تحت العرش أى ولم أقف على سنه صلى الله عليه وسلم حين ذلك وكان مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملائكة وعده ابن سبع رحمه الله تعالى من خصائصه

﴿باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا أو أحمدا﴾

لا يخفى أن جميع أسمائه صلى الله عليه وسلم مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح والكمال فله من كل وصف اسم قال وكما أن لله عز وجل ألف اسم للنبى صلى الله عليه وسلم ألف اسم عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو الباقر من بقر العلم أتقنه قال أمرت آمنة أى فى المنام وهى حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميه أحمد وعن ابن اسحق رحمه الله أن تسميه محمدا وقد تقدم * قال والثانى هو المشهور فى الروايات أى وعلى الاول اقتصر الحافظ الدمياطى رحمه الله والمسمى له بمحمد جده عبد المطلب فعن ابن عباس

رضى

﴿باب فى وفاة جده عبد المطلب ووصيته لابى طالب﴾ كان جده عبد المطلب هو الكافل له صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه وأمه وكان يرق عليه رقة لا يرقها على ولده وكان يدنيه ويقربه ويدخله عنده اذا خلا كما تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكانت وفاة جده وعمر النبى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل وكان عمر عبد المطلب حين توفى مائة وأربعين سنة وقيل مائة وعشرة وقيل أقل ودفن بالحجون عند قبر جده قصى ولما حضرته الوفاة أوصى به الى عمه شقيق أبيه أبى طالب وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية كأبيه عبد المطلب واسمه على الصحيح عبد مناف

وزعمت الروافض ان اسمه عمران وأنه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد أخطؤا فى ذلك خطأ كثيرا ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا وحين أوصى به جده لابى طالب أحبه حبا شديدا لا يحبه أحدا من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه بأحسن الطعام وقيل اقترع أبو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله منهما فخرجت القرعة لابى طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له وقيل انه كان مشاركا لعبد المطلب فى كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله أبو طالب يوم موت الزبير وهو مردود عند المحققين وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وأمه مذكورة فى الكتب القديمة فهى من علامات نبوته ففى خبر سيف ذى يزن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ولما مات عبد المطلب بكى الناس عليه بكاء كثيرا قال بعضهم لم يبك على أحد بعد موته ما بكى على عبد المطلب وكان صلى الله عليه وسلم يبكى خلف سريره ويبكى وهو ابن ثمان ولم يقم لموته سوق بمكة أياما كثيرة ومما رثته به ابنته أميمة قولها

أعينى جودا بدمع درر * على ماجد الخير والمقتصر * على ماجد الجد وارى الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات * وذى المجد والعز والمفتخر * وذى الحلم والفضل فى النائبات * كثير المفاخر جم الفخر

رضى الله عنهما قال لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عنه أى يوم سابع ولادته جده بكبش وسماه محمدا فقيل له يا أبا الحرث ما حملك على ان تسميه محمدا ولم تسمه باسم آبائه وفى لفظ وليس من أسماء آبائك ولا قومك قال أردت أن يحمده الله فى السماء وتحمده الناس فى الارض اه (أقول) وهذا هو الموافق لما اشتهر أن جده سماه محمدا بالهام من الله تعالى تفاؤلا بان يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة التى يحمد عليها ولذلك كان أبلغ من محمود والى ذلك يشير حسان رضى الله عنه بقوله

فشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وهذا الالهام لا ينافى ان تكون امه قالت له انها أمرت ان تسميه بذلك وقد حقق الله رجاءه بانه صلى الله عليه وسلم تكاملت فيه الخصال المحمودة والخلال المحبوبة فتكاملت له صلى الله عليه وسلم المحبة من الخالق والخليقة فظهر معنى اسمه على الحقيقة * وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باشتقاق اسمه من اسم الله تعالى وبانه صلى الله عليه وسلم سمى أحمد ولم يسم به احد قبله ولافادته الكثرة فى معناه لانه لا يقال الا لمن حمد المرة بعد المرة لما يوجد فيه من المحاسن والمناقب ادعى بعضهم انه من صيغ المبالغة أى الصيغ المفيدة للمبالغة بالمعنى المذكور استعمالا لا وضعا لان الصيغ الموضوعة لافادة المبالغة منحصرة فى الصيغ الخمسة وليس هذا منها وهذا السياق يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت فى يوم العقيقة وان العقيقة كانت فى اليوم السابع من ولادته وتقدم ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا وهو يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت فى ليلة ولادته أو يومها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون قوله هنا وسماه محمدا معناه اظهر تسميته بذلك لعموم الناس وهذا التعليل للتسمية بهذا الاسم يرشد الى ما قيل اقتضت الحكمة ان يكون بين الاسم والمسمى تناسب فى الحسن والقبح واللطافة والكثافة ومن ثم غير صلى الله عليه وسلم الاسم القبيح بالحسن وهو كثير وربما غير الاسم الحسن بالقبيح للمعنى المذكور كتسميته لابى الحكم بابى جهل وتسميته لابى عامر الراهب بالفاسق وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه ادع لى انسانا يحلب ناقتى فجاءه بانسان فقال ما اسمك فقال حرب فقال اذهب فجاءه بآخر فقال ما اسمك فقال يعيش فقال احلبها ويروى أنه صلى الله عليه وسلم طلب شخصا يحفر له بئرا فجاءه رجل فقال له ما اسمك قال مرة فقال اذهب وليس هذا من الطيرة التى كرهها ونهى عنها وانما هو من كراهة الاسم القبيح ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يكتب لامرائه اذا ابردتم لى بريدا فابردوه أى اذا أرسلتم لى رسولا فارسلوه حسن الاسم حسن الوجه ومن ثم لما قال له سيدنا عمر رضى الله عنه لما قال لمن أراد أن يحلب له ناقته ويحفر له البئر ما تقدم لا أدرى أقول أم أسكت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال قد كنت نهيتنا عن التطير فقال له صلى الله عليه وسلم ما تطيرت ولكن آثرت الاسم الحسن وللجلال السيوطى كتاب فيمن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولم أقف عليه ورأيت فى كلام بعضهم ان حزن بن أبى وهب أسلم يوم الفتح وهو جد سعيد بن المسيب أراد النبى صلى الله عليه وسلم تغيير اسمه وتسميته سهلا فامتنع وقال لا أغير اسما سمانيه

وكان أبو طالب مقلا من المال فكان عياله اذا أكلوا وحدهم جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبي صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان أبو طالب اذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم واذا كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ثم تناول العيال القعب أي القدح من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم من القعب الواحد وان كان أحدهم وحده يشرب قعبا واحدا فيقول أبو طالب انك لمبارك وكان أبو طالب يقرب الى الصبيان أول بكرة النهار شيأ يأكلونه فيجلسون وينتهبون فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ولا ينتهب معهم تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعاما على حدته ولا ينافي ماقبله لانه يجوز أن يكون ذلك خاصا بما يحضر في البكرة الذي يقال له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المتقدم والله أعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا مصفرة ألوانهم ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا صقيلا كأنه في أنعم عيش لطفا من الله به قالت أم أيمن مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا لا في صغره ولا في كبره وكان يغدو واذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان وهذا في بعض الاوقات فلا ينافي ماسبق وكان يوضع لابي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن أخي ليحس بنعيم أي بشرف عظيم وكان أبو طالب يحبه حبا شديدا لا يحب أولاده كذلك ولذا لا ينام الا الى جنبه ويخرج به متى خرج وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط وشدة من احتباس المطر عنهم فقائل منهم يقول اعمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول اعمدوا لمناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي انى تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل

أبواي قال سعيد فلم تزل الحزونة فينا والله أعلم أي وفي حديث انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعدما جاءته النبوة قال الامام أحمد هذا منكر أي حديث منكر والحديث المنكر من أقسام الضعيف لا انه باطل كما قد يتوهم والحافظ السيوطي لم يتعرض لذلك وجعله اصلا لعمل المولد قال لان العقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان هذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم اظهار الشكر على ايجاد الله تعالى اياه رحمة للعالمين وتشريعا لامته كما كان يصلي على نفسه لذلك قال فيستحب لنا اظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ويروى أن عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها أي في منامه رأى كأن سلسلة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق وأهل المغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا أي مع ما حدثته به أمه بناء أنه على ما تقدم وعن أبي نعيم عن عبد المطلب قال بينما أنا نائم في الحجر اذ رأيت رؤيا التي ففزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة قريش فلما نظرت الي عرفت في وجهي التغير فقالت مابال سيدهم قد أتى متغير اللون هل رابه من حدثان الدهر شيء فقلت لها بلى فقلت لها اني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء وضربت باغصانها المشرق والمغرب ومارأيت نورا أزهر منها ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجها ولا أطيب منه ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدي لاتناول منها نصيبا فلم أنله فانتبهت مذعورا فزعا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس وعند ذلك قال عبد المطلب لابنه أبي طالب لعلك أن تكون هذا المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ماولد صلى الله عليه وسلم ويقول كانت الشجرة هي محمد صلى الله عليه وسلم وفي الامتاع لما مات قثم بن عبد المطلب قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين وجد عليه وجدا شديدا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه قثم حتى أخبرته أمه آمنة انها أمرت في منامها ان تسميه محمدا فسماه محمدا أي ولا مخالفة بين هذه الروايات على تقدير صحتها كما لا يخفى لانه يجوز أن يكون نسي تلك الرؤيا ثم تذكرها ويكون معنى سؤاله ما حملك على أن تسميه محمدا وليس من أسماء قومك أي لم استقر أمرك على أن تسميه محمدا وذكر بعضهم انه لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم يعني محمدا قبله الا ثلاثة طمع آباؤهم حين وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الاول وأخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم أي بالحجاز وبقرب زمنه وباسمه المذكور الذي هو محمد وهو يدل على أن اسمه في بعض الكتب القديمة محمد وكان كل واحد منهم قد خلف زوجته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ولد ذكر أن يسميه محمدا ففعلوا ذلك وفي الشفاء ان في هذين الاسمين محمد وأحمد من بدائع آياته أي المصطفى وعجائب خصائصه ان الله تعالى حماهما

قالوا كأنك عنيت أبا طالب فقال ايه فقاموا بأجمعهم فقمت معهم فدققنا الباب عليه فخرج الينا فثار واليه فقالوا يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام وهو النبي صلى الله عليه وسلم كأنه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء وحوله اغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهر الغلام بالكعبة ولاذ الغلام أي أشار باصبعه الى السماء كالمتضرع الملتجئ ومافي السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدودق الوادي أي أمطر وكثر قطره وأخصب النادي والبادي وفي هذا يقول أبو طالب يذكر قريشا حين تمالؤا على اذيته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة يذكرهم يده وبركته عليهم من صغره

وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل

فهذا الاستسقاء شاهده أبو طالب فقال البيت بعد مشاهدته وقد شاهده مرة أخرى قبل هذه فروى الخطابي حديثا فيه ان قريشا تتابعت عليهم سنو جدب في حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس فقام عبد المطلب واعتضده صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قرب ثم دعا فسقوا في الحال فقد شاهد أبو طالب ماد له على ماقال اعني قوله وأبيض يستسقى البيت وهو من أبيات من قصيدة طويلة نحو ثمانين بيتا لابي طالب على الصواب خلافا لمن قال انها لعبد المطلب فقد أخرج البيهقي عن انس رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا الجدب والقحط وأنشد أبياتا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما رد يديه حتى التقت السماء بابراقها ثم بعد ذلك جاؤا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه كأنك تريد قوله وأبيض يستسقى وذكر أبياتا فقال صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص

عن أن يسمى بهما أحد قبل زمانه أي قبل شيوع وجوده أما أحمد الذي أتى في الكتب القديمة وبشرت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمنع الله تعالى بحكمته أن يتسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله منذ خلقت الدنيا وفي حياته زاد الزين العراقي ولا في زمن أصحابه رضي الله تعالى عنهم حتى لا يدخل لبس أو شك على ضعيف القلب أي فالتسمية به من خصائصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس ممن تقدمه خلافا لما يوهمه كلام الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى أنه من خصائصه على الانبياء فقط ومن ثم ذهب بعضهم الى أفضليته على محمد وقال الصلاح الصفدي ان أحمد أبلغ من محمد كما ان أحمر وأصفر أبلغ من محمر ومصفر ولعله لكونه منقولا عن أفعل التفضيل لانه صلى الله عليه وسلم أحمد الحامدين لرب العالمين لانه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله (وفي الهدى) لو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى أن يسمى الحماد كما سميت بذلك أمته وأما هذا فهو الذي يحمده أهل السماء والارض وأهل الدنيا والآخرة لكثرة خصاله المحمودة التي تزيد على عد العادين واحصاء المحصين أي أحق الناس وأولاهم بان يحمد فهو كمحمد في المعنى فهو مأخوذ من الفعل الواقع على المفعول لا الواقع من الفاعل وحينئذ فالفرق بين محمد وأحمد أن محمدا من كثر حمد الناس له وأحمد من يكون حمد الناس له أفضل من حمد غيره * وسيأتي عن الشفاء أنه أحمد المحمودين وأحمد الحامدين فيجوز أن يكون احمد مأخوذا من الفعل الواقع على المفعول كما يجوز أن يكون مأخوذا من الفعل الواقع من الفاعل وفي كلام السهيلي ثم انه لم يكن محمدا حتى كان قبل احمد فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له وأطال في بيان ذلك (وفي كلام) بعض فقهائنا معاشر الشافعية أنه ليس في أحمد من التعظيم مافي محمد لانه أشهر أسمائه الشريفة وأفضلها فلذلك لا يكفي الاتيان به في التشهد بدل محمد وقد جاء أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن * قال بعضهم وعبد الله أحب من عبد الرحمن لاضافة العبد الى الله المختص به تعالى اتفاقا والرحمن مختص به على الاصح * ومن ثم سمى نبينا صلى الله عليه وسلم في القرآن بعبد الله في قوله تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه وعلى ماذكر هنا يكون بعد عبد الرحمن المذكور في القرآن في قوله تعالى وعباد الرحمن احمد ثم محمد أي وبعدهما ابراهيم خلافا لمن جعله بعد عبد الرحمن وذكر بعضهم ان اول من تسمى بأحمد بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ولد لجعفر بن أبي طالب وعليه يشكل ماتقدم عن الزين العراقي وقيل والد الخليل أي ولعل المراد به الخليل بن احمد صاحب العروض ثم رأيت الزين العراقي صرح بذلك حيث قال واول من تسمى في الاسلام احمد والد الخليل بن أحمد العروضي ويشكل على ذلك وعلى قوله لم يسم به احد في زمن الصحابة تسمية ولد جعفر بن أبي طالب بذلك الا ان يقال لم يصح ذلك عند العراقي أو يقال مراد العراقي أصحابه الذين تخلفوا عنه بعد وفاته فلا يرد جعفر لانه مات في حياته صلى الله عليه وسلم وهو خامس خمسة كل يسمى الخليل بن أحمد وزاد بعضهم سادسا وكذلك محمد أيضا لم يتسم به احد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده الا بعد أن شاع ان نبيا يبعث اسمه محمد أي بالحجاز وقرب زمنه فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك وحمى الله تعالى هؤلاء ان يدعي احد منهم النبوة أو يدعيها احد له

ضريح من الصادق صلى الله عليه وسلم بأن أباطالب منشئ البيت وأول القصيدة ولما رأيت القوم لاود عندهم *
وقد قطعوا كل العرا والوسائل وقد جاهرونا بالعداوة والاذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل وقد حالفوا قوما علينا أظنة
* يعضون غيظا خلفنا بالانامل صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول 88

أعبد مناف أنتم خير قومكم
فلا تشركوا في أمركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم
تكونوا كما كانت أحاديث وائل
أعوذ برب الناس من كل طاعن
علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة
ومن ملحق في الدين مالم يحاول
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه
وراق لبر في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت في بطن مكة
وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
قال الزرقاني وما أحلى قوله في
ختامها عن ابن اسحق
لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد
وأحببته داب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل
اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش
يوالى الها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن اجيء بسبة
تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة
من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لامكذب
لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة
تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
قال الامام عبد الواحد السفاقسي في شرح البخاري ان في
شعر أبي طالب هذا دليلا على أنه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب وغيره من شأنه مع
ماشاهده من أحواله ومنها الاستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوته صلى الله عليه وسلم جاءت في كثير من الاخبار زيادة على

أو يظهر عليه شيء من سماتها أي علاماتها حتى تحققت له صلى الله عليه وسلم وفي دعوى ان الذي في الكتب القديمة انما هو أحمد مخالفة لما سبق وما يأتي عن التوراة والانجيل أي فالمراد بالكتب القديمة غالبها فلا ينافي أن في بعضها اسمه محمد وفي بعضها اسمه أحمد وفي بعضها الجمع بين محمد وأحمد قال بعضهم سمعت محمد بن عدي وقد قيل له كيف سماك أبوك في الجاهلية محمدا قال سألت ابي أي عما سألتني عنه قال خرجت رابع أربعة من تميم نريد الشام فنزلنا عند غدير عند دير فأشرف علينا الديراني وقال ان هذه للغة قوم ماهي لغة اهل هذه البلد فقلنا له نحن قوم من مضر فقال من اي المضاير فقلنا من خندف فقال لنا ان الله سيبعث فيكم نبيا وشيكا أي سريعا فسارعوا اليه وخذوا بحظكم ترشدوا فانه خاتم النبيين فقلنا له ما اسمه قال محمد ثم دخل ديره فوالله مابقي أحد منا الا زرع قوله في قلبه فاضمر كل واحد منا ان رزقه الله غلاما سماه محمدا رغبة فيما قاله أي فنذر كل واحد منا ذلك فلا يخالف ما سبق قال فلما انصرفنا ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا رجاء ان يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته (أقول) يجوز ان يكون هؤلاء الاربعة منهم الثلاثة الذين وفدوا على بعض الملوك وحينئذ تكرر لهم هذا القول من الملك ومن صاحب الدير واضمار ذلك لا ينافي نذره المتقدم فالمراد باضماره نذره كما قدمناه ويجوز أن يكونوا غيرهم فيكونوا سبعة وذكر ابن ظفران سفيان بن مجاشع نزل على حي من تميم فوجدهم مجتمعين على كاهنتهم وهي تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه فقال لها سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت صاحب هدى وعلم وحرب وسلم فقال سفيان من هو لله أبوك فقالت نبي مؤيد قد آن حين يوجد ودنا أوان يولد يبعث للاحمر والاسود اسمه محمد فقال سفيان أعربي أم عجمي فقالت أما والسماء ذات العنان والشجر ذوات الافنان انه لمن معد بن عدنان حسبك فقد أكثرت ياسفيان فأمسك عن سؤالها ومضى الى أهله وكانت امرأته حاملا فولدت له ولدا فسماه محمدا رجاء منه أن يكون هو النبي الموصوف والله أعلم وقد عد بعضهم ممن سمي بمحمد ستة عشر ونظمهم في قوله

ان الذين سموا باسم محمد * من قبل خير الخلق ضعف ثمان
ابن البراء مجاشع بن ربيعة * ثم ابن مسلم يحمدي حرماني
ليثي السلمي وابن اسامة * سعدي وابن سواءة همداني
وابن الجلاح مع الاسيدي باقي * ثم الفقيمي هكذا الحراني

قال بعضهم وفاته آخران لم يذكرهما وهما محمد بن الحرث ومحمد بن عمر بن مغفل بضم أوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام ووقع النزاع الكثير والخلاف الشهير في أول من سمي بذلك الاسم منهم (أقول) وفي شرح الكفاية لابن الهائم ويمكن أن يكون من زاد على أولئك الاربعة أو السبعة سمع ذلك من بعضهم فاقتدى به في ذلك طمعا فيما طمع فيه ومثل ذلك وقع لبني اسرائيل فان يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما حضرته الوفاة أعلم بني اسرائيل بحضور أجله وكان أول أنبيائهم فقالوا له يانبي الله انا نحب أن تعلمنا بما يؤل اليه أمرنا بعدنا خروجك من بين أظهرنا في أمر ديننا فقال لهم ان أموركم لم تزل مستقيمة حتى يظهر فيكم رجل جبار من القبط

يدعى

أخذها من شعره وتمسك بها الشيعة في أنه كان مسلما وألف علي بن حمزة البصري الرافضي جزأ جمع فيه شعر أبي طالب وقال انه كان
مسلما وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم أنه مات كافرا وانهم بذلك يستجيزون لعنه ثم بالغ في سبهم والرد عليهم قال الحافظ ابن
حجر قد أكثر في هذا الجزء من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام أبي طالب 89 ولا يثبت شيء من ذلك واستدل لدعواه بما لادلالة
فيه والحاصل أن مذهب اهل السنة من المذاهب الاربعة عدم اسلامه وانقياده على حسب مانطق به القرآن وجاءت به السنة وان كان عنده تصديق قلبي بنبوته فان ذلك غير نافع بدون انقياد ظاهري روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته قبل الغرغرة ياعم قل لا اله الا الله كلمة أستحل لك بها الشفاعة وفي رواية أحاج وفي رواية أشهد لك بها عند الله وفي رواية يوم القيامة فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانه قال له يا ابن أخي لولا مخافة قول قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها ولو قلتها الا أقولها الا لاسرك بها وجاء في بعض الروايات عند غير البخاري فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر اليه العباس فرآه يحرك شفتيه فأصغى اليه باذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها ولم يصرح العباس بلفظ لا اله الا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع وفي رواية قال العباس انه أسلم عند الموت وبهذا احتج الرافضة ومن تبعهم على اسلامه لكن أجاب عنه القائلون بعدم اسلامه بأن شهادة العباس لابي طالب بالاسلام مردودة لكون العباس شهد بها في حال كفره قبل أن يسلم مع أن

يدعى الربوبية يذبح أبناءكم ويستحيي نساءكم ثم يخرج من بني اسرائيل رجل اسمه موسى بن عمران فينجيكم الله به من أيدي القبط فجعل كل واحد من بني اسرائيل اذا جاءه ولد يسميه عمران رجاء أن يكون ذلك النبي منه ولا يخفى ان بين عمران أبي موسى وعمران أبي مريم أم عيسى وهو آخر أنبياء بني اسرائيل ألف وثمانمائة سنة والله أعلم والذي أدرك الاسلام ممن تسمى باسمه عليه الصلاة والسلام محمد بن ربيعة ومحمد بن الحرث ومحمد بن مسلمة وادعى بعضهم أن محمد بن مسلمة ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من خمسة عشر سنة أي وقد ذكر ابن الجوزي ان أول من تسمى في الاسلام بمحمد محمد بن حاطب وعن ابن عباس اسمي في القرآن أي كالتوراة محمد وفي الانجيل أحمد وأما فضل التسمية بهذا الاسم أعني محمدا فقد جاء في أحاديث كثيرة وأخبار شهيرة أي منها أنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاأعذب أحدا تسمى باسمك في النار أي باسمك المشهور وهو محمد أو أحمد ومنها مامن مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد أي وفي رواية فيها اسمي الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين ومنها قال يوقف عبدان أي اسم أحدهما أحمد والآخر محمد بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فاني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد أو محمد لكن قال بعضهم ولم يصح في فضل التسمية بمحمد حديث وكل ما ورد فيه فهو موضوع قال بعض الحفاظ وأصحها أي أقربها للصحة من ولد له مولود فسماه محمدا حبا لي وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة * وعن أبي رافع عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سميتموه محمدا فلا تضربوه ولا تحرموه وفي رواية طعن فيها بان بعض رواتها متهم بالوضع فلا تسبوه ولا تجبهوه ولا تعنفوه وشرفوه وعظموه وأكرموه وبروا قسمه وأوسعوا له في المجالس ولا تقبحوا له وجها بورك في محمد وفي بيت فيه محمد وفي مجلس فيه محمد وفي رواية تسمونه محمدا ثم تسبونه وفي رواية طعن فيها أما يستحي أحدكم أن يقول يا محمد ثم يضربه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من ولد له ثلاثة أولاد فلم يسم أحدهم محمدا فقد جهل أي وفي رواية فهو من الجفاء وفي أخرى فقد جفاني وذكر بعضهم وان لم يرد في المرفوع من أراد أن يكون حمل زوجته ذكرا فليضع يده على بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا فقد سميته محمدا فانه يكون ذكرا وجاء عن عطاء قال ماسمي مولود في بطن أمه محمدا الا كان ذكرا قال ابن الجوزي في الموضوعات وقد رفع هذا بعضهم أي وروى ما اجتمع قوم قط في مشورة فيهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك فيه أي في الامر الذي اجتمعوا له وفي رواية فيهم رجل اسمه محمد أو أحمد فشاوروه الا خير لهم أي الا حصل لهم الخير فيما تشاوروا فيه وما كان اسم محمد في بيت الا جعل الله في ذلك البيت بركة واتهم راوي ذلك بأنه مجروح وروى ماقعد قوم قط على طعام حلال فيهم رجل اسمه اسمي الا تضاعفت فيهم البركة أي اسمه المشهور وهو أحمد أو محمد كما تقدم وفي الشفاء ان لله ملائكة سياحين في الارض عبادتهم أي بالباء الموحدة كل دار فيها اسم محمد أي حراسة أهل كل دار فيها اسم محمد وقد ذكر الحافظ السيوطي ان هذا الحديث غير ثابت * وعن الحسين بن علي بن

الاحاديث الصحيحة الثابتة في البخاري وغيره قد أثبتت لابي طالب الوفاة على

الكفر فقد روى البخاري من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه ان أباطالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله

أبي طالب رضي الله تعالى عنهما قال من كان له حمل فنوى أن يسميه محمدا حوّله الله تعالى ذكرا وان كان أنثى قال بعض رواة الحديث فنويت سبعة كلهم سميتهم محمدا * وعنه صلى الله عليه وسلم من كان له ذو بطن فاجمع أن يسميه محمدا رزقه الله تعالى غلاما * وشكت اليه صلى الله عليه وسلم امرأة بانها لا يعيش لها ولد فقال لها اجعلي لله عليك أن تسميه أي الولد الذي ترزقينه محمدا ففعلت فعاش ولدها وعن علي رضي الله تعالى عنه مرفوعا ليس أحد من أهل الجنة الا يدعى باسمه أي ولا يكنى الا آدم صلى الله عليه وسلم فانه يدعى أبا محمد تعظيما له وتوقيرا للنبي صلى الله عليه وسلم أي لان العرب اذا عظمت انسانا كنته ويكنى الانسان باجل ولده قاله الحافظ الدمياطي وفي رواية ليس أحد أي من أهل الجنة يكنى الا آدم فانه يكنى أبا محمد أي وفي حديث معضل اذا كان يوم القيامة نادى مناديا محمد قم فادخل الجنة بغير حساب فيقوم كل من اسمه محمد يتوهم ان النداء له فلكرامة محمد صلى الله عليه وسلم لا يمنعون * وفي الحلية لابي نعيم عن وهب ابن منبه قال كان رجل عصى الله مائة سنة أي في بني اسرائيل ثم مات فأخذوه وألقوه في مزبلة فأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن اخرجه فصل عليه قال يا رب ان بني اسرائيل شهدوا أنه عصاك مائة سنة فأوحى الله اليه هكذا الا أنه كان كلما نشر التوراة ونظر الى اسم محمد قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء * ومن الفوائد أنه جرت عادة كثير من الناس اذا سمعوا بذكر وضعه صلى الله عليه وسلم ان يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل لها أي لكن هي بدعة حسنة لانه ليس كل بدعة مذمومة وقد قال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في اجتماع الناس لصلاة التراويح نعمت البدعة وقد قال العز بن عبد السلام ان البدعة تعتريها الاحكام الخمسة وذكر من أمثلة كل ما يطول ذكره ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وقوله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا أي شرعنا ما ليس منه فهو رد عليه لان هذا عام أريد به خاص فقد قال امامنا الشافعي قدس الله سره ما أحدث وخالف كتابا أو سنة أو اجماعا أو أثرا فهو البدعة الضلالة وما أحدث من الخير ولم يخالف شيأ من ذلك فهو البدعة المحمودة وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم من عالم الامة ومقتدى الائمة دينا وورعا الامام تقي الدين السبكي وتابعه على ذلك مشايخ الاسلام في عصره فقد حكى بعضهم ان الامام السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصري في مدحه صلى الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وان تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكي رحمه الله وجميع من في المجلس فحصل انس كبير بذلك المجلس ويكفي مثل ذلك في الاقتداء وقد قال ابن حجر الهيتمي والحاصل أن البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك أي بدعة حسنة ومن ثم قال الامام أبو شامة شيخ الامام النووي ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى

الله

يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يردانه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وأبى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وقوله هو على ملة عبد المطلب لا ينافي ما تقدم أن المحققين على نجاة عبد المطلب لانه أراد حكاية ظاهر الحال لهم مع أن عبد المطلب له عذر وهو عدم ادراكه البعثة وقد تقدم الكلام عليه مستوفى وأنزل الله أيضا في أبي طالب خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي صحيح البخاري ومسلم عن العباس رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح وهو مارق من الماء على وجه الارض الى نحو الكعبين فاستعير للنار وفي رواية لولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار قال الزرقاني لو كانت تلك الشهادة عند العباس لم يسأل عنه لعلمه بحاله ففيه دليل على ضعف تلك الرواية وقال الحافظ ابن حجر لو كانت طريقه يعني حديث العباس السابق صحيحة لعارضه هذا الحديث الذي هو أصح منه فضلا عن انه لا يصح وروى أبو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي رضي الله عنه قال لما مات أبو طالب أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بموته فبكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه وهذا قبل نزول ما كان للنبي الآية وفي رواية لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فواره قلت انه مات مشركا قال اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اغتسل وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان أهون أهل النار عذابا أبو طالب وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله

الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله على ما من به من ايجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين هذا كلامه قال السخاوي لم يفعله أحد من السلف في القرون الثلاثة وانما حدث بعد ثم لا زال أهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم قال ابن الجوزي من خواصه أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك صاحب اربل وصنف له ابن دحية كتابا في المولد سماه التنوير بمولد البشير النذير فأجازه بألف دينار وقد استخرج له الحافظ ابن حجر أصلا من السنة وكذا الحافظ السيوطي وردا على الفاكهاني المالكي في قوله ان عمل المولد بدعة مذمومة

﴿باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به﴾

يقال انه صلى الله عليه وسلم ارتضع من ثمانية من النساء وقيل من عشرة بزيادة خولة بنت المنذر وأم أيمن عزيزة قالت أول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة أي بعد ارضاع أمه له كما سيأتي قال وثويبة هي جارية عمه أبي لهب وقد أعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم أي فانها قالت له أما شعرت أن آمنة ولدت ولدا وفي لفظ غلاما لاخيك عبد الله فقال لها أنت حرة فجوزي بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بان يسقى ماء في جهنم في تلك الليلة أي ليلة الاثنين في مثل النقرة التي بين السبابة والابهام اهـ أي ان سبب تخفيف العذاب عنه يوم الاثنين ما يسقاه تلك الليلة في تلك النقرة ويذكر أن بعض أهل أبي لهب أي وهو أخوه العباس رضي الله تعالى عنه رآه في النوم في حالة سيئة فمن العباس رضي الله تعالى عنه قال مكثت حولا بعد موت أبي لهب لا أراه في نوم ثم رأيته في شر حال فقلت له ماذا لقيت فقال له أبو لهب لم أذق بعدكم رخاء وفي لفظ فقال له بشر خيبة بفتح الخاء المعجمة وقيل بكسر الخاء وهي سوء الحال غير أني سقيت في هذه وأشار الى النقرة المذكورة بعتاقتي ثويبة ذكره الحافظ الدمياطي والذي في المواهب وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك فقال في النار الا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين وامص من بين أصبعي هاتين ماء وأشار برأس أصبعيه وان ذلك باعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له فليتأمل وقيل انه انما أعتقها لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة أي فان خديجة رضي الله تعالى عنها كانت تكرمها وطلبت من أبي لهب أن تبتاعها منه لتعتقها فأبى أبو لهب فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أعتقها أبو لهب (أقول) قد يقال لا منافاة لجواز أن يكون لما أعتقها لم يظهر عتقها وأباؤه بيعها لكونها كانت معتوقة ثم أظهر عتقها بعد الهجرة والله أعلم وارضاعها له صلى الله عليه وسلم كان أياما قلائل قبل ان تقدم حليمة وكان بلبن ابن لها يقال له مسروح وهو بضم الميم وسين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة ثم حاء مهملة كذا في النور وفي السيرة الشامية بفتح الميم وكانت قد

تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه زاد في رواية حتى يسيل على قدميه قال البيهقي ان هذا الحديث يخصص قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم هذه الشفاعة لعمه أبي طالب ويؤخذ من الحديث أنه يجوز أن الله يضع عن بعض الكافرين بعض جزاء معاصيهم تطييبا لقلب الشافع قال السهيلي ان أبا طالب كان مع النبي صلى الله عليه وسلم بجملته متحيزا ناصرا له الا انه كان مثبتا لقدميه على ملة قريش حتى قال عند الموت انه على ذلك فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على تلك الملة فيكون من مشاكلة الجزاء للعمل ثبتنا الله على الصراط المستقيم قال القرافي في قوله السابق

لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل

تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن وكان يقول اني لاعلم أن ما يقوله ابن أخي حق ولولا أخاف أن تعيرني نساء قريش لاتبعته وفي شعره من هذا النحو كثير كقوله حين اجتمعت قريش وجاؤه بعمارة بن الوليد وقالوا له خذه بدل محمد ويكون كالابن لك واعطنا محمدا نقتله فقال ما أنصفتموني يا معشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابني تقتلونه ثم قال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي * ولقد دعوت وكنت ثم أمينا
لولا المسبة أو حذار ملامة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وروى انه لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وفشا أمر محمد فانطلقوا بنا الى أبي طالب يأخذ لنا على ابن أخيه ويعطه منا فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء يعنون القتل للنبي صلى الله عليه وسلم فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه فمشى اليه عتبة

ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب فى رجال من أشرافهم فأخبروه بما جاؤا له فبعث أبو طالب اليه
صلى الله عليه وسلم فجاءه فأخبره بمرادهم وقال يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومك وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك اعط سادات
قومك ما سألوك فقد أنصفوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم ان
أعطيتكم ما سألتم هل تعطونى
كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل
لنعطيكها وعشر امعها فما هى قال
تقولوا لا اله الا الله وتخلعون
ما تعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم
وقالوا يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة
الها واحدا ان أمرك لعجب
فأنزل الله ص والقرآن ذى الذكر
الآيات وفى رواية قالوا يسع
لحاجاتنا جميعا اله واحد اسلنا غير
هذه الكلمة وقال أبو طالب يا ابن
أخى هل من كلمة غير هذه الكلمة
فان قومك قد كرهوها قال يا عم
ما أنا بالذى يقول غيرها ثم قال لو
جئتمونى بالشمس حتى تضعوها
فى يدى ما سألتكم غيرها فقال
بعضهم لبعض والله ما هذا الرجل
بمعطيكم شيأ مما تريدون فانطلقوا
وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم
الله بينكم وبينه ثم قالوا عند
قيامهم والله لنشتمنك والهك الذى
يأمرك بهذا وفى رواية لتكفن
عن سب آلهتنا أو لنسبن الذى
يأمرك بهذا وقال أبو طالب عند
ذلك والله يا ابن أخى ما رأيتك
سألتهم شططا أى أمرا بعيدا فلما
قال ذلك طمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيه فجعل يقول أى عم
فأنت قلها أستحل لك بها الشفاعة
يوم القيامة فلما رأى حرص رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال له والله
يا ابن أخى لولا مخافة السب
عليك وعلى بنى أبيك من بعدى وأن تظن قريش انى انما قلتها جزعا من الموت لاقررت
بها عينك لما أرى من شدة وجدك لكنى أموت على ملة الاشياخ فأنزل الله تعالى انك لا تهدى من أحببت الآية وفى رواية ان
أبا طالب قال عند موته يا معشر بنى هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة

أرضعت قبله أباسفيان ابن عمه صلى الله عليه وسلم الحرث وفى كلام بعضهم كان تربا له صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه وكان يألفه الفا شديدا قبل النبوة فلما بعث صلى الله عليه وسلم عاداه وهجره وهجا أصحابه رضى الله تعالى عنهم فانه كان شاعرا مجيدا وسيأتى اسلامه رضى الله تعالى عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وارضعت ثويبة رضى الله تعالى عنها قبلهما عمه صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب وكان أسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين وقيل بأربع سنين (أقول) هذا يخالف ما تقدم من أن عبد المطلب تزوج من بنى زهرة هالة وأتى منها بحمزة وأن عبد الله تزوج من بنى زهرة آمنة وذلك فى مجلس واحد وان آمنة حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم عند دخول عبد الله بها وأنه دخل بها حين أملك عليها فكيف يكون حمزة أسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين الا أن يقال ليس فيما تقدم تصريح بان عبد المطلب وعبد الله دخلا على زوجتيهما فى وقت واحد وعبارة السهيلى هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة عم آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله آمنة فى ساعة واحدة فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أرضعتهما ثويبة هذا كلامه وليس فيه كقول أسد الغابة المتقدم ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله فى مجلس واحد تصريح بانهما دخلا بزوجتيهما فى وقت واحد لامكان حمل التزوج على الخطبة المصرح بها فيما تقدم عن ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة فى مجلس خطبة عبد الله لآمنة والله أعلم ثم رأيت فى الاستيعاب قال كان أى حمزة أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع سنين وهذا لا يصح عندى لان الحديث الثابت ان حمزة أرضعته ثويبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن تكون أرضعتهما فى زمانين هذا لفظه وفيه ما علمت وفيه أيضا على تسليم أنها أرضعتهما فى زمانين لكن بلبن ابنها مسروح كما سيأتى و يبعد بقاء لبن ابنها مسروح أربع سنين ثم أرضعت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتى الجواب عنه وأرضعت ثويبة رضى الله تعالى عنها بعده صلى الله عليه وسلم أبا سلمة بن عبد الاسد أى ابن عمته الذى كان زوجا لام حبيبة بنت أبى سفيان أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها فقد أرضعت ثويبة حمزة ثم أباسفيان ابن عمه الحرث ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبا سلمة وهو مخالف بظاهره لقول المحب الطبرى وأرضعته ثويبة جارية أبى لهب وأرضعت معه حمزة ابن عبد المطلب وأبا سلمة عبد الله بن عبد الاسد بلبن ابنها مسروح هذا كلامه وفيه ما علمت وقد يجاب بانه يمكن بان تكون لم تحمل على ولدها مسروح فى المدة المذكورة فاستمر لبنها وأيضا هى أرضعت بين حمزة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه أباسفيان الحرث كما علمت (وذكر بعضهم) ان أبا سلمة أول من يدعى للحساب اليسير وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا فعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت أتانى أبو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت به قال لا تصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف على خيرا منها الا فعل به قال الترمذى حسن غريب و يدل لكون أبى سلمة أخاه صلى الله عليه وسلم

لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخى قال أريد أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله فقال يا ابن أخى قد علمت أنك صادق
لكن أكره أن يقال الخ الحديث واجتمعوا مرة أخرى عند أبى طالب فأوصاهم أبو طالب فقال يا معشر العرب أنتم صفوة الله من
خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب
فى المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا
الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس
الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة
والناس لكم حرب وعلى حربكم
البوانى أوصيكم بتعظيم هذه
البنية يعنى الكعبة فان فيها
مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا
للوطأة صلوا ارحامكم فان فى
صلة الرحم منسأة اى فسحة فى
الاجل وزيادة فى العدد واتركوا
البغى والعقوق ففيهما هلكت
القرون قبلكم أجيبوا الداعى
واعطوا السائل فان فيهما شرف
الحياة والممات وعليكم بصدق
الحديث وأداء الامانة فان فيهما
محبة فى الخاص ومكرمة فى العام
وأوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين
فى قريش والصديق فى العرب
وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به
وقد جاءنا بامر قبله الجنان وأنكره
اللسان مخافة الشنآن وايم الله
كأنى أنظر الى صعاليك العرب
واهل الاطراف والمستضعفين
من الناس قد أجابوا دعوته
وصدقوا كلمته وعظموا أمره
فخاض بهم غمرات الموت فصارت
رؤساء قريش وصناديدها اذنابا
ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا
واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه
وأبعدهم منه أحظاهم عنده
قد محضته العرب ودادها وأعطته
قيادها يا معشر قريش كونوا له
ولاة ولحزبه حماة وفى رواية
دونكم ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله الا رشد ولا يأخذ احد بهديه الا سعد ولو كان لنفسى مدة ولاجلى
تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى ثم هلك على كفره وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره
فاطيعوه ترشدوا * قال الزرقانى فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة وكيف هذه المعرفة التامة بالحق

من الرضاعة ما جاء عن أم حبيبة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له هل لك فى أختى بنت أبى سفيان أى وهى عزة بعين مهملة ثم زاى أى و فى رواية هل لك فى أختى حمنة بنت أبى سفيان والذى فى مسلم انكح أختى عزة أى و فى البخارى انكح أختى بنت أبى سفيان قال أو تحبين ذلك قالت نعم است لك بمخلية بضم الميم وسكون الخاء وكسر اللام و بالتحتية أى لست لك بتاركة عدم أخذها وأحب من شاركنى فى خير أختى فقال النبى صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يحل لى قالت فوالله انى انبئت أى و فى لفظ انا لنتحدث انك تخطب درة أى و فى لفظ تريدان تنكح درة بنت أبى سلمة أى بضم الدال المهملة وأما ضبطه بفتح الذال المعجمة قال بعضهم هو تصحيف لا شك فيه تعنى بدرة بنتها من أبى سلمة قال ابنة أبى سلمة قلت نعم فقال والله لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى انها لابنة أخى من الرضاعة أرضعتنى واياه ثويبة أى وفى رواية لولا انى لم أنكح أم سلمة يعنى أم حبيبة التى هى أمها لم تحل لى ان أباها أخى من الرضاعة أى وأختك على فرض ان لا تكون بنت أخى من الرضاعة لا يحل لى ان أجمعها معك فلا تعرضن على بناتكن ولا اخواتكن قيل وفى هذا أى فى قوله لو لم تكن ربيبتى فى حجرى وفى قوله تعالى وربائبكم اللاتى فى حجوركم حجة لداود الظاهرى ان الربيبة لا تحرم الا اذا كانت فى حجر زوج أمها فان لم تكن فى حجره فهى حلال له أى وقيل لها ربيبة لانها مأخوذة من الرب وهو الاصلاح لان زوج أمها يقوم باصلاح أحوالها قال ولك ان تقول كان الظاهر الاقتصار على الاخوات لان أم حبيبة هى التى عرضت أختها ولم تعرض بنتها التى هى درة * وقد يجاب بأنه صلى الله عليه وسلم جعل خطاب أم حبيبة خطابا لجميع زوجاته صلى الله عليه وسلم لان هذا الحكم لا يختص بواحدة دون أخرى اه (أقول) فيه ان هذا واضح لو كان فى زوجاته صلى الله عليه وسلم من عرض عليه بنته الا ان يقال المراد فلا تعرضن لا ينبغى لكن أن تعرضن وذلك لا يستلزم وقوع العرض بالفعل ثم رأيت الامام النووى رحمه الله ذكر ان هذا من أم حبيبة أى من عرض اختها محمول على انها لم تكن تعلم تحريم الجمع بين الاختين عليه صلى الله عليه وسلم قال وكذا لم تعلم من عرض بنت أم سلمة تحريم الربيبة هذا كلامه وهو يقتضى ان بعض الناس عرض عليه بنت أم سلمة واذا كان من عرضها عليه احدى نسائه اتجه قوله فلا تعرضن على بناتكن تأمل وبهذا الحديث استدل من قال انه لا يجوز له صلى الله عليه وسلم ان يجمع بين المرأة وأختها وهو الراجح من وجهين ومقابله يقول خص بجواز ذلك له ولا يجمع بين المرأة و بنتها خلافا فالوجه حكاه الرافعى وهذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لو لم أنكح أم سلمة لم تحل لى يرد هذا الوجه وعبارة الخصائص الصغرى وله صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة وأختها وعمتها وخالتها فى أحد الوجهين و بين المرأة وابنتها فى وجه حكاه الرافعى وتبعه فى الروضة وجزموا بأنه غلط والله أعلم * ومما يدل أيضا على ان عمه صلى الله عليه وسلم حمزة أخوه من الرضاعة ما جاء عن على رضى الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله ما لك لا تنوق فى قريش أى بمثناتين فوق مفتوحتين ثم واو مشددة ثم قاف أى لا تتشوق اليهم مأخوذ من التوق الذى هو الشوق وفى رواية بالتاء والنون أى لا تختار ولا تتزوج منهم قال أو عندك قلت نعم ابنة حمزة

ومع ذلك سبق فيه قدر القهار ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار ولهذا الحب الطبيعي كان أهون اهل النار عذابا كما في صحيح مسلم
والحاصل ان ظاهر النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية كلها تدل على انه مات على كفره وانه كان عنده
تصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكن عنده عدم انقياد واستسلام فلم ينفعه تصديقه وأما حديث العباس
رضي الله عنه الذي فيه انه نطق
بالشهادتين عند وفاته فانه حديث
ضعيف لا يعارض تلك النصوص
وقالت الشيعة باسلامه تمسكا
بذلك الحديث وبكثير من اشعاره
لكن مذهب أهل السنة على
خلافه ونقل الشيخ السحيمي في
شرحه على شرح جوهرة
التوحيد عن الامام الشعراني
والسبكي وجماعة ان ذلك
الحديث أعني حديث العباس
ثبت عند بعض أهل الكشف
وصح عندهم اسلامه وان الله
تعالى أبهم امره بحسب ظاهر
الشريعة تطييبا لقلوب الصحابة
الذين كان آباؤهم كفارا لانه
لو صرح لهم بنجاته مع كفر آبائهم
وتعذيبهم لنفرت قلوبهم وتوغرت
صدورهم كما تقدم نظيره في حديث
الذي قال ابن ابي وابوك الوظهر لهم
اسلامه لعادوه وقاتلوه مع النبي
صلى الله عليه وسلم ولما تمكن من
حمايته والدفع عنه فجعل الله
ظاهر حاله كحال آبائهم وأنجاه في
باطن الامر لكثرة نصرته للنبي
صلى الله عليه وسلم وحمايته له
ومدافعته عنه ولكن هذا القول
اعني القول باسلامه عند بعض
أهل الحقيقة مخالف لظاهر
الشريعة فلا ينبغي التكلم به بين
العوام بل لا ينبغي كثرة الخوض
في شأنه وانما يفوض الامر فيه
الى الله تعالى فانه أسلم للعبد قال
في السيرة الحلبية نقلا عن الهدى النبوي لابن القيم وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في
ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها وكذلك أقرباؤه وبنو عمه الذين تأخر اسلام من اسلم منهم ولو اسلم أبو طالب وبادر اقرباؤه و بنو عمه
الى الاسلام به لقيل قوم ارادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى ان الشخص

أي عمه وهي امامة وهي أحسن فتاة في قريش قال تلك ابنة أخي من الرضاعة أي وهذا
من علي رضي الله تعالى عنه محمول على انه لم يكن يعلم بتحريم بنت الاخ من الرضاعة عليه صلى
الله عليه وسلم أو انه لم يكن يعلم ان عمه حمزة أخ له صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وفيه انه جاء
رواية أليس قد علمت انه أخي من الرضاعة وان الله قد حرم من الرضاعة ما حرم من النسب
الا أن يراد بقوله قد علمت أي أعلم قال ولعله لم يقل أرضعتني واياه ثويبة كما قال ذلك في أبي سلمة
لان ثويبة أرضعت حمزة ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبا سلمة لان حمزة رضيعه أيضا
من امرأة من بني سعد غير حليمة كان حمزة رضي الله تعالى عنه مسترضعا عندها في بني سعد
ارضعته صلى الله عليه وسلم يوما وهي عند حليمة أي فهو رضيعه صلى الله عليه وسلم من جهة
ثويبة ومن جهة تلك المرأة السعدية ولم أقف على اسم تلك المرأة اه أي ولو اقتصر على ثويبة
لأوهم انه لم يرتضع معه على غيرها وذكر في الاصل ان بعضهم ذكر من مراضعه صلى الله عليه
وسلم خولة بنت المنذر (أقول) وتقدم ذلك ونسب هذا البعض في ذلك للوهم وان خولة بنت
المنذر التي هي أم بردة انما كانت مرضعة لولده ابراهيم وقد يجاب عنه بانه يجوز ان تكون
خولة بنت المنذر اثنتان واحدة ارضعته صلى الله عليه وسلم وواحدة أرضعت ولده ابراهيم
وان خولة التي أرضعته صلى الله عليه وسلم هي السعدية التي كانت ترضع حمزة التي قال فيها
الشمس الشامي لم أقف على اسم تلك المرأة والله أعلم ولم يذكر اسلام ثويبة الا ابن منده قال
الحافظ ابن حجر وفي طبقات ابن سعد ما يدل على انها لم تسلم ولكن لا يدفع نقل ابن منده به وفي
الخصائص الصغرى لم ترضعه صلى الله عليه وسلم مرضعة الا أسلمت ولم أقف على اسلام ابنها
مسروح (أقول) ومما يدل على عدم اسلامه ما جاء بسند ضعيف اذا كان يوم القيامة اشفع
لاخ لي في الجاهلية قال الحافظ السيوطي يعني أخاه من الرضاعة لانه لم يدرك الاسلام لا يقال
من أين انه مسروح جاز ان يكون ابن حليمة وهو عبد الله الذي كان يرضع معه صلى الله عليه وسلم
بناء على انه لم يدرك الاسلام لانه لم يعرف له اسلام لانا نقول سيأتي عن شرح الهمزية لابن حجر
ان عبد الله ولد حليمة أسلم والله أعلم أي وقد يدل على عدم اسلام ثويبة وابنها المذكور الذي هو
مسروح ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يبعث لها بصلة وكسوة وهي بمكة حتى جاءه خبر وفاتها
مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر سنة سبع فقال ما فعل ابنها مسروح فقيل مات قبلها أي
ولو كانا أسلما لهاجرا الى المدينة (أقول) وهذا بظاهره يدل على ان مسروحا أدرك الاسلام
وقد ينافي علم وفاتها مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر ما ذكر السهيلي انه عليه الصلاة
والسلام كان يصلها من المدينة فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فأخبر انهما ماتا
وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون سؤاله الثاني للتثبت لوصوله محل اقامتهما والقول
بانهما لو كانا أسلما لهاجرا الى المدينة يقال عليه يجوز ان تكون الهجرة تعذرت عليهما لعارض
عرض لهما والله أعلم قال وجاء ان أمه أرضعته صلى الله عليه وسلم تسعة أيام (أقول) وعن عيون
المعارف للقضاعي سبعة أيام وفي الامتاع انها أرضعته صلى الله عليه وسلم سبعة أشهر ثم أرضعته
ثويبة أياما فليتأمل هذا كلامه وقوله ثم أرضعته ثويبة يخالف ما تقدم من ان أول من أرضعه

ثويبة

منهم يقتل أباه وأخاه علم ان ذلك انما هو على بصيرة صادقة و يقين ثابت ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم
من الاذى مالم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبي صلى الله عليه وسلم التراب فدخل
صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لها
لا تبكي لا تبكي يا بنية فان الله مانع
اباك وكان صلى الله عليه وسلم
يقول ما نالت مني قريش شيأ
أكرهه حتى مات أبو طالب
ولما رأى قريشا تهجموا على
أذيته قال يا عم ما أسرع ما وجدت
فقدك ولما بلغ أبا لهب ذلك قام
بنصرته أياما وقال له يا محمد امض
لما أردت وما كنت صانعا اذ كان
أبو طالب حيا فاصنعه لا واللات
والعزى لا يصلون اليك حتى
أموت واتفق أن ابن الغيطلة
سب النبي صلى الله عليه وسلم
فأقبل عليه أبو لهب ونال منه فولى
وهو يصيح يا معشر قريش صبا
أبو عتبة يعني أبا لهب فأقبلت
قريش على أبي لهب وقالوا له
فارقت دين عبد المطلب فقال
ما فارقته وفي لفظ قالوا له أصبوت
قال ما فارقت دين عبد المطلب
ولكن أمنع ابن أخي ان يضام
حتى يمضي لما يريد قالوا قد أحسنت
وأجملت ووصلت الرحم فمكث
صلى الله عليه وسلم أياما لا يتعرض
له أحد من قريش وهابوا أبا لهب
الى أن جاء أبو جهل وعقبة بن أبي
معيط الى أبي لهب فقالا له أخبرك
ابن أخيك أين مدخل أبيك يزعم
انه في النار فقال أبو لهب يا محمد
أين مدخل عبد المطلب قال مع
قومه فخرج أبو لهب الى أبي جهل
وعقبة فقال قد سألته فقال مع
قومه فقالا يزعم انه في النار فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وفي رواية من مات على عبادة
غير الله فهو في النار فترك أبو لهب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته وتقدم الكلام على عبد المطلب مستوفى وانه مات في الفترة
أو انه كان موحدا وانما أجمل عليه الصلاة والسلام لهم الجواب مجاراة لهم لانهم كانوا يعتقدون انهم على ما كان عليه عبد المطلب ولو

ثويبة الا أن قال المراد أول من أرضعه غير أمه ثويبة فلا مخالفة وبهذا يرد نقل ابن المحدث عن
الاصل ان أول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم لبن ثويبة فانه فهم ذلك من قول الاصل أول
من أرضعه ثويبة لما علمت ان الاولية اضافية لا حقيقية الا أن يدعي ذلك في نقل ابن المحدث
أيضا أي أول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم بعد لبن أمه والله أعلم قال وأرضعه صلى الله عليه
وسلم ثلاث نسوة أي ابكار من بني سليم اخرجن ثديهن فوضعنها في فمه فدرت في فيه فرضع
منهن وأرضعته صلى الله عليه وسلم أم فروة اه أي وهؤلاء النسوة الابكار كل واحدة منهن
تسمى عاتكة وهن التي عناهن صلى الله عليه وسلم بقوله أنا ابن العواتك من سليم على ما تقدم
وما تقدم من ان أم أيمن أرضعته صلى الله عليه وسلم ذكره في الخصائص الصغرى رد بانها
حاضنته لا مرضعته وعلى تقدير صحته ينظر بابن أي ولد لها كان فانه لا يعرف لها ولد الا أيمن
وأسامة الا أن يقال جاز ان لبنها در له صلى الله عليه وسلم من غير وجود ولد كما تقدم في النسوة
الابكار وأرضعته صلى الله عليه وسلم حليمة بنت أبي ذؤيب وتكنى أم كبشة أي باسم بنت لها
اسمها كبشة ويكنى بها أيضا والدها الذي هو زوج حليمة أي وكانت من هوازن أي من بني
سعد بن بكر بن هوازن وسيأتي الكلام على اسلامها وعنها انها كانت تحدث انها خرجت
من بلدها معها ابن لها ترضعه اسمه عبد الله ومعها زوجها قال وهو الحرث بن عبد العزى ويكنى
أبا ذؤيب أي كما يكنى أبا كبشة أدرك الاسلام وأسلم فقد روى أبو داود بسند صحيح عن عمرو
ابن السائب انه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل أبوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجلسه بين يديه وعن ابن اسحق بلغني ان الحرث انما أسلم
بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يؤيد قول بعضهم لم يذكر الحرث كثير ممن ألف في
الصحابة اه (أقول) يدل للاول ظاهر ما روي أن الحرث هذا قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة بعد نزول القرآن عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له قريش أو تسمع يا حارث ما يقول
ابنك فقال وما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث من في القبور وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه
ويكرم فيهما من أطاعه أي يعذب في احداهما من عصاه وهي النار ويكرم في الاخرى من
أطاعه وهي الجنة فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فأتاه فقال أي بني مالك ولقومك يشكونك
ويزعمون انك تقول كذا أي ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا أقول ذلك وفي لفظ أنا أزعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم
يا أبت فلآخذن بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فأسلم الحرث بعد ذلك وحسن اسلامه
أي وقد كان يقول حين أسلم لو أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني حتى يدخلني الجنة
وانما قلنا ظاهر لانه قد يقال قوله بعد ذلك يصدق بما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلا دلالة
في ذلك على انه أسلم في حياته صلى الله عليه وسلم وفي شرح الهمزية لابن حجر ومن سعادتها يعني
حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وهم عبد الله والشيما وانيسة هذا كلامه * وفي
الاصابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا أي على ثوب فاقبل أبوه من الرضاعة فوضع
له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه صلى الله عليه وسلم فوضع له شق ثوبه من الجانب الآخر

أراد ان يبين لهم الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لما كان سببا لزيادة كفرهم وعنادهم وبقائهم على عبادة أصنامهم وهو صلى الله عليه وسلم يريد تنفيرهم عن عبادة الاصنام فاللائق بالمقام ان يجمل الكلام عاما وان يكون التعذيب لكل من عبد غير الله على العموم من غير ان يفصل لهم ويظهر الفرق بين أهل

الفترة وغيرهم لان ذلك أبلغ فى تنفيرهم ومن تأمل اجماله الجواب لهم

فجلست عليه ثم أقبل أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ورجاله ثقات ولعل المراد بجلوسه بين يديه جلوسه مقابله وحينئذ ففاعل جلس النبى صلى الله عليه وسلم وضمير يديه راجع لاخيه أى قام صلى الله عليه وسلم عن محل جلوسه على الثوب وأجلس أخاه على الثوب مكانه وجلس صلى الله عليه وسلم قبالة أخيه فعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليكون أخوه هو وأبواه جميعا على الثوب والله أعلم قالت وخرجت فى نسوة من بنى سعد أى ابن بكر بن هوازن عشرة يطلبن الرضعاء فى سنة شهباء أى ذات جدب وقحط لم تبق شيأ على أتان قمراء بفتح القاف والمد أى شديدة البياض ومعنا شارف أى ناقة مسنة ما تبض بالضاد المعجمة وروى بالمهملة أى ما ترشح بقطرة لبن قالت وما كنا ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع ما فى ثديى وفى رواية ثديى ما يغنيه وما فى شارفنا ما يغذيه بمعجمتين وقيل بمعجمة ثم مهملة وقيل باسكان العين المهملة وكسر الذال المعجمة وضم الباء الموحدة أى ما يكفيه بحيث يرفع رأسه و ينقطع عن الرضاعة قالت حليمة ولكنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتانى تلك فلقد أدمت بالدال المهملة وتشديد الميم بالركب أى حبسته بتأخرها عنه لشدة عنائها وتعبها لضعفها وهزالها حتى شق ذلك عليهم حتى قدمنا مكة نلتمس أى نطلب الرضعاء جمع رضيع وأدم مأخوذ من الماء الدائم يقال أدم بالركب اذا أبطأ حتى حبسهم ويروى بالمعجمة أى جاء بما يذم عليه وهو هنا الابطاء (أقول) لانه كان من شيم العرب وأخلاقهم اذا ولد لهم ولد يلتمسون له مرضعة فى غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له وقيل لانهم كانوا يرون انه عار على المرأة ان ترضع ولدها انتهى أى تستقل برضاعه و يدل للاول ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يقول لاصحابه أنا أعربكم أى أفصحكم عربية أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد وجاء ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه قال له صلى الله عليه وسلم ما رأيت أفصح منك يارسول الله فقال له ما يمنعنى وأنا من قريش وأرضعت فى بنى سعد فهذا كان يحملهم على دفع الرضعاء الى المراضع الاعرابيات ومن ثم نقل عن عبد الملك بن مروان أنه كان يقول اضر بنا حب الوليد يعنى ولده لمحبته له أبقاه مع أمه فى المصر ولم يسترضعه فى البادية مع الاعراب فصار لحانا لان العربية له وأخوه سليمان استرضع فى البادية مع الاعراب فصار عربيا غير لحان * قالت حليمة فما امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها يتيم وذلك أنا انما نرجو المعروف من أبى الصبى فكنا نقول يتيم ما عسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة معى الا أخذت رضيعا غيرى فلما أجمعنا الانطلاق أى عزمنا عليه قلت لصاحبى والله انى لاكره ان ارجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك الرضيع فلا آخذنه قال لا عليك أى لا بأس عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فأخذته (أقول) وهذا السياق قد يخالف قول بعضهم ان عبد المطلب خرج يلتمس له المراضع فالتمس له حليمة ابنة أبى ذؤيب الى أن يقال جاز أن يكون التماسه للمراضع غير حليمة كان عند قدومهن وأبين ان يقبلن ثم طلب من حليمة ذلك بعد ان لم يجد رضيعا ويدل لذلك قول صاحب شفاء الصدور ان حليمة قالت استقبلنى عبد المطلب فقال من

يعلم سر ذلك فانه قال لهم نعم وفى رواية من مات على عبادة غير الله فهو فى النار وجاء فى رواية من مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب فهذه يحتمل انها من تصرف الرواة و يحتمل انها مجاراة لهم ولم يقل لهم صراحة عبد المطلب فى النار وهكذا كانت عادته صلى الله عليه وسلم فى اجابة الجاهلين يجيب كل انسان على حسب حاله اللائق به و بفهمه وعقله و يأتى بالكلام محكما لاتحير بالصدق ومن تأمل الحديث السابق فى سؤال الرجل الذى قال له أين أبى يعلم سر ذلك ولا يشكل عليه شئ من أمثاله فالنبى صلى الله عليه وسلم كان أعقل العالمين وأعلمهم فيخاطب كل واحد على حسب حاله وكانت وفاة أبى طالب سنة عشر من النبوة وانما قدمنا الكلام عليه لمناسبة الكلام له وانجراره من نجاة آبائه الى ذكر الكلام على أبى طالب والاختلاف فيه فله مناسبة تامة بما نحن فيه والله أعلم (ومن الارهاصات) التى ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم وهو صغير * انه كان مع عمه أبى طالب بذى المجاز وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية فعطش عمه أبو طالب فشكا الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى قد عطشت فأهوى بعقبه الى الارض وفى رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيأ قال أبو طالب فاذا أنا بالماء لم أر مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فركضها فعادت كما كانت وسافر صلى الله عليه وسلم الى اليمن وعمره بضع عشرة سنة وكان معه فى ذلك السفر عمه الزبير فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه الفحل برك وحك الارض بصدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل

حتى جاوز الوادى ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعونى ثم اقتحمه فاتبعوه فأيبس الله الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام شأنا (وفى السيرة الهشامية) ان رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم

أنت فقلت أنا امرأة من بنى سعد قال ما اسمك قلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندى غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بنى سعد فأبين أن يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك أن ترضعيه فعسى ان تسعدى به فقلت الا تذرنى حتى أشاور صاحبى فانصرفت الى صاحبى فأخبرته فكأن الله قذف فى قلبه فرحا وسرورا فقال لى يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرنى فقلت هلم الصبى فاستهل وجهه فرحا فأخذنى وأدخلنى بيت آمنة فقالت لى أهلا وسهلا وأدخلتنى فى البيت الذى فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط يفوح منه رائحة المسك فأشفقت أى خفت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الى تخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأخذته وما حملنى على أخذه أى أكد أخذه الا أنى لم أجد غيره والا فما ذكرته من أوصافه مقتض لاخذه أى وهذه الرواية ربما تدل على انها لم تره قبل ذلك وان اباءها كان قبل رؤيتها له قالت فلما أخذته رجعت به الى رحلى فلما وضعته فى حجرى أقبل ثدياى بما شاء الله من ابن فشرب حتى روى أى من الثدى الايمن وعرضت عليه الايسر فأباه قالت حليمة وكانت تلك حالته بعد أى بعد ذلك لا يقبل الا ثديا واحدا وهو الايمن وفى السبعيات للهمدانى ان أحد ثديى حليمة كان لا يدر اللبن منه فلما وضعته فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب معه أخوه حتى روى ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك أى فعدم نومه من الجوع فقام زوجى الى شارفنا تلك فاذا هى لحافل أى ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة يقول صاحبى حين أصبحنا تعلمى والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قلت والله انى لأرجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتانى وحملته صلى الله عليه وسلم معى عليها فوالله لقطعت بالركب أى صيرته خلفها ما يقدر عليها أى على مرافقتها ومصاحبتها شئ من حمرهن حتى ان صواحبى يقلن لى يا بنت أبى ذؤيب ويحك اربعى أى اعطفى علينا بالرفق وعدم الشدة فى السير أليس هذا أتانك التى كنت خرجت عليها تخفضك طورا وترفعك أخرى فأقول لهن بلى والله انها لهى فيقلن والله ان لها لشأنا أى وقالت حليمة فكنت أسمع أتانى تنطق وتقول والله ان لى لشأنا ثم شأنا أنى بعثنى الله بعد موتى ورد لى سمنى بعد هزالى ويحكن يانساء بنى سعد انكن لفى غفلة وهل تدرين من على ظهرى على ظهرى خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين ذكره فى النطق المفهوم (وذكرت) انها لما أرادت فراق مكة رأت تلك الاتان سجدت أى خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازل بنى سعد ولا أعلم أرضا من أراضى الله أجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به شباعا لبنا أى غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفى لفظ فنحلب ما شئنا والله ما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضر أى المقيم فى المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى

ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى أبو طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه ثم شغل عنه فلما فرغ قال على بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتى عشرة سنة وقيل تسع سنين سافر عمه أبو طالب الى الشام فضب به النبى صلى الله عليه وسلم من الصبابة وكثرة الشوق وفى رواية فضبث بالضاد والباء والثاء أى لزمه وقبض عليه وفى رواية مسك بزمام ناقة أبى طالب وقال يا عم الى من تكلنى لا أب لى ولا أم فأخذه معه وأردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو بابنك وما ينبغى ان يكون له أب حى لان من كانت هذه الصفة صفته فهو نبى أى النبى المنتظر بدليل قوله ومن علامة ذلك النبى فى الكتب القديمة أن يموت أبوه وأمه حامل به وان تموت أمه وهو صغير قال أبو طالب لصاحب الدير وما النبى قال الذى يأتيه الخبر من السماء فينبئ أهل الارض قال أبو طالب الله أجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير فقال ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو بابنك وما ينبغى أن يكون له أب حى قال ولم قال لان وجهه وجه نبى وعينه عين نبى أى النبى الذى يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ما ذكر علامته فى الكتب القديمة قال أبو طالب سبحان الله الله أجل مما تقول ثم قال أبو طالب للنبى صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى ألا تسمع ما يقول قال أى عم لا تنكر لله قدرة فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا واسمه جرجيس

أو سرجيس في صومعة له وكان قد انتهى اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن أوصياء عيسى عليه السلام وقيل كان بحيرا من أحبار اليهود وكان قد سمع مناديا قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي و يقول الا ان خير أهل الارض ثلاثة رباب بن البراء وبحيرا وآخر لم يأت بعد وفي رواية والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو به ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الغمامة قد أظلت الشجرة ومالت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان وجدهم سبقوه صلى الله عليه وسلم الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وأحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم يا بحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم أي تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير في أحدهم الصفة التي هي علامة النبي المبعوث آخر الزمان التي يجدها عنده ولم ير الغمامة على أحد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي فقالوا يا بحيرا ما تخلف أحد عن طعامك ينبغي له ان يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع اني أراه من أنفسكم فقال القوم هو والله أوسطنا نسبا وهو ابن أخي هذا الرجل يعنون أبا طالب وهو من ولد عبد المطلب وما تخلف عن طعام من بيننا ثم قام اليه عمه الحرث

بنت أبي ذؤيب يعنونني فتروح أغنامهم جياعا تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله تعالى الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاما جفرا أي غليظا شديدا وعن حليمة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين كان يحبي الى كل جانب أي وهذا يضعف ما تقدم عن الامتاع من ان أمه صلى الله عليه وسلم أرضعته سبعة أشهر قالت حليمة فلما بلغ صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان وعنها رضي الله تعالى عنها انها قالت انه لفي حجري ذات يوم اذ مرت به غنيماتي فأقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها (أقول) وقد سجدت له صلى الله عليه وسلم الغنم وكذا الجمل بعد بعثته والهجرة فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا أي بستانا للانصار ومعه أبو بكر وعمر ورجال من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كنا أحق بالسجود لك من هذه الغنم فقال انه لا ينبغي في أمتي ان يسجد أحد لاحد ولو كان ينبغي لاحد أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها زاد في رواية ولو ان رجلا أمر زوجته ان تنقل من جبل الى جبل لكان نولها أي حقها أن تفعل وحرب جمل بكسر الراء أي اشتد غضبه فصار لا يقدر أحد يدخل عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصحابه افتحوا عنه فقالوا انا نخشى عليك يا رسول الله فقال افتحوا عنه ففتحوا عنه فلما رآه الجمل خر ساجدا أي فأخذ بناصيته ثم دفعه لصاحبه وقال استعمله وأحسن علفه فقال القوم يا رسول الله كنا أحق أن نسجد لك من هذه البهيمة فقال كان الحديث وفي هذا دلالة على عظيم حق الزوج على زوجته * وجاء مما يدل على ذلك أيضا ما روي ان أسماء بنت يزيد الانصارية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الله بعثك الى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد واذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا لهم أولادهم أفنشاركهم في الاجر يا رسول الله فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الى أصحابه وقال هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه قالوا بلى يا رسول الله فقال انصرفي يا أسماء واعلمي بانك من النساء ان حسن تبعل احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال أي من حضور الجماعات وشهود الجنائز والجهاد فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبعل ملاعبة المرأة لزوجها والله أعلم * قالت حليمة وكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه والى قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية بقوله

و بدت في رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء

اذ أتته ليتمه مرضعات * قلن ما في اليتيم عنا غناء

ابن عبد المطلب فاحتضنه وجاء به وأجلسه مع القوم وقيل الذي قام اليه وجاء به أبو بكر رضي الله عنه لانه كان مع القوم لكن هذا مشكل من حيث انه أصغر من النبي صلى الله عليه وسلم فالظاهر هو الاول ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا و ينظر الى أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتني عما أسألك عنه وانما قال له بحيرا بحق اللات والعزى لانه سمع قومه يحلفون بهما وقال في الشفاء انه اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني باللات والعزى شيأ فوالله ما أبغض شيأ قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال له سلني عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فيخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفة النبي المبعوث آخر الزمن التي عنده ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخي قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت ثم قال فما فعلت أمه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلاده واحذر عليه يهود فلئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا ورويناه عن آبائنا واعلم أني قد أديت اليك النصيحة فأسرع به الى بلده وفي رواية لما قال له ابن أخي قال له بحيرا أشفيق عليه أنت قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الشام أي جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشام الذي هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى مكة ويقال انه قال لذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو في حصن من الله ثم تخوف عليه عمه على ما جرت به العادة من طلب

فاتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء

أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء

أصبحت شولا عجافا وأمست * ما بها شائل ولا عجفاء

أخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبي منها غذاء

يا لها منة لقد ضوعف الاجـ * ـر عليها من جنسها والجزاء

واذا سخر الاله اناسا * لسعيد فانهم سعداء

أي وظهرت في رضاعه وفي زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم أمور خارقة للعادة لوضوحها لا تخفى على العيون فمن ذلك ان المراضع أبت أن تأخذه صلى الله عليه وسلم لاجل يتمه فبعد ان تركته أتته فتاة من آل سعد قد أبتها أهل الرضعاء لفقرها فسقته لبنها فسقتها وبنيها الشاء ألبانها وكانت تلك الشياه لا لبن بها بل هزيلات فصارت ذات ألبان وسمن ومن ذلك ان العيش كثر عندها بعد شدة المحل لاجل حصول غذاء النبي صلى الله عليه وسلم بها أي لتلك الخصلة الصادرة من حليمة وهي سقيها له لبنها نعمة منها عليه لقد كرر الثواب والجزاء على تلك النعمة من جنس تلك النعمة لان الجزاء من جنس العمل فلما سقت اللبن سقيته ولا بدع فان الله تعالى اذا سخر اناسا لمحبة سعيد والقيام بخدمته فانهم بسبب ذلك سعداء (أقول) لم أقف على رواية فيها ان حليمة أبتها أهل الرضعاء لفقرها وكان الناظم أخذ ذلك من قولها فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت رضيعا غيري وما حملني على أخذه الا اني لم أجد غيره ولا دلالة في ذلك واستفتى الحافظ ابن حجر عن بعض الوعاظ يذكر عند اجتماع الناس للمولد حادثات أي وقائع تتعلق به صلى الله عليه وسلم جاءت بها الاخبار هي مخلة بالتعظيم حتى يظهر من السامعين لها حزن فيبقى صلى الله عليه وسلم في حيز من يرحم لا في حيز من يعظم من ذلك انهم يقولون ان المراضع حضرن ولم يأخذنه لعدم ماله ونحو ذلك فما قولكم في ذلك فأجاب بما نصه ينبغي لمن يكون فطنا ان يحذف من الخبر أي الحديث ما يوهم في المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل يجب كما وقع لامامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه حيث قال في بعض نصوصه وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لها شرف فكلم فيه فقال لو سرقت فلانة لامرأة شريفة لقطعتها يعني فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصرح باسمها تأدبا معها أن تذكر في هذا المعرض وان كان صلى الله عليه وسلم ذكرها لان ذلك منه صلى الله عليه وسلم حسن دال على ان الخلق عنده صلى الله عليه وسلم في الشرع سواء فهذا من كمال أدب الامام رضي الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته أي فاذا جاز حذف بعض الحديث الموهم نقصا في بعض أهل بيته فبالاولى بما يوهم النقص فيه صلى الله عليه وسلم وهذا من الحافظ يدل على أن اباء المراضع له صلى الله عليه وسلم وارد حيث أقره ولم ينكره والله أعلم قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان أول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطمته حليمة رضي الله تعالى عنها الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا أي وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا عند خروجه من بطن أمه وفي رواية أول كلام تكلم صلى الله عليه وسلم به في بعض الليالي أي وهو عند حليمة

التوقى فبعثه عمه مع بعض غلمانه وفى رواية فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكة وفى رواية أن بحيرا قال هذا سيد العالمين هذا
رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من قريش ما أعلمك فقال انكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر
ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبى وان الغمامة صارت تظله دونهم وانى لاعرفه بخاتم النبوة أسفل
من غضروف كتفه وفى رواية
أن سبعة من الروم عرفوه صلى الله
عليه وسلم وأرادوا قتله فردهم
بحيرا وقال لهم أفرأيتم أمرا أراد
الله أن يقضيه هل يستطيع أحد
من الناس رده قالوا لا فبايعوا
بحيرا على مسالمة النبى صلى الله
عليه وسلم وعدم أخذه وأذيته وجاء
فى بعض الروايات ان النبى صلى
الله عليه وسلم رجع الى مكة ومعه
أبو بكر وبلال فقيل ان هذه الزيادة
خطأ وقيل انها صحيحة وان بلالا
كان مع أمية بن خلف فى تلك العير
وكذا كان فى العير أبو بكر رضى
الله عنه مع بعض أقاربه فرجعوا
مع النبى صلى الله عليه وسلم
لمقاربتهما له فى السن وجاء فى بعض
الروايات حتى اذا نزلوا منزلا وهو
سوق بصرى من أرض الشام وفى
ذلك المحل سدرة فقعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى
أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا
يسأله عن شئ فقال من الذى فى
ظل السدرة فقال له محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب فقال له والله
هذا نبى هذه الامة ما استظل تحتها
بعد عيسى بن مريم الا محمد أى وقد
قال عيسى لا يستظل تحتها بعدى
الا النبى الهاشمى قال الحافظ
ابن حجر يحتمل أن يكون سفر أبى
بكر رضى الله عنه معه صلى الله عليه
وسلم فى سفرة أخرى وهى سفرته مع
ميسرة غلام خديجة وان ذلك
الراهب ليس هو بحيرا بل نسطورا فاشتبه الامر على بعض الرواة * واختلف العلماء فى بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن
صدق بنبوته صلى الله عليه وسلم هل يعدون فى الصحابة والتحقيق أن من لم يدرك الرسالة لا يعد من الصحابة وبحيرا هذا غير بحيرا الذى
قدم من الحبشة مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فان ذلك صحابى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا فى التحذير من شرب

لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم وكان صلى الله عليه وسلم
لا يمس شيأ الا قال بسم الله وعن حليمة رضى الله عنها لما دخلت به صلى الله عليه وسلم الى منزلى
لم يبق منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته صلى الله عليه وسلم
أى واعتقاد بركته فى قلوب الناس حتى ان أحدهم كان اذا نزل به أذى فى جسده أخذ كفه صلى
الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذلك اذا اعتل لهم بعير ا
وشاة انتهى قالت حليمة فقدمنا مكة على أمه صلى الله عليه وسلم أى بعد ان بلغ سنتين ونحن
أحرص شئ على مكثه فينا لما نرى من بركته صلى الله عليه وسلم فكلمنا أمه وقلت لها لو تركتى
بنى عندى حتى يغلظ وفى كلام ابن الاثير قلنا لها دعينا نرجع به هذه السنة الاخرى فانى أخشى
عليه وباء مكة أى مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته صلى الله عليه وسلم معنا وقيل ان أمه
صلى الله عليه وسلم آمنة قالت لحليمة ارجعى بابنى فانى أخاف عليه وباء مكة فوالله ليكونن له شان
أى ولا مخالفة بينهما لجواز ان حليمة لما قالت لها ما تقدم قالت لحليمة ارجعى بابنى على الفور
فانى أخاف عليه وباء مكة أى كما تخافين عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم
فوالله انه بعد مقدمنا به صلى الله عليه وسلم بأشهر عبارة ابن الاثير بعد مقدمنا بشهرين
أو ثلاثة مع أخيه يعنى من الرضاعة لفى بهم لنا ولعل هذا لا ينافيه قول المحب الطبرى
فلما شب وبلغ سنتين لانه ألغى أى ذلك الكسر فبينما هو صلى الله عليه وسلم وأخوه فى بهم لنا
خلف بيوتنا والبهم أولاد الضأن اذ أتى أخوه يشتد أى يعدو فقال لى ولابيه ذاك أخى القرشى
قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه أى يدخلان يديهما
فى بطنه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه وفى لفظ لونه أى متغيرا
أى صار لونه كلون النقع الذى هو الغبار وهو صفة ألوان الموتى وذلك لما ناله من الفزع أى من
رؤية الملائكة لا من مشقة نشأت عن ذلك الشق لما يأتى فى بعض الروايات فلم أجد لذلك حسا
ولا ألما ومن ثم قال ابن الجوزى فشقه وما شق عليه واطلاقه شامل لهذه المرة التى هى الاولى
وقد قال بعضهم انه لم ينتقع لونه الا وهو صلى الله عليه وسلم صغير فى بنى سعد قالت فالتزمته والتزمه
أبوه فقلنا له مالك يا بنى فقال صلى الله عليه وسلم جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض أى وهما جبريل
وميكائيل أى وهما المراد بقوله فى رواية فاقبل الى طيران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما
لصاحبه أهو هو قال نعم فاقبلا يبتدرانى فأخذانى فاضجعانى فشقا بطنى فالتمسا فيه شيأ أى
طلباه فوجداه فأخذاه وطرحاه ولا أدرى ما هو أى وسيأتى ان هذا الذى قال صلى الله عليه وسلم
فيه وما أدرى ما هو انه علقة سوداء استخرجاها من قلبه بعد شق بطنه ففى هذه الرواية طى ذكر
القلب وشقه وسيأتى ذكر ذلك فى بعض الروايات وفى رواية غريبة نزل عليه كركيان فشق
أحدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر فيه بمنقاره ثلجا أو بردا وقد يقال ان الطيرين تارة شبها
بالنسرين وتارة شبها بالكركيين وفى كون مجئ جبريل وميكائيل على صورة النسر لطيفة
لان النسر سيد الطيور فقد جاء فى الحديث هبط على جبريل فقال يا محمد ان لكل شئ سيدا فسيد
البشر آدم وأنت سيد ولد آدم وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد

الخمر وقد حفظ الله النبى صلى الله عليه وسلم مما كان عليه الجاهلية من أقذارهم ومعايبهم بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى
به من كرامته حتى صار أحسنهم خلقا وأعظمهم من الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال تنزها وأفضل قومه مروأة وأكرمهم
مخالطة وخيرهم جوارا وأكثرهم حلما وأحفظهم أمانة وأصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله فيه من
الامور الصالحة الحميدة والفعال
السديدة من الحلم والصبر والشكر
والعدل والزهد والتواضع والعفة
والجود والشجاعة والحياء والمروأة
(فمن ذلك) ما ذكره فى السيرة
الحلبية عن ابن اسحق ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لقد
رأيتنى أى رأيت نفسى فى غلمان
من قريش تنقل الحجارة لبعض
ما يلعب به الغلمان وكلنا قد تعرى
وأخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل
عليها الحجارة فانى لاقبل معهم كذلك
وأدبر اذ لكمنى لاكم أى من
الملائكة ما أراها لكمة وجيعة
وفى لفظ لكمنى لكمة شديدة لم
تكن وجيعة ثم قال شد عليك
ازارك فأخذته فشددته على ثم
جعلت أحمل الحجارة على رقبتى
وازارى على من بين أصحابى ووقع
له مثل ذلك عند اصلاح أبى طالب
بئر زمزم فعن ابن اسحق وصححه
أبو نعيم قال كان أبو طالب يعالج
زمزم وكان النبى صلى الله عليه وسلم
ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ ازاره
واتقى به الحجارة فغشى عليه فلما
أفاق سأله أبو طالب فقال أتانى
آت عليه ثياب بيض فقال لى استتر
فما رؤيت عورته من يومئذ ووقع
له مثل ذلك عند بنيان قريش
الكعبة (ومن ذلك) ما جاء عن على
رضى الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت
بقبيح مما هم به أهل الجاهلية حتى
أكرمنى الله بالنبوة الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمنى الله عز وجل من فعلهما قلت لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة
فى غنم لاهله يرعاها وفى رواية قلت لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا ابصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر
الفتيان قال نعم وأصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير

الشجر السدر وسيد الطير النسر وفى بحر العلوم وسيد الملائكة اسرافيل وسيد الشهداء هابيل
وسيد الجبال جبل موسى وسيد الانعام الثور وسيد الوحوش الفيل وسيد السباع الاسد زاد
بعضهم وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية وسيد العربية
القرآن وسيد القرآن سورة البقرة قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم الى خبائنا أى
محل الاقامة وقال لى أبوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه بأهله
قبل أن يظهر به ذلك وفى رواية قال الناس يا حليمة رديه على جده وأخرجى من أمانتك
وفى رواية وقال زوجى أرى ان ترديه على أمه لتعالجه والله ان أصابه ما أصابه الا حسد من آل
فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه فقدمنا به مكة على أمه قال الواقدى وكان ابن
عباس يقول رجع الى أمه وهو ابن خمس سنين أى وزاد فى الاستيعاب ويومين من مولده صلى
الله عليه وسلم وكان غيره أى غير ابن عباس يقول رجع الى أمه وهو ابن أربع سنين وذكر الاموى
انه رجع الى أمه وهو ابن ست سنين انتهى أقول سياق ما قبله يدل على ان قدوم حليمة به على
أمه كان عقب الواقعة المذكورة وتقدم ان سنه حينئذ كان سنتين وأشهر وسيأتى ما فيه والله
أعلم وعن ابن عباس ان حليمة كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر
الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لى يوما يا أماه مالى لا أرى اخوتى بالنهار يعنى اخوته من
الرضاعة وهم أخوه عبد الله واختاه أنيسة والشيماء بفتح المعجمة وسكون التحتية أولاد الحرث
قالت فدتك نفسى انهم يرعون غنما انا فيروحون من ليل الى ليل قال ابعثينى معهم فكان عليه
السلام يخرج مسرورا ويعود مسرورا أى وهذا لا يخالف قولها السابق كان مع أخيه فى بهم
لنا خلف بيوتنا ولا قوله صلى الله عليه وسلم الآتى فبينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا
ولا قوله فبينما أنا ذات يوم منتبذا من أهلى فى بطن واد مع أتراب لى من الفتيان كما لا يخفى قالت
حليمة فلما كان يوما من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتانى أخوه أى وفى رواية اذ أتى ابنى ضمرة
يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادى يا أبت ويا أمه الحقا أخى محمدا فما تلحقانه الا ميتا قلت وما
قضيته قال بينا نحن قيام اذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه
حتى شق صدره الى عانته ولا أدرى ما فعل به (أقول) ولعل ضمرة هذا هو أخوه عبد الله المتقدم
ذكره لقب بذلك لخفة جسمه ولا يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الآتى ان أترابه الذين كانوا
معه انطلقوا هرابا مسرعين الى الحى يؤذنونهم ويستصرخونهم لانه يجوز أن يكون ضمرة
سبقهم والله أعلم قالت حليمة فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعيا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل
شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت له فدتك نفسى
ما الذى دهاك قال خيرا كذا بالنصب يا أماه بينا أنا الساعة قائم اذ أتانى رهط ثلاثة بيد أحدهم
ابريق فضة وفى يد الآخر طست من زمردة خضراء والزمردة بالضم والزاى المعجمة الزبرجد
وهو معرب فأخذونى وانطلقوا بى الى ذروة الجبل فاضجعونى على الجبل اضجاعا لطيفا وفيه ان
هذا يخالف قوله صلى الله عليه وسلم الآتى فأخذونى حتى أتوا شفير الوادى فعمد أحدهم
فاضجعنى الى الارض ثم شق من صدرى الى عانتى وسيأتى الجمع بينهما وقوله ثم شق من صدرى

فقالت من هـذا قالوا فلان تزوج فـلانة فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيناى فنمت فما أيقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال مافعلت فأخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك (ومن ذلك) ماجاء عن أم أيمن قالت كانوا في الجاهلية يجعلون لهـم عيدا عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك أي تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليـل في كل سـنة فكان أبو طالب يحضر مع قومـه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك قالت حتى رأيت أباطالب غضب عليـه ورأيت عماته غضبن عليه أشـد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وماتريد يامحمـد أن تحضر لقومك عيـدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب معهـم ثم رجع فزعا مرعوبا فقلن مادهاك فقـال اني أخشى ان يكون بي لمم أي لمة وهي المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير مافيـك فما الذي رأيت قال اني كلما دنوت من صنم منها أي من تلك الاصنام التي عند ذلك الصنم الكبير الذي هو بوانة تمثـل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يامحمـد لا تمسـه قالت فما عاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليـه وسـلم (ومن ذلك) مارونه عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم يقول سمعت زيد بن عمـرو بن نفيـل يعيب كلما ذبح لغـير الله فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وأنزل لها المـاء من السماء وأنبت لها من الارض الـكلأ ثم تذبحونها عـلى غـير اسم الله قال فما ذقت شيأ ذبح على النصب أي الاصنام حتى أكرمني الله تعالى برسالته أي فلم فكان ماسمعه من زيد سببا لتركه ماذبح على الاصـنام أي مؤكدا لما عنده فلا ينافي ان السبب الاصلي حفظ الله له مما كانت عليه الجاهلية وزيد بن عمرو هذا كان قبل النبوة زمن الفترة على دين ابراهيم عليه السـلام فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية واعتزل

الى عانتي هو المراد ببطنه فيما تقدم ومايأتي قال وأنا أنظر اليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما الحديث وفي هذه الرواية طي ذكر القلب وشقه أيضا (أقول) ولا منافاة في تلك الرواية بين قولها فوجدناه قائما وبين قولها في هـذه الرواية فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبـل لجواز أن تكون أرادت بقولهـا قائما كونه حيا وبكونه قاعدا كونه ما كنا كما لا منافاة بين قولهـا في تلك الرواية منتقعا وجهه وبين قولهـا في هـذه الرواية يتبسم ويضحك لان ذلك لا ينافي الفزع أو لجواز أن يكون تبسمه وضحكه تعجبا لما رأى من الحالة التي عليها أمه من التعجب والشدة والله أعلم قال وذكر ابن اسحق أن حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم مكة لترده على أمه أي بعد شق صدره صـلى الله عليه وسلم وقد بلغ أربع سنين أو خمسا أو ستا على ماتقدم أضلته في أعالي مكة فأتت جده عبد المطلب فقالت اني قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت بأعالي مكة أضلني فوالله ما أدري أين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده عليه وفي مرآة الزمان انه أنشد

يارب رد ولدي محمـدا * اردده ربي واصطنع عندي يدا

وسيأتي ان هـذا البيت أنشـده عبـد المطلب حـين بعث النبي صـلى الله عليه وسـلم ليرد ابلا له ضلت وقد يقال لا مانع من تكرر ذلك منـه فسمع هاتفا من السمـاء يقول أيها الناس لا تضجوا ان لمحمـد ربا لن يخذله ولا يضـيعه فقال عبـد المطلب من لنا به فقال انه بوادي تهامة عنـد الشجرة اليمنى فركب عبـد المطلب نحوه وتبعـه ورقـة بن نوفل وسـيأتي بعض ترجمـة ورقة فوجـداه صـلى الله عليـه وسـلم قائما تحت شجرة يجـذب غصـنا من أغصـانها فقال له جـده من أنت ياغـلام فقـال أنا محمـد بن عبـد الله بن عبـد المطلب فقال وأنا عبـد المطلب جـدك فدتك نفسي واحتمـله وعانقـه وهو يبكي ثم رجع الى مكة وهو قدامـه على قربوس فرسه ونحر الشياه والبقر وأطعم أهل مكة (أقول) وقول جده له من أنت ياغلام لعـله لكونه وجده على حالة لا توجد لمن يكون في سـنه عادة كما تقدم عن حليمة من قولهـا كان يشب شـبابا لا يشبه الغلمـان وفي السيرة الشامية ان الذي وجده هو ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به عبد المطلب أي ويقال ان عمرو بن نفيل رآه وهو لا يعرفه فقال له من أنت ياغلام فقـال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فاحتمله بين يديه على الراحلة حتى أتى به عبـد المطلب وفي كلام بعض المفسرين في تفسـير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ضللت عن جدي عبد المطلب وأناصبي وصار ينشد وهو متعلق بأستار الكعبة * يارب رد ولدي محمدا * البيت فجاء أبو جهل بين يديه على ناقة وقال لجدي ألا تدري ماوقع من ابنك فسأله فقال انخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت أن تقوم فأركبته من أمامي فقـامت ويحتاج الى الجمع على تقـدير صحة كل مما ذكر وقد يقـال لا مانع من تعدد ذلك ويدل لذلك ان بعض المفسرين قال في تفسـير قوله تعـالى ووجـدك ضالا فهدى قيل ضل عن حليمة مرضعته وقيل ضل عن جده عبد المطلب وهو صغير قالت حليمة فقالت أمه ما أقدمك به ياظئر أي يامرضعة ولقد كنت حريصة عليـه وعلى مكثه عنـدك قلت قد بلغ والله وقضيت الذي علي وتخوفت عليه الاحداث فأديته اليك كما تحبين فقالت ماهـذا شأنك فاصدقيني خبرك قالت

الاوثان والذبائح التي تذبح للاوثان ونهـى عن الوأد وكان يحييها أي اذا أراد أحـد ذلك أخـذ الموؤدة من أبيها وكفلها وكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد مستقبلا للكعبة قال ولده سعيد رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم يوما يارسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له قال نعم واستغفر له وقال انه يبعث يوم القيامة أمة وحده أي يقوم مقام جماعة وزيد ابن عمرو بن نفيـل رابع أربعة تركوا الاوثان والميتة ومايذبح للاوثان حتى ان قريشا كانوا يوما في عيد لصنم من أصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك اليوم فقال بعض هؤلاء الاربعـة لبعض تعلمون والله ماقومكم على شئ لقد أخطؤا دين أبيهـم ابراهيم عليـه الصـلاة والسـلام فما حجر يطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا في البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام وهؤلاء الاربعة هم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبـيد الله بن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وعثمان بن الحويرث فأما زيد بن عمرو بن نفيل فهو ابن أخي الخطاب والد سـيدنا عمر رضي الله عنـه ولم يدرك البعثة وكذا ورقـة بن نوفل على الصحيح وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة أيضا وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده وأما عبيد الله ابن جحش فأدرك البعثة وأسـلم وهاجر الى الحبشـة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هناك ومات عـلى نصرانيتـه وهو الذي كان مـتزوجا بأم حبيبـة بنت أبي سـفيان قبل النبي صلى الله عليه وسلم وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول لقريش والذي نفس زيد ابن عمرو بيـده ما أصبح منكم أحـد على دين ابراهيم غيري حتى ان عمه الخطاب أخرجه من مكة وأسكنه بحراء ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسأل الاحبار والرهبان عن ذلك حتى وصل الموصل ثم أقبـل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم النصرانيـة فسأله عن ذلك فقال انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك

فلم تدعني حتى أخبرتها قالت أفتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشـيطان عليه سبيل وان لابني شأنا أفلا أخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت أي ما علمت من حمل قط كان أخف علي ولا أيسر منـه ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة قال وعن حليمة انه مر عليها جماعة من اليهود فقالت ألا تحـدثوني عن ابني هـذا حملته كذا ووضعته كذا ورأيت كذا كما وصفت لها أمه أي فانها ذكرت لها ذلك مرتين عنـد دفعه لها وعند أخذه منها انتهى (أقول) ولا ينافي ذلك قول آمنة لحليمة أولا أخبرك خبره وقول حليمـة لها بلى لجواز أن تكون أمه لم تكن متذكرة انها أخبرتها بذلك قبـل ذلك وان حليمة كذلك أو جوزت حليمـة انها تخبرها بزيادة عما أخبرتها به أولا بناء على اتحاد ما أخبرتها به أولا وثانيا والله أعلم قالت ولما أخـبرت أولئك اليهود بذلك قال بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أيتيم هو فقالت لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا لو كان يتيما قتلناه (أقول) ويدل على ان ماذكرته امه لحليمة من انها حين حملت به خرج منها نور الى آخر ماتقـدم وان يكون لا أب له مذكور في بعض الكتب القـديمة انه من علامـة نبوة النبي المنتظر والله أعـلم قال وعنها انها نزلت به سوق عكاظ أي وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ونخلة المحـل المعروف كانت العرب اذا حجت أقامت بهذا السوق شهر شوال فكانوا يتفاخرون فيه وللمفاخرة فيـه سمي عكاظ يقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبـه في المفاخرة وفي كلام بعضهم كان سوق عكاظ لثقيف وقيس غيلان فرآه كاهن من الكهان فقال ياأهل سوق عكاظ اقتلوا هـذا الغـلام فان له ملكا فزاغت أي مالت به وحادت عن الطريق فأنجاه الله تعـالى أي وفي الوفا لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمـة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يامعشر هـذيل يامعشر العرب فاجتمع اليه الناس من أهـل الموسم فقال اقتلوا هـذا الصبي فانسلت حليمة به فجعل الناس يقولون أي صبي فيقول هـذا الصبي فلا يرون شـيأ فيقال له ماهو فيقول رأيت غلاما والآلهة ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فطلب فلم يوجـد وعنها رضي الله عنها انها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أي وهذا السوق قبـله سوق يقال له سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليـه بعد انقضاضهم من سوق عكاظ فتقيم فيـه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى هـذا السوق الذي هو سوق ذي المجاز فتقيم به الى أيام الحج وكان بهذا السوق عراف أي منجم يؤتى اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم أي نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة في عينيـه صاح يامعشر العرب اقتلوا هـذا الصـبي فليقتلن أهـل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم ان هذا لينتظر أمرا من السمـاء وجعـل يغري بالنبي صـلى الله عليه وسـلم فلم يلبث ان وله فذهب عقله حتى مات اهـ أي وفي السـيرة الشامية ان نفرا نصارى من الحبشة رأوه صلى الله عليه وسلم مع أمه السعدية حين رجعت به الى امه بعد فطامه فنظروا اليـه وقلبوه أي رأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها هل يشتكي عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة

عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق به فانه مبعوث الآن
هذا زمانه نخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن بأصل جبل حراء
يروى انه قال لعامر بن ربيعة أنا أنتظر نبيا من ولد اسمعيل ولا أرى انى أدركه وانا أدين به واصدقه واشهد انه نبي ١٠٤
وان طالت بك حياة فرأيته فسلم
منى عليه قال عامر فلما أسلمت
بلغته صلى الله عليه وسلم السلام
عن زيد فرد السلام عليه وترحم
عليه وعن عائشة رضى الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد
ابن عمرو دوحتين أى شجرتين
عظيمتين (ومن ذلك) ماروى عن
على رضى الله عنه قال قيل للنبي
صلى الله عليه وسلم هل عبدت
وثنا قط قال لا قالوا هل شربت
خمرا قال لا ومازلت أعرف ان الذى
هم عليه كفر وما كنت أدرى
ما الكتاب ولا الايمان أى كيفية
الدعوة اليهما وعنه صلى الله عليه
وسلم قال لما نشأت بغضت الى
الاصنام وبغض الى الشعر

باب رعايته صلى الله عليه وسلم الغنم لزيادة الرحمة فى قلبه

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مابعث الله نبيا الا رعى الغنم قال
له أصحابه وأنت يارسول الله قال
وأنا رعيتها لاهل مكة بالقراريط
أى وهى من أجزاء الدراهم
والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة
وقيل القراريط هنا اسم موضع
بمكة وفى رواية بالقراريط باجياد
فالاول لبيان الاجرة والثانى
لبيان المكان ومن حكمة الله ان
الرجل اذا استرعى الغنم التى هى
أصعب البهائم سكن قلبه الرأفة واللطيف فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب
أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزى فيكون فى أعدل الاحوال ووقع الافتخار بين أصحاب الابل وأصحاب الغنم عند النبي صلى الله
عليه وسلم فاستطال أصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت أنا

لا تفارقه ٥ ثم قالوا الحالنا أخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ما لكنا وبلدنا فان هذا الغلام
كان له شأن نحن نعرف أمره فلم تكد تنفلت به صلى الله عليه وسلم منهم وأتت به الى امه وعنه
صلى الله عليه وسلم واسترضعت فى بنى سعد فبينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا أتانى
رجلان عليهما ثياب بيض بيد احدهما طست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذانى فشقا بطنى ثم
استخرجا قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها أى وقيل هذا حظ الشيطان منك
ياحبيب الله وفى رواية فاستخرجا منه علقتين سوداوين أى ولا مخالفة لجواز أن تكون تلك
العلقة انفلقت نصفين وفى رواية فاستخرجا منه مغمز الشيطان أى وهو المعبر عنه فى الرواية
قبلها بحظ الشيطان ولا ينافى ذلك قوله فى الرواية السابقة ولا أدرى ماهو لجواز أن يكون
اخباره صلى الله عليه وسلم بهذا بعد ان علمه والمراد بغمز الشيطان محل غمزه أى محل ما يلقيه
من الامور التى لا تنبغى لان تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان
فيها فاذا أزيلت من قلبه فلم يبق فيه مكان لان يلقى الشيطان فيه شيأ فلم يكن للشيطان فيه حظ
وليست هى محل غمزه عند ولادته صلى الله عليه وسلم كما يوهمه كلام غير واحد وفيه ان هذا
يقتضى أن يكون قبل ازالة ذلك كان للشيطان عليه سبيل أجاب السبكى بانه لا يلزم من وجود
القابل لما يلقيه الشيطان حصول الالقاء أى بالفعل فليتأمل وسئل السبكى رحمه الله تعالى
فلم خلق الله ذلك القابل فى هذه الذات الشريفة وكان من الممكن ان لا يخلقه الله فيها وأجاب
بانه من جملة الاجزاء الانسانية نخلقت تكملة للخلق الانسانى ثم نزعت تكرمة له صلى الله عليه
وسلم أى وليظهر للخلق بذلك التكرمة ليتحققوا كمال باطنه كما تحققوا كمال ظاهره أى لانه
لو خلق صلى الله عليه وسلم خاليا عنها لم تظهر تلك الكرامة وفيه انه يرد على ذلك ولادته صلى الله
عليه وسلم من غير قلفة واجيب بالفرق بينهما بان القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل أحد مع
ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال وقد تقدم كل
ذلك وذكر السهيلى رحمه الله ما يفيد ان هذه العلقة هى محل مغمز الشيطان عند الولادة
حيث قال ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما لم يخلق من منى الرجال وانما خلق من نفخة روح
القدس أعيذ من مغمز الشيطان قال ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه الصلاة والسلام على
محمد صلى الله عليه وسلم لان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نزع منه ذلك الغمز هذا كلامه وقد علمت
انه انما هو محل ما يلقيه الشيطان من الامور التى لا تنبغى وان ذلك مخلوق فى كل أحد من
الانبياء عيسى عليه السلام وغيره ولم تنزع الا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه
وسلم ثم غسلا قلبى بذلك الثلج أى الذى فى ذلك الطست حتى أنقياه أى وملآه حكمة وايمانا
كما فى بعض الروايات أى وفى رواية ثم قال أحدهما لصاحبه ائتنى بالسكينة فأتى بها فذراها فى
قلبى وهذه السكينة يحتمل أن تكون هى الحكمة والايمان ويحتمل أن تكون غيرهما وهذه
الرواية فيها ان الطست كان من ذهب وكذا فى الرواية الآتية وفى الرواية قبل هذه كانت من
زمردة خضراء ويحتاج الى الجمع وسنذكره فى هذه الرواية وكذا الرواية الآتية ان الثلج كان
فى الطست وفى الرواية قبل هذه كان فى يد احدهما ابريق فضة ويحتاج الى الجمع لان الواقعة

وأنا راعى غنم أهلى باجياد وهو موضع بأسفل مكة من شعابها وقال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال
فى الغنم منها امعاشنا وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا وفى رواية سمنها امعاش وصوفها رياش وفى الحديث الفخر والخيلاء
فى أصحاب الابل والسكينة والوقار فى أهل الغنم وعن جابر رضى ١٠٥ الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم نجنى الكباث وهو
النضيج من ثمر الاراك فقال صلى
الله عليه وسلم عليكم بالاسود من
ثمر الاراك فانه أطيبه فانى كنت
أجتنيه اذ كنت أرعى الغنم قلنا
وكنت ترعى الغنم يارسول الله قال
نعم ومامن نبى الا وقد رعاها ولا
ينبغى لاحد عير برعاية الغنم أن
يقول كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك
أدب لان ذلك كمال فى حق الانبياء
عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم
فلا ينبغى الاحتجاج به ويجرى
ذلك فى كل ما يكون كمالا فى حق
النبى صلى الله عليه وسلم دون غيره
كالامية فمن قيل له أنت أمى فقال
كان النبى صلى الله عليه وسلم أميا
أدب * وحضر النبى صلى الله
عليه وسلم حرب الفجار وكان له من
العمر أربع عشرة سنة وكان يقول
حضرته مع عمومتى ورميت فيه
بأسهم وما أحب أنى لم أكن فعلت
وقيل لم يرم وانما كان يناول عمومته
السهام وسببه ان بدر بن معشر
الغفارى كان له مجلس يجلس فيه
بسوق عكاظ ويفتخر على الناس
فبسط يوما رجله وقال أنا أعز
العرب فمن زعم أنه أعز منى
فليضربها بالسيف فوثب عليه
رجل فضربه بالسيف على ركبته
فأسقطها وقيل جرحه فقط
فاقتتلوا أربعة أيام وكان أبو
طالب يحضر ومعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت هوازن واذا لم يجئ هزمت كنانة فقالوا لا أبا لك

لا تغب عنا ففعل ذلك ويروى أنه صلى الله عليه وسلم طعن فى تلك الحروب أبا براء ملاعب الاسنة وكان رئيس بنى قيس وحامل رايتهم
والطعن يحتمل أن يكون برمح أو بسهم وسميت حرب الفجار لان العرب فجرت فيه لانه وقع فى الشهر الحرام ويسمى الفجار الاول ولهم

لم تعد وهو عند حليمة وفى غسله بالثلج اشعار بثلج اليقين وبرده على الفؤاد ذكره السهيلى
رحمه الله وذكر فى حكمة كون الطست من ذهب كلاما طويلا قال صلى الله عليه وسلم وجعل
الخاتم بين كتفى كما هو الآن وفى الروايات السابقة طى ذكر الخاتم وتتمة الجواب الذى أجاب
به صلى الله عليه وسلم أخا بنى عامر التى وعدنا بذكرها هنا هو قوله صلى الله عليه وسلم وكنت
مسترضعا فى بنى سعد فبينا أنا ذات يوم منتبذ أى منفردا من أهلى فى بطن واد مع أتراب لى أى
المقاربين بالموحدة أو النون لى فى السن من الصبيان اذ أتى رهط ثلاثة معهم طست من
ذهب ملآن ثلجا فأخذونى من بين أصحابى فخرج أصحابى هرابا حتى أتوا على شفير الوادى ثم
أقبلوا على الرهط فقالوا ما أربكم أى ما حاجتكم الى هذا الغلام فانه ليس منا هذا ابن سيد
قريش وهو مسترضع فينا يتيم ليس له أب فما يرد عليكم أن يفيدكم قتله وماذا تصيبون من ذلك
فان كنتم لا بد قاتلوه أى ان كان لا بد لكم من قتل واحد فاختار وا منا من شئتم فليأتكم مكانه
فاقتلوه ودعوا هذا الغلام فانه يتيم فلما رأى الصبيان ان القوم لا يجيبون جوابا انطلقوا هرابا
مسرعين الى الحى يؤذنونهم أى يعلمونهم ويستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم الى
فأضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق بطنى ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وأنا
أنظر اليه فلم أجد لذلك مسا أى أدنى مشقة واستخرج احشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فانعم
غسلها أى بالغ فى غسلها ثم أعادها مكانها أى وقد طوى ذكر استخراج الاحشاء وغسلها فى
الروايات السابقة ولا يخفى ان من جملة الاحشاء ظاهر القلب ثم قال الثانى منهم لصاحبه تنح
عنه فنحاه عنى ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر اليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة
سوداء تقدم التعبير عنها بالعلقة السوداء ثم رمى بها ثم قال بيده يمنة منه كأنه يتناول شيأ واذا
بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه نختم به قلبى أى بعد التئام شقه فامتلأ نورا وذلك نور
النبوة والحكمة وقد تقدم وملآه حكمة وايمانا وأن السكينة ذرت فيه ثم أعاده مكانه
فوجدت برد الخاتم فى قلبى دهرا وفى رواية فانا الساعة أجد برد الخاتم فى عروقى ومفاصلى
(أقول) نقل شيخ بعض مشايخنا الشيخ نجم الدين الغيطى عن مغازى ابن عائذ فى حديثه صلى الله
عليه وسلم لاخى بنى عامر وأقبل أى الملك وفى يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه
فليتأمل وقوله فصدعه يدل بظاهره على أن صدعه كان بيد الملك فلم يشقه بآلة وحينئذ يكون
المراد بالشق الصدع بلا آلة وقد طوى فى هذه الرواية ذكر ملء قلبه حكمة وايمانا وانه ذر فيه
السكينة وذكر فى هذه الرواية ان الختم كان لقلبه صلى الله عليه وسلم وفى الرواية قبلها انه كان
بين كتفيه وفى رواية ابن عائذ وبين ثدييه ويحتاج الى الجمع والظاهر ان متعاطى الختم
جبريل ويدل عليه قول صاحب الهمزية رحمه الله فى هذه القصة * ختمته يمنى الامين *
وسيأتى التصريح بذلك لكن فى غير هذه القصة والله أعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث
لصاحبه تنح عنه فنحاه عنى فأمر بيده ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق
باذن الله تعالى وختم عليه وفى رواية قال أحدهما للآخر خطه نخاطه وختم عليه (أقول)
وقد يقال معنى خطه ألحمه نخاطه أى ألحمه أى مر بيده عليه فالتحم أى فلا يخالف ما سبق ولا

حروب تسمى حرب الفجار غيره وكلها أربعة وفى اليوم الثالث من حرب الفجار قيد أمية وحرب ابنا أمية بن عبد شمس وأبو سفيان بن
حرب أنفسهم كيلا يفروا وسموا العقابس أى الاسود وحرب والد أبى سفيان وأمية أخوه ماتا على الكفر وأبو سفيان أسلم كما سيأتى
ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للوعد وكان أمر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان التيمى
وقيل كان الى حرب بن أمية والد
أبى سفيان لانه كان رئيس قريش
وكنانة يومئذ وكان عتبة بن ربيعة
ابن عبد شمس يتيما فى حجره وهو
ابن عمه فضن أى بخل به حرب
وأشفق أى خاف من خروجه
معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر
الا وهو على بعير بين الصفين ينادى
يا معشر مضر علام تفانون فقالت
له هوازن ما تدعو اليه قال الصلح
على أن ندفع لكم دية قتلاكم
وتعفوا عن دمائنا فان قريشا
وكنانة كان لهم الظفر على هوازن
يقتلونهم قتلا ذريعا قالوا وكيف
قال ندفع لكم رهنا منا الى أن نوفى
لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال أنا
قالوا ومن أنت قال عتبة بن ربيعة
ابن عبد شمس فرضيت به هوازن
وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن
أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام
وهو ابن أخى خديجة بنت خويلد
زوج النبى صلى الله عليه وسلم
فلما رأت هوازن الرهن فى أيديهم
عفوا عن الدماء وأطلقوهم
وانقضت حرب الفجار وقيل ردت
قريش قتلى هوازن ووضعت
الحرب أوزارها وعتبة بن ربيعة
قتل يوم بدر كافرا وهو والد هند
أم معاوية زوج أبى سفيان رضى
الله عنهم وكان يقال لم يسد مملق
أى فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو
طالب فانهما سادا بغير مال وفى
كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة
وأبو طالب وكانا أفلس من أبى المزلق وهو رجل من بنى عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا أبوه
وجده وجدته كلهم يعرفون بالافلاس * وحضر صلى الله عليه وسلم حلف الفضول وهو أشرف حلف فى العرب والحلف اليمين
والعهد وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار وأول من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ينافيه ما فى الحديث الصحيح انهم كانوا يرون أثر المخيط فى صدره صلى الله عليه وسلم لجواز أن
يكون المراد يرون أثرا كأثر المخيط فى صدره صلى الله عليه وسلم وهو أثر مرور يد جبريل عليه
السلام وهذا طوى ذكره فى الروايات السابقة وقوله ختم عليه يقتضى ان الختم كان فى صدره
صلى الله عليه وسلم وهو الموافق لما تقدم عن ابن عائذ انه بين ثدييه لكنه زاد بين كتفيه وتقدم
ان الختم كان بقلبه وندية الى الجمع لا مانع من تعدد الختم فى المحال المذكورة أى فى قلبه
وصدره وبين كتفيه فختم القلب لحفظ ما فيه وختم الصدر وبين الكتفين مبالغة فى حفظ
ذلك لان الصدر وعاؤه القريب وجسده وعاؤه البعيد وخص بين الكتفين لانه أقرب الى
القلب من بقية الجسد ولعله أولى من جواب القاضى عياض رحمه الله بان الذى بين كتفيه هو
أثر ذلك الختم الذى كان فى صدره اذ هو خلاف الظاهر من قوله وجعل الخاتم بين كتفى وفيه
السكوت عن ختم قلبه ولا يحسن ان يراد بالصدر القلب من باب تسمية الحال باسم محله لانه
يصير ساكتا عن ختم الصدر وأولى من جواب الحافظ ابن حجر رحمه الله أيضا بانه يجوز أن يكون
الختم لقلبه ظهر من وراء ظهره عند كتفه الايسر لان القلب فى ذلك الجانب لما علمت وفيه ما
ان الذى عند الايسر خاتم النبوة أى الذى هو علامة على النبوة الذى ولد صلى الله عليه وسلم
به على ما هو الصحيح وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بجعل خاتم النبوة بظهره
بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وسائر الانبياء كان الخاتم فى يمينهم أى فقد أخرج
الحاكم فى المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة فى
يده اليمنى الا نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة كانت بين كتفيه هذا كلامه ولم أقف
على بيان تلك الشامات التى كانت للانبياء ما هى وكتب الشهاب القسطلانى على هامش
الخصائص قوله وجعل خاتم النبوة بظهره الخ مشكل اذ مفهومه ان موضع الدخول لقلوب
الانبياء غير نبينا لم يختم ولا يخفى ما فيه من المحظور فأشنعهما من عبارة واخطأهما من اشارة
هذا كلامه ولك ان تقول المراد بغيره فى قوله حيث يدخل الشيطان لغيره من غير الانبياء لما
علم وتقرر فى النفوس من عصمة الانبياء من الشيطان واختص نبينا صلى الله عليه وسلم من بين
سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالختم فى المحل المذكور مبالغة فى حفظه من الشيطان
وقطع اطماعه فليتأمل لا يقال كل من جواب القاضى والحافظ ابن حجر يجوز أن يكون مبنيا
على ان خاتم النبوة هو أثر هذا الختم وهو موافق لما تمسك به القائل بان خاتم النبوة لم يولد به
وانما حدث بعد الولادة لانا نقول على تسليم انه حدث بعد الولادة فقد وجد عقبها فعن أبى نعيم
فى الدلائل أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه فى الماء الذى أنبعه ثلاث
غمسات ثم أخرج صرة من حرير أبيض فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة وبذلك
يعلم ان خاتم النبوة ليس أثر الهذا الخاتم وكلام السهيلى يقتضى انه هو حيث قال ان هذا
الحديث الذى فى شق صدره فى الرضاعة فيه فائدة من تبيين العلم وذلك ان خاتم النبوة لم يدر
انه خلق به أو وضع فيه بعد ما ولد أو حين نبئ فبين فى هذا الحديث متى وضع وكيف وضع ومن
وضعه زادنا الله تعالى علما وأوزعنا شكر ما علم هذا كلامه ثم رأيت عن الحافظ ابن حجر
ما يوافقه

فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى وذلك فى دار عبد الله بن جدعان التيمى كان بنو تيم فى حيانه كأهل بيت واحد
يقوتهم وكان يذبح فى داره كل يوم جزورا وينادى مناديه من اراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج
ويطعمه قريشا وكان قبل ذلك يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فاتفق ان أمية بن أبى الصلت مر على بنى عبد المدان
فرأى طعامهم لباب البر والشهد
فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم
فرأيت أكرمهم بنى المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم
لا يعللن به بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان
فأرسل الى بصرى الشام يحمل
اليه البر والشهد والسمن وجعل
ينادى مناديه ألا هلموا الى جفنة
عبد الله بن جدعان ومن مدح أمية
ابن أبى الصلت فى ابن جدعان قوله

أأذكر حاجتى أم قد كفانى
حياؤك أن شيمتك الثناء
كريم لا يغيره صباح
عن الخلق الجميل ولا مساء
يبارى الريح مكرمة وجودا
اذا ما الضب أحجره الشتاء

وكان عبد الله ذا شرف وسن وهو
من جملة من حرم الخمر على نفسه فى
الجاهلية بعد ان كان مغرما بها
وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار
يمد يده ويقبض على ضوء القمر
ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم
اخبروه بذلك حين صحا فحلف
لا يشربها أبدا وممن حرمها على
نفسه فى الجاهلية عثمان بن
مظعون الجمحى وقال لا أشرب
شيأ يذهب عقلى ويضحك بى من
هو أدنى منى ويحملنى على أن
أنكح كريمتى من لا أريد فلما
أرادوا حلف الفضول صنع لهم
عبد الله بن جدعان طعاما
وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لانه لم يقل
يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين رواه مسلم أى لم يكن مسلما لان القول المذكور لا يصدر الا من مسلم وكان يكنى أبا زهير وقال

ما يوافقه حيث قال ومقتضى الاحاديث التى فيها شق الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا
حين ولادته وانما كان أول وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به أو حين وضع
هذا كلامه ولا يخفى ان ما قلناه من ان هذا الخاتم غير خاتم النبوة أولى لان به يجتمع القولان
وتندفع المخالفة والجمع أولى من التضعيف لما صح من انه صلى الله عليه وسلم ولد به وعلى انه هو
يلزم ان يكون خاتم النبوة تعدد محله فوجد بين كتفيه وفى صدره وفى قلبه لا يقال قد أشير
الى الجواب عن ذلك بان الموجود بين كتفيه انما هو أثر ما فى صدره وقلبه لانا نقول يبطله
ما تقدم عن الدلائل لابى نعيم وما تقدم عن بعض الروايات فاقبل الملك وفى يده خاتم فوضعه
بين كتفيه وثدييه وأيضا يلزم عليه أن يكون خاتم النبوة تكرر الاتيان به ثانيا فى قصة المبعث
وثالثا فى قصة الاسراء ففى قصة المبعث فأكفانى كما يكفأ الاناء ثم ختم فى ظهرى وفى قصة الاسراء
ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وكل منهما يبطل كون ما فى ظهره أو بين كتفيه أثرا لذلك الختم
الذى وجد فى صدره أو قلبه الا ان يقال ما فى قصة المبعث وقصة الاسراء غير خاتم النبوة وان
خاتم النبوة انما هو الاثر الحاصل من ختم صدره وقلبه فى قصة الرضاعة وانه تكرر الختم على
ذلك الاثر فى المبعث وفى قصة الاسراء وفيه انه لا معنى لتكرر الختم فى محل واحد ولا يقال
الغرض منه المبالغة فى الحفظ لان ذلك انما يكون عند تعدد محل الختم لا عند اعادته ثانيا وثالثا
فى محل واحد وأيضا هو خلاف ظاهر كلامهم من انه فى المحال الثلاثة خاتم النبوة ويؤيده ان
المتبادر من القول فى قصة الاسراء ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة انه جعل خاتم النبوة بين
كتفيه والا فلا معنى كون الخاتم بمعنى الطابع أى خاتم النبوة فان قلت على دعوى الغيرية يحتاج
الى الجواب عن قوله بخاتم النبوة قلت قد يقال هذا ليس برواية عن الشارع وانما وقعت تلك
العبارة عن بعضهم ويجوز أن يكون الباء فى كلامهم بمعنى مع أى مع خاتم النبوة فتأمل والله
أعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيدى فانهضنى من مكانى انهاضا لطيفا ثم قال الاول الذى
شق صدرى زنه بعشرين من أمته فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزننى فرجحتهم
ثم قال زنه بالف من أمته فوزننى فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنتموه بامته كلهم لرجحهم كلهم ثم
ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك
من الخير لقرت عيناك (أقول) فى بعض الروايات زنه بعشرة ثم قال زنه بمائة ففى هذه الرواية
طى ذكر وزنه بعشرين وفى تلك الرواية طى ذكر وزنه بعشرة والله أعلم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبينا نحن كذلك اذا بالحى قد أقبلوا بحذافيرهم أى بأجمعهم واذا بظئرى أى مرضعتى
أمام الحى تهتف أى تصيح باعلى صوتها وتقول واضعيفاه فأكبوا على يعنى الملائكة الذين هم
أولئك الرهط الثلاثة وضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا حبذا أنت من
ضعيف ثم قالت ظئرى يا وحيداه فأكبوا على فضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى
وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل
الارض ثم قالت ظئرى يا يتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فأكبوا على
وضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله

لو تعلم ما أريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا يعنى الحى الى شفير الوادى فلما أبصرتنى أمى وهى ظئرى قالت لا أراك الا حيا بعد فجاءت حتى أكبت على ثم ضمتنى الى صدرها فو الذى نفسى بيده انى لفى حجرها قد ضمتنى اليها ويدى فى أيديهم يعنى الملائكة وجعل القوم لا يعرفونهم أى لا يبصرونهم فاقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد أصابه لمم أى طرف من الجنون أو طائف من الجن أى وهى اللمة فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت يا هذا ما بى مما تذكر ان آرابى أى أعضائى سليمة وفؤادى صحيح ليس بى قلبة أى علة يقلب بها الى من ينظر فيها فقال أبى وهو زوج ظئرى ألا ترون كلامه صحيحا انى لارجو أن لا يكون بابنى بأس واتفقوا على ان يذهبوا بى اليه أى الى الكاهن فلما انصرفوا بى اليه فقصوا عليه قصتى فقال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فانه أعلم بأمره منكم فسألنى فقصصت عليه أمرى من أوله الى آخره فوثب قائما الى وضمنى الى صدره ثم نادى بأعلى صوته يا للعرب يا للعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه فواللات والعزى لئن تركتموه فادرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله وفى رواية ليسفهن أحلامكم أى عقولكم وليكذبن أوثانكم وليدعونكم الى رب لم تعرفونه ودين تنكرونه فعمدت ظئرى وانتزعتنى من حجره وقالت لانت أعته وأجن ولو علمت ان هذا قولك ما أتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلى هذا الغلام * ثم احتملونى الى أهلهم وأصبحت مفزعا مما فعلوا يعنى الملائكة بى * أى من حملى من بين أترابى والقائى الى الارض لا من خصوص الشق لما تقدم وأصبح أثر الشق ما بين صدرى الى منتهى عانتى أى أثر التئام الشق الناشئ عن أمر أريد الا انك كأنه الشراك اه (أقول) الشراك أحد سيور النعل الذى هو المداس الذى يكون على وجهها ولعل حكمة تأثيره ليدل على وجود الشق واعلم أنه حيث كانت قصة شق صدره الشريف فى زمن الرضاع عند حليمة واحدة يكون هذه الروايات المراد منها واحد وان بعضها وقع فيه الاختصار عما وقعت به الاطالة فى بعضها وان اخباره صلى الله عليه وسلم بان الملائكة كانوا ثلاثة لا ينافى اخباره بانهم كانوا اثنين ونسبة الاخذ والاضجاع والشق للبطن أو الصدر الى الثلاثة أو الى الاثنين لا ينافى ان متعاطى ذلك واحد منهم كما أخبر به أخوه وجاء التصريح به فى بعض الروايات وأن التعبير فى بعضها بشق البطن هو المراد بشق الصدر الى منتهى العانة فى بعضها وأنه ليس المراد بشق البطن أو شق الصدر شق القلب لما تقدم فى الرواية واستخرج احشاء بطنى ثم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قال لصاحبه تنح عنه فنحاه عنى ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى فصدعه الحديث وأنه يجوز أن يكون الطست كان متعددا واحدا من زمردة خضراء وواحدا من ذهب وأن الاول كان فارغا معدا لان يلقى فيه ماء يغسل به باطنه أى مع احشائه ومنها أى من جملة الاحشاء ظاهر قلبه من الابريق الفضة وان الثانى كان مملوأ ثلجا معدا لان يغسل به قلبه أى داخل قلبه وحينئذ يكون فى بعض الروايات اقتصر على القلب وفى بعضها جمع بينه وبين الاحشاء فى ذلك ويحتاج الى الجمع بين كون الشق فى ذروة الجبل وكونه فى شفير الوادى وكون المخرج علقة وكونه مضغة وقد يقال جاز أن تكون

صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر لو كان أبو زهير حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر ان جفنة ابن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير وازدحم النبى صلى الله عليه وسلم مرة هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان فدفع النبى صلى الله عليه وسلم أبا جهل فوقع على ركبته فجرحه جرحا أثر فيها وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل بجفنة عبد الله ابن جدعان فى صكة عمى أى فى الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمى تصغير أعمى على الترخيم رجل من العماليق أوقع بالعدو القتل فى مثل ذلك الوقت وكان عبد الله بن جدعان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فتاكا لا يزال يجنى فيعقل عنه أبوه حتى أبغضته عشيرته وطرده أبوه وحلف لا يؤويه أبدا فخرج هائما فى شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا فى جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب أى رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذى كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك موتى ووجد فى ذلك المحل أموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه شيأ فشيأ ووجد فى ذلك الكنز لوحا من رخام مكتوبا عليه أنا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض ظاهرها وباطنها فى طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجى من الموت ثم بعث عبد الله بن جدعان الى أبيه بالمال الذى دفعه فى جناياته ووصل عشيرته كلهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف وفى رواية تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ولا يعز ظالم على مظلوم وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما اذ بعضهم ما بل بحر صوفة وما رسا حراء وثبير مكانهما والمراد الابد وكان معهم فى ذلك الحلف رسول

ذروة

ذروة الجبل قريبة من شفير الوادى وأنه عبر عن الذى أخرجه وألقاه تارة بالعلقة وتارة بالمضغة ولعل تلك المضغة كانت قريبة من العلقة ولا يخفى أن هذه العلقة يحتمل أنها غير حبة القلب التى أخذت منها الحبة وهى علقة سوداء فى صميمه المسماة بسويداء القلب ويحتمل أنها هى والله أعلم وقد أشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

وأتت جده وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء
اذ أحاطت به ملائكة الله فظنت بانهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه وأخرج منه * مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو * دع مالم يدع له أنباء
صان أسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء

أى وأتت حليمة به جده والحال أنها فطمته والحال انه لحق بها من أجل فطامه ورده التألم الزائد وردها له لاجل أنه احدقت به ملائكة الله فظنتهم شياطين ورأى شدة محبتها له وتعلقها به وقد حصل لها من الوجد الذى هو الحب تحترق الاحشاء به وهى ما تحويه الضلوع وفارقته بعد ردها له كارهة لفراقه والحال انه كان مقيما عندها لا تمل ذلك منه وقد شق عن قلبه وأخرج من ذلك القلب عند غسله مضغة سوداء ختمت على ذلك القلب يمين الامين جبريل بخاتم والحال أن ذلك القلب الشريف قد أودع من الاسرار الالهية مالم تنشره أخبار لان تلك الاسرار لا يعلمها الا الله تعالى حفظ ذلك الختام أسراره التى أودعت فيه فلا الكسر واقع بذلك الختم ولا الاشاعة واقعة لتلك الاسرار (أقول) قد علمت أن صدره الشريف شق مرتين غير هذه المرة مرة عند مجئ الوحى ومرة عند المعراج وزاد بعضهم أنه شق عند بلوغه عشر سنين كما فى مسلم ولما بلغ عمره صلى الله عليه وسلم عشرين سنة أى ولعلها هى المعنية بقول صاحب المواهب وروى خامسة ولم تثبت وستأتى تلك الخامسة عن الدر المنثور وسيأتى ما فيها والله أعلم قال وفى المرة التى كان ابن عشر سنين أى وأشهر قال صلى الله عليه وسلم جاءنى رجلان فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فاضجعنى حلاوة القفا ثم شقا بطنى فكان أحدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب والآخر يغسل جوفى ثم شق قلبى فقال اخرج الغل والحسد منه فأخرج منه العلقة والمتبادر أن أل فى العلقة للعهد وهى العلقة السوداء التى تقدم أنها حظ الشيطان وأنها مغمزه فهى محل الغل والحسد وفيه انه تقدم أيضا ان تلك العلقة أخرجت وألقيت قبل هذه المرة وتكرر نبذها مستحيل الا أن تحمل العلقة على جزء بقى من اجزائها بناء على جواز أنها تجزأت أكثر من جزءين المعبر عنهما فيما تقدم عن بعض الروايات علقتين سوداوين الا ان يقال المراد بقوله فأخرج منه العلقة أى أخرج ما هو كالعلقة أى شيأ يشبه العلقة كما سيأتى التصريح بذلك فى بعض الروايات فأدخل شيأ كهيئة الفضة ثم أخرج ذرورا كان معه فذره عليه أى على شق القلب ليلتحم به ثم نقر ابهامى ثم قال اغد واسلم (أقول) لم يذكر فى هذه المرة الختم وظاهر هذه الرواية أن الصدر

الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول ما أحب ان لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم أى الابل وانى أغدر به بالغين المعجمة والدال المهملة أى لا أحب الغدر به وان أعطيت حمر الابل فى ذلك وفى رواية لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب ان لى به حمر النعم أى بفواته ولو دعى به فى الاسلام لاجبت أى لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم ووقع فى بعض الروايات انه حضر حلف المطيبين وذلك خطأ لان حلف المطيبين كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم لانه وقع بين بنى عبد مناف بن قصى وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبنى زهرة وبنى أسد بن عبد العزى وبنى تيم وبنى الحرث بن فهر وهم المطيبون مع بنى عمهم عبد الدار بن قصى واحلافهم بنى مخزوم وبنى سهم وبنى جمح وبنى عدى ويقال لهم الاحلاف وأجيب بان الذين تعاقدوا فى حلف الفضول جل المطيبين وهم أهل العقد الاول فأطلق عليه انه هو السبب فى هذا الحلف أعنى حلف الفضول الواقع فى دار عبد الله بن جدعان والحامل عليه ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى ابن وائل السهمى وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستدعى عليه الزبيدى الاحلاف بنى عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاصى وانتهروه أى أظهر والله الشر فرقى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت مكارمه * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان ومن معهم وقيل قام فيه العباس وأبو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يردوا اليه حقه شريفا أو وضيعا

ثم مشوا الى العاصى بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها اليه * وذكر السهيلى ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له من أضوأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد جردوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فمالك فقال ان نبيها ظلمنى فى بنتى فنزعها منى قسرا فساروا اليه فقالوا ارددها فقال أفعل ولكن متعونى بها الليلة فقالوا والله ولا شخب لقحة أى مقدار زمن ذلك فأخرجها اليهم وفى سيرة الحافظ الدمياطى قال كان بين الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان منازعة فى مال يتعلق بالحسين فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنصفنى من حقى أولآخذن سيفى ثم لاقومن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون لحلف الفضول أى لحلف كحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على من ظلمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله بن الزبير لانه كان اذذاك بالمدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضى والله أعلم

باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا مع ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها

وذلك لما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وسبب ذلك ان عمه أبا طالب قال له يا ابن أخى أنا رجل لا مال لى وقد اشتد علينا الزمان وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون فى مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت أكره أن تأتى الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بدا فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل الى فى ذلك فقال أبو طالب انى أخاف أن تولى غيرك فتطلب أمرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقد علمت قبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه

النجم بمجرد ذر الذرور وتقدم فى قصة الرضاع أن ذلك كان من امرار يد الملك واستمر أثر التئام الشق يشاهد كالشراك وفى الدر المنثور عن زوائد مسند الامام أحمد عن أبى بن كعب عن أبى هريرة قال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت يا أبا هريرة انى لفى صحراء ابن عشرين سنة وأشهر اذا بكلام فوق رأسى واذا برجل يقول لرجل أهو هو فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا الى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى لا أجد لاخذهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعانى بلا قصر ولا هصر أى من غير اتعاب فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيأ كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذى أخرج أى ليدخله شبه الفضة ثم نقر ابهام رجلى اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت أغدو بها رأفة على الصغير ورحمة على الكبير ولم يذكر فى هذه المرة الغسل فضلا عما يغسل به ولم يذكر الختم ولكن قول الرجل للآخر أهو هو يدل على ان الرجلين ليسا جبريل وميكائيل لانهما يعرفانه وقد فعلا به ذلك فى قصة الرضاع وقد يدعى ان هذه الرواية هى عين الرواية قبلها وذكر عشرين سنة غلط من الراوى وانما هى عشر سنين ثم رأيت ما يصرح بذلك وهو كان سنه عشر حجج وقد تحمل هذه المرة أى كونه ابن عشرين سنة على ان ذلك كان فى المنام وان كان خلاف ظاهر السياق وقال صلى الله عليه وسلم فى المرة التى هى عند ابتداء الوحى جاءنى جبريل وميكائيل فأخذنى جبريل وأقفانى لحلاوة القفا ثم شق عن قلبى فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ولم يبين ذلك ما هو ثم غسله فى طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لامه أى بذلك الذرور أو بامرار يده أو بهما جميعا ثم اكفانى كما يكفى الاناء ثم ختم فى ظهرى يحتمل أن يكون المراد فى غير المحل الذى ختمه فى قصة الرضاع وهو بين كتفيه ويحتمل أن المراد بظهره المحل الذى ختمه فى قصة الرضاع وفيه أنه لا معنى لوضع الختم على الختم كما تقدم ويمكن أن تكون الحكمة فى الجمع بين جبريل وميكائيل ان ميكائيل ملك الرزق الذى به حياة الاجساد والاشباح وجبريل ملك الوحى الذى به حياة القلوب والارواح والمرة التى هى عند المعراج سيأتى الكلام عليها وفيها أن الخاتم وقع بين كتفيه وفيه ما علمت وقد علمت أن شق الصدر والبطن غير شق القلب وان شق القلب واخراج العلقة السوداء التى هى حظ الشيطان ومغمزه مما اختص به صلى الله عليه وسلم عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما فى بعض الآثار ان التابوت أى تابوت بنى اسرائيل كان فيه الطست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء المراد ظاهر قلوبهم لان القلب من جملة الاحشاء التى غسلت بغسل الصدر أو البطن كما تقدم على ان ابن دحية ذكر أنه أثر باطل وقد يطلق الصدر على القلب من باب تسمية الحال باسم محله ومنه ما وقع فى قصة المعراج ثم أتى بطست ممتلئ حكمة وايمانا فافرغ فى صدره ومنه قول الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى ان شق صدره الشريف من خصائصه صلى الله عليه وسلم على الاصح من القولين أى شق قلبه وسيأتى الكلام على ذلك فى الكلام على المعراج بما هو

ابسط

فقالت ما علمت انه يريد هذا وأرسلت اليه وقالت دعانى الى البعثة اليك ما بلغنى من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لعمه فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج ومعه ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها فى تجارة لها وقالت لميسرة لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به أهل العير ومن حين مسيره صلى الله عليه وسلم ظللته الغمامة وكانت خديجة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فتكون عيرها كعامة قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن منهم تاجرا فليس عندهم بشئ فسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سوق بصرى فنزل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة نسطورا الراهب فاطلع نسطورا الى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذى تحت هذه الشجرة فقال رجل من قريش من أهل الحرم فقال لهم الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى عليه السلام الا نبى وفى رواية ان الراهب دنا اليه صلى الله عليه وسلم بعد ان عرف العلامات الدالة على نبوته المذكورة فى الكتب القديمة كحمرة عينيه وقبل رأسه وقدميه وقال آمنت بك وأنا أشهد أنك الذى ذكر الله فى التوراة فلما رأى الخاتم قبله وفى رواية قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها الدالة على نبوتك المذكورة فى الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فاوضح لى عن كتفك فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل عليه يقبله ويقول أشهد انك رسول الله النبى الامى الذى بشر بك عيسى فانه قال لا ينزل بعدى تحت هذه الشجرة الا النبى الامى الهاشمى العربى المكى صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد ولا بعد فى بقاء الشجرة من زمن عيسى الى زمنه صلى الله عليهما وسلم لاحتمال ان بقاءها معجزة أوانها كانت شجرة زيتون لان شجر الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنة ولا مانع أيضا ان الله صرف الخلق عن النزول تحتها حتى نزل صلى الله عليه

أبسط مما هنا وعن حليمة رضى الله تعالى عنها أنها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه أن يذهب مكانا بعيدا أى عنها فغفلت عنه صلى الله عليه وسلم يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته أى من الرضاعة وهى الشيماء وكانت تحضنه مع امها أى ولذلك تدعى أم النبى أيضا ه أى وكانت ترقصه بقولها

هذا أخ لى لم تلده أمى * وليس من نسل أبى وعمى * فأنمه اللهم فيما تنمى

فقالت فى هذا الحر أى لا ينبغى أن يكون فى هذا الحر فقالت اخته يا أمه ما وجد اخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول حقا يا بنية قالت أى والله فجعلت تقول أعوذ بالله من شر ما يحذر على ابنى أى وفى كلام بعضهم ورأت يعنى حليمة الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت وقد يقال الرؤية فى حق حليمة علمية وفى حق اخته بصرية فلا مخالفة أوانها ابصرتها بعد الاخبار بها كما يدل على ذلك القول بانه افزعها ذلك من أمره أى وفى كونها افزعت من ذلك بعد اخبار اخته لها بذلك شئ فقدمت به على أمه (أقول) عن الواقدى أن حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم الى مكة لتردّه لامه رأت غمامة تظله فى الطريق ان سار سارت وان وقف وقفت وسياق هذه الرواية يقتضى انها ردته الى امه عقب مجيئها به من مكة وان ذلك كان قبل شق صدره عندها وحينئذ تكون هذه قدمة ثانية لحليمة الى مكة كانت قبل شق صدره ففى القدمة الاولى كان سنه صلى الله عليه وسلم سنتين وفى هذه القدمة كان سنه صلى الله عليه وسلم سنتين وأشهرا وتكون هذه المرة الثانية محمل قول حليمة فوالله أنه بعد مقدمنا باشهر وقول ابن الاثير بشهرين أو ثلاثة وأما فى القدمة الثالثة وهى التى بعد شق صدره وتركها له صلى الله عليه وسلم عند أمه كان سنه أربع سنين وفيها كانت وفاتها على ما يأتى وقيل خمس سنين قاله ابن عباس وقيل ست سنين ويكون بعض الرواة اشتبه عليه الامر وظن ان هذه القدمة الثانية التى قبل شق صدره هى الثالثة التى بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم فلزم الاشكال فتأمل ذلك تأملا جيدا ولا تكن ممن يفهم تقليدا والله أعلم ووفدت عليه صلى الله عليه وسلم حليمة بعد تزوجه خديجة تشكو اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة فاعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات جمع بكرة وهى الثنية من الابل أى وفى رواية أربعين شاة وبعيرا اه ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه أى فقد قال بعضهم لم تره بعد ان ردته الا مرتين احداهما بعد تزوجه خديجة أى وعليه تكون هذه المرة هى التى قدمت فيها مع زوجها وولدها وأجلسهم على ردائه أى ثوبه الذى كان جالسا عليه كما تقدم والمرة الثانية يوم حنين * وفى كلام القاضى عياض ثم جاءت أبا بكر ففعل ذلك أى بسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل كذلك ه وفى كلام ابن كثير ان حديث مجئ أمه صلى الله عليه وسلم اليه فى حنين غريب وان كان محفوظا فقد عمرت دهرا طويلا لان من وقت أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقت الجعرانة أى بعد رجوعه من حنين أزيد من ستين سنة وأقل ما كان عمرها حين أرضعته عليه الصلاة والسلام ثلاثين سنة وكونها وفدت على أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما تزيد المدة على المائة وعن أبى الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه

وسلم أو المراد ينزل تحتها فيميل ظلها اليه فهذا لم يكن لغيره وفي رواية قال لميسرة أفي عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه أبدا قال
هو هو وهو آخر الانبياء ويا ليتني أدركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم حضر صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته
التي خرج بها وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط
فقال الرجل القول قولك ثم قال
الرجل لميسرة وخلا به هذا نبي
والذي نفسي بيده انه الذي تجده
أحبارنا منعوتا في كتبهم فوعى
ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير
جميعا وكان ميسرة يرى في الهاجرة
ملكين يظلانه في الشمس ولما
رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة
وخديجة في علية أي غرفة عالية
لها رأت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو على بعير وملكان يظلانه
رواه أبو نعيم وزاد غيره فأرته
نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها
صلى الله عليه وسلم فأخبرها بما
ربحوا فسرت فلما دخل عليها
ميسرة أخبرته بما رأت فقال قد
رأيت هذا منذ خرجنا وأخبرها
بقول نسطورا وقول الآخر
الذي حالفه في البيع وقدم صلى
الله عليه وسلم بتجارتها فربحت
ضعف ما كانت تربح واضعفت
له ما كانت سمته له وفي رواية
باعوا متاعهم وربحوا ربحا
ما ربحوا مثله قط حتى قال ميسرة
يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سفرة
ما رأينا ربحا قط أكثر من هذا
الربح على وجهك وقبل ان يصلوا
الى بصرى عيي بعيران لخديجة
وتخلف معهما ميسرة وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم في أول
الركب فخاف ميسرة على نفسه
وخاف على البعيرين فانطلق يسعى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبره بذلك فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين ووضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا
في أول الركب ولهما رغاء وألقى الله محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلب ميسرة حتى كأنه عبده ولما بلغوا مر الظهران أمره النبي
صلى الله عليه وسلم بالتقدم قبله ليخبرها بربح تلك التجارة ويعجل البشرى لها وفي رؤية ميسرة للملائكة الذين يظلونه عليه الصلاة

وسلم يقسم لحما بالجعرانة أي بعد رجوعه من حنين كما تقدم والطائف وأنا غلام شاب فاقبلت
امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه قيل أمه التي
أرضعته صلى الله عليه وسلم وفي رواية استأذنت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم قد كانت
ترضعه فلما دخلت عليه قال أمي أمي وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه اه وتقدم عن
شرح الهمزية لابن حجر ان من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وفي الاصل
ومن الناس من ينكر اسلامها وأشار بذلك الى شيخه الحافظ الدمياطي فانه من جملة المنكرين
حيث قال أي في سيرته حليمة لا يعرف لها صحبة ولا اسلام وقد وهم غير واحد فذكروها
في الصحابة وليس بشئ وكان الانسب ان يقول ذكروا اسلامها وليس بشئ ويوافقه قول
الحافظ ابن كثير الظاهر ان حليمة لم تدرك البعثة ورده بعضهم فقال اسلامها لا شك فيه عند
جماهير العلماء ولا يعول على قول بعض المتأخرين انه لم يثبت فقد روى ابن حبان حديثا صحيحا
دل على اسلامها وأنكر الحافظ الدمياطي وفودها عليه في حنين وقال الوافدة عليه في ذلك انما
هي اخته من الرضاعة وهي الشيماء (أقول) وعلى صحة ما قاله الحافظ الدمياطي لا ينافيه قوله
صلى الله عليه وسلم أمي أمي لانه كان يقال لاخته الشيماء أم النبي صلى الله عليه وسلم لانها كانت
تحضنه مع امها كما تقدم ولا قول بعض الصحابة امه التي أرضعته لانه يجوز انه لما قيل أمه حملها
على المرضعة له صلى الله عليه وسلم لتيقن موت امه من النسب وعلى كون الوافدة عليه في حنين
أخته اقتصر في الهدى والله أعلم (أقول) قال الحافظ ابن حجر بعد ان أورد عدة آثار في مجئ
أمه من الرضاعة اليه صلى الله عليه وسلم في حنين وفي تعدد هذه الطرق ما يقتضي ان لها اصلا
أصيلا وفي اتفاق الطرق على انها أمه رد على من زعم ان التي قدمت عليه أخته اه (أقول)
لا رد في ذلك لانه علم ان أخته المذكورة كان يقال لها أم النبي صلى الله عليه وسلم ووصف بعض
الصحابة اياها بانها امه من الرضاعة تقدم انه يجوز ان يكون بحسب ما فهم ومما يعين انها أخته
ما سيأتي انها لما أخذت في حنين من جملة سبي هوازن قالت للمسلمين انا أخت صاحبكم فلما
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا رسول الله أنا اختك قال وما علامة ذلك قالت
عضة عضيتنيها في ظهري وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها
قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه الى آخر ما يأتي * وكلام المواهب يقتضي
انهما قضيتان واحدة كانت فيها أخته والاخرى كانت فيها أمه من الرضاعة حيث قال وقد روى
ان خيلا له صلى الله عليه وسلم أغارت على هوازن فأخذوها يعني اخته من الرضاعة التي هي
الشيماء فقالت أنا أخت صاحبكم الى ان قال فبسط لها رداءه وأجلسها عليه فأسلمت ثم قال
وجاءته يعني امه من الرضاعة التي هي حليمة يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها وجلست
عليه وهذا كما ترى يوهم ان الخيل التي أغارت على هوازن التي كانت فيها أخته لم تكن في حنين
وان أمه لم تكن يوم حنين في سبي هوازن مع ان القصة واحدة وان سبي هوازن كان يوم حنين
فيلزم ان يكون جاء اليه يوم حنين كل من أمه وأخته من الرضاعة الاولى في غير السبي والثانية
في السبي وانه فرش لكل رداءه وهو تابع في ذلك لابن عبد البر حيث قال في الاستيعاب حليمة

السعدية

والسلام دليل على جواز رؤية الملك ووقع رؤية جبريل عليه السلام لجمع من الصحابة رضي الله عنهم قال الغزالي في كتابه المسمى
المنقذ من الضلالة ان الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم
مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله بالكلية علما دائما وعملا مستمرا نقله الحلبي في السيرة
وذكر فيها أن خديجة رضي الله
عنها استأجرت النبي صلى الله عليه
وسلم أيضا سفرتين الى جرش بضم
الجيم وفتح الراء وبالشين وهو
موضع باليمن وهو المراد بقول
بعضهم سوق حباشة وذلك يفيد
انه صلى الله عليه وسلم سافر لها
سفرات (وتزوج) صلى الله عليه
وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين
وعشرين يوما وكانت تدعى في
الجاهلية والاسلام بالطاهرة
لشدة عفتها وصيانتها وتسمى أيضا
سيدة نساء قريش وكانت تحت
النباش ويكنى بابي هالة بن زرارة
التميمي ومات في الجاهلية وكانت
ولدت له هند بن أبي هالة وهو من
الصحابة رضي الله عنه كان يروى
عنه الحسن بن علي رضي الله عنه
ويقول حدثني خالي لانه أخو
فاطمة رضي الله عنها لامها وقتل
رضي الله عنه مع علي يوم الجمل
وولدت له أيضا ذكرا آخر يسمى
هالة فهند وهالة ذكران ثم بعد
موت أبي هالة تزوجها عتيق بن
عابد بالباء المخزومي فولدت له بنتا
اسمها هند أسلمت وصحبت النبي
صلى الله عليه وسلم ولم تروشيأ
وقيل ان عتيقا تزوجها قبل النباش
وكان لها حين تزوجها النبي صلى
الله عليه وسلم من العمر أربعون
سنة وبعض أخرى وكانت عرضت
نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد
رغبت فيك لقرابتك ووساطتك
في قومك وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك (وعن نفيسة بنت منية) قالت كانت خديجة امرأة
حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل
قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فأرسلتني دسيسا الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع

السعدية أم النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها
رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة أخت النبي صلى
الله عليه وسلم من الرضاعة يقال لها الشيماء اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن
فأخذوها فيما اخذوا من السبي الحديث وكون عبد الله بن جعفر روى عن حليمة قال الحافظ
ابن حجر لا يتهيأ له السماع منها الا بعد الهجرة بسبع سنين فأكثر لانه قدم من الحبشة مع أبيه
الذي هو جعفر بن أبي طالب في خيبر سنة سبع وتبعد حياتها او بقاؤها الى ذلك الزمن وفيه ان
حنينا بعد خيبر وأبعد من ذلك وفودها على ابي بكر وعمر وقد تقدم ما يشعر باستبعاد ذلك عن
ابن كثير والذي يتجه ان الوافدة عليه في حنين أخته لا أمه كما يقول الحافظ الدمياطي والله
أعلم قال قال أبو الفرج بن الجوزي ثم قدمت أي حليمة عليه بعد النبوة فاسلمت وبايعت أي
فلا يقال سلمنا ان حليمة هي القادمة عليه أي بعد النبوة فما الدليل على اسلامها اه (أقول)
كان من حقه ان يقول بدل هذه العبارة التي ذكرها وانما قال يعني ابن الجوزي فاسلمت بعد
قوله قدمت عليه بعد النبوة لانه لا يلزم من قدومها عليه بعد النبوة اسلامها وفي كون
قول ابن الجوزي فاسلمت دليلا على اسلامها نظر بل هي دعوى تحتاج الى دليل الا ان يقال
قول ابن الجوزي فاسلمت دليل لنا على اسلامها والله أعلم وذكر الذهبي ان التي وفدت عليه
صلى الله عليه وسلم في الجعرانة يجوز ان تكون ثويبة ونظر فيه بان ثويبة توفيت سنة سبع
أي من الهجرة أي مرجعه من خيبر على ما تقدم (أقول) ذكر في النور ان الحافظ مغلطاي
له مؤلف في اسلام حليمة سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة وذكر بعضهم انه صلى الله عليه
وسلم لم ترضعه مرضعة الا وأسلمت لكن هذا البعض قال ومرضعاته صلى الله عليه وسلم أربع
امه وحليمة السعدية وثويبة وأم أيمن أيضا وهو يؤيد ما تقدم عن ابن منده من اسلام ثويبة
وأما اسلام أمه آمنة فسنذكره وكون أم أيمن أرضعته صلى الله عليه وسلم تقدم ما فيه والله
سبحانه وتعالى أعلم

﴿باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم وحضانة أم أيمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه﴾

أي اختصاصه بذلك ذكر ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت أمه لما بلغ ست
سنين وقيل كان سنه أربع سنين وبه صدر في المواهب أي وهو يرد القول بان حليمة لما ردته الى
أمه كان عمره خمس أو ست سنين قال وقيل كان سنه صلى الله عليه وسلم سبع سنين وقيل ثمان
وقيل تسع وقيل اثنتي عشرة وشهرا وعشرة أيام اه ووفاتها كانت بالابواء وهو محل بين مكة
والمدينة أي وهو الى المدينة أقرب وسمي بذلك لان السيول تتبوأه أي تحل فيه ودفنت به
فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما مر بالابواء في عمرة الحديبية قال ان الله أذن لمحمد في زيارة قبر
أمه فأتاه وأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه صلى الله عليه وسلم وقيل له في ذلك فقال
أدركتني رحمتها فبكيت وكان موتها وهي راجعة به صلى الله عليه وسلم من المدينة من زيارة
أخواله أي أخوال جده عبد المطلب لان أم عبد المطلب من بني عدي بن النجار كما تقدم بعد
ان مكثت عندهم شهرا ومرضت في الطريق ومعها أم أيمن بركة الحبشية التي ورثها من أبيه

في عيرها من الشام فقالت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج فقال ما بيدى ما أتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب قال فمن هى قلت خديجة قال وكيف لى بذلك فذهبت فأخبرتها فأرسلت اليه ان ائت لساعة كذا وأرسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فذكر صلى

الله عليه وسلم ذلك لأعمامه وسبب عرضها نفسها ما حدثها به غلامها ميسرة مع مارأته من الآيات وقد ذكرت مارأته من الآيات وما حدثها به ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تدين بشريعة عيسى عليه السلام قبل نسخها فقال لها ان كان هذا حقا ياخديجة فان محمدا نبى هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبى منتظر وهذا زمانه وذكر ابن اسحق انه كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودى فقال يامعشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبى فأيتكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه بالحجارة وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك فى نفسها فلما أخبرها ميسرة بما رأى من الآيات مع مارأته هى قالت ان كان ماقال اليهودى حقا ماذاك الا هذا فلما أخبر أعمامه بذلك فرحوا وخرج معه أبو طالب وحمزة حتى دخلا على خويلد أبيها وقيل على عمها عمرو بن أسد ابن عبد العزى بن قصى بن كلاب فخطبها أبو طالب من خويلد أو عمرو للنبى صلى الله عليه وسلم فرضى وأصدقها عشرين بكرة وقيل اثنتى عشرة أوقية ونشا والنش نصف أوقية وقيل على أربعمائة دينار وخطب أبو طالب وحضر رؤساء مضر وحضر أبو بكر رضى الله عنه ذلك العقد فقال أبو طالب الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل

عبد الله على ما تقدم فحضنته وجاءت به الى جده عبد المطلب أى بعد خمسة أيام من موت أمه فضمه اليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده هذا وفى كلام بعضهم وبقى النبى صلى الله عليه وسلم بعد موت أمه بالابواء حتى أتاه الخبر الى مكة وجاءت أم أيمن مولاة أبيه عبد الله فاحتملته وذلك الخامسة من موت أمه فليتأمل وكون موت أمه صلى الله عليه وسلم كان فى حياة عبد المطلب هو المشهور الذى لا يكاد يعرف غيره وبه يرد قول من قال ان موت عبد المطلب كان قبل موت أمه صلى الله عليه وسلم بسنتين أى وكان صلى الله عليه وسلم يقول لام أيمن أنت أمى بعد أمى ويقول أم أيمن أمى بعد أمى وفى القاموس دار رابغة بالغين المعجمة بمكة فيها مدفن أمه صلى الله عليه وسلم ولم أقف على محل تلك الدار من مكة قال وقيل توفيت أى دفنت بالحجون بشعب أبى ذؤيب وغلط قائله وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه طفق أى شرع يقول ياحميراء استمسكى فاستندت الى جنب البعير فمكث عنى طويلا ثم عاد الى وهو فرح متبسم فقلت له بأبى أنت وأمى يارسول الله نزلت من عندى وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم انك عدت الى وأنت فرح متبسم فمم ذاك قال ذهبت لقبر أمى فسألت ربى ان يحييها فأحياها فآمنت وردها الله تعالى وهذا الحديث قد حكم بضعفه جماعة منهم الحافظ أبو الفضل بن ناصر الدين والجوزقانى وابن الجوزى والذهبى فى الميزان وأقره على ذلك الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان جعله ابن شاهين ومن تبعه ناسخا لاحاديث النهى عن الاستغفار أى لها * منها ماجاء انه صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أى ولعله فى عمرة القضاء لانه لم يقدم مكة نهارا مع أصحابه قبل حجة الوداع الا فى ذلك أتى رسم قبر أمه فجلس اليه فناجاه طويلا ثم بكى قال ابن مسعود فبكينا لبكائه صلى الله عليه وسلم ثم قام ثم دعانا فقال ما أبكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذى جلست عنده قبر آمنة الحديث وفى رواية أتى قبر أمه فجلس اليه فجعل يخاطبه ثم قام مستعبرا فقال بعض الصحابة يارسول الله قد رأينا ما صنعت قال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وفى رواية ان جبريل عليه السلام ضرب فى صدره صلى الله عليه وسلم وقال لا تستغفر لمن مات مشركا فما روئى باكيا أكثر منه يومئذ وفى رواية استأذنته فى الدعاء لها أى بالاستغفار فلم يأذن لى وأنزل على "ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى" فأخذنى ما يأخذ الولد للوالد قال القاضى عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من ادراك أيامه والايمان به أى النافع اجماعا وكونه ناسخا لذلك غير جيد لان أحاديث النهى عن الاستغفار بعض طرقها صحيح رواه مسلم وابن حبان فى صحيحيهما ونص مسلم استأذنت ربى ان أستغفر لامى فلم يأذن لى واستأذنته فى ان أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة وفى لفظ تذكركم الموت وهذا الحديث أى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها على تسليم ضعفه أى دون وضعه لا يكون ناسخا للاحاديث الصحيحة (أقول) ذكر الواحدى فى أسباب النزول ان آيتى ما كان للنبى والذين آمنوا وما كان استغفار ابراهيم لابيه نزلتا لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب بعد موته فقال

المسلمون

ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم

ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش بانى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على كذا ثم سكت فقال أبو طالب قد أحببت ان يشركك عمها فقال عمها اشهدوا على يامعشر قريش انى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد فقبل النبى صلى الله عليه وسلم النكاح وشهد على ذلك صناديد قريش والمحققون على ان الذى أنكحها عمها عمرو بن أسد وان أباها خويلدا مات قبل حرب الفجار قيل لما تزوجها صلى الله عليه وسلم ذهب ليخرج فقالت له الى أين يا محمد اذهب وانحر جزورا أو جزورين واطعم الناس ففعل وهى أول وليمة أولمها صلى الله عليه وسلم وفى رواية فأمرت خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن بالدفوف وقالت مر عمك ينحر بكرا من بكراتك واطعم الناس وهلم فقل مع أهلك فاطعم الناس ودخل صلى الله عليه وسلم فقال معها فأقر الله عينه وفرح أبو طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذى أذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم جاء يوما عند خديجة قبل ان تتزوج به فأخذت بيده وضمته الى صدرها ثم قالت بأبى أنت وأمى ما أفعل هذا الشئ ولكن أرجو ان تكون أنت النبى الذى سيبعث فان تكن هو فاعرف حقى ومنزلتى وادع الاله الذى سيبعثك لى فقال لها والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندى ما لا أضيعه أبدا وان يكن غيرى فان الاله الذى تصنعين هذا لاجله لا يضيعك أبدا وقد أشار صاحب الهمزية لبعض ما تقدم بقوله

ورأته خديجة والتقى والـ ... زهد فيه سجية والحياء
وأتاها ان الغمامة والسر ... ح أظلته منهما أفياء

المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا ولذى قرابتنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه وقد استغفر ابراهيم لابيه أى فنزولهما كان عقب موت أبى طالب لا يقال جاز ان تكون آية ما كان للنبى تكرر نزولها لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه ولما استغفر لامه لانا نقول كونه يعود للاستغفار بعد ان نهى عنه فيه ما فيه أو المراد بالنسخ المعارضة يعنى قول ابن شاهين انه ناسخ أحاديث النهى عن الاستغفار أى معارض لها اذ لا معنى للنسخ هنا على انه لا معارضة لان النهى عن الاستغفار لها كان قبل أن تؤمن واذا ثبت ما تقدم عن عائشة رضى الله تعالى عنها وما بعده كان دليلا لمن يقول قبر أمه صلى الله عليه وسلم بمكة وعلى كونها دفنت بالابواء اقتصر الحافظ الدمياطى فى سيرته وكذا ابن هشام فى سيرته وفى الوفاء عن ابن سعد ان كون قبرها بمكة غلط وانما قبرها بالابواء وقد يقال على تقدير صحة الحديثين أى انها دفنت بالابواء وانها دفنت بمكة يجوز انها تكون دفنت أولا بالابواء ثم نقلت من ذلك المحل الى مكة فعلم ان بكاءه صلى الله عليه وسلم كان قبل أن يحييها الله وتؤمن به ومن ثم قال الحافظ السيوطى ان هذا الحديث أى حديث عائشة قيل انه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه هذا كلامه ويجوز ان يكون قوله لشخصين أمى وأمكما فى النار على تقدير صحته التى ادعاها الحاكم فى المستدرك كان قبل احيائها وايمانها به كما تقدم نظير ذلك فى أبيه صلى الله عليه وسلم وقولنا على تقدير صحة الحديث اشارة لما تقرر فى علوم الحديث انه لا يقبل تفرد الحاكم بالتصحيح فى المستدرك لما عرف من تساهله فيه فى التصحيح وقد بين الذهبى ضعف هذا الحديث وحلف على عدم صحته يمينا وتقدم الجواب عما يقال كيف ينفع الايمان بعد الموت وتقدم ما فيه على ان هذا أى منع الاستغفار لها انما يأتى على القول بأن من بدل أو غير أو عبد الاصنام من أهل الفترة معذب وهو قول ضعيف مبنى على وجوب الايمان والتوحيد بالعقل والذى عليه أكثر أهل السنة والجماعة انه لا يجب ذلك الا بارسال الرسل ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل وان اسمعيل انتهت رسالته بموته كبقية الرسل لان ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فعليه أهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم وان غيروا أو بدلوا أو عبدوا الاصنام والاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر أى من غير أو بدل أو عبد الاصنام مؤولة أو خرجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام ثم رأيت بعضهم رجح ان التكليف بوجوب الايمان بالله تعالى وتوحيده أى بعدم عبادة الاصنام يكفى فيه وجود رسول دعا الى ذلك وان لم يكن ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص بان لم يدرك زمنه حيث بلغه انه دعا الى ذلك أو أمكنه علم ذلك وان التكليف بغير ذلك من الفروع لا بد فيه من ان يكون ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص وقد بلغته دعوته وعلى هذا فمن لم يدرك زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ولا زمن من قبله من الرسل معذب على الاشراك بالله بعبادة الاصنام لانه على فرض ان لا تبلغه دعوة أحد من الرسل السابقين الى الايمان بالله وتوحيده لكنه كان متمكنا من علم ذلك فهو تعذيب بعد بعث الرسل لا قبله وحينئذ لا يشكل ما أخرجه الطبرانى فى الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بعث الله نبيا

وأحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء　　فدعته الى الزواج وما أحسن ما يبلغ المنى الاذكياء

قال بعضهم وتظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تأسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة (وحضر) صلى الله عليه وسلم بنيان قريش الكعبة وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وذلك انه جاء سيل ودخل الكعبة وصدع جدرانها بعد توهينها من حريق أصابها بسبب ان امرأة بخرتها فطارت شرارة فى باب الكعبة فاحترقت جدرانها فلما أرادوا ان يضعوا الحجر الاسود واختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة فكان صلى الله عليه وسلم أول من خرج فحكم بينهم ان يجعلوه فى ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل وفى رواية انهم قالوا نحكم أول من يدخل من باب بنى شيبة فكان صلى الله عليه وسلم أول من دخل منه فاخبروه فأمر بثوب فوضع الحجر فى وسطه وأمر كل نخذ من قبائل قريش ان يأخذ بطائفة من الثوب فرفعوه ثم أخذه فوضعه بيده وذكر ابن اسحق ان الذى أشار عليهم أن يحكموا أول داخل أبو أمية المخزومى أخو الوليد بن المغيرة واسم أبى أمية حذيفة وكان أسن قريش وهو والد أم سلمة وعبد الله ابن أبى أمية وكان أحد رجال قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفى كل من سافر معه الزاد ثم انه مات على دين قومه ولم يدرك الاسلام ولما مات أبو أمية رثاه أبو طالب وغيره ورثاه أبو حجة بقوله

الا هلك الماجد الرافد　　وكل قريش له حاسد

ومن هو عصمة أيتامنا　　وغيث اذا فقد الراعد

وذكر السهيلى أن ابليس كان معهم فى صورة شيخ نجدى فصاح بأعلى صوته يا معشر قريش أقد رضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرف لكم غلام يتيم دون ذوى أسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكتوا يعنى وحضر صلى الله عليه وسلم معهم بناءها وكان ينقل معهم الحجارة من اجياد وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة فقال

الى قوم ثم قبضه الاجمل بعده فترة علا من تلك الفترة جهنم ولعل المراد المبالغة فى الكثرة والا فقد أخرج الشيخان عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط أى حسبى بعزتك وكرمك وأما بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثة رسول اليهم فاهل الفترة وان كانوا مقرين بالله الا انهم أشركوا بعبادة الاصنام فقد حكى الله تعالى عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد جاء النهى عن ذلك على ألسنة الرسل السابقين ووجه التفرقة بين الايمان والتوحيد وغير ذلك ان الشرائع بالنسبة للايمان بالله وتوحيده كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرائع عليه قيل وهو المراد من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فقد قال بعضهم المراد من الآية استواء الشرائع كلها فى أصل التوحيد أى ومن ثم قال فى تمام الآية ولا تتفرقوا فيه وقال لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ومن ثم قاتل بعض الانبياء غير قومه على الشرك بعبادة الاصنام ولو لم يكن الايمان والتوحيد لازما لهم لم يقاتلهم بخلاف غيره من الفروع فان الشرائع فيها مختلفة قال بعضهم سبب اختلاف الشرائع اختلاف الامم فى الاستعداد والقابلية والدليل على أن الانبياء متفقون على الايمان والتوحيد ما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال الانبياء أولاد علات أى أصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع شرائعهم لان العلات الضرائر فأولادهم اخوة من الاب وأمهاتهم مختلفة وقد جاء هذا التفسير فى نفس الحديث ففى بعض الروايات الانبياء اخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وبه يعلم ما فى كلام العلامة ابن حجر الهيتمى حيث ذكر ان الحق الواضح الذى لا غبار عليه ان أهل الفترة جميعهم ناجون وهم من لم يرسل لهم رسول يكلفهم بالايمان بالله عز وجل فالعرب حتى فى زمن أنبياء بنى اسرائيل أهل فترة لان تلك الرسل لم يؤمروا بدعايتهم الى الله تعالى وتعليمهم الايمان قال نعم من ورد فيه حديث صحيح من أهل الفترة بانه من أهل النار فان أمكن تأويله فذاك والا لزمنا ان نؤمن بهذا الفرد بخصوصه قال وأما قول الفخر الرازى لم تزل دعوة الرسل الى التوحيد معلومة فجوابه ان كل رسول انما أرسل الى قوم مخصوصين فمن لم يرسل اليه لا يعذب وجواب ما صح من تعذيب أهل الفترة انها أخبار آحاد فلا تعارض القطع أو يقصر التعذيب على ذلك الفرد بخصوصه أى حيث لا يقبل التأويل كما تقدم هذا كلامه هذا وقد جاء انهم أى أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فقد أخرج البزار عن ثوبان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل لنا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت الينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم ان أمرتكم بأمر تطيعونى فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فينطلقون حتى اذا رأوها فرقوا فرجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع ان ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن حجر فالظن بآله صلى الله عليه وسلم

العباس للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السماء ونودى يا محمد غط عورتك فلم ير عريانا بعد ذلك وبقى بنيان قريش هذا الى أن هدمها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وبناها على قواعد ابراهيم ثم لما قتله الحجاج ردها على بناء قريش وهو على الهيئة الموجودة الآن ﴿فائدة﴾ لما حوصر عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قاتل قتالا شديدا وثبت معه اناس ثم اشتد الامر عليهم فانصرفوا وأخذوا لانفسهم ذمة من الحجاج ولم يبق أحد معه الا عبد الله بن صفوان بن أمية فقاتل معه أشد القتال فأذن له عبد الله فى الانصراف وان يأخذ لنفسه عهدا وذمة من الحجاج فأبى وقال انى أقاتل على دينى فلم يزل يقاتل حتى قتل وهو متمسك بالكعبة ووقع لعبد الله بن الزبير مثله رضى الله عنهما فقتل وهو متعلق بالكعبة بعد ان أصيب بنيف وتسعين ما بين ضربة سيف وطعنة رمح رضى الله عنه

﴿باب ما جاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

عن أحبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار ومن طرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره وصفته فى الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرهما قال ابن اسحق كانت الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمنه (أما الاحبار) من اليهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وأما الكهان من العرب فجاءتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا تلقى العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التى كانوا يذكرونها فعرفوها

يعنى الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلى الله عليه وسلم لتقر عينه ويرجوان يدخل عبد المطلب الجنة فى جماعة من يدخلها طائعا الا أبا طالب فانه أدرك البعثة ولم يؤمن به أى بعد ان طلب منه الايمان * ومما استدل به الحافظ السيوطى على أن أبويه صلى الله عليه وسلم ليسا فى النار قال لانهما لو كانا فى النار لكانا أهون عذابا من أبى طالب لانهما أقرب منه وأبسط عذرا لانهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الاسلام فامتنعا بخلاف أبى طالب وقد أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم انه أهون أهل النار عذابا فليسا أبواه صلى الله عليه وسلم من أهلها قال وهذا يسمى عند أهل الاصول دلالة الاشارة وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد من أهل بيته أى ولا أحد من أشراف قريش اجلالا له فكان بنوه وسادات قريش يحدقون به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جفر أى شديد قوى حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى أى علم ذلك منهم دعوا ابنى فوالله ان له لشأنا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دعوا ابنى يجلس فانه يحس من نفسه بشئ أى بشرف وأرجو ان يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده وفى رواية دعوا ابنى انه ليؤنس ملكا أى يعلم من نفسه ان له ملكا وفى لفظ ردوا ابنى الى مجلسى فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سمعت أبى يقول كان لعبد المطلب مفرش فى الحجر لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب وذلك بعد ما كف بصره ما لابنى يبكى قالوا له أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابنى يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف أى يتيقن فى نفسه شرفا وأرجو ان يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده أى فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب أى ولعل هذا كان فى آخر الامر فلا ينافى ما تقدم الدال ظاهرا على تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم من اختلاف قول عبد المطلب والا فيحتمل أن اختلاف قول عبد المطلب جاء من اختلاف الرواة وقال لعبد المطلب قوم من بنى مدلج أى وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات احتفظ به فانا لم نر قدما أشبه بالقدم التى فى المقام منه أى وهى قدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام (أقول) أى فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أثرت قدماه فى المقام وهو الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت كما سيأتى وهو الذى يزار الآن بالمكان الذى يقال له مقام ابراهيم أى وقد أشار الى ذلك عمه أبو طالب فى قصيدته بقوله مقسما

وبالحجر المسود اذ يلثمونه　　اذا اكتنفوه فى الضحى والاصائل

وموطئ ابراهيم فى الصخر رطبة　　على قدميه حافيا غير ناعل

قال الحافظ ابن كثير يعنى ان رجله الكريمة غاصت فى الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا منتعلة * وعن أنس رضى الله تعالى عنه رأيت فى المقام أثر أصابع ابراهيم

وفى هذا التصريح بان الملائكة كانت تذكره صلى الله عليه وسلم فى السماء قبل وجوده فأما أخبار الاحبار من اليهود فنها ما تقدم
ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة رضى الله عنه وكان من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بنى عبد الاشهل فذكر عند قوم
أصحاب أوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يافلان أوترى هذا كائنا ان الناس
يبعثون بعد موتهم الى دار فيها
جنة ونار يجزون فيها باعمالهم قال
نعم والذى يحلف به ويود الشخص
أن له بحظه من تلك النار أعظم
تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه
فيطبقون عليه أى وينجو من
تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما
آية ذلك قال نبى يبعث من نحو
هذه البلاد وأشار بيده الى مكة
واليمن قالوا ومتى نراه فنظر الى
وأنا من أحدثهم سنا فقال ان
يستكمل هذا الغلام عمره يدركه
قال سلمة فوالله ماذهب الليل والنهار
حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم وهو أى ذلك اليهودى بين
أظهرنا فآمنا به وكفر بغيا
وحسدا فقلنا له ويحك يافلان
ألست الذى قلت لنا ما قلت قال
بلى ولكن ليس به (ومن ذلك)
ما جاء عن عمرو بن عبسة السلمى
رضى الله عنه قال رغبت عن آلهة
قومى فى الجاهلية أى تركت
عبادتها فلقيت رجلا من أهل
الكتاب من أهل تيماء وهى
قرية بين المدينة والشام فقلت
انى امرؤ ممن يعبد الحجارة فترى
الرجل منهم ليس معه اله فيخرج
فيأتى باربعة أحجار فينصب ثلاثة
لقدره أى يستخدمها ويجعل
أحسنها الها يعبده ثم لعله يجد
ماهو أحسن منه شكلا قبل أن
يرتحل فيتركه ويأخذ غيره واذا
نزل منزلا سواه ورأى ماهو أحسن
منه تركه وأخذ ذلك الاحسن فرأيت انه اله باطل لا ينفع ولا يضر فدلنى على خير من هذا فقال يخرج من مكة رجل قال
يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتى بافضل الدين فلم يكن لى همة منذ قال لى ذلك الا مكة آتى فاسأل
هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسألت فقيل لى حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتى

وعقبيه وأخمص قدميه غيران مسح الناس بايديهم أذهب ذلك أى ومشابهة قدمه صلى الله عليه وسلم لقدم سيدنا ابراهيم تدل على ان تلك الاقدام بعضها من بعض كما تقدم فى قول مجزز المدلجى فى زيد بن أسامة رضى الله عنهما وقد ناما وغطيا رؤسهما وبدت أقدامهما ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك صلى الله عليه وسلم لان فى ذلك ردا على من كان يطعن فى نسب اسامة بن زيد كما تقدم (وذكر بعضهم) أن نبينا صلى الله عليه وسلم أثر قدمه فى الحجر أيضا فقد أثر فى صخرة بيت المقدس ليلة الاسراء وان ذلك الاثر موجود الى الآن وذكر الجلال السيوطى انه لم يقف لذلك أى لتأثير قدمه صلى الله عليه وسلم فى الحجر على أصل ولا سند قال ولا رأيت من خرجه فى شئ من كتب الحديث وقال مثل ذلك فيما اشتهر على الالسنة من ان مرفقه الشريف لما ألصقه بالحائط غاص فى الحجر وأثر فيه وبه يسمى ذلك المحل بمكة بزقاق المرفق ومن العجب ان الجلال السيوطى مع قوله المذكور قال فى الخصائص الصغرى ولا وطئ على صخر الا وأثر فيه هذا كلامه ولعله ظهر له صحة ذلك بعد انكاره ودعوى انه صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا وأثر فيه قد يتوقف فيه ثم رأيت الامام السبكى ذكر تأثير قدمه الشريف فى الاحجار حيث قال فى تائيته

وأثر فى الاحجار مشيك ثم لم * يؤثر برمل أو ببطحاء رطبة

قال شارحها ولعل عدم تأثير قدمه الشريف فى الرمل كان ليلة ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الغار أى فليس كان هذا شأنه فى كل رمل مشى عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع قدمه عن الرمل يقول لابى بكر ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم أراد به اخفاء أثر سيره ليتحير المشركون فى طلبه وفيه ان هذا التعليل مقتض لتأثير قدمه الشريف فى الرمل لا لعدم تأثيره فى ذلك ويؤيد ذلك أنه سيأتى انهم قصوا أثره الى أن انقطع الاثر عند الغار أى وقال لهم القاص هذا أثر قدم ابن أبى قحافة وأما القدم الآخر فلا أعرفه الا انه يشبه القدم الذى فى المقام يعنى مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شئ أى محل كما سيأتى وفيه أن هذا أى تميز قدمه الشريف من قدم سيدنا أبى بكر ربما ينافيه قوله لابى بكر ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون قدم أبى بكر لم يكن مساويا لقدمه صلى الله عليه وسلم ولا يضر فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فان الرمل لا ينم لجواز أن يكون المراد لا يظهر فيه قدمى ظهورا بينا فصح قول القائف هذا أثر قدم ابن أبى قحافة وأما القدم الآخر الى آخره ولم يعترض هذا الشارح على تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم فى الحجارة بل أبدى لذلك حكما لا بأس بها فلتراجع وقوله فى الاحجار يدل على أنه تكرر تأثير قدمه الشريف فى الاحجار ولكن لم يكن ذلك شأنه صلى الله عليه وسلم فى كل حجر مشى عليه كما دلت عليه عبارة الجلال السيوطى والله أعلم * قال وبينا عبد المطلب يوما فى الحجر وعنده اسقف نجران والاسقف رئيس النصارى فى دينهم اشتق من السقف بالتحريك وهو طول الانحناء لانه يتخاشع أى يظهر الخشوع وذلك الاسقف يحادثه ويقول له انا نجد صفة نبى بقى من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا وأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه الاسقف والى عينيه والى ظهره والى قدميه وقال هو هذا ما هذا منك قال هذا ابنى

برحلى ثم قدمت منزلى الذى كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه أشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه
فسألته أى شئ أنت قال نبى قلت من نبأك قال الله قلت وبم أرسلك قال بعبادته وحده لا شريك له وبحقن الدماء وكسر الاوثان
وصلة الرحم وأمان السبيل فقلت نعم ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرنى ان أمكث معك أو أنصرف فقال
ألا ترى كراهة الناس ماجئت به
فلا تستطيع ان تمكث معى كن
فى أهلك فاذا سمعت بى قد خرجت
مخرجا فاتبعنى فكنت فى أهلى
حتى خرج الى المدينة فسرت اليه
وقلت يانبى الله أتعرفنى قال نعم
أنت السلمى الذى أتيتنى بمكة
(ومن ذلك) ماحدث به عاصم بن
عمرو بن قتادة عن رجال من قومه
قالوا انما دعانا الى الاسلام مع
رحمة الله وهداه ما نسمع من
أحبار يهود كنا أهل شرك أصحاب
أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم
علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا
وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض
ما يكرهون قالوا انه قد تقارب
زمان نبى يبعث نقتلكم قتل عاد
وارم أى يستأصلكم بالقتل
فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
أجبناه حين دعانا الى الله عز وجل
وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به
فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا
ففى ذلك نزلت هذه الآية فلما
جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله
على الكافرين (ومن ذلك)
ماحدث به شيخ من بنى قريظة ان
رجلا من يهود من أهل الشام
يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل
الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا
فوالله ما رأينا رجلا قط لا يصلى
الخمس أفضل منه أى لا نظن أحدا
من غير المسلمين أفضل منه لان
المسلمين يصلون الخمس فلا نافية لا زائدة فأقام عندنا فكنا اذا قحط المطر أى حبس قلنا اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول
لا والله حتى تقدموا بين يدى نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر
حرتنا فيستسقى لنا فوالله ما يبرح من محله حتى يمر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة أى لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل أكثر من

قال ما ينبغى أن يكون أبوه حيا قال هو ابن ابنى وقد مات أبوه وأمه حبلى به قال صدقت فقال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن أخيكم الا تسمعون ما يقال فيه انتهى * وعن أم أيمن كنت أحضن النبى صلى الله عليه وسلم أى أقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم أدر الا بعبد المطلب قائما على رأسى يقول يا بركة قلت لبيك قال تدرين أين وجدت ابنى قلت لا ادرى قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلى عن ابنى فان أهل الكتاب أى ومنهم سيف بن ذى يزن كما سيأتى يزعمون انه نبى هذه الامة وأنا لا آمن عليه منهم وكان لا يأكل يعنى عبد المطلب طعاما الا يقول على بابنى أى أحضروه قال وكان عبد المطلب اذا أتى بطعام أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه وربما أقعده على فخذه فيؤثره بأطيب طعامه انتهى * وعن بعضهم أى وهو حيدة بن معاوية العامرى كان من المعمرين وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم قال بعضهم مات وهو ابن ألف رجل وامرأة قال حججت فى الجاهلية فبينا أنا أطوف بالبيت اذا رجل وفى رواية اذا شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول * رد الى راكبى محمدا * وفى رواية

يارب رد راكبى محمدا * اردده ربى واصطنع عندى يدا

فقلت من هذا قالوا عبد المطلب بن هاشم بعث ابن ابنه فى طلب ابل له ضلت وما بعثه فى شئ الا جاء به قال وفى رواية هذا سيد قريش عبد المطلب له ابل كثيرة فاذا ضل منها شئ بعث فيه بنيه يطلبونها فاذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه فى حاجة الا نجح فيها وقد بعثه فى حاجة أعياعنها بنوه وقد أبطأ عليه انتهى فما برحت أى ما زلت عن مكانى حتى جاء بالابل معه فقال له يابنى حزنت عليك حزنا لا يفارقنى بعده أبدا وتقدم عن بعض المفسرين ما لا يحتاج الى اعادته هنا (وعن رقيقة) بنت أبى صيفى أى ابن هاشم بن عبد مناف زوجة عبد المطلب ذكرها ابن سعد فى المسلمات المهاجرات (أقول) وقال أبو نعيم لا أراها ادركت الاسلام وقال ابن حبان يقال ان لها صحبة والله أعلم قالت تتابعت على قريش سنون أى أزمنة قحط وجدب ذهبت بالاموال واشفين أى أشرفن على الانفس قالت فسمعت قائلا يقول فى المنام يامعشر قريش ان هذا النبى المبعوث منكم هذا ابان أى وقت خروجه وبه يأتيكم الحيا أى بالقصر المطر العام والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم أى أشرافكم نسبا طوالا عظاما أى طويلا عظيما أبيض مقرون الحاجبين أهدب الاشفار أى طويل شعر الاجفان أسيل الخدين أى لا نتوء بهما رقيق العرنين أى الانف وقيل أوله فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس أبى قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقى وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا اليه وأخرجوا من كل بطن رجلا ففعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبى قبيس ومعهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر أى الابل والبقر والخيل والبغال والحمير فأشفت على الانفس أى أشرفت على ذهابها فاذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قال وفى رواية أخرى عن رقيقة قالت

ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يامعشر يهود ماترونه أخرجنى من أهل الخمر بالضريك الشعير الملتف الى أرض البؤس والجوع فقلنا أنت أعلم قال انما قدمت هذه الارض أتوكف أى أتوقع خروج نبى قد أظل زمانه أى أقبل وقرب كأنه لقربه أظلهم أى ألقى عليهم ظله وهذه البلاد مهاجره وكنت أرجو ان يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يامعشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قريظة قال لهم نفر من هذل اخوة بنى قريظة وهم ثعلبة بن سعيد وأسد ابن سعيد ويقال أسيد بالتصغير وأسد بن عبيد وكانوا شبانا أحداثا يابنى قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم (ومن ذلك) خبر العباس رضى الله عنه قال خرجت فى تجارة الى اليمن فى ركب فيه أبو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة بن أبى سفيان ان محمدا قائم فى ابطح يقول أنا رسول الله أدعوكم الى الله ففشا ذلك فى مجالس أهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغنى ان فيكم عم هذا الرجل الذى قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن أخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فأردت أن أقول نعم فخشيت من أبى سفيان أن يكذبنى ويرد على فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت اليهود وقتلت اليهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال أبو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من ابن أخيك فقلت قد رأيت لعلك تؤمن به قال لا أومن به حتى أرى الخيل فى كداء أى بالفتح والمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على فى الا أنى أعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر أبو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا أبا سفيان تذكر تلك الكلمة قال أى والله انى لاذكرها (ومن ذلك) ماجاء عن أمية بن أبى الصلت الثقفى قال لابى سفيان

تتابعت على قريش سنون جدبة اقحلت أى أيبست الجلد وأدقت العظم فبينا أنا نائمة أو مهومة أى بين اليقظة والنائمة اذا هاتف هو الذى يسمع صوته ولا يرى شخصه كما تقدم يصرخ بصوت صحل أى فيه بحوحة وهى خشونة الصوت وغلظه يقول يامعشر قريش ان هذا النبى المبعوث منكم قد أظلتكم أيامه أى قربت منكم وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا والخصب ألا فانظروا رجلا منكم وسطا عظاما أبيض بضا أى شديد البياض أوطف الاهداب أى كثير شعر العينين أسهل الخدين أشم العرنين أى مرتفع الانف له فخر يكظم عليه أى يسكت عليه ولا يظهره وسنن يهتدى اليها أى يرشد اليها فليخلص هو وولده وولد ولده وليدلف أى يتقدم اليه من كل بطن رجل فليسنوا من الماء أى يفرغوه على أجسادهم أى يغتسلوا به وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن وليطوفوا بالبيت العتيق سبعا ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستسق الرجل وليؤمن القوم الا وفيهم الطيب الطاهر فغثتم اذا ماشئتم أى جاءكم الغيث على ماتريدون قالت فأصبحت مذعورة قد اقشعر جلدى ووله أى ذهب عقلى واقتصصت رؤياى أى ذكرتها على وجهها فنمت أى فشت وكثرت فى شعاب مكة فما بقى أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد يعنى عبد المطلب وقامت عنده قريش وانقض اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا أبا قبيس فطفق القوم يدنون حوله ما ان يدركه بعضهم مهلة وهى التؤدة والتأنى ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ايفع أى ارتفع أو كرب أى قرب من ذلك فقام عبد المطلب فقال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسؤل غير مبخل وهذه عبيدك واماؤك بعذرات حرمك أى افنيته يشكون اليك سنتهم التى اقحلت أى أيبست الظلف والخف أى الابل والبقر فامطرن اللهم غيثا مريعا مغدقا فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى أى ضاق بثجيجه أى بسيله فلسمعت شيخان قريش وهى تقول لعبد المطلب هنيئا لك ياأبا البطحاء بك عاش أهل البطحاء انتهى أى والظاهر ان القصة واحدة فليتأمل الجمع وقد يدعى أن الاختلاف من الرواة منهم من عبر بالمعنى * وفى سقيا الناس بعبد المطلب وان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم تقول رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر

أى امتد زمن تأخره * فجاد بالماء جونى له سيل دان * أى مطرها طل كثير الهطل قريب فعاشت به الانعام والشجر

* منا من الله بالميمون طائره * أى المبارك حظه * وخير من بشرت يوما به مضر

مبارك الاسم يستسقى الغمام به * مافى الانام له عدل ولا خطر

أى لا معادل ولا مماثل له * ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا لقد أصبحنا فى جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه لعله يسأل الله تعالى فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم أصبح غاديا اليها وخرج

انى لاجد فى الكتب صفة نبى يبعث فى بلادنا فكنت أظن انى هو وكنت أتحدث بذلك ثم ظهر لى انه من بنى عبد مناف فنظرت فلم أجد من هو متصف باخلاقه الا عتبة بن ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال أبو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية فقال أمية أما انه حق فاتبعه فقلت له فما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف انى كنت أخبرهن انى هو فكيف الآن أتبع فتى من بنى عبد مناف (وأما أخبار الرهبان) من النصارى فمنها ماتقدم ذكره ومنها خبر طلحة ابن عبيد الله رضى الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا اهل فيكم أحد من أهل الحرم فقلت نعم أنا قال هل ظهر أحمد قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه أى يبعث فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخلة وحرة وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبى ماقال الراهب فلما قدمت مكة حدثت أبا بكر رضى الله عنه فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فسر بذلك وأسلم طلحة فأخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة فشدهما فى حبل فلذلك سميا القرينين (ومنها) ماحدث به سعيد بن العاص بن سعيد قال لما قتل أبى العاص يوم بدر كنت فى حجر عمى ابان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشام فمكث سنة ثم قدم فاول شئ سأل عنه ان قال مافعل محمد قال له عمى عبد الله بن سعيد هو والله اعز ما كان وأعلاه فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وأرسل الى سراة بنى أمية أى أشرافهم فقال لهم انى كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكالم ينزل الى الارض منذ أربعين سنة أى من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لى حاجة فقال ممن الرجل فقلت انى من قريش وان رجلا هناك يزعم ان الله أرسله قال ما اسمه فقلت محمد قال كم منذ خرج فقلت عشرين سنة فقال ألا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطأ فى صفته شيأ ثم قال لى هو والله نبى هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل

معه الناس وولده ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصب لعبد المطلب كرسى فجلس عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه ثم قال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد شعثت رؤسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فاتح لهم سحابا خوارة وسماء خرارة لتضحك أرضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة دكناء لها دوى وقصدت نحو عبد المطلب ثم قصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يامعاشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا (وذكر بعضهم) انهم كانوا فى الجاهلية يستسقون اذا أجدبوا فاذا أرادوا ذلك أخذوا من ثلاثة أشجار وهى سلع وعشر وشبرق من كل شجرة شيأ من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة وربطوها على ظهر ثور صعب وأضرموا فيها النار ويرسلون ذلك الثور فاذ أحس بالنار عدا حتى يحترق ما على ظهره ويتساقط وقد يهلك ذلك الثور فيسقون (وفى حياة الحيوان) كانت العرب اذا أرادت الاستسقاء جعلت النيران فى أذناب البقر وأطلقوها فتمطر السماء فان الله يرحمها بسبب ذلك قال وذكر ابن الجوزى انه صلى الله عليه وسلم فى سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان فى ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال ياعبد المطلب ان هذا الغلام نبى هذه الامة ولو لم أخرج اليك لخر على ديرى فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ثم عالجه واعطاه ما يعالجه به هذا * ورأيت فى كتاب سماه مؤلفه كريم الندماء ونديم الكرماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمد وهو صغير فمكث أياما يشكو فقال قائل لجده عبد المطلب ان بين مكة والمدينة راهبا يرقى من الرمد وقد شفى على يديه خلق كثير فأخذه جده وذهب به الى ذلك الراهب فلما رآه الراهب دخل الى صومعته فاغتسل ولبس ثيابه ثم أخرج صحيفة فجعل ينظر الى الصحيفة واليه صلى الله عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال ياعبد المطلب هو أرمد قال نعم قال ان دواءه معه ياعبد المطلب خذ من ريقه وضعه على عينيه فأخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرأ لوقته ثم قال الراهب ياعبد المطلب وتالله هذا هو الذى أقسم على الله به فابرئ المرضى وأشفى الاعين من الرمد فليتأمل فان تعدد الواقعة لا يخلو عن بعد والله أعلم

﴿باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبى طالب له صلى الله عليه وسلم﴾

ثم لما كان سنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أى بناء على الراجح من الاقوال المتكاثرة ويرجحه ما يأتى توفى عبد المطلب وله من العمر خمس وتسعون سنة وقيل مائة وعشرون وقيل وأربعون أى ولعل ضعف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن الجوزى لعبد المطلب فى المعمرين قال وقيل اثنان وثمانون أى وعليه اقتصر الحافظ الدمياطى قال وقيل مائة وأربعة وأربعون اه وقد قيل له صلى الله عليه وسلم يارسول الله أتذكر موت عبد المطلب

صومعته وقال اقرأ لى عليه السلام وكان ذلك فى زمن الحديبية لانها كانت سنة ست من الهجرة فالاثمرون تقريب (ومنها)
ماحدث به حكيم بن حزام رضى الله عنه قال دخلنا الشام لتجارة قبل ان اسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأرسل الينا ملك الروم
فجئناه فقال من أى العرب أنتم من هذا ١٢٢ الذى يزعم انه نبى قال فقلت يجمعنى واياه الجد الخامس فقال هل أنتم صادق

قال نعم وأنا يومئذ ابن ثمان سنين * وعن أم أيمن انها كانت تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبكى خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن بالحجون عند جده قصى (وجاء) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدى عبد المطلب فى زى الملوك وابهة الاشراف * ولما حضرته الوفاة أوصى به صلى الله عليه وسلم الى عمه شقيق أبيه أبى طالب أى وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية كأبيه عبد المطلب كما تقدم واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد أخطؤا فى ذلك خطأ كبيرا ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا * وحين أوصى به جده لابى طالب أحبه حبا شديدا لا يحبه لاحد من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه باحسن الطعام أى وقيل اقترع أبو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله صلى الله عليه وسلم منهم فخرجت القرعة لابى طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له قبل موت عبد المطلب فيما أتى انه كان مشاركا له فى كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله أبو طالب أى بعد موت الزبير وغلط قائله بان الزبير شهد حلف الفضول ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر نيف وعشرون سنة كذا فى أسد الغابة مقدما للاقتراع على ما قبله وفى كون عمره صلى الله عليه وسلم فى حلف الفضول كان نيفا وعشرين سنة نظر لما سيأتى ان عمره اذ ذاك كان أربع عشرة سنة وفى كلام بعضهم فلما مات عبد المطلب كفله عماه شقيقا أبيه الزبير وأبو طالب ثم مات عمه الزبير وله من العمر أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وأمه مذكورة فى الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم * ففى خبر سيف بن ذى يزن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه أى وفى سيرة ابن هشام عن ابن اسحق ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وهى أم الزبير بن العوام وبرة وعاتكة وأم حكيم البيضاء أى وهى جدة عثمان بن عفان لامه وأميمة وأروى فقال لهن ابكين على حتى أسمع ما تقلن قبل ان أموت فقالت كل واحدة منهن شعرا فى وصفه مذكور فى تلك السيرة ولما سمع جميع ذلك أشار برأسه أن هكذا فابكيننى ويقال انه انما أشار بذلك لما سمع قول أميمة وقد أمسك لسانه وكان من قولها

أعينى جودا بدمع درر * على ماجد الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات * وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل فى النائبات * كثير المفاخر جم الفخر
له فضل مجد على قومه * منير يلوح كضوء القمر

قال ابن هشام رحمه الله لم أر احدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا انه أى ابن اسحق

فيما سألتكم عنه فقلنا نعم فقال هل أنتم ممن اتبعه أم ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن أشياء مما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلا فى قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فأمر بكشفه فاذا صورة رجل قال أتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابا يفتحها ويكشف عن صور الانبياء ويقول هذا صاحبكم فنقول لا فيقول هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال أتدرون متى صورت هذه الصورة قلنا لا قال منذ ألف سنة وان صاحبكم لنبى مرسل فاتبعوه ولوددت انى عنده فأشرب غسالة قدميه (ووقع) نظير ذلك لجبير بن مطعم وانه رأى صورة أبى بكر رضى الله عنه آخذة بعقب تلك الصورة وكذا صورة عمر آخذة بعقب أبى بكر فقال هل تعرفون الذى أخذ بعقبه قلنا هو أبو بكر قال هل تعرفون الذى أخذ بعقبه قلنا هو عمر بن الخطاب قال أشهد أن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هذا هو الخليفة من بعده (ومنها) ماحدث به سلمان الفارسى رضى الله عنه قال كنت رجلا فارسيا من أهل اصبهان من
قرية يقال لها جى بفتح الجيم وشد الياء وفى لفظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفى لفظ ولدت لما
برامهرمز وبها نشأت وأما أبى فمن أصبهان وكان أبى دهقان قريته أى كبير أهل قريته وكنت أحب خلق الله الى أبى لم يزل حبه اياى
حتى حبسنى فى بيت كما تحبس الجارية واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار أى قاطنها يعنى خادمها الذى يوقدها لا يتركها

تخبو أى تطفأ ساعة وكانت لابى ضيعة عظيمة فشغل عنها فى بنيان له يوما فقال لى يا بنى انى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم فاذهب الى
الضيعة وأمرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال لى ولا تحتبس عنى فان احتبست عنى كنت أهم الى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شئ من
أمرى فخرجت أريد ضيعته التى أمرنى بها وبعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس ١٢٣ النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم

لما رآه عن ابن المسيب كتبه قال بعضهم ولم يبك أحد بعد موته ما بكى عبد المطلب بعد موته ولم يقم لموته بمكة سوق أياما كثيرة (وروى) أبو نعيم والبيهقى ان سيف بن ذى يزن الحميرى لما ولى على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاه وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئه أى بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم أى لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر فى يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف بن ذى يزن الحميرى استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على عادة آبائه وجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب وجهائهم أى كعبد الله بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة وبالعين المهملة التيمى وهو ابن عم عائشة رضى الله تعالى عنها وكأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف وقصى بن عبد الدار فاخبر بمكانهم أى وكان فى قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب وفى الوفاء وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسى من الذهب فوضعت لهم كراسى من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستأذنه فى الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك فقال ان الله عز وجل أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا أى مرتفعا باذخا أى عاليا منيعا وأنبتك نباتا طابت ارومته وعظمت جرثومته أى والارومة والجرثومة هما الاصل وثبت أصله وبسق أى طال فرعه فى أطيب موضع وأكرم معدن وأنت أبيت اللعن أى أبيت ان تأتى من الامور ما يلعن عليه ملك العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد وكهفها الذى تلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من أنت خلفه ولن يخمل ذكر من أنت سلفه نحن أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا أى أحضرنا اليك الذى أبهجنا من كشف الكرب الذى فدحنا أى أثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة أى التعزية فعند ذلك قال له الملك من أنت أيها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا بالتاء المثناة فوق لان أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادنه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا أى كثير العطاء يعطى عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء أى العطاء اذا ظعنتم ثم أنهضوا الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الانزال فأقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل الى عبد المطلب فادناه ثم قال له يا عبد المطلب انى مفض اليك من سر علمى أمرا لو غيرك يكون لم أبح له به ولكن رأيتك معدنه فأطلعتك طلعه أى عليه فليكن عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى ادخرناه لانفسنا واحتجبناه أى كتمناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه

يصلون وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى اياى فى بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقلت والله هذا خير من الذى نحن فيه فوالله ما برحت عنهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها ثم قلت لهم أين أهل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أى بنى أين كنت ألم أكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا أبت مررت بناس يصلون فى كنيسة لهم فاعجبنى ما رأيته من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أى بنى ليس فى ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا فخاف منى ان أهرب فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبرونى بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فاخبرونى فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة فاخبرونى بهم فاخبرونى فألقيت الحديد من رجلى ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من أجل هذا الدين علما قالوا الاسقف فى الكنيسة والاسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى
ورئيسهم فى الدين فجئته فقلت له انى قد رغبت فى هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلى
معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيأ منها اكتنزها لنفسه ولم يعطها
المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فابغضته بغضا شديدا لما رأيت منه ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان

هذا رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيأ فقالوا له وما علمك بذلك فقلت
أنا أدلكم على كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا وفي رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نصف أردب فضة فلما
رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارة ولم يصلوا عليه صلاتهم مع ان هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان

شامة كانت له الامامة ولكن به الزعامة أي السيادة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب
أيها الملك أبت لي أي رجعت بخير ما آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته
من مساره أي من مسارته اياي بما ازداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذي يولد فيه
أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا
وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض
أي جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض أي يزجر الشيطان ويخمد
النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل ويأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن
المنكر ويبطله قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك سارى
بافصاح فقد وضح لي بعض الايضاح قال والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب أي
الطرق انك لجده يا عبد المطلب غير كذب قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك
ثلج صدرك وعلا كعبك فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك قال نعم أيها الملك انه كان لي ابن
وكنت به معجبا وعليه رفيقا واني زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد
مناف بن زهرة فجاءت بغلام فسميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعني أبا طالب وهذا
يدل على ان وفود عبد المطلب على سيف بن ذي يزن كان بعد موت أمه صلى الله عليه وسلم وحينئذ
لا ينافي ذلك ما تقدم ان عمره صلى الله عليه وسلم كان سنتين لان ذلك كان سنه صلى الله عليه وسلم
حين ولي سيف بن ذي يزن على الحبشة وتأخر وفود عبد المطلب عليه بعد موت أمه صلى الله عليه
وسلم ويدل على ان أبا طالب كان مشاركا لعبد المطلب في كفالته صلى الله عليه وسلم في حياة عبد
المطلب ثم اختص هو بذلك بعد موته أي وعبارة سيف بن ذي يزن صادقة بالحالين فقال له ان
الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ على ابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله
لهم عليه سبيلا أي فحفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره قال واطو
ما ذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن ان تداخلهم النفاسة من ان
تكون له الرياسة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك أو أبناؤهم
من غير شك ولولا أعلم ان الموت مجتاحي أي مهلكي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى
أصير بيثرب دار ملكه فاني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب دار ملكه
واستحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا أني أقيه الآفات واحذر عليه
العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره وأعليت على أسنان العرب كعبه ولكني سأصرف
ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد سود
وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة أرطال ذهبا وعشرة أرطال فضة ومائة
من الابل وكرش مملوءة عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال اذا حال الحول فائتني
بخبره وما يكون من أمره فمات الملك قبل ان يحول عليه الحول وكان عبد المطلب كثيرا
ما يقول ان معه لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي
ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين اه وهذا القصر الذي كان فيه

نقيا من الشهوات ومن ثم قال في الفتوحات المكية أجمع أهل كل ملة على ان الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا عليه من الدنيا التي حذرنا الله منها بقوله انما أموالكم وأولادكم فتنة قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ومن قواعد الرهبان انهم لا يدخرون قوت الغد ولا يكنزون ذهبا ولا فضة وقال رأيت شخصا قال لراهب انظر لي هذا الدينار هو من ضرب أي الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدينار منهي عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا انصغاص بوطا على عاتقه فقلت ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم قال سلمان وعند ذلك جاؤا برجل آخر وجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى انه أفضل منه اى لا أظن أحدا من غير المسلمين أفضل منه ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا فاحببته حبا شديدا لم أحبه شيأ قبله فاقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان اني كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيأ قبلك وقد حضرك من أمر الله

ما ترى فالى من توصي بي قال اى بني والله ما أعلم أحدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا الملك
عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان فهو على ما كنت عليه فلما مات ودفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبري وما أمرني به صاحبي
فقال أقم عندي فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فاقمت عنده خير رجل فلما احتضر قلت يا فلان ان فلانا أوصى بي اليك وأمرني

باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصي بي وبم تأمرني قال يا بني والله ما أعلم رجلا على ما كنت عليه الا رجلا
بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال أقم عندي فاقمت
عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبثت أن نزل به الموت فلما احتضر قلت له يا فلان

الملك سيف بن ذي يزن يقال له بيت غمدان يقال انه كان هيكلا للزهرة تعبد فيه الزهرة وكان
سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يقول لا أفلحت العرب ما دام فيها غمدانها فلما ولي عثمان رضي
الله تعالى عنه الخلافة هدمه وكان أبو طالب مقلا من المال فكان عياله اذا أكلوا جميعا أو
فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبي صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان أبو طالب اذا أراد أن
يغديهم أو يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل
معهم فيفضلون من طعامهم وان كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ثم تتناول
العيال القعب أي القدح الذي من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم
من القعب الواحد وان كان أحدهم ليشرب قعبا واحدا فيقول أبو طالب انك لمبارك (أقول)
وفي الامتاع وكان أي أبو طالب يقرب الى الصبيان يصبحهم أول البكرة فيجلسون وينتهبون
فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهب معهم فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه
على حدة هذا كلامه ولا ينافي ما قبله لانه يجوز ان يكون ذلك خاصا بما يحضر في البكرة الذي
يقال له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المقدم والله أعلم وكان الصبيان
يصبحون شعثا رمصا بضم الراء واسكان الميم ثم صاد مهملة ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
دهينا كحيلا قالت أم أيمن ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا
لا في صغره ولا في كبره وكان صلى الله عليه وسلم يغدو اذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة
فربما عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان أي في بعض الاوقات فلا ينافي ما سبق وكان يوضع
لابي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن أخي ليحس
بنعيم أي بشرف عظيم ه قال واستسقى أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلهمة بن
عرفطة قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعتمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول
اعتمدوا مناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي انى تؤفكون أي كيف
تصرفون عن الحق وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل عليهما السلام أي فكيف تعدلون عنه
الى ما لا يجدي قالوا كأنك عنيت أبا طالب قال أيها فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه
فخرج الينا رجل حسن الوجه عليه ازار قد اتشح به فثار وأي قاموا اليه فقالوا يا أبا طالب أقحط
الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق لنا فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجنة بدال
مهملة فجيم مضمومتين أي ظلمة وفي رواية كأنه شمس دجن أي ظلام تجلت عنه سحابة قتماء أي
من القتام بالفتح وهو الغبار وحوله أغيلمة جمع غلام فأخذه أبو طالب فالصق ظهره بالكعبة
ولاذ أي طاف باصبعه الغلام زاد في بعض الروايات وبصبصت الاغيلمة حوله أي فتحت أعينها
وما في السماء قزعة أي قطعة من سحاب فاقبل السحاب من ههنا ومن ههنا واغدودق أي كثر
مطره وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول أبو طالب من قصيدة يمدح
بها النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم أكثر من ثمانين بيتا

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

أي ملجأ وغياثا لليتامى ومانع الارامل من الضياع والارامل المساكين من النساء والرجال

ان فلانا أوصى بي الى فلان ثم ان فلانا أوصى بي اليك فالى من توصي بي والى من تأمرني فقال يا بني والله ما أعلم بقي أحد على أمرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان أحببت فأته فلما مات ودفن لحقت بصاحب عمورية واخبرته خبري فقال أقم عندي فاقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان ثم أوصى بي فلان الى فلان ثم أوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبم تأمرني فقال أي بني والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل اى أقبل وقرب زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل له علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات ودفن وهذا السياق يدل على ان الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى عليه السلام أربعة وفي كلام السهيلي انهم ثلاثون وقيل أربعة وعشرون قال سلمان ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم بقراتي

هذه وغنيمتي هذه فقالوا نعم فاعطيتهموها فحملوني حتى اذا بلغوا بي وادي القرى وهو محل من أعمال المدينة المنورة ظلموني
فباعوني من رجل يهودي فمكثت عنده فرأيت النخل فرجوت ان يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم أتحقق ذلك فبينا أنا عنده
اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة فوالله ما هو الا ان رأيتها فعرفتها أي تحققتها

وهو بالنساء أخص وأكثر استعمالا (أقول) وأخذت الشيعة من هذه القصيدة القول باسلام أبى طالب أى لانه صنفها بعد البعثة وسيأتى الكلام فى اسلامه وأما ما نقله الدميرى فى شرح المنهاج عن الطبرانى وابن سعد أن هذه القصيدة التى منها هذا البيت من انشاء عبد المطلب فهو وهم لما درج عليه أئمة السير أن المنشئ لها هو أبو طالب واحتمال توارد كل من أبى طالب وعبد المطلب على هذه القصيدة بعيد جدا ومما يصرح بالوهم ما يأتى عن النبى صلى الله عليه وسلم من نسبة هذا البيت لابى طالب والله أعلم قال وعن أبى طالب قال كنت بذى المجاز أى وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا الجاهلية كما تقدم مع ابن أخى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فأدركنى العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن أخى قد عطشت وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده شيأ الا الجزع أى لم يحملنى على ذلك الا الجزع وعدم الصبر قال فثنى وركه أى نزل عن دابته ثم قال يا عم عطشت قلت نعم فأهوى بعقبه الى الارض وفى رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيأ فاذا أنا بالماء لم أر مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فقال أرويت قلت نعم فركضها ثانية فعادت كما كانت وسافر أى وقد أتت عليه صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة مع عمه الزبير بن عبد المطلب شقيق أبيه كما تقدم الى اليمن فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه البعير برك وحك الارض بكلكله أى صدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل وسار حتى جاوز الوادى ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعونى ثم اقتحمه فاتبعوه فأيبس الله عز وجل الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام شأنا اهـ أى وفى السيرة الهشامية ان رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى أبو طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه صلى الله عليه وسلم ثم شغل عنه بشئ فلما فرغ قال على بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شان فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به والله أعلم

﴿باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب الى الشام﴾

عن ابن اسحق لما تهيأ أبو طالب للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الصاد المهملة وتشديد الباء الموحدة والصبابة رقة الشوق قاله فى الاصل قال وعند بعض الرواة فضبث به أى بفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة كضرب لزمه وقبض عليه يقال ضبثت على الشئ اذا قبضت عليه فقد جاء أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل للملا من بنى اسرائيل لا يدعونى والخطايا بين اضباثهم أى قبضاتهم أى وهم يحملون الاوزار غير مقلعين عنها أى وعلى ما عند بعض الرواة اقتصر الحافظ الدمياطى فلفظه لما تهيأ يعنى أبا طالب للرحيل ضبث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له أبو طالب وقال والله لاخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا (أقول) رأيت بعضهم نقل عن سيرة الدمياطى وضبث به أبو طالب ضبانة لم يضبث مثلها

بصفة صاحبى فأخذتها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى عذق أى نخل لسيدى أعمل فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بنى قيلة أى وهم الاوس والخزرج لان قيلة امهم والله انهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبى قال سلمان فلما سمعتها أخذتنى العرواء وهى الحمى النافض حتى ظننت أنى ساقط على سيدى فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدى ولكمنى لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك فقلت لا شئ انما اردت ان استثبته فيما قال قال سلمان وقد كان عندى شئ جمعته وهو محتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له انى قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وأمسك يده فلم يأكل فقلت فى نفسى هذه واحدة أى من العلامات التى هى كونه لا يأكل الصدقة قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة فجئته فقلت انى رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر اصحابه فأكلوا معه فقلت فى نفسى هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه وهو كلثوم بن الهدم الذى نزل عليه النبى صلى الله عليه وسلم بقباء لما قدم المدينة قال سلمان وكان عليه صلى الله عليه وسلم شملتان فجلس مع اصحابه فسلمت عليه ثم ابتدرت أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى فألقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثى قال ابن عباس

لشئ

لشئ قط وانه ضبط ضبث بالضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة قال وهو القبض على الشئ وهذا لا يناسب قوله ضبانة لم يضبث مثلها الشئ قط لان ذلك انما يناسب صب بالصاد المهملة أى الذى هو الرقة كما لا يخفى على ان مصدر ضبث انما هو الضبث ومن ثم لم اجد ذلك فى السيرة المذكورة والذى رأيته فيها ما قدمته عنها وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم مسك بزمام ناقة أبى طالب وقال يا عم الى من تكلنى لا أب لى ولا أم وكان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين على الراجح وقيل اثنتى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام أى وهذا القيل صدر به فى الامتاع وقال انه أثبت أى ومن ثم اقتصر عليه المحب الطبرى وذكر انه لما سار به أردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو بابنك وما ينبغى أن يكون له أب حى "هذا نبى" أى لان من كانت هذه الصفة صفته فهو نبى أى النبى المنتظر ومن علامة ذلك النبى فى الكتب القديمة ان يموت أبوه وأمه حامل به كما تقدم وسيأتى أو بعد وضعه بقليل من الزمن أى ومن علامته أيضا فى تلك الكتب موت أمه وهو صغير كما تقدم فى خبر سيف ابن ذى يزن ولا ينافى ذلك الاقتصار من بعض أهل الكتب القديمة على الاول الذى هو موت أبيه وهو حمل قال أبو طالب لصاحب الدير وما النبى قال الذى يأتى اليه الخبر من السماء فينبئ أهل الارض قال أبو طالب الله أجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير فقال له ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو بابنك وما ينبغى ان يكون له أب حى قال ولم قال لان وجهه وجه نبى وعينه عين نبى أى النبى الذى يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ما ذكر علامته فى الكتب القديمة قال أبو طالب سبحان الله الله أجل مما تقول ثم قال أبو طالب للنبى صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى ألا تسمع ما يقول قال أى عم لا تنكر لله قدرة والله أعلم فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة واسمه جرجيس وقيل سرجيس وحينئذ يكون بحيرا لقبه فى صومعة له وكان انتهى اليه علم النصرانية أى لان تلك الصومعة كانت تكون لمن ينتهى اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن أوصياء عيسى عليه الصلاة والسلام وفى تلك المدة انتهى علم النصرانية الى بحيرا وقيل كان بحيرا من أحبار اليهود يهوديا تيماء (أقول) لا منافاة لانه يجوز ان يكون تنصر بعد ان كان يهوديا كما وقع لورقة بن نوفل كما سيأتى هذا وقال ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بصرى ستة أميال وقيل كان يسكن البلقاء من أرض الشام بقرية يقال لها ميفعة ويحتاج الى الجمع وقد يقال يجوز انه كان يسكن فى كل من القريتين كل واحدة يسكن فيها زمنا وكان فى بعض الاحايين يأتى لتلك الصومعة فليتأمل وقد سمع منادٍ قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادى ويقول ألا ان خير أهل الارض ثلاثة رباب بن البراء وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد وفى لفظ والثالث المنتظر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ذكره ابن قتيبة قال ابن قتيبة وكان قبر رباب وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندهما طش وهو المطر الخفيف والله أعلم وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم

رضى الله عنهما فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبى صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبى صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فأتى بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبى صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودى وحرف الترجمة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا الفارسى جاء ليلوذ بنا فنزل جبريل وترجم كلام سلمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى ذلك اى الذى ترجمه جبريل لليهودى فقال اليهودى يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الىّ فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أعلمها قبل والآن علمنى جبريل أو كما قال فقال اليهودى يا محمد قد كنت قبل هذا أتهمك والآن تحقق عندى انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام علم سلمان العربية فقال قل له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل فى فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربى الفصيح وهذا الذى قدمه سلمان للنبى صلى الله عليه وسلم صرح فى بعض الروايات بأنه سأل سيده أن يهب له شيأ فوهبه له فجاء به للنبى صلى الله عليه وسلم فلا يشكل ذلك بانه مملوك لا ملك له ثم أسلم سلمان وصحب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال له صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان صاحبك قال فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة ودية وهى الصغيرة احييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف أى الحفر أى احفر لها واغرسها بتلك الحفر وتصير حية واتعهدها الى أن تثمر وعلى أربعين أوقية من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينوا أخاكم فأعانونى بالنخل الرجل بستين والرجل بعشرين ودية فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفقر أى احفر لها فاذا فرغت فأتنى أكن أنا أضعها بيدى قال ففقرت لها وأعاننى أصحابى حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فخرج معى اليها فجعلنا نقرب اليه الودى فيضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها ودية واحدة وفى رواية فغرس رسول

الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضى الله عنه فأطعم النخل كله الا تلك النخلة التى غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فأطعمت من عامها وقيل الا نخلة غرسها سلمان عمر وسلمان غرس هذه النخلة أحدهما قبل الآخر أو اشتركا فى غرسها بيده قال الحلبى يحتمل أن كلا من

قال سلمان فأديت النخل وبقى على المال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة أى ببيضة الدجاج أو الحمام من الذهب فقال ما فعل الفارسى فدعيت له فقال خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان قلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما على فقلبها على لسانه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذها فان الله سيؤدى بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها والذى نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وبقى عندى مثل ما أعطيتهم والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

ووفى قدر بيضة من نضار
دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فأعتق لما
أينعت من نخيله الافناء
أفلا تعذرون سلمان لما
ان عزته من ذكره العرواء

قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتنى معه مشهد وقيل شهد بدرا وأحدا قبل ان يعتق أى وهو مكاتب فيكون أول مشاهده الخندق بعد عتقه وقيل شغل عما قبله بالرق ووقع فى بعض الروايات فى قصة سلمان زيادة ونقص والذى تقدم هو أصح الروايات قال الحلبى فى السيرة ونقل بعضهم الاجماع على أن سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان

فى الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا فى ظل شجرة نظر الى الغمامة قد أظلت الشجرة وتهصرت أى مالت ٥ أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية واخضلت أى كثرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها أى وقد كان صلى الله عليه وسلم وجدهم سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فىء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم انى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم لم أقف على اسم هذا الرجل يا بحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت ان أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم أى تحت الشجرة فلما نظر بحيرا فى القوم ولم ير الصفة أى لم ير فى أحد منهم الصفة التى هى علامة للنبى المبعوث آخر الزمان التى يجدها عنده أى ولم ير الغمامة على أحد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامى فقالوا يا بحيرا ما تخلف عن طعامك أحد ينبغى له أن يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم أى وقال فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع انى أراه من أنفسكم فقال القوم هو والله أوسطنا نسبا وهو ابن أخى هذا الرجل يعنون أبا طالب وهو من ولد عبد المطلب فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان للؤم بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه أى وجاء به ٥ وأجلسه مع القوم أى وذلك الرجل هو عمه الحرث بن عبد المطلب ولعله لم يقل هو ابن أخى مع كونه أسن من أبى طالب لان أبا طالب كان شقيق الابيه عبد الله كما تقدم دون الحرث مع كون أبى طالب هو المتقدم فى الركب وقيل الذى جاء به صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقدمه ابن المحدث على ما قبله فليتأمل ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه صلى الله عليه وسلم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا و ينظر الى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه صلى الله عليه وسلم بحيرا فقال له أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما أى وفى الشفاء انه اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألنى باللات والعزى شيأ فوالله ما أبغض شيأ قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال له سلنى عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره و يخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته أى صفة النبى المبعوث آخر الزمان التى عنده ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التى عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو ابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخى قال فما فعل أبوه

يأخذ من بيت المال فى كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش قال
بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له تعمل الخوص وأنت أمير وهو
يجرى عليك رزق فقال انى أحب ان آكل من عمل يدى وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فأكلوا معه (وأما أخبار الكهان)

لا على ألسنة الجان فكثيرة منها ما تقدم فى ليلة ولادته وفى أيام رضاعه ومنها أيضا خبر عمرو بن معديكرب رضى الله عنه قال والله لقد علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يبعث فقيل وكيف ذاك قال فزعنا الى كاهن لنا فى أمر نزل بنا فقال الكاهن أقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الادراج والريح ذات العجاج ان هذا الامر آج ولقاح ذات نتاج قالوا وما نتاجه قال ظهر نبى صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا ومن أين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح ويعطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن الامور القباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد (ومنها) خبر قس بن ساعدة الايادى وهو أول من قال البينة على المدعى واليمين على من أنكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس أو سيف عند الخطبة * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف قس بن ساعدة الايادى قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما أنساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور أقسم قس قسما حاتما لئن كان الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ما لى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هنالك فناموا ثم قال صلى الله عليه وسلم أيكم يروى قوله فأنشدوه

قال مات وأمه حبلى به قال صدقت أى ثم قال ما فعلت أمه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلاده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم أى نجده فى كتبنا وروينا عن آبائنا واعلم انى قد أديت اليك النصيحة فأسرع به الى بلاده وفى لفظ لما قال له ابن أخى قال له بحيرا أشفيق عليه أنت قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الى الشام أى جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشام الذى هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى مكة ويقال انه قال لذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو فى حصن من الله عز وجل وقد يقال لا مخالفة لان ما صدر من بحيرا كان على ما جرت به العادة من طلب التوقى فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام وفى الهدى فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة فليتأمل وذكران نفرا من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى بحيرا وأرادوا به سوأ فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدونه فى الكتاب من ذكره وصفاته وانهم ان أجمعوا لما أرادوا لا يخلصوا اليه فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه وفى رواية أخرى خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب بحيرا وكانوا قبل ذلك يمرون عليه فلا يخرج اليهم ولا يلتفت اليهم فجعل وهم يحلون رحالهم يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من قريش ما علمك فقال انكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبى أى وان الغمامة صارت تظله دونهم وانى لاعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة أى والغضروف تقدم انه رأس لوح الكتف ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان النبى صلى الله عليه وسلم فى رعية الابل فأرسلوا اليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس مال فىء الشجرة عليه فقال الراهب انظروا الى فىء هذه الشجرة مال عليه فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم ان لا يذهبوا به الى ارض الروم أى داخل الشام فانهم ان عرفوه قتلوه فالتفت فاذا سبعة من الروم قد أقبلوا فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا الى هذا النبى الذى هو خارج فى هذا الشهر أى مسافر فيه فلم يبق طريق الا بعث اليه بأناس وانا قد أخبرنا خبره بطريقك هذا قال أفرأيتم أمرا أراد الله ان يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا فبايعوه أى بايعوا بحيرا على مسالمة النبى صلى الله عليه وسلم وعدم أخذه واذيته على حسب ما أرسلوا فيه وأقاموا عند ذلك الراهب خوفا على أنفسهم ممن أرسلهم اذا رجعوا بدونه قال بحيرا لقريش أنشدكم الله أى أسألكم بالله أيكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه بلالا وفى لفظ وبعث معه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بلالا وزوده بحيرا من الكعك والزيت أى واذا كانت القصة واحدة فالاختلاف فى ايرادها من الرواة كما تقدم نظيره فبعض الرواة قدم فى هذه الرواية وأخر على انه فى الهدى قال ووقع فى كتاب الترمذى وغيره ان عمه أى وأبا بكر رضى الله عنه بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن

فى الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها * تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى الى * ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محالة * حيث صار القوم صائر

وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيد قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع أبى بكر وذكر فى الاصل ان فى هذه الرواية امورا
منكرة حيث قال قلت ليس فى اسناد هذا الحديث الا من خرج له فى الصحيح ومع ذلك أى مع
صحة سنده ففى متنه نكارة أى امور منكرة وهى ارسال أبى بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم
بلالا فان بلالا لم ينتقل لابى بكر الا بعد هذه السفرة بأكثر من ثلاثين عاما ولان أبا بكر لم يبلغ
العشر سنين حينئذ لانه صلى الله عليه وسلم أسن منه بأزيد من عامين بقليل أى بشهر ولا ينافى
ما يأتى وتقدم ان سنه صلى الله عليه وسلم حينئذ تسع سنين على الراجح أى فيكون سن أبى بكر
نحو سبع سنين وكان بلال أصغر من أبى بكر رضى الله عنهما فلا يتجه هذا بحال أى لان أبا بكر
حينئذ لم يكن أهلا للارسال عادة وكذا بلال لم يكن أهلا لان يرسل وكون النبى صلى الله عليه
وسلم أسن من أبى بكر هو ما عليه الجمهور من أهل العلم بالاخبار والسير والآثار وما روى
ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر فقال له من الاكبر أنا أو أنت فقال له أبو بكر أنت أكرم
وأكبر وأنا أسن قيل فيه انه وهم وان ذلك انما يعرف عن عمه العباس رضى الله تعالى عنه
وكون بلال أصغر من أبى بكر ينازعه قول ابن حبان بلال كان تربا لابى بكر أى قرينه
فى السن وبه يرد قول الذهبى بلال لم يكن خلق قال وذكر الحافظ ابن حجر ان ارسال أبى بكر
معه بلالا وهم من بعض الرواة وهو مقتطع من حديث آخر أدرجه ذلك الراوى فى هذا
الحديث انتهى (أقول) ولاجل هذا الوهم قال الذهبى فى الحديث أظنه موضوعا بعضه باطل
أى لم يوافق الواقع أى فى كون الحديث موضوعا بعضه موافق للواقع وبعضه لم يوافق الواقع
وحينئذ فمراد بالاصل بالنكارة فى قوله فى متنه نكارة البطلان كما أشرت اليه وليس هذا من
قبيل قولهم هذا حديث منكر الذى هو من أقسام الضعيف وهو يرجع الى الفردية ولا يلزم
من الفردية ضعف متن الحديث فضلا عن بطلانه وقال الحافظ الدمياطى فى هذا الحديث
وهمان أحدهما قوله فبايعوه وأقاموا معه والوهم الثانى قوله وبعث معه أبو بكر بلالا ولم يكونا
معه ولم يكن بلال أسلم ولا ملكه أبو بكر وفيه ان الحافظ الدمياطى فهم ان الضمير فى بايعوه
للنبى صلى الله عليه وسلم وعلمت أنه لبحيرا فلا وهم فيه وتوجيه الوهم الثانى بعدم وجود
أبى بكر وبلال مع النبى صلى الله عليه وسلم واضح ان ثبت ذلك والا فمجرد النفى لا يرد به الاثبات
وحينئذ لا حاجة معه الى ذكر ما بعده من ان بلالا لم يكن أسلم ولا ملكه أبو بكر الا أن يقال هو
على تسليم وجود أبى بكر وبلال مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد يقال على تسليم ذلك ارسال أبى
بكر لبلال لا يتوقف على اسلام بلال ولا على ملك أبى بكر له جاز ان يكون سيد بلال وهو أمية بن
خلف أرسله فى ذلك العير لامر فأذن أبو بكر لبلال فى العود مع النبى صلى الله عليه وسلم ليكون
خادما و يستأنس و يأمن به اعتمادا على رضا سيده بذلك اذ ليس من لازم ارساله أن يكون
مملوكا له وكون أبى بكر لم يكن فى سن من يرسل عادة تقدم ما فيه والله أعلم (قال) وروى ابن منده
بسند ضعيف عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه انه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن
ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة أى فالنبى صلى الله عليه وسلم أسن من
أبى بكر بعامين أى وشهر كما تقدم ولعل هذه الزيادة على العامين التى هى الشهر الواردة مبهمة

يارسول الله والذى بعثك بالحق لقد وجدت صفتك فى الانجيل وبشر بك ابن البتول وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فآمن
هو وكل سيد من قومه فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم ياجارود هل فى جماعة وفد عبد القيس
من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يارسول الله ١٣٠ وأنا كنت بين يدى القوم أقفو أثره كان من اسباط العرب عمر سبعمائة سنة وقيل
تسعمائة وهو أول من ترك عبادة
الاصنام من العرب وأول من قال
أما بعد وأول من كتب من فلان الى
فلان قال الجارود كأنى أنظر اليه
يقسم بالرب الذى هو له ليبلغن
الكتاب أجله وليوفين كل عامل
عمله ثم أنشأ يقول

هاج للقلب من هواه ادكار
وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات
وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح فى ظلم الليـ
ـل تراها فى كل يوم تدار
والذى قد ذكرت دل على الله
نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبى صلى الله عليه وسلم
على رسلك ياجارود فلست أنساه
بسوق عكاظ على جمل أورق وهو
يتكلم بكلام له حلاوة ولا
أحفظه فقال أبو بكر رضى الله عنه
فانى أحفظه يارسول الله كنت
حاضرا ذاك اليوم بسوق عكاظ
فقال فى خطبته ياأيها الناس
اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا
من عاش مات ومن مات فات
وكل ماهو آت آت مطر ونبات
وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات
وأحياء وأموات وجمع وأشتات
وآيات بعد آيات ان فى السماء
لخبرا وفى الارض لعبرا ليل
داج وسماء ذات أبراج وأرض
ذات فجاج وبحار ذات أمواج
مالى أرى الناس يذهبون فلا
يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هناك فناموا أقسم قس قسما حاتما لاحانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو أحب اليه فى
من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه ثم قال تبا لارباب
الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يامعشر اياد أين الآباء والاجداد وأين المريض والعواد وأين الفراعنة الشداد

فى الرواية السابقة لم يذكرها ابن منده وهم يريدون الشام فى تجارتهم حتى اذا نزل منزلا وهو
سوق بصرى من أرض الشام وفى ذلك المحل سدرة فقعد صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى
أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شئ فقال من الرجل الذى فى ظل السدرة قال له محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا نبى هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى بن مريم
عليه السلام الا محمد عليه الصلاة والسلام أى وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدى الا النبى
الامى الهاشمى كما سيأتى فى بعض الروايات قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون أى سفر أبى بكر
معه صلى الله عليه وسلم فى سفرة أخرى بعد سفرة أبى طالب انتهى (أقول) وهى سفرته مع
ميسرة غلام خديجة فانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر الى الشام أكثر من مرتين ويؤيده
ما تقدم من قول الراوى وهم يريدون الشام فى تجاراتهم لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخرج
تاجرا الا فى تلك السفرة وسيأتى ان هذا القول قاله الراهب نسطورا لا بحيرا قاله لميسرة لا لابى
بكر الا أن يقال لا مانع ان يكون قال ذلك لميسرة ولابى بكر لكن ربما يبعده ما سيأتى ان سنه
صلى الله عليه وسلم حين سافر مع ميسرة كان خمسا وعشرين سنة على الراجح لا عشر سنين وعلى
هذا فالشجرة لم تكن الا عند صومعة الراهب نسطورا لا عند صومعة الراهب بحيرا وذكر
بحيرا موضع نسطورا وهو ما وقع فى شرف المصطفى للنيسابورى وهم من بعض الرواة سرى
اليه من اتحاد محلهما وهو سوق بصرى الا ان يقال يجوز أن يكون الراهب نسطورا خلف بحيرا
فى تلك الصومعة لموته مثلا وهو أقرب من دعوى تعدد الشجرة فتكون واحدة عند صومعة
بحيرا وواحدة عند صومعة نسطورا وكلاهما قال فيها عيسى ما ذكر أو من دعوى اتحادها
وانها بين صومعة بحيرا وصومعة نسطورا وان العير الذى كان فيه أبو طالب نزل جهة صومعة
بحيرا والعير الذى كان فيه أبو بكر وميسرة نزل جهة صومعة نسطورا وسيأتى ان بحيرا
ونسطورا ونحوهما ممن صدق بأنه صلى الله عليه وسلم نبى هذه الامة من أهل الفترة لا من أهل
الاسلام لانهما لم يدركا البعثة أى الرسالة بناء على اقترانها بالنبوة أو ان المراد بها النبوة أى لم
يدركا النبوة فضلا عن الرسالة بناء على تأخرها عن النبوة ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال فى بحيرا
ما أدرى أدرك البعثة أم لا هذا كلامه فى الاصابة وليس هذا بحيرا الراهب الصحابى الذى
هو أحد الثمانية الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب من الحبشة فانه رضى الله تعالى عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا شرب الرجل كأسا من خمر الحديث ومن قال
ان هذا الحديث منكر ظن ان بحيرا هذا هو بحيرا المذكور هنا الذى لقى النبى صلى الله عليه
وسلم قبل البعثة والله أعلم

﴿باب ما حفظه الله تعالى به فى صغره صلى الله عليه وسلم من أمر الجاهلية﴾

أى من أقذارهم ومعايبهم أى بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى
صار أحسنهم خلقا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والاخلاق التى
تدنس الرجال تنزيها وتكريما أى حتى كان صلى الله عليه وسلم أفضل قومه مروأة وأحسنهم
خلقا وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا وأعظمهم حلما وأمانة وأصدقهم حديثا فسموه

أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد أين من طغى وبغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الاعلى ألم يكونوا أكثر
منكم أموالا وأطول منكم آجالا وأبعد منكم آمالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم
خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ١٣١ ثم أنشأ يقول الابيات المتقدمة وفى رواية
زيادة ان الصعب ذا القرنين ملك
الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين
ثم كان كلمحة عين وفى رواية قال
فى خطبته سيأتيكم حق من هذا
الوجه وأشار بيده الى نحو مكة قالوا
له وما هذا قال له رجل أبلج أحور
من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة
الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان
فاذا دعاكم فأجيبوه ولو علمت
انى أعيش الى مبعثه لكنت أول
من يسعى اليه وقد رويت هذه
القصة من طرق متعددة يقوى
بعضها بعضا كما قال الحافظ ابن كثير
والحافظ ابن حجر ولا التفات لقول
ابن الجوزى ببطلان هذا الحديث
ثم ان بعض طرقه يدل على أن النبى
صلى الله عليه وسلم كان حافظا
لكلامه وبعضها على انه نسى
فيحتمل أنه كان ناسيا ثم لما ذكره
أبو بكر رضى الله عنه أو غيره
تذكره فرواه بعد ذلك واختلاف
روايات الوفد تدل على تعدد مجىء
وفد عبد القيس ففى كل مرة ذكر
شيأ وقد جاء فى الحديث رحم الله
قسا انه كان على دين اسمعيل بن
ابراهيم عليهما السلام وقيل انه
أدرك الحواريين وكان على دين
عيسى عليه السلام ومن شعره

الحمد لله الذى
لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمدا
خير نبى قد بعث
صلى عليه الله ما
حج له ركب وحث

والجارود المتقدم ذكره كان متصلبا فى الاسلام أدرك زمن الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن
محمدا رسول الله وكفر من لم يشهد وله أشعار كثيرة منها قوله شهدت بان الله حق وسامحت * بنات فؤادى بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله عنى رسالة * بأنى حنيف حيث كنت من الارض وسكن البصرة وقتل بنهاوند سنة احدى وعشرين من الهجرة

الامين لما جمع الله عز وجل فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة (فمن ذلك) ماذكره ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتنى أى رأيت نفسى فى غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض مايلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فانى لاقبل معهم كذلك وأدبر اذلكمنى لاكم أى من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة وفى لفظ لكمنى لكمة شديدة وقد يقال لامنافاة لانها مع شدتها لم تكن وجيعة له صلى الله عليه وسلم ثم قال شد عليك ازارك فأخذته فشددته على ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وازارى على من بين أصحابى أى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك أى نقل الحجارة عاريا عند اصلاح أبى طالب لزمزم فعن ابن اسحق وصححه أبو نعيم قال كان أبو طالب يعالج زمزم وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشى عليه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال أتانى آت عليه ثياب بيض فقال لى استتر فما رؤيت عورته صلى الله عليه وسلم من يومئذ وفى الخصائص الصغرى ونهى صلى الله عليه وسلم عن التعرى وكشف العورة من قبل ان يبعث بخمس سنين وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك أى نهيه عن التعرى عند بنيان الكعبة كما يأتى وسيأتى ما فيه (ومن ذلك) ماجاء عن على رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ماهممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية أى ويفعلونه الامرتين من الدهر كلتاهما عصمنى الله عز وجل منهما أى من فعلهما قلت لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى غنم لاهله يرعاها أى وفى لفظ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا ٥ لم أقف على اسم هذا الفتى ابصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم وأصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ماهذا فقالوا فلان قد تزوج بفلانة لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتنى عيناى فنمت فما أيقظنى الاحر الشمس أى وفى لفظ فجلست أنظر أى أسمع وضرب الله على أذنى فوالله ما أيقظنى الاحر الشمس فرجعت الى صاحبى فقال مافعلت فأخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك (أقول) المناسب لقوله عصمنى الله مافى الرواية الثانية لا ماذكر فى الرواية الاولى الا أن يحمل قوله فى الرواية الاولى فلهوت على أردت ان الهو والله أعلم فقال صلى الله عليه وسلم والله ماهممت بعدهما بسوء مما تعمله أهل الجاهلية أى ماهممت بسوء مما تعمله أهل الجاهلية غيرهما وفى لفظ فوالله ماهممت ولا عدت بعدهما لشئ من ذلك أى مما تعمله أهل الجاهلية ولا هممت به حتى أكرمنى الله تعالى بنبوته (ومن ذلك) ماجاء عن أم أيمن رضى الله عنها انها قالت كان بوانة بضم الموحدة وبفتح الواو مخففة بعدها ألف ونون صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك أى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل فى كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك حتى قالت رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن

﴿ومن ذلك﴾ خبر نافع الجرشى نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير وسمى به بلدهم أن بطنا من اليمن كان لهم كاهن فى الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه فى أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس فرفع طرفه الى السماء طويلا ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ﴿وألحق﴾ بعضهم بهذا الباب مانقل عن تبع من ذكره للنبى صلى الله عليه وسلم فى أشعاره يروى أن الانصار شكوا الى تبع مايلقون من اليهود من الاذى فأراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فجاء حتى نزل بهم فقال له رجل معمر من علماء اليهود الملك أجل من أن يطرقه فرق أو يستخفه غضب وامره أعظم من أن يضيق حلمه أو يخرم صفحه وهذه البلدة مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فآمن تبع بالنبى صلى الله عليه وسلم ورجع وكسا الكعبة ومن شعر تبع قوله

شهدت على أحمد أنه
نبى من الله بارى النسم
فلومد عمرى الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه
وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت فى الزبور
وأمته هى خير الامم

(ومن ذلك قوله أيضا)

ويأتى بعدهم رجل عظيم
نبى لا يرخص فى الحرام
يسمى أحمدا باليت أنى
أعمر بعده بعثه بعام

وهذا الذى منع تبعا من تخريب المدينة اسمه شامول وكان عالما من علماء اليهود وقال لتبع فى رواية أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبى من بنى اسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه هجرته وان منزلك الذى أنت به سيكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبى قال له قومه قال وأين قبره قال بهذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكون النصرة قال له مرة وعليه أخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم سأله عن صفته

انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ويقلن ماتريد يا محمد ان تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ماشاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقلن ماد هاك قال انى أخشى ان يكون بى لمم أى لمة وهو المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير مافيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم منها أى من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض طويل أى وذلك من الملائكة يصيح بى وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم (أقول) ظاهر هذا السياق ان اللمم يكون من الشيطان وحينئذ يكون بمعنى اللمة وهى المس من الشيطان كما قدمناه فقد أطلق اللمم على اللمة والا فاللمم نوع من الجنون كما تقدم فى قصة الرضاع قد أصابه لمم أو طائف من الجن اذ هو يدل على ان اللمم يكون من غير الشيطان كمرض وعبارة الصحاح اللمم طرف من الجنون وأصاب فلانا من الجن لمة وهى المس أى فقد غاير بينهما والله أعلم (ومن ذلك) مارويته عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ماذبح لغير الله تعالى أى فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله عز وجل وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الارض الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله فما ذقت شيأ ذبح على النصب أى الاصنام حتى أكرمنى الله تعالى برسالته أى وزيد بن عمرو كان قبل النبوة زمن الفترة على دين ابراهيم عليه السلام فانه لم يدخل فى يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح التى تذبح للاوثان ونهى عن الوأد وتقدم انه كان يحيها اذا أراد أحد ذلك أخذ الموؤدة من أبيها وتكفلها وكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا تعبدا وصدقا وقيل ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد للكعبة قال صلى الله عليه وسلم انه يبعث أمة وحده أى يقوم مقام جماعة انتهى أى فان ولده سعيدا قال يارسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له قال نعم استغفر له فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وفى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم لقى زيد بن عمرو بن نفيل قبل ان ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم الوحى وقد قدمت الى النبى صلى الله عليه وسلم سفرة أى فيها شاة ذبحت لغير الله عز وجل أو قدمها النبى صلى الله عليه وسلم اليه فأبى ان يأكل منها وقال انى لست آكل ماتذبحون على أنصابكم ولا آكل الا ماذكر اسم الله عليه ولعل هذا كان قبل ماتقدم عنه صلى الله عليه وسلم وان ذلك كان هو السبب فى ذلك قال الامام السهيلى وفيه سؤال كيف وفق الله عز وجل زيدا الى ترك ماذبح على النصب ومالم يذكر اسم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية لما ثبت من عصمة الله تعالى له أى فكان صلى الله عليه وسلم يترك ذلك من عند نفسه لا تبعا لزيد بن عمرو وحينئذ لا يحسن الجواب الذى أشرنا اليه بقولنا وأجاب أى السهيلى بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم أكل من تلك السفرة أى ولا من غيرها سلمنا انه أكل قبل ذلك مما ذبح على النصب فتحريم ذلك لم يكن من شرع ابراهيم انما كان تحريم ذلك فى الاسلام والاصل فى الاشياء قبل ورود الشرع على الاباحة هذا كلامه وفيه ان هذا التسليم يبطل عد الشمس الشامى ذلك من أمر الجاهلية التى

فأخبره بها ولما قال له شامول ماذكر ونص القصة كان معه أحبار قالوا لن نبرح ههنا الملك ندركه أو أبناؤنا فأعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا بالمدينة وأعدوا دارا للنبى صلى الله عليه وسلم قيل هى دار أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه التى نزل بها صلى الله عليه وسلم حين هجرته فما نزل الا فى داره وكتب كتابا أبقاه عندهم للنبى صلى الله عليه وسلم فصار وايتوارثونه ويستحفظون عليه حتى بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر فأخرجوه اليه والقصة مبسوطة فى الوفاء تاريخ المدينة للسيد السمهودى رحمه الله وسيأتى التعرض لها مع زيادة على ماهنا عند ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة فى دار أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه ﴿وألحق بذلك﴾ بعضهم أخبار كعب بن لؤى جد النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان يخطب الناس يوم العروبة أعنى يوم الجمعة ويذكر فى خطبته النبى صلى الله عليه وسلم ويبشر به (فمن ذلك) قوله أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل داج ونهار وهاج والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم اعلام الى أن قال حرمكم زينوه وعظموه فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم وأنشد

نهار وليل كل يوم بحادث
سواء علينا ليلها ونهارها
منونان بالاحداث حين تناوبا
وبالنعم الضافى علينا سرورها
على غفلة يأتى النبى محمد
فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

﴿ومن ذلك﴾ خبر سفيان بن مجاشع التميمى جد الفرزدق كان قد احتمل عن قومه ديات فخرج الى من تميم فاذا هم مجتمعون عند كاهنة فأتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه والذليل من لاحاه والموفور من والاه والموتور من عاداه فقال سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم ورأس رؤس ورابض تموس وماحن بؤوس وماهد رغوس وناعس ومنعوس فقال سفيان لله أبوك من هو فقالت نبى مؤيد قد أتى حين يوجد ودنا أوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد قال

حفظه الله تعالى منه فى صغره ويخالف ما ذكره بعضهم من ان زيد بن عمرو هذا هو رابع اربعة من قريش فارقوا قومهم فتركوا الاوثان والميتة وما يذبح للاوثان * كانوا يوما فى عيد لصنم من أصنامهم يحضرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به فى ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ما قومكم على شىء لقد أخطؤا دين أبيهم ابراهيم فما حجر نطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا فى البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم وظاهر هذا السياق ان تركهم للاوثان كان بعد عبادتهم لها وسيأتى عن ابن الجوزى انهم لم يعبدوها وهؤلاء الثلاثة الذى زيد بن عمرو رابعهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وعثمان بن الحويرث وزاد ابن الجوزى على هؤلاء الاربعة جماعة آخرين سيأتى الكلام عليهم عند الكلام على أول من أسلم وزيد بن عمرو بن نفيل هذا كان ابن أخى الخطاب والد سيدنا عمر أخاه لامه فأما ورقة فلم يدرك البعثة على ما سيأتى وكان ممن دخل فى النصرانية أى بعد دخوله فى اليهودية كما سيأتى وأما عبيد الله بن جحش فادرك البعثة وأسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هناك كما سيأتى وكان يمر على المسلمين ويقول لهم فقحنا وصأصأتم أى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا ومات على النصرانية وأما عثمان ابن الحويرث فلم يدرك البعثة وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل هذا كان يوبخ قريشا ويقول لهم والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح أحد منكم على دين ابراهيم غيرى حتى ان عمه الخطاب أخرجه من مكة وأسكنه بحراء ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة أن يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسأل الاحبار والرهبان عن ذلك حتى بلغ الموصل ثم أقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم أهل النصرانية فسأله عن ذلك فقال له انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه فدفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن بأصل جبل حراء هذا وفى كلام الواقدى عن زيد بن عمرو انه قال لعامر بن ربيعة وأنا انتظر نبيا من ولد اسمعيل ولا أرى أن أدركه وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد انه نبى فان طالت بك مدة فرأيته فاقرأه منى السلام قال عامر فلما أسلمت أعلمته صلى الله عليه وسلم بخبر زيد فرد عليه السلام وترحم عليه وتقدم ان ولده سعيدا سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لابيه زيد فقال نعم استغفر له الحديث قال وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين أى شجرتين عظيمتين قال الحافظ ابن كثير اسناده جيد قوى أى وقال الا انه ليس فى شىء من الكتب وفى رواية رأيته فى الجنة يسحب ذيولا (وعن الزهرى) نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل ما يذبح للجن وعلى اسمهم وأما ما قيل عند ذبحه بسم الله واسم محمد فلا يأكله وان كان القول المذكور حراما لايهامه التشريك وهذا من جملة المحال المستثناة من قوله تعالى لا أذكر الا وتذكر معى فقد جاء أتانى جبريل

سفيان الله أبوك أعربى أم عجمى فقالت أما والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان انه لمن معد بن عدنان فأمسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء ان يكون هو النبى المذكور وهو احد من تسمى باسم النبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وتقدمت قصة سيف بن ذى يزن احد ملوك اليمن وتكامه مع عبد المطلب وبشارته بالنبى صلى الله عليه وسلم

وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لعبد المطلب أيضا أشهد ان فى احدى يديك ملكا وفى الاخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية (ومن ذلك) خبر زيد ابن عمرو بن نفيل انه لقى راهبا بالجزيرة فسأله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار والرهبان فى ضلال وانك لتسال عن دين الله وقد خرج فى أرضك أو هو خارج نبى يدعو اليه فارجع اليه فصدقه فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته فقال يا عم مالى أرى قومك قد أبغضوك فقال اما والله ان ذلك لغير ثائرة منى اليهم ولكنى أراهم على ضلالة فخرجت أبتغى هذا الدين ثم أخبره بما عرفه به الراهب من أمره صلى الله عليه وسلم وان كان لا يعلم انه هو النبى الموعود به (ومن ذلك) ما أخرجه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عسكلان الحميرى وكان شيخا كبيرا وكنت انزل عليه اذا جئت اليمن فسالنى مرة عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده واخبروه بمكانى فشد عليه عصابة واستند وقعد وقال لى انتسب يا أخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة قال حسبك الا أخا زهرة الا أبشرك فقال ببشارة هى خير لك من التجارة قال ان الله قد بعث فى الشهر الأول من قومك نبيا وارتضاه صفيا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام ويأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله

فقال ان ربى وربك يقول لك أتدرى كيف رفعت ذكرك أى على أى حال جعلت ذكرك مرفوعا مشرفا المذكور ذلك فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت الله أعلم قال لا أذكر الا وتذكر معى أى فى غالب المواطن وجوبا أو ندبا ومن ذلك ما روى عن على رضى الله تعالى عنه قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا ومازلت أعرف ان الذى هم عليه كفر وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الايمان انتهى (أقول) تحريم شرب الخمر فى الجاهلية ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل حرمها على نفسه فى الجاهلية جماعة كثيرون سيأتى ذكر بعضهم وتقدم ذكر بعض منهم وكون شرب الخمر من الكفر على ما هو ظاهر السياق يعنى ينبغى أن يجتنب كما يجتنب الكفر ولعل صدور هذا منه صلى الله عليه وسلم كان بعد تحريم الخمر ويكون الاتيان بذلك للمبالغة فى الزجر عنها والتباعد منها لانها أم الخبائث وقد كانت نفوس غالبهم ألفتها وهذا محمل ما جاء أتانى جبريل فقال بشر أمتك انه من مات لا يشرك بالله شيأ أى مصدقا بما جئت به دخل الجنة أى لا بد وان يدخل الجنة وان دخل النار قلت يا جبريل وان زنى وان سرق قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان شرب الخمر والمراد بتحريمها تحريمها على الناس والا ففى الخصائص الصغرى للسيوطى وحرمت عليه الخمر من قبل ما بعث قبل ان تحرم على الناس بعشرين سنة والله أعلم قال وأما ما رواه جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه واحد يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قبل فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم قال الحافظ ابن حجر أنكره الناس أى فقد قال الامام أحمد كما فى الشفاء انه موضوع أو يشبه الموضوع وقال الدارقطنى ان ابن أبى شيبة وهم فى اسناده والحديث بالجملة منكر فلا يلتفت اليه والمنكر فيه قول الملك عهده باستلام الاصنام قبل فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس ذلك مرادا أبدا بل المراد انه شاهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم أى لشهوده بعض مشاهدهم التى تكون عند الاصنام وقال غيره والمراد بالمشاهد التى شهدها أى التى كان يشهدها مشاهد الحلف ونحوها كالضيافات الآتى بيانها لا مشاهد استلام الاصنام فانه يرده ما تقدم عن أم أيمن انتهى أى من قولها ان بوانة كان صنما لقريش تعظمه وتعتكف عليه يوما الى الليل فى كل سنة الى آخره أى ويرده أيضا ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم لبحيرا لما حلفه باللات والعزى لا تسألنى بهما فانى والله ما أبغضت شيأ قط بغضهما لان مثل اللات والعزى غيرهما من الاصنام فى ذلك وما سيأتى من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضى الله تعالى عنها والله ما أبغضت بغض هذه الاصنام شيأ قط وما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر والله سبحانه وتعالى أعلم

باب رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم

قال رعيته بكسر الراء المراد الهيئة انتهى (أقول) المبين فى هذا الباب انما هو فعله صلى الله عليه وسلم الذى هو رعيه للغنم لا بيان هيئة رعيه للغنم فرعيته بفتح الراء لا بكسرها والله أعلم * عن أبى

فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثمالة ولا من السرف ولا تبالة هو من بنى هاشم وانتم اخواله يا عبد الرحمن أخف الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

اشهد بالله ذى المعالى * وفالق الليل والصباح
انك ذو السر من قريش * يا ابن المفدى من الذباح
ارسلت تدعو الى يقين * يرشد للحق والفلاح
اشهد بالله رب موسى * انك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعى الى مليك * يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضى الله عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة رضى الله عنها رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لى أرى وجها خليقا ان أرجو له خيرا فما وراءك فقلت وديعة فقال ارسلك مرسل برسالة هاتها فأخبرته وأسلمت فقال أخو حمير مؤمن مصدق بى وما شاهدنى أولئك من اخوانى حقا (ومن ذلك) خبر مخيريق اليهودى كان عالما حبرا بالمدينة كثير المال وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الا انه غلبه الف دينه فلما كانت غزوة أحد وكانت يوم السبت قال يا معشر يهود انكم تعلمون ان نصر محمد حق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد وعهد الى قومه ان مت هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع بها ما رآه ثم أسلم على يد النبى صلى الله عليه وسلم وقاتل حتى قتل فجعل النبى صلى الله عليه وسلم ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود (ومن ذلك) ما رواه كعب الاحبار فى صفاته صلى الله عليه وسلم فانه كان من أحبار اليهود فأسلم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة وكان يذكر أخبارا كثيرة فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم حفظها من الكتب القديمة المنزلة وسأله عمر رضى الله عنه مرة عن صفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة

فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادي المقدس فيظهر التوحيد دوالحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وآياته بهاثم يقبض ويدفن بها ﴿ومن ذلك﴾ خبر ضغاطر وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية الكلبي لما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر ملك الروم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عند هرقل ادخلني عليه وارسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فسأله عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هذا الذي كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام أما أنا فمصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكي قال دحية فقال لي الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام واخبره اني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واني قد آمنت به وصدقته ثم ألقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له اما قلت لك انا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان اعظم عندهم مني واخبار الاحبار والكهان وتصريحهم بصفاته صلى الله عليه وسلم وتصديقه لا يمكن حصره واستقصاؤه وما أنكر ذلك منهم من أنكره الا حسدا وبغيا والله الهادي الى سواء السبيل ﴿وأما اخبار الكهان﴾ على ألسنة الجان فكثيرة منها خبر سواد ابن قارب رضي الله عنه وكان من دوس قوم أبي هريرة رضي الله عنه كان يتكهن في الجاهلية وكان شاعرا ثم أسلم فعن محمد بن كعب القرظي قال بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالس اذ مر به رجل فقيل له يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد بن قارب الذي أتاه رئيه أي تابعه من الجن الذي يتراءى له أتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم وكان هذا القول لعمر رضي الله عنه بعد أن قال وهو على المنبر أي منبر النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس فيكم سواد بن قارب فلم يجبه احد فلما كانت السنة المقبلة زمن مجيء الناس للزيارة من الآفاق

هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال له أصحابه وأنت يا رسول الله قال وأنا رعيتها لاهل مكة بالقراريط أي وهي أجزاء من الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة قال سويد بن سعيد يعني كل شاة بقيراط وقيل القراريط موضع بمكة فقد قال ابراهيم الحربي قراريط موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة أي والذهب قال وأيد هذا الثاني بان العرب لم تكن تعرف القراريط التي هي قطع الذهب والفضة بدليل انه جاء في الصحيح ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ولانه جاء في بعض الروايات لاهلي ولا يرعى لاهله باجرة أي كما قضت بذلك العادة وأيضا جاء في بعض الروايات بدل بالقراريط باجياد فدل ذلك على ان القراريط اسم محل عبر عنه تارة بالقراريط وتارة باجياد ورد بان أهل مكة لا يعرفون بها محلا يقال له القراريط وحينئذ يكون أراد باهله أهل مكة لا أقاربه التي تقضي العادة بانه لا يرعى لهم بالاجرة والاضافة تأتي لادنى ملابسة ويدل لذلك ما جاء في رواية البخاري كنت أرعاها أي الغنم على قراريط لاهل مكة وذكره البخاري كذلك في باب الاجارة وذلك يبعد ان المراد بالقراريط المحل وجعل على بمعنى الباء ويرد القول بان العرب لم تكن تعرف القراريط التي هي قطع الدراهم والدنانير أي ويمنع دلالة قوله صلى الله عليه وسلم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط على ذلك الجواز أن يكون المراد يذكر فيها القيراط كثيرا لكثرة التعامل به فيها أو ان المراد بالقيراط ما يذكر في المساحة وجمع الحافظ ابن حجر بانه رعى لاهله أي أقاربه بغير أجرة ولغيرهم باجرة والمراد بقوله أهلي أهل مكة أي الشامل لاقاربه ولغيرهم قال فيتجه الخبران ويكون في أحد الحديثين بين الاجرة أي التي هي القراريط وفي الآخر بين المكان أي الذي هو اجياد فلا تنافي في ذلك هذا كلامه ملخصا وعبارته تقتضي وقوع الامرين منه صلى الله عليه وسلم وهو مما يتوقف على النقل في ذلك قال ابن الجوزي كان موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم رعاة غنم وهذا يرد قول بعضهم لم يرد ابن اسحق برعايته صلى الله عليه وسلم الغنم الا رعايته لها في بني سعد مع أخيه من الرضاع أي وقد يتوقف في كون قول ابن الجوزي هذا بمجرده يرد قول هذا البعض نعم يرده ما تقدم وما يأتي وفي الهدى انه صلى الله عليه وسلم آجر نفسه قبل النبوة في رعية الغنم (ومن حكمة الله) عز وجل في ذلك ان الرجل اذا استرعى الغنم التي هي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفا فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الاحوال ووقع الافتخار بين أصحاب الابل وأصحاب الغنم أي عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستطال أصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعي غنم وبعث داود وهو راعي غنم وبعثت أنا وأنا راعي غنم أهلي باجياد أي وهو موضع باسفل مكة من شعابها ويقال له جياد بغير همزة ولعل المراد بقوله راعي غنم أي وكذا قوله وأنا راعي غنم أي وقد رعى الغنم وقد رعيت الغنم اذ الاخذ بظاهر الحالية بعيد وانتظر حكمة الاقتصار على من ذكر من الانبياء مع قوله السابق ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم وما يأتي من قوله وما من نبي الا وقد رعاها وقد قال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال في الغنم سمنها معاشنا وصوفها رياشنا ودفؤها

قال أيها الناس فيكم سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيأ عجيبا قال البراء فبينما نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فقالوا لعمر رضي الله عنه هذا سواد فأرسل اليه عمر رضي الله عنه فجاء فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال انت أتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال عمر سبحان الله ما كنا عليه من الشرك اعظم أي ما كنا عليه من عبادة الاصنام اعظم مما كنت عليه من كهانتك وفي رواية ان عمر رضي الله عنه قال اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى أكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وفي كلام السهيلي ان عمر رضي الله عنه مازح سوادا رضي الله عنه فقال ما فعلت كهانتك يا سواد فغضب وقال له سواد قد كنت انا وانت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرني بامر قد تبت منه فقال عمر رضي الله عنه اللهم غفرا ثم قال يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ أتاني رئيي وضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى دين الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها
وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغي الهدى
ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم
ليس قداماها كاذنابها

فقلت دعني أنام فاني أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

ودفؤها كساؤنا وفي رواية سمنها معاش وصوفها رياش أي وفي الحديث الفخر والخيلاء في أصحاب الابل والسكينة والوقار في أهل الغنم ولعل هذا لا ينافي ما جاء في الامثال قالوا أحمق وفي لفظ أجهل من راعي ضأن لما بين لان الضأن تنفر من كل شيء فيحتاج راعيها الى جمعها أي وذلك سبب لحمقه فليتأمل وفي رواية الفخر والخيلاء وفي لفظ والرياء في أهل الخيل والوبر قال وفيما تقدم في الباب قبل هذا من أمر السمر دليل على ذلك أي على رعايته للغنم أيضا وما رواه جابر رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة أي وهو النضيج من ثمر الاراك وفي الحديث عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه أطيبه فاني كنت أجتنيه اذ كنت أرعى الغنم قلنا وكيف ترعى الغنم يا رسول الله قال نعم وما من نبي الا وقد رعاها اه (أقول) وحينئذ لا ينبغي لاحد عير برعاية الغنم ان يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك أدب لان ذلك كما علمت كمال في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري ذلك في كل ما يكون كمالا في حق النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره كالامية فمن قيل له أنت أمي فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا يؤدب والله أعلم

﴿باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار﴾

أي بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة وهو فجار البراض بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وضاد معجمة عن ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حضرته يعني الحرب المذكورة مع عمومتي ورميت فيه باسهم وما أحب أني لم أكن فعلت وكان له من العمر أربع عشرة سنة أي وهذا الفجار الرابع وأما الفجار الاول فكان عمره صلى الله عليه وسلم حينئذ عشر سنين وسببه أي هذا الفجار الاول ان بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال أنا أعز العرب فمن زعم انه أعز مني فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فاندرها أي أسقطها وأزالها وقيل جرحه جرحا يسيرا قال بعضهم وهو الاصح فاقتتلوا وسبب الفجار الثاني ان امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فأطاف بها شاب من قريش من بني كنانة فسألها ان تكشف وجهها فأبت فجلس خلفها وهي لا تشعر وعقد ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك الناس منها فنادت المرأة يا آل عامر فثاروا بالسلاح ونادى الشاب يا بني كنانة فاقتتلوا وقوله فسألها أن تكشف وجهها فأبت يدل على ان النساء في الجاهلية كن يابين كشف وجوههن وسبب الفجار الثالث انه كان لرجل من بني عامر دين على رجل من بني كنانة فلواه به أي مطله فجرت بينهما مخاصمة فاقتتل الحيان وقد ذكر ان عبد الله بن جدعان تحمل ذلك الدين في ماله وكان ذلك سببا لانقضاء الحرب وقيل لم يقاتل صلى الله عليه وسلم في فجار البراض وعليه اقتصر في الوفاء أي لم يرم فيه باسهم بل قال كنت أنبل على اعمامي أي أرد عليهم نبل عدوهم اذا رموه وقد يقال لا مخالفة لانه ليس في هذه العبارة انه لم يرم بل فيها انه كان ينبل ويجوز ان يكون أغلب أحواله صلى الله عليه وسلم ذلك أي انه كان ينبل أي يرد النبل فلا ينافي انه رمى في بعض

فقلت دعني أنم فاني أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس بأحلاسها

تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما خير الجن كأنجاسها

الاوقات باسهم أي وفي كلام بعضهم كان أبو طالب يحضر أيام الفجار أي فجار البراض وكانت أربعة أيام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت قيس ولعل المراد قيس هوازن فلا ينافي ما يأتي من الاقتصار على هوازن واذا لم يجيء هو أي في يوم من تلك الايام هزمت كنانة فقالوا الأبا لك لا تغب عنا فلم نذكره في الامتاع وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم طعن أبا براء ملاعب الاسنة في تلك الحروب أي في بعض تلك الايام وأبو براء هذا كان رئيس بني قيس وحامل رايتهم في تلك الحرب والطعن ظاهر في الرمح محتمل للنبل وظاهر كلامهم انه لم يقاتل فيه بغير الرمي للاسهم على تقدير صحة تلك الرواية بذلك ولا يبعد أن يكون رمى ولم يصب أحدا اذ لو أصاب أحدا النقل لانه مما توفر الدواعي على نقله الا أن يقال بجواز أن يكون أصاب ثمرة لم تذكر فليتأمل قال وسميت الفجار لان العرب فجرت فيه لانه وقع في الشهر الحرام اهـ (أقول) ظاهره حروب الفجار الاربعة أي التي هي فجار البراض وغيرها وظاهر كلامهم صلى الله عليه وسلم انه لم يحضر الافي الفجار الرابع الذي هو فجار البراض ثم رأيت التصريح بذلك في الوفاء وسأذكره وسيأتي في الباب الذي يلي هذا ان حرب الفجار لم يكن في شهر حرام وسيأتي في هذا الباب ما يدل على ذلك أي ان القتال في ذلك لم يكن في الشهر الحرام وانما سببه كان في الشهر الحرام وهو قتل البراض لعروة الرحال فقد قيل سبب القتال ان عروة الرحال بتشديد الحاء المهملة وكان من أهل هوازن أجار لطيمة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة واللطيمة العير التي تحمل الطيب والبز التجارة أي فان المنذر كان يرسل تلك اللطيمة لتباع في سوق عكاظ ويشترى له بثمن ذلك أدم من أدم الطائف ويرسل تلك اللطيمة في جوار رجل من أشراف العرب فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب كان فيهم البراض وهو من بني كنانة وعروة الرحال وهو من هوازن فقال البراض أنا أجيرها على بني كنانة دمني قومه فقال له النعمان ما أريد الا من يجيرها على أهل نجد وتهامة فقال له عروة الرحال أنا أجيرها لك فقال له البراض أتجيرها على كنانة فقال نعم وعلى أهل الشيح والقيصوم ونزل من البراض فخرج عروة الرحال مسافرا وخرج البراض خلفه يطلب غفلته فلما استغفله وثب عليه فقتله ثم قال فانه شرب الخمر وغنته القينات فسكر ونام فجاءه البراض وأيقظه فقال له الرجال ناشدتك الله لا تقتلني فانها كانت مني زلة وهفوة فلم يلتفت اليه وقتله وذلك في الشهر الحرام فأتى آت كنانة وهم بعكاظ مع هوازن فقال لكنانة ان البراض قد قتل عروة الرحال وهو في الشهر الحرام فانطلقوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبيل دخولهم الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم وعاونت قريش كنانة ولا يخفى ان في هذا تصريحا بان القتال لم يكن في الشهر الحرام لانهم اذا كانوا في الشهر الحرام لا يقاتلون مطلقا أي وان لم يدخلوا الحرم فكفهم عن قتالهم لمقاربتهم دخول الحرم وقتالهم لهم في اليوم الثاني دليل على أن قتالهم لم يكن في الشهر الحرام ومكث القتال بينهم أربعة أيام أي كما تقدم (أقول) قال السهيلي الصواب ستة أيام والله أعلم قال وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض تلك الايام أخرجه أعمامه معهم أي ويدل له ما تقدم من انه كان اذا حضر غلبت كنانة واذا لم يحضر هزمت وفي بعض تلك الايام وهو أشدها أي وهو

اليوم

فارحل الى الصفوة من هاشم
وأوم بعينيك الى راسها
فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي
فرحلت ناقتي حتى أتيت مكة وفي
رواية المدينة قال البيهقي والرواية
الاولى أصح فاذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه حوله فلما
رآني قال مرحبا بك يا سواد بن
قارب قد علمنا ما جاء بك قلت
يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع
مقالتي فقال هات فأنشأت أقول
أتاني رئيي بعد ليل وهجعة
ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة
أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازار ووسطت
بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد أن الله لا رب غيره
وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة
الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل
وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة
سواك بمغن عن سواد بن قارب
ففرح النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى
رؤي الفرح في وجوههم وضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
بدت نواجذه وقال أفلحت يا سواد
قال البراء فرأيت عمر رضي الله
عنه التزمه وقال لقد كنت أشتهي
ان أسمع هذا الحديث منك فهل
يأتيك رئيك اليوم فقال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن وهذا السياق يدل على أن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره سواد ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وخشي سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا وقال يا معشر دوس من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقاوتهم ان لا يتعظوا الا بأنفسهم وان

من لا تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ولا ينبغي لاهل البلاء الآن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية ولست أدري لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فأحبوها فأجابه القوم بالسمع والطاعة * ومن ذلك ان امرأة كانت كاهنة

بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع من الجن

اليوم الثالث قيد أمية وحرب ابنا أمية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفروا فسموا العنابس أي الاسود اهـ أي وحرب والد أبي سفيان وأمية أخوه ماتا على الكفر وأبو سفيان أسلم كما سيأتي ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للوعد أي وكان أمر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان وقيل كان الى حرب بن أمية والد أبي سفيان لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن أخيه ربيعة بن عبد شمس يتيما في حجره فضن أي بخل به حرب وأشفق أي خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر أي يعلم به الا وهو على بعير بين الصفين ينادي يا معشر مضر علام تفانون فقالت له هوازن ما تدعوا اليه قال الصلح الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا أي فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن يقتلوهم قتلا ذريعا أي وذلك لا ينافي انهزامهم في بعض الايام قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الى أن نوفي لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال أنا قالوا ومن أنت قال أنا عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم ابن حزام وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما رأت هوازن الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وفي رواية وردت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب أوزارها وقد يقال على تقدير صحة هذه الرواية بواد بردت التزمت أن تديها فكان انقضاؤها على يد عتبة بن ربيعة وهو ممن قتل كافرا ببدر وهو أبو هند زوج أبي سفيان أم معاوية رضي الله عنها وعن زوجها وولدها المذكورين يقال لم يسد مملق أي فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال أي وفي كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وأبو طالب وكانا أفلس من أبي المزلق وهو رجل من بني عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا أبوه وجده وأبو جده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس هذا والذي في الوفاء الاقتصار على ان حرب الفجار كان مرتين المرة الاولى كانت المحاربة فيه ثلاث مرات المرة الاولى سببها أقضية بدر بن معشر الغفاري والمرة الثانية كان سببها قضية المرأة والثالثة سببها أقضية الدين ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرات وأما المرة الثانية فكانت بين هوازن وكنانة وقد حضرها صلى الله عليه وسلم وقد يقال لا خلاف في المعنى

باب شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول

وهو أشرف حلف في العرب والحلف في الاصل اليمين والعهد وسمي العهد حلفا لانهم يحلفون عند عقده وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار لان حرب الفجار كان في شوال أي وقيل في شعبان لا في الشهر الحرام ٥ أي وان كان سببه وهو قتل البراض لعروة الرحال كان في الشهر الحرام كما تقدم وكون هذا الحلف كان منصرف قريش من حرب الفجار ظاهر في انه كان بعد انقضاء الحرب وقبل مجيء الفريقين للموعد من قابل لان عند مجيئهم من قابل للموعد لم يقع حرب الأن يقال أطلق عليه حرب باعتبار انهم كانوا عازمين على المحاربة وهذا الحلف كان في ذي القعدة وأول من دعى اليه الزبير بن عبد المطلب أي عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فجاءها يوما فوقف على جدارها
فقالت له مالك لا تدخل تحدثنا
ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة
يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان
أول خبر تحدث به بالمدينة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
(وأما ما سمع) من جوف الاصنام
فكثير أيضا فمنها خبر عباس بن
مرداس رضي الله عنه قال كان
لابيه مرداس السلمي وثن يعبده
يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة
وبالميم المخففة بعدها ألف ثم راء
مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة
قال للعباس ولده أي بني اعبد
ضمارا فانه ينفعك ولا يضرك فبينا
عباس يوما عند ضمار اذ سمع من
جوف ضمار مناديا يقول
من للقبائل من سليم كلها
أودى ضمار وعاش أهل المسجد
ان الذي ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدي
أودى ضمار وكان يعبد مرة
قبل الكتاب الى النبي محمد
فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي
صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان
عباس بن مرداس كان في لقاح له
نصف النهار اذ طلع عليه راكب
على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض
فقال يا عباس ألم تر الى السماء قد
كف حراسها وان الحرب قد جرعت
أنفاسها وان الخيل وضعت أحلاسها
وان الذي نزل عليه البر والتقوى
صاحب الناقة القصوا قال العباس
فراعني ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مرة * قبل الصلاة على النبي محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدي

قال عباس فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فدخلت المسجد فلما رآنى صلى الله عليه وسلم تبسم وقال يا عباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت
وأسلمت أنا وقومى ﴿ومن ذلك﴾ خبر مازن بن الغضوبة قال كنت أسدن اى أخدم صنما بقرب عمان يدعى سمائل وسمال يقال له باجر
وفى لفظ باحر بالحاء المهملة فعترنا عنده ١٤٠ ذات يوم عتيرة وهى الذبيحة مطلقا وقيل فى رجب خاصة فسمعنا صوتا من
جوف الصنم يقول
يا مازن اسمع تسر
ظهر خير وبطن شر
بعث نبى من مضر
بدين الله الاعز الاكبر
فدع نحيتا من حجر
تسلم من حر نار سقر
قال مازن ففزعت لذلك الصنم
فسمعت صوتا منه يقول
أقبل الى اقبل
تسمع ما لا تجهل
هذا نبى مرسل * جاء بحق منزل
آمن به كى تعدل
عن حر نار تشعل
وقودها بالجندل
فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بى
قال مازن فبينما نحن كذلك اذ
قدم رجل من أهل الحجاز فقلنا له
ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل
يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا
داعى الله فقلت هذا نبأ ما سمعته
فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذا
وركبت راحلتى وأتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشرح لى
الاسلام فأسلمت وقلت
كسرت بادر أجذاذا وكان لنا
ربا نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمى هدانا من ضلالتنا
ولم يكن دينه شيأ على بال
يا راكبا بلغا عمرا واخوتها
انى لما قال ربى باجر قالى
قال مازن فقلت يا رسول الله انى
مولع بالطرب أى مغرم به وبشرب
الخمر وبالهلوك الفاجرة من النساء التى تتمايل وتتثنى عند جماعها وألحت أى دامت علينا السنون في
أى اعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الدرارى والعيال وليس لى ولد فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ويأتينى بالحيا
ويهب لى ولدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر أى الزنا

شقيق أبيه كما تقدم ٥ فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى وذلك فى دار عبد
الله بن جدعان التيمى كان بنو تيم فى حياته كأهل بيت واحد يقوتهم وكان يذبح فى داره كل يوم
جزورا وينادى مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج
فيطعمه قريشا أى وسبب ذلك انه كان أولا يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فاتفق
ان أمية بن أبى الصلت مر على بنى عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بنى المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم * لا ما يعللنا بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فارسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل
ينادى مناد ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ومن مدح أمية بن أبى الصلت فى ابن جدعان
قوله

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضك الثناء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء
يبارى الريح مكرمة وجودا * اذا ما الضب أحجره الشتاء

وكان عبد الله بن جدعان ذا شرف وسن وانه من جملة من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ٥
أى بعد ان كان بها مغرما وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه
فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها أبدا ومن حرمها على نفسه
فى الجاهلية عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه وقال لا أشرب شيأ يذهب عقلى ويضحك بى
من هو أدنى منى ويحملنى على أن أنكح كريمتى من لا أريد فصنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما
وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة أى الابد
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم
الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لانه لم يقل يوما
وفى رواية انه لم يقل ساعة من ليل أو نهار رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين رواه مسلم أى لم يكن
مسلما لان القول المذكور لا يصدر الا عن مسلم فلا يقال مقتضى الحديث انه لو قال ذلك لنفعه
ما ذكر يوم القيامة مع كونه كان كافرا لانه أدرك البعثة ولم يؤمن وحينئذ يسأل عن الحكمة
عن عدوله صلى الله عليه وسلم الى ذلك عن قوله لانه لم يؤمن بى أو لم يكن مسلما أى وكان يكنى
أبا زهير وقد قال صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر لو كان أبو زهير أو مطعم بن عدى حيا فاستوهبهم
لوهبتهم له وقد ذكر أن جفنة ابن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير أى وسيأتى
فى غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم ذكر انه ازدحم هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن
جدعان وانه صلى الله عليه وسلم دفع أبا جهل لعنه الله فوقع على ركبته فجرحت جرحا أثر فيها
وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان فى مكة عمى أى
فى الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمى تصغير أعمى على الترخيم رجل من العماليق أوقع
بالعدو القتل فى مثل ذلك الوقت وقيل هو رجل من عدوان كان فقيه العرب فى الجاهلية فقدم

العفة وأنه بالحيا وهب له ولدا قال مازن فأذهب الله عنى ما كنت أجده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا وأخصب عمان يعنى
قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لى حبان يعنى ولده وأنشأت أقول
اليك رسول الله حنت مطيتى * تجوب الفيافى من عمان الى العرج ١٤١ لتشفع لى يا خير من وطئ الحصى *
فيغفر لى ذنبى وأرجع بالفلج
الى معشر خالفت فى الله دينهم
ولا رأيهم رأيى ولا نهجهم نهجى
وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا
شبابى حتى آذن الجسم بالنهج
فبدلنى بالخمر خوفا وخشية
وبالعهر احصانا فحصن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى
فلله ما صومى ولله ما حجى
قال مازن فلما رجعت الى قومى
أنبونى أى عنفونى وشتمونى
ولامونى وأمروا شاعرهم
فهجانى فقلت ان هجوتهم فانما
أهجو نفسى فتنحيت عنهم وبنيت
مسجدا أتعبد فيه فكان لا يأتى
هذا المسجد أحد مظلوم فيتعبد
فيه ثلاثا ويدعو على من ظلمه الا
استجيب له ولا دعا ذو عاهة من
برص أو غيره الا عوفى ثم ان القوم
قدموا وطلبوا منى الرجوع اليهم
فأسلموا كلهم ذكره الحلبى فى السيرة
﴿واما ما سمع﴾ من أجواف
الذبائح فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال كنا يوما فى حى
من قريش يقال لهم آل ذريح
بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم
والجزار يعالجه فسمعنا صوتا من
جوف العجل ولا نرى شيأ يقول
يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح
بلسان فصيح يشهد ان لا اله الا الله
والمراد بالذريح العجل الذى ذبح
لانه ملطخ بالدم الاحمر يقال له أحمر
ذريحى أى شديد الحمرة والذى فى
البخارى يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح ايضا لانه قد جلح جلده أى كشف عنه
جلده (واما ما سمع) من الهواتف ولم يجئ على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ما حدث
به بعضهم وذكره للنبى صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت أطلب بعيرا لى حتى اذا عسعس الليل أى أدبر

فى قومه معتمرا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم فى نحر الظهيرة من أتى مكة
غدا فى مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغد
فى وقت الظهيرة ولعل هذا لا يخالفه قول ابن عباس رضى الله عنهما عجلنا الرواح للمسجد صكة
الاعمى فقيل ما صكة الاعمى قال انه لا يبالى أية ساعة خرج وكان عبد الله بن جدعان فى ابتداء
أمره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فتاكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى
أبغضته عشيرته وطرده أبوه وحلف لا يأويه أبدا فخرج هائما فى شعاب مكة يتمنى الموت فرأى
شقا فى جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه
الثعبان فلما تأخر انساب أى رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه أن هذا مصنوع فقرب
منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذى كان هذا
الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك ووجد فى ذلك المحل أموالا كثيرة من الذهب
والفضة وجواهر كثيرة من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق
بعلامة وصار ينقل منه ذلك شيأ فشيأ ووجد فى ذلك الكنز لوحا من رخام فيه أنا نفيلة بن جرهم
ابن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض باطنها وظاهرها فى طلب
الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجى من الموت ثم بعث عبد الله بن جدعان الى أبيه بالمال الذى
دفعه فى جناياته ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس
ويفعل المعروف قال وفى رواية تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ولا يقر ظالم على
مظلوم أى وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما وقيل ان هذا أى رد الفضول مدرج
من بعض الرواة زاد بعضهم على ما بل بحر صوفة وما رساحراء وثبير مكانهما اه أى والمراد
الابد كما تقدم وكان معهم فى ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم
ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار بنى جدعان حمر النعم أى الابل وأنى أغدر به بالغين المعجمة
والدال المهملة أى لا أحب الغدر به وان أعطيت حمر النعم فى ذلك قال وفى رواية لقد شهدت
فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم أى بفواته ولو دعى به فى الاسلام
لاجبت أى لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة
الحق ونصرة المظلوم وفيه ان الاسلام قد رفع ما كان من دعوى الجاهلية من قولهم يا لفلان
عند الحرب والتعصب وأجيب بأن هذا مستثنى فالدعوى به جائزة وفى أخرى ما شهدت حلفا
لقريش الا حلف المطيبين شهدته مع عمومتى وما أحب أن لى به حمر النعم وانى كنت نقضته
أى لا أحب نقضه وان دفع لى حمر الابل فى مقابلة نقضه والمطيبون هم هاشم وزهرة أى بنو
زهرة بن كلاب وأمية ومخزوم قال البيهقى كذا روى هذا التفسير اى أن المطيبين هاشم
وزهرة وامية ومخزوم مدرجا ولا أدرى من قاله وعبارته فى السنن الكبرى لا أدرى هذا
التفسير من قول أبى هريرة أو من دونه هذا كلامه فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف
المطيبين أى لانه كما تقدم وقع بين بنى عبد مناف بن قصى وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب
ونوفل وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى وبنو تيم وبنو الحرث بن فهر وهم المطيبون وبين

وكاد الصبح ان يتنفس هتف بى هاتف يقول يا أيها الراقد فى الليل الأحم * قد بعث الله نبيا بالحرم من هاشم أهل الوفاء والكرم

* يجلو دجنات الليالى والبهم فادرت طرفى فما رأيت شخصا فانشأت أقول يا أيها الهاتف فى داجى الظلم *

أهلا وسهلا بك من طيف ألم بين هداك الله فى لحن الكلم * من ذا الذى تدعو اليه يغتنم فاذا بنحنحة وقائل يقول

ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور صاحب النجيب الاحمر والتاج الاقمر والطرف الاحور صاحب قول شهادة ان لا اله الا الله فذاك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر أهل المدر والوبر ثم أنشأ يقول

الحمد لله الذى
لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمدا
خير نبى قد بعث
عليه صلى الله ما
حج له ركب وحث

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى
أطرب الانس منه ذاك الغناء

قال فلاح الصباح واذا بالفنيق أى الفحل الكريم من الابل يشقشق أى يهدر الى النوق فأمسكت خطامه وعلوت سنامه حتى لغب أى تعب فنزلت فى روضة خضراء فاذا أنا بقس بن ساعدة فى ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكت به فى الارض وهو يقول

يا ناعى الموت والملحود فى جدث
عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم
فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا
حتى يعودوا بحال غير حالهم
خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم
منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فاذا بعين خرارة ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به واذا بأحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذى بيده وقال ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذى قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت ما هذان القبران قال هذان قبران لاخوين لى كانا يعبدان الله عز وجل فى هذا المكان لا يشركان

بنى عمهم عبد الدار بن قصى وأحلافهم بنى مخزوم وغيرهم ويقال لهم الاحلاف كما تقدم وذلك قبل أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيث لم يدرك صلى الله عليه وسلم حلف المطيبين يصير المدرج لفظ المطيبين مع تفسيره بن ذكر لان المدرج تفسيره فقط بن ذكر كما يقتضيه كلام البيهقى وحينئذ تكون الرواية ما شهدت حلفا لقريش الا حلف عمومتى الى آخره ظن الراوى أن حلف الفضول هو حلف المطيبين فذكر لفظ المطيبين وبنيهم وقد يقال ذكر ابن اسحق انه لما أقام عبد الله بن جدعان هو والزبير بن عبد المطلب فى الدعوى الى التحالف أجابهما بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم هذا كلامه ولا يخفى أن هؤلاء أجل المطيبين أطلق على هذا الحلف الذى هو حلف الفضول حلف المطيبين لانهم العاقدون له فليتأمل وسمى بالفضول قيل لما تقدم من انهم تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها وقيل لانه يشبه حلفا وقع لثلاثة من جرهم كل واحد يقال له الفضل وعبارة بعضهم لان الداعى اليه كان ثلاثة من أشرافهم اسم كل واحد منهم فضل وهم الفضل بن فضالة والفضل بن وداعة والفضل بن الحرث والضمير فى أشرافهم يتبادر رجوعه الى قريش وهؤلاء الثلاثة تحالفوا على نصرة المظلوم على ظالمه فالفضول جمع الفضل وقيل لانهم أى هؤلاء الذين تحالفوا كانوا أخرجوا فضول أموالهم للاضياف وقيل لان قريشا قالوا ان هؤلاء الذين تحالفوا لقد دخل هؤلاء فى فضول من الامر والسبب فى هذا الحلف والحامل عليه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص وانتهروه أى الزبيدى فلما رأى الزبيدى الشر رقى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت مكارمه * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

والحرام بمعنى الاحترام فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب أى مع عبد الله بن جدعان كما تقدم واجتمع اليه من تقدم وقيل قام فيه العباس وأبو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه شريفا ووضيعا ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها اليه اه (أقول) ذكر السهيلى أن رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى بالحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم أى جردوها يقولون جاءك الغوث فمالك فقال ان نبيها ظلمنى فى بنتى فانتزعها منى قسرا فساروا اليه حتى وقفوا على باب داره فخرج اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاهدنا عليه فقال أفعل ولكن متعونى بها الليلة فقالوا لا والله ولا شخب لقحة أى مقدار زمن ذلك فأخرجها اليهم وفى سيرة الحافظ الدمياطى انه كان بين

الحسين

بالله شيأ اسم أحدهما سمعون والآخر سمعان فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ثم نظر اليهما وأنشد أبياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى أرجو ان يبعثه الله أمة وحده أى يقوم مقام جماعة ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها أمروحين من اعمال حلب

وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام (ومن ذلك) ما ذكره الواقدى باسناد له قال كان أبو هريرة رضى الله عنه يحدث ان قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فبينما هم عند صنمهم اذ سمعوا هاتفا يقول

يا أيها الناس ذوو الاحكام
ومسندو الحكم الى الاصنام
أما ترون ما أرى أمامى
من ساطع يجلو دجى الظلام
ذاك نبى سيد الانام
من هاشم فى ذروة السنام
مستعلن بالبلد الحرام
جاء يهد الكفر بالاسلام

قال أبو هريرة فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثة حتى فجأهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة أى جاءهم ذلك بغتة (وأما خبر) زميل بن عمرو العذرى فهو انه قال كان لبنى عذرة وهى قبيلة من اليمن صنم يقال له حمام وكانوا يعظمونه وكان فى بنى هند ابن حرام وكان سادنه رجلا يقال له طارق وكانوا يعترون أى يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول

يا بنى هند بن حرام
ظهر الحق وأودى حمام
أى هلك ورفع منا الشرك الاسلام

قال زميل ففزعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياما ثم سمعنا صوتا يقول يا طارق يا طارق بعث النبى الصادق بوحى ناطق صدع صدعه بارض تهامه لناصريه السلامه ولخاذليه الندامه هذا الوداع منى الى يوم القيامه فوقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع منى الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زميل فاشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبى

الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان منازعة فى مال متعلق بالحسين فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لاقومن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون لحلف الفضول أى لحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على ظالمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما لانه كان اذ ذاك فى المدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى والله أعلم

﴿باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا﴾

وذلك مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة أى على الراجح من أقوال ستة وعليه جمهور العلماء وتلك أقوال ضعيفة لم تقم لها حجة على ساق وليس له صلى الله عليه وسلم اسم بمكة الا الامين لما تكامل فيه من خصال الخير كما تقدم وسبب ذلك ان عمه صلى الله عليه وسلم أبا طالب قال له يا ابن أخى أنا رجل لا مال لى وقد اشتد الزمان أى القحط ٥ وألحت علينا أى أقبلت ودامت ٥ سنون منكرة أى شديدة الجدب وليس لنا مادة أى ما يمدنا ويقومنا ولا تجارة وهذه عير قومك وتقدم انها الابل التى تحمل الميرة وفى رواية عيرات جمع عير ٥ قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى عيراتها فيتجرون لها فى مالها ويصيبون منافع فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لاسرعت اليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لا كره ان تأتى الشام واخاف عليك من يهود ولكن لا نجد لك من ذلك بدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلها ان ترسل الى فى ذلك فقال أبو طالب انى أخاف ان تولى غيرك فتطلب امرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة رضى الله تعالى عنها ما كان من محاورة عمه أبى طالب له فقالت ما علمت انه يريد هذا ثم ارسلت اليه صلى الله عليه وسلم فقالت انى دعانى الى البعثة اليك ما بلغنى من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وانا اعطيك ضعف ما اعطى رجلا من قومك ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقى عمه أبا طالب فذكر له ذلك فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة أى بريد الشام وقالت خديجة لميسرة لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به أهل العير أى ومن حين سيره صلى الله عليه وسلم أظلته الغمامة ٥ فلما قدم صلى الله عليه وسلم الشام نزل فى سوق بصرى فى ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا أى بالقصر فاطلع الراهب الى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذى نزل تحت الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبى أى صانها الله تعالى عن ان ينزل تحتها غير نبى ثم قال له أفى عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه فقال الراهب هو هو وهو آخر الانبياء ويا ليت انى أدركه حين يؤمر بالخروج أى بالبعث فوعى ذلك ميسرة أى والحمرة كانت فى بياض عينيه وهى الشكلة ومن ثم قيل فى وصفه صلى الله عليه وسلم أشكل العينين فهذه الشكلة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة أى

وقد تقدم ذلك قال وفي الشرف للنيسابوري فلما رأى الراهب الغمامة تظله صلى الله عليه وسلم فزع وقال ما أنتم عليه أي أي شيء أنتم عليه قال ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها فدنا الى النبي صلى الله عليه وسلم سرا من ميسرة وقبل رأسه وقدمه وقال آمنت بك وأنا أشهد انك الذي ذكره الله في التوراة ثم قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها أي العلامات الدالة على نبوتك المذكورة في الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فاوضح لي عن كتفك فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل عليه يقبله ويقول أشهد ان لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله النبي الامي الذي بشر بك عيسى بن مريم فانه قال لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة الا النبي الامي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة وصاحب لواء الحمد انتهى (أقول) قال في النور ولم أجد احدا عد هذا الراهب الذي هو نسطورا في الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما عد بعضهم فيها بحيرا الراهب وينبغي أن يكون هذا مثله هذا كلامه وقد تقدم انه سيأتي ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بانه صلى الله عليه وسلم نبي هذه الامة من أهل الفترة لا من أهل الاسلام فضلا عن كونه صحابيا لان المسلم من أقر برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها الى آخر ما يأتي ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر في الاصابة ان بحيرا ممن ذكر في كتب الصحابة غلطا قال لان تعريف الصحابي لا ينطبق عليه وهو مسلم لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك قال فقولي مسلم يخرج من لقيه مؤمنا به قبل أن يبعث كهذا الرجل يعني بحيرا هذا كلامه ومراده ما ذكرنا وان نسطورا راهبا هذا هو الذي تنتسب اليه النسطورية من النصارى فان النصارى افترقت ثلاث فرق نسطورية قالوا عيسى ابن الله ويعقوبية قالوا عيسى هو الله عز وجل هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا عيسى عبد الله ونبيه زاد بعضهم فرقة رابعة وهم اسرائيلية قالوا هو اله وأمه اله والله اله هذا وفي القاموس النسطورية بالضم وبفتح أمة من النصارى تخالف بقيتهم وهم أصحاب نسطورا الحكيم الذي ظهر في أيام المأمون وتصرف في الانجيل برأيه وقال ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وهو بالرومية نسطورس كما افترقت اليهود ثلاث فرق فانها افترقت الى قرائية وربانية وسامرية ولا يخفى ان بقاء تلك الشجرة هذا الزمن الطويل قبل عيسى وبعده الى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم على خلاف العادة وصرف غير الانبياء عن النزول تحت تلك الشجرة وكذا صرف الانبياء الذين وجدوا بعد عيسى على ما تقدم عن النزول تحت تلك الشجرة بعد عيسى الذي دلت عليه الرواية الاولى والرواية الثانية ممكن وان كانت الشجرة لا تبقى في العادة هذا الزمن الطويل ويبعد في العادة ان تكون شجرة تخلو عن ان ينزل تحتها أحد غير الانبياء لان هذا الامر مع كونه كالخارق للعادة والانبياء لهم خرق العوائد سيما نبينا صلى الله عليه وسلم وبهذا يرد قول السهيلي يريد ما نزل تحت هذه الشجرة الساعة الا نبي ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبي لبعد العهد بالانبياء عليهم السلام قبل ذلك وان كان في لفظ الخبر قط كأنه تقدم فقد تكلم بها على جهة التأكيد للنفي والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدري انه لم ينزل تحتها الا عيسى أو غيره من الانبياء ويبعد في العادة أيضا ان تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد حتى يجيء نبي هذا كلامه وقد يقال يجوز أن تكون تلك الشجرة كانت شجرة زيتون فقد ذكر ان شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة على ان في بعض الروايات ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة نخر عودها فلما اطمأن تحتها اخضرت ونورت واعشوشب ما حولها وأينع ثمرها وتدلت اغصانها ترفرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم المختار عند جمهور المحققين من أهل السنة ان كل ما جاز وقوعه للانبياء عليهم الصلاة والسلام من المعجزات جاز للاولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدي لان المعجزة يعتبر فيها التحدي وان تكون بعد النبوة وما قبل النبوة كما هنا يقال له ارهاص وحينئذ لا يستبعد ما ذكر عن الشيخ رسلان رحمه الله انه كان اذا استند الى شجرة يابسة قد ماتت تورق ويخرج ثمرها في الحال على انه سيأتي في الكلام على غزاة الخندق ان كرامات الاولياء معجزات لانبيائهم ولما رأى الراهب ما ذكر لم يتمالك الراهب أن انحدر من صومعته وقال له باللات والعزى ما اسمك فقال له اليك عني ثكلتك أمك ومع ذلك الراهب رق مكتوب فجعل ينظر في ذلك الرق ثم قال هو هو ومنزل التوراة فظن بعض القوم ان الراهب يريد بالنبي صلى الله عليه وسلم مكرا فانتضى سيفه وصاح يا آل غالب يا آل غالب فاقبل الناس يهرعون اليه من كل ناحية يقولون ما الذي راعك فلما نظر الراهب الى ذلك أقبل يسعى الى صومعته فدخلها وأغلق عليه بابها ثم اشرف عليهم فقال يا قوم ما الذي راعكم مني فو الذي رفع السموات بغير عمد اني لاجد في هذه الصحيفة ان النازل تحت هذه الشجرة هو رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يبعثه الله بالسيف المسلول وبالربح الاكبر وهو خاتم النبيين فمن أطاعه نجا ومن عصاه غوى ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى قال ولم أقف على تعيين ما باعه وما اشتراه انتهى وكان بينه صلى الله عليه وسلم وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم احلف باللات والعزى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة وقد خلا به يا ميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده انه لهو الذي تجده احبارنا منعوتا في الكتب فوعى ميسرة ذلك أي وقبل ان يصلوا الى بصرى عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الركب فخاف ميسرة على نفسه وعلى البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين فوضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا في أول الركب ولهما رغاء قال وفي الشرف انهم باعوا متاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سنة ما ربحنا ربحا قط أكثر من هذا الربح على وجهك انتهى (وأقول) لا يخفى ما في قول ميسرة اتجرنا لخديجة أربعين سنة ولعلها مصحفة عن سفرة أو هو على المبالغة والله أعلم ثم انصرف أهل العير جميعا راجعين الى مكة وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه صلى الله عليه وسلم من الشمس وهو على بعيره اذا كانت الهاجرة واشتد الحر وهذا هو المعني بقول الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باظلال الملائكة له في سفره ويحتمل ان المراد في كل سفر سافره لكن لم أقف

صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي وأنشدته
اليك رسول الله أعملت نصها ✽ أكلفها حزنا وقوزا من الرمل
لانصر خير الناس نصرا مؤزرا ✽ وأعقد حبلا من حبالك في حبلي
وأشهد أن الله لا شيء غيره ✽ أدين له ما أثقلت قدمي نعلي

﴿ومن هذا النوع خبر تميم الداري الآتي﴾ ١٤٤ ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها وقد روى له صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال فقال حدثني تميم الداري الخ القصة المذكورة في غير هذا الكتاب وهذا أولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار ومن رواية الكبار عن الصغار أيضا ما ذكر ان أبا بكر رضي الله عنه مر يوما على ابنته عائشة رضي الله عنها فقال هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر ان عيسى ابن مريم عليهما السلام كان يعلمه أصحابه ويقول لو كان على أحدكم جبل دين قضاه الله عنه قالت نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك قال أبو بكر رضي الله عنه فكان علي دين وكنت له كارها فقلته فلم ألبث الا يسيرا حتى قضيته (رجعنا الى خبر تميم الداري) قال رضي الله عنه كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتي فأدركني الليل فقلت أنا في جوار عظيم هذا الوادي فلما أخذت مضجعي اذ مناد ينادي عذ بالله فان الجن لا تجير أحدا على الله قال فقلت أيما أي شيء تقول فقال قد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون وأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد وأسلم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبه وأخبرته فقال صدقوك تجده يخرج من الحرم أي مكة من ومهاجره الحرم أي المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه قال تميم فطلبت الشخوص حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فسرت الى مكة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به وقيل ان ما ذكر غلط وان مسيره انما كان الى المدينة

بعد الهجرة لان اسلامه كان سنة تسع من الهجرة والله أعلم ﴿ومن ذلك﴾ ما حدث به سعيد بن جبير رضي الله عنه ان رجلا من بني تميم حدث عن بدء اسلامه قال اني لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها وتعوذت قبل نومي فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلا بيده حربة يريد ١٤٥ أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيئا فقلت هذا حلم ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت واذا بناقتي ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب فالتفت فاذا أنا برجل شاب كالذي رأيته في منامي وبيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده ويرده عن ناقتي وبينهما نزاع فبينما هما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الانسي فقام الفتى فأخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الى الشيخ وقال يا فتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له ومن محمد قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي قلت أين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتى أتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل أن أذكر له شيئا بما وقع لي ودعاني الى الاسلام فأسلمت ﴿ونظير هذا ما حدث به بعض الصحابة رضي الله عنهم﴾ قال خرجت في طلب ابل لي فأدركتها ثم أردت النوم وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت أعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يقول
ويحك عذ بالله ذي الجلال ✽ ومنزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبالي ✽ ما كيد ذي الجن من الاهوال
اذ تذكر الله على الاحوال ✽ وفي سهول الارض والجبال
قد صار كيد الجن في سفال ✽ الا النبي وصالح الاعمال
فقلت له
يا أيها القائل ما تقول ✽ أرشد عندك أم تضليل
فقال
جاء رسول الله ذو الخيرات ✽ جاء بيسين وحاميمات
وسور بعد مفصلات ✽ يأمر بالصلاة والزكاة

ويزجر الاقوام عن مناة   فقد كن في الاسلام منكرات   فقلت أما انه لو كان لي من يؤدي ابلي هذه الى أهلي لاتيته حتى أسلم فقال أنا
أؤديها فركبت بعيرا ثم قدمت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وفي رواية فوافيت الناس في صلاة الجمعة فبينا أنا انيخ راحلتي
اذ خرج الى أبو ذر فقال لي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآني قال ما فعل الرجل وفي رواية

ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي ابلك أما انه قد أداها سالمة وقد قص الله على نبيه ما كان عليه الناس قبل بعثته من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه بقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن أي حين ينزلون في أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا أي زادوا الجن باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن

ومن ذلك ما حكاه وائل بن حجر الحضرمي ويكنى ابا هنيدة كان أبوه من الملوك قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر أصحابه بقدومي فقال يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغبا في الله عز وجل وفي رسوله صلى الله عليه وسلم وهو بقية أبناء الملوك قال وائل فلقيني أحد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بي وأدناني من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداءه فاجلسني عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامني بين يديه ثم قال أيها الناس هذا
وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغبا في الاسلام فقلت يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك   ما تقدم
عظيم فمن الله علي أن رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك في وائل بن حجر و ولده و ولد ولده قال وسبب وفودي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لي صنم من العقيق فبينا أنا نائم في الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذي به الصنم فأتيت

على اظلال الملائكة له صلى الله عليه وسلم في غير هذه السفرة وقد ألقى الله تعالى محبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قلب ميسرة فكان كأنه عبده فلما كانوا بمر الظهران أي وهو واد بين مكة
وعسفان وهو الذي تسميه العامة بطن مرو وهو المعروف الآن بوادي فاطمة قال ميسرة
للنبي صلى الله عليه وسلم هل لك ان تسبقني الى خديجة فتخبرها بالذي جرى لعلها تزيدك بكرة
الى بكرتيك أي وفي رواية تخبرها بما صنع الله تعالى لها على وجهك فركب النبي صلى الله عليه
وسلم وتقدم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية أي غرفة مع نساء فرأت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظلان عليه فأرته نساءها
فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما ربحوا وهو ضعف ما كانت
تربح فسرت بذلك وقالت أين ميسرة قال خلفته في البادية قالت عجل اليه ليعجل بالاقبال
وانما أرادت ان تعلم أهو الذي رأت أم غيره فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت
خديجة تنظر فرأته على الحالة الاولى فاستيقنت انه هو فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت
فقال لها ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام والى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله
في تائيته بقوله   وميسرة قد عاين الملكين اذ * اظلاك لما سرت ثاني سفرة
وأخبرها ميسرة بقول الراهب نسطور وبقول الآخر الذي حالفه أي استحلفه في البيع أي
وقصة البعير ومن ثم أعطت خديجة له صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمته له أي وما سمته له
ضعف ما كانت تعطيه لرجل من قومه كما تقدم وقول ميسرة له صلى الله عليه وسلم فيما تقدم
لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك يدل على انها سمت له بكرتين وكانت تسمى لغيره بكرة (وفي كلام
بعضهم) وفي الروض الباسم استأجرته على أربع بكرات وفي الجامع الصغير ما نصه آجرت نفسي
من خديجة سفرتين بقلوصين ثم رأيت في الامتاع ما يوافق ذلك ونصه وأجر صلى الله عليه وسلم
نفسه من خديجة سفرتين بقلوصين وفي السفرة الاولى أرسلته مع عبدها ميسرة الى سوق
حباشة أي وهو مكان بأرض اليمن بينه وبين مكة ست ليال كانوا يبتاعون فيه ثلاثة أيام
من أول رجب في كل عام فابتاعا منه بزا ورجعا الى مكة فربحا ربحا حسنا وفي السفرة الثانية
أرسلته مع عبدها ميسرة الى الشام وفيه ان سفره مع ميسرة الى الشام سفرة ثالثة ففي
مستدرك الحاكم وصححه وأقره الذهبي عن جابر ان خديجة استأجرته صلى الله عليه وسلم سفرتين
الى جرش بضم الجيم وفتح الراء موضع باليمن كل سفرة بقلوص وهي الشابة من الابل وهو يفيد
انه صلى الله عليه وسلم سافر لها ثلاث سفرات كما تقدم ولعل سوق حباشة هو جرش والا لزم
ان يكون صلى الله عليه وسلم سافر لها خمس سفرات أربعة الى اليمن وواحدة الى الشام
وما تقدم عن الروض الباسم من انها استأجرته في سفرة الى الشام بأربع بكرات لا يناسب
ما تقدم عن ميسرة (قد جاء في بعض الروايات) أن أبا طالب جاء لخديجة وقال لها هل لك
ان تستأجري محمدا فقد بلغنا انك استأجرت فلانا ببكرتين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات
فقالت خديجة لو سألت لبعيد بغيض فكيف وقد سألت لحبيب قريب * ثم لا يخفى ان كون
سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة بسوق حباشة قبل سفره معه الى الشام مخالف لظاهر

الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول   واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدري وهو ليس يدري   ماذا يرجى من نحيت صخر *
ليس بذي نفع ولا ذي ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمري   قال فقلت أسمعت أيها الهاتف الناصح فماذا تأمرني قال
ارحل الى يثرب ذات النخل * تدين دين الصائم المصلي * محمد النبي خير الرسل ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت

اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى أتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث

ونحو ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث به أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينا راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله الي فقال الراعي واعجبا من ذئب يكلمني بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب مني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين وفي رواية بيثرب يحدث الناس بأنباء ما قد سبق وفي رواية يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم فساق الراعي شياهه فأتى المدينة فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعي ان من أشراط الساعة كلام السباع للانس والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله أي وهو أحد سيورها الذي يكون على وجهها وعذبة سوطه أي طرفه ويخبره بما فعل أهله وفي لفظ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي أخبرهم فأخبرهم وفي رواية أن راعي الغنم كان
يهوديا وفي رواية أن الذئب قال له أنت أعجب مني واقف على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم قدرا منه وقد فتحت له أبواب
الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله تعالى فقال له الراعي من لي بغنمي
فقال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم وأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك

ما تقدم من قول عمه أبي طالب وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام فلو جئتها
فوضعت نفسك عليها وقول خديجة ما علمت انه يريد هذا وانما قلنا ظاهر لانه يجوز ان يكون
بعد قول أبي طالب وقولها المذكور ارساله صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى سوق حباشة
لقرب مسافته وقصر زمنه ثم ارساله مع ميسرة الى الشام أو كانت خديجة لا تجوز ان أبا طالب
يرضى بسفره الى الشام وانه صلى الله عليه وسلم يوافق على ذلك فليتأمل   وتقدم انه صلى
الله عليه وسلم من حين سيره أي من مكة صارت الغمامة تظله فان كانت غير الملكين فالغمامة
كانت تظله في الذهاب والملكان يظلانه في العود ولعل عدم ذكر ميسرة لخديجة تظليل
الغمامة له صلى الله عليه وسلم في ذهابه انه لم يفطن لها مثلا   ولكن سيأتي في كلام صاحب
الهمزية ما يدل على ان الملكين هما الغمامة   وفيه وقوع رؤية البشر غير نبينا صلى الله عليه
وسلم للملائكة غير جبريل وسيأتي رؤية جمع من الصحابة لجبريل وفي المنقذ من الضلال للغزالي
ان الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم أي لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم
وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله تعالى بالكلية
علما دائما وعملا مستمرا والله أعلم   قال ولم أقف على اسم الرجل الذي حالفه أي استحلفه وقال
الحافظ ابن حجر لم أقف على رواية صحيحة صريحة فيه بأنه أي ميسرة بقي الى البعثة انتهى
ثم ان خديجة ذكرت ما رأته من الآيات وما حدثها به غلامها ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل
وكان نصرانيا أي بعد ان كان يهوديا على ما يأتي قد تتبع الكتب فقال لها ان كان هذا حقا
يا خديجة ان محمدا نبي هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي منتظر هذا زمانه أي وكان
صلى الله عليه وسلم يتجر قبل النبوة قبل ان يتجر لخديجة وكان شريكا للسائب بن أبي السائب
صيفي ولما قدم عليه السائب يوم فتح مكة قال له مرحبا بأخي وشريكي كان لا يداري أي لا يرائي
ولا يماري أي يخاصم صاحبه   وهذا يدل على ان قوله كان لا يداري الخ من مقوله صلى الله
عليه وسلم وقد قال فقهاؤنا والاصل في الشركة خبر السائب بن يزيد انه كان شريكا للنبي صلى
الله عليه وسلم قبل البعثة وافتخر بشركته بعد المبعث أي قال كان صلى الله عليه وسلم نعم الشريك
لا يداري ولا يماري ولا يشاري والمشاراة المشاحة في الامر واللجاج فيه وهو يدل على ان ذلك
كان من مقول السائب ولا مانع ان يكون كل من النبي صلى الله عليه وسلم والسائب قال في حق
الآخر كان لا يداري ولا يماري وبهذا يندفع قول بعضهم اختلفت الروايات في هذا الكلام
الذي هو كان خير شريك كان لا يشاري ولا يماري فمنهم من يجعله من قول النبي صلى الله عليه
وسلم في السائب ومنهم من يجعله من قول السائب في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن
ان لا يكون مخالفة بين السائب بن أبي السائب صيفي وبين السائب بن يزيد لانه يجوز ان يكون
صيفي لقبا لوالده واسمه يزيد * وفي الاستيعاب وقع اضطراب هل الشريك كان أبا السائب
او ولده السائب بن أبي السائب او ولد السائب وهو قيس بن السائب ابن أبي السائب لا أخا
السائب وهو عبد الله بن أبي السائب قال وهذا اضطراب لا يثبت به شيء ولا تقوم به حجة
والسائب بن أبي السائب من المؤلفة أعطاه صلى الله عليه وسلم يوم الجعرانة من غنائم حنين

وبه يرد قول بعضهم ان السائب بن أبى السائب قتل يوم بدر كافرا (ومما يدل) على ان الشركة كانت لقيس بن السائب قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية شريكى فكان خير شريك كان لا يشارينى ولا يمارينى ووجه الدلالة انه صلى الله عليه وسلم سمع قوله كان شريكى وأقره عليه وذكر فى الامتاع ان حكيم بن حزام اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزا من بز تهامة بسوق حباشة وقدم به مكة فكان ذلك سبب الارسال خديجة له صلى الله عليه وسلم مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة ليشتريا لها بزا وفى سفر السعادة انه صلى الله عليه وسلم وقع منه انه باع واشترى الا انه بعد الوحى وقبل الهجرة كان شراؤه أكثر من البيع وبعد الهجرة لم يبع الا ثلاث مرات وأما شراؤه فكثير وآجر واستأجر والاستئجار أغلب ووكل وتوكل وكان توكله أكثر

باب تزوجه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها

ابن أسد بن عبد العزى بن قصى فهى تجتمع معه صلى الله عليه وسلم فى قصى قال الحافظ ابن حجر وهى من أقرب نسائه صلى الله عليه وسلم اليه فى النسب ولم يتزوج من ذرية قصى غيرها الا أم حبيبة هذا كلامه وعن نفيسة بنت منية رضى الله تعالى عنها أى وهى أخت يعلى ابن منية فى الامتاع منية أخت يعلى ابن منية وعليه يكون ضمير وهى راجعا لمنية لا لنفيسة قالت كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة أى ضابطة جلدة أى قوية شريفة أى مع ما أراد الله تعالى لها من الكرامة والخير وهى يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا أى وأحسنهم جمالا وكانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة وفى لفظ كان يقال لها سيدة قريش لان الوسط فى ذكر النسب من أوصاف المدح والتفضيل يقال فلان أوسط القبيلة أعرقها فى نسبها وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وذكروا لها الاموال فلم تقبل فارسلتنى دسيسا أى خفية الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع فى عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج فقال ما بيدى ما أتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاية الا تجيب قال فمن هى قلت خديجة قال وكيف لى بذلك بكسر الكاف لانه خطاب لنفيسة قلت بلى وانا افعل فذهبت فأخبرتها فارسلت اليه ان ائت لساعة كذا وكذا فارسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته فزوجه أحدهم اى وهو أبو طالب على ما يأتى وقال فى خطبته وابن أخى له فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو بن أسد هذا الفحل لا يقدع انفه أى بالقاف والدال المهملة أى لا يضرب انفه لكونه كريما الان غير الكريم اذا أراد ركوب الناقة الكريمة يضرب انفه ليرتدع بخلاف الكريم وكون المزوج لها عمها عمرو بن أسد قال بعضهم هو المجمع عليه وقيل المزوج لها أخوها عمرو بن خويلد ٭ وعن الزهرى ان المزوج لها أبوها خويلد بن أسد وكان سكرانا من الخمر فالقت عليه خديجة حلة وهى ثوب فوق ثوب لان الاعلى يحل فوق الاسفل وضمخته بخلوق أى لطخته بطيب مخلوط بزعفران ٥ فلما صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل له لانك أنكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فأنكر ذلك ثم رضيه وامضاه

تجدها ابو فرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها شاة ﴿وأما ما سمع من بعض الأشجار﴾ فكثير فمن ذلك ما روى عن أبى بكر رضى الله عنه انه قيل له هل رأيت قبل الاسلام شيأ من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا قاعد فى ظل شجرة فى الجاهلية اذ تدلى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسى فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة يقول هذا النبى يخرج من وقت كذا وكذا فكن أنت أسعد الناس به ﴿وأما أخبار تساقط النجوم﴾ وطرد الجن بها عن استراق السمع وما جاء عن العرب فيه فكثير فمن ذلك خبر ابن اسحق قال لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف الجن ان ذلك لامر حدث من الله فى العباد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وانا لمسنا السماء أى طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا أى ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع أى صالحة للسمع خالية عن الحرس والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أى أرصد له ليرمى به ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته تبعه شهاب ثاقب يقتله أى أو يحرق وجهه أو يخبله قبل ان يلقيها للكاهن وذلك لئلا يلتبس أمر الوحى بشئ من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه بموته صلى الله عليه وسلم لئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التى سببها استراق السمع وان أمر رسالته صلى الله عليه وسلم تم فاقتضت الحكمة حراسة السماء فى حياته صلى الله عليه وسلم و بعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم وقد حدث بعضهم اى ان أول العرب فزعا من الرمى بالنجوم حين رمى بها ثقيف وانهم جاؤا الى رجل يقال له عمرو بن أمية وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا أى أدهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا يا أبا عمرو ألم تر ما حدث فى السماء من الرمى بهذه النجوم قال بلى فانظروا

أى لان خديجة استشعرت من أبيها انه يرغب عن أن يزوجها له فصنعت له طعاما وشرابا ودعت أباها ونفرا من قريش فطعموا وشربوا فلما سكر أبوها قالت له ان محمد بن عبد الله يخطبنى فزوجنى اياه فزوجها اياه فخلقته وألبسته لان ذلك أى الباس الحلة وجعل الخلوق به كان عادتهم ان الاب يفعل به ذلك اذا زوج بنته فلما صحا من سكره قال ما هذا قالت له خديجة زوجتنى من محمد بن عبد الله قال أنا أزوج يتيم أبى طالب لا لعمرى فقالت له خديجة ألا تستحى تريد أن تسفه نفسك عند قريش تخبرهم انك كنت سكرانا فلم تزل به حتى رضى أى وهذا مما يدل على ان شرب الخمر كان عندهم مما يتنزه عنه ويدل له ان جماعة حرموها على أنفسهم فى الجاهلية منهم من تقدم ومنهم من يأتى وفى رواية انها عرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لاعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فزوجها (أقول) قال فى النور ولعل الثلاثة أى أباها وأخاها وعمها حضروا ذلك فنسب الفعل الى كل واحد منهم هذا كلامه وفى كون المزوج لها أبوها خويلد أو كونه حضر تزويجها نظر ظاهر لان المحفوظ عن أهل العلم ان خويلد بن أسد مات قبل حرب الفجار المتقدم ذكرها (قال بعضهم) وهو الذى نازع تبعا أى حين أراد أخذ الحجر الاسود الى اليمن فقام فى ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع فى منامه ما ردعه عن ذلك فترك الحجر الاسود مكانه وعلى كون المزوج له عمه حمزة اقتصر ابن هشام فى سيرته وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقها عشرين بكرة (وعبارة المحب الطبرى) فلما ذكر ذلك لاعمامه خرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه ففعل وحضره أبو طالب ورؤساء مضر فخطب أبو طالب فقال الحمد لله القصة والله أعلم ٭ قال وعن ابن اسحق انها قالت له يا محمد الا تتزوج قال ومن قالت أنا قال ومن لى بك أنت أيم قريش وأنا يتيم قريش قالت اخطبنى الحديث أى وفيه اطلاق اليتيم على البالغ وذلك بحسب ما كان والمراد به المحتاج والا فالعرف أى الشرعى واللغوى خصه بغير البالغ ممن مات أبوه الحقيقى وعن بعضهم قال مررت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على أخت خديجة فنادتنى فانصرفت اليها ووقف لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما لصاحبك هذا من حاجة فى تزويج خديجة فأخبرته فقال بلى لعمرى فذكرت ذلك لها فقالت اغدوا علينا اذا أصبحنا فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا خديجة حلة الحديث ٭ وفى الامتاع بعد أن ذكر ان السفير بينهما نفيسة بنت منية ذكر انه قيل كان السفير بينهما غلامها وقيل مولاة مولدة وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون كل ممن ذكر كان سفيرا (وفى الشرف) ان خديجة رضى الله تعالى عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم اذهب الى عمك فقل له تعجل الينا بالغداة فلما جاءها ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا أبا طالب تدخل على عمى فكلمه يزوجنى من ابن أخيك محمد بن عبد الله فقال أبو طالب يا خديجة لا تستهزئى فقالت هذا صنع الله فقام فذهب وجاء مع عشرة من قومه الى عمها الحديث أى وفى رواية ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر ولا مخالفة لجواز ان يكون المراد بنى

فان كانت معالم النجوم هى التى يرمى بها فهو والله طى هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذى فيها وان كانت نجوما غيرها وهى ثابتة على حالها فهو لامر أراده الله لهذا الخلق ونبى يبعث فى العرب فقد تحدث بذلك وقوله معالم النجوم أى النجوم المشهورة التى يهتدى بها فى البر والبحر وتعرف بها الانواء من الشتاء والصيف لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول رجمت عند مبعثه بأكثر مما كان قبل ذلك وصارت تصيب ولا تخطئ ومن ثم حدث بعضهم قال لما بعث صلى الله عليه وسلم أى قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فأتوا عبد ياليل ابن عمرو الثقفى وكان أعمى فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد أعتقوا رقيقهم وسيبوا أنعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التى تعرف وهى التى يهتدى بها فى البر والبحر ويعرف بها الانواء فهو فناء الناس وان كانت لا تعرف فهى من حدث فنظروا فاذا النجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وفى لفظ فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعى انه نبى مرسل وقوله فيما تقدم انظروا فان كانت النجوم التى تعرف الخ يؤيده هذا ما جاء فى الحديث مما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم امنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأنا امنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى أمنة لامتى فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون ولا منافاة فى سؤال ثقيف فلا مانع من تكرر سؤالهم مرة لعمرو بن أمية ومرة لعبد ياليل وان كلا منهما كان أعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع اختلاف فى اسم الذى سألوه فسماه بعضهم عمرو بن أمية وسماه بعضهم عبد ياليل بن عمرو وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما كان اليوم أى الوقت الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب ﴿ومن ذلك﴾ خبر أبى لهب أو لهيب بن مالك وكان من بنى لهب قال حضرت مع رسول الله

هاشم أولئك العشرة وانهم كانوا هم المراد برؤساء مضر فى ذلك الوقت وذكر أبو الحسين بن فارس وغيره ان أبا طالب خطب يومئذ فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد أى معدنه وعنصر مضر أى أصله وجعلنا حضنة بيته أى المتكفلين بشأنه وسوّاس حرمه أى القائمين بخدمته وجعله لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتى عشرة أوقية ونشا أى وهو عشرون درهما والاوقية أربعون درهما أى وكانت الاواقى والنش من ذهب كما قال المحب الطبرى أى فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعى وقيل أصدقها عشرين بكرة أى كما تقدم (أقول) لا منافاة لجواز أن تكون البكرات عوضا عن الصداق المذكور (وقال بعضهم) يجوز ان يكون أبو طالب أصدقها ما ذكر وزاد صلى الله عليه وسلم من عنده تلك البكرات فى صداقها فكان الكل صداقا والله أعلم قال وما قيل ان عليا رضى الله تعالى عنه ضمن المهر فهو غلط لان عليا لم يكن ولد على جميع الاقوال فى مقدار عمره وبه يرد قول بعضهم وكون على ضمن المهر غلط لان عليا كان صغيرا لم يبلغ سبع سنين أى لانه ولد فى الكعبة وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة فاكثر وسنه حين تزوج خديجة كان خمسا وعشرين سنة على ما تقدم أو زيادة بشهرين وعشرة أيام وقيل خمسة عشر يوما على ما يأتى وقيل الذى ولد فى الكعبة حكيم بن حزام قال بعضهم لا مانع من ولادة كليهما فى الكعبة لكن فى النور حكيم ابن حزام ولد فى جوف الكعبة ولا يعرف ذلك لغيره واما ما روى ان عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء قال النووى وعند ذلك قال عمها عمرو بن أسد هو الفحل لا يقدع انفه وانكحها منه وقيل قائل ذلك ورقة بن نوفل أى فانه بعد ان خطب أبو طالب بما تقدم خطب ورقة فقال الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ورغبتنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علىّ معاشر قريش انى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر فقال أبو طالب قد أحببت ان يشركك عمها فقال عمها اشهدوا علىّ معاشر قريش انى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد وأولم عليها صلى الله عليه وسلم نحر جزورا وقيل جزورين وأطعم الناس وأمرت خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن الدفوف وفرح أبو طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذى أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم وهى أول وليمة أولمها رسول الله صلى الله عليه وسلم (أقول) ولا ينافى هذا ما تقدم من قوله فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا خديجة حلة لجواز ان يكون ذلك كان عند العقد وهذا عند ارادة الدخول ولا ينافى ذلك ما تقدم من قوله وقد ابتنى بها الا ان تلك الرواية غير صحيحة ولا ينافى كون المزوج له عمه أبو طالب ما تقدم ان المزوج له عمه حمزة لجواز ان يكون حضر مع أبى طالب فنسب التزويج اليه أيضا والله أعلم والسبب فى ذلك أى فى عرض خديجة رضى الله تعالى عنها نفسها عليه صلى الله عليه وسلم أيضا

صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبى أنت وأمى نحن أول من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة ابن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم بهذه النجوم التى يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتونى بسحر أى قبيل الفجر أخبركم الخبر لخير أم ضرر أو لأمن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد فى وقت السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص الى السماء بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا أن امسكوا فانقض نجم عظيم من السماء فصرخ خطر رافعا صوته بقوله أصابه أصابه وخامره عقابه عاجله عذابه أحرقه شهابه زايله جوابه يا ويله ما حاله بلبله بلباله عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت أحواله ثم أمسك طويلا ثم قال يا معشر بنى قحطان أخبركم بالحق والبيان أقسم بالكعبة والاركان والبلد المؤتمن السدان قد منع السمع عتاة الجان بثاقب من ذى سلطان لاجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والفرقان وبالهدى وفاضل القرآن تبطل به عبادة الاوثان فقلنا له ويلك يا خطر انك لتذكر أمرا عظيما فما ترى لقومك قال أرى لقومى ما أرى لنفسى أن يتبعوا خير الانس برهانه مثل شعاع الشمس يبعث بمكة دار الحمس بحكم التنزيل غير اللبس فقلنا له يا خطر ومن هو قال والحياة والعيش انه لمن قريش ما فى حكمه طيش ولا فى خلقه هيش فقلنا بين لنا من أى قريش فقال والبيت ذى الدعائم والركن ذى الاحائم انه لمن نسل هاشم من معشر أكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم ثم قال هذا هو البيان أخبرنى به رئيس الجان ثم قال الله أكبر جاء الحق فظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت وأغمى عليه فما أفاق الا بعد ثلاثة أيام فقال لا اله الا الله فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة أى وحى مع

مع ما أراد الله تعالى به من الخير ما ذكره ابن اسحق قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فى المسجد فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودى وقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبى قرب وجوده فايتكن استطاعت ان تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه النساء أى رمينه بالحصباء وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة على قوله ووقع ذلك فى نفسها فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما رأته هى أى وما قاله لها ورقة لما حدثته بما حدثها به ميسرة مما تقدم قالت ان كان ما قاله اليهودى حقا ما ذاك الا هذا (وذكر الفاكهى) عن أنس رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أبى طالب فاستأذن أبا طالب فى ان يتوجه الى خديجة أى ولعله بعد ان طلبت منه صلى الله عليه وسلم الحضور اليها وذلك قبل ان يتزوجها فاذن له وبعث بعده جارية له يقال لها نبعة فقال انظرى ما تقول له خديجة فخرجت خلفه فلما جاء صلى الله عليه وسلم الى خديجة اخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها ثم قالت بأبى أنت وأمى والله ما أفعل هذا الشئ ولكنى أرجو ان تكون انت النبى الذى سيبعث فان تكن هو فاعرف حقى ومنزلتى وادع الاله الذى سيبعثك لى فقال لها والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندى ما لا أضيعه ابدا وان يكن غيرى فان الاله الذى تصنعين هذا الاجله لا يضيعك ابدا فرجعت نبعة وأخبرت ابا طالب بذلك وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضى الله تعالى عنها بعد مجيئه من الشام بشهرين أو خمسة عشر يوما وعمره اذ ذاك خمس وعشرون سنة على ما هو الصحيح الذى عليه الجمهور كما تقدم زاد بعضهم على الخمسة والعشرين سنة شهرين وعشرة أيام وقد أشار الى ما تقدم صاحب الهمزية بقوله

ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء *
وأتاها ان الغمامة والسرح أظلته منهما أفياء
وأحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء *
فدعته الى الزواج وما أحسن ما يبلغ المنى الاذكياء

أى وعلمته خديجة رضى الله تعالى عنها ذات الشرف الطاهر والمال الوافر الطاهر والحسب الفاخر والحال ان التقى والزهد والحياء فيه صلى الله عليه وسلم سجية وطبيعة وأتاها الخبر بأن الغمامة والشجر أظلته أفياء أى ظلال حالة كون تلك الافياء من الغمامة والشجر وفيه ان هذا يدل على ان الملكين هما الغمامة (قال بعضهم) وتظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تأسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة وأتى خديجة الاحاديث والاخبار من بعض الاحبار بأن وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالبعث والارسال الى الخلق قرب الوفاء به منه تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فبسبب ذلك خطبته الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه وما أحسن بلوغ الاذكياء ما يتمنونه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى يومئذ بنت أربعين سنة قال وقيل خمس وأربعين سنة وقيل ثلاثين وقيل ثمان وعشرين اه أى وقيل خمس وثلاثين وقيل خمس وعشرين وتزوجت قبله صلى الله عليه وسلم برجلين أولهما عتيق بن عابد أى بالموحدة والمهملة وقيل بالمثناة تحت والمعجمة ٥ فولدت له بنتا اسمها هند وهى أم محمد بن صيفى المخزومى وثانيهما أبو هالة واسمه هند فولدت له ولدا اسمه هالة وولدا اسمه هند أيضا فهو هند بن هند أى

وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده أى يقوم مقام جماعة كما تقدم نظيره وقوله الحمس بضم الحاء المهملة واسكان الميم وبالسين هم قريش من الحماسة وهى الشدة سموا بذلك لتشددهم فى دينهم ولذلك تركوا الغزو لما فيه من استحلال الاموال والفروج ومالوا للتجارة ﴿ومن ذلك﴾ ما رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن نفر من الانصار قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم فظهر نوره فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به فى الجاهلية أى قبل المبعث قالوا يا رسول الله كنا نقول حين نراه يرمى به مات ملك ولد مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه كان اذا قضى فى خلقه أمرا اسمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله فى خلقه كذا وكذا للامر الذى يكون فى الارض فيهبط به من سماء الى سماء أى يقول أهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهى الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا وفى البخارى اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا نزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير فتسمعها مسترقو السمع فربما أدرك الشهاب المستمع قبل ان يرمى بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها فى الجاهلية صريح فى انه كان يرمى بالنجوم للحراسة فى زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم وربما يعارضه ما روى عن أبىّ بن كعب رضى الله عنه لم يرم بالنجوم بعد رفع عيسى عليه السلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بها فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا العبد ياليل الحديث وكذا حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال لما كان اليوم الذى تنبأ

وكان يقول أنا أكرم الناس أباوأماوأخاوأختاأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه زوج أمه وأمى خديجة وأخى القاسم واختى فاطمة قتل هند هذا مع على يوم الجمل رضى الله تعالى عنه وفى كلام السهيلى انه مات بالطاعون بالبصرة وكان قدمات فى ذلك اليوم نحو من سبعين ألفا فشغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يجد من يحملها فصاحت نادبته واهنداه بن هنداه واربيب رسول الله فلم تبق جنازة الاتركت واحتملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفى المواهب انها كانت تحت أبى هالة أولا ثم كانت تحت عتيق ثانيا وستأتى بقية ترجمتها رضى الله عنها فى أزواجه صلى الله عليه وسلم

﴿باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى﴾

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة على ماهو الصحيح جاء سيل حتى أتى من فوق الردم الذى صنعوه لمنعه السيل فأخربه أى ودخلها وصدع جدرانها بعد توهينها من الحريق الذى أصابها وذلك ان امرأة بخرتها فطارت شرارة فى ثياب الكعبة فاحترقت جدرانها فخافوا ان تفسدها السيول أى تذهبها بالمرة وقيل تجمير المرأة لها كان فى زمن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما ولا مانع من التعدد وكان ارتفاعها تسعة أذرع من عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يكن لها سقف أى وكان الناس يلقون الحلى والمتاع كالطيب أى الذى يهدى اليها فى بئر داخلها عند بابها على يمين الداخل منها اعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة كما سيأتى ذلك فاراد شخص فى أيام جرهم ان يسرق من ذلك شيأ فوقع على رأسه وانهار البئر عليه فهلك (وفى كلام بعضهم) فسقط عليه حجر فحبسه فى تلك البئر حتى اخرج منها وانتزع المال منه فليتأمل الجمع وقد يقال على بعد جاز ان يكون هذا الرجل تكرر منه السرقة وكان هلاكه فى المرة الثانية فعند ذلك بعث الله حية بيضاء سوداء الرأس والذنب رأسها كرأس الجدى فاسكنها تلك البئر لحفظ تلك الامتعة وكانت قد تخرج منها الى ظاهر البيت فتشرق بالقاف أى تبرز للشمس على جدار الكعبة فيبرق لونها وربما التفت عليه فتصير رأسها عند ذنبها فلا يدنو منها أحد الا كشت أى صوتت وفتحت فاها معطوف على كشت ففى حياة الحيوان قال الجوهرى كشيش الافعى صوتها من جلدها الا من فيها فحرست بئره وخزانة البيت خمسمائة عام لا يقربه أحد أى لا يقرب بئره وخزانته الا أهلكته أى ولعل المراد لو قرب منه أحد أهلكته اذ لو أهلكت أحدا قرب من تلك البئر انتقل فلم تزل كذلك حتى كان زمن قريش ووجد هذا السيل والحريق أرادوا هدمها واعادة بنائها وان يشيدوا بنيانها أى يرفعوه ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاؤا واجتمعت القبائل من قريش تجمع الحجارة كل قبيلة تجمع على حدة وأعدوا لذلك نفقة أى طيبة ليس فيها مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ه أى بعد ان قام أبو وهب عمرو بن عابد فتناول منها حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم الا طيبا الحديث أى وفى لفظ انه قال لهم لا تدخلوا فى نفقة هذا البيت مهر بغى أى زانية ولا بيع ربا وفى لفظ لا تجعلوا فى نفقة هذا البيت شيأ أصبتموه غصبا ولا قطعتم فيه رحما ولا انتهكتم فيه حرمة أو ذمة بينكم وبين أحد من الناس وأبو وهب هذا

فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكرت الشياطين ذلك لابليس فقال لعله بعث نبى عليكم بالارض المقدسة أى لانها محل الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج ابليس لطلبه بمكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا ومعه جبريل وفى رواية ان ابليس قال لما أخبروه بأنهم منعوا من خبر السماء قال ان هذا الحدث حدث فى الارض فأتونى من تربة كل أرض فأتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فمضوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأجيب بأن الرمى قبل الولادة والمبعث كان قليلا جدا وعند الولادة كثر ارهاصا وتخويفا وعند المبعث ازدادت كثرته وكان من كل جانب فلما كان مخالفا للرمى به قبل فزعوا من ذلك فهذا هو الذى أراده أبى بن كعب رضى الله عنه وابن عمر رضى الله عنهما فانه لم يكن معهودا من قبل وهو الذى أراده سبحانه وتعالى بقوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وصار الرمى بعد المبعث لا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله أى يصيره غولا يضل الناس فى البرارى فكان ذلك سبب الفزع العرب لانه قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر وكان يخطئ فيعود الشيطان الى محله ومكانه فيسترق السمع ويلقى ما يسترقه الى كاهنه فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا كهانة اليوم وكانت قبل المبعث يرمى بها من جانب واحد وبعد المبعث من كل جانب والى هذا الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فهذا سبب الفزع حتى انقطعت الكهانة لما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من فى السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر يذبح كل يوم بقرة وصاحب الغنم كل يوم شاة حتى أسرعوا فى اتلاف أموالهم فقالت ثقيف بعد سؤال كاهنهم لما تقدم أيها الناس امسكوا عن أموالكم فانه لم يمت

خال

خال عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم وكان شريفا فى قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس رضى الله تعالى عنه ينقلان الحجارة فقال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك الحجارة أى كبقية القوم فانهم كانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم فخر الى الارض فطمحت عيناه الى السماء أى ونودى عورتك فقال ازارى ازارى أى شدوا على ازارى فشد عليه وفى رواية سقط فغشى عليه فضمه العباس الى نفسه وسأله عن شأنه فاخبره انه نودى من السماء ان شد عليك ازارك وهذا يبعده ماجاء فى رواية قال له العباس أى بعد ان أمر بستر عورته وسترها يا ابن أخى اجعل ازارك على رأسك فقال ما أصابنى ما أصابنى الا من التعرى وفى رواية بينا النبى صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من اجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته فنودى يا محمد خمر عورتك أى غطها فلم ير عريانا أى مكشوف العورة بعد ذلك أى وقد يقال هذا لا يخالف ما تقدم عن العباس رضى الله تعالى عنه لانه يجوز ان يكون ذلك صدر من العباس حينئذ وغايته انه سمى النمرة ازارا قال واستبعد بعض الحفاظ ذلك أى وقوع هذا مع ما تقدم من نهيه عن ذلك أى الذى تضمنه الامر بالستر عند اصلاح عمه أبى طالب زمزم قبل هذا قال لانه صلى الله عليه وسلم اذا نهى عن شئ مرة لا يعود اليه ثانيا بوجه من الوجوه اه أى وقد عاد الى ذلك (أقول) يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يفهم ان أمره بستر عورته أولا عزيمة بل جواز الترك وفى الثانية علم انه عزيمة لا يقال تقدم من كرامتى على ربى ان أحدا لم ير عورتى وتقدم ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ففى الخصائص الصغرى انه صلى الله عليه وسلم لم تر عورته قط ولو رآها أحد طمست عيناه لانه لا يلزم من كشف عورته صلى الله عليه وسلم رؤيتها كما لم يلزم من حضانته وتربيته ومجامعة زوجاته ذلك فمن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيت منه صلى الله عليه وسلم والظاهر ان بقية زوجاته كذلك والله أعلم ثم عمدوا اليها ليهدموها على شفق وحذر أى خوف من ان يمنعهم الله تعالى ما أرادوا أى بان يوقع بهم البلاء قبل ذلك سيما وقد شاهدوا ما وقع لعمرو بن عائذ أى قال وعند ابن اسحق ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه أى خافوا من انه يحصل لهم بسببه بلاء فقال الوليد بن المغيرة لهم أتريدون بهدمها الاصلاح أم الاساءة قالوا بل نريد الاصلاح قال فان الله لا يهلك المصلحين قالوا من الذى يعلوها فيهدمها قال أنا أعلوها وأنا أبدؤكم فى هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع أى بالراء والعين المهملتين والضمير فى ترع للكعبة أى لا تفزع الكعبة لا نريد الا الخير أى وفى رواية لم نزغ بالنون والزاى والمعجمة أى لم نمل عن دينك ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيأ ورددناها كما كانت وان لم يصبه شئ هدمناها فقد رضى الله ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا الى عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم صلى الله عليه وسلم افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة أى أسنمة الابل وفى لفظ كالاسنة

من فى السماء ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هى والشمس والقمر كذلك والمحققون على ان الذى يرمى به شعلة نار تنفصل من الكوكب والكوكب كما هو وقد أشار صاحب الهمزية الى هذه الآيات بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء * تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذئاب الرعاء

فمحت آية الكهانة آيات من الوحى ما لهن انمحاء

﴿فائدة﴾ وقع فى سنة تسع وتسعين من القرن السادس أن النجوم تساقطت وماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وفزع الخلق فلجؤا الى الله بالدعاء ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبى فى السيرة (أقول) وقد وقع نظير ذلك فى سنة احدى واربعين من القرن الثالث ماجت النجوم فى السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل فكان أمرا عجيبا لم ير مثله ووقع فى سنة ثلثمائة تناثر للنجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله أعلم ﴿وأما ماجاء من ذكره﴾ صلى الله عليه وسلم أى ذكر اسمه وصفته وصفة أمته فى الكتب القديمة كالتوراة المنزلة على موسى والانجيل المنزل على عيسى عليهما الصلاة والسلام وغيرهما قال تعالى وانه لفى زبر الاولين وقال الامام السبكى فى تائيته

وفى كل كتب الله نعتك قد أتى يقص علينا ملة بعد ملة

وقال آخر

من قبل مبعثه جاءت مبشرة به زبور وتوراة وانجيل

فمن ذلك أنه قد جاء ان اسمه فى التوراة أحيد يحمده أهل السماء والارض وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فانزل الله آية واسمه فى التوراة أيضا حياطا أى يحمى الحرم من الحرام

وقدوميا أى الاول السابق واحيد وقيل أريد أى يمنع نار جهنم عن أمته وطاب طاب أى طيب وفيها أيضا محمد حبيب الرحمن ووصفه
فيها بالضحوك أى طيب النفس وفيها أيضا محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة كلمة عبرية مأخوذة
من التورية وهى كتمان السر بالتعريض لان أكثرها تعريض من غير تصريح واسمه فى الانجيل المنحمنا ومعناه
بالسريانية محمد * وعن سهل
مولى خيثمة قال كنت يتيما فى حجر
عمى فأخذت الانجيل فقرأته حتى
مررت بورقة ملصقة بغراء ففتقتها
فوجدت فيها وصف محمد صلى الله
عليه وسلم فجاء عمى فلما رأى الورقة
ضربنى وقال مالك وفتح هذه
الورقة وقراءتها فقلت فيها وصف
النبى أحمد فقال انه لم يأت بعد الى
الآن * وفى الانجيل أيضا اسمه
خبط أى يفرق بين الحق والباطل
ووصفه بأنه صاحب المدرعة
وركب الحمار والبعير * وفى
الانجيل ان أحببتمونى فاحفظوا
وصيتى وأنا أطلب ربى فيعطيكم
بارقليط والبارقليط لايجيئكم مالم
أذهب فاذا جاء وبخ العالم على
الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه
ولكنه مايسمع يكلمهم به ويأتيهم
بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب
أى وما جاء بذلك وأخبر بالحوادث
والغيوب الا محمد صلى الله عليه
وسلم (ومن ذلك) ماجاء عن
عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما
فقلت أخبرنى عن صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة
قال أجل والله انه لموصوف فى
التوراة ببعض صفته فى القرآن
يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين
أنت عبدى ورسولى سميتك
بالمتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب بالاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا وقد
لا اله الا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسألته فما أخطأ فى حرف وفى رواية عن كعب
واعطى المفاتيح ليبصرن به أعينا عورا ويسمعن به آذانا صما ويقيم به ألسنة معوجة يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما

(قال السهيلى) وهو وهم من بعض النقلة عن ابن اسحق هذا كلامه أى وقد يقال هى كالاسنة
فى الخضرة وكالاسنة فى العظم لا يقال الاسنة زرق لانا نقول شديد الزرقة يرى أخضر أخذ
بعضها ببعض فادخل رجل ممن كان يهدم عتلته بين حجرين منه ليقلع بها أحدهما فلما تحرك
الحجر تنفضت مكة أى تحركت بأسرها وأبصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف
بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس ووجدت قريش فى الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ماهو
حتى قرأه لهم رجل من يهود فاذا هو أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض
وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا يزول أخشباها أى جبلاها وهما
أبو قبيس وهو جبل مشرف على الصفا وقعيقعان وهو جبل مشرف على مكة وجهه الى أبى
قبيس يبارك لاهلها فى الماء واللبن ووجدوا فى المقام أى محله كتابا آخر مكتوب فيه مكة بلد
الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاث سبل ووجدوا كتابا آخر مكتوب فيه من يزرع خيرا يحصد
غبطة أى مايغبط أى يحسد حسد المحمود عليه ومن يزرع شرا يحصد ندامة أى مايندم عليه
تعملون السيئات وتجزون الحسنات أجل أى نعم كما يجنى من الشوك العنب أى الثمر أى
(وفى السيرة الشامية) ان ذلك وجد مكتوبا فى حجر فى الكعبة وفى كلام بعضهم وجدوا حجرا
فيه ثلاثة أسطر الاول أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر الى آخره وفى الثانى أنا
الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفى
الثالث أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على
يديه قال ابن المحدث ورأيت فى مجموع انه وجد بها حجر مكتوب عليه أنا الله ذو بكة مفقر الزناة
ومعرى تارك الصلاة أرخصها والاقوات فارغة وأغليها والاقوات ملآنة أى فارغ محلها
وملآن محلها هذا كلامه وقد يقال لامانع من ان يكون ذلك حجرا آخر أو يكون هو ذلك الحجر
وماذكر مكتوب فى محل آخر منه أى وفى الاصابة عن الاسود بن عبد يغوث عن أبيه انهم
وجدوا كتابا باسفل المقام فدعت قريش رجلا من حمير فقال ان فيه لحرفا لو حدثتكموه
لقتلتمونى قال وظننا ان فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فكتمناه وكان البحر قد رمى بسفينة الى
ساحل جدة أى الذى به جدة الآن وكان ساحل مكة قبل ذلك الذى يرمى به السفن يقال له
الشعيبية بضم الشين فلا يخالف قول غير واحد فلما كانت السفينة بالشعيبية ساحل مكة
انكسرت وفى لفظ حبسها الريح وتلك السفينة كانت لرجل من تجار الروم اسمه باقوم وكان
بانيا وقيل كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد سرحها
مع باقوم الى الكنيسة التى حرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت مرساها من جدة وقيل من
الشعيبية بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمها أى كسرها فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من
قريش الى السفينة فابتاعوا خشبها أعدوه لسقف الكعبة وقيل هابوا هدمها من أجل تلك
الحية العظيمة فكانوا كلما أرادوا القرب منه أى البيت ليهدموه بدت لهم تلك الحية فاتحة فاها
فبيناهى ذات يوم تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله طائرا أعظم من النسر
فاختطفها وألقاها فى الحجون فالتقمتها الارض قيل وهى الدابة التى تكلم الناس يوم القيامة

وعن بعض أحبار اليهود انه قال وقفت على جميع ماوصف به فى التوراة الا هذين الوصفين وكنت اشتهى الوقوف عليهما فجاءه
صلى الله عليه وسلم شخص يطلب منه ما يستعين به فذكر له انه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير تدفعها له
وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئت قبل الاجل بيومين أو ثلاث فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه
بوجه غليظ وقلت ألا تقضينى
يا محمد حقى انكم يا بنى عبد المطلب
أهل مطل فقال لى عمر أى عدو الله
تقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ما أسمع وهم بى فنظر اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
سكون وتؤدة وتبسم وقال أنا وهو
أحوج الى غير هذا منك يا عمر ان
تأمرنى بحسن الاداء وتأمره
بحسن الطلب اذهب وفه حقه
وزده عشرين صاعا مكان ماروعته
فأسلم اليهودى وذكر القصة
* وفى التوراة * لا يزال الملك فى
يهود الى أن يجىء الذى اياه تنتظره
الامم أى لا يزال أمرهم ظاهرا
الى أن يجىء الذى تنتظره الامم أى
المرسل اليهم وهو محمد صلى الله
عليه وسلم وفى التوراة أيضا سوف
أقيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل
كلمتى فى فيه وايما انسان لم يطع
كلامه انتقم منه وفى قوله من
اخوتهم رد على النصارى الزاعمين
أن الرسول المذكور فى التوراة هو
المسيح عليه السلام ووجه الرد أن
المسيح ليس من اخوتهم بل منهم
لانه من نسل داود وبمثل هذا يرد على
بعض اليهود الزاعمين أن النبى
المذكور فى التوراة هو يوشع بن
نون عليه السلام وقد قيل فى
تفسير قوله تعالى الذى يجدونه
مكتوبا عندهم فى التوراة
والانجيل انهم يجدون نعته
يأمرهم بالمعروف وهو مكارم
الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهى الشحوم التى حرمت على بنى اسرائيل والبحيرة
والسائبة والوصيلة والحامى التى حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التى كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير
ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وأن يقطعوا ما أصابه البول (ومن ذلك) ماجاء عن النعمان

وقد جاء ان الدابة تخرج من شعب أجياد وفى حديث ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه
ان يريه الدابة التى تكلم الناس فاخرجها له من الارض فرأى منظرا هاله وأفزعه فقال أى
رب ردها فردها فقالت قريش عند ذلك انا لنرجو ان يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا أى بعد
ان اجتمعوا عند المقام وعجوا الى الله تعالى ربنا لن نراع أردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت
ترضى بذلك فاتمه واشغل عنا هذا الثعبان يعنون الحية والا فما بدا لك فافعل فسمعوا فى السماء
صوتا أو وجبة واذا بالطائر المذكور أخذها وذهب بها الى أجياد فقالوا ماذكر وقالوا عندنا
عامل رفيق وعندنا أخشاب وقد كفانا الله الحية وذلك العامل هو باقوم الرومى الذى كان
بالسفينة وكان بانيا كما تقدم فانهم جاؤا به معهم الى مكة أو هو باقوم مولى سعيد بن العاص وكان
نجارا وتلك الاخشاب هى التى اشتروها من تلك السفينة التى كسرت (أقول) ومع أخذ الطائر
لتلك الحية يجوز ان يقال هابوا هدمها حتى قدم عليه الوليد بن المغيرة فلا مخالفة بين ماتقدم
عن ابن اسحق وبين هذا الظاهر فى انهم هدموها عند أخذ الطائر لتلك الحية ولم يهابوا هدمها
حتى فعل الوليد ماتقدم والله أعلم أى ثم لما أرادوا بنيانها تجزأتها قريش أى بعد ان أشار عليهم
بذلك أبو وهب عمرو بن عائذ فقال لهم انى أرى ان تقسموا أربعة أرباع فكان شق الباب لعبد
مناف وزهرة وكان ما بين الركنين الاسود واليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم
وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وبنى سهم ابنى عمرو وكان شق الحجر أى الجانب الذى فيه الحجر الآن
لبنى عبد الدار ولبنى أسد ولبنى عدى والذى فى كلام المقريزى كان لبنى عبد مناف ما بين الحجر
الاسود الى ركن الحجر أى وهو شق الباب وصار لاسد وعبد الدار وزهرة الحجر كله أى الجانب
الذى فيه الحجر وصار لمخزوم دبر البيت وصار لسائر قريش ما بين الركن اليمانى الى الركن
الاسود هذا كلامه فليتأمل وفى كلام بعضهم وسمى الركن اليمانى باليمانى لان رجلا من
اليمن بناه وكان البانى لها باقوم النجار أى الذى هو مولى سعيد بن العاص (أقول) وكان المناسب
ان يكون الذى بناها باقوم الرومى الذى كان صحبة السفينة التى كسرت لانه كما تقدم كان بانيا
وسيأتى التصريح بذلك واما باقوم مولى سعيد بن العاص فتقدم انه كان نجارا الا ان يقال باقوم
مولى سعيد كان نجارا بناء واشتهر بالوصف الاول فكان البانى لها وفيه يحتمل ان يكون باقوم
الرومى البناء كان نجارا أيضا واشتهر بالوصف الاول ثم رأيت فى كلام بعضهم التصريح بذلك
فقال وكان أى باقوم الرومى نجارا بناء فقول القائل وكان البانى لها باقوم النجار مراده باقوم
الرومى لا مولى سعيد (ثم رأيت) فى بعض الروايات مايؤيد ذلك وهو وصف باقوم الرومى بانه
كان نجارا ونصها فخرجت قريش لتأخذ خشبها أى السفينة التى كسرت فوجدوا الرومى
الذى فيها نجارا فقدموا به وبالخشب فقد دلت الروايتان على انه كان موصوفا بالوصفين ويحتمل
ان يكون أحدهما بناها والآخر عمل سقفها أو انهما اشتركا فيهما علمت ان كلا منهما كان
بانيا نجارا ثم رأيت عن ابن اسحق وكان بمكة قبطى يعرف نجر الخشب وتسويته فوافقهم على
ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم أى الرومى فالقبطى هو مولى سعيد بن العاص
وحينئذ ففى هذه الرواية وصف باقوم الرومى بانه كان نجارا كالرواية التى قبلها وسيأتى فى الرواية

التى تلى هذه انه الذى بناها وهى فى الاصابة اسم الرجل الذى بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا وكان فى سفينة حبستها الريح فخرجت اليها قريش فاخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بنيان الكنائس وان باقوم الرومى أسلم ثم مات فلم يدع وارثا فدفع النبى صلى الله عليه وسلم ميراثه لسهيل بن عمرو ثم لما بنوها جعلوها مدماكا من خشب الساج ومدماكا من الحجارة من أسفلها الى أعلاها وزادوا فيها تسعة أذرع فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها من الارض فكان لا يصعد اليها الا فى درج وضاقت بهم النفقة عن بنيانها على تلك القواعد فاخرجوا منها الحجر وفى لفظ أخرجوا من عرضها أذرعا من الحجر وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على انه من الكعبة * ولما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى أعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوأة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدى أى تحالفوا على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة فسموا لعقة الدم وقد تقدم فى حلف المطيبين ومكث النزاع بينهم أربع أو خمس ليال ثم اجتمعوا فى المسجد الحرام وكان أبو أمية بن المغيرة واسمه حذيفة أسن قريش كلها يومئذ أى وهو والد أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفى كل من سافر معه الزاد أى وذكر بعضهم ان ازواد الراكب من قريش ثلاثة زمعة بن الاسود بن المطلب بن عبد مناف قتل يوم بدر كافرا ومسافر بن أبى عمرو بن أمية وأبو أمية بن المغيرة وهو أشهرهم بذلك وفى كلام بعضهم لا تعرف قريش زاد الراكب الا أبا أمية بن المغيرة وحده يحتمل أن المراد لا تكاد تعرف قريش غيره بهذا الوصف لشهرته فلا مخالفة وأبو أمية هذا مات على دينه ولعله لم يدرك الاسلام فقال يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم أى وهو باب بنى شيبة وكان يقال له فى الجاهلية باب بنى عبد شمس الذى يقال له الآن باب السلام (وفى لفظ) أول من يدخل من باب الصفا أى وهو المقابل لما بين الركنين اليمانى والاسود ففعلوا أى وفى كلام البلاذرى ان الذى أشار على قريش بان يضع الركن أول من يدخل من باب بنى شيبة مهشم بن المغيرة ويكنى أبا حذيفة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون اسمه حذيفة ويكنى بابى حذيفة كما يكنى بابى أمية ومهشم لقبه وان الراوى عنه اختلف كلامه فتارة قيل عنه يقضى بينكم وتارة قيل عنه يضع الركن والمشهور الاول ويدل له ما يأتى فكان أول داخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد أى لانهم كانوا يتحاكمون اليه صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية لانه كان لا يدارى ولا يمارى فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فأتى به أى وفى رواية فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ازاره وبسطه فى الارض أى ويقال انه كساء أبيض من متاع الشام ويقال ان ذلك الثوب كان للوليد بن المغيرة فأخذ صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود فوضعه فيه بيده الشريفة ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب أى بزاوية من زواياه ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فكان فى ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة وكان فى الربع الثانى زمعة وكان فى الربع الثالث

ابو

السبائى رضى الله عنه وكان من أحبار يهود اليمن قال لما سمعت بذكر النبى صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن أشياء ثم قلت له ان أبى كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك أحمد صلى الله عليه وسلم وأمتك الحامدون يحمدون الله فى السراء والضراء قربانهم دماؤهم أى يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم فى الجهاد وأناجيلهم فى صدورهم أى يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله اليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لى يعنى أباه فاذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدقه فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال اشهد انى رسول الله ثم ان النعمان قتله الاسود العنسى الذى ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم احرقه بالنار فلم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذى أحرقه الاسود العنسى بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب أو ابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك أخبر أصحابه فقال عمر رضى الله عنه الحمد لله الذى من جعل أمتنا مثل ابراهيم الخليل (وفى التوراة) فى صفة أمته صلى الله عليه وسلم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل وفى رواية أصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار واذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة فان عملها كتبت له عشرا واذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول أى بجنس الكتب السابقة والكتاب الآخر وهو القرآن (وروى الامام أحمد)

ابو حذيفة بن المغيرة وكان فى الربع الرابع قيس بن عدى حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو صلى الله عليه وسلم أى ولما مات أبو أمية بن المغيرة رثاه أبو طالب بقصيدة طويلة ورثاه أبو جهبة بقوله

الا هلك الماجد الرافد * وكل قريش له حامد
ومن هو عصمة أيتامنا * وغيث اذا فقد الراعد

قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن أى الحجر ذهب رجل من أهل نجد ليناول النبى صلى الله عليه وسلم حجرا يشد به الركن فقال العباس لا وناول العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شد به الركن فغضب النجدى وقال واعجبا لقوم أهل شرف وعقول وأموال عمدوا الى رجل أصغرهم سنا وأقلهم مالا فرأسوه عليهم فى مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له أما والله ليفوتنهم شيئا وليقسمن بينهم حظوظا فكاد يثير شرا فيما بينهم ولعل هذا النجدى هو ابليس فقد ذكر السهيلى ان ابليس تمثل فى صورة شيخ نجدى حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر الركن من يرفعه وصاح يامعشر قريش أرضيتم ان يلى هذا الغلام دون أشرافكم وذوى أنسابكم انتهى وانما تصور بصورة نجدى لان فى الحديث نجد يطلع منها قرن الشيطان ولما قال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا قالوا وفى نجدنا فأعاد الاول والثانى قال هناك الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان (أقول) سيأتى انه تصور بهذه الصورة أيضا عند دخول قريش دار الندوة ليتشاوروا فى كيفية قتله صلى الله عليه وسلم ودخل معهم وسيأتى ثم فى حكمة تصوره بذلك غير ماذكر ولا مانع أن يكون ناحكمة لما هنا ولما يأتى وأعادوا الصور التى كانت فى حيطانها لانه كان فى حيطانها صور الانبياء بانواع الاصباغ ومن جملتهم صورة ابراهيم وفى يده الازلام أى واسمعيل وفى يده الازلام وصورة الملائكة وصورة مريم كما سيأتى فى فتح مكة وكساها زعماؤهم أرديتهم وكانت من الوصائل ولم يكسها أحد بعد ذلك حتى كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبرات فى حجة الوداع والله أعلم وهذه المرة الرابعة أى من بناء الكعبة بناء على ان أول من بناها الملائكة (ففى بعض الآثار) ان الله سبحانه وتعالى قبل ان يخلق السموات والارض كان عرشه على الماء أى العذب فلما اضطرب العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن فلما أراد أن يخلق السموات والارض أرسل الريح على ذلك الماء فتموج فعلاه دخان فخلق من ذلك الدخان السموات ثم أزال ذلك الماء عن موضع الكعبة فيبس وفى لفظ أرسل على الماء ريحا هفافة فصفق الريح الماء أى ضرب بعضه بعضا فابرز عنه خشفة الحديث وبسط الله سبحانه وتعالى من ذلك الموضع جميع الارض طولها والعرض فهى أصل الارض وسرتها وقد يخالفه ما فى أنس الجليل كذا روى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه قال وسط الدنيا بيت المقدس وأرفع الارضين كلها الى السماء بيت المقدس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومعاذ بن جبل انه أقرب الى السماء باثنى عشر ميلا ثم بين ذلك فى أنس الجليل ولما ماجت الارض وضع عليها الجبال فكان أول جبل وضع عليها أبو قبيس وحينئذ كان ينبغى أن يسمى أبا الجبال وان يكون أفضلها مع ان أفضلها كما قال الجلال السيوطى استنباطا أحد لقوله

وغيره باسناد صحيح ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام ياعيسى انى باعث بعدك أمة ان أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون لهم هذا ولا حلم ولا علم قال اعطيهم من حلمى وعلمى وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ماذكره بعضهم ان هذه الامة آخر الامم فكان الحلم والعلم الذى قسم بين الامم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم أخلاقكم قل ودق جدا نصيب هذه الامة منه فلم تدرك الا اليسير من ذلك مع قصر أعمارهم فأعطاهم الله من حلمه وعلمه وجاء انهم يسمون فى التوراة صفوة الرحمن وفى الانجيل حلماء علماء أبرارا أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء وروى الدارقطنى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار كيف تجدنى يعنى فى التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف فى الله لومة لائم ثم الخليفة من بعدك تقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعده (وفى صحف شعيا) اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها انى باعث نبيا أميا أفتح به آذانا صما وقلوبا غلفا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين يبكى للبهيمة المثقلة ويبكى لليتيم فى حجر الارملة لو مر الى جانب السراج لم يطفئه من سكينته ولو مشى على القضيب الرعراع يعنى اليابس لم يسمع من تحت قدميه وشعيا عليه السلام كان بعد داود وسليمان عليهما السلام وقبل زكريا ويحيى عليهما السلام ولما نهى بنى اسرائيل عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها فادركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله بقوله وقفينا من بعده بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكا له الخراب والقاء الجيف فيه أبشرى يأتيك راكب الحمار يعنى عيسى وبعده

صلى الله عليه وسلم أحد يحبنا ونحبه ولما ورد انه على باب من أبواب الجنة قال ولانه من جملة أرض المدينة التى هى أفضل البقاع أى عنده تبعا للجم ولانه مذكور فى القرآن باسمه فى قراءة من قرأ اذ تصعدون ولا تلوون على أحد أى بضم الهمزة والحاء ثم فتق الارض فجعلها سبع أرضين وقد جاء بدأ الله خلق الارض فى يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن فى يومين ثم دحا الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسى وغيرها فى يومين وبهذا يظهر التوقف فى قول مغلطاى ان لفظة بعد فى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بمعنى قبل لان خلق الارض قبل خلق السماء لما علمت ان الارض خلقت قبل السماء غير مدحوة ثم بعد خلق السماء دحى الارض ثم رأيت بعضهم سأل ابن عباس عن ذلك حيث قال له يا امام اختلف على من القرآن آيات ثم ذكر منها انه قال قال الله تعالى أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين حتى بلغ طائعين ثم قال فى الآية الاخرى أم السماء بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فاجابه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أما قوله خلق الارض فى يومين فان الارض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات فى يومين بعد خلق الارض وأما قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبالا وجعل فيها انهارا وجعل فيها أشجارا وجعل فيها بحورا وبه يرد قول بعضهم خلق السماء قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فليتأمل وقد جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع أرضين فى كل أرض نبى كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسكم رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقى اسناده صحيح لكنه شاذ بالمرة أى لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الحافظ السيوطى ويمكن أن يؤول على ان المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن أنبياء البشر ولا يبعد أن يسمى كل منهم باسم النبى الذى يبلغ عنه هذا كلامه أى وحينئذ كان لنبينا صلى الله عليه وسلم رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل ولما خاطب الله السموات والارض بقوله ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين كان المجيب من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما حاذاها الذى هو محل البيت المعمور (وعن كعب الاحبار) رضى الله عنه لما أراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التى هى قلب الارض وبهاؤها ونورها فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهى بيضاء منيرة لها شعاع عظيم (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة قال بعض العلماء هذا يشعر بان ما أجاب من الارض الا تلك الطينة أى وقد ذكر الشيخ أبو العباس المرسى رحمه الله تعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوما لابى بكر الصديق رضى الله عنه أتعرف يوم يوم فقال أبو بكر نعم والذى بعثك بالحق نبيا يا رسول الله سألتنى عن يوم المقادير يعنى يوم ألست بربكم ولقد سمعتك تقول حينئذ أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقد سئل الشيخ على الخواص نفعنا الله تعالى ببركاته لم تتكلم الانبياء بلسان الباطن الذى تتكلم به الصوفية فاجاب بانه لم تتكلم

راكب الجمل يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولعل ذلك باعتبار الاغلب فى حقه صلى الله عليه وسلم من ركوبه للجمل فلا ينافى ذلك وصفه أيضا بانه يركب الحمار والجمل واسمه صلى الله عليه وسلم فى الزبور حاط حاط والفلاح الذى يمحق الله به الباطل والفارق أى يفرق بين الحق والباطل وهو معنى فارقليط أو بارقليط وقيل معناه الذى يعلم الاشياء الخفية وذكر صاحب الدر المنظم باسناده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضى الله عنه يا عمر أتدرى من أنا أنا الذى بعثنى الله فى التوراة لموسى وفى الانجيل لعيسى وفى الزبور لداود ولا فخر أى لا أقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر أتدرى من أنا أنا اسمى فى التوراة أحيد وفى الانجيل البارقليط وفى الزبور حماط وفى صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وجاء فى الزبور انى أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولى ووصف بانه يقوى الضعيف الذى لا ناصر له ويرحم المسكين ويبارك عليه فى كل وقت ويدوم ذكره الى الابد ووصف بالجبار فى الزبور تقلد أيها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى وما أنت عليهم بجبار أجيب بأن الاول هو الذى يجبر الخلق الى الحق والثانى هو المتكبر وفى الزبور أيضا يا داود سيأتى من بعدك نبى اسمه أحمد ومحمد لا أغضب عليه أبدا ولا يعصينى أبدا وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة يأتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء وقوله وقد غفرت له الخ أى على فرض وقوع ذنب منه أو المراد بالذنب خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيئات المقربين أى ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الابرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم ﴿وفى بعض﴾ ما جاء عن داود عليه السلام ان الله أظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفى صحف شيث اخنوخ ومعناه صحيح الاسلام وفى بعض الكتب المنزلة انى باعث رسولا من الاميين أشدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم واجعل الحكمة منطقه

الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك لاجل عموم خطابهم للامة ولا يعتبر بالاصالة الافهم العامة دون فهم الخاصة الا بعض تلويحات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للصديق رضى الله تعالى عنه أتعرف يوم يوم فقال نعم يا رسول الله الحديث وتلك الطينة لما تموج الماء رمى بها من مكة الى محل تربته صلى الله عليه وسلم ومدفنه بالمدينة وبهذا يندفع ما يقال مقتضى كون أصل طينته صلى الله عليه وسلم بمكة ان يكون مدفنه بها لان تربة الشخص تكون فى محل دفنه ثم عجنها بطينة آدم ولعل هذه الطينة هى المعبر عنها بالنور فى قوله صلى الله عليه وسلم وقد قال له جابر يا رسول الله أخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره ولم يكن فى ذلك الوقت لا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا لوح ولا قلم الحديث (وجاء) أول ما خلق الله نورى وفى رواية أول ما خلق الله العقل قال الشيخ على الخواص ومعناهما واحد لان حقيقته صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بالعقل الاول وتارة بالنور فارواح الانبياء والاولياء مستمدة من روح محمد صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وهذا هو المعنى بقول بعضهم لما تعلقت ارادة الحق بايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية فى الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها وفيه أن هذا لا يناسبه قوله ولم يكن فى ذلك الوقت لا سماء ولا أرض اذ كيف يأتى ذلك مع قول كعب الاحبار أمر جبريل ان يأتيه بالطينة التى هى قلب الارض الى آخره ومع قول ابن عباس أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض الا أن يقال ان ذلك النور بعد ايجاده أودع تلك الطينة التى هى قلب الارض وسرتها وحينئذ لا يخالف ذلك ما جاء ان الله خلق آدم من طين العزة من نور محمد صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالى لجميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس هذا وقد جاء فى حديث بعض رواته متروك الحديث خلق الله آدم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة وجاء خلق الله آدم من تربة دحنا ومسح ظهره بنعمان الاراك ودحنا محل قريب من الطائف وتقدم انه يحتاج الى بيان وجه كون آدم خلق من نوره وجعل نوره فى ظهر آدم ولما خلق الله آدم وقبل نفخ الروح فيه استخرج ذلك النور من ظهره وأخذ عليه العهد ألست بربكم فقد خص بذلك عن بقية خلقه من بنى آدم فان بنى آدم ما أخرجوا من ظهر آدم وأخذ عليهم الميثاق الا بعد نفخ الروح فى آدم ونقل بعضهم ان الله تعالى لما أخرج الذر وأعاده فى صلب آدم أمسك روح عيسى الى ان أتى وقت خلقه ولا يخفى ان هذا يفيد ان أخذ العهد على الصديق كان بعد نفخ الروح فى آدم وأخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كان سابقا على ذلك وحينئذ فيكون المراد بقول الصديق حينئذ لما قال له صلى الله عليه وسلم أتعرف يوم يوم وقال نعم الى قوله ولقد سمعتك تقول حينئذ أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أى حين أخذ العهد على بنى آدم لا حين أخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كما قد يتبادر فليتأمل ثم لما نفخت الروح فى آدم صار ذلك النور فى ظهر آدم فصارت الملائكة تقف صفوفا خلف آدم يتعجبون من ظهور ذلك النور فقال آدم يا رب ما بال هؤلاء ينظرون الى ظهرى قال ينظرون الى نور محمد خاتم الانبياء الذى أخرجه من ظهرك فسأل الله تعالى ان يجعله فى مقدمه لتستقبله

والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته أرفع به من الوضيعة وأهدى به من الضلالة وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة وأجعل أمته خير الامم ﴿وأما ما جاء﴾ مما يدل على وجود اسمه الشريف أعنى لفظ محمد مكتوبا على الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير (ومن ذلك) ما جاء عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله * وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام كان سماويا أى من السماء ألقى اليه فوضعه فى خاتمه وكان به انتظام ملكه وكان نقشه أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى فعلى هذا يكون ما تقدم عن جابر رضى الله عنه رواه بالمعنى وكان سليمان عليه السلام ينزعه اذا دخل الخلاء واذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه أمر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوبا محمد تقى مصلح وسيد أمين وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لكعب الاحبار أخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل عليه السلام وجد حجرا مكتوبا عليه أربعة أسطر الاول أنا الله لا اله الا أنا فاعبدونى والثانى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسول الله طوبى لمن آمن به واتبعه والثالث أنا الله لا اله الا أنا الحرم لى والكعبة بيتى من دخل بيتى أمن من عذابى قال الحلبى ولينظر الرابع ثم نقل عن بعضهم ان فى سنة أربعة وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا وادا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا الوحوش فاذا هى منصرفة الى ذلك الجبل الذى سقط فيه ذلك النور فساروا معها اليه فوجدوا فيه صخرة طولها ذراع فى عرض ثلاثة اصابع وفيها ثلاثة اسطر سطر

فيه لا اله الا الله فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشى وسطر ثالث فيه احذروا وقعة المغرب انها تكون من سبعة أو تسعة والقيامة قد أزفت أى قربت ﴿وجاء ان آدم عليه السلام﴾ قال طفت السموات فلم أرفى السموات موضعا الا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم أرفى الجنة قصرا ولا غرفة الا واسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولقد رأيت اسمه صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين وورق آجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب وبين أعين الملائكة قيل ان أول شئ كتبه القلم فى اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم انى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولى من استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر على نعمائى ورضى بحكمى كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين وفى رواية مكتوب فى صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا أدخله الله الجنة وفى رواية لما أمر الله القلم ان يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله ❋ قال الجلال السيوطى فى الخصائص الكبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها أيضا قال الله تعالى ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر الملكوت أى من السماء والجنان وما فيها وسائر ما فى الملكوت وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتى وجلالى لولاك ما خلقت أرضا ولا سماء ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفى رواية عنه ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا ولله در القائل لولاه ما كان فلك ولا فلك ❋ كلا ولا بان تحريم وتحليل ﴿ومن ذلك﴾ ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقفت فى غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق أحمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم قال رأيت فى جزيرة

الملائكة فجعله الله فى جبهته ثم سأل الله تعالى أن يجعله فى محل يراه فكان فى سبابته فلما اهبط آدم الى الارض انتقل ذلك النور الى ظهره فكان يلمع فى جبهته وفى رواية لما انتقل النور الى سبابته قال يارب هل بقى فى ظهرى من هذا النور شئ قال نعم نور أخصاء أصحابه فقال يارب اجعله فى بقية أصابعى فكان نور أبى بكر فى الوسطى ونور عمر فى البنصر ونور عثمان فى الخنصر ونور على فى الابهام فلما أكل من الشجرة عاد ذلك النور الى ظهره كذا فى بحر العلوم عن ابن عباس ثم انتقل ذلك النور من آدم الى ولده شيث ولما قال تعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها يعنون الجن الذين أفسدوا فيها وسفكوا الدماء غضب عليهم وفى لفظ ظنت الملائكة أى علمت ان ما قالوا ردا على ربهم وانه قد غضب عليهم من فوقهم فلاذوا بالعرش وطافوا به سبعة أطواف يسترضون ربهم فرضى عليهم وفى لفظ فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة عليهم فعند ذلك قال لهم ابنوا الى بيتا فى الارض يعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم أى الذى هو الخليفة فيطوفون حوله كما فعلتم بعرشى فأرضى عنهم فبنوا الكعبة وفى هذه الرواية اختصار بدليل ما قيل وضع الله تحت العرش البيت المعمور على أربع أساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت أى لأرضى عنكم ثم قال لهم ابنوا الى بيتا فى الارض بمثاله وقدره أى فبنوا وقدره عطف تفسير على مثاله فالمراد بالمثال القدر وفى لفظ لما قال تعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية خافوا أن يكون الله تعالى عاتبا عليهم لاعتراضهم فى علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون اليه فامرهم أن يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة وأن يجعلوا طوافهم به فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ثم أمرهم أن يبنوا فى كل سماء بيتا وفى كل أرض بيتا قال مجاهد هى أربعة عشر بيتا ما ثناه لو سقط بيت منها لسقط على مقابله والبيت المعمور فى السماء السابعة وله حرمة كحرمة مكة فى الارض واسم البيت الذى فى السماء الدنيا بيت العزة وفى كلام بعضهم فى كل سماء بيت يعمره الملائكة بالعبادة كما يعمر أهل الارض البيت العتيق بالحج فى كل عام والاعتمار فى كل وقت والطواف فى كل أوان ولينظر ما معنى بناء الملائكة للبيوت فى السموات واذا لم يصح ان الملائكة بنت الكعبة تكون هذه المرة من بناء قريش هى المرة الثالثة بناء على ان أول من بناها آدم صلى الله عليه وسلم أى أو ولده شيث فقد قال بعضهم ما تقدم من الاثر ان الدال على ان أول من بناها الملائكة لم يصح واحد منها وكانت قبل ذلك أى وكان محلها قبل بناء آدم لها خيمة من ياقوتة حمراء أنزلت لآدم من الجنة أى لها بابان باب من زمرد أخضر شرقى وباب غربى من ذهب منظومان من در الجنة فكان آدم يطوف بها ويأنس اليها وقد حج اليها من الهند ماشيا أربعين حجة ويجوز أن تكون تلك الخيمة هى البيت المعمور وعبر عنها بحمراء لان سقف البيت المعمور كان ياقوتة حمراء قال وذكر أن آدم لما أهبط الى الارض كان رجلاه بها ورأسه فى السماء وفى لفظ كان رأسه يمسح السحاب فصلع فأورث ولده الصلع أى بعض ولده فسمع تسبيح الملائكة ودعاءهم فاستأنس بذلك فهابته الملائكة أى صارت تنفر منه فشكا الى الله تعالى فنقص الى ستين ذراعا بالذراع المتعارف وقيل بذراع

آدم

شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض فى الخضرة كتابة بينة واضحة ابتدعها الله بقدرته ثلاثة أسطر الاول لا اله الا الله والثانى محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعضهم أيضا قال دخلت بلاد الهند فرأيت فى بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة أخرى لم تفتح بعد فرأيت فيها كما رأيت فى سائر الورد وفى البلد شئ كثير وأهل تلك البلد يعبدون الحجارة ❋ ونقل ابن مرزوق فى شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن فى لجج بحر الهند فأرسينا فى جزيرة فرأينا وردا أحمر زكى الرائحة مكتوبا عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله (ومن ذلك) ما حكاه بعضهم قال رأيت فى بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث وحكى الحافظ السلفى عن بعضهم أن شجرة ببلاد الهند لها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورقة لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلد أهل أوثان وكانوا يقطعونها ويعفون آثارها فترجع الى ما كانت عليه فى أقرب زمن فاذابوا الرصاص وجعلوه فى أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع كل فرع مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون بها ويستشفون بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأحسن الطيب ﴿ومن ذلك﴾ انه وجد فى سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب عليها بخط بارع بلون أسود محمد ومنه ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوبا على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رأيتها ألقيتها فى النهر

آدم فلما فقد أصوات الملائكة حزن وشكا الى الله تعالى فقال يا آدم انى قد أهبطت بيتا يطاف به أى تطوف به الملائكة كما يطاف حول عرشى ويصلى عنده كما يصلى عند عرشى أى كان ذلك أى الطواف بالعرش والصلاة عنده شأن الملائكة أولا فلا ينافى ما تقدم انهم بعد ذلك صاروا يطوفون بالبيت المعمور كما تقدم فاخرج اليه أى طف به وصل عنده وهذا البيت هو هذه الخيمة التى أنزلت لاجله وقد علمت أنه يجوز أن تكون تلك الخيمة هى البيت المعمور وقيل أهبط آدم وطوله ستون ذراعا أى على الصفة التى خلق عليها وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى آدم على صورته وطوله ستون ذراعا أى أوجده الله تعالى على الهيئة التى خلقه عليها لم ينتقل فى النشأة أحوالا بل خلقه كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح فالضمير فى صورته يرجع لآدم وقيل رجوعه الى الحق سبحانه وتعالى المراد على صفته أى حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وقد يخالف هذا قول ابن خزيمة قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته خرج على سبب وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يضرب وجه رجل فقال لا تضربه على وجهه فان الله تعالى خلق آدم على صورته أى صورة هذا الرجل فهو ينتقل أطوارا ولا يخفى ان هذا خلاف الظاهر ومن ثم عبر بقوله أوجده وهذا القيل المتقدم من انه أهبط آدم وطوله ستون ذراعا وافقه ما جاء فى الحديث المرفوع كان طوله ستين ذراعا فى سبعة أذرع عرضا ومن ثم قال الحافظ ابن حجر انما روى ان آدم لما أهبط كانت رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء فحطه الله تعالى الى ستين ذراعا أى الذى تقدم ظاهر الخبر الصحيح يخالفه وهو انه خلق فى ابتداء الامر على طول ستين ذراعا وهو الصحيح وكان آدم أمرد وفى الصحيحين فكل من يدخل الجنة يكون على صورة آدم وقد جاء فى صفة أهل الجنة جرد مرد على صورة آدم (وفى بعض الاخبار) ان آدم لما كثر بكاؤه على فراق الجنة نبتت لحيته ولم يصح ولم تنبت اللحية الا لولده وكان مهبطه بأرض الهند بجبل عال يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم مغموسة فى الحجر ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بدله فى كل يوم من مطر يغسل قدمى آدم وذروة هذا الجبل أقرب ذرا جبال الارض الى السماء ولعل هذا وجه النظر الذى أبداه بعض الحفاظ فى قول بعضهم ان بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر قيل ونزل معه من ورق الجنة فبثه هنالك فمنه كان أصل الطيب بالهند وعن عطاء بن أبى رباح ان آدم هبط بأرض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة فهى هذه التى يتطيب الناس بها وجاء انه نزل بنخلة العجوة ثم لما أمر آدم بالخروج لتلك الخيمة خرج لها ومد له فى خطوه قيل كانت خطوته مسيرة ثلاثة أيام فقد قيل لمجاهد هل كان آدم يركب قال وأى شئ كان يحمله فوالله ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام وفيه ان هذا يقتضى ان آدم لم يكن يركب البراق فقول بعضهم ان الانبياء كانت تركبه مراده مجموعهم لا جميعهم وقيض الله تعالى له ما كان فى الارض من مخاض أو بحر فلم يكن يضع قدمه فى شئ من الارض الا صار عمرانا وصار بين كل خطوة مفازة حتى انتهى الى مكة فاذا الخيمة فى موضع الكعبة أى الموضع الذى به الكعبة الآن وتلك الخيمة ياقوتة حمراء

 أول

احترامالها وعن بعضهم قال ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه سنارة فأدلاها فى البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فاذا مكتوب بالاسود على احدى أذنيها لا اله الا الله وعلى الاخرى محمد رسول الله فقذفناها فى البحر وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر فى فيه لؤلؤة خضراء فالقاها فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوبا عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله ذكره الحلبى فى السيرة (ومنه) أيضا ماحكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان ففى يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى أخذت مابين الخافقين وأحالت بين السماء والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن وأسلم أكثر من كان فى البلد من اليهود والنصارى ﴿ومن ذلك﴾ ماجاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بلغنى فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما اقال كان لوح من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالموت أى بأنه يموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب أى بأنه يحاسب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروى البيهقى وغيره عن على رضى الله عنه أن الكنز الذى ذكره الله فى كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب أى يتعب عجبت لمن ذكر النار بم يضحك عجبت لمن ذكر الحساب كيف يغفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفى لفظ لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى * قال الحلبى أقول قد يقال يجوز أن يكون ماذكر أولا فى أحد وجهى ذلك اللوح وماذكر ثانيا فى الوجه الثانى وان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لاجل صلاح أبيهما ورأيت

من يواقيت الجنة مجوفة أى ولها أربعة أركان بيض وفيها ثلاث قناديل من ذهب فيها نور يلتهب من نور الجنة طولها مابين السماء والارض كذا فى بعض الروايات ولعل وصف الخيمة بما ذكر لا ينافى ماتقدم أنه يجوز أن تكون تلك الخيمة هى البيت المعمور ووصف بانه ياقوتة حمراء لان سقفه كان ياقوتة حمراء لان التعدد بعيد فليتأمل ونزل مع تلك الخيمة الركن وهو الحجر الاسود ياقوتة بيضاء من أرض الجنة وكان كرسيا لآدم يجلس عليه أى ولعل المراد يجلس عليه فى الجنة (أقول) وهذا السياق يدل على أن آدم اهبط من الجنة الى أرض الهند ابتداء وذكر فى مثير الغرام عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الله تعالى أهبط آدم الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته ثم قال يا آدم تخط فتخطى فاذا هو بارض الهند فمكث هنالك ماشاء الله ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فأقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية ومابين ذلك مفازة حتى قدم مكة الحديث والسياق المذكور أيضا يدل لى أن الخيمة والحجر الاسود نزلا بعد خروج آدم من الجنة ويدل لكون الحجر الاسود نزل عليه مافى مثير الغرام وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به هذا كلامه (وفى رواية) عنه انزل الركن والمقام مع آدم ليلة نزل آدم من الجنة فلما أصبح رأى الركن والمقام فعرفهما فضمهما اليه وأنس بهما فليتأمل الجمع (وفى رواية) أن آدم نزل بتلك الياقوتة أى فعن كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم هذا بيتى أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ويصلى حوله كما يصلى حول عرشى أى على ماتقدم ونزل معه الملائكة فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت أى تلك الياقوتة عليها وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وقد يقال فى الجمع يجوز أن تكون المعية ليست حقيقية والمراد انه نزل بعده قريبا من نزوله فاقرب الزمن عبر بالمعية فلا ينافى ماتقدم من قوله يا آدم انى قد أهبطت بيتا يطاف به فاخرج اليه وجاء ان آدم نزل من الجنة ومعه الحجر الاسود متأبطه أى تحت ابطه وهو ياقوتة من يواقيت الجنة ولولا أن الله تعالى طمس ضوءه ما استطاع أحد أن ينظر اليه وكون آدم نزل بالحجر الاسود متأبطا له يخالف الرواية المتقدمة انه نزل مع تلك الخيمة التى هى الياقوتة بعد نزوله وحينئذ يحتاج للجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وأيضا يحتاج الى الجمع بين ذلك وبين ماروى عن وهب بن منبه رحمه الله أن آدم لما أمره الله تعالى بالخروج من الجنة أخذ جوهرة من الجنة أى التى هى الحجر الاسود مسح بها دموعه فلما نزل الى الارض لم يزل يبكى ويستغفر الله ويمسح دموعه بتلك الجوهرة حتى اسودت من دموعه ثم لما بنى البيت أمره جبريل عليه الصلاة والسلام أن يجعل تلك الجوهرة فى الركن ففعل وفى بهجة الانوار أن الحجر الاسود كان فى الابتداء ملكا صالحا ولما خلق الله تعالى آدم أباح له الجنة كلها الا الشجرة التى نهاه عنها ثم جعل ذلك الملك موكلا على آدم أن لا يأكل من تلك الشجرة فلما قدر الله تعالى أن آدم يأكل من تلك الشجرة غاب عنه ذلك الملك فنظر الله تعالى الى ذلك الملك بالهيبة فصار جوهرا ألا ترى أنه جاء فى الاحاديث الحجر الاسود يأتى يوم القيامة وله يد ولسان وأذن وعين لانه كان فى الابتداء ملكا (أقول)

وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التى هو فيها والدوائر حوله فلا يزالون فى حفظ الله وستره ويذكر أن هرون الرشيد هم بقتل بعض العلوية فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله منه قال قلت يامن حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظنى منه لصلاح آبائى رضى الله عنهم ﴿ومن ذلك﴾ ماجاء عن جابر رضى الله عنه قال مكتوب بين كتفى آدم عليه السلام محمد رسول الله خاتم النبيين وقد ذكر بعضهم انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا على أحد جنبيه مكتوبا لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله (ومنه) ماحكاه بعضهم قال ولد عندى فى عام أربعة وسبعين وتسعمائة جدى أسود غرته بيضاء على شكل الدائرة ومكتوب فيها محمد بخط فى غاية الحسن والبيان وماحكاه بعضهم أيضا قال شاهدت فى بلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا مكتوبا فى بياض عينه اليمنى الاسفل بعرق أحمر كتابة مليحة محمد رسول الله وذكر الشيخ الشعرانى نفعنا الله ببركاته فى كتاب لواقح الانوار القدسية فى قواعد السادة الصوفية قال وفى يوم كتابتى لهذا الموضع رأيت علما من أعلام النبوة وذلك ان شخصا أتانى براس خروف شواها وأكلها وأرانى مكتوبا فيها بخط الهى على الجبين لا اله الا الله محمد رسوله أرسله بالهدى ودين الحق يهدى به من يشاء من يشاء قال الشيخ عبد الوهاب وتكرر ذلك لحكمة فان الله لايسهو وقد يقال لعل الحكمة التأكيد لعلو مقام الهداية كيف وهو المجانب للضلالة والغواية (وعن الزهرى) قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رايت مكتوبا على حجر بالعبرانى فارشدت الى شيخ يقرؤه فلما قرأه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربى مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران ﴿باب سلام الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة﴾ عن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف

ورأيت فى ترجمة كلام الشيخ كمال الدين الاخميمى انه لما جاور بمكة رأى الحجر الاسود وقد خرج من مكانه وصار له يدان ورجلان ووجه ومشى ساعة ثم رجع الى مكانه وقد جاء أكثروا من استلام هذا الحجر فانكم توشكون ان تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات ليلة اذ أصبحوا وقد فقدوه ان الله عز وجل لا يترك شيأ من الجنة فى الارض الا أعاده فيها قبل يوم القيامة أى فقد جاء ليس فى الارض من الجنة الا الحجر الاسود والمقام فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله تعالى وجاء استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع وقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة والله أعلم (وجاء) أن آدم أتى ذلك أى تلك الخيمة أى التى هى البيت المعمور على ماتقدم ألف مرة من الهند ماشيا من ذلك ثلثمائة حجة وسبعمائة عمرة وأول حجة حجها جاء جبريل وهو واقف بعرفة فقال له يا آدم بر نسكك أما انا قد طفنا بهذا البيت قبل أن تخلق بخمسين ألف سنة وفى رواية لما حج آدم استقبلته الملائكة بالردم أى ردم بنى جمح الذى هو محل المدعى فقالوا بر حجك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألف عام (أقول) وفى تاريخ مكة للازرقى أن آدم عليه السلام حج على رجليه سبعين حجة ماشيا وان الملائكة لقيته بالمأزمين فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام والمأزمان موضع بين عرفة والمزدلفة قال الطبرى ودون منى أيضا مأزمان والله أعلم بالمراد منهما اهـ هذا كلامه وجاء انه وجد الملائكة بذى طوى وقالوا له يا آدم مازلنا ننتظرك ههنا منذ ألفى سنة وكان بعد ذلك اذا وصل الى المحل المذكور خلع نعليه ويحتاج للجمع بين كون الملائكة استقبلته بالردم وكونهم القيته بالمأزمين وكونه وجدهم بذى طوى وبين كونهم حجوا البيت قبله بألف عام وكونهم حجوا قبله بألفى عام وبخمسين ألف عام وهل الملائكة خلقوا دفعة واحدة أم خلقوا جيلا بعد جيل * ومما يدل على انهم جيلا بعد جيل ماجاء من نحو من قال سبحان الله وبحمده خلق الله ملكا له عينان وجناحان وشفتان ولسان يطير مع الملائكة ويستغفر لقائلها الى يوم القيامة وماجاء ان جبريل فى كل غداة يدخل بحر النور فينغمس فيه الحديث لكن فى سفر السعادة الحديث المنسوب الى أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال يأمر الله تعالى جبريل كل غداة ان يدخل بحر النور ينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله عز وجل من كل قطرة منها ملكا لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شئ ولم يثبت فى هذا المعنى حديث هذا لفظه والله أعلم وعند ذلك قال آدم للملائكة فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر قال آدم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة الا بالله فكان آدم اذا طاف يقولها وكان طوافه سبعة أسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار أى ولما فرغ من الطواف صلى ركعتين تجاه باب الكعبة ثم أتى الملتزم أى محله فقال اللهم انك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم مافى نفسى وماعندى فاغفر لى ذنبى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى الحديث (أقول) قول الملائكة قد طفنا بهذا البيت لا يحسن أن يعنوا به تلك الخيمة المذكورة المعنية بقوله تعالى لآدم قد أهبطت بيتا الى آخر ماتقدم أو كونها أهبطت مع آدم بل المراد محل ذلك البيت الذى

حجر بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث وانى لأعرفه الآن قيل انه الحجر الاسود وقيل الذى فى زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر * روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى يفضى الى الشعاب وبطون الاودية
فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحدا وفى الدر انه
لم يبق من حجر صلب ولا شجر
الا وسلم بل هناه ماوهبا
وقال فى الهمزية
والجمادات أفصحت بالذى أخـ *
رس عنه لأحمد الفصحاء
(وعن على) رضى الله عنه قال كنت
مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة
فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله
جبل ولا شجر الا وهو يقول
السلام عليك يا رسول الله والى
ذلك أشار السبكى فى تائيته بقول
وما جزت بالاحجار الا وسلمت
عليك بنطق شاهد قبل بعثة
(وفى كلام السبكى) يحتمل ان
يكون نطق الشجر والحجر كلاما
مقرونا بحياة وعلم ويحتمل ان
يكون صوتا مجردا غير مقرون
بحياة وعلى كل هو علم من اعلام
النبوة وفى كلام الشيخ محيى الدين
ابن العربى رضى الله عنه أكثر
العقلاء بل كلهم يقولون عن
الجمادات انها لا تعقل فوقفوا عند
بصرهم والامر عندنا ليس كذلك
بل سر من الحياة سار فى جميع العالم
وقد ورد أن كل شئ سمع صوت
المؤذن من رطب ويابس يشهد له
ولا يشهد الا من علم وأطال فى بيان
ذلك وقال وقد أخذ الله بابصار
الانس والجن عن ادراك حياة
الجماد الا من شاء الله كنحن وأضرابنا
فانا لا نحتاج الى دليل فى ذلك
لكون الحق تعالى كشف لنا عن
حياتها عيانا وأسمعنا تسبيحها
ونطقها وكذلك اندكاك الجبل
لما وقع التجلى انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة ما تدكدك والله
سبحانه وتعالى أعلم ﴿باب بيان خبر المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم﴾ قال ابن اسحق لما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه
الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبى بعثه الله قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من ومن

هو الخيمة قبل أن تنزل ويجوز أن يكون المراد تلك الخيمة أو نفس تلك الخيمة بناء على انها
البيت المعمور وان الملائكة طافوا بها قبل نزولها الى الارض كما تقدم قال وعن وهب بن منبه
قرأت فى كتاب من كتب الاول ليس من ملك بعثه الله الى الارض الا أمر بزيارة البيت
فينقض من تحت العرش محرما ملبيا حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعا بالبيت ويصلى فى جوفه
ركعتين ثم يصعد (أقول) يجوز أن يكون المراد باحرامه بنية الطواف بالبيت لا احرامه بالعمرة
بدليل قوله ثم يطوف سبعا بالبيت الى آخره ويجوز أن يكون المراد بالبيت فى كلام وهب محل
تلك الخيمة ما بهم من وجد من الملائكة ومن بعث بعد ذلك ولا يخفى ان الاول يبعده قوله حتى
يستلم الحجر وعلى الثانى يكون فيه دلالة على ان الحجر الاسود كان فى تلك الخيمة يبتدأ الطواف
بهامنه وجاء عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهما ان الله عز وجل أوحى الى آدم أن اهبط الى
الارض ابن لى بيتا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف ببيتى الذى فى السماء * وفى رواية وطف
به واذكرنى عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى أى على ما تقدم وهذا السياق بظاهره
يوافق ما تقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هبوط آدم كان من الجنة الى موضع
الكعبة ابتداء والله أعلم قال وجاء ان جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى الى آدم وحواء فقال
لهما ابنيا أى قال لهما ان الله تعالى يقول لكما ابنيا لى بيتا فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء
تنقل التراب حتى أجابه الماء ونودى من تحته حسبك يا آدم (وفى رواية) حتى اذا بلغ الارض
السابعة فقذفت فيها الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة ثلاثون رجلا اه وفيه أنه ان كان أمر
آدم ببناء البيت بعد مجيئه الى تلك الخيمة من الهند ما شيا خالف ظاهر ما تقدم عن عطاء وسعيد
ابن المسيب أوحى الله تعالى الى آدم أن اهبط الى الارض ابن لى بيتا اذ ظاهره انه أوحى اليه
بذلك وهو فى الجنة الا ان يقال المراد بالارض فى قوله اهبط الى الارض أرض الحرم أى
اذهب الى أرض الحرم ابن لى بيتا ثم لا يخفى ان قوله فقذفت فيه الملائكة الصخر يقتضى أن
القاء الملائكة للصخر كان بعد حفر آدم وهو لا يخالف ما تقدم عن كعب أنزل الله من السماء
ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم هذا بيتى أنزلته معك ونزل معه الملائكة فرفعوا قواعده
من الحجارة ثم وضع البيت عليها فيكون القاء الملائكة للصخر بعد حفر آدم فلما تم ذلك الاس
جعل ذلك البيت فوق تلك الصخور ويكون المراد بقوله ونزل معه الملائكة أى صحبوه من
أرض الهند الى أرض الحرم (وجاء فى بعض الروايات) ان آدم وحواء لما أسسا نزل البيت من
السماء من ذهب أحمر وكل به من الملائكة سبعون ألف ملك فوضعوه على أس آدم ونزل
الركن فوضع موضعه اليوم من البيت فطاف به آدم أى كما كان يطوف به قبل ذلك وبهذا
تجتمع الروايات وحينئذ فلا مانع ان ينسب بناء هذا الاساس الذى وضعت الملائكة عليه تلك
الخيمة لآدم وان ينسب للملائكة أما نسبته للملائكة فواضح وأما نسبته لآدم فلانه السبب
فيه أولانه كان اذا ألقت الملائكة الصخر يضع آدم بعضه على بعض وعلى نسبة بناء ذلك الاس
للملائكة ولآدم يحمل القول بان أول من بنى الكعبة الملائكة والقول بان أول من بنى الكعبة
آدم فليتأمل وقد جاء ان آدم بناه من لبنان جبل بالشام ومن طور زيتا جبل من جبال القدس

خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فهم وأممهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم وأول ما بدئ به صلى الله عليه وسلم من
النبوة حين أراد الله تعالى اكرامه ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الاجاءت كفلق الصبح أى كضيائه وانارته فلا
يشك فيها أحد كما لا يشك أحد فى وضوح ضياء الصبح ونوره وفى لفظ فكان لا يرى شيئا فى المنام الا كان أى وجده فى
اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة
الصادقة وانما بدئ رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه
الملك الذى هو جبريل بالنبوة
أى الرسالة فلا تحتملها القوى
البشرية لان القوى البشرية
لا تحمل رؤيا الملك وان لم يكن على
صورته التى خلقه الله عليها ولا على
سماع صوته ولا على ما يجئ به
لاسيما الرسالة فكانت الرؤيا
تأنيسا له والمراد بالملك جبريل عليه
السلام ومن لطف الله بنا عدم
رؤيتنا للملائكة على الصورة التى
خلقوا عليها لانهم خلقوا على
أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت
أعيننا وأرواحنا لحسن صورتهم
وعن علقمة بن قيس قال أول
ما يؤتى به الانبياء فى المنام أى
ما يكون فى المنام حتى تهدأ قلوبهم
ثم ينزل الوحى فى اليقظة لان رؤيا
الانبياء وحى وصدق وحق
لا أضغاث أحلام ولا تخييل من
الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان
قلوبهم نورانية فما يرونه فى المنام
له حكم اليقظة فجميع ما ينطبع فى
عالم مثالهم لا يكون الاحقا ومن
ثم جاء نحن معاشر الانبياء تنام
أعيننا ولا تنام قلوبنا وكانت مدة
الرؤيا ستة أشهر ثم أوحى اليه فى
اليقظة وفى البخارى الرؤيا الحسنة
أى الصادقة من الرجل الصالح
جزء من ستة وأربعين جزأ من
النبوة قال بعضهم معناه ان النبى
صلى الله عليه وسلم حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحى اليه فى اليقظة ثلاث وعشرون سنة
ومدة الوحى اليه فى المنام التى هى الرؤيا ستة أشهر فمدة الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ وحينئذ يكون المعنى ورؤيتى جزء من ستة
وأربعين جزأ من نبوتى ولكن المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم وانما هى أصل جعل غيرها

ومن طور سينا جبل بين مصر وايليا (وفى كلام بعضهم) انه جبل بالشام وهو الذى نودى منه
موسى عليه الصلاة والسلام ومن الجودى وهو جبل بالجزيرة ومن حراحتى استوى على وجه
الارض (أقول) وفى رواية بناه من ستة أجبل من أبى قبيس ومن رضوى ومن أحد فالمتحصل
من الروايتين أنه بناه من ثمانية أجبل ولا مانع من ذلك واستمر ذلك البيت الذى هو الخيمة الى
زمن نوح عليه الصلاة والسلام فلما كان الغرق بعث الله تعالى سبعين ألف ملك فرفعوه الى
السماء الرابعة فهو البيت المعمور كما فى الكشاف وكان رفعه لئلا يصيبه الماء النجس وبقيت
قواعده التى هى الاس وفى العرائس ثم طافت السفينة باهلها الارض كلها فى ستة أشهر
لا تستقر على شئ حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت الذى كان
بحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور أى وكون حواء أسست البيت مع آدم يخالف
ما جاء أن حواء أهبطت بجدة وحرم الله عليها دخول الحرم والنظر الى خيمة آدم والى شئ من
مكة لاجل خطيئتها وانها أرادت ان تدخل مع آدم الى مكة فقال لها الملك عنى فقد خرجت من
الجنة بسببك فتريدين أن احرم هذا وكان آدم اذا أراد ان يلقاها ليلم اخرج من الحرم كله
حتى يلقاها بالحل وذكر محمد بن جرير ان الله أهبط آدم على جبل سرنديب بالهند أى وتقدم
ما فيه وحواء بجدة بالحاء المهملة وقيل بالجيم فجاء آدم فى طلبها فتعارفا بالمحل الذى قيل له بسبب
ذلك عرفة فاجتمعا بالمحل الذى قيل له بسبب ذلك جمع وزلفت اليه فى المحل الذى قيل له
بسبب ذلك مزدلفة وهذا يدل على ان جمع غير مزدلفة وهو خلاف المشهور من ان جمع هو
مزدلفة الا ان يقال كل من المحلين من جملة البقعة وأطلق كل من الاسمين على جميع تلك البقعة
وقيل سمى المحل عرفة لان جبريل عليه الصلاة والسلام لما علم ابراهيم عليه الصلاة والسلام
المناسك وانتهى الى عرفة وقال له أعرفت مناسكك قال نعم فسمى عرفة أى والمراد مناسكه التى
قبل عرفة والا فمعظم المناسك بعد عرفة فليتأمل (وفى الخصائص) الصغرى عن رزين انه روى
ان آدم عليه السلام قال ان الله أعطى أمة محمد صلى الله عليه وسلم أربع كرامات لم يعطنيها كانت
توبتى بمكة وأحدهم يتوب فى كل مكان الحديث وهو يدل على ان توبته كانت بسبب طوافه
بالبيت ويذكر ان حواء عاشت بعد آدم سنة وجاء ان آدم لما فرغ من بناء البيت أمره الله تعالى
بالمسير الى ان يبنى بيت المقدس فسار وبناه ونسك فيه وحينئذ لا يشكل قوله صلى الله عليه
وسلم وقد قيل له أى مسجد وضع فى الارض أولا المسجد الحرام قيل ثم أى قال بيت المقدس قيل
كم كان بينهما قال أربعون سنة وحينئذ لا حاجة لجواب الامام البلقينى ان المراد ان المدة
المذكورة بين أرضيهما فى الدحو أى دحيت أرض المسجد الحرام ثم بعد مضى مقدار أربعين
سنة دحيت أرض بيت المقدس وفيه ان الامام البلقينى انما أجاب بذلك بناء على ان سيدنا
ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو البانى للمسجد الحرام والبانى لمسجد بيت المقدس سيدنا
سليمان عليه الصلاة والسلام فان بينهما كما قيل أكثر من ألف عام وكذا الاشكال اذا كان
البانى للمسجد الحرام آدم والبانى لمسجد بيت المقدس أحد أولاده كما قيل بذلك ومن ثم
أجاب بعضهم بان سليمان انما كان مجدد البناء بيت المقدس وأما المؤسس له فسيدنا يعقوب بن

مقيساعليها وشبيهابها والحديث فيه روايات كثيرة أصحها رواية ستة وأربعين جزأ وحملوا الروايات الأخر على اعتبار الاشخاص بتفاوتهم فى مراتب الرؤيا ففى بعضها جزء من خمسين وفى بعضها تسعة وأربعين أوستة وسبعين وغير ذلك (وجاء عن عمرو) بن شرحبيل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء يا محمد يا محمد وفى رواية أرى نورا أى يقظة لا مناما وأسمع صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا أمر وفى رواية والله ما أبغضت بغضى هذه الاصنام شيأ قط ولا الكهان وانى لاخشى ان أكون كاهنا أى فيكون الذى يناديني تابعا من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن يأتيه الجنى بخبر السماء وفى رواية واخشى ان يكون بى جنون أى لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفى رواية ان خلقك الكريم فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضى الله عنها بما فيه من الصفات العلية والاخلاق السنية على انه لا يفعل به الا الخير لان من كان كذلك لا يجزى الا الخير اونقل الماوردى عن الشعبى ان الله تعالى قرن اسرافيل بنبيه صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه فيعلمه الشئ بعد الشئ ولا يذكر له القرآن فكان فى هذه المدة مبشرا بالنبوة وأمهل هذه المدة ليتأهل لوحيه وفى رواية انه مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت احيانا فلا يرى شخصه وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيأ غير ذلك وان المدة التى بشر فيها بالنبوة كانت ستة أشهر من تلك المدة التى هى اثنتان وعشرون سنة وبعد ذلك حبب الله له صلى الله عليه وسلم الخلوة قال الابوصيرى رحمه الله فى الهمزية وهو

ألف النسك والعبادة والخلـ ـوة طفلا وهكذا النجباء * واذا حلت الهداية قلبا * نشطت فى العبادة الاعضاء

وقوله طفلا أى حين كان عند حليمة رضى الله عنها فقد قالت لما ترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم

اسحق بعد بناء جده ابراهيم للمسجد الحرام بالمدة المذكورة وأما على ان البانى لهما آدم فلا اشكال وفى رواية ان أول من بنى الكعبة أى كلها بعد ان رفعت تلك الخيمة بعد موت آدم شيث ولد آدم بناها بالطين والحجارة أى فهى أولية اضافية ثم لما جاء الطوفان انهدم وبقى محله وقيل انه استمر ولم يبنه أحد الى زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (فى رواية) أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد بناء الكعبة جاء جبريل فضرب بجناحه الارض فابرز عن أس ثابت على الارض السابعة ثم بناها ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام على ذلك الاس ويقال له القواعد أى كما تقدم وهذا الاس كما علمت لآدم أو للملائكة أولهما وانما قيل له أساس ابراهيم وقواعد ابراهيم لانه بنى على ذلك ولم ينقضه ومما يدل للقيل المذكور ما جاء فى بعض الروايات عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دثر مكان البيت أى بسبب الطوفان بدليل ما جاء فى رواية قد درس مكان البيت بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكان موضعه اكمة حمراء وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الارض وما دعا عنده أحد الا استجيب له وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يحجه هود ولا صالح عليهما الصلاة والسلام لتشاغل هود بقومه عاد وتشاغل صالح بقومه ثمود وجاء ان بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وجاء ان حول الكعبة لقبور ثلثمائة نبى وان ما بين الركن اليمانى الى الركن الاسود لقبور سبعين نبيا وكل نبى من الانبياء اذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم وأتى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وجاء ما بين الركن اليمانى والحجر الاسود روضة من رياض الجنة وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل فى تلك البقعة (أقول) ويوافق ذلك قول بعضهم ان اسمعيل دفن حيال الموضع الذى فيه الحجر الاسود لكن جاء ان قبر اسمعيل فى الحجر وذكر المحب الطبرى ان البلاطة الخضراء التى بالحجر قبر اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقد يقال لا منافاة بين كون هود وصالح لم يحجا البيت وبين كونهما دفنا فى تلك البقعة لانه يجوز أن يكونا ماتا قبل وصولهما الى البيت لمجيء بهما ودفنا فى تلك البقعة على ان بعضهم ضعف كونهما لم يحجا أى ويدل له انه قد جاء حجه هود وصالح ومن آمن معهما (وفى بعض الروايات) لم يحجه بين نوح وابراهيم أحد من الانبياء ويحتاج الى الجمع بينه وبين ما تقدم من ان كل نبى اذا كذبه قومه الى آخره على تقدير صحتها وقد يقال لا يحتاج الى الجمع الا أن يثبت ان بين نوح وابراهيم أحدا من الانبياء كذبه قومه على انه لم يكن بين نوح وابراهيم أحد من الانبياء كذبه قومه الا هود وصالح وهو يؤيد القول بانهما لم يحجا وتقدم ضعفه وجاء فى حديث راويه متروك ان نوحا حجت به السفينة فوقفت بعرفات وباتت بمزدلفة وطافت به أى بالحرم كما تقدم ان السفينة لم تجاوز الحرم وهذا الاينا سبه قوله وسعت لان السعى بين الصفا والمروة الا أن يراد بالسعى نفس الطواف فهو من عطف التفسير وفى أنس الجليل ورد حديث شريف أن السفينة طافت بيت المقدس اسبوعا واستوت على الجودى أى وجاء ان نوحا قال لاهل السفينة وهى تطوف بالبيت العتيق انكم فى حرم الله وحول بيته لا يمس أحد امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا ويذكر ان ولده حاما تعدى ووطئ زوجته فدعا عليه بان يسود الله لون بنيه فاجاب الله دعاءه فى أولاده فجاء ولده أسود

لما قرب الزمن الذى أراد الله أن يرسله فيه ازداد محبة فى الخلوة لان الخلوة يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهى تفرغ القلب عن اشغال الدنيا الدوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه أنوار المعرفة فلم يكن شئ أحب اليه من ان يخلو وحده وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه أى يتعبد الليالى ذوات العدد أى مع ايامها وغلب الليالى لانها أنسب بالخلوة وابهم العدد لاختلافه بالنسبة للمدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة تسع ليال وتارة شهر رمضان أو غيره فالليالى ذوات العدد محمولة على القدر الذى يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها وكانت خديجة رضى الله تعالى عنها تزوده الكعك والزيت لانه من شجرة مباركة ولبقاء الكعك بخلاف غيره لان اللبن واللحم سريع الفساد وكان أول من تحنث بحراء من قريش جده عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل وأبى أمية بن المغيرة قال السراج البلقينى فى شرح البخارى لم يجئ فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم كان يطعم من جاءه من المساكين لانه كان من نسك قريش فى ذلك المحل أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين مع الانقطاع عن الناس وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس لاسيما ان كانوا على باطل لان فى الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة أبناء الجنس المؤثرة فى البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة والتفكر لا يختص بذلك المحل الا أنه أتم فيه من التفكر فى غيره لعدم وجود شاغل وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم بالذكر وصححه بعضهم وقيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم عليه السلام وقيل بشرع موسى عليه السلام وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه تعبد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم عليه السلام حتى جاءه الوحى وجاءته الرسالة فالولى الكامل يجب عليه

وهو أبو السودان وقيل فى سبب دعوة نوح وسوادهم غير ذلك وقد بينت ذلك فى كتابى اعلام الطراز المنقوش فى فضائل الحبوش والله أعلم وقبر آدم وابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف فى بيت المقدس أى بعد نقل يوسف من بحر النيل كما سنذكره قال وقد جاء ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى ابراهيم ان ابن لى بيتا فقال ابراهيم أى رب أين أبنيه فأوحى الله تعالى اليه ان اتبع السكينة أى وهى ريح لها وجه كوجه الانسان أى وقيل كوجه الهر وجناحان ولها لسان تتكلم به أى وفى الكشاف فى تفسير السكينة التى كانت فى التابوت الذى هو صندوق التوراة قيل هو صورة من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه (وعن على) رضى الله تعالى عنه كان لها وجه كوجه الانسان هذا كلام الكشاف وفى رواية بعث الله ريحا يقال لها الخجوج لها جناحان ورأس فى صورة حية فكشفت لابراهيم واسمعيل صلى الله عليهما وسلم ما حول البيت من أساس البيت الاول (وفى رواية) أرسل الله سحابة فيها رأس فقال الرأس يا ابراهيم ان ربك يأمرك أن تأخذ بقدر هذه السحابة فجعل ينظر اليها ويخط قدرها ثم قال الرأس له قد فعلت قال نعم فارتفعت فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وبينها وبين ما تقدم ان جبريل ضرب بجناحه الارض فابرز عن أس الى آخره وجاء ان السكينة جعلت تسير ودليله الصرد وهو الطائر المعروف أى وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير وغيرها الان له صفيرا مختلفا يصفر لكل طائر يريد صيده بلغته فيدعوه الى القرب منه فاذا قرب منه قصمه من ساعته وأكله ويقال له الصوام لانه ورد أنه أول طائر صام عاشوراء فعن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يدى صرد فقال هذا أول طير صام عاشوراء لكن قال الذهبى هو حديث منكر وقال الحاكم حديث باطل ويذكر ان خالد ابن الوليد لما قتل طليحة الكذاب الذى ادعى النبوة فى زمنه صلى الله عليه وسلم وقوى أمره بعد موته صلى الله عليه وسلم قال خالد لبعض أصحابه ممن أسلم ما كان يقول لكم طليحة من الوحى فقال كان يقول والحمام واليمام والصرد الصوام ليبلغن ملكنا العراق والشام وقد سمع نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام الصرد يصوت فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين * وفى الكشاف ان ذلك صياح الهدهد ولا مانع أن يكون ذلك صياحهما وسمع طاوسا يصوت فقال يقول كما تدين تدان وسمع هدهدا يصوت فقال يقول من لا يرحم لا يرحم ويجمع بينه وبين ما تقدم بانه يجوز ان الهدهد تارة يقول استغفروا الله يا مذنبين وتارة يقول من لا يرحم لا يرحم وسمع خطافا يصوت فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وسمع ديكا يصوت فقال يقول اذكروا الله يا غافلين وسمع بلبلا يصوت فقال يقول اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وسمع رخمة تصوت فقال تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وأرضه وقال الحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد عن الناس أنس * وعن سيدنا سليمان صلوات الله وسلامه عليه ليس من الطيور أنصح لبنى آدم وأشفق عليهم من البومة تقول اذا وقفت عند خربة أين الذين كانوا يتنعمون

متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح له فى قلبه عين الفهم عنه فالهم معانى القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى
ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا
أو ما شاء الله ثم يرجع الى بيته حتى اذا جاء الشهر الذى أراد الله به ما أراد من كرامته وذلك الشهر رمضان وقيل ربيع

الاول خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى حرا كما كان يخرج
لجواره حتى اذا كانت الليلة التى
أكرمه الله فيها برسالته ورحم
العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع
عشرة من ذلك الشهر أعنى شهر
رمضان وقيل ثامن ربيع وقيل
السابع والعشرين من رجب
أتاه جبريل مناما ليلة السبت
أو ليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة
يوم الاثنين فقال اقرأ قال صلى الله
عليه وسلم فقلت ما أنا بقارئ أى
انا أمى لا أحسن القراءة وكنت
نائما بنمط وهو نوع من البسط
فغطنى به أى غمنى بذلك النمط بأن
جعله على فمه وأنفه قال حتى ظننت
أنه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ
فقلت ماذا أقرأ وفى رواية فقلت
والله ما قرأت شيأ قط وما أدرى
شيأ أقرؤه قال اقرأ باسم ربك وفى
رواية انه فعل ذلك به ثلاثا ثم قال
اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق
الانسان من علق اقرأ وربك
الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان
مالم يعلم فقرأتها وانصرف عنى
وقد استقر ذلك فى قلبى وفى رواية
فكأنما كتب فى قلبى كتابا أى
حفظته فرجع الى خديجة فأخبرها
وقال قد خشيت على نفسى فقالت
كلا فوالله لا يخزيك الله أبدا قال
الحافظ الشامى ومن اللطائف ان
هذه الكلمة أى كلمة كلا التى
ابتدأت خديجة النطق بها عقب
ماذكر لها من القصة هى التى
وقعت عقب الآيات المذكورة من هذه السورة فجرت على لسانها اتفاقا لانها لم تنزل الا بعد فى قصة أبى جهل
على المشهور وفى بعض الروايات انه قبل نزول اقرأ عليه سمع صوت جبريل عليه السلام فى الافق ورآه وهو يقول له يا محمد أنت رسول
الله وأنا جبريل فأخبر خديجة رضى الله عنها فجمعت عليها ثيابها التى تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فأخبرته بما
اهدت

بالدنيا ويسعون فيها ويل لبنى آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد تزودوا يا غافلين وتهيؤا
لسفركم وعن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأينا
طيرا أعمى يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتدرى ما يقول فقلت الله
ورسوله أعلم فقال انه يقول اللهم أنت العدل وقد حجبت عنى بصرى وقد جعت فاقبلت جرادة
فدخلت فى فمه ثم ضرب بمنقاره الشجرة فقال عليه الصلاة والسلام أتدرى ما يقول قلت لا
قال انه يقول من توكل على الله كفاه ويقال لما قال سليمان للهدهد لاعذبنك عذابا شديدا قال
له الهدهد اذكر يا نبى الله وقوفك بين يدى الله فلما سمع سليمان صلوات الله وسلامه عليه ذلك
ارتعد فرقا وعفا عنه أى فان الهدهد كان دليلا له على الماء فان الهدهد يرى الماء تحت الارض
كما يرى الماء فى الزجاجة فلما فقد سليمان الماء تفقد الهدهد فلم يجده فأرسل خلفه العقاب فرآه
مقبلا من جهة اليمن فلما رآه الهدهد منقضا عليه قال له بحق من أقدرك على الا ما رحمتنى
قيل لابن عباس يا سبحان الله الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ فقال اذا وقع القضاء
عمى البصر قيل عنى سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام بالعذاب الشديد الذى يعذب به
الهدهد التفرقة بينه وبين الفه وقيل الزامه خدمة أقرانه وقيل صحبة الاضداد وقد قيل أضيق
السجون عشرة الاضداد وقيل الزوجة العجوز قال تعالى حكاية عنه علمنا منطق الطير قال
بعضهم عبر عن أصواتها بالمنطق لما يتحصل منها من المعانى التى تدرك من النطق فسليمان
صلوات الله وسلامه عليه فهم ما سمع من صوت طير علم بقوته القدسية الغرض الذى أراده
ذلك الطائر وهذا فى طائر لم يفصح بالعبارة والا فقد سمع من بعض الطيور الافصاح بالعبارة
فنوع من الغربان يفصح بقوله الله حق (وعن بعضهم) قال شاهدت غرابا يقرأ سورة السجدة
واذا وصل الى محل السجود سجد وقال سجد لك سوادى وآمن بك فؤادى والدرة تنطق بالعبارة
الفصيحة وقد وقع لى انى دخلت منزلا لبعض أصحابنا وفيه درة لم أرها فاذا هى تقول لى مرحبا
بالشيخ البكرى وتكرر ذلك فعجبت من فصاحة عبارتها وكان عليه السلام يعرف نطق الحيوان
غير الطير فقد جاء ان سليمان عليه الصلاة والسلام سمع النملة وقد أحست بصوت جنود سليمان
تقول للنمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فعند ذلك أمر
سليمان الريح فوقفت حتى دخل النمل مساكنها ثم جاء سليمان الى تلك النملة وقال لها حذرت
النمل ظلمى قالت أما سمعت قولى وهم لا يشعرون على انى لم ارد حطم النفوس أى اهلاكها
انما أردت حطم القلوب خشية ان يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح أى فيمتن فقد جاء مرفوعا
آجال البهائم كلها وخشاش الارض فى التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها ويروى
ما من صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى وفى الحديث الثوب يسبح
فاذا اتسخ انقطع تسبيحه وفى رواية ان النملة قالت له انما خشيت ان تنظر الى ما أنعم الله به
عليك فتكفر نعم الله عليها فقال لها اعظينى قالت هل تدرى لم جعل ملكك فى فص خاتمك قال لا
قالت اعلمك ان الدنيا لا تساوى قطعة من حجر ومن عجيب صنع الله تعالى ان النملة تغتذى بشم
الطعام لانها لا جوف لها يكون به الطعام ويذكر ان هذه النملة التى خاطبت سيدنا سليمان

أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورقة قدوس قدوس والذى نفسى بيده لئن كنت صدقت يا خديجة لقد جاء الناموس
الاكبر الذى كان يأتى موسى يعنى جبريل وانه لنبى هذه الامة فقولى له يثبت وفى رواية قال وما جبريل يذكر فى هذه الارض التى تعبد
فيها الاوثان جبريل أمين الله بينه وبين رسله لئن كنت صدقت يا خديجة الخ فرجعت

خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبرته بقول ورقة وفى رواية
ان ورقة بعد ان أخبرته خديجة
بذلك لقى النبى صلى الله عليه وسلم
وهو يطوف بالبيت فقال له يا ابن
أخى اخبرنى بما رأيت وسمعت
فأخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له ورقة والذى نفسى
بيده انك لنبى هذه الامة ولقد
جاءك الناموس الاكبر الذى جاء
موسى عليه السلام ولتكذبنه
ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه
ولئن أدركت ذلك اليوم لانصرن
الله نصرا يعلمه ثم أدنى ورقة رأسه
صلى الله عليه وسلم وقبل يافوخه
أى وسط رأسه ثم انصرف صلى الله
عليه وسلم الى منزله وقد جاء ان
أبا بكر رضى الله عنه دخل على
خديجة رضى الله عنها وليس
عندها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد
الى ورقة أى بعد ان أخبرته بما
أخبرها به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم أخذ أبو بكر بيده فقال
انطلق بنا الى ورقة بن نوفل وذهب
به الى ورقة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لورقة اذا خلوت وحدى
سمعت نداء يا محمد فأنطلق هاربا
فقال له لا تفعل اذا أتاك فاثبت
حتى تسمع ما يقول ثم ائتنى أى
وهذا كان قبل ان يرى جبريل
ويجتمع به ويجىء اليه بالقرآن
وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة
الذى على يد أبى بكر رضى الله عنه على انه كان قبل ان يرى
جبريل والذى وقع فى المطاف كان حين سمع صوت جبريل ورآه ولم يجتمع به والمرة الثالثة بعد مجىء جبريل له يقظة بالقرآن فذهبت
اليه خديجة ثم أخذت النبى صلى الله عليه وسلم وذهبت به اليه فكل راو اقتصر على شئ وقد اشتملت آية اقرأ على براعة الاستهلال وهى

فلا تنافى بين الروايات فيحمل سؤال ورقة

أهدت له نبقة فوضعتها فى كفه * ويحكى عنها الطيفة لا نطيل بذكرها وفى فتاوى الجلال
السيوطى قال الثعالبى فى زهرة الرياض لما تولى سليمان عليه الصلاة والسلام الملك جاءه
جميع الحيوانات يهنؤنه الا النملة واحدة فجاءت تعزيه فعاتبها النمل فى ذلك فقالت كيف أهنيه
وقد علمت ان الله تعالى اذا أحب عبدا زوى عنه الدنيا وحبب اليه الآخرة وقد شغل سليمان
بأمر لا يدرى ما عاقبته فهو بالتعزية أولى من التهنئة وجاءه فى بعض الايام شراب من الجنة
فقيل له ان شربته لم تمت فشاور جنده فكل أشار بشربه الا القنفذ فانه قال له لا تشربه فان
الموت فى عز خير من البقاء فى سجن الدنيا قال صدقت فاراق الشراب فى البحر قال وصار
ابراهيم واسمعيل صلوات الله وسلامه عليهما يتبعان الصرد حتى وصلا الى محل البيت صارت
السكينة سحابة وقالت يا ابراهيم خذ قدر ظلى فابن عليه أى وفى لفظ لما أمر ابراهيم ببناء البيت
ضاق به ذرعا فأرسل اليه السكينة وهى ريح خجوج ملتوية فى هبوبها طار أس الحديث فحفر
ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فابرز أى الحفر عن أس ثابت فى الارض فبنى ابراهيم
واسمعيل يناول الحجارة أى التى تأتى بها الملائكة كما سيأتى حتى ارتفع البناء اه (أقول) يحتمل
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أوحى الله اليه بذلك كان فى مكة عند اسمعيل وانهما كانا
بمحل بعيد عن محل البيت ويحتمل انهما كانا بغيرها ثم جاء وقد قيل فى قوله تعالى ان ابراهيم كان
امة قانتا لله الآية أى قائما مقام الامة لانفراده بعبادة الله تعالى فى أرضه لانه لم يكن على وجه
الارض من يعبد الله سواه والله أعلم قال ثم لما ارتفع البناء جاء بالمقام أى وهو الحجر المعروف
فقام عليه وهو يبنى وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وصار كلما ارتفع البناء
ارتفع به المقام فى الهواء فاثر قدم ابراهيم فى ذلك الحجر وقيل انما أثر فى صخرة اعتمد عليها وهو قائم
حين غسلت زوجة اسمعيل له رأسه لان سارة كانت أخذت عليه عهدا حين استأذنها فى
الذهاب الى مكة لينظر كيف حال اسمعيل وهاجر فخاف لها انه لا ينزل عن دابته أى التى هى
البراق ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر فحين اعتمد على
الصخرة ألقى الله تعالى فيها أثر قدمه آية وفيه كيف يعتمد بقدمه على الصخرة وهو راكب
دابته الا ان يقال لما مال بشقه اعتمد عليها باحدى رجليه مع ركوبه وهذا يدل على ان الموجود
فى المقام أثر قدمه لا قدميه ووقوفه عليه فى حال البناء يدل على ان الموجود فيه أثر قدميه
فلينظر وجعل ارتفاع البيت تسعة أذرع قيل وعرضه ثلاثين ذراعا قال بعضهم وهو خلاف
المعروف ولم يجعل له سقفا ولا بناه بمدر وانما رصه رصا وجعل له بابا أى منفذا لاصقا بالارض
غير مرتفع عنها ولم ينصب عليه بابا أى يقفل وانما جعله تبع الحميرى بعد ذلك وحفر له بئرا داخله
عند بابه أى على يمين الداخل منه يلقى فيها ما يهدى اليه وكان يقال لها خزانة الكعبة كما تقدم
ولما أراد أن يجعل حجرا يجعله علما للناس أى يبتدؤن الطواف منه ويختمون به ذهب اسمعيل
عليه الصلاة والسلام الى الوادى يطلب حجرا فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالحجر
الاسود يتلألأ نورا أى فكان نوره يضىء الى منتهى أبواب الحرم من كل ناحية وفى
الكشاف انه اسود لما لمسته الحيض فى الجاهلية وتقدم انه اسود من مسح آدم به دموعه وجاء

ان خطايا بني آدم سودته وأما شدة سواده فبسبب اصابة الحريق له أولا في زمن قريش وثانيا في زمن عبد الله بن الزبير وقد كان رفع الى السماء حين غرقت الارض زمن نوح بناء على انه كان موجودا في تلك الخيمة كما تقدم وفي رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما قال لاسمعيل يابني اطلب لي حجرا حسنا أضعه ههنا قال يا أبتي اني كسلان لغب أي تعب قال علي بذلك فانطلق يأتيه بحجر فجاءه جبريل بالحجر من الهند وهو الحجر الذي خرج به آدم من الجنة أي كما تقدم فوضعه ابراهيم موضعه وقيل وضعه جبريل وبنى عليه ابراهيم وجاء اسمعيل بحجر من الوادي فوجد ابراهيم قد وضع ذلك الحجر أي وبنى عليه فقال من أين هذا الحجر من جاءك به قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام من لا يكلني اليك ولا الى حجرك أي وفي لفظ جاءني به من هو أنشط منك وفي لفظ ان اسمعيل جاءه بحجر من الجبل قال غير هذا فرده مرارا لا يرضى ما يأتيه به وجاء ان الله تعالى استودع الحجر أبا قبيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه الصلاة والسلام وقال اذا رأيت خليلي يبني بيتي فأخرجه له أي فلما انتهى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لمحل الحجر نادى أبو قبيس ابراهيم فقال يا ابراهيم هذا الركن فجاء فحفر عنه فجعله في البيت وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه (أقول) وفي لفظ قال يا ابراهيم يا خليل الرحمن ان لك عندي وديعة فخذها فاذا هو بحجر أبيض من يواقيت الجنة ومن ثم كان أبو قبيس يسمى في الجاهلية الامين لحفظه ما استودع ويسمى أبا قبيس باسم رجل من جرهم اسمه قبيس هلك فيه وقيل باسم رجل من مذحج بنى فيه يقال له أبو قبيس وقيل لانه اقتبس منه الحجر الاسود فسمي بذلك ويحتاج الى الجمع بين ماذكر على تقدير صحته وماذكر في ترجمة الياس أحد أجداده صلى الله عليه وسلم انه أول من وضع الركن أي الحجر الاسود حين غرق البيت وانهدم زمن نوح فكان أول من سقط عليه أي أول من علم به فوضعه في زاوية البيت فليتأمل ذلك والله أعلم أي وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال عند المقام أشهد بالله يكررها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان نورهما طمس لأضاء ما بين المشرق والمغرب أي من نورهما ولعل طمس نور الحجر كان سببه ما تقدم فلا مخالفة وجاء انهما يقفان يوم القيامة وهما في العظم مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفاء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله تعالى * وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه لما خلق الله الخلق قال لبني آدم ألست بربكم قالوا بلى فكتب القلم اقرارهم ثم ألقم ذلك الكتاب الحجر فهذا الاستلام له انما هو بيعة على اقرارهم الذي كانوا أقروا به قال رضي الله تعالى عنه وكان أبي علي يقول اذا استلم الحجر اللهم أمانتي أديتها وميثاقي وفيت به ليشهد لي عندك بالوفاء وفي كلام السهيلي ان العهد الذي أخذه الله تعالى على ذرية آدم حين مسح ظهره أن لا يشركوا به شيئا كتبه في صك وألقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم اللهم ايمانا بك ووفاء بعهدك وقد جاء الحجر الاسود يمين الله في الارض قال الامام ابن فورك وكان ذلك سببا لاشتغالي بعلم الكلام فاني لما سمعت ذلك سألت فقيها كنت أختلف اليه عن معناه فلم يحر جوابا فقيل لي سل عن ذلك فلانا

أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سيق الكلام لاجله فانها اشتملت على الامر بالقراءة والقراءة فيها باسم الله الى غير ذلك مما ذكره الجلال السيوطي في الاتقان قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله وكرر جبريل الغط ثلاثا للمبالغة وأخذ منه القاضي شريح أن المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات وذكر السهيلي ان في ذلك الغط اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى آخر ما تقدم في الكلام على الرضاع ولما قرأ صلى الله عليه وسلم تلك الآية رجع بها ترجف بوادره جمع بادرة وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع وفي رواية يرجف بها فؤاده أي قلبه ولا مانع من الامرين حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملوني زملوني أي غطوني بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي وفي رواية على عقلي فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا أي لا يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل أي الشئ الذي يحصل منه التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذي لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم أي توصل اليه الخير الذي لا يجده عند غيرك وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق أي على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل فقالت له اسمع من ابن أخيك قال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى أي هذا صاحب الوحي وهو جبريل عليه السلام ياليتني فيها جذعا أي ياليتني أكون في زمن الدعوة الى الله

ولا نامن المتكلمين فسألته فأجاب بجواب شاف فقلت لا بد لي من معرفة هذا العلم فاشتغلت به وهذا الذي قاله السهيلي يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فعن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أنه لما دخل المطاف قام عند الحجر وقال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك فقال له علي رضي الله تعالى عنه بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع قال ولم قلت ذلك بكتاب الله قال وأين ذلك من كتاب الله قلت قال الله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الآية وكتب ذلك في رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال له افتح فاك فألقمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع فقال تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة فقال عمر رضي الله تعالى عنه أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن وعن قتادة قال ذكر لنا أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنى البيت من خمسة أجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وحراء وذكر لنا أن قواعده من حراء التي وضعها آدم مع الملائكة (أقول) تقدم ان تلك القواعد كانت من جبل لبنان ومن طور سيناء ومن طور زيتا ومن الجودي ومن حراء الا أن يقال يجوز أن يكون معظم ذلك كان من حراء فليتأمل وذكر بعضهم انه كان له ركنان وهما اليمانيان أي لم يجعل له ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا الركنين المذكورين فجعلت له قريش حين بنته أربعة أركان وذكر الحافظ ابن حجر أن ذا القرنين الاول وهو المذكور في القرآن في قصة موسى عليه الصلاة والسلام وهو اسكندر الرومي قدم مكة فوجد ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام يبنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مأموران فقال لهما من يشهد لكما فقامت خمسة أكبش شهدت أي قالت نشهد أن ابراهيم واسمعيل عبدان مأموران بالبناء فقال رضيت وسلمت وقال لهما صدقتما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بمكة وأقبل ذو القرنين عليها فلما كان بالابطح قيل له في هذه البلدة ابراهيم خليل الرحمن فقال ذو القرنين ما ينبغي لي أن أركب في بلدة فيها ابراهيم خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشى الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فسلم عليه ابراهيم واعتنقه فكان هو أول من عانق عند السلام قال الفاكهي وأظن أن الاكبش المذكورة أي التي شهدت أحجارا ويحتمل أن تكون غنما ووصف ذي القرنين بالاكبر احترازا من ذي القرنين الاصغر وهو الاسكندر اليوناني فانه كان قريبا من زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وبين عيسى وابراهيم عليهما الصلاة والسلام أكثر من ألفي سنة وكان كافرا والله أعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما فرغ ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بناء البيت قال يارب قد فرغت قال أذن في الناس بالحج قال أي رب ومن يبلغ صوتي قال الله جل ثناؤه أذن وعلي البلاغ قال أي رب كيف أقول قال قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فأجيبوا ربكم عز وجل فوقف على المقام وارتفع به حتى كان أطول الجبال فنادى وأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه شرقا وغربا ينادي بذلك ثلاث مرات أي وزويت الارض له يومئذ سهلها وجبلها وبحرها وبرها وانسها وجنها حتى أسمعهم جميعا فقالوا لبيك اللهم لبيك وبدأ بشق اليمن

أي اظهارها شابا حتى أبالغ في نصرتك ياليتني أكون حيا حين يخرجك قومك قال صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم قال ورقة نعم لم يأت رجل بما جئت به الا عودي أي فيكون المعاداة سببا لاخراجه وقد جاء ان كل نبي اذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل حتى يموت وفي رواية قال ورقة وان أدركت يومك أنصرك نصرا مؤزرا أي شديدا قويا من الازر وهو الشدة وفي رواية قال لخديجة ان ابن عمك لصادق وان هذا البدء نبوة وقوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشي ان لا تحمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي بناء على انه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة أثقالا لا يستطيع حملها الا أولو العزم من الرسل وفي كلام الحافظ ابن حجر اختلف العلماء في هذه الخشية على اثني عشر قولا وأولاها بالصواب وأسلمها من الارتياب ان المراد بها الموت أو المرض أو دوام المرض وقال الحافظ الاسماعيلي ان هذه الخشية كانت قبل ان يحصل له العلم الضروري بأن الذي جاءه ملك من عند الله وأما بعد حصوله فلا وجاء في بعض الروايات ان خديجة رضي الله عنها قبل ان تذهب به لي ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من أهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه السلام فقالت له ياعداس اذكرك الله الا ما أخبرتني هل عندك علم من جبريل أي فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من أرض العرب فقال عداس قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الارض التي أهلها أهل أوثان فقالت اخبرني بعلمك فيه قال هو أمين الله تعالى بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام وعداس هذا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وهو غير عداس غلام عتبة بن ربيعة الذي اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم في الطائف وأسلم على يديه يروى ان خديجة رضي الله عنها حين جاءت عداسا قالت له أنعم صباحا يا عداس فقال كان هذا الكلام كلام

وحينئذ يكون أول من أجاب أهل اليمن وسيأتى التصريح بذلك فى بعض الروايات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان أهل اليمن أكثر اجابة ومن ثم جاء فى الحديث الايمان يمان وقال صلى الله عليه وسلم فى حق أهل اليمن يريد أقوام أن يضعوهم و يأبى الله الا أن يرفعهم وروى الطبرانى باسناده عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أهل اليمن فقد أحبنى ومن أبغضهم فقد أبغضنى وممايؤثر عن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه من علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقد ذكر فى تفسير قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم هو نداء ابراهيم على المقام بما ذكر وقيل له البيت العتيق لانه أعتق من الجبابرة لم يدعه أى بحيث ينسب اليه جبار من الجبابرة الذين كانوا بمكة مع العمالقة وجرهم وقال القاضى تبعا للكشاف لانه أعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه لهدمه فمنعه الله تعالى قال وأما الحجاج فانما كان قصده اخراج ابن الزبير عنه لما تحصن به دون التسلط عليه كذا قال قال بعضهم وعن عبد الله بن عمر انه قال انما سميت بكة أى بالموحدة لانها كانت تبك أعناق الجبابرة ولينظر من قصده لهدمه من الجبابرة غير ابرهة ثم رأيت فى المشرف أن ثلاثة غيره قصدوا هدمه اثنان قاتلتهما خزاعة ومنعتهما والثالث كان فى أول زمان قريش أراد هدمه حسدا على شرف الذكر لقريش به وأن يبنى عنده بيتا يصرف حجاج العرب اليه فلما قارب مكة أظلمت الارض وأيقن بالهلاك فأقلع عن تلك النية ونوى أن يكسو البيت و ينحر عنده فانجلت الظلمة ففعل ذلك وفيه أن هذا الذى حصلت له الظلمة انما هو تبع الاول فانه لما عمد الى البيت يريد تخريبه أرسلت عليه ريح كنعت منه يديه ورجليه وأصابته وقومه ظلمة شديدة وفى رواية أصابه داء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا أى نبع نجاحتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه فدعا بالاطباء فسألهم عن دائه فبهرهم ما رأوا منه ولم يجد عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبر املك هممت بشئ فى حق هذا البيت فقال نعم أردت هدمه فقال له تب الى الله مما نويت فانه بيت الله وحرمه وأمره بتعظيم حرمته ففعل فبرأ من دائه وقيل لانه اول بيت وضع فى الارض وقيل لانه أعتق من الغرق بسبب الطوفان فى زمن نوح عليه الصلاة والسلام كذا فى الكشاف وغيره وفيه نظر ظاهر لما تقدم من دثوره بالطوفان ولما ذكر فى قصة نوح انه لما بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الارض فوقفت بوادى الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها الا أن يقال ان معنى أعتق انه لم يذهب بالمرة بل بقى أثره وفى الخميس عن ابن هشام أن ماء الطوفان لم يصل للكعبة ولكن قام حولها وبقيت هى فى هواء السماء أى بناء على أن الكعبة هى الخيمة التى كانت على زمن آدم عليه الصلاة والسلام وتقدم عن الكشاف انها رفعت الى السماء الرابعة وانها البيت المعمور وهذا كما علمت يدل على أن المراد بالكعبة الخيمة التى كانت لآدم وقوله قام حولها يريد انه لم يعل محل تلك الخيمة ولعله لا ينافيه ما تقدم فى قصة نوح فليتأمل وفى رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام نادى يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج وفى لفظ ان ربكم قد اتخذ بيتا وطلب منكم أن تحجوه فأجيبوا ربكم كرر ذلك ثلاث مرات فاسمع من فى أصلاب

خديجة سيدة نساء قريش قالت أجل قال أدنى منى فقد ثقل سمعى فدنت منه ثم قالت له ما تقدم يروى انه قال لها حين أخبرته بالخبر يا خديجة ان الشيطان ربما عارض للعبد فأراه أمورا فخذى كتابى هذا وانطلقى به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هى برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبى صلى الله عليه وسلم فداك أبى وأمى امض معى الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقول قدوس قدوس أنت والله النبى الذى بشر بك موسى وعيسى قال بعضهم الصواب ان هذه القصة بعد ذهابها به الى ورقة لان اقرأ سابقة فى النزول على نون والحاصل ان خديجة رضى الله عنها كانت فى بدء الوحى تتردد بين ورقة وعداس وغيرهما ممن له علم بالكتاب لتتثبت فى الامر لشدة اعتنائها به صلى الله عليه وسلم وتثبتها فى أمره صلى الله عليه وسلم ولتقوى قلبه وتعينه على الحق فنعم الوزير كانت له صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها وذكر ابن دحية انه صلى الله عليه وسلم لما أخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب وقيل سافرت بنفسها اليه فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم فقالت بعلى وابن عمى أخبرنى بانه يأتيه فقال لها انه السفير بين الله وبين أنبيائه وان الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه ﴿وفى أسباب النزول﴾ للواحدى عن على رضى الله عنه وكرم وجهه قال لما سمع النداء صلى الله عليه وسلم يا محمد قال لبيك قال قل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة فلما بلغ ولا الضالين

الرجال وأرحام النساء فأجابه من كان سبق فى علم الله أنه يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك فليس حاج يحج الى أن تقوم الساعة الا من كان أجاب ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن لبى تلبية واحدة حج حجة واحدة ومن لبى مرتين حج حجتين وهكذا وفى لفظ لما نادى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما خلق الله من جبل ولا شجر ولا شئ من المطيعين له الا أجاب لبيك اللهم لبيك (أقول) لا يخفى انه يحتاج الى الجمع بين هذه الروايات فيما نادى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام وسيأتى ومعلوم أن اجابة غير العقلاء اجابة اجلال وتعظيم ولعل المراد بالكتب مطلق الطلب لا خصوص الوجوب لانه لم يفرض الحج على هذه الامة الا بعد الهجرة فى السنة السادسة وقيل التاسعة وقيل العاشرة كما سيأتى وأما بقية الامم من بعد ابراهيم فلم أقف على وجوب الحج عليها وقد ذكر بعض المتأخرين من أصحابنا أن الصحيح انه لم يجب الحج الا على هذه الامة واستغرب وفى الخصائص الصغرى وافترض عليهم أى على هذه الامة ما افترض على الانبياء والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وهو يفيد انه كان واجبا على الانبياء والرسل وفيه أن الاصل أن ما وجب فى حق نبى وجب فى حق أمته الا أن يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية وقوله وهو الوضوء سيأتى ما فى الوضوء والله أعلم أى ثم أمر بالمقام فوضعه قبله أى ملصقا بالبيت على يمين الداخل فكان يصلى اليه مستقبل الباب أى جهته وأول من أخره عن ذلك المحل ووضعه موضعه الآن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أى وقد تقدم ذلك عن ابن كثير (أقول) وقيل ان أول من وضعه موضعه الآن النبى صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة وسيأتى الجمع بين هذين القولين و يأتى ما فيه وذكر الطبرى ان محله أولا المنخفض أى الذى تسميه العامة المعجنة أى محل عجن الطين للكعبة وذلك المنخفض هو محل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس فى اليومين كما سيأتى ونازع فى ذلك العز ابن جماعة وقال لو كان ذلك لنهر عليه بالكتابة فى الحفرة ورد بان ذلك ليس بلازم والناقل ثقة وهو حجة على من لم ينقل وذكر ابن حجر الهيتمى أن فى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام صعد أبا قبيس وقيل صعد ثبيرا وأذن وان أول من أجابه أهل اليمن أى لما تقدم أنه بدأ بشق اليمن ولا مانع من تعدد ذلك أى وقوفه على تلك الاماكن التى هى المقام وأبو قبيس وثبير و يجوز ان يكون قال فى بعض تلك الاماكن مالم يقله فى غيره مما تقدم فلا مخالفة بين تلك الروايات فيما نادى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجاء أنه لما فرغ من دعائه ذهب به جبريل فأراه الصفا والمروة وحدود الحرم وأمره ان ينصب عليها الحجارة ففعل وعلمه المناسك أى مع اسمعيل عليهما الصلاة والسلام ففى العرائس خرج جبريل بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم باتا بها حتى أصبحا فصلى بهما صلاة الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى زالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم رجع بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموقف الذى يقف عليه الناس الآن فلما غربت الشمس دفع بهما الى مزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة ثم وقف بهما

فقال قل آمين كاهو رواية وكيع وابن أبى شيبة فأتى صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة ابشر فانى أشهد انك الذى بشر بك عيسى بن مريم عليهما السلام فانك على مثل ناموس موسى عليه السلام وانك نبى مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن أدركنى ذلك لاجاهدن معك وهذا يدل على أن الفاتحة أول ما نزل قال فى الكشاف وعليه أكثر المفسرين واستبعده بعضهم فيحتمل أن المعنى انها من أول ما نزل لانها أول على الاطلاق وأما ما روى من أنها نزلت بالمدينة فيحتمل تكرر نزولها مبالغة فى شرفها لا ان ذلك أول نزولها اذ كثير من الآيات تكرر نزوله بحسب الوقائع وأيضا فان الصلاة فرضت بمكة وما نقل ولا عرف أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه صلوا صلاة بغير الفاتحة قال الجلال السيوطى لم يحفظ أنه كانت صلاة فى الاسلام بغير الفاتحة فالحق أنها من أول القرآن نزولا وان الاول على الاطلاق اقرأ باسم ربك فيندفع التدافع الحاصل بين ظواهر الاحاديث وفى الحديث لو أن فاتحة الكتاب جعلت فى كفة الميزان والقرآن فى الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب القرآن سبع مرات وفى حديث آخر فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وفى لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثى القرآن ﴿ثم لم يلبث﴾ أن توفى ورقة قال سبط ابن الجوزى وهو آخر من مات فى الفترة وقد أدرك النبوة وصدق بنبوته ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها والراجح عند المحققين أنه لم يعد من الصحابة لعدم ادراكه الرسالة ولما توفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس يعنى ورقة فى الجنة وعليه ثياب الحرير والقس بفتح القاف وكسرها رئيس النصارى وفى رواية أبصرته فى بطنان الجنة وعليه ثياب السندس وفى رواية لا تسبوا ورقة فانى رأيت له جنة أو جنتين لانه آمن بى وصدقنى وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الائمة بناء على أنه ادرك الدعوة الى الله تعالى التى هى الرسالة فقد روى انه مات فى السنة الرابعة من المبعث و يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لانه آمن بى وصدقنى وفى فتح

البارى ان فى سيرة ابن اسحق ان ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب وذلك يقتضى أنه تأخر الى زمن الدعوة والى أن دخل بعض الناس فى الاسلام يروى أن ورقة قال لخديجة فى أول ابتداء الوحى قبل نزول شئ من القرآن وقيل بعد نزول اقرأ اذهبى الى المكان الذى رأى فيه ما رأى فاذا رآه فتصرى ذان يكن من عند الله لا يراه فتراءى له جبريل يوما وهو فى بيت خديجة وكانت قد قالت للنبى صلى الله عليه وسلم أتستطيع ان تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما رأى جبريل قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخديجة هذا جبريل قد جاءنى أى قد رأيته قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس فى حجرى فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فى حجرها قالت هل تراه قال نعم فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأتاه فى بيتها جبرئيل ولذى اللب فى الامور ارتياء

فأماطت عنها الخمار لتدرى اهو الوحى أم هو الاغماء

فاختفى عند كشفها الرأس جبري ل فما عاد أو أعيد الغطاء

فاستبانت خديجة أنه الكن ز الذى حاولته والكيمياء

وفى السيرة الحلبية روى ابن اسحق عن شيوخه أنه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه ما كان يصيبه قبل ذلك فقالت له خديجة أوجه اليك من يرقيك قال أما الآن فلا وهذا يدل على أنه كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر ولعل ذلك كان تألفا ليتحمل أعباء الوحى حين نزوله عليه وانما كانت خديجة رضى الله عنها تفعل هذه الاشياء لتتثبت فى الامر ويصير عندها ضروريا أما هو صلى الله عليه وسلم فكان الامر ملتبسا عليه قبل ظهور الملك وأما بعد

على قزح حتى اذا أسفر أفاض بهما الى منى فأراهما كيف رمى الجمار ثم أمرهما بالذبح وأراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فليتأمل ذلك فان فيه التصريح بان ابراهيم واسمعيل صليا مع جبريل جماعة الصلوات الخمس وجمعا تقديما بين الظهر والعصر وتأخيرا بين المغرب والعشاء للنسك وهو مخالف لقول أئمتنا لم تجمع الصلوات الخمس الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ففى الخصائص الصغرى وخص بمجموع الصلوات الخمس ولم تجتمع لاحد وبالعشاء ولم يصلها أحد وبالجماعة فى الصلاة الا ان يدعى ان المراد الجمع على جهة المداومة على ذلك لجواز أن يكون ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام لم يداوما على ذلك وفيه ما لا يخفى وفى الوفاء عن وهب قال أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام أنا الله ذو بكة أهلها جيرتى وزوارها وفدى وفى كنفى أعمره بأهل السماء وأهل الارض يأتونه أفواجا شعثا غبرا يعجون بالتكبير عجا ويرجون بالتلبية رجيجا ويثجون بالبكاء ثجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى وضافنى ووفد الى ونزل بى وحق لى ان أتحفه بكرامتى أجعل ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وثناءه لنبى من ولدك يقال له ابراهيم أرفع له قواعده واقضى على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأريه حله وحرمه وأعلمه مشاعره ثم يعمره الامم والقرون حتى ينتهى الى نبى من ولدك يقال له محمد خاتم النبيين وأجعله من مكانه وولاته وحجابه وسقاته فمن سأل عنى يومئذ فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم المقبلين على ربهم ولما دعا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى وارزقهم من الثمرات أى دعا بذلك وهو على ثنية كداء بالمد فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات كان على الثنية العليا ذكره السهيلى وعند ذلك نقل له الطائف من فلسطين من أرض الشام أى وببركة دعائه عليه الصلاة والسلام يوجد بمكة الفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد ذكره فى الكشاف ثم لما فرغ أى من بناء البيت وحج وطاف بالبيت لقيته الملائكة فى الطواف فسلموا عليه فقال لهم ما تقولون فى طوافكم قالوا كنا نقول قبل أبيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فأعلمناه بذلك فقال زيدوا ولا حول ولا قوة الا بالله فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام زيدوا فيها العلى العظيم فقالت الملائكة ذلك وكان بناء ابراهيم للبيت بعد ما مضى من عمره مائة سنة ثم بناه العماليق ثم بنته جرهم وقيل عكسه وقدمته وتوقف فى بناء العماليق له اماقى الاول فلان أول من نزل مكة مع هاجر وولدها اسمعيل جرهم وانهم بعد اسمعيل وبعض ولده كانوا ولاة البيت واماقى الثانى فلان ولاية البيت كانت لخزاعة بعد جرهم كما تقدم وكيف يبنون البيت ولا ولاية لهم عليه الا أن يقال لا مانع ان يكونوا حينئذ أهل ثروة بخلاف جرهم وخزاعة ثم رأيت عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان العماليق كانوا فى عز وكانت لهم أموال كثيرة وان الله ابتلاهم بعد ذلك لما تظاهروا بالمعاصى وسلط عليهم الذر حتى خرجوا من الحرم وتفرقوا وهلكوا والذر فى النمل كالزنبور فى النحل وفى تاريخ مكة للفاكهى ان العماليق قدموا مكة لما قدم وقد عاد للاستسقاء بالبيت وقيل كانوا بعرفة ولما أخرج الله تعالى

ظهوره له فانه صار عنده علم ضرورى بانه جبريل وأن الله أرسله اليه وأنه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد نزول اقرأ أى نزول أول السورة كما تقدم فتر الوحى ليذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجده من الرعب وليحصل له الشوق الى العود فحزن حزنا شديدا حتى غدا مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما وافى ذروة جبل كى يلقى نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه أى قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا وافى لذروة جبل تبدى له مثل ذلك وفى فتح البارى جزم ابن اسحق بأن مدة فترة الوحى كانت ثلاث سنين وجزم السهيلى بأنها كانت سنتين ونصفا وقيل خمسة عشر يوما وقيل غير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم فى مدة فترة الوحى يتردد الى غار حراء ويجاور فيه كما كان يصنع قبل رجاء لقاء الملك ونزول الوحى وعن يحيى بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن ابتداء الوحى أى بعد فترته فقال لا أحدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيأ فنظرت عن شمالى فلم أر شيأ فنظرت من خلفى فلم أر شيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ بين السماء والارض وفى رواية فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى فرعبت منه فأتيت خديجة فقلت دثرونى دثرونى وفى رواية زملونى زملونى وصبوا على ماء باردا فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر أى المتلفف بثيابه قم فانذر وربك فكبر ولم يقل بعد قوله فانذر وبشر مع أنه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن أحد آمن من قبل وهذا يدل على تقدم نبوته على رسالته وان نبوته كانت بنزول اقرأ ورسالته بيا أيها المدثر وقيل انهما مقترنان والمتأخر انما هو اظهار الدعوة يعنى انه حصلت له النبوة والرسالة بنزول اقرأ ولكنه ما أمر باظهار الدعوة الا بنزول يا أيها المدثر فيها حصل الجهر بالدعوة الى الله ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى فى

تعالى زمزم لاسمعيل بواسطة جبريل ففى ربيع الابرار ان جبريل أخرج ماء زمزم مرتين مرة لآدم ومرة لاسمعيل وعند ذلك تحولوا الى مكة قال المقريزى لما علموا بذلك وقيل كانوا بعد جرهم ولا يصح ذلك ثم رأيت المقريزى قال وفى كتاب أخبار مكة للفاكهى ما يدل على تقدم بناء جرهم على بناء العمالقة ولا يصح ذلك لاتفاقهم على ان ولاية العمالقة على مكة كانت قبل ولاية جرهم وعلى انه لم يل مكة بعد جرهم الا خزاعة ولا يخفى ان هذا صريح فى ان العمالقة بنته ولا بدوان بناءهم له كان قبل بناء جرهم له والعماليق من ولد عملاق أو عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام قيل وهو أول من كتب بالعربية وقيل من ولد العيص بن اسحق ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ثم بناه قصى جده صلى الله عليه وسلم وسقفه بخشب الروم وجريد النخل ثم بنته قريش كما تقدم ثم بناه بعد قريش عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما أى ويكنى أبا خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة وكنى بأبى خبيب لان خبيبا كان رجلا بالمدينة من النساك طويل الصلاة قليل الكلام أى وعبد الله رضى الله تعالى عنه كان مشابها له فى ذلك فكنى به هذا (وفى كلام ابن الجوزى) انه كان لعبد الله بن الزبير ولد يقال له خبيب حيث قال خبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مائة سوط فمات لانه لما حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو أبى العاص أربعين رجلا وفى رواية ثلاثين رجلا وفى رواية اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفى رواية اذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله تعالى خولا أى عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفى رواية بدل دين الله كتاب الله قال ابن كثير وهذا الحديث أى ذكر بنى أمية وذكر الاربعين منقطع ولما بلغ الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة ان يضرب خبيبا هذا مائة سوط ففعل ثم برد ماء فى جرة وصبه أى فى يوم شات عليه وحبسه فلما اشتد وجعه أخرجه وندم على ما فعل فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز اذا قيل له ابشر قال كيف ابشر وخبيب على الطريق أى عائق لى (وفى دلائل النبوة) للبيهقى عن بعضهم قال كنت عند معاوية بن أبى سفيان ومعه ابن عباس على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه فى حاجته وقال اقض حاجتى يا أمير المؤمنين فوالله ان مؤنتى لعظيمة فانى أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس رضى الله تعالى عنهما أشهدك بالله يا ابن عباس اما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله تعالى خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجة فرد مروان ولده عبد الملك الى معاوية فكلمه فيها فلما أدبر عبد الملك قال معاوية أنشدك الله يا ابن عباس أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس اللهم نعم فان أربعة من ولده ولوا الخلافة فليتأمل هذا فانه ربما يدل على ان عبد الملك صحابيا الا أن يقال ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفى كلام ابن كثير هذا الحديث فيه غرابة ونكارة شديدة

قوله تعالى يا أيها المدثر اعلم أن التدثير انما يكون من البرودة التى يحصل عقب الوحى وذلك أن الملك اذا ورد على النبى صلى الله عليه وسلم بعلم أو حكم تلقى ذلك الروح الانسانى وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وقبل الجسم الهواء من خارج فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فترد عليه الثياب ليسخن وذكر السهيلى أن من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التى هو عليها فلاطفه الحق بقوله يا أيها المدثر قم فانذر فبذلك علم رضاه الذى هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وقد نام وقد ترب جبينه قم أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة وقد نام الى الاسفار قم يا نومان

﴿باب فى مراتب الوحى واقسامه﴾

قد كمل الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم مراتب الوحى وأنواعه ﴿فاحدى تلك المراتب﴾ الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح روى ابن اسحق ان جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة النبوة وغطه ثلاثا وقرأ عليه أول سورة اقرأ مناما ثم أتاه وفعل ذلك معه يقظة بل روى أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يأتيه شئ يقظة الا وقد أريه قبل ذلك فى منامه وفى كلام الشيخ محيى الدين ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم وجميع من يأتيه الوحى من الانبياء كان اذا جاءه الوحى يستلقى على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحى اليهم ان الوارد الالهى الذى هو صفة القيومية اذا جاءهم شغل الروح الانسانى عن تدبيره فلم يبق للجسم من من يحفظ عليه قيامه وقعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض ﴿الثانية﴾ ما كان يلقيه الملك فى قلبه من غير أن يراه ويخلق الله فيه علما ضروريا يعلم به انه وحى لا مجرد الهام ﴿الثالثة﴾ خطاب الملك له حين كان يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يعى عنه ما يقول فقد

(هذا) وقد رأيت عن بعض حواشى الكشاف ان اعداء عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما هم الذين كانوا يكنونه بأبى خبيب لان خبيبا كان من أخس أولاده ويرده قول بعضهم يغلب للشرف كالخبيبين لخبيب بن عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وذكر ابن الجوزى أيضا فيمن ضرب بالسياط من العلماء سعيد بن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مائة سوط لانه بعث ببيعة الوليد الى المدينة فلم يبايع سعيد فكتب ان يضرب مائة سوط ويصب عليه جرة ماء فى يوم شات ويلبس جبة صوف ففعل به ذلك أى كما فعل بخبيب (ثم رأيت) فى تاريخ الحافظ ابن كثير لما عهد عبد الملك لولده الوليد فى حياته وانتهت البيعة الى المدينة امتنع سعيد بن المسيب ان يبايع فضربه نائب المدينة ستين سوطا وألبسه ثيابا من شعر وأركبه جملا وطاف به فى المدينة ثم أودع السجن فلما بلغ ذلك عبد الملك أرسل يعنف والى المدينة على ذلك ويأمره باخراجه من الحبس هذا كلامه (وفى كلام البلاذرى) وكان جابر بن الاسود عاملا لابن الزبير على المدينة وهو الذى ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطا اذ لم يبايع لابن الزبير هذا كلامه الا ان يقال لا مانع ان يكون سعيد فعل به الامران لان ولاية ابن الزبير سابقة على ولاية عبد الملك والد الوليد ثم رأيت الحافظ ابن كثير صرح بذلك حيث ذكر ان سعيد بن المسيب ضرب بالسياط المذكورة وفعل به ما تقدم لما امتنع من المبايعة لابن الزبير وفعل به ذلك أيضا لما امتنع من البيعة للوليد وفى طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى فى ترجمة سعيد بن المسيب وضربه عبد الملك بن مروان حيث امتنع من مبايعته وألبسه المسوح ونهى الناس عن مجالسته فكان كل من جلس اليه يقول له قم لا تجالسنى فانهم قد جلدونى ومنعوا الناس عن مجالستى هذا كلامه الا ان يقال المراد امتنع من قبول مبايعة عبد الملك لولده الوليد فلا مخالفة وانما امتنع سعيد بن المسيب من المبايعة للوليد لانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد فهو شر لامتى من فرعون لقومه وفى رواية هو أضر على أمتى من فرعون على قومه زاد فى رواية يسد به ركن من أركان جهنم وفى لفظ زاوية من زوايا جهنم فكان الناس يرون انه الوليد بن عبد الملك قال ابن كثير وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك لا الوليد بن عبد الملك الذى هو عمه وكان سعيد بن المسيب اعبر الناس للرؤيا قال له رجل رأيت كأنى أبول فى يدى فقال تحتك ذات محرم فنظر فاذا بينه وبين امرأته رضاعة وأخذ سعيد تعبير الرؤيا عن أسماء بنت أبى بكر وهى أخذت ذلك عن والدها أبى بكر رضى الله تعالى عنهما وعن سعيد أخذ ابن سيرين ذلك وعن ابن سيرين كان أبو بكر أعبر هذه الامة بعد النبى صلى الله عليه وسلم وكان يعبر الرؤيا فى زمنه صلى الله عليه وسلم وفى حضرته وعن الزهرى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبى بكر فقال رأيت كأنى استبقت أنا وانت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك الله الى مغفرة ورحمة وأعيش بعدك سنتين ونصفا فكان كما عبر فقد عاش بعده صلى الله عليه وسلم سنتين وسبعة اشهر وقال له رأيتنى أردفت غنما سودا ثم أردفتها غنما بيضا حتى ما ترى السود فيها فقال أبو بكر يا رسول الله أما الغنم السود فان العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الاعاجم يسلمون حتى لا ترى العرب فيهم

ثبت انه كان يأتيه فى صورة دحية بن خليفة الكلبى وكان جميلا وسيما أى حسن الوجه اذا قدم لتجارة خرجت النساء لتراه قال السراج البلقينى يجوز أن الآتى جبريل بشكله الاول الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ومثل ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب قال فى فتح البارى والحق ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى فقط وقال العلامة القونوى يجوز أن الله خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه فى جسده الاصلى مدبرة له ويتصل أثرها بجسم آخر يصير حيا باتصال به من ذلك الاثر أى ان جسم الملك الاصلى باق بحاله لم يتغير وقد أقام ذلك الملك شبحا آخر من عالم المثال وروحه متصرفة فيهما جميعا فى وقت واحد وقد قيل انما سمى الابدال ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح سموه عالم المثال وقالوا انه ألطف من عالم الاجساد وأكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها فى صور مختلفة وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا والجواب بأنه كان يندمج الى أن يصغر حجمه قدر دحية ثم يعود كهيئته الاولى تكلف وما ذكره الصوفية احسن (الرابعة) كان يأتيه مخاطبا له بصوت فى مثل صلصلة الجرس والجرس مثال يشبه الجلجل الذى يعلقه الجهال فى رؤس الدواب والصلصلة المذكورة قيل صوت الملك بالوحى وقيل صوت أجنحة الملك والحكمة فى تقدمه أن يقرع سمعه الوحى وليس فيه مكان لغيره وكان هذا النوع أشده عليه لانه يردفيه من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة ولان الفهم من كلام مثل الصلصلة أثقل من كلام الرجل بالتخاطب والوحى كله شديد وهذا أشد وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة

من كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عبرها الملك سحيرا (وسبب بناء عبد الله بن الزبير للكعبة) ان يزيد بن معاوية لما وجه الجيش عشرين ألف فارس وسبعة آلاف راجل وأميرهم مسلم بن قتيبة لقتال أهل المدينة لما علم أنهم خرجوا عن طاعته أى وأظهروا شتمه وأعلنوا بانه ليس له دين لانه اشتهر عنه نكاح المحارم وادمان شرب الخمر وترك الصلاة وانه يلعب بالكلاب أى فقد ذكر بعض ثقات المؤرخين انه كان له قرد يحضره مجلس شرابه ويطرح له وسادة ويسقيه فضلة كأسه واتخذ له اتانا وحشية قد ريضت له وصنع لها سرجا من ذهب يركب عليها ويسابق بها الخيل فى بعض الايام وكان يلبس عليه قباء وقلنسوة من الحرير الاحمر وقد استفتى الكيا الهراسى من أكابر أئمتنا معاشر الشافعية كان من رؤس تلامذة امام الحرمين نظير الغزالى عن يزيد هذا هل هو من الصحابة وهل يجوز لعنه فأجاب بانه ليس من الصحابة لانه ولد فى ايام عمر بن الخطاب وللامام أحمد قولان أى فى لعنه تلويح وتصريح وكذلك الامام مالك وكذا لابى حنيفة ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره فى الخمر معلوم هذا كلامه وسئل الغزالى هل من صرح بلعن يزيد يكون فاسقا وهل يجوز الترحم عليه فأجاب بان من لعنه يكون فاسقا عاصيا لانه لا يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم فقد ورد النهى عن ذلك وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبى صلى الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وما صح أمره بقتل الحسين ولا رضاه بقتله وما لم يصح منه ذلك لا يجوز ان يظن به ذلك فان اساءة الظن بالمسلم حرام واذا لم يعرف حقيقة الامر وجب احسان الظن به ومع هذا فالقتل ليس بكفر بل هو معصية واما الترحم عليه فهو جائز بل هو مستحب لانه داخل فى المؤمنين فى قولنا فى كل صلاة اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات هذا كلامه وكان على ما أفتى به الكيا الهراسى من جواز التصريح بلعنه استاذنا الاعظم الشيخ محمد البكرى تبعا لوالده الاستاذ الشيخ أبى الحسن وقد رأيت فى كلام بعض أتباع استاذنا المذكور فى حق يزيد ما لفظه زاده الله خزيا وضعه وفى أسفل سجين وضعه (وفى كلام ابن الجوزى) أجاز العلماء الورعون لعنه وصنف فى اباحة لعنه مصنفا وقال السعد التفتازانى انى لا اشك فى اسلامه بل فى ايمانه فلعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه وعلى هذا يكون مستثنى من عدم جواز لعن الكافر المعين بالشخص ولما خلع أى أهل المدينة بيعة يزيد وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة واخرجوا والى يزيد من المدينة وهو مروان بن الحكم وبنى أمية حتى قال بعضهم ما خرجنا عليه حتى خفنا ان نرمى بحجارة من السماء فكانت وقعة الحرة المشهورة التى كادت تبيد اهل المدينة عن آخرهم قتل فيها الجم الكثير من الصحابة والتابعين وقيل المقتول فيها من الصحابة ثلاثة منهم عبد الله بن حنظلة ونهبت المدينة وافتض فيها ألف عذراء أى ولم تقم الجماعة ولا الاذان فى المسجد النبوى مدة المقاتلة وهى ثلاثة أيام (وفى كلام بعضهم) ووقع من ذلك الجيش الذى وجهه يزيد للمدينة من القتل والفساد العظيم والسبى واباحة المدينة وقتل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ومن التابعين خلق كثيرون وكانت عدة المقتولين من قريش والانصار ثلثمائة وستة رجال ومن

الزلفى ورفع الدرجات ولان الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به وفى حديث لابن عباس رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة قال بعضهم وانما كان شديدا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع لا يقال ان صوت الجرس مذموم منهى عنه فكيف يشبه الوحى به لانا نقول ان للصوت جهتين جهة قوة وبها وقع التشبيه وجهة طنين ومنها وقع التنفير ولا يلزم من التشبيه تساوى المشبه والمشبه به فى الصفات كلها بل يكفى اشتراكهما فى صفة ما ولما كان الوحى من المسائل العويصة التى لا يماط نقاب التغور عن وجهها لكل أحد ضرب لها مثل فى الشاهد فمثلت بالصوت الذى يسمع ولا يفهم منه شئ تنبيها على ان الوحى يرد على القلب فى هيئة الجلال وأبهة الكبرياء فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب وتلاقى من ثقل القول ما لا علم له به مع وجود ذلك فاذا سرى عنه وجد القول المقول بينا ملقى فى الروع واقعا موقع المسموع وهذا الضرب من الوحى شبيه بما يوحى الى الملائكة على ما رواه أبو هريرة مرفوعا اذا قضى الله فى السماء أمرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير وقد روى الامام أحمد والحاكم وصححه والترمذى والنسائى عن عمر رضى الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يسمع عنده دوى كدوى النحل فأفهم قوله عنده ان ذلك بالنسبة للصحابة ولذا قال الحافظ انه لا يعارض صلصلة الجرس لان سماع الدوى بالنسبة للحاضرين كما شبهه به عمر رضى الله عنه والصلصلة بالنسبة اليه كما شبهه به صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقامه وجزم بعضهم بأن سماعه كدوى النحل حين يتمثل له رجلا وبه تعلم الصفة التى كان عليها حين خطابه بذلك الصوت وجاء فى بعض الروايات وصف هذا القسم الرابع ان جبينه صلى الله عليه وسلم يتفصد عرقا أى يسيل عرقا مبالغة فى كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله لطروه على طبع

قراء القرآن نحو سبعمائة نفس وفى التنوير لابن دحية وقتل من وجوه المهاجرين والانصار ألف وسبعمائة ومن حملة القرآن سبعمائة وجالت الخيل فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت بين القبر الشريف والمنبر واختفت أهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم ولم يرض أمير ذلك الجيش من أهل المدينة الا بان يبايعوه ليزيد على انهم خول أى عبيد له ان شاء باع وان شاء اعتق حتى قال له بعض أهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه (وروى) البخارى ان عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما لما أرجف أهل المدينة بزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم انا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله وانه والله لا يبلغنى عن أحد منكم انه خلع يدا من طاعته الا كان الفيصل بينى وبينه ثم لزم بيته ولزم أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه بيته أيضا فدخل عليه جمع من الجيش بيته فقالوا له من أنت أيها الشيخ فقال أنا أبو سعيد الخدرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد سمعنا خبرك ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم على وما عندى شئ فقالوا كذبت ونتفوا لحيته (واما جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنه فخرج فى يوم من تلك الايام وهو أعمى يمشى فى بعض أزقة المدينة وصار يعثر فى القتلى ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل من الجيش من اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخاف المدينة فقد اخاف ما بين جنبى فحمل عليه جماعة من الجيش ليقتلوه فاجاره منهم مروان وادخله بيته قال السهيلى وقتل فى ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم ألف وسبعمائة وقتل من اخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان فقد ذكر ان امرأة من الانصار دخل عليها رجل من الجيش وهى ترضع صبيا وقد أخذ ما وجده عندها ثم قال لها هات الذهب والا قتلتك وقتلت ولدك فقالت له ويحك ان قتلته فابوه أبو كبشة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا من النسوة اللاتى بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ الصبى من حجرها وثديها فى فمه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه فى الارض فما خرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلة فى الناس قال السهيلى واحسب هذه المرأة جدة للصبى لا امالة اذ يبعد فى العادة أن تبايع امرأة وتكون يوم الحرة فى سن من ترضع أى ولدا صغيرا لها ووقعة الحرة هذه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ففى الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف بهذه الحرة وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتى بعد أصحابى (وعن عبد الله بن سلام) رضى الله تعالى عنه انه قال لقد وجدت قصة هذه الوقعة فى كتاب يهوذ بن يعقوب الذى لم يدخله تبديل وانه يقتل فيها رجال صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم وهذه الوقعة كانت سنة ثلاث وستين ويقال كان يزيد أعذر أهل المدينة قبل هذه الواقعة فيما ذكروه وبذل لهم من العطاء اضعاف ما يعطى الناس رغبة فى استمالتهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن يأبى الله الا ما أراد وفى التنوير ان الله ابتلى أمير هذا الجيش الذى هو مسلم بن قتيبة بعد ثلاثة أيام من أخذه البيعة بمرض صار ينبح منه

كالكلب

البشر وذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من أعباء النبوة ويحصل ذلك له فى اليوم الشديد البرد فضلا عن غيره وان راحلته اذا أوحى عليه وهو عليها التبرك به فى الارض ولقد جاءه الوحى مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت الانصارى رضى الله عنه فثقلت عليه حتى كادت ترضها وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى لم يستطع أحد منا يرفع طرفه اليه حتى ينقضى الوحى وفى لفظ كان اذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة وفى رواية كرب لذلك وتربد وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة أخذه من الكرب والشدة على قدر شدة السورة واذا نزل عليه السورة اللينة أصابه من ذلك على قدر لينها (الخامسة) أن يرى جبريل فى صورته التى خلقها الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها يسد أفق السماء حتى ما يرى فى السماء شئ فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه اليه وهذا وقع له مرتين احداهما فى الارض حين سأله أن يريه نفسه فى الافق وكانت هذه فى أوائل البعثة بعد فترة الوحى والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج (السادسة) ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها بسماع الكلام الازلى الذى ليس بحرف ولا صوت من غير واسطة مع الرؤية للذات المقدسة (السابعة) ما أوحاه اليه بلا واسطة أيضا بل بسماع الكلام الازلى لكن بلا رؤية كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وزاد بعضهم ثامنة فقال وكل به اسرافيل عليه السلام قبل تتابع مجئ جبريل عليه السلام فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشئ ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن وبعضهم نازع فى هذه الصورة وزاد بعضهم تاسعة وهى العلم الذى يلقيه الله تعالى فى قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد فى الاحكام لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث فى الروع وزاد بعضهم عاشرة وهى مجئ جبريل فى صورة رجل

كالكلب الى ان مات وولى أمر الجيش بعده الحصين بن نمير بأمر يزيد فانه وصى مسلم بن قتيبة لما ولاه امرة الجيش وقال له اذا أشرفت على الموت أى لانه كان مريضا بالاستسقاء فول أمر الجيش للحصين وهذا الذى وقع من يزيد فيه تصديق لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد وقد جاء عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه لقد رأيتنى ليالى الحرة وما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرى وما يأتى وقت صلاة الا سمعت الاذان والاقامة من القبر الشريف ومما يؤثر عن سعيد بن المسيب الدنيا نذلة تميل الى الانذال ومن استغنى بالله افتقر اليه الناس ومن جملة من خلع يزيد وقتل من الصحابة فى تلك الوقعة معقل بن سنان الاشجعى رضى الله تعالى عنه روى علقمة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يسم لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها مثل مهر نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل ابن سنان قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بروع بنت واشق امرأة منا مثل ما قضيت ففرح ابن مسعود وسبب مقاتلة عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما لانه امتنع من المبايعة ليزيد أيضا هو والحسين رضى الله تعالى عنهما لما أرسل اليهما يطلب منهما المبايعة له فامتنعا من ذلك وفرا من المدينة الى مكة ثم لما قتل الحسين رضى الله تعالى عنه أى لان الحسين أرسل اليه أهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه فأراد الذهاب اليهم فنهاه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه الحسن رضى الله تعالى عنه ونهاه ابن عمر وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم فابى الا ان يذهب فبكى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال واحبيباه وقال له ابن عمر أستودعك الله من قتيل وكان أخوه الحسن قال له اياك وسفهاء الكوفة ان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم على أخيه الحسن ولم يبق بمكة الا من حزن على مسيره وقدم امامه الى الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة للحسين اثنا عشر ألفا وقيل أكثر من ذلك ولما شارف الكوفة جهز اليه أميرها من جانب يزيد وهو عبيد الله بن زياد عشرين ألف مقاتل وكان أكثرهم ممن بايع له لاجل السحت العاجل على الخير الآجل فلما وصلوا اليه ورأى كثرة الجيش طلب منهم احدى ثلاث اما ان يرجع من حيث جاء أو يذهب الى بعض الثغور أو يذهب الى يزيد يفعل فيه ما أراد فابوا وطلبوا امتناعه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى فقاتلوه الى ان أثخنته الجراحة فسقط الى الارض فحزوا رأسه وذلك يوم عاشوراء عام احدى وستين ووضع ذلك الرأس بين يدى عبيد الله بن زياد ولما جاء خبر قتل الحسين رضى الله تعالى عنه قام ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما فى الناس يعظم قتل الحسين وجعل يظاهر بعيب يزيد ويذكر شربه الخمر وغير ذلك ويثبط الناس عن بيعته ويذكر مساوى بنى أمية ويطنب فى ذلك ولما بلغ يزيد ذلك أقسم أن لا يؤتى به الا مغلولا فجاء اليه رجل من أهل الشام فى خيل من خيل الشام وتكلم مع ابن الزبير وعظم على ابن الزبير الفتنة وقال لا يستحل الحرم بسببك فان يزيد غير تاركك ولا تقوى عليه وأقسم أن لا يؤتى بك الا مغلولا وقد عملت لك غلا من فضة وتلبس

غير دحية كما في الحديث الذي فيه بيان الاسلام والايمان والاحسان والحق ان هذه داخلة في المرتبة الثالثة لان القصد منها التمثل
في صورة رجل وان كان الغالب أن يكون بصورة دحية وهذا لا ينافي انه قد يأتي بصورة غيره كما في الحديث المذكور فانه ذكر فيه
انه جاءهم في صورة رجل شديد بياض الثياب ١٨٠ شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد ودحية كان
معروفا عندهم وبالغ بعضهم في تعديد
أنواع الوحي حتى أوصلها الى ستة
وأربعين نوعا والتحقيق انها تعود
الى ماذكر وقد روى ان جبريل
ظهر له صلى الله عليه وسلم في أول
ما أوحى اليه في أحسن صورة
وأطيب رائحة وهو بأعلى مكة
وفي رواية بجبل حراء فقال يا محمد
ان الله يقرئك السلام ويقول لك
أنت رسولي الى الجن والانس
فادعهم الى قول لا اله الا الله أي
ومحمد رسول الله ثم ضرب برجله
الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها
جبريل ورسول الله صلى الله عليه
وسلم ينظر اليه ليريه كيفية الطهور
للصلاة ثم أمره أن يتوضأ كما رآه
يتوضأ ثم قام جبريل يصلي
مستقبلا نحو الكعبة وأمره أن
يصلي معه فصلى ركعتين ثم عرج
الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم
الى أهله فكان لا يمر بحجر ولا مدر
ولا شجر الا وهو يقول السلام
عليك يا رسول الله فسار صلى الله
عليه وسلم حتى أتى خديجة
رضي الله عنها فأخبرها فغشي
عليها من الفرح ثم أخذ بيدها
وأتى بها الى العين فتوضأ ليريها
الوضوء ثم أمرها فتوضأت وصلى
بها كما صلى به جبريل عليه السلام
فكانت أول من صلى وفي رواية
أنها قالت حين شاهدت ذلك
أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله
ثم توضأت وصلت فكان ذلك أول
فرض الصلاة من حيث هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي والنها لاشارة بقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي" زمن
والابكار ثم نسخت بالصلوات الخمس ولا يرد على هذا ان آية الوضوء مدنية لاحتمال ان النبي صلى الله عليه وسلم تعلم الوضوء قبل
نزول الآية بتعليم جبريل وعلمه لاصحابه ثم نزلت الآية ببيانه وقال بعضهم ان الوضوء فرض مع الصلوات الخمس قبل الهجرة بسنة

فوقه الثياب وتبرقسم أمير المؤمنين فالصلح خير عاقبة وأجل بك وبه فقال له أنظر في أمري
ثم دخل على أمه أسماء رضي الله تعالى عنها واستشارها فقالت يا بني عش كريما ومت كريما
ولا تمكن بني أمية من نفسك فتلعب بك فامتنع وصار يبايع الناس سرا ثم أظهر المبايعة فاجتمع
عليه أهل الحجاز ولحق به من انهزم من وقعة الحرة فلما جاء الجيش الى مكة حاصر عبد الله
وضرب بالمنجنيق نصبه على أبي قبيس قيل وعلى الاحمر وهما الخشبا مكة فاصاب الكعبة من ناره
ماحرق ثيابها وسقفها فان الكعبة كانت في زمن قريش مبنية مدماك من خشب الساج
ومدماك من حجارة كما تقدم وذكر في الشرف ان الله تعالى بعث عليهم صاعقة بعد العصر
فاحرقت المنجنيق وأحرقت تحته ثمانية عشر رجلا من أهل الشام ثم عملوا منجنيقا آخر
فنصبوه على أبي قبيس ويذكر أن النار لما أصابت الكعبة أنت بحيث يسمع أنينها كأنين
المريض آه آه وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جاء انذاره صلى الله عليه وسلم بتحريق
الكعبة فعن ميمونة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا مرج الدين فظهرت الرغبة والرهبة وحرق البيت العتيق وفي
العرائس أن أول يوم تكلم الناس في القدر ذلك اليوم فقيل احراق الكعبة من قدر الله وقيل
ليس من قدر الله والمتكلم بذلك حينئذ قيل أبو معبد الجهني وقيل أبو الاسود الدؤلي وقيل
غير ذلك وقوله أول يوم تكلم الناس في القدر لعل المراد أول يوم اشتهر واستفيض فيه الكلام
من الناس في القدر فلا يخالف ماحكي ان شخصا قال لعلي رضي الله تعالى عنه وهو بصفين يا أمير
المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا هذا أكان بقضاء الله وقدره فقال نعم والذي خلق الحبة وبرأ النسمة
ماوطئنا موطنا ولا قطعنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضائه وقدره والتكلم في القدر ليس من
خصائص هذه الامة فقد تكلمت فيه الامم قبلها ففي الحديث مابعث الله نبيا الا في أمته قدرية
يشوشون عليه أمر أمته ألا وان الله تعالى قد لعن القدرية على لسان سبعين نبيا وقد جاء في ذم
القدرية زيادة على ما تقدم منها القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان
ماتوا فلا تشهدوهم وجاء اتقوا القدر فانه شعبة من النصرانية وجاء أخاف على أمتي التكذيب
بالقدر وانما كانت القدرية مجوس هذه الامة لان طائفة من القدرية تقول بأن الخير من الله
والشر من العبد وهؤلاء الطائفة أشبه بالمجوس القائلين بالاصلين النور والظلمة وان الخير من
النور والشر من الظلمة وهم المانوية وانما كان القدر شعبة من النصرانية لان أكثر القدرية
على انه ليس من أفعال العبد من خير أو شر ناشئا عن اقدار الله تعالى له على ذلك بل هو ناشئ
عن قدرة العبد واختياره فقد أثبتوا لله تعالى شريكا كما ان النصارى أثبتوا الشريك لله تعالى
فهذه الفرقة من القدرية أشبهت النصارى فكان القدر شعبة من النصرانية بهذا الاعتبار
وقد أوضحت ذلك في تعليقي المسمى بالمصباح المنير على الجامع الصغير وفيه أخر الكلام في
القدر لشرار أمتي في آخر الزمان فان الحق اسناد الفعل الى الله تعالى ايجادا وللعبد اكتسابا
وقيل ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما للكعبة ان امرأة بخرتها فطارت
شرارة فعلقت بثيابها فحصل ذلك ولا مانع من التعدد وقد وقع أيضا احتراقها بتبخير المرأة في

وانه قبل ذلك كان مطلوبا على وجه السنة والندب ونزلت الآية ببيانه بالمدينة وبهذا يحصل الجمع بين الاقوال ﴿وذكر أول من آمن
بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم﴾ قال في المواهب اللدنية أول من آمن بالله وصدق برسوله صلى الله عليه وسلم صديقة النساء
خديجة رضي الله عنها فقامت باعباء الصديقية وكانت تقول للنبي صلى الله عليه وسلم ١٨١ أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا واستدلت
على ذلك بما فيه من الصفات
الحميدة كقرى الضيف وحمل
الكل وعرفت أن من كان كذلك
لا يخزى أبدا وهو من بديع علمها
رضي الله عنها قال ابن اسحق
وآزرته صلى الله عليه وسلم على
أمره فخفف الله بذلك عنه فكان
لا يسمع شيأ يكرهه من رد
وتكذيب الا فرج الله عنه بها اذا
رجع اليها تثبته وتخفف عنه
وتصدقه وتهون عليه أمر الناس
ولهذا السبق وحسن المعروف
جزاها الله سبحانه فبعث جبريل
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
بغار حراء وقال له اقرأ عليها السلام
من ربها ومني وبشرها ببيت في
الجنة من قصب لا صخب فيه ولا
نصب فقالت هو السلام ومنه
السلام وعلى جبريل السلام
وعليك يا رسول الله السلام ورحمة
الله وبركاته وهذا من وفور فقهها
رضي الله عنها حيث جعلت مكان
رد السلام على الله الثناء عليه ثم
غايرت بين ما يليق به وما يليق
بغيره قال ابن هشام والقصب هنا
اللؤلؤ المجوف وأبدى السهيلي
لنفي النصب لطيفة هي انه صلى
الله عليه وسلم لما دعاها الى الايمان
أجابت طوعا ولم تحوجه لرفع
صوت ولا منازعة ولا نصب بل
أزالت عنه كل تعب وآنسته من
كل وحشة وهونت عليه كل عسير
فناسب أن تكون منزلتها التي
بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها رضي الله عنها واقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها وتميزت أيضا
بانها لم تسؤه صلى الله عليه وسلم ولم تغاضبه قط وقد جازاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته
وولدت له صلى الله عليه وسلم من الذكور القاسم وعبد الله ويلقب بالطاهر والطيب ومن الاناث زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة

زمن قريش ولا مانع من تعدد ذلك كما تقدم وعد بعضهم أن من البدع تجمير المسجد وأن
مالكا كرهه وقد روى أن مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يجمر المسجد النبوي
اذا جلس عمر رضي الله تعالى عنه على المنبر يخطب ومع حرق الكعبة حرق قرنا الكبش الذي
فدى به اسمعيل فانهما كانا معلقين بالسقف (أقول) ولعل تعليقهما في السقف كان بعد
تعليقهما في الميزاب فقد ذكر بعضهم جاء الاسلام ورأس الكبش معلق بقرنيه في ميزاب
الكعبة ويدل لتعليقهما في السقف ما جاء عن صفية بنت شيبة قالت لعثمان بن طلحة لم دعاك
النبي صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من البيت قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
رأيت قرني الكبش في البيت فنسيت أن آمرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي أن يكون
في البيت شيء يشغل مصليا (وذكر الجلال المحلي) في قطعة التفسير أن الكبش المذكور هو
الذي قربه هابيل جاء به جبريل فذبحه السيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام مكبرا أي وحينئذ
تكون النار التي أنزلت في زمن هابيل لم تأكله بل رفعته الى السماء وحينئذ يكون قول
بعضهم فنزلت النار فأكلته على التسمح ويدل لما ذكره الجلال ما جاء انه صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه الصلاة والسلام ما كان ذبح ابراهيم أي مذبوحه قال الذي قرب ابن آدم
قال بعضهم وهذا الحديث لم يثبت قيل ووصف بأنه عظيم لانه رعى في الجنة أربعين عاما وقيل
كان الكبش اختراعا اخترعه الله هنالك في ذلك الوقت قال بعضهم فقد فدى من الموت بصورة
الموت وهذا كله بناء على ان الذي قربه هابيل كان كبشا وقيل كان جملا سمينا وعليه اقتصر
القاضي فلينظر الجمع على تقدير صحة كل وانصدع الحجر من ثلاث النار من ثلاثة أماكن وعند
محاصرة الجيش لعبد الله جاء الخبر بموت يزيد ويقال ان ابن الزبير علم بموت يزيد قبل ان يعلم
الجيش وهم أهل الشام فنادى فيهم يا أهل الشام قد أهلك الله طاغيتكم يعني يزيد فمن أحب
منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فعل ومن أحب أن يرجع الى شأنه فليفعل فانفل الجيش
وبايع عبد الله بن الزبير جماعة بالخلافة ودخلوا في طاعته ظاهرا ويقال ان أمير الجيش طلب
من ابن الزبير أن يحدثه فخرجا من الصفين حتى اختلفت رؤس فرسيهما وجعل فرس أمير
الجيش ينفر ويكفها فقال له ابن الزبير مالك فقال ان حمام الحرم تحت رجلها فاكره ان أطأ
حمام الحرم فقال تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين فقال له تأذن لنا أن نطوف بالكعبة ثم نرجع
الى بلادنا فأذن لهم فطافوا وقال له ان كان هذا الرجل قد هلك فانت أحق الناس بهذا الامر
يعني الخلافة فارحل معي الى الشام فوالله لا يختلف عليك اثنان فلم يثق به ابن الزبير وأغلظ
عليه القول فكر راجعا وهو يقول أعده بالملك وهو يعدني بالقتل ومن ثم قيل كان في ابن
الزبير خلال لا تصلح معها الخلافة منها سوء الخلق وكثرة الخلاف ودخل في طاعة ابن الزبير جميع
أهل البلدان الا الشام ومصر فان مروان بن الحكم تغلب عليهما بعد موت معاوية بن يزيد بن
معاوية فان معاوية هذا مكث في الخلافة أربعين يوما وقيل عشرين يوما بعد ان كان مروان
عزم على ان يبايع لابن الزبير بدمشق وقد كان ابن الزبير لما ولى أخاه نائبا عنه بالمدينة أمره
باجلاء بني أمية وفيهم مروان وابنه عبد الملك الى الشام فلما أراد مروان أن يبايع ابن الزبير

بدمشق ثنى عزمه عن ذلك جماعة وقالوا له أنت شيخ قريش وسيدها وقد فعل معكم ابن الزبير
مافعل فانت أحق بهذا الامر فوافقهم ومكث تسعة أشهر فى الخلافة فهو الرابع من خلفاء
بنى أمية وقام بالامر بعده ولده عبد الملك وهو أول من سمى عبد الملك فى الاسلام ثم عهد
عبد الملك لاولاده الاربعة من بعده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وادعى عمرو بن سعيد ان
مروان عهد اليه بعد ابنه عبد الملك فضاق عبد الملك بذلك ذرعا واستعجل أمر عمرو بدمشق
فلم يزل به عبد الملك حتى قتله وفى كلام ابن ظفر ان عبد الملك لما خرج لمقاتلة عبد الله بن الزبير خرج
معه عمرو بن سعيد وقد انطوى على دغل نية وفساد طوية وطماعية فى نقل الخلافة فلما ساروا
عن دمشق أياما تمارض عمرو بن سعيد واستأذن عبد الملك فى العود الى دمشق فأذن له فلما
عاد ودخل دمشق صعد المنبر وخطب خطبة نال فيها من عبد الملك ودعا الناس الى خلعه
فأجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصن سورها وبذل الرغائب وبلغ ذلك
عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير فاشير على عبد الملك ان يرجع الى دمشق ويترك ابن الزبير
لان ابن الزبير لم يعطه طاعة ولا وثب له على مملكة فهو فى صورة ظالم له وقصده لعمرو بن سعيد
فى صورة مظلوم لانه نكث بيعته وخان أمانته وأفسد رعيته فرجع الى دمشق فظفر
بعمرو بن سعيد ويقال ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه للكعبة انه جاء سيل
فطبقها فكان عبد الله رضى الله تعالى عنه يطوف سباحة أى ولا مانع من وجود الامرين
الحرق والسيل فلما رأى عبد الله ماوقع فى الكعبة شاور من حضر ومن جملتهم عبد الله بن
عباس رضى الله تعالى عنهما فى هدمها فهابوا هدمها وقالوا نرى أن يصلح ماوهى ولا تهدم فقال
لو أن بيت أحدكم أحرق لم يرض له الا بأكمل اصلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها وقد حدثته
خالته عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لها ألم ترى قومك
يعنى قريشا حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين عجزت
بهم النفقة لولا حدثان قومك بالجاهلية أى قرب عهدهم بها أى وفى لفظ لولا الناس حديثو
عهد بالجاهلية أى قريب عهدهم بها أى وفى لفظ لولا الناس حديث عهد بكفر وليس عندى
من النفقة ما يقوى على بنائها لهدمتها وجعلت لها خلفا أى بابا من خلفها أى وفى لفظ لجعلت
لها بابا يدخل منه وبابا بحياله يخرج الناس منه وفى لفظ وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا
والصقت بابها بالارض أى كما كان عليه فى زمن ابراهيم ولادخلت الحجر فيها أى وفى رواية
لادخلت نحو ستة أذرع وفى رواية ستة أذرع وشيأ وفى رواية وشبرا وفى رواية قريبا من
سبعة أذرع فقد اضطربت الروايات فى القدر الذى أخرجته قريش وفى لفظ لادخلت فيها
ماأخرج منها وفى لفظ لجعلتها على أساس ابراهيم وأزيد أى بأن أزيد فى الكعبة من الحجر أى
وذلك ما أخرجته قريش خشى صلى الله عليه وسلم ان تنكر قلوبهم هدم بنائهم الذى يعدونه من
أكمل شرفهم فربما حصل لهم الارتداد عن الاسلام وقد ذكر بعضهم ان كل من بنى الكعبة
بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم غير ان قريشا ضاقت بهم النفقة
أى الحلال الحديث وهذا بناء على ان من بعد ابراهيم وقبل قريش بناها كلها وليس كذلك

رضى الله عنها وعنهن ﴿ وأول ذكر آمن بعدها صديق الامة وأسبقها الى الاسلام أبو بكر رضى الله عنه ﴾ وكان رضى الله عنه
صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يكثر غشيانه فى منزله ومحادثته وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كنت أنا
وأبو بكر على هذا الامر كفرسى رهان فسبقته فتبعنى ولو سبقنى لتبعته ففيه اشارة الى أن كلا منهما
مجبول على التوحيد ولهذا لما
بعث صلى الله عليه وسلم كان أشد
الناس تصديقا له أبو بكر رضى
الله عنه روى الطبرانى برجال ثقات
أن عليا رضى الله عنه كان يحلف
بالله أن الله أنزل اسم أبى بكر من
السماء الصديق وكان اسمه قبل
الاسلام عبد الكعبة فغيره النبى
صلى الله عليه وسلم الى عبد الله
وقيل كان اسمه عبد الله وغلب عليه
عتيق وقيل ان أمه استقبلت به
البيت وقالت اللهم هذا عتيقك
من الموت لانه كان لا يعيش لها
ولد وقيل سمى عتيقا لان النبى
صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله
أعتقه من النار وقيل لانه ليس
فى نسبه ما يعاب به وقيل لقدمه
فى الخير وسبقه الى الاسلام وكنى
بأبى بكر لابتكاره الخصال الحميدة
قال الزرقانى ولم أقف على من كناه
به هل هو المصطفى صلى الله عليه
وسلم أو غيره فلما أسلم آزر النبى
صلى الله عليه وسلم فى نصر دين الله
تعالى بنفسه وماله وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ان أبا بكر رضى الله
عنه أول الناس اسلاما واستشهد
بقول حسان رضى الله عنه

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبى وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده ... وأول الناس قدما صدق الرسلا

وقوله والثانى التالى أى الثانى للنبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ففيه تلميح الى قوله تعالى ثانى اثنين اذ هما
فى الغار وقوله التالى أى التابع له صلى الله عليه وسلم باذلا نفسه مفارقا أهله ورياسته فى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته
ومعاديا للناس فيه جاعلا نفسه وقاية عنه وغير ذلك من سيره الحميدة التى لا تحصى بحيث قال صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس
بل

بل الحاصل منهم انما هو ترميم لها فقوله لم يبنها الا على قواعد ابراهيم ليس على ظاهره بل
المراد انه أبقاها على ذلك قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لعبد الله دع بناء
وأحجارا أسلم عليها المسلمون وبعث عليها النبى صلى الله عليه وسلم أى فانه يوشك ان يأتى بعدك من
يهدمها فلا يزال يهدم ويبنى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارقعها أى رممها فقال عبد الله انى
مستخير ربى ثلاثا ثم عازم على أمرى فلما مضى الثلاث أجمع أمره على ان ينقضها فتحاماها
الناس وخشوا ان ينزل بأول الناس يصعدها أمر من السماء حتى صعدها رجل فالقى منها
حجارة فلم ير الناس أصابه شئ فتتابعوه اه أى وقيل أول فاعل لذلك عبد الله بن الزبير نفسه
رضى الله تعالى عنه وخرج ناس كثير من مكة الى منى ومنهم ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
فاقاموا بها ثلاثا مخافة ان يصيبهم عذاب شديد بسبب هدمها وأمر ابن الزبير جماعة من
الحبشة بهدمها رجاء أن يكون فيهم الذى أخبر به صلى الله عليه وسلم انه يهدمها وفيه ان الذى
أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بانه يهدمها ذكر صفته حيث قال كأنى أنظر اليه اسود أفحج
ينقضها حجرا حجرا وجاء فى وصفه انه مع كونه أفحج الساقين أزرق العينين أفطس الانف كبير
البطن ووصف أيضا بانه أصلع وفى لفظ أجلح وهو من ذهب شعر مقدم رأسه ووصف بانه
أصمل أى صغير الرأس وبانه أصمع أى صغير الاذنين معه أصحابه ينقضونها حجرا حجرا
ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر أى وقوله ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر لعله لم يثبت
عند ابن الزبير وكذا تلك الاوصاف وهدم الحبشة لها يكون بعد موت عيسى عليه الصلاة
والسلام ورفع القرآن من الصدور والمصاحف أى وورد ان أول ما يرفع رؤيته صلى الله عليه
وسلم فى المنام والقرآن وأول نعمة ترفع من الارض العسل وقيل يكون هدمها فى زمن عيسى
عليه الصلاة والسلام وجمع بانه يهدم بعضها فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فاذا جاءهم
الصريخ هربوا فاذا مات عيسى عادوا وكملوا هدمها فهدمها عبد الله الى أن انتهى الهدم الى
القواعد أى التى هى الاساس قال وفى رواية كشف له عن أساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام
فوجده داخلا فى الحجر ستة أذرع وشيأ وأحجار ذلك الاساس كأنها أعناق الابل حجارة حمراء
آخذ بعضها فى بعض مشبكة كتشبيك الاصابع وأصاب فيه قبر أم اسمعيل عليه الصلاة والسلام
وهذا ربما يدل على انه لم يصب فيه قبر اسمعيل وهو يؤيد القول بان قبره فى حيال الموضع الذى
فيه الحجر الاسود لا فى الحجر كما ذكره الطبرى وانه تحت البلاطة الخضراء التى بالحجر كما تقدم فدعا
عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما خمسين رجلا من وجوه الناس وأشرافهم وأشهدهم
على ذلك الاساس وأدخل عبد الله بن المطيع العدوى عتلة كانت بيده فى ركن من أركان البيت
فتزعزعت الاركان كلها فارتج جوانب البيت ورجفت مكة باسرها رجفة شديدة وطارت منه
برقة فلم يبق دار من دور مكة الا دخلت فيها ففزعوا اه (أقول) تقدم فى بناء قريش انهم
افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة آخذ بعضها ببعض وان رجلا أدخل عتلته بين حجرين منها
فحصل نحو ماذكر وقد يقال لا مخالفة بين كون تلك الاحجار كانت خضراء وبين كونها حمراء لانه
يجوز أن تكون حمرة تلك الاحجار ليست صافية بل هى قريبة من السواد ومن ثم وصفت بانها

على فى صحبته وماله أبا بكر وقال ما أحد أعظم عندى يدا من أبى بكر واسانى بنفسه وماله وقال ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجنى
ابنته وواسانى بماله قال الشعبى عاتب الله أهل الارض جميعا فى هذه الآية أى آية الا تنصروه غير أبى بكر وقد جوزى بصحبة الغار
الصحبة على الحوض كما فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر أنت صاحبى على الحوض
وصاحبى فى الغار فيا نعم الجزاء
وقوله المحمود مشهده أى الممدوح
مكان حضوره من الناس لانه كان
رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا
وكان أنسب قريش لقريش
وأعلمهم بها وبما كان فيها من خير
وشر وكان تاجرا وفى السيرة
الحلبية كان أبو بكر رضى الله عنه
صدرا معظما فى قريش على سعة
من المال وكرم الاخلاق * وكان
من رؤساء قريش ومحط مشورتهم
وكان من أعف الناس رئيسا
مكرما سخيا يبذل المال محببا فى
قومه حسن المجالسة وكان أعلم
الناس بتعبير الرؤيا وبعلم الانساب
وكذا عقيل بن أبى طالب الا أن أبا
بكر كان يعلم خيرهم وشرهم ولا
يعد مساويهم فلذا كان محببا اليهم
بخلاف عقيل فانه كان يعد
مساويهم وكان أبو بكر رضى
الله عنه ذا خلق حسن ومعروف
وكان رجال من قومه يأتونه
ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن
مجالسته فلما أسلم وتبع النبى
صلى الله عليه وسلم وآزره وشد
عضده فجعل يدعو الى الاسلام
من وثق به من قومه ممن يغشاه
ويجلس اليه فأسلم بدعائه فضلاء
الصحابة رضى الله عنه وعنهم
وسيأتى ذكر بعض من أسلم بدعائه
وكان رضى الله عنه يتوقع ظهور
نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لما
سمعه من ورقة ومن غيره من
الاحبار والرهبان والكهان حتى انه أول من بادر الى التصديق به صلى الله عليه وسلم يروى ان أبا بكر رضى الله عنه كان يوما عند
حكيم بن حزام اذ جاءت مولاة لحكيم فقالت ان عمتك خديجة تزعم فى هذا اليوم أن زوجها نبى مرسل مثل موسى عليه السلام
فانسل أبو بكر حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجىء الوحى له وأخبره بأن الله أرسله

فقال صدقت بأبي وأمي أنت وأهل الصدق أنت أنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فسماه يومئذ الصديق بوحي من الله ولما
سمعت خديجة رضي الله عنها مقالة أبي بكر رضي الله عنه خرجت وعليها خمار أحمر فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن أبي قحافة وقد
جاء في تفسير قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أن الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي صدق به أبو بكر رضي الله
عنه قال ابن اسحق بلغني أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال مادعوت
أحدا الى الاسلام الا كانت
عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان
من أبي بكر رضي الله عنه ماعكم
عنه حين ذكرته له أي انه بادر به
قال السهيلي وكان من أسباب
توفيق الله له وانه رأى القمر نزل
مكة ثم تفرق على جميع منازلها
وبيوتها فدخل في كل بيت منه
شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها
على بعض الكتابيين فعبرها له
بأن النبي المنتظر الذي قد أظل
زمانه تتبعه وتكون أسعد الناس
به فلما دعاه صلى الله عليه وسلم الى
الاسلام لم يتوقف وذكر ابن الاثير
في أسد الغابة عن ابن مسعود
رضي الله عنه ان أبا بكر رضي الله
عنه خرج الى اليمن قبل بعثة النبي
صلى الله عليه وسلم قال فنزلت على
شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم
الناس كثيرا فقال أحسبك حرميا
قلت نعم قال وأحسبك قرشيا قلت
نعم قال وأحسبك تيميا قلت نعم قال
بقيت لي فيك واحدة قلت وماهي
قال تكشف لي عن بطنك قلت
لا أفعل أو تخبرني لم ذاك قال أجد
في العلم الصحيح الصادق أن نبيا
يبعث في الحرم يعاونه على أمره
فتى وكهل أما الفتى فخواض
غمرات ودفاع معضلات وأما
الكهل فأبيض نحيف على بطنه
شامة وعلى فخذه الايسر علامه وماعليك أن تريني ماسألتك فقد تكاملت لي فيك الصفة الا ماخفي على
قال فكشفت له بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي فقال أنت هو ورب الكعبة واني أوصيك بما هو في أمره قلت وماهو قال اياك
والميل عن الهدى وتمسك بالطريق الوسطى وخف الله فيما خولك وأعطاك فقضيت باليمن أربي ثم أتيت الشيخ لاودعه فقال أحامل

زرق كما تقدم والاسود يقال له أخضر كما ان الاخضر غير الصافي يقال له اسود والصافي يقال له
أزرق والله أعلم وجعل عبد الله على تلك القواعد ستورا فطاف الناس بتلك الستور حتى بني عليها
وارتفع البناء وزاد في ارتفاعها على ما كانت عليه في بناء قريش تسعة أذرع فكانت سبعا
وعشرين ذراعا زاد بعضهم وربع ذراع وبناها على مقتضى ماحدثته به خالته عائشة رضي الله
تعالى عنها فادخل فيه الحجر أي لانه يجوز أن يكون ادخال الحجر هو الذي سمعه من عائشة فعمل به
دون غير ذلك من الروايات المتقدمة الدال على ان الحجر ليس من البيت وانما منه ستة أذرع وشبر
أو قريب من سبعة أذرع وفيه ان هذا أي قوله فادخل فيه الحجر هو الموافق لما تقدم من ان
قريشا أخرجت منها الحجر وهو واضح ان كان وجد الاساس خارجا عن جميع الحجر وأما اذا لم يكن
خارجا عن جميع الحجر كيف يتعداه ولا يبنى عليه اعتمادا على ماحدثته به خالته عائشة رضي الله
تعالى عنها على انه سيأتي عن نص حديث عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لها
فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوا فهلمي لاريك ماتركوا منه فاراها قريبا من ستة أذرع
فليتأمل وجعل لها خلفا أي بابا من خلفها وألصقه بالاس كالمقابل له قال ولما ارتفع البناء الى
مكان الحجر الاسود وكان في وقت الهدم وجد مصدعا بسبب الحريق كما تقدم فشده بالفضة ثم
جعله في ديباجة وأدخله في تابوت وأقفل عليه وأدخله دار الندوة فحين وصل البناء الى محله
أمر ابنه حمزة وشخصا آخر ان يحملاه ويضعاه محله وقال اذا وضعتماه وفرغتماه فكبرا حتى
أسمعكما فاخفف صلاتي فانه صلى بالناس بالمسجد اغتناما لشغلهم عن وضعه لما أحس منهم
بالتنافض في ذلك أي ان كل واحد يريد ان يضعه وخاف الخلاف فلما كبرا تسامع الناس بذلك
فغضب جماعة من قريش حيث لم يحضرهم وكون الحجر وجد مصدعا بسبب الحريق وكون ابن
الزبير شده كذلك بالفضة لا ينافي ما وقع بعد ذلك من ان أبا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة
ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون ان لا غسل من الجنابة وحل الخمر وانه
لا صوم في السنة الا يومي النيروز والمهرجان ويزيدون في أذانهم وان محمد بن الحنفية رسول الله
وان الحج والعمرة الى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال وأهل البراري وقويت شوكتهم
حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده أبي طاهر فان ولده أبا طاهر بنى دارا بالكوفة
وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب
وكثرت أتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بني العباس غير
مامرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج الى مكة فوافاهم أبو طاهر يوم التروية فقتل
الحجيج بالمسجد الحرام وفي جوف الكعبة قتلا ذريعا وألقى القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر
الاسود بدبوسه فكسره ثم اقتلعه وأخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وشققها بين أصحابه
وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد ان أقام بها أحد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقي عند
القرامطة أكثر من عشرين سنة أي والناس يضعون أيديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون
ألف دينار فأبوا حتى أعيد في خلافة المطيع وهو الرابع والعشرون من خلفاء بني العباس
فاعيد الحجر الى موضعه وجعل له طوق فضة شد به زنته ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعون درهما

ونصف

أنت مني أبياتا الى ذلك النبي قلت نعم فذكر أبياتا فقدمت مكة وقد بعث صلى الله عليه وسلم فجاءني صناديد قريش فقلت نابكم أوظهر
فيكم أمر قالوا أعظم الخطب يتيم أبي طالب يزعم انه نبي ولولا أنت ما انتظرنا به والكفاية فيك فصرفتهم على أحسن شيء وذهبت الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الى فقلت يا محمد قد حث منازل أهلك وتركت دين آبائك فقال
اني رسول الله اليك والى الناس
كلهم فآمن بالله قلت وما دليلك
قال الشيخ الذي لقيته باليمن قلت
وكم لقيت من شيخ باليمن قال الذي
أفادك الابيات قلت ومن أخبرك
بهذا يا حبيبي قال الملك المعظم
الذي يأتي الانبياء قبلي قلت مد
يدك فأنا أشهد أن لا اله الا الله
وانك رسول الله صلى الله عليك وسلم
فانصرفت وقد سر رسول الله
صلى الله عليه وسلم باسلامي وفي
رواية فانصرفت ومابين لابتيها
أشد سرورا مني باسلامي ولا أشد
سرورا باسلامي من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الزرقاني يمكن الجمع
بينه وبين ماتقدم من انه بلغه أمر
النبي صلى الله عليه وسلم عند
اجتماعه بحكيم بن حزام بأن سفره
لليمن قبل البعثة كما صرح به
ورجوعه بعد اسلام خديجة
وتحقق الامر عندها بلقي صناديد
قريش عند وصوله ثم اجتمع بحكيم
ابن حزام وسمع الخبر عنده من
الجارية فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم وأظهر اسلامه بين يديه
ولما أسلم أظهر اسلامه للناس
ودعا الى الله ورسوله وفي السيرة
الحلبية ان أبا بكر رضي الله عنه
لم يسجد لصنم قط وكان نقش خاتمه
رضي الله عنه نعم القادر الله وخاتم
عمر كفى بالموت واعظا يا عمر وخاتم
عثمان آمنت بالله مخلصا وخاتم
علي الملك لله وخاتم أبي عبيدة الحمد
لله وفي المواهب وشرحها روى عن الحسن أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين
كيف سبق المهاجرون والانصار الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنت أسبق سابقة الى الاسلام وأورى منه منقبة فقال له علي رضي الله
عنه ويلك ان أبا بكر رضي الله عنه سبقني الى أربع لم أوتهن ولم اعتض منهن بشيء سبقني الى افشاء الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته

ونصف قال بعضهم تأملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض وطوله
قدر عظم الذراع وبعد القرامطة في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة قام رجل من الملاحدة
وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت
منه شظيات مثل الاظفار وخرج مكسره أسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب
الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوه في تلك الشقوق وطلوه
بطلاء من ذلك وجعل طول الباب أحد عشر ذراعا وللباب الآخر بازائه كذلك فلما فرغ من
بنائها خلقها من داخلها وخارجها بالخلوق أي الطيب والزعفران وكساها القباطي أي وهي
ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر وفي كلام بعضهم أول من كسا الكعبة الديباج عبد الله
ابن الزبير (أقول) وبناء عبد الله الكعبة من جملة اعلام النبوة لانه من الاخبار بالمغيبات في
نص حديث عائشة رضي الله تعالى عنها فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوه فهلمي لاريك
ماتركوا منه فاراها قريبا من ستة أذرع وتقدم ان هذا يرد قول بعضهم ان ابن الزبير أدخل في
بنائه جميع الحجر قال بعضهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تصريح بالاذن في ان يفعل ذلك بعده
صلى الله عليه وسلم عند القدرة عليه والتمكن منه وقد قال المحب الطبري وهذا الحديث يعني
حديث عائشة رضي الله تعالى عنها يدل تصريحا وتلويحا على جواز التغيير في البيت اذا كان
لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة قال الشهاب ابن حجر الهيتمي ومن الواضح البين ان
ماوهي وتشقق منها في حكم المنهدم أو المشرف على الانهدام فيجوز اصلاحه بل يندب بل يجب
هذا كلامه وفي شعبان سنة تسع وثلاثين وألف جاء سيل عظيم بعد صلاة العصر يوم الخميس
لعشرين من الشهر المذكور هدم معظم الكعبة سقط به الجدار الشامي بوجهيه وانحدر معه
في الجدار الشرقي الى حد الباب ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس وهدم أكثر
بيوت مكة وأغرق في المسجد جملة من الناس خصوصا الاطفال فان الماء ارتفع الى ان سد
الابواب وعند مجيء الخبر بذلك الى مصر جمع متوليها الوزير محمد باشا وهو الوزير الاعظم
الآن أي في سنة ثلاث وأربعين وألف جمعا من العلماء كنت من جملتهم ووقعت الاشارة
بالمبادرة للعمارة وقد جعلت للوزير المذكور في ذلك رسالة لطيفة وقعت منه موقعا كبيرا
وأعجب بها كثيرا حتى انه دفعها لمن عبر عنها باللغة التركية وأرسل بها لحضرة مولانا السلطان
مراد أعز الله أنصاره وذكرت فيها ان الحق ان الكعبة لم تبن جميعها الا ثلاث مرات المرة
الاولى بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام والثانية بناء قريش وكان بينهما ألفا سنة وسبعمائة
سنة وخمس وسبعون سنة والثالثة بناء عبد الله بن الزبير أي وكان بينهما نحو اثنتين وثمانين سنة
أي وأما بناء الملائكة وبناء آدم وبناء شيث لم يصح وأما بناء جرهم والعمالقة وقصي فانما كان
ترميما ولم تبن بعد هدمها جميعها الا مرتين مرة زمن قريش ومرة زمن عبد الله بن الزبير
رضي الله تعالى عنه وحينئذ يكون ماجاء في الحديث استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل
أن يرفع وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة معناه قد يهدم مرتين ويرفع في الهدم الثالث من
الدنيا * وذكر الامام البلقيني أن كون ابن الزبير أول من كسا الكعبة الديباج أشهر من القول

فى الغار وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه وأخفيه تستحقرنى قريش وتستوفيه والله لوأن أبا بكر زال عن مرتبته
ما بلغ الدين العبرين أى الجانبين ولكن الناس كرعة ككرعة طالوت ويلك ان الله ذم الناس ومدح أبا بكر فقال الا تنصروه فقد
نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وقوله
سبقنى الى افشا الاسلام يدل
على أسبقية اسلام على رضى الله
عنه وان أبا بكر رضى الله عنه انما
سبقه الى الافشاء والتحقيق ان كلا
من أبى بكر وعلى رضى الله عنهما
بادر بالتصديق والاسلام وعلى
رضى الله عنه كان عند النبى صلى
الله عليه وسلم وفى بيته فيحتمل انه
أسلم مع اسلام خديجة رضى الله
عنها ويحتمل انه قارن اسلامه اسلام
أبى بكر رضى الله عنه ومثل ذلك
زيد بن حارثة رضى الله عنه فانه
كان مولى النبى صلى الله عليه وسلم
وكان من السابقين فى الاسلام
وكذا بلال رضى الله عنه كان من
السابقين فى الاسلام ففى بعض
الاحاديث ان أول الناس اسلاما
خديجة رضى الله عنها وفى بعضها
أبو بكر رضى الله عنه وفى بعضها
على رضى الله عنه وفى بعضها زيد
ابن حارثة رضى الله عنه وفى بعضها
بلال رضى الله عنه قال الحافظ
ابن الصلاح والاورع أن لا يطلق
القول فى تعيين أول المسلمين بل
يقال أول من أسلم من الرجال
البالغين الاحرار أبو بكر ومن
الصبيان على ومن النساء خديجة
ومن الموالى زيد بن حارثة ومن
العبيد بلال وقال المحب الطبرى
الاولى التوفيق بين الروايات كلها
وتصديقها فيقال أول من أسلم
مطلقا خديجة لم يتقدمها رجل
ولا امرأة باجماع المسلمين وأول
ذكر أسلم على بن أبى طالب وهو
صبى لم يبلغ الحلم كان مستخفيا باسلامه وأول رجل عربى بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر وأول من أسلم من
الموالى زيد بن حارثة الكلبى وروى ابن منده عن ابن عباس رضى الله عنهما ان أبا بكر رضى الله عنه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو
ابن ثمانى عشرة سنة وهم يريدون الشام فى تجارة فسمع أبو بكر رضى الله عنه كلام بحيرا الراهب وسؤاله حين قال من هذا الذى

بان أول من كساها الديباج أم العباس بن عبد المطلب كما سيأتى وجاز أن يكون عبد الله بن الزبير
كساها أولا القباطى ثم كساها الديباج والله أعلم وكان كسوتها أى فى زمن الجاهلية المسوح
والانطاع فان أول من كساها تبع الحميرى كساها الانطاع ثم كساها الثياب الحميرية أى
وفى رواية كساها الوصائل وهى برود حمر فيها خطوط خضر تعمل باليمن وفى كلام الامام
البلقينى وروى أن تبعا اليمانى لما كساها الخصف انتفضت فزال ذلك عنها فكساها المسوح
والانطاع فانتفضت فزال ذلك عنها فكساها الوصائل فقبلتها قال والوصائل ثياب موصولة
من ثياب اليمن (وفى الكشاف) كان تبع الحميرى مؤمنا وكان قومه كافرين ولذلك ذم الله
قومه ولم يذمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة
والسلام ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى هذا وقد نقل الشمس الحموى فى كتابه المناهج الزهية
والمباهج المرضية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان نبيا وقيل أول من كساها عدنان
ابن أدد وكانت قريش تشترك فى كسوة الكعبة حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة فقال لقريش أنا
أكسو الكعبة سنة وحدى وجميع قريش سنة أى وقيل كان يخرج نصف كسوة الكعبة فى
كل سنة ففعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده فى كسوة الكعبة
ويقال لبنيه بنو العدل وكانت كسوتها لا تنزع فكان كلما تجدد كسوة تجعل فوق واستمر ذلك
الى زمنه صلى الله عليه وسلم ثم كساها النبى صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية وفى كلام
بعضهم أول من كسا الكعبة القباطى النبى صلى الله عليه وسلم وكساها أبو بكر وعمر وعثمان
القباطى وكساها معاوية الديباج والقباطى والحبرات فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء
والقباطى فى آخر رمضان والاقتصار على ذلك ربما يفيد أن عطف الحبرات على القباطى من
عطف التفسير فليتأمل وكساها المأمون الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطى فكانت
تكسى الاحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبع وعشرين
من رمضان قال بعضهم وهكذا كانت تكسى فى زمن المتوكل العباسى ثم فى زمن الناصر
العباسى كسيت السواد من الحرير واستمر ذلك الى الآن فى كل سنة وكسوتها من غلة قريتين
يقال لهما بيسوس وسنديس من قرى القاهرة وقفهما على ذلك الملك الصالح اسمعيل بن
الناصر محمد بن قلاوون فى سنة نيف وخمسين وسبعمائة أى والآن زادت القرى على هاتين
القريتين والحاصل ان أول من كساها على الاطلاق تبع الحميرى كما تقدم على الراجح وذلك
قبل الاسلام بتسعمائة سنة قيل وسبب كسوة أم عمه صلى الله عليه وسلم لها الديباج أن العباس
ضل وهو صبى فنذرت ان وجدته لتكسون الكعبة فوجدته فكست الكعبة الديباج أى
وكانت من بيت مملكة وقيل أول من كساها الديباج عبد الملك بن مروان أى وهو المراد بقول
ابن اسحق أول من كساها الديباج الحجاج لان الحجاج كان من أمراء عبد الملك وقد سئل الامام
البلقينى هل تجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز اظهارها فى دوران المحمل
الشريف فأجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم لكسوتها الفاخرة التى ترجى بكسوتها
الخلع السنية فى الدنيا والآخرة ويجوز اظهارها فى دوران المحمل الشريف فان فى ذلك المناسبة

للحال

تحت الشجرة فأجابوه بانه محمد بن عبد الله فقال هذا نبى الخ ما تقدم فوقع فى قلب أبى بكر اليقين حينئذ وفى رواية لقد آمن أبو بكر
بالنبى صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اللغوى وهو اليقين بصدقه وهو ما وقر وثبت فى قلبه فلهذا كان يتوقع بعثة
النبى صلى الله عليه وسلم فلا ينافى انه أول المسلمين أو ثانيهم أو ثالثهم بعد النبوة كما تقدم قال الحلبى فى السيرة
وبنات النبى صلى الله عليه وسلم
كن موجودات عند البعثة فيبعد
تأخر ايمانهن فهن من أول الناس
ايمانا بل هن ممن لم يتقدم لهن
اشراك فلم يذكرن مع أول من
آمن اكتفاء بذلك ولايمان
أمهن ولذلك قال الحافظ ابن كثير
ان أهل بيته صلى الله عليه وسلم
آمنوا به قبل كل أحد خديجة
وبناتها وزيد وزوجته وعلى رضى
الله عنهم (وأما فاطمة) رضى الله
عنها فما ولدت الا بعد البعثة فلا
يحتاج الى التنبيه عليها وقد روى
ابن اسحق عن عائشة رضى الله
عنها قالت لما أكرم الله نبيه صلى
الله عليه وسلم بالنبوة أسلمت خديجة
وبناته صلى الله عليه وسلم وكان
أبو العاص زوج زينب عظيما
فى قريش فكلمته قريش فى
فراقها على أن يتزوج من أحب
نسائهم فأبى ولا يشكل تزويجه
بزينب ولا تزويج رقية وأم كلثوم
بولدى أبى لهب مع صيانة النبى
صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة
عن الجاهلية لان تحريم المسلمة
على الكافر لم يكن حينئذ حتى
نزل قوله تعالى ولا تنكحوا
المشركين حتى يؤمنوا وقوله تعالى
فلا ترجعوهن الى الكفار بعد
صلح الحديبية وقد كفاه الله ولدى
أبى لهب فطلقاهما قبل الدخول
ثم تزوجتا بعثمان رضى الله عنه
واحدة بعد واحدة وأما أبو العاص
فأسلم وهاجر وبقيت زينب رضى الله عنها عنده وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما كلمت أحدا الا راجعنى فى الكلام وأبى على الا ابن
أبى قحافة فانى لم أكلمه فى شئ الا قبله واستقام عليه ومن ثم كان أسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا لخبر أتانى جبريل فقال ان الله أمرك
أن تستشير أبا بكر ونزل فيه وفى عمر رضى الله عنهما وشاورهم فى الامر فكان أبو بكر رضى الله عنه بمنزلة الوزير من رسول الله صلى الله

للحال المنيف هذا كلامه أى وأول من حلى بابها بالذهب جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب
فانه لما حفر بئر زمزم وجد فيها الاسياف والغزالتين من الذهب فضرب الاسياف بابا لها
وجعل فى ذلك الباب الغزالتين فكان أول ذهب حليته الكعبة على ما تقدم وأول من ذهب
الكعبة فى الاسلام عبد الملك بن مروان وقيل عبد الله بن الزبير جعل على أساطينها صفائح الذهب
وجعل مفاتيحها من الذهب وجعل الوليد بن عبد الملك الذهب على الميزاب يقال انه أرسل
لعامله على مكة ستة وثلاثين ألف دينار يضرب منها على باب الكعبة وعلى الميزاب وعلى
الاساطين التى داخلها وعلى أركانها من داخل وذكر ان الامين بن هرون الرشيد أرسل الى
عامله بمكة بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على بابى الكعبة فقلع ما كان على
الباب من الصفائح وزاد عليها ذلك وجعل مساميرها وحلقتى الباب والعتب من الذهب وان
أم المقتدر الخليفة العباسى أمرت غلامها لؤلؤا ان يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبا ففعل
(وقال عبد الله) بن الزبير لما فرغ من بنائها من كان لى عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم ومن
قدر ان ينحر بدنة فليفعل فان لم يقدر فشاة ومن لم يقدر فليتصدق بما تيسر وأخرج مائة بدنة فلما
طاف استلم الاركان الاربعة جميعا فلم تزل الكعبة على بناء عبد الله بن الزبير تستلم أركانها الاربعة
أى لانها على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويدخل اليها من باب ويخرج من باب حتى
قتل أى قتله شخص من جيش الحجاج بحجر رماه به فوقع بين عينيه فقتل وهو بالمجدلان
الحجاج كان أميرا على الجيش الذى أرسله عبد الملك بن مروان لقتاله وكتب عبد الملك بن مروان
الى الحجاج أن اهدم ما زاده ابن الزبير فيها أى يهدم البناء الذى جعله على آخر الزيادة التى أدخلها
فى الكعبة وكانت قريش أخرجتها بدليل قوله وردها الى ما كانت عليه وسد الباب الذى فتح أى
وأن يرفع الباب الاصلى الى ما كان عليه زمن قريش واترك سائرها أى لانه اعتقد أن ابن الزبير
فعل ذلك من تلقاء نفسه فكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بأن عبد الله بن الزبير وضع البناء على
أس قد نظر اليه العدول من أهل مكة أى وهم خمسون رجلا من وجوه الناس وأشرافهم كما
تقدم فكتب اليه عبد الملك لسنا من تخبيط ابن الزبير فى شئ فنقض الحجاج ما أدخل من الحجر
وسد الباب الثانى أى الذى فى ظهر الكعبة عند الركن اليمانى ونقص من الباب الاول خمسة
أذرع أى ورفعه الى ما كان عليه فى زمن قريش فبنى تحته أربعة أذرع وشبرا وبنى داخلها
الدرجة الموجودة اليوم (وفى لفظ) أن الحجاج لما ظفر بابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان
يخبره أن ابن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس فيها وأحدث فيها بابا آخر واستأذن فى رد ذلك على
ما كانت عليه فى الجاهلية فكتب اليه عبد الملك أن يسد بابها الغربى ويهدم ما زاد فيها من الحجر
ففعل ذلك الحجاج فسائرها قبل وقوع هذا الهدم بالسيل الواقع فى سنة تسع وثلاثين بعد الالف
وبنيانه على بنيان ابن الزبير الا الجانب الذى يلى الحجر فانه من بنيان الحجاج أى والبناء الذى تحت
العتبة وهو أربعة أذرع وشبر فان باب الكعبة كان على عهد العمالقة وجرهم وابراهيم عليه
الصلاة والسلام لاصقا بالارض حتى رفعته قريش كما تقدم وما سد به الباب الغربى والردم كان
بالحجارة التى كانت داخل أرض الكعبة أى التى وضعها عبد الله بن الزبير أى ولعله انما وضع فى

عليه وسلم فكان يشاوره في أموره كلها وقد جاء ان الله أيدني بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض أبي بكر وعمر وفي حديث صحيح ان الله يكره ان يخطأ أبو بكر وأما ورقة بن نوفل فقد تقدم الكلام عليه وان بعضهم عده في الصحابة وجعله أول من أسلم وبعضهم قال انه مات على ما كان عليه من شريعة عيسى عليه السلام وبعضهم جعله من أهل الفترة (وأما عمر) بن الخطاب رضي الله عنه فسيأتي ذكر اسلامه في باب بيان تعذيب قريش للمستضعفين بعد ذكر هجرة الناس الى الحبشة وسيأتي أيضا ان اسلامه انما كان بعد الهجرة الاولى وقيل الثانية في السنة السادسة من المبعث (وأما عثمان) بن عفان رضي الله عنه فيأتي ذكر اسلامه قريبا في عداد من أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه (وأما حمزة) بن عبد المطلب رضي الله عنه فسيأتي ذكر قصة اسلامه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من كفار قريش من الاذايا لان بعض تلك الاذايا كان سبب اسلامه رضي الله عنه وسيأتي أيضا ان اسلامه كان في السنة الثانية من النبوة وقيل في السادسة ﴿ثم أسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه﴾ وتقدم ان بعضهم جعل اسلامه أسبق من اسلام أبي بكر رضي الله عنه وتقدم الجمع بين الاقوال بأنه أول من أسلم من الصبيان وان أبا بكر أول من أسلم من الاحرار البالغين وعن سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول الناس ورودا على الحوض أولها اسلاما علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولما زوجه النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها قال لها زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة وانه لاول أصحابي اسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وكان حين أسلم لم يبلغ الحلم كان سنه ثمان سنين وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه يطعمه ويقوم بأمره لان قريشا كان أصابهم قحط شديد وكان أبو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه ان أخاك أبا طالب كثير

ذلك المحل الحجارة التي تصلح للبناء فلا ينافي ما أخبرني به بعض الثقات أن بعض بيوت مكة كان فيها بعض الحجارة التي أخرجت من الكعبة زمن عبد الله بن الزبير ويقال ان ذلك البيت الذي كان فيه تلك الحجارة كان بيتا لعبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه وبناء الحجاج كان في السنة التي قتل فيها عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه وهي سنة ثلاث وسبعين (قيل) ولما دخل عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه وهو محاصر حاصره الحجاج خمسة أشهر وقيل سبعة أشهر وسبع عشرة ليلة على أمه أسماء رضي الله تعالى عنهما قبل قتله بعشرة أيام وهي شاكية أي مريضة فقال لها كيف تجدينك يا أمه قالت ما أجدني الا شاكية فقال لها ان في الموت لراحة فقالت لعلك تبغيه لي ما أحب أن أموت حتى يأتي علي أحد طرفيك اما قتلت واما ظفرت بعدوك فقرت عيني ولما كان اليوم الذي قتل فيه دخل عليها في المسجد فقالت له يا بني لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذي تخافه القتل فوالله لضربة بالسيف في عز خير من ضربة سوط في ذل ويقال ان الناس لا زالوا ينتقلون عن ابن الزبير الى الحجاج لطلب الامان وهو يؤمنهم حتى خرج اليه قريب من عشرة آلاف حتى كان من جملة من خرج اليه حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير وأخذا لانفسهما أمانا من الحجاج فأمنهما ودخل عبد الله على أمه فشكا لها خذلان الناس له وخروجهم الى الحجاج حتى أولاده وأهله وانه لم يبق معه الا اليسير والقوم يعطونني ما شئت من الدنيا فما رأيك فقالت يا بني أنت أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق وتدعو الى حق فاصبر عليه فقد قتل أصحابك عليه ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بني أمية وان كنت انما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك كم خلودك في الدنيا فدنا منها وقبل رأسها وقال والله ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني الى الخروج الا الغضب لله أن تستحل حرمته وبعد أن قتل وصلب على الجذع فوق الثنية ومضت ثلاثة أيام جاءت أمه أسماء رضي الله تعالى عنها تقاد لان بصرها كان قد كف حتى وقفت عليه فدعت له طويلا ولم يقطر من عينها دمعة وقالت للحجاج أما آن لهذا الراكب أن ينزل فقال لها الحجاج المنافق رأيت كيف نصر الله الحق وأظهره ان ابنك ألحد في هذا البيت وقد قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وقد أذاقه الله ذلك العذاب الاليم (وفي كلام) سبط ابن الجوزي أن ابن الزبير لما قال لعثمان رضي الله تعالى عنه وهو محاصر ان عندي نجائب أعددتها لك فهل لك أن تنجو الى مكة فانهم لا يستحلونك بها قال له عثمان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل في الحرم من قريش أو بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا (وفي رواية) قال له لا لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه مثل نصف أوزار الناس هذا كلامه وعندي أن المراد بعبد الله الحجاج لا ابن الزبير ولا مانع أن يكون الحجاج من قريش على ان الذي في الصواعق لابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى أن القائل لعثمان ذلك المغيرة ابن شعبة ولما سمعت سيدتنا أسماء رضي الله تعالى عنها الحجاج يقول في ولدها المنافق قالت له كذبت والله ما كان منافقا ولكنه كان صواما قواما برا كان أول مولود ولد في الاسلام بالمدينة

العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تأخذ أنت واحدا وأنا واحدا فجاآ اليه وقالا له انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لي عقيلا وطالبا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تولى تسمية علي النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وغذاه أياما من ريقه المبارك يمصه لسانه فعن فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنها انها قالت لما ولدته سماه صلى الله عليه وسلم عليا وبصق في فيه ثم انه ألقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد فدعونا له محمدا فألقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله تعالى وعنها رضي الله عنها انها أرادت في الجاهلية ان تسجد لهبل وهي حامل بعلي رضي الله عنه فتقوس في بطنها ومنعها من ذلك وكان علي رضي الله عنه اصغر اخوته فكان بينه وبين أخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر وأخيه عقيل كذلك وبين عقيل وأخيه طالب كذلك فكل واحد أكبر من الذي بعده بعشر سنين فأكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي وكلهم أسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل رضي الله عنه احبك حبين حبا لقرابتك وحبا لما كنت أعلم من حب عمي اياك ﴿وسبب اسلام علي رضي الله عنه﴾ انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة رضي الله عنها وهما يصليان سرا فقال ما هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فأدعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال علي رضي الله عنه هذا امر لم اسمع به قبل اليوم فلست بقاض امرا حتى احدث ابا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفشي عليه سره قبل ان يستعلن امره فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث علي

وسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحا به كان عاملا بكتاب الله حافظا لحرم الله يبغض أن يعصى الله عز وجل قال الاصمعي فانك عجوز قد خرفت قالت والله ما خرفت ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير أما الكذاب فقد رأيناه تعني المختار بن أبي عبيد الثقفي والي العراق فانه لما قتل الحسين رضي الله تعالى عنه اتفق مع طائفة من الشيعة ممن كان خذل الحسين ولما قتل ندموا على ذلك فوافقوا المختار على مقاتلة من قتل الحسين من أهل الكوفة فتوجهوا اليه وقتلوا جميع من قاتل الحسين وملكوا الكوفة وشكر الناس للمختار ذلك ثم قالت وأما المبير فأنت المبير ولما بلغ عبد الملك ما قاله الحجاج لاسماء كتب اليه يلومه على ذلك أي ومن ثم أرسل اليها الحجاج فأبت أن تأتيه فأعاد اليها الرسول وقال اما أن تأتيني أولا بعثن اليك من يسحبك بقرونك فأبت وقالت والله لا آتيك حتى تبعث الي من يسحبني بقروني فعند ذلك أخذ نعليه ومشى حتى دخل عليها فقال يا أمه ان أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة فقالت لست لك بأم ولكني أم المصلوب على رأس الثنية وما لي من حاجة ولكن انتظر حتى أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت فقال الحجاج مبير للمنافقين ومن كذب المختار أنه ادعى النبوة وانه يأتيه الوحي ويسر ذلك لاحبابه (وفي دلائل النبوة للبيهقي) عن بعضهم قال كنت أقوم بالسيف على رأس المختار بن أبي عبيد فسمعته يوما يقول قام جبريل عن هذه النمرقة وفي رواية من على هذا الكرسي فأردت أن أضرب عنقه فتذكرت حديثا حدثنيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه ولعل هذا مستند ما نقل عن كتاب الاملاء لامامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من القول بأن المسلم يقتل بالمستأمن وقد كتب المختار للاحنف بن قيس وجماعته وقد بلغني انكم تسمونني الكذاب وقد كذب الانبياء من قبلي ولست بخير منهم وقد كان يقع منه أمور تشبه الكهانة منها أنه لما جهز جيش القتال عبيد الله بن زياد المجهز للجيش لمقاتلة الحسين رضي الله تعالى عنه كما تقدم قال لاصحابه في غد يأتي اليكم خبر النفير وقتل ابن زياد فكان كما أخبر وجيء برأس ابن زياد وألقيت بين يدي المختار وكان قتله يوم عاشوراء اليوم الذي قتل فيه الحسين ثم قتل المختار وكان قتل المختار على يد مصعب بن الزبير وجيء برأس المختار بين يدي مصعب لما ولي العراق من جانب أخيه لابيه عبد الله بن الزبير (ومما يؤثر) عن مصعب العجب من ابن آدم كيف يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين ثم قتل مصعب وقطعت رأسه ووضعت بين يدي عبد الملك بن مروان وعن بعضهم أنه حدث عبد الملك فقال له يا أمير المؤمنين دخلت القصر قصر الامارة بالكوفة فاذا رأس الحسين على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله بن زياد على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدي المختار والمختار على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ومصعب بن الزبير على السرير ثم دخلت بعد ذلك بحين فرأيت رأس

ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فأصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم على يديه وذلك فى اليوم الثانى من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة رضى الله عنها وهو يوم الثلاثاء كما فى سيرة الدمياطى لان صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة رضى الله عنها كانت آخر يوم الاثنين

وكان على رضى الله عنه يخفى اسلامه خوفا من أبيه الى أن اطلع عليه

مصعب بن الزبير بين يديك وأنت على السرير فقال عبد الملك لا أراك الله الخامسة ثم أمر بهدم ذلك القصر (وعن امامنا الشافعى) رضى الله تعالى عنه ان أبا الحجاج لما دخل بأم الحجاج واقعها فنام فرأى قائلا يقول له فى المنام ما أسرع ما أنجبت بالمبير (وفى كلام سبط ابن الجوزى) ان أم الحجاج كانت قبل أبيه مع المغيرة بن شعبة فطلقها بسبب أنه دخل عليها يوما فوجدها تتخلل حين انفتلت من صلاة الصبح فقال لها ان كنت تتخللين من طعام البارحة انك لقذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت قالت والله ما فرحنا اذ كنا ولا أسفنا اذ بنا ولا هو شىء مما ظننت ولكنى استكت فأردت أن أتخلل من السواك فندم المغيرة على طلاقها فخرج فالتقى يوسف بن أبى عقيل والد الحجاج فقال له هل لك الى شىء أدعوك اليه قال وماذاك قال انى نزلت عن سيدة نساء ثقيف وهى الفارعة فتزوجها تنجب لك فتزوجها فولدت له الحجاج (وفى حياة الحيوان) أنها كانت قبل أبى الحجاج عند أمية بن أبى الصلت هذا كلامه وقد يقال لا مانع أنها تزوجت الثلاثة وان تزوجها الأمية كان قبل المغيرة وكونها سيدة نساء ثقيف يبعد القول بأنها المتمنية التى مر بها سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه وهى تنشد * هل من سبيل الى خمر فأشربها * الابيات وأنه كان يعير بها فيقال له ابن المتمنية وفى مدة صلب عبد الله بن الزبير صارت أمه تقول اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى بجثته وذهب أخوه عروة بن الزبير الى عبد الملك بن مروان يسأل فى انزاله عن الخشبة فاجابه وأنزله قال غاسله كنا لا نتناول عضوا من أعضائه الا جاء معنا فكنا نغسل العضو ونضعه فى أكفانه وقامت فصلت عليه أمه وماتت بعده بجمعة ذكر ذلك فى الاستيعاب وقيل بعده بمائة يوم قال الحافظ ابن كثير وهو المشهور وبلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل وقتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلا منهم من سال دمه فى جوف الكعبة وكان من جملة من قتل عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحى قتل يوم قتل ابن الزبير وقطع رأسه وبعث الحجاج برأسه ورأس ابن الزبير الى المدينة فنصبوهما وصاروا يقربون رأس عبد الله بن صفوان الى رأس ابن الزبير كأنه يساره يلعبون بذلك ثم بعثوا بهما الى عبد الملك بن مروان (ولما) وضعت رأس عبد الله بن الزبير بين يدى عبد الملك سجد وقال والله كان أحب الناس الى وأشدهم الى الفا ومودة ولكن الملك عقيم أى فان الرجل يقتل ابنه أو أخاه على الملك فاذا فعل ذلك انقطعت بينهما الرحم وستأتى مدحة عبد الملك لعبد الله بن الزبير وتوبيخ أمير الجيش الذى أرسله يزيد لقتاله وقد كان ابن الزبير قال لعبد الله ابن صفوان انى قد أقلتك بيعتى فاذهب حيث شئت فقال انما أقاتل عن دينى وكان سيدا شريفا مطاعا حليما كريما قتل وهو متعلق بأستار الكعبة وحينئذ يشكل كونه حرما آمنا ومما يدل لما تقدم من أن عبد الله بن الزبير كان عنده سوء خلق ما حكى أنه جاء اليه شخص فقال له ان الناس على باب عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما يطلبون العلم وان الناس على باب أخيه عبيد الله يطلبون الطعام فأحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس فما أبقيا لك مكرمة فدعا نضصا وقال له انطلق الى ابنى العباس رضى الله تعالى عنهم وقل لهما يقول لكما أمير المؤمنين اخرجا عنى والا فعلت وفعلت فخرجا الى الطائف أى وقيل ما خرج عبد الله من مكة الى الطائف

وأمره بالثبات عليه فأظهره حينئذ وفى أسد الغابة لابن الاثير ان أبا طالب رأى النبى صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه يصليان وعلى على يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك فصل على يساره فأسلم جعفر رضى الله عنه وكان اسلامه بعد اسلام أخيه على رضى الله عنه بقليل وكان اسلام على رضى الله عنه قبل بلوغه الحلم بل قيل ان عمره حينئذ ثمان سنين وقيل عشر ومما كتبه على رضى الله عنه لمعاوية رضى الله عنه

محمد النبى أخى وصهرى
وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يضحى ويمسى
يطير مع الملائكة ابن امى
وبنت محمد سكنى وعرسى
مشوب لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ابناى منها
فمن منكم له سهم كسهمى
سبقتكم الى الاسلام طرا
صغيرا ما بلغت أوان حلمى

قال البيهقى هذا الشعر مما يجب على كل متوان فى على رضى الله عنه حفظه ليعلم مفاخره فى الاسلام وزعم المازنى وصوبه الزمخشرى ان عليا رضى الله عنه لم يقل غير بيتين هما

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى
فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم
بذات ودقين لا يعفو لها أثر

الا ذكره فى القاموس قال الزرقانى وهو مردود بما فى مسلم فى غزوة خيبر من قول على رضى الله عنه مجيبا لمرحب اليهود

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره * أوفيهم بالصاع كيل السندره

وروى الزبير ابن بكار فى عمارة المسجد النبوى عن أم سلمة رضى الله عنها انها قالت قال على رضى الله عنه

لا يستوى من يعمر المساجدا *

يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

ولم يتقدم من على رضى الله عنه شرك أبدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كفالته كأحد أولاده تبعه فى جميع أموره وفى الحديث ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلى بن أبى طالب وآسية امرأة فرعون وفى حديث آخر سباق الاسلام ثلاثة لم يكفروا بالله

طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون

الا ان الله تعالى يقول ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فقد قال الشيخ محيى الدين ابن العربى اعلم أن الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التى لا تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد ورد ان الله يؤاخذ فيه من يرد فيه بالحاد بظلم وكان هذا سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه لانه ليس فى قدرة الانسان أن يدفع عن قلبه الخواطر قال بعضهم كان يقال من أراد الفقه والجمال والسخاء فليأت دار العباس الجمال للفضل والسخاء لعبيد الله والفقه لعبد الله قال ولما جاء عبد الملك أى وذلك فى سنة خمس وسبعين قال له الحرث أنا أشهد لابن الزبير بالحديث الذى سمعه من خالته عائشة رضى الله تعالى عنها قال أنت سمعته منها قال نعم فجعل ينكت بالمنقاة فوق بقضيب كان فى يده الارض ساعة ثم قال وددت انى كنت تركته يعنى ابن الزبير وما تحمل وفى رواية ان عبد الملك كتب الى الحجاج وددت انك تركت ابن الزبير وما تحمل وهذا هو الموافق لما فى تاريخ الازرقى أن الحرث وفد على عبد الملك بن مروان فى خلافته فقال له عبد الملك ما أظن أبا خبيب يعنى ابن الزبير سمع من عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان يزعم انه سمع منها فى بناء الكعبة قال الحرث أنا سمعته منها قال عبد الملك أنت سمعته منها الحديث وكون عائشة حدثت ابن الزبير بما ذكر لا ينافى ما فى تاريخ ابن كثير عن بعضهم قال سمعت ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما يقول حدثتنى أمى أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الحديث وفى رواية أن عائشة رضى الله تعالى عنها نذرت ان فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تصلى فى البيت ركعتين فلما فتحت مكة أى وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فسألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يفتح لها باب الكعبة ليلا فجاء عثمان ابن طلحة بالمفتاح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انها لم تفتح ليلا قط قال فلا تفتحها ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها وأدخلها الحجر وقال صلى ههنا فان الحطيم أى الحجر من البيت الا أن قومك قصرت بهم النفقة أى الحلال فأخرجوه من البيت ولولا حدثان قومك بالجاهلية لنقضت بناء الكعبة وأظهرت قواعد الخليل وأدخلت الحطيم فى البيت وألصقت العتبة على الارض ولئن عشت الى قابل لأفعلن ذلك ولم يعش عليه الصلاة والسلام ولم تتفرغ الخلفاء لذلك وما ذكر يعلم ما فى قول الاصل فهدمها أى عبد الملك وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت أن الحجاج لم يبن الا الجانب الذى يليه الحجر والبناء الذى تحت العتبة والدرجة التى فى باطنها وأما التراب الذى جعل فى باطنها فيحتمل أن يكون هو التراب الذى أخرجه عبد الله بن الزبير واستمر باقيا فأعاده الحجاج ويحتمل أنه غيره ولم أقف على بيان ذلك فى كلام أحد والشاذروان الذى أخرجه عبد الله بن الزبير من عرض الاساس الذى بنته قريش لاجل مصلحة استمساك البناء وثباته ومن العجب ما حدث به بعضهم قال كنت أميرا على الجيش الذى بعث به يزيد بن معاوية الى عبد الله بن الزبير بمكة فدخلت مسجد المدينة فجلست بجانب عبد الملك بن مروان فقال لى عبد الملك أنت أمير هذا الجيش قلت نعم قال ثكلتك أمك أتدرى الى من تسير تسير الى أول مولود ولد فى الاسلام أى بالمدينة من أولاد

وحبيب النجار صاحب يس وعلى ابن أبى طالب رضى الله عنهم والمراد من عدم كفره انه لم يسجد لصنم قط وتقدم ان أبا بكر رضى الله عنه كذلك ولما علم أبو طالب باسلام على رضى الله عنه وصلاته مع النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه أى بنى ما هذا الذى أنت عليه فقال يا أبت آمنت بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له اما انه لم يدعك الا الى الخير فالزمه ويذكر عنه انه كان يقول انى لاعلم ان ما يقوله ابن أخى لحق ولولا انى أخاف ان تعيرنى نساء قريش لاتبعته وعن ابن اسحق ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب رضى الله عنه مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا أمسيا رجعا كذلك ثم ان أبا طالب عثر اى اطلع عليهما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى ما هذا الذى أراك تدين به قال هذا دين الله وملائكته ورسله ودين ابينا ابراهيم بعثنى الله به رسولا الى العباد وأنت احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من اجابنى الى الله تعالى وأعاننى عليه فقال له أبو طالب انى لا أستطيع ان افارق دين آبائى وما كانوا عليه وفى رواية انه قال له ما بالذى تقول من بأس ولكن والله لا تعلونى استى ابدا وهذا ينبغى ان يكون صدر منه قبل ان يقول لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى وعليا على يمينه لكن يروى عن على رضى الله عنه انه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة يعنى الركعتين بالغداة والركعتين بالعشى ورآنى أصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال

ماهذا الفعل الذى أرى فلما اخبرناه قال هذا حسن ولكن لا افعله ابدا الا انى لا أحب ان تعلونى استى فلما تذكرته الآن ضحكت وتقدم الكلام على أبى طالب فارجع اليه ان شئت ومناقب على وفضائله رضى الله عنه أفردت بالتأليف كبقية العشرة فلا حاجة الى التطويل بها ثم أسلم بعد اسلام على رضى الله عنه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له خديجة رضى الله عنها لما تزوج بها وكان اشتراه لها ابن أخيها حكيم بن حزام بن خويلد ممن سباه من الجاهلية لان عمته خديجة رضى الله عنها امرته ان يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع وعمره ثمان سنين وقد أسر من أخواله طيئ قال السهيلى ان امه خرجت به تريد أهلها فأصابتها خيل فأخذته فباعوه فاشتراه حكيم وقيل اشتراه من سوق حباشة بأربعمائة درهم ويقال بستمائة درهم فلما رأته خديجة رضى الله عنها أعجبها فأخذته ولعل هذا مراد من قال وباعه من عمته خديجة أى اشتراه لها فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عندها اعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحى وقيل ان الذى اشتراه لخديجة رضى الله عنها النبى صلى الله عليه وسلم فانه جاء الى خديجة رضى الله عنها فقال رأيت غلاما بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه ولو كان لى ثمن لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال انه لو كان لى لاعتقته قالت هو لك فأعتقه قال أبو عبيدة لم يكن اسمه زيدا لكن النبى صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حين تبناه وهو اسم جده قصى ثم انه خرج بابل لابى طالب الى الشام فمر بأرض قومه فعرفه عمه قال فقام اليه فقال من أنت يا غلام قال غلام من أهل مكة قال من أنفسهم قال لا قال فحر أنت أم مملوك قال مملوك قال عربى انت أم عجمى قال عربى قال ممن أهلك قال من كلب قال من أى كلب قال من بنى عبدود قال ويحك ابن من أنت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال

المهاجرين والى ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابن ذات النطاقين يعنى أسماء والى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله ان جئته نهارا وجدته صائما وان جئته ليلا وجدته قائما فلو أن أهل الارض أطبقوا على قتله لا كبهم الله فى النار جميعا فلما صارت الخلافة الى عبد الملك وجه اليه الحجاج حتى قتلاه وذكر بعضهم ان عبد الملك بن مروان لما رأى جيش يزيد متوجها الى مكة قال أعوذ بالله أيبعث الجيش الى حرم الله فضرب منكبه شخص كان يهوديا وأسلم وكان يقرأ الكتب وقال له جيشك اليه أعظم ويقال ان هذا اليهودى مر على دار مروان والد عبد الملك هذا فقال ويل لامة محمد من أهل هذه الدار أى لان مروان كان سببا لقتل عثمان وعبد الملك ابنه كان سببا لقتل عبد الله بن الزبير ووقع من الوليد بن يزيد بن عبد الملك الامور الفظيعة (وسبب ولاية الحجاج) على الجيش انه قال لعبد الملك بن مروان رأيت فى منامى انى أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فولنى قتاله فولاه وأرسله فى جيش كثيف من أهل الشام فحضر ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق ولما رمى به أرعدت السماء وأبرقت فخاف أهل الشام فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة وأنا ابن تهامة ثم قام ورمى المنجنيق بنفسه فزاد ذلك ولم تزل صاعقة تتبعها أخرى حتى قتلت اثنى عشر رجلا فخاف أهل الشام زيادة قال بعضهم ولا زال الحجاج يحضهم على الرمى بالمنجنيق ولم تزل الكعبة ترمى بالمنجنيق حتى هدمت وحرقت أستارها حتى صارت كالفحم أى وفيه أنه لو كانت هدمت أو حرقت لاعيد بناؤها أو أصلحت بالترميم ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعى على نقله ولعل هذا اشتبه على بعض الرواة ظن ان الذى وقع من جيش يزيد وقع من الحجاج (فان قيل) هلا أهلك الله من نصب المنجنيق على الكعبة كما أهلك أبرهة (قلنا) لان من نصب المنجنيق لم يرد هدم الكعبة بخلاف أبرهة كما تقدم وفيه انه قد يشكل كونه حرما آمنا وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير أى وأمره بأن يخرج الى الطائف ويهدده على ما تقدم قلت أبوه الزبير وأمه أسماء وخالته عائشة وجده أبو بكر وجدته صفية وفى رواية عنه أنه قال أما أبوه فحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الزبير وأما جده فصاحب الغار يريد أبا بكر وأما أمه فذات النطاقين يريد أسماء وأما خالته فأم المؤمنين يريد عائشة وأما عمته فزوج النبى صلى الله عليه وسلم يريد خديجة وأما عمة النبى صلى الله عليه وسلم فجدته يريد صفية ثم عفيف فى الاسلام وقارئ للقرآن ولما قتل عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فجمع الحجاج الناس وخطبهم وقال فى خطبته أيها الناس ان ابن الزبير كان من اخيار هذه الامة الا أنه نازع الحق أهله ان الله خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسكنه جنته فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته وآدم أكرم على الله من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة اذكروا الله يذكركم (ومن أعلام نبوته) صلى الله عليه وسلم ما روى ان عبد الله بن الزبير لما ولد نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فلما سمعت بذلك أمه أمسكت عن ارضاعه فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه (وفى حياة الحيوان) العرب اذا ارادوا مدح الانسان قالوا كبش واذا أرادوا ذمه قالوا تيس ومن ثم

وأين اصبت قال فى أخوالى قال من أخوالك قال طيئ قال ما اسم امك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا اباه فقال يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه وقال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرنى على أهله وولده ورزقت منه حبا فلا اصنع الا ما شئت فركب معه أبوه وعمه وأخوه وفى رواية ان ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا فأعلموا اباه ووصفوا له مكانه فجاء أبوه وعمه (قال الحلبى) وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اجتماعه بعمه وأبيه كان بعد اخبار أولئك الناس فلما جاء أهله فى طلبه ليفدوه خيره رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى أهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ لما قدم أبوه وعمه فى فدائه سألا عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل هو فى المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون الاسير العانى وتطعمون الجائع جئناك فى ولدنا عندك فامنن علينا وأحسن فى فدائه فانا سندفع لك فقال وما ذاك قالوا زيد بن حارثة قال أو غير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على الذى اختارنى فداء قالوا زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال اتعرف هؤلاء قال نعم أبى وعمى ولم يذكر اخاه لاستصغاره ولان الخطاب كان معهما وفى رواية ذكرها السهيلى ان زيدا لما جاء قال صلى الله عليه وسلم من هذان قال هذا أبى حارثة ابن شرحبيل وهذا عمى كعب بن شرحبيل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انا من علمت وقد رأيت صحبتى فاخترنى أو اخترهما فقال زيد ما انا بالذى اختار عليك أحدا انت منى مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك قال نعم ما انا بالذى اختار عليه احدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى أخرجه الى الحجر الذى هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابنى ارثه ويرثنى فطابت انفسهما وانصرفا قال ابن عبد البر ان سنه حين

قال صلى الله عليه وسلم فى المحلل التيس المستعار ويقال ان الحجاج بعد قتل ابن الزبير ذهب الى المدينة وعلى وجهه لثام فرأى شيخا خارجا من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة فقال شر حال قتل ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتله قال الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله ورسله من قليل المراقبة لله فغضب الحجاج غضبا شديدا ثم قال أيها الشيخ أتعرف الحجاج اذا رأيته قال نعم ولا عرفه الله خيرا ولا وقاه ضيرا فكشف الحجاج اللثام عن وجهه وقال ستعلم الآن اذا سال دمك الساعة فلما تحقق الشيخ أنه الحجاج قال ان هذا لهو العجب يا حجاج أنا فلان اصرع من الجنون فى كل يوم خمس مرات فقال الحجاج اذهب لا شفى الله الابعد من جنونه ولا عافاه وخلوص هذا من يد الحجاج من العجب لان اقدامه على القتل ومبادرته اليه أمر لم ينقل مثله عن أحد وكان يخبر عن نفسه ويقول ان أكبر لذاتى سفك الدماء قال بعضهم والاصل فى ذلك أنه لما ولد لم يقبل ثديا فتصور لهم ابليس فى صورة الحرث بن كلدة طبيب العرب وقال اذبحوا له تيسا أسود وألعقوه من دمه وأطلوا به وجهه ففعلوا به ذلك فقبل ثدى أمه وذكر انه أتى اليه بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهى لا تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما فقال لها بعض أعوانه يكلمك الامير وأنت معرضة فقالت انى أستحى أن أنظر الى من لا ينظر الله اليه فأمر بها فقتلت وقد أحصى الذى قتل بين يديه صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا ولما عزى سيدتنا أسماء عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وأمرها بالصبر قالت وما يمنعنى من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغى من بغايا بنى اسرائيل وقد جاء ان هذا البغى أول من يدخل النار ويقال ان عبد الله بن الزبير قال لامه يوم قتل يا أماه انى مقتول من يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلمى الامر لله فان ابنك لم يعمد لاتيان منكر ولا عمل فاحشة وفى كون عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما تأخر موته عن ابن الزبير نظر فقد قيل ان عبد الله بن عمر مات قبل ابن الزبير بثلاثة أشهر وسبب موته ان الحجاج سفه عليه فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فغيره ذلك عليه فأمر الحجاج شخصا ان يسم زج رمحه ويضعه على رجل عبد الله ففعل به ذلك فى الطواف فمرض من ذلك أياما ومات ويذكر ان الحجاج دخل ليعوده فسأله عمن فعل به ذلك وقال له قتلنى الله ان لم أقتله فقال له عبد الله لست بقاتل له قال ولم قال لانك الذى أمرته وقول عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما للحجاج انك سفيه مسلط يشير الى قول أبيه عمر رضى الله تعالى عنهما فانه لما بلغه ان أهل العراق حصبوا أميرهم أى رجموه بالحجارة خرج غضبان فصلى فسهى فى صلاته فلما سلم قال اللهم انهم قد لبسوا على فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفى يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وكان ذلك قبل أن يولد الحجاج ثم رأيت فى تاريخ ابن كثير لما مات ابن الزبير واستقر الامر لعبد الملك بن مروان بايعه عبد الله بن عمر ويوافقه ما فى الدلائل للبيهقى ان ابن عمر وقف على ابن الزبير وهو مصلوب وقال السلام عليك أبا خبيب اما والله لقد كنت أنهاك عن هذا اما والله لقد كنت أنهاك عن هذا اما والله لقد كنت أنهاك عن هذا اما والله ان كنت ما علمت صواما قواما وصولا للرحم ويذكر انه كان لعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما مائة غلام لكل غلام منهم لغة لا يشاركه غيره فيها وكان يكلم كل واحد منهم بلغته وهذا أغرب مما استغرب

وهو ان ترجمان الواثق بالله من خلفاء بنى العباس كان عارفا بالسن كثيرة حتى قيل انه يعرف أربعين لغة ويمارى فيها وقد قال الحجاج لعروة بن الزبير يوما فى كلام جرى بينهما لا أم لك فقال الى تقول هذا وأنا ابن عجائز الجنة يعنى جدته صفية وعمته خديجة وخالته عائشة وأمه أسماء وقال الحجاج يوما لشخص ماتقول فى عبد الملك بن مروان فقال الرجل ما أقول فى رجل أنت سيئة من سيا ته وقد أطلق سليمان بن عبد الملك لما ولى الخلافة من سجن الحجاج سبعين ألفا قد حبسهم للقتل ليس لواحد منهم ذنب يستوجب به الحبس فضلا عن القتل وذكر انه كان يحبس الرجال مع النساء ولم يكن لحبسه بيوت أخلية فكان الرجل يبول بجانب المرأة والمرأة تبول بجانب الرجل فتبدو العورات وكان كل عشرة فى سلسلة ويطعمهم خبز الدخن مخلوطا بالملح والرماد ومر يوم جمعة فسمع استغاثة فقال ماهذا فقيل له أهل السجن يقولون قتلنا الحر فقال قولوا لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فما عاش بعد ذلك الا أقل من جمعة وآخر من قتله الحجاج من التابعين سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه ولم يقتل بعد ابن جبير الا رجلا واحدا وقال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بفرعونهم وجئناهم بالحجاج لغلبناهم وقال سليمان بن عبد الملك لرجل من أخصاء الحجاج بعد موت الحجاج أبلغ الحجاج قعر جهنم فقال يا أمير المؤمنين يجىء الحجاج يوم القيامة بين أبيك عبد الملك وبين أخيك هشام بن عبد الملك فضعه من النار حيث شئت * ومن غريب الاتفاق ماحكاه بعضهم قال مات رجل فلما وضع على مغتسله استوى قاعدا وقال نظرت بعينى هاتين وأهوى بيديه الى عينيه الحجاج وعبد الملك فى النار يسحبان بأمعائهما ثم عاد ميتا كما كان والحجاج متأصل فى الظلم فقد رأيت بعضهم حكى انه يقال فى المثل أظلم من ابن الجلندى وهو المشار اليه بقوله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وانه من اجداد الحجاج بينه وبينه سبعون جدا واستحلف الحجاج رجلا فى أمر فقال لا والذى أنت بين يديه غدا أذل منى بين يديك اليوم فقال والله انى يومئذ لذليل وأول من ضرب الدراهم فى الاسلام الحجاج بأمر عبد الملك بن مروان وكتب عليها قل هو الله أحد الله الصمد أى على أحد وجهى الدراهم قل هو الله أحد وعلى وجهه الثانى الله الصمد ولم توجد الدراهم الاسلامية الا فى زمن عبد الملك بن مروان وكانت الدراهم قبل ذلك رومية وكسروية وفى زمن الخليفة المستنصر بالله وهو السابع والثلاثون من خلفاء بنى العباس ضرب دراهم وسماها النقرة وكانت كل عشرة بدينار وذلك فى سنة أربع وعشرين وستمائة ولما دخل سليمان بن عبد الملك المدينة سأل هل بالمدينة أحد ادرك احدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أبو حازم فأرسل اليه فلما دخل عليه سأله فقال يا أبا حازم مالنا نكره الموت فقال لانكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنقلوا من عمران الى خراب فقال له وكيف القدوم على الله قال اما المحسن فكغائب يقدم على أهله وأما المسىء فكآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ياليت شعرى مالنا عند الله قال أعرض عملك على كتاب الله تعالى فقال فى أى مكان أجده فقال فى قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين قال فأى عباد الله أكرم قال أولو المروأة * وجاء اعرابى الى سليمان بن عبد الملك هذا بن فقال يا أمير المؤمنين انى أكلمك

تبناه النبى صلى الله عليه وسلم كان ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابنى وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك وكان الرجل فى الجاهلية يعاقد الرجل يقول دمى دمك وهدمى هدمك وثأرى ثأرك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثنى وأرثك تطلب بى وأطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف ثم لما استقر أمر الاسلام وظهر نسخ الله ذلك بالمواريث (وفى أسد الغابة) ان حارثة أسلم وقيل لم يثبت اسلامه الا المنذرى ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر فى القرآن من الصحابة احد باسمه الا هو رضى الله عنه فى قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا قال ابن الجوزى الا ما روى فى بعض التفاسير أن السجل الذى فى قوله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم وقد أبدى السهيلى حكمة لذكر زيد باسمه فى القرآن وهى انه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه فى القرآن دون غيره من الصحابة ولم يذكر فى القرآن امرأة باسمها الا مريم رضى الله عنها ولزيد أخ اسمه جبلة أسلم رضى الله عنه وكان أسن منه سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد فقال زيد أكبر منى وأنا ولدت قبله أى لان زيدا أفضل منه لسبقه الى الاسلام ﴿ وأول من أسلم من النساء بعد خديجة رضى الله عنها ﴾ أم الفضل زوج العباس وهى لبابة بنت الحرث الهلالية أخت ميمونة رضى الله عنها * ومن السابقات الى الاسلام أسماء بنت أبى بكر وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنها وأم أيمن بل ينبغى أن تكون سابقة على أم الفضل ﴿ بيان من أسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه ﴾ لما أسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه دعا الى الله فأسلم بدعائه خلق كثير منهم عثمان ابن عفان رضى الله عنه قال عثمان رضى الله عنه أخبرتنى خالتى سعدى بنت كريز الصحابية العبشمية رضى الله عنها ان الله أرسل محمدا

بكلام فاحتمله فان وراءه ان قبلته ما تحب فقال سليمان هاته يا اعرابى فقال الاعرابى انى أطلق لسانى بما أخرست عنه الالسن تأدية لحق الله انه قد اكتنفك رجال قد أساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما استخلفك الله عليه فانهم لن يبالوا بالامانة وأنت مسؤل عما اجترموا فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس عند الله غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان أنت ما أنت يا اعرابى فقد سللت لسانك وهو سيفك قال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك ولما حج بالناس قال لولد عمه وولى عهده عمر بن عبد العزيز ألا ترى هذا الخلق الذى لا يحصى عددهم الا الله تعالى ولا يسع رزقهم غيره فقال يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم وهم غدا خصماؤك عند الله فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال بالله أستعين وقال يوما لعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه حين أعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا أمير المؤمنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هالك وفرح لولم يعقبه ترح ولذات لولم تقترن بالآفات وكرامة لو صحبتها اسلامه فبكى سليمان رحمه الله حتى اخضلت دموعه لحيته وولاية عمر بن عبد العزيز بشر بها جده لامه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فعنه رضى الله تعالى عنه انه قال ان من ولدى رجلا بوجهه شين وفى رواية علامة يملأ الارض عدلا فكان ولده عبد الله يقول كثيرا ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر بن الخطاب فى وجهه علامة يملأ الارض عدلا وفى رواية عنه كان يقول ياعجبا يزعم الناس ان الدنيا لا تنقضى حتى يلى رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر قال بعضهم فاذا هو عمر بن عبد العزيز لان أمه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (ومما يؤثر عن سليمان رحمه الله تعالى) انه لما ولى الخلافة وقام خطيبا قال الحمد لله الذى ماشاء صنع وماشاء رفع ومن شاء وضع ومن شاء أعطى ومن شاء منع ان الدنيا دار غرور تضحك باكيا وتبكى ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وقال فى خطبة من خطبه أيضا أين الناس أين الوليد وأبو الوليد وجد الوليد اسمعهم الداعى واسترد العوارى واضمحل ما كان كأن لم يكن أذهب عنهم نابت الحياة وفارقوا القصور واستبدلوا بلين الوطى خشن التراب فهم رهناء فيه الى يوم المآب فرحم الله عبدا مهد لنفسه يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا (ولما ولى الخلافة) أبو جعفر المنصور أراد أن يبنى الكعبة على مابناه ابن الزبير وشاور الناس فى ذلك فقال له الامام مالك بن أنس أنشدك الله أى بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة اى أسألك بالله يا أمير المؤمنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء أحد منهم ان يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه فيه قال وذكر الطبرى فى مناسكه ان الذى أراد ذلك ونهاه مالك هو الرشيد انتهى (أقول) وكونه الرشيد هو الذى ذكره المقريزى واقتصر عليه ولان المنصور مات محرما ببئر ميمونة لست أيام خلون من ذى الحجة فلم يدخل مكة وقد يقال يجوز أن يكون دخل المدينة قبل سيره الى مكة واستشار الناس فى المدينة فقال له الامام مالك ما تقدم وان الرشيد أيضا اراد ذلك واستشار الامام مالكا فأشار عليه بما ذكر ثم رأيت فى تاريخ

صلى الله عليه وسلم وجئتنى على انبائه وكان لى مجلس من الصديق رضى الله عنه فجئته فأصبته وحده وصرت متفكرا فسألنى عن تفكرى فأخبرته بما سمعت من خالتى فخبّنى أبو بكر رضى الله عنه ورغبنى فى الاسلام قال فما كان بأسرع من أن مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على رضى الله عنه يحمل له ثوبا فقام أبو بكر رضى الله عنه فسار النبى صلى الله عليه وسلم فقعد ثم أقبل على فقال أجب الله تعالى الى جنته فانى رسول الله اليك والى جميع خلقه قال فما تمالكت حين سمعته أن قلت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم لم ألبث أن زوجنى رقية رضى الله عنها وكانت من أجمل خلق الله وكان عثمان رضى الله عنه كذلك وكان يتمنى التزوج بها من قبل قال رضى الله عنه كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة بن أبى لهب بنته رقية فدخلتنى حسرة أن لا أكون سبقت لها فانصرفت الى منزلى فوجدت خالتى سعدى بنت كريز فأخبرتنى ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وذكر قصة اسلامه ثم لم ألبث أن تزوجت رقية أى بعد أن فارقها عتبة قبل أن يدخل بها كما يأتى ثم بعد أن توفيت تزوج بأختها أم كلثوم ولذا لقب بذى النورين ولم يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره رضى الله عنه وكان يختم القرآن كل ليلة فى الوتر وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان ولما أسلم عثمان رضى الله عنه أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية والدمروان فأوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا أحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته فى الحق تركه ﴿ ومن أسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى ﴾ وهو ابن ثمان سنين أو ثنتى عشرة سنة وكان عمه يؤذيه ويدخن عليه بالنار ويقول ارجع فيقول لا أكفر أبدا ﴿ وأسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه أيضا عبد الرحمن بن عوف ﴾ وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع وقيل ان المعذب بالدخان الزبير رضى الله عنه ليرجع عن الاسلام ولا مانع من تعدد ذلك

ابن عبد الحرث بن زهرة ﴾ وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان أمية بن
خلف صديقا لى فقال لى يوما أرغبت عن اسم سماك به أبواك فقلت نعم فقال أنا لا أعرف الرحمن ولكن أسميك بعبد الاله فكان يناديني
بذلك ﴿ وسبب اسلام عبد الرحمن بن عوف الزهرى المذكور ﴾ رضى الله عنه ماحدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت
اذا قدمت نزلت على عسكلان
ابن عواكن الحميرى فكان يسالنى
هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر
هل خالف أحد منكم عليكم فى
دينكم فاقول لا حتى كانت السنة
التى بعث فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا علم لى بذلك قدمت
اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة
المتقدم ذكرها فى اخبار الكهان
التى ليست على ألسنة الجان وفى
آخرها فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر
رضى الله عنه وأخبرته الخبر فقال
هذا محمد قد بعثه الله فأتيته فلما أتيت
بيت خديجة رضى الله عنها رآنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك
وقال لى أرى وجها خليقا ان
أرجو له خيرا فاوراءك قلت وديعة
فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها
فأخبرته وأسلمت فقال أخو حمير
مؤمن مصدق بى وما شاهدنى
أولئك من اخوانى حقا وعن على
رضى الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد
الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنت
أمين فى أهل الارض أمين فى
أهل السماء وهو من العشرة
المبشرين بالجنة وجاء وصفه
بالصادق الصالح البار ﴿ وممن
أسلم بدعاية أبى بكر رضى الله
عنه أيضا ﴾ سعد بن أبى وقاص
الزهرى أحد العشرة المبشرين
بالجنة رضى الله عنه لقيه أبو بكر
رضى الله عنه فدعاه الى الاسلام
ورغبه فيه وحثه عليه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله عن أمره فاخبره به فاسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو
من بنى زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد هذا خالى فليرنى امرؤ خاله وفى كلام السهيلى أنه عم آمنة بنت وهب
أم النبى صلى الله عليه وسلم وكرهت أمه اسلامه وكان بارا بها فقالت ألست تزعم ان الله يأمرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال فقلت

ابن كثير لما كان فى زمن المهدى بن المنصور استشار الامام مالكا فى ردها أى الكعبة على
الصفة التى بناها ابن الزبير فقال له انى أخشى ان تتخذها الملوك لعبة ورأيت فى كلام بعضهم
ان المنصور حج وانه لما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ولعل هذا كان فى حجة غير
هذه التى مات فيها ثم رأيت فى تاريخ ابن كثير ان المنصور حج وهو خليفة أربع حجات غير الحجة
التى مات فيها وكذا فى اقرى لقاصد أم القرى للطبرى وذكر انه مات فى الحجة الخامسة قبل يوم
التروية بيومين وانه أحرم فى بعض حججه من بغداد وقد ذكر الشيخ الصفوى ان المنصور بلغه
ان سفيان الثورى ينقم عليه فى عدم اقامة الحق فلما توجه المنصور الى الحج وبلغه ان سفيان بمكة
أرسل جماعة أمامه وقال لهم حيث ما وجدتم سفيان خذوه واصلبوه فنصبوا الخشب ليصلبوا
سفيان عليه وكان سفيان بالمسجد الحرام رأسه فى حجر الفضيل بن عياض ورجلاه فى حجر سفيان
ابن عيينة فقيل له خوفا عليه بالله لا تشمت بنا الاعداء قم فاختف فقام ومشى حتى وقف بالملتزم
وقال ورب هذه الكعبة لا يدخلها يعنى مكة المنصور وكان وصل الى الحجون فزلقت به راحلته
فوقع عن ظهرها ومات من فوره فخرج سفيان وصلى عليه هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين
هذا وبين ما تقدم انه مات ببئر ميمونة لانه يجوز أن يكون المراد بوصوله الى الحجون وصول خيله
وركبه فليتأمل ثم رأيت فى تاريخ ابن كثير ان المنصور لما خرج للحج وجاوز الكوفة بمراحل
أخذه وجعه الذى مات فيه وافرط به الاسهال ودخل مكة فنزل بها وتوفى ولعل هذا لا يخالف
ما سبق لانه يجوز انه أطلق مكة على المحل القريب منها وانه مع انطلاق بطنه زلقت به فرسه قيل
وآخر ما تكلم به المنصور اللهم بارك لى فى لقائك ومما يؤثر عنه أولى الناس بالعفو أقدرهم على
العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه والله أعلم وتقدم ان قصيا لما أمر قريشا ان
تبنى حول الكعبة بيوتهم فبنت بيوتها من جهاتها الاربع وتركوا قدر المطاف واستمر الامر على
ذلك زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن أبى بكر رضى الله تعالى عنه فلما ولى عمر رضى الله تعالى عنه
رأى ان يوسع حول الكعبة فاشترى دورا وهدمها ووسع حول الكعبة وبنى جدارا قصيرا على
ذلك وجعل فيه أبوابا ثم وسعه عثمان ثم عبد الله بن الزبير ثم ان عبد الملك بن مروان رفع الجدران
وسقفه بالساج ثم ان الوليد بن عبد الملك نقض ذلك ونقل اليه الاساطين الرخام وسقفه
بالساج المزخرف وأزر المسجد بالرخام ثم زاد فيه المنصور ورخم الحجر ثم زاد فيه المهدى أولا وثانيا
حتى صارت الكعبة فى وسط المسجد وفى أيام المعتضد أدخلت دار الندوة فى المسجد وتسمى مكة
فاران وتسمى قرية النمل لكثرة نملها أو لان الله سلط فيها النمل على العماليق لما أظهروا فيها الظلم
حتى أخرجهم من الحرم كما تقدم ولها أسماء كثيرة قد أفردها صاحب القاموس بمؤلف (أقول)
وسيأتى عن الامام النووى انه ليس فى البلاد أكثر أسماء من مكة والمدينة والله أعلم قال وعن
أبى هريرة رضى الله تعالى عنه خلقت الكعبة أى موضعها قبل الارض بألفى سنة كانت
حشفة على الماء عليها ملكان يسبحان فلما أراد الله تعالى ان يخلق الارض دحاها منها فجعلها
فى وسط الارض انتهى وسئل الجلال السيوطى رضى الله تعالى عنه عن قوله تعالى ان ربكم الله
الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام هل كانت أيام ثم موجودة قبل خلق السموات

نعم فقالت والله لا أكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد وتمس اسافا ونائلة وكانوا يفتحون فاها أعنى أم سعد فى مدة
حلفها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فأبى ان يمتثل قولها وفيه أنزل الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى
ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وفى رواية أنها مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب فأصبحت وقد جهدت ثم
مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا
تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك
قلت لها تعلمين والله يا أمه لو كان
لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا
ما تركت دين محمد فكلى ان شئت
أو لا تأكلى فلما رأت ذلك أكلت
وفى الانساب للبلاذرى عن سعد
رضى الله عنه قال أخبرت أمى انى
كنت أصلى العصر يعنى الركعتين
اللتين كانوا يصلونهما بالعشى فجئت
فوجدتها على بابها تصيح ألا أعوان
يعينونى عليه من عشيرتى
أو عشيرته فأحبسه وأطبق عليه
بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين
المحدث فرجعت من حيث جئت
وقلت لا أعود اليك ولا أقرب منزلك
فهجرتها حينا ثم أرسلت الى ان
عد الى منزلك ولا تتضيفن الناس
فيلزمنا عار فرجعت الى منزلى
فمرة تلقانى بالبشر ومرة تلقانى
بالشر وتعيرنى بأخى عامر وتقول
هو البر لا يفارق دينه ولا يكون
تابعا فلما أسلم عامر لقى منها مالم
يلق أحد من الصياح والاذى
حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت
يوما والناس مجتمعون على أمى وعلى
أخى عامر فقلت ما شأن الناس
فقالوا هذه أمك قد أخذت أخاك
عامرا وهى تعطى الله عهدا
لا يظلها نخل ولا تأكل طعاما ولا
تشرب شرابا حتى يدع صبأته
فقلت لها والله يا أمه لا تستظلين
ولا تأكلين ولا تشربين حتى
تتبوئى مقعدك من النار ﴿ وممن أسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه أيضا طلحة بن عبيد الله التيمى رضى الله عنه ﴾ أحد العشرة
المبشرين بالجنة لقيه أبو بكر رضى الله عنه فدعاه الى الله تعالى ورغبه فى الاسلام فلما استجاب له أخذه فجاء به الى النبى صلى الله
عليه وسلم فاسلم وله قصة كانت هى السبب الاول فى اسلامه رضى الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول

والارض فأجاب بأن خلق السموات والارض وخلق الايام كان دفعة واحدة من غير تقديم
لاحدهما على الآخر واستند فى ذلك لمأثور التفسير وفى الحديث ان الله حرم مكة قبل ان يخلق
السموات والارض الحديث وحينئذ فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام حرم مكة معناه أظهر حرمتها

باب ما جاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحبار اليهود وعن الرهبان من النصارى
وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض
الوحوش ومن بعض الاشجار وطرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط
النجوم وما وجد من ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر صفته فى الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه
مكتوبا من النبات والاحجار وغيرهما

قال ابن اسحق وكانت الاحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا
بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه أما الاحبار من يهود والرهبان
من النصارى فلما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وأما الكهان من العرب فجاءهم به
الشياطين فيما تسترق به من السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والمبعث
وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا تلقى العرب لذلك بالا حتى
بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التى كانوا يذكرونها فعرفوها وهذا فيه تصريح بأن الملائكة
كانت تذكره صلى الله عليه وسلم فى السماء قبل وجوده فأما اخبار الاحبار من اليهود فنها
ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة وكان من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بنى
عبد الاشهل فذكر أى عند قوم أصحاب أوثان ٥ القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة
والنار فقالوا له ويحك يا فلان أو ترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة
ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذى يحلف به وليود أى الشخص ان له بحظه من تلك
النار أعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا
فقالوا له ويحك وما آية ذلك قال نبى يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن
قالوا ومن يراه فنظر الى وأنا من أحدثهم سنا فقال ان يستنفد أى يستكمل هذا الغلام
عمره يدركه قال سلمة والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو
أى ذلك اليهودى بين أظهرنا فآمنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يا فلان ألست
الذى قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به (ومن ذلك) ما جاء عن عمرو بن عنبسة
السلمى رضى الله تعالى عنه قال رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية أى ترك عبادتها قال
فلقيت رجلا من أهل الكتاب من أهل تيماء أى وهى قرية بين المدينة والشام ٥ فقلت
انى امرؤ ممن يعبد الحجارة فينزل الحى ليس معهم اله فيخرج الرجل منهم فيأتى بأربعة
أحجار فينصب ثلاثة لقدره أى يستنجى بها ويجعل أحسنها الها يعبده ثم لعله يجد ما هو أحسن
منه شكلا قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ما هو أحسن منه
تركه وأخذ ذلك الاحسن فرأيت انه اله باطل لا ينفع ولا يضر فدلنى على خير من هذا قال

يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه و يدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه
يأتي بأفضل الدين فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك الا مكة آتي فاسأل هل حدث حدث
فيقال لا ثم قدمت مرة فسألت فقيل لي حدث رجل يرغب عن آلهة قومه و يدعو الى غيرها
فشددت راحلتي ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفيا
ووجدت قريشا عليه أشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته أي شئ أنت قال نبي قلت
من نبأك قال الله قلت وبم أرسلك قال بعبادة الله وحده لا شريك له و بحقن الدماء وبكسر
الاوثان وصلة الرحم وأمان السبيل فقلت نعم ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرني
ان أمكث معك أو أنصرف فقال ألا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع أن تمكث كن
في أهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في أهلي حتى خرج صلى الله عليه وسلم
الى المدينة فسرت اليه فقدمت المدينة فقلت يا نبي الله أتعرفني قال نعم أنت السلمي الذي أتيتني
بمكة (ومن ذلك) ما حدث به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا الى
الاسلام مع رحمة الله تعالى لنا وهداه ما كنا نسمع من أحبار يهود كنا أهل شرك أصحاب
أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا و بينهم شرور فاذا نلنا منهم
بعض ما يكرهون قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن يقتلكم قتل عاد وارم أي
يستأصلكم بالقتل ٥ فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه
وسلم أجبناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به
وكفروا ففي ذلك نزلت هذه الآيات في البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على
الكافرين (ومن ذلك) ما حدث به شيخ من بني قريظة قال ان رجلا من يهود من أهل الشام
يقال له ابن الهيبان أي الجبان قدم الينا قبل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا والله ما رأينا رجلا
قط لا يصلي الخمس أفضل منه أي لا أظن أحدا من غير المسلمين لان المسلمين يصلون الخمس فلا
أصلية لا زائدة فأقام عندنا وكنا اذا قحط المطر أي احتبس قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق
لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين
من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح من مجلسه حتى يمر
السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة أي لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل أكثر من ذلك ثم حضرته
الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أهل الخمر بالتحريك
و باسكان الميم الشجر الملتف والخمير الى أرض البؤس والجوع قلنا أنت أعلم قال فانما قدمت
هذه الارض أتوكف أي أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه أي أقبل وقرب كأنه لقربه أظلهم أي
ألقى عليهم ظله وهذه البلدة مهاجره وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه فقد أظلكم زمانه فلا تسبقن
اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء و بسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك
منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال لهم نفر من هدل بفتح
الهاء وفتح الدال المهملة وقيل بسكونها أخوة بني قريظة وهم ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية

سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد فقلت نعم أنا قال هل ظهر أحمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا
شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في
قلبي ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت ١٩٨ مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين يدعو الى الله تعالى وقد
تبعه ابن ابي قحافة فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فأخبرته بما قال الراهب فخرج أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فسر به فاسلمت ولما تظاهر أبو بكر وطلحة رضي الله عنهما بالاسلام أخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى اسد قريش فشدهما في حبل يريدان يفتنهما و يرجعا عن الاسلام ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية وقد شارك طلحة رجل آخر في اسمه واسم أبيه وقبيلته وهو طلحة بن عبيد الله التيمي فالاول أحد العشرة المبشرين بالجنة وهذا ليس كذلك وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا قال لئن مات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتزوجن عائشة رضي الله عنها وفي لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لأتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية قال الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة احد العشرة أجل مقاما ان يصدر عنه ذلك حتى رأيت انه رجل آخر شاركه في اسمه واسم
أبيه ونسبه نقله عنه الحلبي في السيرة والحاصل انه أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة ويقال
خمسة وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله و يقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنهم وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح وكان كل من أبي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف

و يقال أسيد بالتصغير وأسد بن عبيد وكانوا اشبانا احداثا أي فرقة قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا
وأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم كما سيأتي * قال ومن ذلك خبر العباس بن عبد
المطلب رضي الله تعالى عنه قال خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيه أبو سفيان بن حرب فورد
كتاب حنظلة بن أبي سفيان ان محمدا قائم في أبطح مكة يقول أنا رسول الله أدعوكم الى الله ففشا
ذلك في مجالس أهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي قال
ما قال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن أخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب
ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فأردت أن أقول نعم فخشيت
من أبي سفيان ان يكذبني و يرد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود
وقتلت يهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال أبو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من
ابن أخيك فقلت قد رأيت لعلك أن تؤمن به قال لا أومن به حتى أرى الخيل في كداء أي بالمد
قلت ما تقول قال كلمة جاءت على فيّ الا اني أعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس
فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر أبو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت
يا أبا سفيان تذكر تلك الكلمة قال أي والله اني لاذكرها انتهى أي ومن ذلك ما جاء عن أمية
ابن أبي الصلت الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت
أظن اني هو وكنت أتحدث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد مناف فنظرت فلم أجد فيهم من هو
متصف بأخلاقه الا عتبة بن ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال
أبو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية فقال امية اما انه حق فاتبعه فقلت له
وأنت ما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف اني كنت أخبرهن اني هو ثم أصير تبعا لفتى من بني
عبد مناف وسيأتي ذلك بأبسط مما هنا وأما أخبار الرهبان من النصارى فمنها ما تقدم ذكره
قال ومنها خبر طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في
صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل فيكم أحد من أهل الحرم فقلت نعم أنا قال هل ظهر
أحمد قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه أي الذي يبعث
فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخلة وحرة وسباخ فاياك ان تسبق اليه
قال طلحة فوقع في قلبي ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت أبا بكر بذلك فخرج أبو بكر حتى
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فسر بذلك وأسلم طلحة فأخذ نوفل ابن العدوية
أبا بكر وطلحة رضي الله تعالى عنهما فشدهما في حبل واحد فلذلك سميا القرينين اه (أقول)
يحتمل أن هذا الراهب هو بحيرا و يحتمل أن يكون نسطورا لان كلا منهما كان ببصرى كما تقدم
في سفره و يحتمل ان يكون غيرهما وهو أولى لما تقدم أن كلا من بحيرا ونسطورا لم يدرك البعثة
والله أعلم * أي ومنها ما حدث به سعيد بن العاص بن سعيد قال لما قتل أبي العاص يوم بدر كنت
في حجر عمي أبان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشام
فمكث سنة ثم قدم فأول شئ سأل عنه أن قال ما فعل محمد قال له عمي عبد الله بن سعيد هو والله
أعز ما كان وأعلاه فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وأرسل الى سراة بني أمية أي

وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن أبي وقاص يصنع النبل ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء ﴿ومن
السابقين الى الاسلام﴾ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي احد العشرة المبشرين وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت
عمر رضي الله عنه فهي ثانية النساء اسلاما وقيل الثانية أم الفضل ١٩٩ لبابة بنت الحرث الهلالية زوج العباس رضي
الله عنهما ومن السابقات أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما واما عائشة رضي الله عنها فانما ولدت الا بعد البعثة ومن السابقين عبيدة ابن الحرث بن المطلب بن عبد مناف المستشهد يوم بدر ومنهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم أسلم بعد تسعة أنفس وقيل هو الحادي عشر ومنهم عثمان بن مظعون الجمحي وأخواه قدامة وعبد الله والارقم بن أبي الارقم المخزومي وهو الذي ينسب اليه دار الارقم ﴿ومن السابقين الى الاسلام عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه﴾ وسبب اسلامه ما حدث به قال كنت في غنم لآل عقبة بن أبي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك من لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فأتيته بشاة شصوص وهي التي لا ضرع لها وقيل لا لبن لها فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر وسقاني ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان والى ذلك أشار السبكي في تائيته بقوله
ورب عناق ما نزا الفحل فوقها
مسحت عليها باليمين فدرت فلما رأى ابن مسعود هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وقال يا رسول الله علمني فمسح رأسه وقال بارك
الله فيك فانك غلام معلم وكان صلى الله عليه وسلم يكرم عبد الله بن مسعود و يدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه
وسلم وكان يمشي امامه صلى الله عليه وسلم و يستره اذا اغتسل و يوقظه اذا نام و يلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما في ذراعيه

ولذلك كان مشهورا عند الصحابة أيضا بأنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم و بشره صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال رضيت لامتى مارضى لها ابن أم عبد وسخطت لها ماسخط لها ابن أم عبد (ومن السابقين الى الاسلام أبوذر الغفارى رضى الله عنه) واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما وسبب اسلامه ماحدث به قال صليت قبل ان ألقى النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين لله أتوجه حيث يوجهنى ربى فبلغنا ان رجلا خرج بمكة يزعم انه نبى فقلت لاخى أنيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه وأتنى بخبره فلما رجع أنيس قلت له ما عندك قال والله رأيت رجلا يأمر بخير وينهى عن شر ويزعم ان الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفنى حتى أذهب فأنظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فحملت جرابا وعصا حتى أقبلت وأتيت مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه فكنت فى المسجد ثلاثين ليلة و يوما وما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على سخفة جوع والسخفة بالتحريك حرارة يجدها الانسان من الجوع ففى ليلة لم يطف بالبيت أحد واذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فطاف بالبيت ثم صلى فلما تمت صلاته أتيته فقلت السلام عليك يارسول الله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار فى وجهه ثم قال من الرجل فقلت من غفار بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت هنا من ثلاثين بين يوم وليلة قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لى من طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما أجد على بطنى سخفة جوع قال مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشفى شفاك الله وان شربته لتشبع أشبعك الله وان شربته لقطع ظمأك قطعه الله وهى همزة جبريل وسقاية الله اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم وجاء ان أباذر أول من قال هذا

أشرافهم فقال لهم انى كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكا لم ينزل الى الارض منذ أربعين سنة أى من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لى حاجة فقال ممن الرجل فقلت انى من قريش وان رجلا هنالك خرج يزعم أن الله أرسله قال ما اسمه فقلت محمد قال منذ كم خرج فقلت عشرين سنة قال ألا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطأ فى صفته شيأ ثم قال لى هو والله نبى هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال لى اقرأ عليه السلام وكان ذلك فى زمن الحديبية أى والحديبية سيأتى انها كانت سنة ست فالعشرون تقريب * أى ومنها ماحدث به حكيم بن حزام بالزاى رضى الله تعالى عنه قال دخلنا الشام لتجارة قبل ان أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأرسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من أى العرب أنتم من هذا الرجل الذى يزعم انه نبى فقال حكيم فقلت يجمعنى واياه الاب الخامس فقال هل أنتم صادقى فيما أسألكم عنه فقلنا نعم فقال أنتم ممن اتبعه أم ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسأل الناس عن أشياء مما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلا فى قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فأمر بكشفه فاذا صورة رجل فقال أتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابا فيفتحها و يكشف عن صور الانبياء و يقول أما هذا صاحبكم فنقول لا فيقول لنا هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا فقال أتدرون متى صورت هذه الصور قلنا لا قال منذ أكثر من ألف سنة وان صاحبكم لنبى مرسل فاتبعوه ولوددت أنى عبده فأشرب ما يغسل من قدميه * ووقع نظير ذلك لجبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه وانه رأى صورة أبى بكر آخذة بعقب تلك الصورة واذا صورة عمر آخذة بعقب صورة أبى بكر فقال من الذى آخذ بعقبه قلنا نعم هو ابن أبى قحافة قال فهل تعرف الذى آخذ بعقبه قلت نعم هو عمر بن الخطاب قال أشهد أن هذا رسول الله وان هذا هو الخليفة بعده وان هذا هو الخليفة من بعد هذا * ومنها ماحدث به سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من قرية يقال لها جى بفتح الجيم وتشديد الياء وفى لفظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفى لفظ ولدت برامهرمز و بها نشأت وأما أبى فمن أصبهان وكان أبى دهقان قريته أى كبير أهل قريته أى وفى لفظ كنت من أبناء أساوة فارس وكنت أحب خلق الله تعالى الى أبى لم يزل حبه اياى حتى حبسنى فى بيت كما تحبس الجارية واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار بفتح القاف وكسر الطاء المهملة و يروى بفتحها من قاطن أى خادمها الذى يوقدها لا يتركها تخبوا أى تطفأ ساعة وكانت لابى ضيعة عظيمة فشغل فى بنيان له يوما فقال لى يابنى انى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم فاذهب اليها وأمرنى فيها ببعض مايريد ثم قال لى ولا تحتبس عنى ان احتبست عنى كنت أهم الى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شئ من أمرى فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى اياى فى بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقلت والله

لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك التى هى تحية الاسلام فهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا تأخذه فى الله لومة لائم وعلى ان يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء أى السماء ولا أقلت الغبراء أى الارض أصدق من أبى ذر رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه أبوذر يمشى فى الارض على زهد عيسى بن مريم عليه السلام وفى الحديث أبوذر زاهد أمتى وأصدقها وقد هاجر أبوذر رضى الله عنه الى الشام بعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه واستمر بها الى أن ولى عثمان رضى الله عنه فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية رضى الله عنه وأسكنه الربذة فكان بها حتى مات وذلك ان أباذر صار يغلظ القول لمعاوية و يكلمه بالكلام الخشن وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لقيا أبى ذر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بدلالة على رضى الله عنه انه قال له ما أقدمك هذا البلد فقال له أبوذر ان كتمت على أخبرتك وفى رواية ان أعطيتنى عهدا وميثاقا ان ترشدنى أخبرتك ففعل قال أبوذر فأخبرته فأرشدنى وأوصلنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت وفى رواية أن عليا رضى الله عنه استضافه أبوذر رضى الله عنه ثلاثة أيام لا يسأله عن شئ وهو لا يخبره ثم فى الثالث قال له ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة قال ان كتمت على أخبرتك قال فانى أفعل قال له بلغنا أنه خرج ههنا رجل يزعم أنه نبى فأرسلت اليه أخى ليكلمه فرجع ولم يشفنى من الخبر فأردت أن ألقاه فقال أما انك قد رشدت هذا وجهى أى خروجى اليه فاتبعنى ادخل حيث أدخل فان رأيت أحدا أخافه عليك قمت الى الحائط كأنى أصلح نعلى وفى رواية كأنى أريق الماء فامض أنت قال أبوذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض على الاسلام فعرضه على فأسلمت مكانى الحديث ثم ان أبا بكر قال يارسول الله ائذن لى فى طعامه الليلة قال أبوذر رضى الله عنه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر

هذا خير من الذى نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أى بنى أين كنت ألم أكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا أبت مررت بالناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أى بنى ليس فى ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافنى أى خاف منى ان أهرب فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته و بعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبرونى فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة فأخبرونى بهم فأخبرونى بهم فألقيت الحديد من رجلى ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من أجل أهل هذا الدين علما قالوا الاسقف فى الكنيسة والاسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى و رئيسهم فى الدين فجئته فقلت له انى قد رغبت فى هذا الدين وأحببت أن أكون معك فأخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلى معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة و يرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه أشياء منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة و يرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيأ فقالوا لى وما أعلمك بذلك فقلت أنا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوأة ذهبا وورقا وفى رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نحو نصف أردب فضة فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارة أى ولم يصلوا عليه صلاتهم مع ان هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان تقيا من الشهوات ومن ثم قال فى الفتوحات المكية أجمع أهل كل ملة على ان الزهد فى الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التى حذرنا الله تعالى منها بقوله انما أموالكم وأولادكم فتنة هذا كلامه (قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه) ومن فوائد الرهبان انهم لا يدخرون قوت الغد ولا يكنزون فضة ولا ذهبا (قال) ورأيت شخصا قال لراهب أنظر لى هذا الدينار هو من ضرب أى الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدنيا منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا يخرجونه من الكنيسة و يقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا على عاتقه نصفا مربوطا فقلت لهم ربط الدرهم مذموم فقالوا انهم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وعند ذلك جاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى انه أفضل منه أى لا أظن أحدا من غير المسلمين أفضل منه ولا أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا منه فأحببته حبا شديدا لم أحبه شيأ قبله فأقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان انى كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيأ قبلك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصى قال أى بنى والله ما أعلم أحدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو

فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغيب أى دفن لحقت بصاحب الموصل فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحبى فقال أقم عندى فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فأقمت مع خير رجل فلما احتضر قلت له يافلان ان فلانا أوصى بى اليك وأمرنى باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ماترى فالى من توصى بى وبم تأمرنى قال يابنى والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحبى فقال أقم عندى فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله مالبث أن نزل به الموت فلما احتضر أى حضرته الملائكة لقبض روحه قلت له يافلان ان فلانا أوصى بى الى فلان ثم ان فلانا أوصى بى اليك فالى من توصى بى والى من تأمرنى قال يابنى والله ما أعلم بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل مانحن عليه فان أحببت فأته فلما مات وغيب أى دفن لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبرى فقال أقم عندى فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر قلت له يافلان انى كنت مع فلان فأوصى بى الى فلان ثم أوصى بى فلان الى فلان ثم أوصى بى فلان اليك فالى من توصى بى وبم تأمرنى قال أى بنى والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك ان تأتيه ولكنه قد أظل أى أقبل وقرب زمان نبى مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب (أقول) وهذا السياق يدل على أن الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى أربعة وفى كلام السهيلى انهم ثلاثون وفى النور انهم بضعة عشر وان هذا أظهر والله أعلم * قال سلمان ثم مر بى نفر من كلب تجار فقلت لهم احملونى الى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه فقالوا نعم فأعطيتهموها أى أعطيتهم اياها وحملونى معهم حتى اذا بلغوا بى وادى القرى وهو محل من أعمال المدينة المنورة ظلمونى فباعونى من رجل يهودى فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت أن تكون البلدة التى وصف لى صاحبى ولم يحق عندى أى لم أتحقق ذلك فبينما أنا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه فحملنى الى المدينة فوالله ماهو الا ان رأيتها فعرفتها أى تحققتها بصفة صاحبى فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى رأس عذق أى نخل لسيدى أعمل له فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بنى قيلة أى وهما الاوس والخزرج لان قيلة أمهما فقد جاء ان الله أمدنى بأشد العرب ألسنا وأذرعا بنى قيلة الاوس والخزرج والله انهم الآن لمجتمعون بقبا بالمد والقصر ويقال قباة بتاء التأنيث والقصر على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبى فلما سمعتها أخذتنى العرواء وهى الحمى النافض أى الرعدة والبرحاء الحمى الصالب حتى ظننت انى ساقط على سيدى فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ماتقول فغضب سيدى ولكمنى لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا

رضى الله عنه فانطلقت معهما ففتح ابو بكر رضى الله عنه بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكلته أى من الزبيب فلا ينافى اضافة على رضى الله عنه له ويمكن التوفيق بين رواية دخوله على النبى صلى الله عليه وسلم مع على رضى الله عنه فأسلم ورواية اجتماعه به فى الطواف وأسلم بان يكون أبو ذر دخل عليه أولا مع على ثم لقيه فى الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه الثانى الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره فى عدم اجتماعه به فى المسجد مدة ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد له قوله ففى ليلة لم يطف بالبيت أحد الخ والا فيبعد أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف فى مدة ثلاثين يوما وقوله من الرجل زيادة فى الاستفهام عنه لطول المدة ولان لقيه كان بالليل وهو يظن أنه قد سافر ولم يمكث هذه المدة وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فأخبرهم يأتونى فاذا بلغك ظهورنا فأقبل قلت والذى بعثك بالحق لاصرخن بها بين ظهرانيهم قال وكنت فى الاسلام خامسا وفى رواية رابعا أى من الاعراب فلا ينافى زيادة من أسلم غيره على خمسة قال أبو ذر فلما اجتمعت قريش فى المسجد ناديت بأعلى صوتى أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابى فقام على أهل الوادى بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على فأكب على العباس وقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وان طريق تجارتكم عليهم فخلوا عنى قال فجئت زمزم فغسلت عنى الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت الى مثل ذلك فصنع بى مثل ماصنع بالامس وأدركنى العباس وخلصنى فخرجت وأتيت أنيسا فقال ماصنعت فقلت قد أسلمت وصدقت فقال مالى رغبة عن دينك فانى قد أسلمت وصدقت فأتينا أمنا فقالت مالى رغبة عن دينكما فانى اسلمت وصدقت فأتينا قومنا غفارا فأسلم نصفهم وقال بعضهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلمنا فلما جاء المدينة اسلم نصفهم الثانى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر انى قد وجهت الى ارض

أقبل على عملك فقلت لاشئ انما أردت ان أثبته فيما قال وقد كان عندى شئ جمعته أى وهو محتمل لان يكون تمرا ولا يكون رطبا فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له انى قد بلغنى انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وأمسك يده فلم يأكل فقلت فى نفسى هذه واحدة أى ومن ثم لما أخذ الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما وهو طفل تمرة من تمر الصدقة ووضعها فى فيه قال له النبى صلى الله عليه وسلم كخ كخ أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة رواه مسلم (وروى) أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال انى لانقلب الى أهلى فأجد التمرة ساقطة على فراشى ثم أرفعها لآكلها ثم أخشى ان تكون صدقة فالقيها * ووجد صلى الله عليه وسلم تمرة فقال لولا ان تكون من الصدقة لاكلتها وقال ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد انما هى أوساخ الناس وفى رواية ان هذه الصدقات انما هى أوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد والراجح من مذهبنا حرمة الصدقتين عليه صلى الله عليه وسلم وحرمة صدقة الفرض دون النفل على آله وقال الثورى لا تحل الصدقة لآل محمد لا فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم لان مولى القوم منهم بذلك جاء الحديث قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ هو أيضا يحتمل لان يكون تمرا ولا يكون رطبا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته فقلت انى رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت فى نفسى هاتان ثنتان أى ومن ثم روى مسلم كان اذا أتى بطعام سأل عنه فان قيل هدية أكل منها وان قيل صدقة لم يأكل منها قال سلمان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه أى وهو كلثوم بن الهدم الذى نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء لما قدم المدينة قيل وهو أول من دفن به وقيل أول من دفن به أسعد بن زرارة وقيل أول من دفن به عثمان بن مظعون وجمع بان أول من دفن به من المهاجرين عثمان أى وقد مات فى ذى الحجة من السنة الثانية من الهجرة وأول من دفن به من الانصار كلثوم او أسعد أى وفى الوفيات لابن زبر مات كلثوم ثم من بعده ابو أمامة أسعد بن زرارة فى شوال من السنة الاولى من الهجرة ودفن بالبقيع هذا كلامه ولم يذكر الوقت الذى مات فيه كلثوم وفى النور عن الطبرى انه مات بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بايام قليلة واول من مات من الانصار البراء بن معرور ومات قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا بشهر ولما حضره الموت أوصى ان يدفن ويستقبل به الكعبة ففعلوا به ذلك ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبره هو وأصحابه وكبر أربعا ولم أقف على محل دفنه وقولهم ان اول من دفن بالبقيع كلثوم يدل على ان البراء لم يدفن بالبقيع الا ان يراد الاولية بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة والظاهر ان هذه اول صلاة صليت على القبر قال سلمان وكان عليه الصلاة والسلام عليه شملتان وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى فالقى الرداء عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه أقبله وأبكى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه

ذات نخل لا أراها الا يثرب فهل أنت مبلغ قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم وقد ذكر ان اباذر رضى الله عنه وقف يوما عند الكعبة فى حجة حجها أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ زادا فقالوا بلى فقال سفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا مايصلحكم فقالوا ومايصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور

﴿ومن السابقين للاسلام﴾ خالد بن سعيد بن العاص وهو أول من أسلم من اخوته فيحمل عليه قول ابنته أم خالد أول من أسلم أبى أى من اخوته وسبب اسلامه انه رأى فى النوم النار ورأى من فظاعتها أمرا مهولا ورأى أنه على شفيرها وان أباه يريد أن يلقيه فيها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وعلم أن نجاته من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فقال له أبو بكر رضى الله عنه أريد بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فأتاه فقال يامحمد ماتدعو اليه قال أدعو الى الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فأسلم خالد وفى الوفاء للسيد السمهودى عن أم خالد بنت خالد بن سعيد أنها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة نائما قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبيناهو كذلك اذ خرج نور من زمزم ثم علا فى السماء فاضاء فى البيت ثم أصاب مكة كلها ثم تحول الى يثرب فاضاءها حتى انى لانظر الى البسر فى النخل فاستيقظت فقصصتها على أخى عمرو بن سعيد وكان جزل الرأى فقال ياأخى ان هذا الامر فى بنى عبد المطلب ألا ترى انه خرج من حفر أبيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه فقال ياخالد انا ذلك النور وأنا رسول الله ونص عليه مابعثه الله به فأسلم خالد وعلم بذلك أبوه وهو سعيد أبو أحيحة وكان

من عظماء قريش وكان اذا اعتم لم يعتم قرشي اعظاما له ومن ثم قال فيه القائل أبا أحيحة من يعتم عمته * يوما وان كان ذا مال وذا عدد
وعند اسلام ولده خالد أرسل في طلبه فانتهره وضربه بمقرعة كانت في يده حتى كسرها على رأسه ثم قال اتبعت محمدا وأنت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم فقال والله

تبعته على ما جاء به فغضب أبوه وقال اذهب يا لكع حيث شئت وقال والله لامنعنك القوت قال ان منعتني فالله يرزقني ما أعيش به فأخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا أسلموا لا يكلمه أحد منكم الا صنعت به مثله فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه في نواحي مكة حتى خرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فكان خالد أول من خرج اليها وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال ان رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد اله ابن أبي كبشة بمكة فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفي في مرضه ذلك وخالد هذا أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأسلم أخوه عمرو بن سعيد بن العاص قيل وسبب اسلامه انه رأى نورا خرج من زمزم أضاءت منه نخيل المدينة حتى رأى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بني عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا لاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤية وقعت لاخيه خالد وكانت سببا لاسلامه وانه قصها على أخيه عمرو المذكور فهو من خلط بعض الرواة الآن يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولاخيه عمرو وانها كانت سببا لاسلامهما وأسلم من بني سعيد ابان بن سعيد والحكم بن سعيد الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ﴿ومن السابقين للاسلام﴾ صهيب رضي الله عنه كان أبوه عاملا لكسرى فأغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشأ في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقصصت عليه حديثي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع ذلك أصحابه اي وفي شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فأتى بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودي وحرف الترجمة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ان سلمان يشتمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفارسي جاء ليؤذينا فنزل جبريل وترجم عن كلام سلمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي الذي ترجمه له جبريل لليهودي فقال اليهودي يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الي فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أعلمها من قبل والآن علمني جبريل أو كما قال فقال اليهودي يا محمد قد كنت قبل هذا أتهمك والآن تحقق عندي انك رسول الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل علم سلمان العربية فقال قل له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل في فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربي الفصيح وهذا السياق يدل على ان ذلك كان عند مجيئه في المرة الثالثة وحينئذ يشكل مجيئه أولا وثانيا وقوله ما تقدم بالعربية الا ان يقال ذلك لقلته سهل عليه ان يعبر عنه بالعربية بخلاف حكاية حاله لكثرته لم يحسن ان يعبر عنه بالعربية (قال) وقد اختلفت الروايات عن سلمان في الشيء الذي جاء به للنبي صلى الله عليه وسلم أولا وثانيا فالرواية الاولى المتقدمة ظاهرها يقتضي انه تمر اه اي وفيه من أين ان ظاهرها ذلك بل هي محتملة وقد جاء التصريح بكونه تمرا في الاولى والثانية ففي بعض الروايات فسألت سيدي ان يهب لي يوما فعملت في ذلك اليوم على صاع او صاعين من تمر وجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته لا يأكل الصدقة سألت سيدي ان يهب لي يوما آخر فعملت فيه على ذلك اي على صاع أو صاعين من تمر ثم جئت به النبي صلى الله عليه وسلم فقبله وأكل منه اي والذي في كلام السهيلي قال سلمان كنت عبد الامرأة فسألت سيدتي ان تهب لي يوما الحديث وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عبر بسيدته زوجة سيده لانه يقال لها سيدة في المتعارف بين الناس أو ان المرأة هي التي اشترته ويؤيده ما يأتي وزوج تلك المرأة يقال له في المتعارف بين الناس سيد قال وقيل ان الذي جاء به اولا وثانيا رطب وفي رواية احتطبت حطبا فبعته واشتريت بذلك طعاما والطعام خبز ولحم وفي رواية جئت بمائدة عليها بط وفي رواية عليها رطب وجمع بانه أولا قدم الخبز واللحم الذي هو البط والتمر ثم قدم الرطب فلم يتحد المقدم وفي مسند الامام احمد ان المرات ثلاث وان المقدم فيها متحد اه (أقول) تقديم الرطب في المرة الثانية يخالفه ما تقدم انه في المرة الثانية كان تمرا والله أعلم ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد فكان اول مشاهده الخندق كما سيأتي وكان بعد ذلك يقال له سلمان الخير وكان معدودا من اخصائه صلى الله عليه وسلم قال سلمان ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة اي ودية على وزن فعيلة وهي النخلة الصغيرة التي يقال لها الفسيلة احييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف أي الحفر أي ومن ثم قيل للبئر الفقير اي

احفر

مر صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر فقال عمار بن ياسر أين تريد يا صهيب قال اريد أن ادخل على محمد فاسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وأنا اريد ذلك فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما من القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما حتى أمسيا ثم خرجا مستخفيين فدخل عمار

على أمه وأبيه فسألاه أين كان فأخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن فأعجبهما فأسلما على يده وكان اسلام صهيب وعمار تكملة بضع وثلاثين رجلا ﴿ومن السابقين للاسلام﴾ حصين والد عمران بن حصين رضي الله عنهما وكان اسلامه بعد اسلام ابنه عمران وسبب اسلامه أن قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال أوسعوا للشيخ وعمران ولده مع الصحابة فقال حصين ما هذا الذي بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة في الارض وواحد في السماء قال فاذا أصابك الضر من تدعو قال الذي في السماء قال فاذا هلك المال قال الذي في السماء قال يستجيب لك وحده وتشركهم معه أأرضيته في الشرك يا حصين أسلم تسلم فأسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم وفى بحقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب أي عتبته رأته قريش فقالوا قد صبا وتفرقوا عنه ﴿ولما دخل الناس﴾ في الاسلام ارسالا أي جماعات متتابعين من الرجال والنساء أمر الله رسوله ان يصدع بالحق ويواجه المشركين بالجهر بالقرآن في الصلاة وأنزل عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فشق ذلك عليهم وكانوا قبل ذلك لم

احفر لها وأغرسها بتلك الحفرة وتصير حية بتلك الحفرة اي وأتعهدها الى ان تثمر والودية والفسيلة هي النخلة الصغيرة التي جرت العادة بان تنقل من المحل الذي تنبت فيه الى محل آخر لكن في كلام بعضهم اذا خرجت النخلة من النواة قيل لها غريسة ثم يقال لها ودية ثم فسيلة ثم اشاءة فاذا فاتت اليد فهي جبارة ويقال للنخلة الطويلة عوانة بلغة عمان وفي الحديث ان قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ان يغرسها قبل ان تقوم فليغرسها وعلى اربعين أوقية اي من ذهب كما سيأتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينوا أخاكم فاعانوني بالنخل الرجل بستين والرجل بعشرين ودية والرجل بخمسة عشر والرجل بعشر يعين بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودية قال وفي رواية انه كوتب على ان يغرس لهم خمسمائة فسيلة اي يحفر لها ويغرسها اي ويتعهدها الى ان تثمر وعلى اربعين اوقية قال سلمان فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر اي بالفاء وفي رواية فنقر اي بالنون اي احفر لها فاذا فرغت فائتني أنا أضعها بيدي ففقرت وفي رواية فنقرتها وأعانني أصحابي حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فأخبرته فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودي فيضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ما مات منها ودية واحدة فأديت النخل وبقي علي المال فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة اي وفي رواية مثل بيضة الحمامة من ذهب من بعض المعادن ولعل هذه البيضة كانت مترددة بين بيضة الدجاجة وبين بيضة الحمامة اي أكبر من بيضة الحمامة واصغر من بيضة الدجاجة فاختلف فيها التشبيه فقال صلى الله عليه وسلم ما فعل الفارسي المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان اي تكون بعضا مما عليك وحينئذ قد يتوقف في جواب سلمان بقوله قلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي لان النبي يؤديه بعضه وان قل ذلك البعض الا ان يقال العادة قاضية بان ذلك البعض لا يقبل الا اذا كان له وقع بالنسبة لكله وقد أشار صلى الله عليه وسلم للرد على سلمان بان هذا الذي قلت فيه انه لا يحسن ان يكون بعضا مما عليك يوفي به الله عنك جميع ما عليك حيث قال خذها فان الله سيؤدي بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده اربعين اوقية فأوفيتهم حقهم اي وبقي عندي مثل ما اعطيتهم قال وهذا اي سؤال سلمان وجوابه صلى الله عليه وسلم كالصريح في ان الاواقي التي كاتب عليها كانت ذهبا لا فضة وقد جاء اي مما يدل على ذلك في بعض الروايات ان سلمان لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم وأين تقع هذه مما علي قلبها صلى الله عليه وسلم على لسانه ثم قال خذها فأوفهم منها وأيضا اي مما يدل على ذلك ايضا ان المعلوم ان قدر بيضة الدجاجة من الذهب يعدل أكثر من اربعين أوقية من الفضة اه اي فلا يحسن قول سلمان وأين تقع هذه مما علي وقد صرح بذلك اي بكونها ذهبا البلاذري والقاضي عياض في الشفاء فقالا على اربعين اوقية من ذهب والى القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما * أينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما * ان عرته من ذكره العرواء

يعبدوا منه ولم يردوا عليه بل كانوا كما قال الزهري غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها وذلك انه دخل عليهم المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين أبيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم وكان ذلك في سنة أربع من النبوة وقيل في سنة خمس فأجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحدب بكسر الدال أي عطف عليه عمه أبو طالب وقام دونه حاجزا بينه وبينهم فاشتد الامر وتضارب القوم وأظهر بعضهم لبعض العداوة وأخذوا يعذبون من أسلم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب وبني هاشم بن عبد مناف ماعدا أبا لهب منهم وبني المطلب ابن عبد مناف أخي هاشم وكانوا معهم بطلب من أبي طالب بخلاف بني أخويهم نوفل وعبد شمس ابني عبد مناف فانهم كانوا من أشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم (قال ابن اسحق) كان صلى الله عليه وسلم يدعو الناس خفية بعد نزول يا أيها المدثر ثلاث سنين فكان من أسلم اذا أراد الصلاة أي صلاة الركعتين بالغداة وبالعشي يذهب الى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين فبينما سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رجلا منهم بلحي بعير فشجه فهو أول دم اهريق في الاسلام ثم ظهرت العداوة بعد ذلك بينهم واشتد الامر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه مستخفين في دار الارقم المعروفة الآن بدار الخيزران لان المنصور لما اشترى الدار المذكورة وهبها لولده المهدي العباسي فوهبها المهدي المذكور لجاريته الخيزران وهي أم ولديه موسى الهادي وهرون الرشيد فوقفتها مسجدا وقد روت

أي ووفى قدر بيضة من بيض الدجاج أو الحمام من ذهب دين سلمان وهو اربعون اوقية من ذهب حين قرب حلول الدين وتقدم انه وفى دينه منها وبقي عنده منها قدر ما أعطاهم وسبب هذا الدين على سلمان انه كان يدعي قنا أي أرق بالباطل كما تقدم فكوتب على ذلك وعلى ان يغرس تلك النخيل ويتعهدها الى ان تثمر واعتق باداء هذا الدين حين أينعت العراجين من نخيله التي غرسها اي غرست له أفلا ترون لسلمان عذرا عندكم من ابدائه حين ان غشيته قوة الحمى من أجل سماع ذكره صلى الله عليه وسلم قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى سلمان اى كان سببا لشرائه اى مكاتبته من قوم اليهود بكذا وكذا درهما وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضي الله تعالى عنه فاطعم النخل كله الا تلك النخلة التي غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فاطعمت من عامها وذكر البخاري ان سلمان رضي الله تعالى عنه غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها فعاشت كلها الا التي غرسها سلمان قال ويجوز ان يكون كل من سلمان وعمر غرس هذه النخلة احدهما قبل الآخر انتهى (أقول) وهذا الحائط الذي غرس فيه لسلمان من حوائط بني النضير وكان يقال له المنبت وقد آل اليه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ولا يخفى ان قول صاحب الهمزية كان يدعي قنا انه لم يرق حقيقة وقد تقدم ذلك وفيه انه لو لم يرق حقيقة لما أقره على الرق وأمره صلى الله عليه وسلم بالمكاتبة وأدى عنه وكونه فعل ذلك تطييبا لخاطر ساداته بعيد فليتأمل فان قيل اذا رق حقيقة كيف جاز له صلى الله عليه وسلم ان يأمر أصحابه ان يأكلوا مما جاء به صدقة ويأكل هو وهم مما جاء به هدية والرقيق لا يملك وان ملكه سيده على الاصح عندنا معاشر الشافعية بل وعند باقي الائمة قلنا يجوز ان يكون الرقيق كان في صدر الاسلام يملك ما ملكه له سيده ثم نسخ ذلك على ان بعض أصحابنا ذهب الى صحته وفي كلام السهيلي وذكر أبو عبيد ان حديث سلمان حجة على من قال ان العبد لا يملك هذا كلامه أو انه صلى الله عليه وسلم لم يعلم رقه حينئذ لان الاصل في الناس الحرية ولعدم تحقق رق سلمان وعدم مجيء مكاتبته على قواعد أئمتنا لم يستدلوا على مشروعية الكتابة بقصة سلمان وفي كلام السهيلي ان في خبر سلمان من الفقه قبول الهدية وترك سؤال المهدي وكذلك الصدقة وفي الحديث من قدم اليه الطعام فليأكل ولا يسأل والله أعلم وعن سلمان رضي الله تعالى عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بالقصة المتقدمة زاد ان صاحب عمورية قال له ائت كذا وكذا من أرض الشام فان بها رجلا بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه الغيضة الى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام فلا يدعو لاحد منهم الا شفي فاسأله عن هذا الدين فهو يخبرك به قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصفه لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من احدى الغيضتين الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الا شفي وغلبوني عليه فلم أخلص حتى دخل الغيضة التي يريد ان يدخلها الا منكبه فتناولته

فقال

الخيزران عن زوجها المهدي عن أبيه المنصور عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما من اتقى الله وقاه كل شيء فكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى واختلفوا في مدة استخفائه فقيل أربع سنين وقيل أقاموا في تلك الدار شهرا فقط وهم تسعة وثلاثون وخرجوا بعد أن كملوا أربعين باسلام عمر وحمزة رضي الله عنهما ولما نزل عليه صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو عبد شمس وبنو نوفل أولاد عبد مناف اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا أي عجز عن احتماله فمكث صلى الله عليه وسلم نحو شهر جالسا في بيته حتى ظن عماته انه شاك أي مريض فدخلن عليه عائدات فقال ما اشتكيت شيأ لكن الله أمرني بقوله وأنذر عشيرتك الاقربين فأريد ان أجمع بني عبد المطلب لادعوهم الى الله فقلن له ادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنون عمه أبا لهب قيل كني بأبي لهب لشدة احمرار خديه فانه غير مجيبك الى ماتدعو اليه وخرجن من عنده فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بني عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبو لهب فلما أخبرهم صلى الله عليه وسلم بما أنزل الله عليه أسمعه أبو لهب ما يكره فقال تبا لك ألهذا جمعتنا وأخذ حجرا ليرميه به وقال ما رأيت أحدا جاء بني أبيه وقومه بأشر مما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس قيل ان أبا لهب ظن في أول الامر انه صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزع عما يكرهون الى ما يحبون فقال هؤلاء عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصباة واعلم انه ليس للعرب بقومك طاقة وأن أحق من أخذك وحبسك أسرتك وبنو أبيك ان اقمت على أمرك فهو أيسر عليك من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن أخي أحدا قط جاء بني أبيه وقومه بأشر مما جئتهم به فلما سمع مقالة النبي صلى الله عليه وسلم قال تبا لك ألهذا جمعتنا فأنزل الله تبت يدا أبي لهب وتب يعني خسرت وهلكت يداه والمراد جملته عبر عنها باليدين مجازا ولما سمع أبو لهب تبت يدا أبي لهب وتب قال ان كان يقول

فقال من هذا والتفت الي فقلت يرحمك الله اخبرني عن الحنيفية دين ابراهيم فقال انك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم قد أظلك نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم فأته يحملك عليه ثم دخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتني لقد لقيت عيسى بن مريم والغيضة الشجر الملتف قال السهيلي هذا الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال ان الرجل هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف باجماع منهم وان صح هذا الحديث فلا نكارة في متنه فقد ذكر الطبري ان المسيح عليه الصلاة والسلام نزل بعد ما رفع وأمه وامرأة أخرى اي كانت مجنونة وأبرأها المسيح عند الجذع الذي فيه الصليب يبكيان فاهبط اليهما فكلمهما وقال لهما علام تبكيان فقالا عليك فقال اني لم أقتل ولم أصلب ولكن الله رفعني وأكرمني وأخبرهما ان الله أوقع شبهه على الذي صلب وأرسل الى الحواريين أي قال لامه والمرأة ابلغا الحواريين أمري ان يلقوني في موضع كذا ليلا فجاء الحواريون ذلك الموضع فاذا الجبل قد اشتعل نورا لنزوله فيه ثم أمرهم ان يدعوا الناس الى دينه وعبادة ربهم ووجههم الى الامم واذا جاز ان ينزل مرة جاز ان ينزل مرارا لكن لا نعلم انه هو أي حقيقة حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح هذا كلامه ويروى انه اذا نزل تزوج امرأة من جذام قبيلة باليمن ويولد له ولدان يسمى احدهما محمدا والآخر موسى ويمكث اربعين سنة وقيل خمسا وأربعين وقيل سبع سنين كما في مسلم وقيل ثماني سنين وقيل تسعا وقيل خمسا اي وجمع بين كون مدة مكثه أربعين سنة أو خمسا وأربعين سنة وبين كونها سبع سنين اي وما بعد ذلك بان المراد بالاول مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده والسبعة أي وما بعدها من الاقوال يكون بعد نزوله ويدفن اذا مات في روضة النبي صلى الله عليه وسلم قال وقيل في حجرته صلى الله عليه وسلم اي عند قبره الشريف وقيل في بيت المقدس انتهى اي وقيل يدفن معه صلى الله عليه وسلم في قبره ويؤيده ما ورد ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر (أقول) وعم يقتل عيسى عليه الصلاة والسلام الخنزير يقتل الدجال فقد جاء ينزل عيسى حكما مقسطا يحكم بشرعنا يقتل الدجال ونزوله يكون عند صلاة الفجر فيصلي خلف المهدي بعد ان يقول له المهدي تقدم يا روح الله فيقول له تقدم فقد أقيمت لك وفي رواية ينزل بعد شروع المهدي في الصلاة فيرجع المهدي القهقرى ليتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ويقول له تقدم فاذا فرغ من الصلاة أخذ حربته وخرج خلف الدجال فيقتله عند باب لد الشرقي وورد ان المهدي يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال وقد جاء ان المهدي من عترة النبي صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة قيل من ولد الحسين وقيل من ولد الحسن وقيل من ولد عمه العباس فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان أمه أم الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فائتيني به قالت فلما ولدته أتيته به فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وألبأه أي أسقاه اللبأ من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بأبي الخلفاء فأخبرت العباس فأتاه فذكر له فقال هو ما أخبرتك هذا أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي اي الخليفة وهو أبو الرشيد بدليل قوله حتى يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم اي وهو المهدي الذي يأتي آخر

محمد حقا افتديت منه بمالى وولدى فنزل ما أغنى عنه ماله وما كسب ومن جملة ما كسب الولد الى آخر السورة وفى رواية الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يابنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار يابنى مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يابنى هاشم انقذوا أنفسكم أنقذوا أنفسكم من النار يابنى زهرة أنقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة أنقذى نفسك من النار ياصفية عمة محمد أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيأ وفى لفظ فانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا اله الا الله أى لا تبقوا على الكفر اتكالا على القرابة فهو حث لهم على الاسلام وصالح الاعمال وترك الاتكال قال بعضهم ان ذكر فاطمة رضى الله عنها هنا من خلط الرواة بدليل قوله الا أن تقولوا لا اله الا الله وانما ذكرت فى حديث آخر وقع بالمدينة جمع فيه الزوجات والبنات وقال لهن لا أغنى عنكن من الله شيأ احثا لهن على صالح الاعمال ثم مكث صلى الله عليه وسلم أياما ونزل عليه جبريل عليه السلام وأمره بامضاء أمر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوأ وانها الجنة أبدا والنار أبدا يابنى عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بافضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بامر الدنيا والآخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير أبى لهب فانه قال يابنى عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه أى اقبضوه وامنعوه عن هذا الامر بحبس أو غيره قبل أن يأخذ على يده غيركم فان اسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له أخته صفية عمة رسول الله

الزمان اسمه محمد بن عبد الله لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد وفى رواية الا ليلة واحدة يطول الله ذلك حتى يبعث وظهوره يكون بعد ان يكسف القمر فى أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس فى النصف منه فان مثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض عمره عشرون سنة وقيل أربعون سنة ووجهه كوكب درى على خده الايمن خال اسود يخرج فى زمان الدجال وينزل فى زمنه عيسى بن مريم وأما ما ورد لا مهدى الا عيسى بن مريم فلا ينافى ذلك لجواز ان يكون المراد لا مهدى كاملا معصوما الا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فقد جاء لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطها وعن العباس رضى الله تعالى عنه قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال انظر هل ترى فى السماء من شئ قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال أما انه سيملك هذه الامة بعددها من صلبك أى وقد اختلف الناس فى عددها المرئى فقيل سبعة أنجم وقيل تسعة وجمع بينهما بان الاول يكون هو المرئى لغالب الناس ولو غير حديد البصر والثانى ان يكون حديد البصر منهم وأما المرئى له صلى الله عليه وسلم فقيل كان يرى احد عشر نجما وقيل اثنى عشر نجما وجمع بينهما بحمل الاول على ما اذا لم يمعن النظر والثانى على ما اذا أمعن النظر وحينئذ يقتضى هذا ان تكون الخلفاء من بنى العباس اثنى عشر وعن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقول يكون منا ثلاثة أهل البيت السفاح والمنصور والمهدى ورواه الضحاك عن ابن عباس مرفوعا والمهدى فى هذه الرواية يحتمل ان المراد به أبو الرشيد ويحتمل ان يكون المنتظر وروى أبو نعيم بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم خرج فتلقاه العباس فقال الا اسرك يا أبا الفضل قال بلى يارسول الله قال ان الله فتح بى هذا الامر وبذريتك يختمه وفى رواية ويختمه بولدك وقد أفردت ترجمة المهدى المنتظر بالتأليف فى مجلد حافل سميته مؤلفه القواصم عن الفتن القواصم وقد رويت قصة سلمان رضى الله تعالى عنه على غير هذا الوجه الذى تقدم فعنه قال كان لى أخ أكبر منى وكان يتقنع بثوبه ويصعد الجبل يفعل ذلك غير ما مرة متنكرا فقلت له أما انك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بى معك قال أنت غلام وأخاف ان يظهر منك شئ قلت لا تخف قال ان فى هذا الجبل قوما لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الآخرة ويزعمون انا على غير دين قلت فاذهب بى معك اليهم قال حتى استأمرهم فاستأمرهم فقالوا جئ به فذهبت معه فانتهيت اليهم فاذا هم ستة او سبعة وكأن الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فقعدنا اليهم فحمدوا الله تعالى وأثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والانبياء حتى خلصوا الى عيسى بن مريم قالوا ولد بغير ذكر وبعثه الله رسولا وسخر له ما كان يفعل من احياء الموتى وخلق الطير وابراء الاعمى والابرص فكفر به قوم وتبعه قوم ثم قالوا يا غلام ان لك ربا وان لك معادا وان بين ذلك جنة ونارا اليهما تصير وان هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم عدنا اليهم فقالوا مثل ذلك وأحسن فلزمتهم ثم اطلع عليهم الملك فأمرهم بالخروج من بلاده فقلت ما أنا بمفارقكم فخرجت معهم حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا بهم ثم

صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها وهى أم الزبير رضى الله عنه أى أخى أيحسن بك خذلان ابن أخيك فوالله ما زال العلماء يخبرون انه يخرج من ضئضئ أى أصل عبد المطلب نبى فهو هو قال أبو لهب هذا والله الباطل والامانى وكلام النساء فى الحجال فاذا قامت بطون قريش وقامت العرب معها فما قوتنا بهم فوالله ما نحن عندهم الا أكلة رأس فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبى صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم تكذبونى قالوا والله ما جربنا عليك كذبا فقال يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم من الله شيأ انى لكم نذير مبين بين يدى عذاب شديد وفى رواية ان مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله ان يسبقوه الى أهله فجعل يهتف ياصباحاه ياصباحاه أتيتم أتيتم أنا النذير العريان أى الذى ظهر صدقه من قولهم عرى الامر اذا ظهر وقيل الذى جرده العدو فأقبل عريانا ينذر بالعدو فانه لا يتهم بخلاف الذى لم يجرد فانه قد يتهم والمعنى أنا النذير الذى لا اتهم وفى رواية انه وقف على الصفا وفى أخرى على أبى قبيس وفى أخرى على أضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا يهتف ياصباحاه قالوا من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه قال ابن عباس رضى الله عنهما فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يأتى أرسل رسولا الحديث وفى رواية صاح يا آل عبد مناف انى نذير وفى أخرى جمع بنى عبد المطلب فى دار أبى طالب وهم أربعون وفى رواية خمسة وأربعون وامرأتان فصنع لهم طعاما وهى شاة مع مد من البر وصاع من اللبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا باسم الله فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا أى رووا وفى رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول القعب الذى فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس من الشراب فى مقعد واحد فلما رأوا كفاية ذلك الطعام القليل والشراب لهم بهتوا وقهرهم ذلك فلما أراد رسول الله

أتاهم رجل من كهف جبل فسلم وجلس فحفوا به فقال لهم أين كنتم فأخبروه فقال ما هذا الغلام معكم فأثنوا على خيرا وأخبروه باتباعى اياهم ولم أر مثل اعظامهم له فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر من أرسله الله من رسله وأنبيائه وما لقوا وما صنع بهم حتى ذكر عيسى بن مريم ثم وعظهم وقال اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تخالفوا فيخالف بكم ثم أراد ان يقوم فقلت ما أنا بمفارقك فقال يا غلام انك لا تستطيع ان تكون معى انى لا أخرج من كهفى هذا الا كل يوم أحد قلت ما أنا بمفارقك فتبعته حتى دخل الكهف فما رأيته نائما ولا طاعما الا راكعا وساجدا الى الاحد الآخر فلما أصبحنا خرجنا واجتمعوا اليه فتكلم نحو المرة الاولى ثم رجع الى كهفه ورجعت معه فلبثت ما شاء الله ان يخرج فى كل يوم أحد ويخرجون اليه ويعظهم ويوصيهم فخرج فى أحد فقال مثل ما كان يقول ثم قال ياهؤلاء انى قد كبر سنى ورق عظمى وقرب أجلى وانى لا عهد لى بهذا البيت يعنى بيت المقدس منذ كذا وكذا سنة فلا بد لى من اتيانه فقلت ما أنا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى أتيت الى بيت المقدس فدخل وجعل يصلى وكان فيما يقول لى ياسلمان ان الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته ان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذى يخرج فيه قد تقارب فأما أنا فشيخ كبير لا أحسبنى أدركه فان أدركته أنت فصدقه واتبعه فقلت وان أمرنى بترك دينك وما أنت عليه قال وان أمرك ثم خرج من بيت المقدس وعلى بابه مقعد فقال له ناولنى يدك فناوله يده فقال له قم باسم الله فقام كأنما انشط من عقال فقال لى المقعد يا غلام احمل على ثيابى حتى أنطلق فحملت عليه ثيابه فذهب الراهب وذهبت فى أثره أطلبه كلما سألت عنه قالوا أمامك حتى لقينى ركب من كلب فسألتهم فلما سمعوا اللغى أناخ رجل بعيره وحملنى عليه فجعلنى خلفه حتى أتوا بى بلادهم فباعونى فاشترتنى امرأة من الانصار فجعلتنى فى حائط لها أى بستان وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرت به فأخذت شيأ من تمر حائطى ثم أتيته فوجدت عنده اناسا فوضعته بين يديه فقال ما هذا قلت صدقة قال للقوم كلوا ولم يأكل هو ثم لبثت ما شاء الله ثم أخذت مثل ذلك ثم أتيته فوجدت عنده اناسا فوضعته بين يديه فقال ما هذا فقلت هدية قال بسم الله وأكل وأكل القوم فقلت فى نفسى هذه من آياته ويحتاج للجمع بين هذه الروايات وما تقدم على تقدير صحتها وفى الدر المنثور ان امرأة من جهينة اشترته وصار يرعى غنما لها بيناهو يوما يرعى اذ أتاه صاحب له فقال له اشعرت انه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم انه نبى فقال له سلمان اقم فى الغنم حتى آتيك فهبط سلمان الى المدينة فاشترى بدينار ببعضه شاة فشواها وببعضه خبزا ثم أتاه به فقال ما هذا قال سلمان هذه صدقة قال لا حاجة لى بها فأخرجها فأكلها أصحابه ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزا ولحما فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال هذه هدية قال فاقعد فكل فقعدوا أكلا جميعا منها فدرت خلفه ففطن بى فارخى ثوبه فاذا الخاتم فى ناحية كتفه الايسر فتبينته ثم درت حتى جلست بين يديه فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وهذه الرواية تخالف ما تقدم فايتأمل واينظر كيف الجمع ونقل بعضهم الاجماع على أن سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا

صلى الله عليه وسلم يتكلم بدره أبو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفى رواية سحركم محمد وفى رواية ما رأينا كالسحر
اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا على عد لنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام والشراب
قال على رضى الله عنه ففعلت ثم جمعتهم له فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا فقال لهم يا بنى عبد المطلب ان الله قد بعثنى
الى الخلق كافة وبعثنى اليكم خاصة
فقال وأنذر عشيرتك الاقربين
وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين
على اللسان ثقيلتين فى الميزان
شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول
الله فمن يجيبنى الى هذا الامر
ويوازرنى أى يعاوننى على القيام
به قال على رضى الله عنه أنا يا رسول
الله وكان أحدثهم سنا وسكت
القوم قال اجلس ثم أعاد القول
على القوم ثانيا فصمتوا فقام على
وقال أنا يا رسول الله فقال اجلس
ثم أعاد القول على القوم ثالثا فلم
يجبه أحد منهم فقام على وقال أنا
يا رسول قال اجلس فأنت أخى
قال الامام أبو العباس بن تيمية زاد
فى الحديث بعض أهل الضلال
زيادات لا أصل لها وهى كذب
باطل قالوا قال فمن يجيبنى الى هذا
الامر يكن أخى ووزيرى ووارثى
وخليفتى من بعدى فقام على الخ
وزادوا فى آخر الحديث قال اجلس
فأنت أخى ووزيرى ووصيى ووارثى
وخليفتى من بعدى فتلك الزيادات
كلها كذب من افتراء الرافضة
الذين يريدون الطعن على أهل
السنة والقدح فى خلافة الخلفاء
قبل على رضى الله عنه وفى رواية
عن على رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أمر خديجة
فصنعت طعاما ثم قال ادع لى بنى
عبد المطلب فدعوت أربعين رجلا
الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك
ويجوز أن يكون على فعل ذلك عند خديجة رضى الله عنها وجاء به الى بيت أبى طالب ولعل جمعهم هذا كان متأخرا عن ودسناهم
جمعهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك حرصا على اسلام أهل بيته فلما دعا قومه ولم يردوا عليه ولم يجيبوه
صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان اذا مر عليهم فى مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بنى عبد المطلب ليكلم من السماء

وكان يأخذ من بيت المال فى كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل الا من عمل يده
وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو
يعمل الخوص فقلت له لم تعمل هذا وأنت أمير وهو يجرى عليك رزق فقال انى أحب ان آكل
من عمل يدى وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فأكلوا معه وأول مشاهده الخندق
كما تقدم قيل وشهد بدرا وأحدا قبل ان يعتق اى وهو مكاتب فيكون أول مشاهده الخندق بعد
عتقه والله أعلم وأما اخبار الكهان لا عن ألسنة الجان فكثيرة منها ما تقدم فى ليلة ولادته صلى
الله عليه وسلم وفى أيام رضاعه قال ومنها أيضا خبر عمرو بن معد يكرب رضى الله تعالى عنه قال
والله لقد علمت ان محمدا رسول الله قبل أن يبعث فقيل له وكيف ذلك قال فزعنا الى كاهن لنا فى
أمر نزل بنا فقال الكاهن اقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الادراج والريح ذات
العجاج ان هذا الامر آج لعله من أجيج النار وهو التهابها ولقاح ذى نتاج قالوا وما نتاجه
قال نتاجه ظهور نبى صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا وأين يظهر والى ماذا يدعو
قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح ويعطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن كل
أمر قباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه
مكمد انتهى ومنها خبر قس بن ساعدة الايادى وهو أول من قال البينة على المدعى واليمين
على من أنكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس أو سيف عند الخطبة وقيل ان أول من تكلم
بأن البينة على المدعى واليمين على من أنكر داود عليه الصلاة والسلام وان ذلك فصل الخطاب
ورد بأنه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته * عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قدم وفد عبد
القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف القس بن ساعدة الايادى قالوا كلنا
يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما أنساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس
اجمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان فى السماء لخبرا
وان فى الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور اقسم قس
قسما حاتما لان كان فى الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى
أنتم عليه مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هناك فناموا
ثم قال صلى الله عليه وسلم أيكم يروى شعره فأنشدوه عليه الصلاة والسلام

فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها * تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى الى ولا من الباقين غابر
أيقنت انى لا محا * لة حيث صار القوم صائر

وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدا فى
قومه وقيل له الجارود لانه أغار على قوم من بنى بكر بن وائل فجردهم أى أخذ جميع أموالهم
والى ذلك الاشارة بقول الشاعر

وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آباءهم فتنا كروه واجمعوا على خلافه وعداوته وجاؤا الى أبى طالب وقالوا يا أبا
طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا أى عقولنا ينسبنا الى قلة العقل وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان
تخلى بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر
دين الله ويدعو اليه لا يرده عن
ذلك شئ والى ذلك أشار صاحب
الهمزية بقوله
ثم قام النبى يدعو الى الله
وفى الكفر نجدة واباء
امما اشربت قلوبهم الكفر *
فداء الضلال فيهم عياء
ثم كثر الشر وتزايد وانتشر بينه
وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا
أى أضمروا العداوة والحقد
وأكثرت قريش ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينها وحض
بعضهم بعضا على حربه وعداوته
ومقاطعته ثم مشوا الى أبى طالب
مرة أخرى فقالوا يا أبا طالب ان
لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا
قد طلبنا منك ان تنهى ابن أخيك
فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على
هذا من شتم آبائنا وتسفيه
احلامنا أى عقولنا وعيب آلهتنا
حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى
ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم
انصرفوا عنه فعظم على أبى طالب
فراق قومه وعداوتهم ولم يطب
نفسا بأن يخذل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخى
ان قومك جاؤنى فقالوا لى كذا
وكذا فابق على وعلى نفسك ولا
تحملنى من الامر ما لا أطيق فظن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
عمه خاذله وانه ضعيف عن نصرته
والقيام معه فقال يا عم والله
لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم أى حصلت له العبرة التى هى دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال اقبل يا ابن أخى فأقبل عليه
فقال اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت والله لا أسلمك ثم أنشأ يقول والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا جار ودهل فى جماعة
وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال الجارود وأنا بين يدى القوم
كنت أقفو أى اتبع أثره كان من أسباط العرب أى من ولد ولدهم شيخا عمر سبعمائة سنة أى
وقيل ستمائة سنة أدرك من الحوار بين سمعان فهو أول من تأله أى تعبد من العرب أى ترك
عبادة الاصنام وأول من قال أما بعد أى وقيل أول من قال ذلك كعب بن لؤى كما تقدم وقيل
سحبان بن وائل وقيل يعقوب وقيل يعرب بن قحطان وقيل داود وهو فصل الخطاب ورد بأنه
لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته أى وبعد لفظة عربية وفصل الخطاب الذى أوتيه هو فصل
الخصومة أى وهذا يؤيد ما تقدم عنه انه أول من قال البينة على المدعى واليمين على من أنكر
وتقدم ما فيه وجمع بان الاولية بالنسبة لداود حقيقية ولغيره اضافية فلكعب بن لؤى بالنسبة
للعرب ولغيره بالنسبة لقبيلته وقس أول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود كأنى أنظر
اليه يقسم بالرب الذى هوله ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم أنشأ يقول

هاج للقلب من جواه اذكار * وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات * وبحار مياههن غزار
ونجوم تلوح فى ظلم الليـ * ـل تراها فى كل يوم تدار
والذى قد ذكرت دل على الله * نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود والرسل بكسر الراء التؤدة فلست
أنساه بسوق عكاظ أى وهو سوق بين بطن نخلة والطائف كان سوقا لثقيف وقيس عيلان
كما تقدم على جمل أورق أى يضرب لونه الى السواد وهو يتكلم بكلام ما أظن انى
أحفظه وفى لفظ تكلم بكلام له حلاوة لا أحفظه الآن فقال أبو بكر يا رسول الله فانى
أحفظه كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال فى خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا
واذا وعيتم فانتفعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات
وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات جمع واشتات وآيات بعد آيات
ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا ليل داج أى مظلم وسماء ذات أبراج وأرض
ذات فجاج وبحار ذات أمواج مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام
فقاموا أم تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حنث فيه ولا آثما ان لله دينا
هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم زمانه فطوبى لمن آمن
به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون
الماضية يا معشر اياد هى قبيلة من اليمن أين الآباء والاجداد وأين المريض والعواد
وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد أى زين وطول وغره المال والولد
أين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال أنا ربكم الاعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأطول منكم
آجالا وأبعد منكم آمالا طحنهم التراب بكلكله أى بصدره ومزقهم بتطاوله فتلك

فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة * وابشر وقربذاك منك عيونا
ودعوتنى وزعمت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لامحالة انه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أوحذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وحكمة تخصيصه صلى الله عليه وسلم الشمس 212 والقمر بالذكر وجعل الشمس فى اليمين والقمر فى اليسار لاتخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين أليق به والقمر النير المحو واليسار أليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذى جاء به نور قال الله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره فلما أن عرفت قريش ان أبا طالب غير خاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة ابن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد أى أشد وأقوى فتى فى قريش وأجمله نخذه لك ولدا بأن تتبناه وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينه ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم فنقتله فقال لهم أبو طالب بئس ماتسوموننى أتعطوننى ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله لا يكون أبدا أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها فقال المطعم ابن عدى والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل شيأ منهم فقال له أبو طالب والله ما أنصفونى ولكن قد اجمعت أى قصدت خذلانى ومظاهرة القوم أى معاونتهم على فاصنع مابدالك وعمارة بن الوليد هذا قدمات على كفره بأرض الحبشة بعد ان سحر وتوحش وسار فى البرارى والقفار ومات المطعم بن عدى على كفره أيضا ومنذ عدم قبول أبى طالب اشتد الامر ولما رأى أبو طالب من قريش مارأى دعا بنى هاشم وبنى المطلب الى ماهو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجابوه الى ذلك غير أبى لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من أسلم معه * فمما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم

عظامهم باليه وبيوتهم خاويه عمرتها الذئاب العاويه كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول الابيات المتقدمة أى وفى رواية لما قدم وفد اياد على النبى صلى الله عليه وسلم قال يامعشر وفد اياد ما فعل قس بن ساعدة الايادى قالوا هلك يارسول الله قال لقد شهدته يوما بسوق عكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام معجب مونق لا أجدنى أحفظه الآن فقام امرؤ اعرابى من أقاصى القوم فقال أنا أحفظه يارسول الله فسر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك كان يقول يامعشر الناس اجتمعوا فكل من مات فات وكل شئ آت آت ليل داج وسماء ذات أبراج وبحر عجاج نجوم تزهر وجبال مرسية وأنهار مجرية الحديث وفى رواية أين الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان ذلك كلمحة عين قال وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل أبلج أحور من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان فاذا دعاكم فأجيبوه ولو علمت أنى أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة قال الحافظ ابن كثير هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات أصل القصة وقال الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وهو يرد قول ابن الجوزى فى موضوعاته حديث قس بن ساعدة من جميع جهاته باطل اه (أقول) ذكر فى النور أن فى قصة قس ما يرشد الى التعدد مرتين مرة حفظ صلى الله عليه وسلم كلامه وكان قس على جمل أحمر والثانية التى لم يحفظ صلى الله عليه وسلم فيها كلامه كان قس على جمل أورق قال لكن لا أدرى أى المرتين كانت أولا هذا كلامه وقد يقال النسيان جائز عليه صلى الله عليه وسلم فيجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم أنسى كلام قس بعد الاخبار به أولا ويدل لذلك قوله لا أظن انى أحفظه الآن أو قبل الاخبار به فيكون خبره صلى الله عليه وسلم متأخرا عن خبر أبى بكر فلا دلالة فى ذلك على التعدد ووصف الجمل بأنه أحمر ووصفه بانه أورق لا يدل على التعدد لانه يجوز أن يكون شديد الحمرة وشدة الحمرة تميل الى السواد وهو الاورق فأخبر عنه مرة بانه أحمر ومرة بأنه أورق وهذا السياق يدل على تعدد مجئ وفد عبد القيس مرة جاؤا وحدهم ومرة جاؤا مع سيدهم الجارود وقد جاء رحم الله قسا انه كان على دين أبى اسمعيل بن ابراهيم والله أعلم (ومن ذلك خبر نافع الجرشى) نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير تسمى به بلدهم ان بطنا من اليمن كان لهم كاهن فى الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه فى أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس فرفع رأسه الى السماء طويلا ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ﴿وأما اخبار الكهان﴾ على ألسنة الجان فكثيرة أيضا منها خبر سواد بن قارب رضى الله تعالى عنه وكان يتكهن فى الجاهلية وكان شاعرا ثم أسلم فعن محمد بن كعب القرظى قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له يا أمير المؤمنين

من الاذية ماحدث به عمه العباس رضى الله عنه قال كنت يوما فى المسجد فأقبل أبو جهل فقال لله على ان رأيت محمدا ساجدا أن أطأ عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول أبى جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل ان يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق الى أن 213 بلغ آخر السورة فسجد فقال انسان لابى جهل يا أبا الحكم هذا محمد قد سجد فأقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له فى ذلك فقال أبو جهل ألا ترون ماأرى وفى رواية رأيت بينى وبينه خندقا من نار وسيأتى ان قوله تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل فى أبى جهل * ومن ذلك ماحدث به بعضهم قال ذكر لنا ان أبا جهل قال يوما لقريش ان محمدا قد أتى الى ماترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه احلامكم وسب آبائكم وانى أعاهد الله لاجلس له يعنى النبى صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بى بعد ذلك بنو عبد مناف مابدا لهم فقالوا والله لانسلمك لشئ أبدا فامض لماتريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة وكان يصلى بين الركن اليمانى والحجر الاسود وقريش جلوس فى أنديتهم ينتظرون ماأبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه أى متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده بعد أن عالجوا فكه منها فلم يقدروا وقامت اليه رجال من قريش وقالوا مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل ماقلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى فحل من الابل مارأيت مثله قط هم أن يقتلنى فلما ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لودنا لاخذه والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله
وأبو جهل اذ رأى عنق الفحل اليه كأنه العنقاء

أتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد بن قارب الذى أتاه رئيه أى تابعه من الجن الذى يتراءى له أتاه بظهور النبى صلى الله عليه وسلم أى بعد أن قال عمر رضى الله تعالى عنه على المنبر أى منبر النبى صلى الله عليه وسلم أيها الناس أفيكم سواد بن قارب فلم يجبه أحد فلما كان السنة المقبلة ولعل ذلك كان فى زمن المجئ للزيارة من الآفاق قال أيها الناس أفيكم سواد بن قارب قال بعضهم يا أمير المؤمنين ما سواد بن قارب قال ان سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيأ عجيبا قال البراء فبينما نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فأرسل اليه عمر رضى الله تعالى عنه فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال أنت الذى أتاك رئيك بظهور النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلنى بهذا احد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال له سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أى من عبادة الاصنام أعظم مما كنت عليه من كهانتك أى وفى رواية ان عمر رضى الله تعالى عنه قال اللهم غفرا قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى أكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام (أقول) وفيه ان المتبادر ان غضب سواد انما هو بسبب مافهمه من نسبته الى الكهانة بعد الاسلام لاقبله بدليل قوله ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت وجواب سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه يدل على انه فهم ان غضب سواد بسبب نسبته للكهانة قبل الاسلام فلذلك قال سبحان الله متعجبا منه وفى كلام السهيلى أن عمر رضى الله تعالى عنه مازح سوادا رضى الله تعالى عنه فقال له مافعلت كهانتك ياسواد فغضب وقال له سواد رضى الله تعالى عنه قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرنى بأمر قد تبت منه فقال عمر رضى الله تعالى عنه اللهم غفرا فليتأمل والله أعلم ثم قال لسواد أخبرنى مانبأ رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال ياسواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ أتانى رئيى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماصادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذنابها

فقلت دعنى أنام فانى أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * مامؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

فقلت دعنى أنام فانى أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال قم

ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس بأحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما خير الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * وارم بعينيك الى رأسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي ثم أتيت المدينة وفي رواية حتى أتيت مكة وهي كما قال البيهقي أقرب الى الصحة من الاولى أي لان الجن انما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم للايمان به في مكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله وفي لفظ والناس حوله وفي لفظ والناس عليه كعرف الفرس فلما رآني قال مرحبا بك ياسواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يارسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي يارسول الله فقال هات فانشأت أي ابتدأت أقول

* أتاني نجيي بعد هدء ورقدة * وفي لفظ

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة * ولم يك فيما قد تلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت من ذيل الازار وفي لفظ عن ساقي الازار ووسطت * بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد أن الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله ياابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب
وفي رواية وكن لي شفيعا يوم لا ذو قرابة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

قال ففرح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رؤي الفرح في وجوههم أي وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أفلحت ياسواد فرأيت عمر رضي الله تعالى عنه التزمه وقال لقد كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم قال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن أي وهذا السياق يدل على ان سيدنا عمر لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره سواد ولما مات صلى الله عليه وسلم وخشي سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا فقال يامعشر دوس من سعادة القوم ان يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم ان لا يتعظوا الا بأنفسهم وانه من لم تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما اسلمتم به امس ولا ينبغي لاهل البلاء الا أن يكونوا اذكر من أهل العافية للعافية ولست أدري لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فاحبوها فاجابه لقوم بالسمع والطاعة أي ومن ذلك أن امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له مالك لا تدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان

وفي رواية ان أبا جهل قال رأيت بيني وبينه خندقا من نار ولا مانع من وجود الامرين معا وذكروا في سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون أي رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها من أقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ان الآية الاولى نزلت في أبي جهل فانه لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه اثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى أصحابه اخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت في آخر لما رأى ماوقع لابي جهل قال انا ألقي هذا الحجر عليه فذهب اليه فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فأخبرهم بذلك وعن الحكم بن أبي العاص وهو أبو مروان بن الحكم ان ابنته قالت له ما رأيت قوما كانوا أسوأ رأيا وأعجز في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يابني أمية فقال لا تلومينا يابنية اني لا أحدثك الا ما رأيت لقد أجمعنا ليلة على اغتياله فلما رأيناه يصلي ليلا جئناه من خلفه فسمعنا صوتا ظننا انه ما بقي بتهامة جبل الا تفتت علينا أي ظننا انه تفتت ويقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع الى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقت احداهما بالاخرى فحالتا بيننا وبينه وفي رواية كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاءه أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فانزل الله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زبره أبو جهل أي انتهره وقال انك لتعلم ان مابها أكثر ناديا مني فأنزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس رضي الله عنهما لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله وقال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت اني امنع أهل البطحاء وان العزيز الكريم فانزل الله فيه ذق انك أنت العزيز الكريم قال الواحدي أي تقول له الزبانية عند تعذيبه في النار ماذكر توبيخا له (ومن ذلك) انه لما أنزل الله تعالى سورة تبت

فكان أول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وأما ما سمع من جوف الاصنام﴾ فكثير أيضا فمنها أي غير ما تقدم في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم خبر عباس بن مرداس قال كان لمرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها ألف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة قال للعباس ولده أي بني اعبد ضمارا فانه ينفعك ويضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

من للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد
ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد
أودى ضمار وكان يعبد مدة * قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان عباس بن مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال له ياعباس ألم تر ان السماء قد تعب احراسها وان الحرب قد جرعت أنفاسها وان الخيل وضعت أحلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوا فقال عباس فراعني ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مدة * قبل الصلاة على النبي محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال عباس فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم وقال ياعباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت وأسلمت أنا وقومي ﴿ومن ذلك خبر مازن﴾ بن الغضوبة قال كنت أسدن أي أخدم صنما بقرية بعمان أي بالتخفيف تدعى سمائل وسمال يقال له باجر وفي لفظ باحر بالحاء المهملة فعترنا ذات يوم عنده عتيرة وهي الذبيحة مطلقا وقيل في رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول يامازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر بعث نبي من مضر بدين الله الكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر قال مازن ففزعت لذلك وقلت ان هذا العجب ثم عترت بعد أيام عتيرة أي ذبحت ذبيحة لذلك الصنم فسمعت صوتا من الصنم يقول

أقبل الي أقبل * تسمع مالا تجهل
هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل
آمن به كي تعدل * عن حر نار تشعل
وقودها بالجندل

فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بي (أقول) ورأيت في بعض السير تقديم هذه الابيات على ماقبلها وان مازنا قال ثم سمعت صوتا أبين من الاول وهو يقول يامازن اسمع الى آخره والله أعلم قال مازن فبينا نحن كذلك اذ قدم رجل من أهل الحجاز فقلنا ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله فقلت هذا نبأ ما سمعته فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتي وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فأسلمت وقلت

كسرت باجر أجذاذا وكان لنا * ربا نطيف به ضلا بتضلال

يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب وهي أم جميل قال بعضهم الاولى بها أم قبيح واسمها العوراء وقيل أروى بنت حرب أخت أبي سفيان ولها ولولة وبيدها فهر أي حجر يملأ الكف فيه طول تدق به الهاون الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يارسول الله انها امرأة بذية أي تأتي بالفحش من القول فلو قمت كي لا تؤذيك فقال انها لن تراني فجاءت فقالت يا أبا بكر صاحبك هجاني وفي لفظ ما شأن صاحبك ينشد في الشعر قال لا والله وما يقول الشعر أي بنفسه وفي لفظ لا ورب هذا البيت ماهجاك والله ما صاحبي شاعر أي لا يحسن انشاءه فقالت له أنت عندي لصادق وانصرفت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيد تعني عبد مناف جد أبيها أي ومن كان عبد مناف أباه لا ينبغي لاحد أن يتجاسر على ذمه قال أبو بكر رضي الله عنه قلت يارسول الله لم ترك قال لم يزل ملك يسترني بجناحيه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر قل لها هل ترين عندي أحدا فقالها أبو بكر فقالت أتهزأ بي والله ما أرى عندك أحدا وفي رواية انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأقبلت على أبي بكر رضي الله عنه فقالت له أين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغني انه هجاني والله لو وجدته لضربته بهذا الحجر فقال عمر رضي الله عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت اني لا أكلمك ياابن الخطاب لما تعلمه من شدته ثم أقبلت على أبي بكر رضي الله عنه لما تعلمه من لينه فقالت والثواقب أي النجوم انه لشاعر واني لشاعرة أي فكما هجاني لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لم ترك فقال انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب أي لانه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وفي رواية أقبلت ومعها فهر وهي تقول * مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا * فقالت أين الذي هجاني وهجا زوجي والله

لئن رأيته لأضربنه بهذين الفهرين قال أبو بكر يا أم جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم تراك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حال بيني و بينها جبريل ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين الروايات وكما يقال فى الحمد محمد يقال فى الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم مرة بعد أخرى كما ان محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد أخرى وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كيف صرف الله عنى شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما و يلعنون مذمما وانا محمد * وفى الدر المنثور للجلال السيوطى انها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى الملا فقالت يا محمد علام تهجونى قال والله انى ما هجوتك ما هجاك الا الله قالت أرأيتنى أحمل حطبا أو رأيت فى جيدى حبلا من مسد وهذا يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على أى ينم لانها كانت تمشى بين الناس بالنميمة وتغرى زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه أحاديث اتخذوها على عداوته وان الحبل عبارة عن حبل من نار محكم وعن عروة بن الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله أعلم والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأعدت حمالة الحطب الفهـ * ـر وجاءت كأنها الورقاء

يوم جاءت غضبى تقول أفى مثـ * ـلى من أحمد يقال الهجاء

وتولت وما رأته ومن أيـ * ـن ترى الشمس مقلة عمياء

وقيل معنى كونها حمالة الحطب انها كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه فى طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف فيها وقوله كأنها الورقاء يعنى انها جاءت وهى فى غاية السرعة والعجلة كأنها فى شدة السرعة والعجلة الحمامة الشديدة الاسراع يروى انها لما بلغتها سورة تبت يدا أبى لهب جاءت الى أخيها أبى سفيان أى بناء على ان امرأة أبى لهب هى اروى بنت حرب كما تقدم فدخلت فى بيته وهى مضطرمة أى محترقة غضبا فقالت له ويحك يا أحمس أى شجاع أما تغضب ان هجانى محمد فقال سأكفيك

بالهاشمى هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه شيأ على بالى

يا راكبا بلغن عمرا واخوتها * أنى لما قال ربى بادر قالى

عنى بعمرو واخوتها بنى خطامة وهى بطن من طئ وهذه الابيات ساقطة فى أسد الغابة قال مازن فقلت يا رسول الله انى مولع بالطرب أى مغرم به و بشرب الخمر و بالهلوك أى الفاجرة من النساء التى تتمايل وتتثنى عند جماعها وقيل الساقطة على الرجال أى لشدة شبقها وألحت أى دامت علينا السنون أى أعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذرارى والعيال وليس لى ولد فادع الله أن يذهب عنى ما أجد و يأتينى بالحيا ويهب لى ولدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال و بالخمر ريا لا اثم فيه و بالعهر أى الزنا عفة الفرج وأته بالحيا أى المطر وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عنى ما كنت أجده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا وأخصبت عمان يعنى قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لى حيان يعنى ولده وأنشأت أقول

اليك رسول الله حنت مطيتى * تجوب الفيافى من عمان الى العرج

لتشفع لى يا خير من وطئ الحصا * فيغفر لى ذنبى وأرجع بالفلج

أى بالفوز والظفر بالمطلوب

الى معشر خالفت فى الله دينهم * ولا رأيهم رأيى ولا شرجهم شرجى

أى بالشين والجيم أى لا شكلهم شكلى ولا طريقتهم طريقى

وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا * شبابى حتى آذن الجسم بالنهج أى بالبلاء

فبدلنى بالخمر خوفا وخشية * وبالعهر احصانا فحصن لى فرجى

فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى * فلله ما صومى ولله ما حجى

قال مازن فلما رجعت الى قومى انبونى أى عنفونى ولامونى وشتمونى وامروا شاعرهم فهجانى فقلت ان هجوتهم فانما أهجو نفسى وتنحيت عنهم وأتيت مسجدا أتعبد فيه وكان لا يأتى هذا المسجد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا و يدعو على من ظلمه الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص أو غيره الا عوفى ثم ان القوم ندموا وطلبوا منى الرجوع اليهم فاسلموا كلهم وضعف هذا الحديث (وأما ما سمع من أجواف الذبائح) فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال كنا يوما فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه اذ سمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيأ يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا اله الا الله أى والمراد بالذريح العجل الذى ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر لقولهم أحمر ذريحى أى شديد الحمرة والذى فى البخارى يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح أيضا لانه قد جلح أى كشف عنه جلده ونحو وأما ما سمع من الهواتف ولم يجئ على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكره النبى صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت أطلب بعيرا لى حتى اذا عسعس الليل أى أدبر وكاد الصبح أن يتنفس هتف بى

اياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال لها يا أختى أيسرك ان رأس أخيك فى فم ثعبان قالت لا والله فقال كاد ذلك يكون الساعة أى فانه رأى ثعبانا لو قرب أبو سفيان من النبى صلى الله عليه وسلم لالتقم ذلك الثعبان رأسه ولما نزلت هذه السورة التى هى تبت يدا أبى لهب قال أبو لهب لابنه عتبة بصيغة التكبير وقد أسلم عام الفتح مع أخيه معتب رضى الله عنهما رأسك من رأسى حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعنى رقية رضى الله عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها وكان أخوهما عتيبة بالتصغير متزوجا ابنته صلى الله عليه وسلم أم كلثوم ولم يدخل بها أيضا وكان نكاح المشرك للمسلمة غير ممنوع فى صدر الاسلام ثم حرمه تعالى بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا و بقوله تعالى فى صلح الحديبية فلا ترجعوهن الى الكفار الآية فقال عتيبة وقد أراد الذهاب الى الشام لآتين محمدا فلاوذينه فى ربه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم وفى رواية برب النجم اذا هوى و بالذى دنى فتدلى ثم بصق فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته أى طلقها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفى رواية ابعث عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها أبو طالب وقال ما أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه فأخبره بذلك ثم خرج هو وأبوه الى الشام فى جماعة فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم نسبى وحقى فقالوا أجل يا أبا لهب فقال أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فانى أخاف على ابنى دعوة محمد فاجمعوا امتاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابنى عليه ثم افرشوا لكم حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم وأناخوها وأحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفى رواية فضخ رأسه وفى رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفى رواية فضغمه ضغمة كانت اياها فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ومات فقال أبوه

هاتف يقول * يا أيها الراقد فى الليل الاحم * أى بالحاء المهملة الاسود

قد بعث الله نبيا بالحرم * من هاشم أهل الوفاء والكرم * يجلو دجنات الليالى والبهم

أى الظلمات والامور المشكلة فادرت طرفى فما رأيت شخصا فانشأت اقول

يا أيها الهاتف فى داجى الظلم * أهلا وسهلا بك من طيف ألم

بين هداك الله فى لحن الكلم * من ذا الذى تدعو اليه يغتنم

فاذا أنا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور و بطل الزور و بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور أى السرور صاحب النجيب الاحمر أى الكريم من الابل والتاج والمغفر والوجه الازهر أى الابيض المشرب بالحمرة والحاجب أى الجبين الاقمر أى الابيض والطرف الاحور أى شديد سواده صاحب قول شهادة أن لا اله الا الله فذلك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر أهل المدر والوبر أى العجم والعرب ثم انشأ يقول

الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث ارسل فينا أحمدا * خير نبى قد بعث

صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

أى اظهرت الجن أوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة فى صورة الغناء الذى تألفه النفس ولا تصبر عنها عند سماعه فتسمع لغيره حتى اطرب الانس ذلك الغناء الذى سمعوه من الجن قال فلاح الصباح واذا بالفنيق يشقشق والفنيق بفتح الفاء وكسر النون وسكون المثناة تحت ثم قاف الفحل الكريم من الابل و يشقشق بشينين معجمتين وقافين أى يهدر الى النوق فملكت خطامه وعلوت سنامه حتى اذا لغب بالغين المعجمة والموحدة أى تعب فنزل فى روضة خضراء فاذا أنا بقس بن ساعدة فى ظل شجرة و بيده قضيب من اراك ينكت به الارض والنكت بالمثناة فوق وهو يقول يا ناعى الموت والملحود فى جدث (أى قبر) عليهم من بقايا بزهم خرق أى والبز الثياب

دعهم فان لهم يوما يصاح به * فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا أى خافوا

حتى يعودوا بحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبله خلقوا

منهم عراة ومنهم فى ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق

والمنهج من الثياب الذى أخذ فى البلا قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فاذا بعين خوارة أى لمائها خرير أى صوت فى الارض خوارة أى ضعيفة ومسجد بين قبرين وأسدين عظيمين يلوذان به واذا بأحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذى فى يده وقال ارجع ثكلتك أمك أى فقدتك حتى يشرب الذى قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت له ما هذان القبران قال هذان قبرا أخوين كانا لى يعبدان الله عز وجل معى فى هذا المكان لا يشركان بالله شيأ أى اسم أحدهما سمعون والآخر سمعان فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ثم نظر اليهما وانشد أبياتا فقال رسول الله صلى الله

قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم والاسد يسمى كلبا فى اللغة * ومما وقع للنبى صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو يصلى وقد نحر بعض الناس جزورا وبقى فرثه أى روثه وكرشه فقال أبو جهل ألا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد وفى رواية ألا تنظرون الى هذا المرائى أيكم يقوم الى جزور بنى فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجىء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفى رواية أيكم يأخذ سلا جزور بنى فلان لجزور ذبحت من يومين أو ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام شقى من المشركين وفى لفظ أشقى القوم وهو عقبة بن أبى معيط وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فضحكوا وجعل بعضهم يميل الى بعض من شدة الضحك قال ابن مسعود رضى الله عنه فهبنا أى خفنا ان نلقيه عنه وفى لفظ وأنا قائم انظر لو كانت لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضى الله عنها بعد أن ذهب اليها انسان وأخبرها بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه واستمراره عند من يقول بنجاسة ذلك لعدم علمه بنجاسة الموضوع ولما ألقته أقبلت عليهم تشتمهم فقام صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلى اللهم اشدد وطأتك أى عقابك الشديد على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف اللهم عليك بأبى الحكم بن هشام يعنى أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبى معيط وعمارة بن الوليد وأمية بن خلف وفى رواية فلما قضى صلاته صلى الله عليه وسلم قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام الى آخر ما تقدم وفى رواية فلما قضى صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم عليك بأبى جهل بن هشام الحديث قال ابن مسعود والله لقد رأيتهم وفى رواية لقد رأيت الذين سمى صرعى

عليه وسلم رحم الله قسا انى أرجو ان يبعثه الله أمة وحده أى واحدا يقوم مقام جماعة كما تقدم وقد أشار الى ذلك صاحب الاصل بقوله

وعنه اخبر قس قومه فلقد * حلى مسامعهم من ذكره شنفا

ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها روحين من أعمال حلب وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام * ومن ذلك ما ذكره الواقدى باسناد له قال كان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فبينا الخثعميون عند صنم لهم اذ سمعوا هاتفا يهتف ويقول

يا أيها الناس ذوو الاجسام * ومسندو الحكم الى الاصنام
أما ترون ما أرى امامى * من ساطع يجلو دجى الظلام
ذاك نبى سيد الانام * من هاشم فى ذروة السنام
مستعلن بالبلد الحرام * جاء يهد الكفر بالاسلام
أكرمه الرحمن من امام

قال أبو هريرة فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثلاث حتى فجأهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة أى جاءهم ذلك بغتة فما أسلم الخثعميون حتى استأخر اسلامهم ورأوا عبرا عند أصنامهم وأما خبر زمل بن عمرو العذرى قال كان لبنى عذرة وهى قبيلة من اليمن صنم يقال له خمام بالخاء المعجمة المضمومة وتخفيف الميم وكانوا يعظمونه وكان فى بنى هند بن حرام بالحاء المهملة المفتوحة والراء وكان سادنه أى خادمه رجلا يقال له طارق قال فى النور لا أعلم له ترجمة ولا اسلاما وكانوا يعترون أى يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول يا بنى هند بن حرام ظهر الحق وأودى خمام أى هلك ورفع الشرك الاسلام قال زمل ففزعنا لذلك وهالنا أى أفزعنا فمكثنا أياما ثم سمعنا صوتا يقول يا طارق يا طارق بعث النبى الصادق بوحى ناطق صدع صادع بأرض تهامة لناصريه السلامة ولخاذليه الندامة هذا الوداع منى الى يوم القيامة فوقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع منى الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زمل فابتعت أى اشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومى وأنشدته

اليك رسول الله أعملت نصها * النص هو الغاية فى السير

* أكلفها حزنا وقوزا من الرمل * والحزن ما ارتفع من الارض والقوز بالقاف والزاى التل الصغير * لأنصر خير الناس نصرا موزرا * أى قويا * وأعقد حبلا من حبالك فى حبلى والحبل العهد والميثاق

وأشهد أن الله لا شىء غيره   أدين له أى اخضع واطيع

ما أثقلت قدمى نعلى ومن هذا النوع خبر تميم الدارى أى ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها روى عنه صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال على المنبر فقال حدثنى تميم الدارى وذكر

القصة

يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر والمراد انه رأى أكثرهم لان عمارة بن الوليد مات بأرض الحبشة كافرا مسحورا مجنونا وعقبة بن أبى معيط أخذ أسيرا يوم بدر وقتل بعرق الظبية وأمية بن خلف قتل يوم بدر ولكنه لم يطرح فى القليب بل أهالوا التراب عليه مكانه لانتفاخه وتقطعه ولا مانع أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم كرر هذا الدعاء وأتى به وهو قائم يصلى وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والمراد بسنى يوسف القحط والجدب فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم سنة أكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز وهو الوبر والدم أى يخلط الدم بأوبار الابل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع من المشركين فيهم أبو سفيان وقالوا يا محمد انك تزعم أنك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فأطبقت السماء عليهم سبعا فشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاء انهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون أى لا نعود لما كنا فيه فلما كشف عنهم عادوا وقال بعضهم ان هذا انما كان بعد الهجرة فانه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع رأسه من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الاخيرة من العشاء قال البيهقى فقد روى فى قصة أبى سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين مرة قبل الهجرة ومرة بعدها لصحة كل من الروايتين وفى البخارى لما استعصت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر وفى رواية فى البخارى أيضا لما أبطؤا على النبى صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع سنين كسبع يوسف

القصة قال بعضهم وهذا أولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار وقد يكون من ذلك ما ذكر أن ابا بكر رضى الله تعالى عنه مر يوما على ابنته عائشة رضى الله تعالى عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء فقالت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر أن عيسى بن مريم كان يعلمه أصحابه ويقول لو كان على احدكم جبل دين ذهبا قضاه الله عنه قال تم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنى فارحمنى برحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك وعن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال كان على دين وكنت له كارها فقلته فلم ألبث الا يسيرا حتى قضيته (قال تميم الدارى) رضى الله تعالى عنه كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتى فأدركنى الليل فقلت أنا فى جوار عظيم هذا الوادى فلما أخذت مضجعى اذا مناد ينادى لا أراك عذ بالله فان الجن لا تجير أحدا على الله فقلت أيم تقوله وايم بتشديد الياء وباسكانها وفتح الميم فيهما أى أيمانى تقول فقال قد خرج رسول الاميين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون أى وهو مقبرة مكة التى يقال لها المعلاة كما تقدم وأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد صلى الله عليه وسلم فأسلم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبه واخبرته فقال صدقوك نجده يخرج من الحرم أى مكة ومهاجره الحرم أى المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه (قال تميم) فطابت الشخوص أى الذهاب حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت أقول وهذا يدل ظاهرا على أن تميما الدارى أسلم بمكة قبل الهجرة فهو مما الكلام فيه بل رأيت فى تتمة الخبر فسرت الى مكة فلقيت النبى صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به (ورأيت بعضهم) قال وهذه الرواية غلط لان تميما الدارى انما أسلم سنة تسع من الهجرة والله أعلم (قال) ومن ذلك ما حدث به سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه أن رجلا من بنى تميم حدث عن بدء اسلامه قال انى لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبنى النوم فنزلت عن راحلتى وأنختها وتعوذت قبل نومى فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادى من الجن فرأيت فى منامى رجلا بيده حربة يريد أن يضعها فى نحر ناقتى فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيأ فقلت هذا حلم ثم عدت فتعوذت فرأيت مثل ذلك واذا بناقتى ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتى تضطرب فالتفت فاذا أنا برجل شاب كالذى رأيته فى منامى بيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده يرده عن ناقتى وبينهما تنازع فبينما هما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ أيها شئت فداء لناقة جارى الانسى فقام الفتى وأخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الى الشيخ وقال يا فتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادى ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له ومن محمد قال نبى عربى لا شرقى ولا غربى فقلت أين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتى وحثثت السير حتى اتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثنى قبل أن اذكر له منه شيأ ودعانى الى الاسلام فأسلمت وهذا السياق يدل على ان هذه القصة بعد الهجرة لا عند المبعث الذى الكلام فيه (ونظير هذا) ما حدث به بعض الصحابة قال خرجت فى طلب ابل لى وكنا

فأصابتهم سنة حصت كل شئ وفى رواية اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فأتى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعنى يوم بدر * ومن ذلك ما حدث به عثمان بن عفان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده على يد أبى بكر رضى الله عنه وفى الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن أبى معيط وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فدنوت منه ووسطته أى جعلته وسطا فكان بينى وبين أبى بكر فأدخل أصابعه فى أصابعى وطفنا فلما حاذاهم قال أبو جهل والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهى أن نعبد ما يعبد آباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا على ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به فى الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط الرابع قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه فدفعت فى صدره فوقع على استه ودفع أبو بكر امية ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبى معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل عليكم عقابه أى ينزل عليكم عاجلا قال عثمان رضى الله عنه فوالله ما منهم رجل الا وقد أخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه فقال أبشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء ترون من يذبح منهم على أيديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله

اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادى فتوسدت ناقتى وقلت أعوذ بعزيز هذا الوادى فاذا هاتف يهتف بى ويقول

ويحك عذ بالله ذى الجلال * منزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبال * ما كيد ذى الجن من الاهوال
اذ يذكر الله على الاحوال * وفى سهول الارض والجبال
وصار كيد الجن فى سفال * الا التقى وصالح الاعمال

فقلت له

يا أيها القائل ما تقول * أرشد عندك أم تضليل

فقال

هذا رسول الله ذو الخيرات * جاء بيس وحاميمات *
وسور بعد مفصلات * يأمر بالصلاة والزكاة
ويزجر الاقوام عن هنات * قد كن فى الاسلام منكرات

فقلت أما لو كان لى من يؤدى ابلى هذه الى أهلى لاتيته حتى أسلم فقال أنا أؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر (وفى رواية) فوافيت الناس يوم الجمعة وهم فى الصلاة فانى أنيخ راحلتى اذ خرج الى أبو ذر فقال لى يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآنى قال ما فعل الرجل (وفى لفظ) ما فعل الشيخ الذى ضمن لك ان يؤدى ابلك أما انه قد أداها سالمة وقد قص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان عليه الناس قبل بعثته من أن الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهائه بقوله سبحانه وتعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال أى يستعيذون برجال من الجن أى حين ينزلون فى أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا أى زادوا الجن أى سادتهم باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن أى (ومن ذلك) ما حكاه وائل بن حجر الحضرمى ويكنى أبا هنيدة كان قيلا من أقيال حضرموت وكان أبوه من ملوكهم قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر أصحابه بقدومى فقال يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغبا فى الله عز وجل وفى رسوله وهو بقية أبناء الملوك قال وائل فما لقينى أحد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بى وأدنانى من نفسه وقرب مجلسى وبسط لى رداءه فأجلسنى عليه وقال اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامنى بين يديه ثم قال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغبا فى الاسلام فقلت يا رسول الله بلغنى ظهورك وأنا فى ملك عظيم فمن الله على ان رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده (قال) وسبب وفودى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لى صنم من العقيق فبينا أنا نائم فى الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذى به الصنم فأتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدرى وهو ليس يدرى

بأيدينا يوم بدر أى بأيدى الصحابة رضى الله عنهم يوم بدر بالنظر الى غالبهم فلا ينافى كون عثمان رضى الله عنه تأخر بالمدينة لاجل مرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمها الى أن توفيت فهو معدود من أهل بدر لانه فى حاجة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا ينافى أيضا كون عقبة بن أبى معيط حمل أسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا أى ضربت عنقه بعد حبسه وهم راجعون من بدر وجاء أيضا أن عقبة بن أبى معيط وطئ على رقبته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان وفى رواية دخل عقبة بن أبى معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلى فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وفى البخارى عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرنى بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر وأخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال ما رأيت قريشا أصابت من عداوة أحد ما أصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا لامر قط كصبرنا لامر هذا الرجل ولقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر عليهم لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثالثة فوقف عليهم وقال أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا

ماذا يرجى من نحيت صخر * ليس بذى نفع ولا ذى ضر
لو كان ذا حجر أطاع أمرى

قال فقلت أسمعت أيها الهاتف الناصح فماذا تأمرنى فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل * تدين دين الصائم المصلى * محمد النبى خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى أتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث وفيه أنه ان كان الصوت من جوف الصنم فهو من غير هذا النوع ولوائل هذا حديث مع معاوية تركناه لطوله وأما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث به أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه (قال) بينا راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعى بين الذئب وبين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه فقال ألا تتقى الله تحول بينى وبين رزق ساقه الله الى فقال الراعى أعجب من ذئب يكلمنى بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب منى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين (وفى رواية) بيثرب يحدث الناس بأنباء ما قد سبق (وفى لفظ) يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم فساق الراعى شياهه فأتى المدينة فقصد الرسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعى ان من أشراط الساعة كلام السباع للانس والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله أى وهو أحد سيورها الذى يكون على وجهها كما تقدم وعذبة سوطه أى طرفه وقيل أحد سيوره ويخبره بما فعل أهله أى (وفى لفظ) فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابى أخبرهم فأخبرهم (وفى رواية) ان راعى الغنم كان يهوديا (وفى رواية) أن الذئب قال له أنت أعجب منى واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم منه قدرا وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير فى جنود الله تعالى فقال له الراعى من لى بغنمى فقال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم وأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وفيه أن هذا وما تقدم من خبر سعيد بن جبير كما علمت بعد الهجرة لا عند المبعث الذى الكلام فيه (قال فى النور) هذا الراعى لا أعرف اسمه قال وكلم الذئب غير واحد فانظرهم فى تعليق على البخارى (أقول) ذكر فى حياة الحيوان عن ابن عبد البر كلم الذئب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ثلاثة رافع بن عميرة وسلمة بن الاكوع ووهبان بن أوس (وأما) ما سمع من بعض الاشجار فقد روى عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه أنه قيل له هل رأيت قبل الاسلام شيأ من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا قاعد فى ظل شجرة فى الجاهلية اذ تدلى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسى فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة هذا النبى يخرج فى وقت كذا وكذا فكن أنت من أسعد الناس به والله أعلم (وأما تساقط النجوم) وطرد الجن بها عن استراق السمع فقد قال ابن اسحق لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف

الكلمة ثلاث وما بقي رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغه منكم وما بلغكم منه حتى اذا ناداكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به وهم يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا يعنون عيب آلهتهم ودينهم فقال نعم أنا الذي أقول ذلك فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي و يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله فأطلقه الرجل و وقعت الهيبة في قلوبهم فانصرفوا فذلك أشد ما رأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قالوا ألست تقول في آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ الى أبي بكر رضي الله عنه فقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا الى أبي بكر رضي الله عنه يضربونه وقالت ابنته أسماء رضي الله عنها فرجع الينا فجعل لا يمس شيأ من غدائره الا أجابه وهو يقول تباركت ياذا الجلال والاكرام وجاءهم مرة اجتمعوا عليه صلى الله عليه وسلم وجذبوا رأسه الشريف ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذي نفسي بيده اني بعثت اليهم بالذبح فانفرجوا عنه * وعن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم قالت اجتمع مشركو قريش في الحجر يوما فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل منا بسيفه ضربة فنقتله فسمعتهم فدخلت على أبي وأنا أبكي فقلت له تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا في الحجر فحلفوا باللات والعزى ومنات

الجن ان ذلك لامر حدث من الله في العباد يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ عجبوا وانا لمسنا السماء أي طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا أي ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع لخلوها عن الحرس والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي أرصد له ليرمى به أي ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته يتبعه شهاب ثاقب يقتله أي أو يحرق وجهه أو يخبله قبل ان يلقيها الى الكاهن وذلك لئلا يلتبس أمر الوحي بشئ من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه وموته صلى الله عليه وسلم لئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان أمر رسالته صلى الله عليه وسلم تم فاقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته صلى الله عليه وسلم و بعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم ٥ وقد حدث بعضهم قال ان أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمى بها ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو ابن أمية وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا أي أدهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا له يا عمرو ألم تر أي تعلم ما حدث في السماء من الرمي بهذه النجوم فقال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم أي النجوم المشهورة ٥ التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف والشتاء هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لامر أراد الله بهذا الخلق أي والنوء بالنون والهمز هنا ما يحصل عند سقوط نجم في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يوما وحقيقة النوء سقوط النجم وطلوع رقيبه في المدة المذكورة (وكانت) العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها أو الى الطالع منها فتقول مطرنا بنوء كذا وسيأتي الكلام على ذلك في غزوة الحديبية (وفي لفظ) فأمر أراد الله ونبي يبعث في العرب فقد تحدث بذلك لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك وذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول المراد رجمت الآن بأكثر مما كان قبل ذلك أو صارت تصيب ولا تخطئ * ومن ثم حدث بعضهم قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أي قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فأتوا عبد ياليل بن عمرو وهو بمثناتين تحتيتين وكسر اللام الاولى الثقفي وكان أعمى فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد أعتقوا رقيقهم وسيبوا أنعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف أي وهي التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء فهي عند فناء الناس وان كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فاذا النجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث أي (وقد روى مسلم) انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما يوعدون وأنا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لامتي فاذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (وفي لفظ) فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبي مرسل (وهذا) قد يخالف ما يأتي عن ابن عمر لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب ولا مانع من تكرر

سؤال

وإساف ونائلة اذا هم رأوك يقومون اليك فيضربونك بأسيافهم فيقتلونك فقال يا بنية اسكني وفي لفظ لا تبكي ثم خرج بعد ان توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما رجل منهم أصابه ذلك الا قتل ببدر * وكان * بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة يؤذونه منهم أبو لهب والحكم بن أبي العاص وأمية والد مروان وعقبة بن أبي معيط فكانوا يطرحون عليه الاذى في داره فاذا طرحوا عليه أخذه وخرج به ووقف به على بابه و يقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه ولم يسلم منهم الا الحكم وكان في اسلامه شئ ونفاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف وأشار صاحب الهمزية الى أن هذه الاذايا ليست منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هي مما تزيده رفعة وهي دليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين صلى الله عليه وعليهم أجمعين بقوله

لا تخل جانب النبي مضاما ... حين مسته منهم الاسواء

كل أمر ناب النبيين فالشد ... ة فيه محمودة والرخاء

لو يمس النضار هون من النا ... ر لما اختير للنضار الصلاء

(ومما وقع لابي بكر رضي الله عنه) من الاذية ما ذكره بعضهم كما في السيرة الحلبية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله هو ومن معه من أصحابه سرا أي كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر رضي الله عنه في الظهور أي الخروج الى المسجد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر انا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم وأبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى فثار المشركون على أبي بكر رضي الله عنه وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ أبو بكر رضي الله عنه بالارجل وضرب

سؤال ثقيف مرة لعمرو بن أمية ومرة لعبد ياليل بن عمرو وان كلا منهما كان أعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذي سألوه فسماه بعضهم عمرو بن أمية وبعضهم سماه عبد ياليل بن عمرو وهذا كما ترى انما كان عند المبعث وبه يعلم ما في قول الماوردي الذي نقله عن شيخ بعض شيوخنا النجم الغيطي في معراجه وأقره وسببه أي رمي النجوم ان الله تعالى لما أراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده ففزع أكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير وكان يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال انظروا البروج الاثنى عشر فان انقض منها شئ فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض منها شئ فسيحدث في الدنيا أمر عظيم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم فانه يقتضي أن المراد ببعثه ولادته فكان يتعين اسقاط قوله قبل مولده لما علمت ان هذا أي كثرة تساقط النجوم انما كان عند بعثه ونبوته لا عند ولادته (ومنه خبر أبي لهب) أو لهيب بن مالك أي من بني لهب فان بني لهب فزعوا الفزع ثقيف قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبي وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة والراء ابن مالك (قال في النور) لا أعرف له ترجمة ولا اسلاما وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحر أي قبيل الفجر أخبركم الخبر الخير أم ضرر أم لامن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من الغد في وجه السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينيه فناديناه يا خطر فأومأ الينا أن أمسكوا فامسكنا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته (أصابه أصابه) جمع وصب كجمل وجمال فالهمزة بدل من الواو (خامره عقابه * عاجله عذابه * أحرقه شهابه * زايله جوابه) أي زال عنه جوابه يا ويله ما حاله بلبله بلباله البلبال الغم عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت أحواله ثم أمسك طويلا ثم قال يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان أقسم بالكعبة والاركان والبلد المؤتمن السدان أي الخدام قد منع السمع عتاة الجان بثاقب يكون ذا سلطان من أجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والفرقان وبالهدى وفاضل القرآن تبطل به عبادة الاوثان قال فقلنا له ويلك يا خطر انك لتذكر أمرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال

أرى لقومي ما أرى لنفسي * أن يتبعوا خير نبي الانس * برهانه مثل شعاع الشمس

يبعث في مكة دار الحمس * بمحكم التنزيل غير اللبس

والحمس بضم الحاء المهملة واسكان الميم والسين المهملة هم قريش وما ولدت من غيرها فانهم كانوا لا يزوجون بناتهم لاحد من أشراف العرب الا على شرط ان يتحمس أولادهم فان قريشا من بين قبائل العرب دانوا بالتحمس ولذلك تركوا الغزو لما في ذلك من استحلال الاموال والفروج ومالوا للتجارة ومن ثم يقال قريش الحمس سموا بذلك لتشددهم في دينهم لان الحماسة هي الشدة فقلنا له يا خطر ومن هو فقال والحياة والعيش انه لمن قريش ما في حكمه طيش

ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة لعنه الله يضرب أبا بكر رضى الله عنه بنعلين مخصوفتين أى مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبى بكر رضى الله عنه الى ان ادخلوه منزله ولا يشكون فى موته أى ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله ٢٢٤ لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى أبى بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالى علم بصاحبك فقال اذهبى الى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر رضى الله عنه أى فانها كانت أسلمت وهى تخفى اسلامها فاسأليها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان أبا بكر يسأل عن محمد ابن عبد الله فقالت لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها أتريدين ان أخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر رضى الله عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وانى لأرجو أن ينتقم الله منهم فقال لها أبو بكر رضى الله عنه ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه أمك تسمع قال فلا عين عليك منها أى انها لا تفشى سرك قالت سالم قال أين هو قالت فى دار الارقم فقال والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمه فأمهلناه حتى اذا هدأ الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكئ علىّ حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما بى من بأس الا ما نال الناس من وجهى وهذه أمى برة بولدها فعسى الله ان يستنقذها بك من النار فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فأسلمت وذكر الزمخشرى فى كتاب أكثر خصائص العشرة ان هذه الواقعة حصلت لأبى بكر رضى الله عنه لما أسلم وأخبر قريشا باسلامه فليتأمل فان تعدد الواقعة بعيد (ومما وقع لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه من الاذية) ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ما سمعت قريش

أى عدول عن الحق من قولهم طاش السهم عن الهدف اذا عدل عنه ولا فى خلقه هيش أى ليس فى طبيعته وسجيته قول قبيح يكون فى جيش وأى جيش من آل قحطان وآل ابش وآل قحطان هم الانصار قال صلى الله عليه وسلم رحا الايمان دائرة فى ولد قحطان وآل ابش قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون الى أبيهم ابش شخص من كبير الجن وقيل أراد بهم المهاجرين أى ومن المهاجرين الذين قال فيهم ابش لانه يقال فى مقام المدح فلان ابش على معنى أى شئ هو أى شئ عظيم لا يمكن ان يعبر عن عظمته وجلالته (وروى) بدل ابش ريش فقلنا له من أنت لنا من أى قريش فقال (والبيت ذى الدعائم) يعنى الكعبة والركن يعنى الحجر الاسود والاحاجم يعنى بئر زمزم لان الاحاجم جمع أحوام والاحوام جمع أحوم وهو الماء فى البئر وأراد بئر زمزم أوان الاصل الحوائم ففيه قلب مكانى الاصل فواعل فصار أفاعل والحوائم هى الطير التى تحوم على الماء والمراد حمام مكة لهو نجل أى نسل هاشم من معشر أكارم يبعث بالملاحم يعنى الحروب * وقتل كل ظالم * ثم قال هذا هو البيان أخبرنى به رئيس الجان ثم قال الله أكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكن وأغمى عليه فما أفاق الا بعد ثلاثة أيام فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة أى وحى وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده أى مقام جماعة لما تقدم فى نظيره (قال) ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن نفر من الانصار قالوا بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به فى الجاهلية أى قبل البعث قالوا يا رسول الله كنا نقول حين رأينا يرمى بها مات ملك ولد مولود مات مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه وتعالى كان اذا قضى فى خلقه أمرا سمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم بتسبيحهم فسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله فى خلقه كذا وكذا الامر الذى كان أى يكون فى الارض فيهبط به من سماء الى سماء أى تقوله أهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهى الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيحدثونهم فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا أى (وفى البخارى) اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير فتسمعها مسترقوا السمع فربما أدرك الشهاب المستمع قبل ان يرمى بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقولهم قال الحق أى ثم يذكرونه لما تقدم من قولهم قضى الله فى خلقه كذا وكذا ولما يأتى وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها فى الجاهلية صريح فى انه كان يرمى بالنجوم للحراسة فى زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة والسلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم ويخالفه ما يأتى عن أبىّ بن كعب رضى الله تعالى عنه وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشئ فقالوا يا رسول الله انهم يحدثوننا احيانا بالشئ يكون حقا قال تلك الكلمة من الجن يخطفها الجنى فيقذفها فى أذن وليه فيخلطون فيها

القرآن جهرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن منكم يسمعهم القرآن جهرا فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنا فقالوا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعونى فان الله سيمنعنى منهم ثم انه قام عند المقام وقت طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القرآن واستمر فيها فقالوا ٢٢٥ ما بال ابن أم عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر فى قراءتها حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه فقال له أصحابه هذا الذى خشينا عليك منه فقال والله ما رأيت أعداء الله أهون على مثل اليوم ولو شئتم لأغاديتهم بمثلها غدا قالوا لا قد أسمعتهم ما يكرهون (ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية) انه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار لانهم تواصوا بذلك وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن أتى خفية واسترق السمع خوفا منهم (ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية) ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضى الله عنه وهو ما حدث به ابن اسحق قال حدثنى رجل من أسلم ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه ما يكرهه وقيل انه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنالك مولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل الى نادى قريش أى محل تحدثهم فى المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة ان أقبل متوشحا بسيفه راجعا من قنصه أى من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى أهله الا بعد أن يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فأخبرته الخبر فقالت له يا أبا عمارة وهى كنية لحمزة رضى الله عنه ويكنى أيضا بأبى يعلى لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام تعنى أبا جهل ووجده

أكثر من مائة كذبة ثم ان الله تعالى حجب الشياطين بهذه النجوم التى يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة أى وفى البخارى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تحدث فى العنان أى الغمام بالامر يكون فى الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها فى أذن الكاهن فيزيدون لها مائة كذبة (وعن أبىّ بن كعب) رضى الله تعالى عنه لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بها فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا العبد بالليل الحديث (أقول) وهذا يفيد انه لم يرم بها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم أى قبل قربه الشامل لزمن الولادة فلا يخالف ما تقدم وان النجوم كان يرمى بها قبل ان يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك صادق بزمن آدم فمن بعده من الرسل وهو الموافق لقول الزهرى الحجب وتساقط النجوم كان موجودا قبل البعث فى سالف الازمان أى فى زمن الرسل لا فى زمن الفترات بين الرسل اقول الكشاف وقول بعضهم ظاهر الاخبار يدل على ان الرجم للشياطين بالشهب كان فى زمن غيره صلى الله عليه وسلم من الرسل وهو كذلك وعليه أكثر المفسرين حراسة لما ينزل من الوحى على الرسل وأما فى الزمن الذى ليس فيه رسول أى وهو زمن الفترات بين الرسل فكانوا يسترقون السمع فى مقاعد لهم ويلقون ما يسمعون للكهان أى لان الله تعالى ذكر فائدتين فى خلق النجوم فقال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد وكونها قد جعلت رجوما وحفظا ليس الا عند قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم خاصة دون بقية الرسل من أبعد البعيد وحيث كان الغرض من الرمى بالنجوم منع الشياطين من استراق السمع اقتضى ذلك انه لم يرم بها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ومنه زمن ولادته ويوافق ذلك قول ابن اسحق لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين وقول ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لما كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء رموا بالشهب فذكروا ذلك لابليس فقال بعث أى لعله بعث نبى عليكم بالارض المقدسة أى لانها محل الانبياء وهذا يدل على ان عند ابليس ان الرمى بالنجوم علامة على بعث الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج ابليس يطلبه بمكة أى لانها مظنة ذلك بعد محل الانبياء فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا معه جبريل فرجع الى أصحابه فقال بعث أحمد ومعه جبريل وفى رواية ان ابليس قال لما أخبروه بانهم منعوا من خبر السماء ان هذا لحدث حدث فى الارض فائتونى من تربة كل أرض فأتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فنضوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث (أقول) قد يقال لا منافاة بين الروايتين لانه يجوز انهم لم يخبروه بمبعثه صلى الله عليه وسلم لما وجدوه فذهب أو ذهب بعد اخبارهم له بذلك للاستيقان وهذا يفيد ان الرمى بالنجوم انما كان عند مبعثه أى عند تقارب زمنه لا قبل ذلك الذى منه زمن ولادته وحينئذ يشكل حصول مثل ذلك لابليس وجنوده عند مولده صلى الله عليه وسلم ومن ثم قدمنا انه يجوز ان يكون من خلط بعض الرواة وهذه الرواية تدل على ان ابليس لم يكن عنده علم بان سقوط النجم على الشياطين علامة على مبعث

ههنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد وقيل التي أخبرته مولاة اخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على رأسه والقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فقال لها حمزة انت رأيت هذا الذي تقولين قالت نعم وفي رواية لما رجع حمزة من صيده اذا امرأتان عثيمان خلفه فقالت احداهما لو علم ماذا صنع أبو جهل بابن أخيه اقصر عن مشيته فالتفت اليها فقال ماذاك قالت أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المرأتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه ورفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فرد على ذلك ان استطعت وفي لفظ ان حمزة لما قام على رأس أبي جهل بالقوس صار أبو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقامت رجال من بني مخزوم عشيرة أبي جهل لينصروا أبا جهل فقالوا لحمزة ما نراك الا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعني وقد استبان لي منه انه رسول الله والذي يقول حق والله لا أنزع فامنعوني ان كنتم صادقين فقال لهم أبو جهل دعوا أبا عمارة فاني والله قد أسمعت ابن أخيه شيأ وبقي حمزة على اسلامه بعد أن وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديق في قلبي والا فاجعل لي مما وقعت مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي اني وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه واقامة مثلي على ما لا أدري أرشد هو ام غي شديدة فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله في قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك لصادق فاظهر يا ابن أخي دينك فوالله

النبي صلى الله عليه وسلم والرواية التي قبلها تدل على ذلك كما علمت وكلتا الروايتين يدل على انه لم يعلم عينه ولا محله والله أعلم وقد أشار صاحب الهمزية الى ان حجب الشياطين كان عند مبعثه صلى الله عليه وسلم بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب * حراسا وضاق عنها الفضاء

تطرد الجن عن مقاعد للسمع * كما يطرد الذئاب الرعاء

فمحت آية الكهانة آيا * ت من الوحي ما لهن امحاء

أي أرسل الله زمن ارساله صلى الله عليه وسلم الشعل من النار على الجن لاجل حراسة السماء منهم ولكثرة تلك الشعل ضاقت عنها المفازات حال كون تلك الشهب تطرد الجن عن أمكنة قريبة يقعدون فيها لاجل ان يسمعوا شيأ من الملائكة المتكلمين بما سيقع في الارض من المغيبات وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين في الشدة كطرد الرعاء للذئاب عن الغنم اذا أرادت ان تعدو عليها فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت آيات من الوحي آية الكهانة التي هي الاخبار بالامور المغيبة ما لتلك الآيات من الوحي امحاء أي ذهاب بل هي باقية الى يوم القيامة وفيه انه لزم على كون الغرض من الرمي بالنجوم حفظ الوحي ان ذلك لا يكون الا عند مبعثه صلى الله عليه وسلم ولا يكون قبل ذلك الذي منه وقت ولادته وأيضا لو كان ذلك موجودا قبل مبعثه واستمر الى مبعثه لم تفزع العرب منه عند مبعثه وأجيب عن الاول بانه يجوز أن يكون الغرض الاصلي من الرمي بها حفظ الوحي فلا ينافي وجود ذلك قبل ذلك عند ولادته ارهاصا وتخويفا وكان هذا السؤال الثاني هو الحامل لابي بن كعب على دعوى انه لم يرم بالنجوم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بها ومن ثم قال فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا الى عبد ياليل ويجاب بانه يجوز ان يكون الرمي بالنجوم عند المبعث مخالفا للرمي بها قبله اما لفرط كثرتها واما لان الرمي بها بعد المبعث كان من كل جانب وقيل كان من جانب واحد واما لان الرمي بها صار لا يخطئ أبدا وقبل ذلك كان يخطئ تارة ويصيب أخرى فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله أي يصيره غولا يضل الناس في البراري وكان ذلك سبب فزع العرب لانه كان قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر ويخطئ فيعود الشيطان الى مكانه فيسترق السمع ويلقي ما يسترقه الى كاهنه أي فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه صلى الله عليه وسلم وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال لا كهانة اليوم وهذا كله على تسليم رواية ابن عباس ان النجوم رمي بها عند ولادته صلى الله عليه وسلم وحفظ الوحي بالرمي بالشهب لا يخالف ما حكاه في الاتقان عن سعيد بن جبير ما جاء جبريل بالقرآن الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ومعه أربعة من الملائكة حفظة وسيأتي عن الينبوع عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحي قط الا ونزل معه من الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبي الذي يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى ذلك النبي من الغيب الذي يوحيه اليه فيبلغوه الى أوليائهم (وعن بعضهم) قال سافرت عن زوجتي فخلفني عليها شيطان على صورتي وكلامي وسائر حالاتي التي تعرفها

ما أحب ان لي ما أظلته السماء وأنا على ديني الاول وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الواقعة سبب نزول قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني حمزة كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يعني أبا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كثيرا لانه كان أعز فتى في قريش وأشدهم شكيمة أي أعظمهم في عزة النفس وشهامتها ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه وأقبلوا على بعض أصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم أي لا ناصر لهم فان كل قبيلة غدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك حتى ان الواحد منهم لا يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضرب الذي به وكان أبو جهل يحضرهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا أسلم له شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لتكسدن تجارتك أو يهلك مالك وان كان ضعيفا أغرى به حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحرث بن ربيعة بن الاسود وأبي القيس بن الوليد بن المغيرة وعلي ابن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر ومنهم من ثبت على دينه كبلال وعمار وخباب وغيرهم وكان اسلام حمزة رضي الله عنه في السنة الثانية من النبوة على الصحيح وقيل في السنة السادسة وقال حمزة رضي الله عنه بعد ان أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي * الى الاسلام والدين الحنيف

لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف

اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذي اللب الحصيف

رسائل جاء أحمد من هداها * بآيات مبينة الحروف

وأحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف

فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف

ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف

تعرفها مني فلما قدمت من السفر لم تفرح بي ولم تتهيأ لي وكانت اذا قدمت من سفر تتهيأ لي كما تتهيأ العروس فقلت لها في ذلك فقالت انك لم تغب فبينا أنا كذلك وقد ظهر لي ذلك الشيطان وقال لي أنا رجل من الجن عشقت امرأتك وكنت آتيها في صورتك فلا تنكر ذلك فاختر اما ان يكون لك الليل ولي النهار أو لك النهار ولي الليل فراعني ذلك ثم اخترت النهار فلما كان في بعض الليالي جاءني وقال بت الليلة عند أهلك فقد حضرت نوبتي في استراق السمع من السماء فقلت أنت تسترق السمع فقال نعم هل لك أن تكون معي قلت نعم فلما جاء الليل أتاني وقال حول وجهك فحولت وجهي فاذا هو في صورة خنزير له جناحان فحملني على ظهره فاذا له معرفة كمعرفة الخنزير فقال لي استمسك بها فانك ترى أمورا وأهوالا فلا تفارقني تهلك ثم صعد حتى لصق بالسماء فسمعت قائلا يقول لا حول ولا قوة الا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فهوى بي ووقع من وراء العمران فحفظت الكلمات فلما أصبحت أتيت أهلي فلما كان الليل جاء فقلتهن فاضطرب فلم أزل أقولهن حتى صار رمادا وان لم يحمل وقوع ذلك في زمن الجاهلية والا كان كذبا لانهم أجابوا عن ايراد ان القول بقدرة الجن على التصور يلزمه رفع الثقة بشئ فان من رأى نحو ولده وزوجته احتمل انه جني فيشك بان الله تكفل لهذه الامة بعصمتها عن ان يقع فيها ما يؤدي الى ما يترتب عليه ريبة في الدين فليتأمل * وقد جاء في فضل لا حول ولا قوة الا بالله من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله والذي نفسي بيده ان لا حول ولا قوة الا بالله شفاء من سبعين داء أدناها الهم والغم والحزن وفرق بين الغم والهم بان الغم يعرض منه السهر والهم يعرض منه النوم * وفي حكمة آل داود العافية ملك خفي وهم ساعة هرم سنة وقال الاطباء الهم يوهن القلب وفيه ذهاب الحياة كما ان في الحزن ذهاب البصر * وفي الحديث من كثر همه سقم بدنه فعلم أن النجوم على تسليم انه كان يرمى بها قبل الولادة وبعدها الى البعثة كانت قبل قرب زمن المبعث تصيب تارة ولا تصيب أخرى مع قلتها وعند البعثة تصيب ولا بد مع كثرتها وان الكثرة هي سبب الفزع لا دوام الاصابة والا فمجرد دوام الاصابة لا يكون حاملا على الفزع لانه لا يظهر لكل أحد بخلاف الكثرة ومجرد الكثرة لا يكون سببا لقطع الكهانة أو انها قبل البعث كانت ترمى من جانب دون آخر وبعد البعثة رميت من جميع الجوانب واليه الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فكان ذلك سببا للفزع والمراد وجود ذلك مع دوام الاصابة ليكون سببا لقطع الكهانة والا فمجرد الرمي من كل جانب مع قلة الاصابة لا يكون سببا لقطع الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من في السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم شاة حتى أسرعوا في أموالهم أي في اتلافها فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب أيها الناس امسكوا على أموالكم فانه لم يمت من في السماء ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر كذا في كلام بعضهم ولعله لا يخالف ما تقدم من ان أول العرب فزع للرمي بالنجوم ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية ولرجل آخر يقال له عبد ياليل لجواز أن يكون ما ذكر هنا صدر من بعضهم لبعض ثم اجتمعوا على عمرو وعبد ياليل والله أعلم

وقد خبرت ما صنعت ثقيف * به فجزى القبائل من ثقيف الله الناس شر جزاء قوم * ولا اسقاهم صوب الخريف وحين أسلم حمزة رضى الله عنه ورأى المشركون زيادة الصحابة اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة وأبو سفيان بن حرب ورجل من بنى عبد الدار وأبو البخترى والاسود بن المطلب وزمعة والوليد بن المغيرة ٢٢٨ وأبو جهل وعبد الله بن أبى أمية المخزومى وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج فأتوا منزل أبى طالب وسألوه ان يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يأمرهم بازالة شكواهم وان يجيبهم الى أمر فيه الالفة والصلاح فأحضره وقال يا ابن أخى هذا الملأ من قومك فأشككهم أى أزل شكواهم وتألفهم فقالوا يا محمد ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة فما من قبيح الا وقد جلبته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف فيناف نحن نسودك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الامر الذى يأتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طلب الطب أى العلاج لك حتى نبرئك منه أو نعذر فقال لهم عليه الصلاة والسلام ما بى ما تقولون ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى ان أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوا على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم وفى رواية اجتمع نفر من قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه قالوا ما نعلم غير عتبة بن ربيعة وفى رواية ان عتبة قال يوما وكان جالسا فى نادى قريش والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده يا معشر قريش الا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا قالوا بلى وهذا

وظاهر القرآن والاخبار ان الذى يرمى به الشياطين المسترقون نفس النجم وانه المعبر عنه بالكوكب وبالمصباح وبالشهاب وقيل الشهاب عبارة عن شعلة نار تنفصل من النجم اى كما قدمنا فاطلق عليه لفظ النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى وجعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهى تلك الشهب ومعنى كونها حفظا باعتبار ما ينشأ عنها من تلك الشهب وقالت الفلاسفة ان الشهب انما هى أجزاء نارية تحصل فى الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التى دون الفلك وقيل السحاب اذا اصطكت اجرامه تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا أتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود فقد حكى أنها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت قاله فى الكشاف ومما يؤيد ان الشعل منفصلة من النجوم ما جاء عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة فى السماء الدنيا كتعليق القناديل بالمساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدى ملائكة ويعضد هذا القول قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت أن انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل ان هذا ثقب فى السماء وقد وقع فى سنة تسع وتسعين من القرن السادس ان النجوم ماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وانزعج الخلق فلجؤا الى الله تعالى بالدعاء قال بعضهم ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿أقول﴾ قد وقع نظير ذلك فى سنة احدى وأربعين من القرن الثالث ماجت النجوم فى السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل وكان أمرا مزعجا لم يعهد مثله ووقع فى سنة ثلثمائة تناثر النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله أعلم ﴿وأما ما جاء من ذكره صلى الله عليه وسلم﴾ أى ذكر اسمه وصفته وصفة أمته فى الكتب القديمة اى كالتوراة المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام لست ليال خلون من رمضان اتفاقا والانجيل المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام لاثنتى عشرة خلت من رمضان وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة والزبور المنزل على داود عليه الصلاة والسلام لاثنتى عشرة وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل فى ست خلت من رمضان وصحف شعياء ويقال له اشعياء أو من اميرا او دو صحف شيث فقد أنزلت عليه خمسون صحيفة وقيل ستون وصحف ابراهيم فقد أنزل عليه عشرون صحيفة وقيل ثلاثون أول ليلة من رمضان اتفاقا وفى كتاب شعيب ولم يذكر صحف ادريس وقد أنزلت عليه ثلاثون صحيفة وذكر بعضهم ان موسى عليه الصلاة والسلام أنزل عليه قبل التوراة عشرون صحيفة وقيل عشر صحائف وهذا كما لا يخفى يزيد على ما اشتهر ان الكتب المنزلة مائة وأربعة كتب وفى كلام بعضهم اتفقوا على ان القرآن أنزل لاربع وعشرين ليلة خلت من رمضان وعن أبى قلابة أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان وحينئذ يكون من حكى الاتفاق فى التوراة وصحف ابراهيم لم يطلع على هذا أو لم يعتد به فقد أشار الى ذكره صلى الله عليه وسلم فى جميع الكتب المنزلة الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وفى كل كتب الله نعتك قد أتى * يقص علينا ملة بعد ملة

فقام حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة والمكان فى النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم وفى رواية لقد فضحتنا فى العرب حتى طار فيهم ان فى قريش ساحرا وان فى ٢٢٩ قريش كاهنا ما تريد الا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى فاسمع أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد اسمع قال يا ابن أخى ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا أى فيصير لك الامر والنهى وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن يقرنك لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال له أقد فرغت أبا الوليد قال نعم قال فاسمع منى قال افعل قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ان يكف ثم انتهى الى السجدة فسجد ثم قال قد سمعت أبا الوليد فأنت وذاك ثم ان عتبة لم يرجع الى القوم بل ذهب الى داره فظنوا اسلامه فذهبوا اليه وفى رواية رجع اليهم فقال لهم أبو جهل أرى أبا الوليد رجع اليكم بوجه غير الذى ذهب به ثم قالوا له ما وراءك فقال قد عرضت على محمد كذا وكذا فسمعت منه كلاما ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة وقد علمت انه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم فأطيعونى واعتزلوه فان يصبه غيركم كفيتموه وان ظهر فملكه ملككم وعزه عزكم وفى رواية فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به فقالوا سحرك بلسانه والله يا أبا الوليد فقال هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم وفى رواية لما أكثروا

وهذا كما لا يخفى أبلغ من قول بعضهم

ومن قبل مبعثه جاءت مبشرة * به زبور وتوراة وانجيل

وقد اعترض على هذا القائل بعض الاغبياء بان التوراة والانجيل قد صحت بشارتهما به صلى الله عليه وسلم وأما الزبور فلا ندرى ولا نقول الا ما نعلم ويرده ما ذكره الامام السبكى وسنده قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين أى كتبهم فقد قال بعض المفسرين ان الضمير عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم لان الاضافة حيث لا عهد تحمل على العموم وسيأتى أيضا التصريح بوجود اسمه فى الزبور وقد جاء ان اسمه فى التوراة أحمد يحمده أهل السماء والارض كما تقدم وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه دعى ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر فانزل الله الآية وفيها أيضا محمد واسمه فيها أيضا حمياطا وقيل حطايا أى يحمى الحرم من الحرام واسمه فى التوراة أيضا قدمايا أى الاول السابق واسمه فيها أيضا بند بند واسمه فيها أيضا أحيد وقيل أحيد أى يمنع نار جهنم عن أمته واسمه فيها أيضا طاب طاب أى طيب واسمه فيها أيضا كما فى الشفاء محمد حبيب الرحمن ووصف فيها بالضحوك أى طيب النفس وفيها محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة أى على فرض ان تكون اسما عربيا مأخوذة من التورية وهى كتمان السر بالتعريض لان أكثرها معاريض من غير تصريح واسمه فى الانجيل المنحمنا والمنحمنا بالسريانية محمد اى وما جاء عن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما فى حجر عمى فأخذت الانجيل فقرأته حتى مرت لى ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجاء عمى فلما رأى الورقة ضربنى وقال مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها فقلت فيها وصف النبى أحمد فقال انه لم يأت بعد أى الآن أى وفى الانجيل أيضا اسمه حمنطا أى يفرق بين الحق والباطل ووصفه بانه صاحب المدرعة وهى الدرع وفيه أيضا وصفه بانه يركب الحمار والبعير وسيأتى ان راكب الحمار عيسى عليه الصلاة والسلام وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وسلم وسيأتى الجواب وفى الانجيل ان أحببتمونى فاحفظوا وصيتى وأنا أطلب الى ربى فيعطيكم بارقليط والبارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب أى وما جاء بذلك وأخبر بالحوادث والغيوب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والبارقليط أو الفارقليط الحكيم والرسول قيل والانجيل أى على فرض أن يكون اسما عربيا مأخوذ من النجل وهو الخروج ومن ثم سمى الولد نجلا لخروجه أو مشتق من النجل وهو الاصل يقال لعن الله أناجيله أى أصوله فسمى هذا الكتاب بهذا الاسم لانه الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وقيل من النجلة وهى سعة العين لانه انزل وسعة لهم أى لان فيه تحليل بعض ما حرم عليهم * ومن ذلك ما جاء عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله تعالى عنهما فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

عليه حلف باللات والعزى لا يكلم محمدا أبدا وفي رواية ان عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم أبعد عنهم ولم يعد اليهم فقال أبو جهل والله يا معشر قريش ما أرى عتبة الا قد صبا الى محمد وأعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فأتوه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما جئناك الا انك قد صبوت الى محمد

وأعجبك أمره فقص عليهم القصة وقال والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة ما فهمت شيأ مما قال غير انه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمت أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخشيت ان ينزل عليكم العذاب فقالوا له ويلك يكلمك الرجل بالعربية ولا تدري ما قال فقال والله ما هو بالشعر الخ ما تقدم فقالوا والله سحرك يا أبا الوليد فقال هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم ولا مانع أن يكون القوم جاؤه مرة مجتمعين وعرضوا عليه تلك الاشياء وأرسلوا له مرة عتبة ابن ربيعة وحده وفي رواية لابن عباس رضي الله عنهما ان القوم لما عرضوا عليه الاشياء السابقة قالوا له أيضا فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهارا كالشام والعراق ويبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصي فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أهو حق أم باطل وسله يبعث معك ملكا يصدقك ويراجعنا عنك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عن المشي في الاسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك فانا لن نؤمن لك الا ان يفعل ذلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقالوا له مرة أيضا ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل بكل ما تحتاج اليه في دنياك وآخرتك وقالوا له مرة أيضا ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وما هي قالوا تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن

التوراة قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ أي سيء الخلق ولا غليظ أي شديد القول ولا صخاب بالسين والصاد في الاسواق أي لا يصيح فيها وفي الحديث أشد الناس عذابا كل جعار زعار سخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء أي ملة ابراهيم التي غيرتها العرب وأخرجتها عن استقامتها بان يقولوا لا اله الا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا أي لا تفهم كأنها في غلاف قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه فسألته فما أخطأ في حرف (أقول) لكن في رواية كعب وأعطى المفاتيح ليبصر الله به أعينا عورا وليسمع به آذانا صما ويقيم به ألسنة معوجة يعني المظلوم ويمنعه من أن يستضعف وفيها وصفه صلى الله عليه وسلم بانه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما وعن بعض أحبار اليهود انه قال على جميع ما وصف به صلى الله عليه وسلم في التوراة وقفت الا هذين الوصفين وكنت أشتهي الوقوف عليهما فجاءه شخص يطلب منه ما يستعين به وذكر له انه لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير تدفعها له وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئته قبل الاجل بيومين أو ثلاثة فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت الا تقضيني يا محمد حقي انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال لي عمر أي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وهم بي فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التباعة أي المطالبة اذهب وأوفه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته أي خفته فأسلم اليهودي وذكر القصة وفي التوراة لا يزال الملك في يهودا الى أن يجيء الذي له تنتظر الامم أي لا يزال أمرهم ظاهرا الى أن يجيء الذي تنتظره الامم أي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه المرسل لجميع الامم وما زعمه اليهود بانه يوشع رد بنص التوراة في محل آخر ان الله ربكم يقيم نبيا من اخوتكم مثلي وقد قال لي انه سوف يقيم نبيا مثلك من اخوتهم وأجعل كلمتي في فيه وأيما انسان لم يطع كلامه أنتقم منه لان قوله مثلي أي رسولا بكتاب مشتمل على الاحكام والشرائع وذكر المبدا والمعاد لان يوشع لم يكن له كتاب بل كان متابعا لسنة موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل خاصة وأيضا يوشع منهم لا من اخوتهم فلو كان يوشع لقال منكم وما زعمه النصارى انه المسيح رد عليهم بنصوص الانجيل التي منها ان الله يقيم لكم نبيا من اخوتكم لان المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود وفي زبور داود سيولد لك ولد أدعى له أبا ويدعى لي ابنا واخوة بني اسرائيل انما هم أولاد اسمعيل الذي هو أخو اسحق وبنو اسرائيل منه وأيضا لو كان المسيح لم يحسن أن يخاطب بهذا اللفظ وفي الانجيل جاء الله من طور سينا وظهر بساعير وأعلن بفاران أي عرف الله برسالة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم لان ظهور نبوة موسى كان في طور سينا وتقدم انه جبل بالشام قيل هو الذي بين مصر وايليا وأنزلت التوراة عليه فيه وظهور نبوة عيسى كان في ساعير وهو جبل القدس لان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يسكن بقرية بأرض

وأنت في الامر فان كان الذي نعبده خيرا مما تعبده أنت كنت أخذت منه بحظك وان كان الذي تعبده أنت خيرا كنا قد أخذنا منه بحظنا فقال لهم حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي بقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين وعن جعفر

الصادق رضي الله عنه ان المشركين قالوا له اعبد معنا آلهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا آلهتنا شهرا نعبد معك الهك سنة فنزلت أي لا أعبد ما تعبدون يوما ولا أنتم عابدون ما أعبد عشرة ولا أنا عابد ما عبدتم شهرا ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة وروى ذلك التقدير عن جعفر الصادق رضي الله عنه ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا طعنا في القرآن لو قال امرؤ القيس * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * وكرر ذلك مرتين أو أكثر في نسق أما كان عيبا فكيف وقع في القرآن قل يا أيها الكافرون الخ السورة وهي مثل ذلك وقوله لكم دينكم ولي دين نسخ بآية القتال وبقوله تعالى أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ولما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ائت بقرآن غير هذا حين غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد الشديد أنزل الله ردا عليهم ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآيات وأنزل الله أيضا ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي الآية وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أليس حسنا ما جئت به فقالوا بلى والله وفي لفظ هل ترون بما أقول بأسا فقالوا لا فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وكان رجلا أعمى وهو ممن أسلم بمكة والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بأولئك القوم وقد رأى منهم مؤانسة وطمع في اسلامهم فصار يقول يا رسول الله علمني مما علمك الله وأكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فأعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه

الخليل يقال لها ناصرة وباسمها سمي من اتبعه وأنزل عليه الانجيل بها وظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان في فاران وهي مكة وأنزل عليه القرآن بها وفي التوراة ان اسمعيل أقام بقرية فاران وانما عبر في جانب موسى بالمجيء لانه أول المشرعين لان كتابه الذي هو التوراة أول كتاب اشتمل على الاحكام والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب فانها لم تشتمل على ذلك وانما كانت مشتملة على الايمان بالله تعالى وتوحيده ومن ثم قيل لها صحف واطلاق الكتب عليها مجاز ولما حصل بعيسى وبكتابه الذي هو الانجيل نوع ظهور عبر في جانبه بالظهور الذي هو أقوى من المجيء ثم لما زاد الظهور بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم عبر عنه بالاعلان الذي هو أقوى من مجرد الظهور وقد قيل في تفسير قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انهم يجدون نعته يأمرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي حرمت على بني اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام التي حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التي كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وان يقطعوا ما أصابهم من البول والله أعلم ومن ذلك ما جاء عن النعمان السبائي رضي الله تعالى عنه وكان من أحبار يهود باليمن قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن أشياء ثم قلت له ان أبي كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك أحمد صلى الله عليك وسلم وأمتك الحمادون أي يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم أي يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم في الجهاد وأناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي يعني أباه اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدقه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم قال أشهد اني رسول الله (أقول) والنعمان هذا قتله الاسود العنسي الذي ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه بالنار أي ولم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذي أحرقه الاسود العنسي بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب أو ابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قاله لاصحابه فقال عمر الحمد لله الذي جعل في أمتنا مثل ابراهيم الخليل وهذا السفر يحتمل أن يكون ملخصا من التوراة وقوله الا وجبريل معهم يدل على أن جبريل يحضر كل قتال صدر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم للكفار بل ظاهره كل قتال صدر حتى من جميع الامة وفي رواية بعضهم نقلا عن سفر من التوراة لا يلقون أي أمته عدوا الا وبين أيديهم ملائكة معهم رماح وفي التوراة في صفة أمته صلى الله عليه وسلم زيادة على ما سبق يوضؤن أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم

وفى رواية أشار الى قائد ابن أم مكتوم ان يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم
وأعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله فى ذلك بقوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى الآيات فكان بعد ذلك اذا جاءه
يقول مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ويبسط له رداءه وكان كفار قريش يقترحون على النبى صلى الله عليه وسلم

آيات كثيرة يريدون أن يأتيهم بها وكان ذلك منهم تعنتا وعنادا وكان النبى صلى الله عليه وسلم شديد الرغبة فى اسلامهم رجاء ان يسلم الناس باسلامهم فكان يسأل الله تعالى ويتضرع اليه فى اعطائهم ما يسألون واظهار تلك الآيات لهم وقد علم الله انها لو جاءتهم لا يؤمنون كما قال تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وكانت جرت عادة الله القديمة المستمرة فى خلقه ان أقوام الانبياء اذا اقترحوا الآيات وجاءتهم ولم يؤمنوا يؤخذوا بعذاب الاستئصال وكان فى علم الله ان هذه الامة لا تؤخذ بعذاب الاستئصال تشريفا لها بنبيها صلى الله عليه وسلم فكان تأخر تلك الآيات التى يقترحونها رحمة وشفقة بهم ان يؤخذوا بعذاب الاستئصال قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون أى فأخذوا بعذاب الاستئصال فلو جاءت الآيات هؤلاء ولم يؤمنوا لأخذوا كما أخذ الاولون ثم ان منهم من هداه الله ومنهم من بقى على كفره وبعض الآيات التى اقترحوها جاءتهم كانشقاق القمر وبعد ذلك منهم من آمن ومنهم من كفر ومما سألوه واقترحوه قولهم له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه
الجبال التى ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجرى فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا من
وليكن فيمن يبعث لنا قصى بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل وفى رواية فان صدقوك وصنعت ما سألناك
صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وانه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله بما

وقد جاء ائتزروا كما رأيت الملائكة أى ليلة الاسراء تأتزر أى مؤتزرة عند ربها الى انصاف سوقها وقد جاء عليكم بالعمائم وأرخوها خلف ظهوركم فانها سيما الملائكة وكلاهما أى الائتزار وارخاء العذبة من خصائص هذه الامة وقد جاء ان العمائم تيجان المسلمين وفى رواية من سيما المسلمين أى علاماتهم المميزة لهم عن غيرهم ويؤخذ من وصفهم بانهم يوضؤن أطرافهم ان الامم السابقة كانوا لا يتوضؤن ويوافقه قول الحافظ ابن حجر ان الوضوء من خصائص الانبياء دون أممهم الا هذه الامة ويوافقه ما رواه ابن مسعود مرفوعا يقول الله تبارك وتعالى افترضت عليهم ان يتطهروا فى كل صلاة كما افترضت على الانبياء أى ان يكونوا طاهرين أوان هذا أى وجوب التطهر لكل صلاة كان فى صدر الاسلام ولم ينسخ الا فى فتح مكة كما سيأتى ويخالف كون الوضوء من خصائص هذه الامة ما رواه الطبرانى فى الاوسط بسند فيه ابن لهيعة عن بريدة قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ واحدة واحدة فقال هذا الوضوء الذى لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضأ ثنتين ثنتين فقال هذا وضوء الامم قبلكم ثم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى فان هذا يفيد ان الوضوء كان للامم السابقة لكن مرتين ولانبيائهم كان ثلاثا وعليه فالخاص بهذه الامة التثليث كوضوء الانبياء أى كما اختصت هذه الامة عمن عداها بالغرة والتحجيل وعلى هذا يحمل قول ابن حجر الهيثمى ان الوضوء من خصائص هذه الامة بالنسبة لبقية الامم لا لانبيائهم وفى كلام ابن عبد البر قيل ان سائر الامم كانوا يتوضؤن ولا أعرفه من وجه صحيح وفى كلام ابن حجر والذى من خصائصنا اما الكيفية المخصوصة أو الغرة والتحجيل هذا كلامه وهو يفيد ان كون الكيفية المخصوصة ومنها الترتيب من خصائصنا غير مقطوع به بل الامر فيه على الاحتمال ولا يخفى ان الاشارة فى قوله صلى الله عليه وسلم هذا وضوء الامم يدل على الترتيب فقد استدل أئمتنا على وجوب الترتيب بانه صلى الله عليه وسلم لم يتوضأ الا مرتبا باتفاق أصحابه ولو كان جائزا لتركه فى بعض الاحايين وما اعترض به على دعوى الاتفاق بانه جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه وصف وضوءه صلى الله عليه وسلم فتوضأ فغسل وجهه ثم يديه ثم رجليه ثم مسح رأسه أجيب عنه بضعف هذه الرواية وعلى تقدير صحتها يجوز ان يكون ابن عباس نسى مسح الرأس فذكره بعد غسل رجليه فمسحه ثم أعاد غسل رجليه والراوى عن ابن عباس لم يقف على اعادة ابن عباس غسل رجليه وفى التوراة فى صفة أمته صلى الله عليه وسلم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل وفى رواية أصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار اذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات واذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول أى وهو التوراة أو جنس الكتب السابقة والكتاب الآخر أى وهو القرآن وروى الامام أحمد وغيره باسناد صحيح قال الله تعالى لعيسى ياعيسى انى باعث من بعدك نبيا أمته ان أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون ذلك لهم ولا حلم ولا علم قال أعطيهم

يعنى به وقالوا له مرة سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا وفى لفظ قالوا له لم لا تنزل عليك الملائكة فتخبرنا بان الله
أرسلك فنؤمن حينئذ بك وقال آخر منهم يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا واسأله ان يجعل لك جنانا وقصورا
وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فلا بد ان تتميز

عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا وفى لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نأكل نحن ويمشى فى الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمسه نحن فلا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة ولما قالوا له صلى الله عليه وسلم سل ربك ان يبعث معك ملكا ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة قال لهم صلى الله عليه وسلم ما أنا بالذى يسأل ربه هذا يروى ان كثيرا من هذه الاشياء خاطبوه بها فى آخر المجلس الذى كان مقبلا عليهم فيه حين جاءه ابن أم مكتوم وأبدلوا اللين الذى كان منهم فى أول المجلس بالغلظة فأيس صلى الله عليه وسلم حينئذ منهم وقام حزينا أسفا على ما فاته من هدايتهم التى طمع فيها * وممن آذاه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى أمية المخزومى وكان ابن عمته صلى الله عليه وسلم وهو اخو أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب وكان من أشد الناس عليه وهذا كله قبل اسلامه ثم أسلم رضى الله عنه عام الفتح واستشهد فى غزوة الطائف قال للنبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل عليهم
بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله لن نؤمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه
وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك أى كتاب معه أربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت
انى أصدقك فانزل الله تعالى عليه الآيات التى فيها شرح هذه المقالات فى سورة الاسراء فى قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر

من حلمى وعلمى وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ما ذكره بعضهم ان هذه الامة آخر الامم فكان العلم والحلم الذى قسم بين الامم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم أخلاقكم قد دق جدا فلم يدرك هذه الامة الا اليسير من ذلك مع قصر أعمارهم فأعطاهم الله من حلمه وعلمه وجاء انهم مسمون فى التوراة صفوة الرحمن وفى الانجيل حلماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء (وفى الطبرانى) ان عمر قال لكعب الاحبار كيف تجدنى يعنى فى التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف فى الله لومة لائم وزاد عن جواب السؤال قوله ثم الخليفة من بعدك يقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعد وفى صحف شعياء اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها انى باعث نبيا أميا أفتح به آذانا صما وقلوبا غلفا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين يبكى للبهيمة المثقلة ويبكى لليتيم فى حجر الارملة لو يمر الى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشى على القضب الرعراع يعنى اليابس لم يسمع من تحت قدميه الى آخر الرواية فان فيها طولا وقد ساقها الجلال السيوطى فى الخصائص الكبرى وشعياء هذا كان بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام * ولما نهى بنى اسرائيل عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله تعالى بقوله وقفينا من بعده أى موسى بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة أى وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليهما وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكا له الخراب والقاء الجيف فيه أبشر يأتيك راكب الحمار يعنى عيسى وبعده راكب الجمل يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وتقدم فى وصفه صلى الله عليه وسلم انه يركب الحمار والبعير وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عيسى اختص بركوب الحمار بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان يركبهما هذا تارة وهذا أخرى فليتأمل ومن جملتهم ارمياء قيل وهو الخضر والله أعلم واسمه صلى الله عليه وسلم فى الزبور حاط حاط والفلاح الذى يمحق الله به الباطل وفارق وفاروق أى يفرق بين الحق والباطل وهو كما تقدم معنى فارقليط أو بارقليط بالفاء فى الاول والموحدة فى الثانى وقيل معناه الذى يعلم الاشياء الخفية وفى الينبوع ومن الالفاظ التى رضوها لانفسهم يعنى النصارى وترجموها على اختيارهم ان المسيح عليه الصلاة والسلام قال انى أسأل الله ان يبعث اليكم بارقليطا آخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شئ ويفسر لكم الاسرار وهو يشهد لى كما شهدت له ويكون خاتم النبيين ولم يشهد له بالبراءة والصدق فى النبوة بعده الا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر صاحب الدر المنظم باسناده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضى الله تعالى عنه يا عمر أتدرى من أنا أنا الذى بعثنى الله فى التوراة لموسى وفى الانجيل لعيسى وفى الزبور لداود ولا فخر أى لا أقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر أتدرى من أنا أنا اسمى فى التوراة أحيد وفى الانجيل البارقليط وفى الزبور حمياطا وفى صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر

لنا من الارض ينبوعا الآيات وفيها الاشارة الى ان الله تعالى خيره بين ان يعطيهم جميع ماسألوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استأصلهم
الله بالعذاب كالامم السابقة وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثانى لانه صلى الله عليه وسلم يعلم
من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون ٢٣٤ وان حصل ماسألوا فيستأصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة وقد حكى
الله تعالى فى كتابه العزيز كثيرا
من مقالاتهم وأجابهم عن كل
شبهة خالجت قلوبهم قال تعالى
حكاية عنهم وقالوا مال هذا
الرسول يأكل الطعام ويمشى فى
الاسواق لولا أنزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز
أو تكون له جنة يأكل منها فأجاب
الله عن ذلك بقوله وما أرسلنا قبلك
من المرسلين الا انهم ليأكلون
الطعام ويمشون فى الاسواق ولما
استعظموا ان يكون الرسول
بشرا وقالوا الله أعظم ان يكون
رسوله بشرا منا أنزل الله تعالى
وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى
اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزل الله
تعالى أكان للناس عجبا ان أوحينا
الى رجل منهم ورد الله عليهم
سؤالهم رؤية الملائكة بانهم
لا يستطيعون رؤيتهم ولو جعل
الملك على صورة البشر لالتبس
الامر عليهم ولو بقى على صورته
لقضى الامر عليهم باخذهم
بالاستئصال أو لعدم ثباتهم عند
رؤيته ولو أنزل الله الملائكة
بكتاب من السماء وهم يشاهدونهم
كما سألوا لقالوا ان ذلك سحر أو
قالوا انما سكرت أبصارنا كما حكى
الله ذلك بقوله ولو نزلنا عليك كتابا
فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم
ما يلبسون وقال تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال
تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون

وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور فى مختصره ان من فضائله صلى الله عليه وسلم ما رواه مقاتل
ابن سليمان قال وجدت مكتوبا فى زبور داود انى أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولى ووصف
فى مزامير داود بانه يقوى الضعيف الذى لا ناصر له ويرحم المساكين ويبارك عليه فى كل
وقت ويدوم ذكره الى الابد وبالجبار فيها تقلد أيها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى
وما أنت عليهم بجبار أجيب بان الاول هو الذى يجبر الخلق الى الحق والثانى هو المتكبر وفيها
يا داود سيأتى من بعدك نبى اسمه أحمد ومحمد صادقا لا أغضب عليه أبدا ولا يعصينى أبدا وقد
غفرت له قبل ان يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر أى على فرض وقوع ذلك الذنب والمراد به
خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيآت المقربين أى ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الابرار
قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم وأمته مرحومة يأتون يوم
القيامة ونورهم مثل نور الانبياء وفى بعض مزامير داود ان الله أظهر من صهيون اكليلا
محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفى صحف شيث
اخونوخ ومعناه صحيح الاسلام وهذا يدل على ان مزامير داود نسخه مختلفة بالزيادة والنقص
وفى صحف ابراهيم اسمه يوذموذ وقيل ان ذلك فى التوراة ولا مانع من وجوده فيهما وتقدم انه
فى صحف ابراهيم اسمه طاب طاب ولا مانع من وجود الوصفين فى تلك الصحف (وفى كتاب
شعيب) عليه السلام عبدى الذى يثبت شأنه أنزل عليه وحيى فيظهر فى الامم عدلى لا يضحك أى
مع رفع الصوت ومن ثم قال ولا يسمع صوته فى الاصوات لان ضحكه كان التبسم يفتح العيون
العور والآذان الصم ويحيى القلوب الغلف وما أعطيته لا أعطيه أحدا وفيه أيضا مشقح
بالشين المعجمة والقاف والحاء المهملة أى زاهى يحمد الله حمدا جديدا أى مخترعا لم يسبقه اليه أحد
يأتى من أقصى الارض لعل المراد به مكة به تفرح البرية وسكانها وهو ركن المتواضعين وهو
نور الله الذى لا يطفأ سلطانه على كتفه وذكر البرية وسكانها اشارة لدولة العرب والمراد بسلطانه
على كتفه خاتم النبوة لانه علامة وبرهان على نبوته أى وذكر ابن ظفر أن فى بعض كتب الله
المنزلة انى باعث رسولا من الاميين أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل
الحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته
والعدل سيرته والاسلام ملته أرفع به من الوضعة وأهدى به من الضلالة وأؤلف به بين
قلوب متفرقة وأهواء مختلفة وأجعل أمته خير الامم وأما ما جاء مما يدل على وجود اسمه
الشريف أعنى لفظ محمد مكتوبا فى الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير
من ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
نقش خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لا اله الا الله محمد رسول الله قال المراد فص
خاتمه فعن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان فص خاتم سليمان بن داود كان
سماويا أى من السماء ألقى اليه فوضعه فى خاتمه أى وكان به انتظام ملكه وكان نقشه أنا الله
لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى وحينئذ يكون ما تقدم عن جابر وما يأتى يجوز ان يكون روى
بالمعنى وكان ينزعه اذا دخل الخلاء واذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه أمر الناس ولم يجد من

نفسه

وقال تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى أى فانهم لا يؤمنون وقال تعالى فى الرد عليهم حين صاروا
يسألون كتابا فيه خطابهم وأسماؤهم وأسماء آبائهم فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل
امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة وقال تعالى حكاية عنهم واذا جاءتهم آية ٢٣٥ قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله
وقال تعالى فى الرد عليهم فى قولهم
أو يلقى اليه كنز الآية تبارك الذى
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك
جنات تجرى من تحتها الانهار
ويجعل لك قصورا ولما أنكروا
عليه التزوج بالنساء وطلب
الذرية كغيره من البشر رد الله
عليهم بقوله ولقد أرسلنا رسلا
من قبلك وجعلنا لهم أزواجا
وذرية والحاصل أن الله لم يبق لهم
شبهة يتمسكون بها وكلما أتوا بشبهة
يوهمون انها حجة لهم ردها الله
عليهم بأحسن الرد كما قالوا لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة فرد الله
عليهم بقوله كذلك لنثبت به
فؤادك ورتلناه ترتيلا أى نزلناه
كذلك أى مفرقا بحسب الوقائع
لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا
ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق
وأحسن تفسيرا ومما قالوه له
أسقط علينا السماء كسفا أى قطعا
كما زعمت أن ربك ان شاء فعل ذلك
فرد الله عليهم بقوله وان يروا
كسفا من السماء ساقطا يقولوا
سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا
يومهم الذى فيه يصعقون وقالوا
مرة بلغنا أن الذى يعلمك رجل
باليمامة يقال له الرحمن وانا والله
لن نؤمن بالرحمن أبدا وقد عنوا
بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا
كان لليهود باليمامة وقد رد الله
تعالى عليهم بأن الرحمن المعلم له هو
الله تعالى فقال تعالى قل هو أى
الرحمن ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب وقال تعالى رد السؤالهم رؤية ربهم وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا
الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا
وعن محمد بن كعب القرظى ان الملأ من قريش أقسموا للنبى صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل أنهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام

نفسه ما كان يجده قبل نزعه * وفى أنس الجليل كان نقش خاتم سليمان لا اله الا الله وحده
لا شريك له محمد عبده ورسوله ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوب محمد تقى مصلح وسيد
أمين * وفى جامع مدينة قرطبة بالمغرب عمود أحمر مكتوب فيه بقلم القدرة محمد وعن عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال
يارب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا غفرت لى قال وكيف عرفت محمدا وفى لفظ كما فى الوفاء
وما محمد ومن محمد قال لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على
قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق
اليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك أى وفى لفظ كما فى الشفاء قال آدم لما خلقتنى
رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس أحد أعظم
قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى انه لآخر النبيين
من ذريتك ولولاه ما خلقتك وفى الوفاء عن ميسرة قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال
لما خلق الله الارض واستوى الى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق
العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التى اسكنها آدم وحواء وكتب اسمى أى
موصوفا بالنبوة أو بما هو أخص منها وهو الرسالة على ما هو المشهور على الابواب والاوراق
والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد أى قبل ان تدخل الروح جسده فلما أحياه الله نظر الى
العرش فرأى اسمى فأخبره الله تعالى انه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمى اليه
أى فقد وصف صلى الله عليه وسلم بالنبوة قبل وجود آدم وفيه أيضا عن سعيد بن جبير اختصم ولد
آدم أى الخلق أكرم على الله تعالى فقال بعضهم آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وقال
آخرون بل الملائكة لانهم لم يعصوا الله عز وجل فذكروا ذلك لآدم فقال لما نفخ فى الروح لم
تبلغ قدمى حتى استويت جالسا فبرق لى العرش فنظرت فيه محمد رسول الله فذاك أكرم الخلق
على الله عز وجل قيل وكان يكنى آدم بأبى محمد وبأبى البشر وظاهره انه كان يكنى بذلك فى الدنيا
وتقدم انه يكنى بأبى محمد فى الجنة * ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب أيضا رضى الله تعالى عنه
قال لكعب الاحبار رضى الله تعالى عنه اخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل وجد حجرا مكتوبا عليه أربعة أسطر
الاول أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى والثانى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولى طوبى لمن آمن به واتبعه
والثالث أنا الله لا اله الا أنا الحرم لى والكعبة بيتى من دخل بيتى أمن من عذابى ولينظر الرابع
أى وذكر بعضهم ان فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريح
عاد انقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله
تعالى فنظروا فاذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا الوحوش فاذا
هى منصرفة الى ذلك الجبل الذى سقط فيه ذلك النور فسار واممها اليه فوجدوا به صخرة
طولها ذراع فى عرض ثلاثة أصابع وفيها ثلاثة أسطر سطر فيه لا اله الا أنا فاعبدون وسطر فيه
محمد رسول الله القرشى وسطر ثالث فيه احذر وا وقعة المغرب فانها تكون من سبعة أو تسعة

يدعو الله أن يعطيهم ما سألوا فأتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكني لم آت قوما بآية اقترحوها فلم يؤمنوا بها الا أمرت بعذابهم وفي رواية أتاه جبريل فقال له يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول ان شئت أن يصبح لهم الصفا ذهبا فعلت فان لم يؤمنوا به أنزلت عليهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وان شئت أن لا يصير لهم الصفا ذهبا فتحت لهم باب التوبة والرحمة وفي رواية وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال بل حتى يتوب تائبهم وانما وافق صلى الله عليه وسلم على فتح باب التوبة والرحمة لانه صلى الله عليه وسلم علم أن سؤالهم لذلك جهل منهم لانهم خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهي امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن أعرض عنه اذ مع كشف الغطاء يحصل العلم الضروري فلا يحتاج الى ارسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب وأيضا لم يسألوا ما سألوا من تلك الآيات الا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك اذ قد جاءتهم آيات أعظم مما اقترحوا فلم يؤمنوا بها وذلك كالقرآن العزيز المشتمل على الاخبار بالمغيبات وأخبار الامم السالفة كما قال تعالى أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وقد اشتمل كثير من السور على جملة من الآيات كسورة الانعام والنحل والشعراء وقال فيها عقب كل آية ان في ذلك لآية وقال في آخرها أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وهم يعلمون ان الذي جاءهم به لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم ولم ينتقل من بين أظهرهم وما جاء بذلك الا بعد ان بلغ أربعين سنة قال تعالى ردا عليهم فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وقال تعالى عقب قصة موسى عليه السلام وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور

والقيامة قد أزفت أي قربت وجاء ان آدم عليه الصلاة والسلام قال طفت السموات فلم أر في السموات موضعا الا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم أر في الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوب عليه ولقد رأيت اسمه صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين ورق آجام الجنة أي ورق قصب آجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب وبين أعين الملائكة وهذا الحديث قد حكم بعض الحفاظ بوضعه أي وقد قيل ان أول شئ كتب القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم اني أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين وفي رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا أدخله الله الجنة وفي رواية لما أمر الله القلم ان يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله يتأمل هذا فانه ان كان المراد كما هو المتبادر ان القلم لما أمر ان يكتب ما ذكر كان أول شئ كتبه على سرادق العرش ما ذكر ثم تمم كتابة ما أمر به على ذلك كما كتب أول ما ذكر البسملة في اللوح المحفوظ ثم تمم كتابة ما أمر به يلزم ان يكون القلم كتب ما كان وما يكون في اللوح وعلى سرادق العرش * ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب أيضا رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه الصلاة والسلام قال وجدت اسم محمد صلى الله عليه وسلم على ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى أي وعلى ورق قصب آجام الجنة ومن ثم قال السيوطي في الخصائص الكبرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر ما في الملكوت أي من السموات والجنان وما فيهن وفي الخصائص الصغرى له أيضا ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت أقول ولا يخالف هذا أي ما تقدم عن آدم ما جاء على تقدير صحته ان آدم لما نزل الى الارض استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالاذان الله أكبر الله أكبر مرتين أشهد أن لا اله الا الله مرتين أشهد أن محمدا رسول الله مرتين قال آدم من محمد قال جبريل هو آخر ولدك من الانبياء لجواز ان يكون آدم عليه السلام أراد أن يستثبت هل هو محمد الذي رأى اسمه مكتوبا وأخبر بانه آخر الانبياء من ذريته وانه لولاه ما خلقه واستشفع به أو غيره فليتأمل وانما قلنا على تقدير صحته لانه سيأتي في بدء الاذان ان في سند هذا الحديث مجاهيل وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور في مختصره عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت أرضي ولا سمائي ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفي رواية عنه ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا وبهذا يرد على من رد على القائل في مدحه صلى الله عليه وسلم

لولاه ما كان لا فلك ولا فلك * كلا ولا بان تحريم وتحليل

بان قوله لولاه ما كان لا ملك ولا فلك مثل هذا يحتاج الى دليل ولم يرد في الكتاب ولا في السنة

اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وقال تعالى في قصة مريم وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون وقال تعالى في قصة يوسف واخوته عليهم السلام وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وقال في شأن آدم عليه السلام ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما أنا نذير مبين ثم بين قصة الملا الاعلى بقوله اذ قال ربك للملائكة الخ وقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وكانوا كلما سمعوا منه قصة من أخبار الانبياء والامم السالفة يسألون عنها علماء اليهود والنصارى فيجدون الامر كما أخبر صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا عليه خلافا في كلمة قط قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا لم يجدوا فيه اختلافا قليلا ولا كثيرا فهذه كلها آيات وكان أبو جهل لعنه الله يقول تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا الا أن يأتينا وحي كما يأتيه فأنزل الله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله والحاصل أنها تحيرت عقولهم فيما جاء به صلى الله عليه وسلم فمن طبع الله على قلبه منهم قال انه سحر وكهانة وأساطير الاولين ومنهم من قال انما يعلمه بشر يعنون عبد البني الحضرمي نصرانيا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسه رجاء هدايته وكان لسانه أعجميا فرد الله عليهم بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وقد أشار صاحب الهمزية الى كثير من ذلك بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذي فيه للعقول اهتداء

والذي يسألون منه كتاب * منزل قد أتاهم وارتقاء

أولم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء

أعجز الانس آية منه والجن * فهلا تأتي به البلغاء

كل يوم تهدي الى سامعيه * معجزات من لفظه القراء

ما يدل على ذلك فيقال له بل جاء في السنة ما يدل على ذلك والله أعلم * ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقعت في غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق أحمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة أسطر الاول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعض آخر قال دخلت بلاد الهند فرأيت في بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة كبيرة لم تنفتح فرأيت فيها كما رأيت في سائر الورق وفي البلد منها شئ كثير وأهل تلك البلاد يعبدون الحجارة ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن في لج بحر الهند فأرسينا في جزيرة فرأينا فيها وردا أحمر زكي الرائحة مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله * أي ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث هذا وفي مزيل الخفاء الاقتصار على لا اله الا الله أي وحينئذ لا يكون شاهدا لما ذكرنا أي ومن ذلك ما حكاه الحافظ السلفي عن بعضهم ان شجرة ببعض البلاد لها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورق لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلاد أهل أوثان وكانوا يقطعونها ويبقون أثرها فترجع الى ما كانت عليه في أقرب وقت فأذابوا الرصاص وجعلوه في أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع على كل فرع لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون ويستشفون بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأجل الطيب * ومن ذلك انه وجد في سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب فيها بخط بارع بلون أسود محمد ومن ذلك ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوب على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رأيتها ألقيتها في النهر احتراما لها * وعن بعض آخر قال ركبت بحر الغرب ومعنا غلام معه سنارة فادلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فنظرنا فاذا مكتوب بالاسود على أذنها الواحدة لا اله الا الله وفي قفاها وخلف اذنها الاخرى محمد رسول الله فقذفناها في البحر * وعن بعضهم انه ظهرت له سمكة بيضاء واذا على قفاها مكتوب بالاسود لا اله الا الله محمد رسول الله * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر في فمه لوزة خضراء فألقاها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوب عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله * ومن ذلك ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان ففي يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى أخذت ما بين الخافقين وأحالت بين السماء والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر في السحابة بخط

واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن وأسلم أكثر من كان بالبلد من اليهود والنصارى * ومن ذلك ماجاء عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال بلغنى فى قول الله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالموت أى بانه يموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب أى انه يحاسب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بالقضاء أى ان الامور بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وروى) البيهقى وغيره عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ان الكنز الذى ذكره الله تعالى فى كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب أى يتعب عجبت لمن ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفى لفظ لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى وفى تفسير القاضى البيضاوى عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق ان الله رازقه كيف ينصب أى يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (أقول) قد يقال يجوز ان يكون ماذكر أولا فى أحد وجهى ذلك اللوح وماذكر ثانيا فى الوجه الثانى أو ان بعض الرواة زاد و بعضهم نقص و بعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لاجل صلاح أبيهما وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده و بقعته التى هو فيها والدويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله وستره (ويذكر) ان بعض العلوية هم هرون الرشيد بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله فقال قلت يامن حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظنى منه لصلاح آبائى كذا فى العرائس والله أعلم (ومن ذلك) ماجاء عن جابر رضى الله تعالى عنه قال مكتوب بين كتفى آدم محمد رسول الله خاتم النبيين أى وذكر بعضهم انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله * أى ومن ذلك ماحكاه بعضهم قال ولد عندى فى عام أربعة وسبعين وستمائة جدى اسود غرته بيضاء على شكل الدائرة وفيها مكتوب محمد بخط فى غاية الحسن والبيان * وماحكاه بعضهم قال شاهدت ببلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا ببياض عينه اليمنى من أسفل مكتوب بعرق أحمر كتابة مليحة محمد رسول الله (وذكر) الشيخ عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله تعالى ببركته فى كتابه لواقح الانوار القدسية فى قواعد السادة الصوفية وفى يوم كتابتى لهذا الموضع رأيت علما من أعلام النبوة وذلك ان شخصا أتانى برأس خروف شووها وأكلها وأرانى فيها مكتوبا بخط الهى على الجبين لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق يهدى به من يشاء يهدى به من يشاء قال الشيخ عبد الوهاب وتكرر ذلك لحكمة فان الله لا يسهو هذا كلامه وقد يقال لعل الحكمة التأكيد لما تم مقام الهداية كيف وهو المجانب لمقام الضلالة والغواية (وعن الزهرى) قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت حجرا مكتوبا عليه بالعبرانية فارشدت الى شيخ يقرأه فلما قرأه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جاء الحق من

تحلى به المسامع والافـواه فهو الحلى والحلواء * رق لفظا وراق معنى فجاءت * فى حلاها وحليها الخنساء
وأرتنا فيه غوامض فصل * رقة من زلاله وصفاء * انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء
سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء * والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباء

كم أبانت آياته من علوم
عن حروف أبان عنها الهجاء
فهى كالحب والنوى أعجب
الزراع منها اسنابل وزكاء
فأطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيأ
فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علم
فماذا تقوله الفصحاء
وقال الوليد بن المغيرة يوما أينزل القرآن على محمد واترك انا وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود الثقفى وهو عروة بن مسعود سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين يعنى مكة والطائف فانزل الله تعالى وقالوا لولا نزل أى هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فرد الله عليهم بقوله أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون (وفى رواية) قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من أهل مكة أو عروة بن مسعود الثقفى من أهل الطائف ثم ان كفار قريش بعثوا النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول أى التوراة وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسألا أحبار اليهود وقالا لهم أتيناكم لامر حدث فينا من غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم انه رسول الله وفى لفظ رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفته فوصفوا فقالوا من تبعه منكم قالوا سفلتنا فضحك حبر منهم وقال هذا النبى الذى نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة ثم قالت لهم أحبار اليهود سلوه عن

ربك بلسان عربى مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران

باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه

عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث انى لاعرفه الآن قال جاء فى بعض الروايات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود أى وقيل غيره وانه هو الذى فى زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر أى ولعله غير الحجر الذى به أثر المرفق ذكر انه صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه بمرفقه وهو الذى يقال له زقاق المرفق وغير الحجر الذى به أثر الاصابع وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله تعالى كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجة أى لحاجة الانسان أبعد حتى لا يرى بيتا و يفضى الى الشعاب و بطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا اه والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

لم يبق من حجر صاب ولا شجر * الا وسلم بل هناه ماوهبا

والى ذلك يشير أيضا صاحب الهمزية بقوله

والجمادات أفصحت بالذى أخرس عنه لاحمد الفصحاء

أى والجمادات التى لا روح فيها نطقت بكلام فصيح لا تلعثم فيه أى بالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولم تنطق به أهل الفصاحة والبلاغة وهم الكفار من قريش وغيرهم وعن على رضى الله تعالى عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله (أقول) والى تسليم الحجر قبل البعثة يشير الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وماجزت بالاحجار الا وسلمت * عليك بنطق شاهد قبل بعثة

وأما حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوحى الى جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وماذكره بعضهم ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم بمكة من يشهد انك رسول الله قال تلك الشجرة ثم قال لها من أنا فقالت رسول الله فليس من المترجم له وفى الخصائص الصغرى وخص بتسليم الحجر وبكلام الشجر وبشهادتهما له بالنبوة واجابتهما دعوته وفى كلام السهيلى يحتمل ان يكون نطق الحجر والشجر كلاما مقرونا بحياة وعلم و يحتمل ان يكون صوتا مجردا غير مقترن بحياة وعلم وعلى كل هو علم من أعلام النبوة وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبى أو ولى ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه العلم والحياة فى ذلك الوقت والامر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار فى جميع العالم وقد ورد ان كل شئ سمع صوت المؤذن من رطب و يابس يشهد له ولا يشهد الا من علم وأطال فى ذلك وقال قد أخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن وأضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل فى ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلى انما كان ذلك منه لمعرفته

ثلاث فان أخبركم بهن على ماهى عليه فان بين اثنين منها وسكت عن الثالث فهو نبى مرسل وان لم يفعل فمتقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول يعنون بذلك أهل الكهف فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وما كان من نبئه يعنون بذلك ذا القرنين وسلوه عن الروح ماهى فاذا أخبركم بحقيقة الاولين و بعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم قد جئناكم بفصل مابينكم و بين محمد وأخبراهم الخبر فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام أخبركم غدا ولم يستثن أى لم يقل ان شاء الله تعالى وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة أيام لا يأتيه الوحى وتكلم قريش فى ذلك فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه ومن جملة من قال ذلك أم قبيح امرأة عمه أبى لهب قالت له ما أرى صاحبك الا قد ودعك وقلاك أى تركك وأبغضك وفى رواية قالت امرأة من قريش ابطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين وجاءه بالجواب عن الروح المذكور فى سورة الاسراء وهو أن الروح من أمر الله قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى أى من علمه لا يعلمه الا هو وكان فى كتب أهل الكتاب ان الروح من أمر الله أى مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة سأله اليهود عن الروح فنزلت عليه هذه الآية فهى مما تكرر نزوله وعاتب الله النبى صلى الله عليه وسلم فى سورة الكهف على تركه ذكر التعليق على المشيئة بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وأنزل الله سورة الضحى ردا لقولهم قلاه ربه وأبغضه فكبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى واستمر على ذلك التكبير فى بقية السور بعدها الى آخر القرآن ولما أجابهم صلى الله

بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة لما تدكدك والله أعلم

﴿باب بيان حين المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم﴾

قال ابن اسحق لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم أي فهم وأممهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم كما سيأتي عن السبكي فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس الاربعين قال وهذا هو المشهور بين الجمهور من أهل السير والعلم بالاثر وقيل بزيادة يوم وقيل بزيادة عشرة أيام وقيل بزيادة شهرين وقيل بزيادة سنتين وهو شاذ وأكثر منه شذوذا ما قيل انه بزيادة ثلاث سنين وما قيل انه بزيادة خمس سنين قال بعضهم والاربعون هي سن الكمال ونهاية بعث الرسل أي لا يرسلون دونها ومن ثم قال في الكشاف ويروى انه لم يبعث نبي الا على رأس أربعين سنة هذا كلام الكشاف وأما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السماء وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة أي ومعلوم انه دعى الى الله قبل ذلك فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى اه أي وعليه جرى غير واحد من المفسرين بل قال في ينبوع الحياة لم يبلغني ان أحدا من المفسرين ذكر في مبلغ سنه اذ رفع أكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا كلامه وفي الهدى وأما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يعرف به أثر متصل يجب المصير اليه هذا كلامه ويوافق ما تقدم عن المفسرين وما في العرائس ولما تمت له يعني عيسى عليه السلام ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم ويضرب الامثال لهم ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويذلهم ويدحرهم ففعل ما أمر به وأظهر المعجزات فاحيى ميتا يقال له عازر بعد ثلاثة أيام من موته وعبارة الجلال المحلي في تتمة التفسير أحيا عيسى عليه الصلاة والسلام أربعة عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح هذا كلامه وذكر البغوي قصة كل واحد فراجعه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يمشي على الماء ومكث في الرسالة ثلاث سنوات ثم رفع ويوافق ذلك أيضا قول ابن الجوزي وأما حديث ما من نبي الا نبئ بعد الاربعين فموضوع لان عيسى عليه الصلاة والسلام نبئ ورفع الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أي نبئ وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بل قيل نبئ وهو طفل فاشتراط الاربعين في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس بشئ هذا كلامه أي وفيه ان هذا بمجرده لا يدل على وضع الحديث ويوافقه أيضا قول القاضي البيضاوي ونبئ نوح وهو ابن خمسين سنة وقيل أربعين ويوافقه أيضا قول بعضهم ومما يدل على ان بلوغ الاربعين ليس شرطا للنبوة قصة سيدنا يحيى صلوات الله وسلامه عليه بناء على ان الحكم في قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا النبوة لا الحكمة وفهم التوراة كما قيل بذلك بل أحكم الله عقله في صباه واستنباه قيل كان ابن سنتين أو ثلاث ولما ولي الخلافة المقتدر وهو غير بالغ صنف الامام الصولي له كتابا فيمن ولي الامر وهو غير بالغ واستدل على جواز ذلك بان الله بعث يحيى بن زكريا نبيا وهو

عليه وسلم عما سألوا ازدادوا بغيا وكفرا ونسبوه في ذلك الى السحر والكهانة ومن الآيات التي ظهرت منه صلى الله عليه وسلم لهم وهي من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قصة الزبيدي قال الحلبي في السيرة بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد هو ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد يطوف على ٢٤٠ حلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول يا معشر قريش كيف تدخل عليكم المسيرة أو يجاب اليكم جاب أو يحل أي ينزل بساحتكم تاجر وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم وما زال يطوف على حلقهم حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال حسان فسامها منه أبو جهل بثلث أثمانها ثم لم يسمها لاجله سائم قال فأكسد على سلعتي فظلمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين أجمالك قال هذه هي بالحزورة فقام صلى الله عليه وسلم فنظر الى اجماله فرأى جمالا حسانا فساوم صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل حتى ألحقه برضاه وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيرا باعه وأعطى أرامل بني عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وأبو جهل جالس في ناحية من السوق ينظر ولا يتكلم هيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي جهل اياك يا عمرو أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى مني ما تكره فجعل يقول لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أبي جهل أمية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذللت في يد محمد فاما أن تكون تريد أن تتبعه واما رعب دخلك منه فقال لهم لا أتبعه أبدا ان الذي رأيتم مني لما رأيته رأيت معه رجالا عن يمينه ورجالا عن شماله معهم رماح يشرعونها الي لو خالفته لأتوا على نفسي ونظير ذلك ان أبا جهل كان وصيا على يتيم فأكل ماله وطرده فاستعان اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم على أبي جهل بعد ان بعثه كفار قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له استهزاء ما يخلصك غير

غير بالغ وذكر فيه كل من استعمله النبي صلى الله عليه وسلم من الصبيان قال بعضهم وهو كتاب حسن فيه فوائد كثيرة وكان ذبح يحيى قبل رفع عيسى عليهما الصلاة والسلام بسنة ونصف سنة * ومما يدل على ما تقدم عن الهدى أي من انكار ان عيسى عليه الصلاة والسلام رفع وله ثلاث وثلاثون سنة قول بعضهم الاحاديث الصحيحة تدل على انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة من تلك الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم في مرض موته لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها أخبرني جبريل انه لم يكن نبي الا عاش نصف عمر الذي كان قبله وأخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا أراني الا ذاهبا على رأس الستين وفي الجامع الصغير ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش الذي قبله وعلى كون كل نبي عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله يشكل ان نوحا كان أطول الانبياء عمرا ومن ثم قيل له كبير الانبياء وشيخ المرسلين وهو أول من تنشق عنه الارض بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ثم رأيت أن الحافظ الهيثمي ضعف حديث ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله وقال العماد ابن كثير انه غريب جدا وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه أي ينتظرون فراغه من الصلاة لان نزول والله يعصمك من الناس كان قبل هذا حتى اذا صلى وانصرف اليهم قال لهم لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلي زاد في رواية لا أقولهن فخرا اما أولهن فارسلت الى الناس كلهم عامة أي من في زمنه وغيرهم ممن تقدم أو تأخر أي وللشجر والحجر الى آخر ما يأتي وكان من قبلي وفي لفظ وكان كل نبي انما يرسل الى قومه أي جميع أهل زمنه أو جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح فانه كان مرسلا لجميع من كان في زمنه من أهل الارض ولما أخبر بانه لا يؤمن منهم الا من آمن معه وهم أهل السفينة وكانوا اثنين أربعين رجلا وأربعين امرأة وفي عوارف المعارف أصحاب السفينة كانوا أربعمائة وقد يقال من الآدميين وغيرهم ولا مخالفة دعا على من عدا من ذكر استئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذي كان به هلاك جميع أهل الارض الا من آمن ولو لم يكن مرسلا اليهم ما دعى عليهم بسبب مخالفتهم له في عبادة الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين أي حتى في الدنيا حتى نبعث رسولا وقد ثبت ان نوحا أول الرسل أي لمن يعبد الاصنام لان عبادة الاصنام أول ما حدث في قومه وأرسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف كون أول الرسل آدم أرسله الله تعالى الى أولاده بالايمان بالله تعالى وتعليم شرائعه وذكر بعضهم انه كان مرسلا لزوجته حواء في الجنة لان الله تعالى أمره ان يأمرها وينهاها في ضمن اخباره بأمره ونهيه بقوله تعالى يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وذلك عين الارسال كما ادعاه بعضهم فعلم ان عموم رسالة نوح عليه الصلاة والسلام لجميع أهل الارض في زمنه لا يساوي عموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت ان رسالته عامة حتى ان يوجد بعد زمنه وحينئذ يسقط السؤال وهو لم يبق بعد الطوفان الا مؤمن فصارت رسالة نوح عليه الصلاة والسلام عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بان هذا العموم الذي حصل بعد الطوفان لم يكن من أصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف

من أبي الحكم الا هذا يعنون النبي صلى الله عليه وسلم فمشى معه صلى الله عليه وسلم ورد اليه ماله فقيل لابي جهل في ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت ان أعطيه لطعنني ونظير ذلك بل اعجب منه قصة الاراشي وحاصلها ان أبا جهل ابتاع من شخص يقال له الاراشي بكسر الهمزة نسبة الى اراشة بطن من خثعم ٢٤١ أجمالا فمطله باثمانها فدلته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم لينصفه من أبي جهل استهزاء منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لزعمهم أنه لا قدرة له على أبي جهل وكان ذلك بعد ان وقف على ناديهم وقال يا معشر قريش من يعينني على أبي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع أبي جهل فقال مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله ان أبا الحكم بن هشام غلبني على حق لي قبله وأنا غريب وابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي بحقي منه فأشاروا اليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله فقام النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى أبي جهل وضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه أي تغير وصار كلون النقع الذي هو التراب وهو الصفرة مع كدرة فقال أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له فدخل واخرج ما هو لذلك الرجل فدفعه اليه قال ثم ان الرجل اقبل حتى وقف على أهل ذلك المجلس الذين بعثوه الى النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء فقال جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد والله أخذ لي بحقي وقد كانوا أرسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انظر ماذا يصنع فلما رجع الرجل قالوا له ماذا رأيت فقال رأيت عجبا من أعجب العجب والله ما هو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه فزعا مرعوبا وكأنه ليس معه روحه فقال اعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فأعطاه اياه فعند ذلك قالوا لابي جهل ما رأينا

مثل ماصنعت فقال ويحكم والله ماهو الا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسي فحلا من الابل مارأيت مثله قط لو أبيت أو تأخرت لأكلني والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

واقتضاه النبي دين الاراشي * وقد ساء بيعه والشراء ٢٤٢ ورأى المصطفى اتاه بما لم * ينج منه دون الوفاء النجاء

هو ماقد رآه من قبل لكن * ماعلى مثله يعد الخطاء

وقوله هو ماقد رآه من قبل وذلك لما أراد عدو الله أن يلقي الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فيبس الحجر في يده ورجع القهقرى وهو منتقع اللون كما تقدم وأخبر بأنه رأى عنق الفحل لو تقدم لاختطفه عضوا عضوا وأبو جهل كان من أكبر أعداء النبي صلى الله عليه وسلم وهو من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم انا كفيناك المستهزئين وما تقدم بعض من استهزائه ومن استهزائه أيضا أنه سار في بعض الاوقات خلف النبي صلى الله عليه وسلم يخلج بأنفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال كن كذلك فكان كذلك الى أن مات قال ابن عبد البر كان المستهزؤن الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال البغوي وكان رأسهم العاصي ابن وائل السهمي والحرث بن قيس بن عدي السهمي ابن عم العاصي كان أحد أشراف قريش في الجاهلية قيل انه أسلم وهاجر الى الحبشة وقيل بقي على كفره حتى هلك والاسود بن عبد يغوث ابن وهب بن زهرة الزهري ابن خاله صلى الله عليه وسلم والاسود بن المطلب بن عبد العزى ولم يذكر فيهم أبا جهل فهو وان كان من المستهزئين لكنه لم يقصد من الآية أعني انا كفيناك المستهزئين لانه انما هلك لم كافرا يوم بدر وفي رواية انهم كانوا ثمانية فزادوا أبا لهب وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص بن أمية وزاد بعضهم مالك بن الطلاطلة ومن استهزاء عقبة بن أبي معيط به صلى الله عليه وسلم أنه كان يلقي القذر على بابه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم كنت

رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قيل كان بين الدعوة والطوفان مائة عام وقد حققنا فيما سبق ان آدم ومن بعده دعا الى الايمان بالله تعالى وعدم الاشراك به الا ان الاشراك به وعبادة الاصنام اتفق انه لم يقع الا زمن نوح ومن بعده وأما قول اليهود أو بعضهم وهم العيسوية طائفة من اليهود أتباع عيسى الاصفهاني انه صلى الله عليه وسلم انما بعث للعرب خاصة دون بني اسرائيل وانه صادق ففاسد لانهم اذا سلموا انه رسول الله وانه صادق لا يكذب لزمهم التناقض لانه ثبت بالتواتر عنه صلى الله عليه وسلم انه رسول الله لكل الناس (أقول) قال بعضهم ولا ينافيه قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه لانه لا يدل على اقتصار رسالته عليهم بل على كونه متكلما بلغتهم ليفهموا عنه أولا ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل الافهام لغير أهل تلك اللغة من الاعاجم بالتراجم الذين أرسل اليهم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الكافة وان كان هو وكتابه عربيين كما كان موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام مبعوثين لبني اسرائيل بكتابيهما العبراني أي وهو التوراة والسرياني وهو الانجيل مع ان من جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية كالاروام فان لغتهم اليونانية والله أعلم * وأشار الى الثانية من الخمس بقوله ونصرت بالرعب على العدو ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر أي أمامه وخلفه لأني رعبا أي بقذف الرعب في قلوب أعدائه صلى الله عليه وسلم وجعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه اي المحاربين له أكثر من شهر أي وجاء ان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام ذهب هو وجنده من الانس والجن وغيرهما الى الحرم وكان يذبح كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة لان مساحة جنده كانت مائة فرسخ قال لمن حضر من أشراف جنده هذا مكان يخرج منه نبي عربي يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم ثم قالوا فبأي دين يا نبي الله يدين قال بدين الحنيفية فطوبى لمن آمن به قالوا كم بين خروجه وزماننا قال مقدار ألف عام * وأشار الى الثالثة بقوله وأحلت لي الغنائم كلها وكان من قبلي أي من أمر بالجهاد منهم يعطونها او يحرمونها أي لانهم كانوا يجمعونها أي والمراد ماعدا الحيوانات من الامتعة والاطعمة والاموال فان الحيوانات تكون ملكا للغانمين دون الانبياء ولا يجوز للانبياء أخذ شيء من ذلك بسبب الغنيمة كذا في الوفاء وجاء في بعض الروايات وأطعمت أمتي الفيء ولم احله لامة قبلها أي والمراد بالفيء مايعم الغنيمة كما انه قد يراد بالغنيمة مايعم الفيء هذا وفي بعض الروايات وكانت الانبياء يعزلون الخمس فتجيء النار أي نار بيضاء من السماء فتأكله اي حيث لا غلول وأمرت أن أقسمه في فقراء أمتي وفي تكملة تفسير الجلال السيوطي لتفسير الجلال المحلي ان ذلك لم يعهد في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ولعله لم يكن ممن أمر بالجهاد فلا يخالف ماسبق * وأشار الى الرابعة بقوله وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا أينما أدركتني الصلاة تمسحت أي تيممت حيث لا ماء وصليت فلا يختص السجود منها بموضع دون غيره وكان من قبلي لا يعطون ذلك أي الصلاة في أي محل أدركتهم فيه انما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم أي ولم يكن أحد منهم يتيمم لان التيمم من خصائصنا وفي رواية جابر

بين شرجاز بن أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ان كانا ليأتياني بالفروث فيطرحانها على بابي ومن استهزائه أيضا أنه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا قال الحلبي في السيرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر مجالسة عقبة بن أبي معيط فقدم عقبة من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من أشراف قريش ودعا النبي ٢٤٣ صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل وقال ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف فأخبر الناس أبيا بمقالة عقبة فأتى اليه وقال يا عقبة صبوت فقال والله ماصبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال له أبي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق في وجهه وتلطم عينيه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقي النبي ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان أثر الحرق في وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بصيرورة بصاقه برصا في وجهه انه صار كالبرص وأنزل الله في حقه ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا قيل المراد من قوله يعض انه يأكل في النار احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الاخرى فتنبت الاولى وهكذا ومن استهزاء الحكم بن أبي العاص انه كان صلى الله عليه وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بأنفه وفمه يسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك كما تقدم نظير ذلك لأبي جهل واستمر الحكم بن أبي العاص يخلج بأنفه وفمه بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه وبقي ذلك الاختلاج به حتى مات وقد أسلم يوم فتح

لم يكن أحد من الانبياء يصلي حتى يبلغ محرابه وجاء في تفسير قوله تعالى واختار موسى قومه الآيات من المأثور ان الله تعالى قال لموسى أجعل لكم الارض مسجدا فقال لهم موسى ان الله قد جعل لكم الارض مسجدا قالوا لا نريد أن نصلي الا في كنائسنا فعند ذلك قال الله تعالى سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله المفلحون أي وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيه انه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يسيح في الارض يصلي حيث أدركته الصلاة ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين ماتقدم من قوله لم يكن أحد من الانبياء يصلي حتى يبلغ محرابه الا أن يقال لا يصلي مع أمته الا في محرابه وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فخص بانه كان يصلي حيث أدركته الصلاة وسيأتي في الخصائص الكلام على ذلك * وأشار الى الخامسة بقوله قيل لي سل فان كل نبي قد سأل فأخرت مسئلتي الى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد ان لا اله الا الله وهي لاخراج من في قلبه ذرة من الايمان ليس له عمل صالح الا التوحيد أي اخراج من ذكر من النار لان شفاعة غيره صلى الله عليه وسلم تقع فيمن في قلبه أكثر من ذلك قاله القاضي عياض أي وقد جاء في بيان من يشفع باذن الله له في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا شفع وفي رواية ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله عز وجل وقد جاء ان أول شافع جبريل ثم ابراهيم ثم موسى ثم يقوم نبيكم رابعا لا يقوم بعده أحد فيما يشفع فيه وفي الحديث آتي تحت العرش فأخر ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يارب أمتي يارب أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر أو شعير من ايمان وفي لفظ حبة من خردل وفي لفظ ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فاخرجه أي من النار فأنطلق فأفعل أي اخرجه من النار وأدخله الجنة وله صلى الله عليه وسلم شفاعة قبل هذه في ادخال أهل الجنة الجنة بعد مجاوزة الصراط ففي الحديث فاذا دخلت الجنة فنظرت الى ربي خررت ساجدا فيأذن الله لي في حمده وتمجيده ثم يقول ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع واسأل تعطه فأقول يارب شفعني في أهل الجنة ان يدخلوا الجنة فيأذن الله تعالى لي في الشفاعة الى آخر ماتقدم ومن هذا يعلم ان الشفاعة في الاخراج من النار انما تكون منه صلى الله عليه وسلم وهو في الجنة فما تقدم من قوله آتي تحت العرش فأخر ساجدا الى آخره انما ذاك في الشفاعة في فصل القضاء فهذا خلط من بعض الرواة أي خلط الشفاعة في الموقف التي هي الشفاعة في فصل القضاء بالشفاعة بعد مجاوزة الصراط في دخول أهل الجنة الجنة وبالشفاعة بعد دخول الجنة في اخراج أهل التوحيد من النار والشفاعة في فصل القضاء هي المشار اليها في قوله صلى الله عليه وسلم وأعطيت الشفاعة فقد قال ابن دقيق العيد الاقرب ان اللام فيها للعهد والمراد الشفاعة العظمى في اراحة الناس من هول الموقف أي وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده ويغبطه فيه الاولون والآخرون المعني بقوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه تجمع الناس في صعيد واحد فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقد جاء

فتنة كبيرة ببغداد بسبب هذه الآية أعنى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة معناه يجلسه الله تعالى على عرشه وقال غيرهم بل هى الشفاعة العظمى فى فصل القضاء ودام الخصام الى أن اقتتلوا فقتل كثيرون وهذه الشفاعة احدى الشفاعات الثلاث المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم لى عند ربى ثلاث شفاعات وعدنيهن وفى كلام بعضهم له صلى الله عليه وسلم تسع شفاعات أخر غير فصل القضاء جرى فى اختصاصه ببعضها خلاف وهى الشفاعة فى ادخال قوم الجنة بغير حساب ولا عقاب قال النووى وجماعة هى مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة فى أناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها قال القاضى عياض وغيره ويشترك فيها من يشاء الله تعالى والشفاعة فى اخراج من أدخل النار من الموحدين وفى قلبه مثقال ذرة من ايمان وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة فى اخراج من أدخل منهم النار وفى قلبه أزيد من ذرة من ايمان ويشاركه فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون وظاهر هذا السياق ان المراد بمن فى قلبه مثقال ذرة من ايمان الى آخره عام فى أمته وغيرهم من الامم وهو يخالف قول بعضهم جاء فى الصحيح أقول يارب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله أى ومات على ذلك قال ليس ذلك لك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ولا يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أتانى آت من عند ربى فخيرنى بين ان يدخل نصف أمتى وفى رواية ثلثى أمتى الجنة أى بلا حساب ولا عذاب وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لا يشرك بالله شيأ فاخترت الشفاعة وعلمت أنها أوسع لهم لانا نقول المراد بالذين تنالهم شفاعته صلى الله عليه وسلم ممن مات لا يشرك بالله شيأ خصوص امته وأما من قيل له فيه ليس ذلك لك فهم الموحدون من الامم السابقة فليتأمل مع ماسبق من شفاعة الانبياء والملائكة والمؤمنين والشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لاهلها وجوز النووى اختصاصها به صلى الله عليه وسلم والشفاعة فى تخفيف العذاب عن بعض الكفار كأبى طالب وأبى لهب فى كل يوم اثنين بالنسبة لابى لهب والشفاعة لمن مات بالمدينة الشريفة ولعل المراد أنه لا يحاسب وقد أوصل ابن القيم شفاعاته صلى الله عليه وسلم الى أكثر من عشرين شفاعة وفى رواية اعطيت مالم يعطه أحد من الانبياء نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض أى وفى لفظ بينا أنا نائم رأيتنى أوتيت مفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدى ولا منافاة لانه يجوز أنه اعطى ذلك يقظة بعد ان اعطيه مناما وسميت أحمد أى ومحمدا أى لان احدا من الانبياء لم يسم بذلك فهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة للانبياء كذا فى الخصائص الصغرى وتقدم ان التسمية بأحمد من خصائصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس وفى وصفه صلى الله عليه وسلم نفسه بما ذكر وقول عيسى عليه الصلاة والسلام انى عبد الله الآية وقول سليمان عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ الآية هو الاصل فى ذكر العلماء مناقبهم فى كتبهم وهذا مأخوذ من قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ومن قوله صلى الله عليه وسلم التحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وصعد سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه المنبر فقال الحمد لله الذى صيرنى ليس فوقى احد ثم نزل فقيل له فى ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا للشكر

مكة وكان فى اسلامه شئ وكان يجالس المنافقين وينقل أخبار النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليهم فنفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف واطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعنزة وقيل بمدرى فى يده والمدرى كالمسلة يفرق به شعر الرأس وقال من عذيرى من الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وبعد ان نفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف بقى به الى خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان رضى الله عنه فرده الى المدينة وكان قد تشفع عنده صلى الله عليه وسلم فوعده بارجاعه * ولما مرض صلى الله عليه وسلم مرضه الذى توفى فيه طلب عثمان رضى الله عنه وأخبره بأشياء تقع له وقال له انهم يقمصونك قميصا ويريدون منك خلعه فاحذران تخلعه حتى تلقانى على الحوض يريد بذلك الخلافة وأخبره بالبلوى التى تصيبه وأمره بالصبر قيل انه فى ذلك المجلس استأذن من النبى صلى الله عليه وسلم فى ارجاع عمه الحكم الى المدينة اذا صار الامر اليه فأذن له فلما كانت خلافة أبى بكر رضى الله عنه سأل عثمان أبابكر رضى الله عنه أن يرجعه وأخبره بان النبى صلى الله عليه وسلم وعده بذلك فقال أبو بكر رضى الله عنه لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل عمر رضى الله عنه لما ولى الخلافة أن يرجعه فقال مثل مقالة أبى بكر رضى الله عنه ولما أدخله عثمان رضى الله عنه نقم عليه بعض الصحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت تشفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدنى برده وكان فى رجوعه تأسيس للبلوى التى وقعت لعثمان رضى الله عنه فان منشأها انما كان من مروان بن الحكم فسبحان الحكيم فى أفعاله الذى لا يسئل عما يفعل ولذا قال بعضهم كما فى بعض شراح الشفاء وعن رضى بما حكم الصديق فى الحكم فليت عثمان لم يحكم بعودته * قال الشهاب الخفاجى بعد ان صح أن عثمان رضى الله عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلا وجه فى التشنيع عليه بذلك والطعن فى

وعن سفيان الثورى رحمه الله من لم يتحدث بنعمة الله فقد عرضها للزوال والحق فى ذلك التفصيل وهو ان من خاف من التحدث بالنعمة واظهارها الرياء فعدم التحدث بها وعدم اظهارها أولى ومن لم يخف ذلك فالتحدث بها واظهارها أولى أى وفى الشفاء انه أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ويوم القيامة يحمده الاولون والآخرون لشفاعته لهم فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد وتقدم ان هذا يوافق ما تقدم عن المهدى ان أحمد مأخوذ من الفعل الواقع على المفعول * وقد جاء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى وجعلت أمتى خير الامم (قال القاضى البيضاوى) وفى التسمية بالاسماء العربية تنويه الى تعظيم المسمى هذا كلامه وفى رواية لما أسرى بى الى السماء قربنى ربى حتى كان بينى وبينه كقاب قوسين أو أدنى قيل لى قد جعلت امتك آخر الامم لافضح الامم عندهم أى بوقوفهم على أخبارهم ولا افضحهم عند الامم أى لتأخرها عنهم وعليه فالضمير فى دنا يعود اليه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ان دنا فتدلى الآية عبارة عن تقريبه تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم فالضمير فى دنا الى آخره يعود الى الله تعالى وهو معنى لطيف وفى رواية نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفى رواية نحن آخر الامم وأول من يحاسب تفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضى غرا محجلين من أثر الطهور وفى رواية من آثار الوضوء فتقول الامم كادت هذه الامة أن تكون أنبياء كلها هذا وفى رواية غرا من أثر السجود محجلين من أثر الوضوء وفى رواية فضلت على الانبياء بست أى ولا مخالفة بين ذكر لخمس أولا وبين ذكر الست هنا لانه يجوز أن يكون اطلع أولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقى هذا على اعتبار مفهوم العدد ثم أشار الى بيان الست بقوله صلى الله عليه وسلم أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض طهورا ومسجدا وأرسلت الى الخلق كافة والخلق يشمل الانس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر قال الجلال السيوطى وهذا القول أى ارساله للملائكة رجحته فى كتاب الخصائص وقد رجحه قبلى الشيخ تقى الدين السبكى وزاد انه مرسل لجميع الانبياء والامم السابقة من لدن آدم الى قيام الساعة ورجحه أيضا البارزى وزاد أنه مرسل الى جميع الحيوانات والجمادات وازيد على ذلك انه أرسل الى نفسه وذهب جمع الى انه لم يرسل للملائكة منهم الحافظ العراقى فى نكته على ابن الصلاح والجلال المحلى فى شرح جمع الجوامع ومشيت عليه فى شرح التقريب وحكى الفخر الرازى فى تفسيره والبرهان النسفى فى تفسيره فيه الاجماع هذا كلامه وبهذا الثانى أفتى والد شيخنا الرملى وعليه فيكون قوله صلى الله عليه وسلم أرسلت للخلق كافة وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا من العام المخصوص أو الذى أريد به الخصوص ولا يشكل عليه حديث سلمان اذا كان الرجل فى أرض وأقام الصلاة صلى خلفه من الملائكة مالا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لانه يجوز أن لا يكون ذلك صادرا عن بعثته اليهم ولا يشكل ما ورد بعثت الى الاحمر والاسود لما تقدم أن المراد بذلك العرب والعجم وفى الشفاء وقيل الحمر الانس والسود الجان واستدل للقول الاول القائل بانه أرسل للملائكة بقوله تعالى ومن يقل منهم أى

خلافته كما زعم الشيعة مع ان عثمان رضى الله عنه علم انه تاب وخلصت طويته وكان رده له باجتهاد منه رضى الله عنه فى ذلك والامور الاجتهادية لا اعتراض بها وعن هند بن خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بالحكم فجعل الحكم يلمز بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فرحف وارتعش امكانه والوزغ الارتعاش وفى رواية فما قام حتى ارتعش وعن الواقدى استأذن الحكم بن أبى العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنة الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ماهم ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا ومالهم فى الآخرة من خلاق وكان لا يولد لاحد بالمدينة ولد الا أتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابى ان ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل أنه أتى به اليه صلى الله عليه وسلم فلم يأذن بادخاله عليه بل ما يدل لذلك قوله هو الوزغ الخ وفى كلام بعضهم أنه ولد بالطائف بعد ان نفى أبوه الى الطائف ولم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابى ومن ثم قال البخارى مروان بن الحكم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لمروان نزل فى أبيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى أبيك وجدك أى الذى هو أبو العاص ابن أمية انهم الشجرة الملعونة فى القرآن وقد ولى مروان الخلافة تسعة أشهر ولما امتنع عبد الرحمن ابن أبى بكر رضى الله عنهما من المبايعة ليزيد بن معاوية قال له مروان أنت الذى أنزل الله فيك والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى ان أخرج فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت كذب والله ما هو به ثم قالت له أما أنت يا مروان فاشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صلبه تشير الى ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم فرالحكم بن أبى العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل لامتى مما فى صلب هذا وعن عمران بن جابر الجعفى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبنى أمية ثلاث مرات وقد ولى منهم الخلافة أربعة عشر رجلا أولهم معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنهما وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم ثنتين وثمانين سنة وهى ألف شهر والاحاديث الواردة فى ذمهم يجب أن يخرج منها عثمان ومعاوية رضى الله عنهما لفضيلة صحبة النبى صلى الله عليه وسلم مع ما ورد فيهما من الفضائل وأيضا لم يصدر منهما شىء من الظلم وانما صدر ممن بعدهما ولذلك قال القاضى عياض رحمه الله فى الشفاء وأخبر صلى الله عليه وسلم بولاية معاوية رضى الله عنه وبملك بنى أمية فغاير بين الحالتين فى التعبير لان الملك هو السلطنة مع التغلب والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلافة وأوصى صلى الله عليه وسلم معاوية رضى الله عنه اذا ملك بالعدل والرفق قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضى الله عنه فما زلت أطمع فى الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى عن معاوية رضى الله عنه قال ما حملنى على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فاحسن وروى انه رضى الله عنه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل فكان رضى الله عنه على غاية من الحلم والصبر والتحمل حتى قال أبو الدرداء رضى الله عنه ان معاوية سمع كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بها وأما ذم بنى أمية من بعده فجاءت فيهم أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا اذا بلغ بنو أبى العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا ومال الله دولا وهو ما يتداول أى يأخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت

من الملائكة انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهى انذار للملائكة على لسانه صلى الله عليه وسلم فى القرآن العظيم الذى أنزل عليه فثبت بذلك ارساله اليهم ودعوى الاجماع منازع فيها انتهى دعوى غير مسموعة ثم رأيت الجلال السيوطى ذكر هذا الاستدلال وهو واضح وذكر تسعة أدلة أيضا وهى لا تثبت المدعى الذى هو ان الملائكة يكلفون بشرعه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على من رزق نوع فهم بالوقوف عليها فعلم أنه صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الانبياء وأممهم على تقدير وجوده فى زمنهم لان الله تعالى أخذ عليهم وعلى أممهم الميثاق على الايمان به ونصرته مع بقائهم على نبوتهم ورسالتهم الى أممهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وتكون شريعته فى تلك الاوقات بالنسبة لهم ولتلك الامم ما جاءت به أنبياؤهم لان الاحكام والشرائع تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات قاله السبكى أى فجميع الانبياء وأممهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه والذى نفسى بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى وأخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر رضى الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى مررت بأخ لى من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة الا أعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذى نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم انكم حظى من الامم وأنا حظكم من النبيين وفى النهر لابى حيان ان عبد الله بن سلام استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التوراة فى صلاته من الليل فلم يأذن له وكون جميع الانبياء وأممهم من أمته صلى الله عليه وسلم فالمراد أمة الدعوة لا أمة الاجابة لانها المخصوصة بمن آمن به بعد البعثة على ما تقدم ويأتى وبعثته صلى الله عليه وسلم رحمة حتى للكفار بتأخير العذاب عنهم ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الامم المكذبة وحتى للملائكة قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (وقد ذكر فى الشفاء) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شىء قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله تعالى على فى القرآن بقوله عز وجل ذى قوة عند ذى العرش مكين قال الجلال السيوطى ان هذا الحديث لم نقف له على اسناد فهو صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر المرسلين وجميع الملائكة المقربين وفى لفظ آخر فضلت على الانبياء بست لم يعطهن أحد كان قبلى غفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر وأحلت لى الغنائم وجعلت أمتى خير الامم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأعطيت الكوثر ونصرت بالرعب والذى نفسى بيده ان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه وفى رواية فما من أحد الا وهو تحت لوائى يوم القيامة ينتظر الفرج وان معى لواء الحمد أنا أمشى ويمشى الناس معى حتى آتى باب الجنة الحديث (أقول) وقد سئلت عما حكاه الجلال السيوطى أنه ورد الى مصر نصرانى من الفرنج وقال لى شبهة ان أزلتموها أسلمت فعقد له مجلس بدار الحديث الكاملية ورأس العلماء اذ ذاك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال له النصرانى والناس يسمعون أى أفضل عندكم المتفق عليه أو المختلف فيه فقال له

الشيخ

مال المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتى من فرعون لقومه قال الاوزاعى كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذى كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر وأخبر صلى الله عليه وسلم بأنه رأى فى المنام بنى أمية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بنى أمية كان ألف شهر فأعطى الله أمته فى كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجائب قال فى السيرة الحلبية نقلا عن ابن الجوزى كان لعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ابن يقال له خبيب ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك مائة سوط فمات منها وذلك أن خبيبا حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفى رواية اذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله خولا أى عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفى رواية بدل دين الله كتاب الله فلما بلغ الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة أن يضرب خبيبا مائة سوط ففعل ثم برد ماء فى جرة وصبه عليه فى يوم شات وحبسه فلما اشتد وجعه أخرجه وندم على ما فعل فلما مات وسمع عونه سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز اذا قيل له أبشر قال كيف أبشر وخبيب على الطريق عائق لى * وفى دلائل النبوة للبيهقى عن بعضهم قال كنت عند معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ومعه ابن عباس رضى الله عنهما على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه فى حاجته وقال اقض حاجتى يا أمير المؤمنين فوالله ان مؤنتى لعظيمة فانى أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس رضى الله عنهم أشهدك بالله يا ابن عباس أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة فقال

الشيخ عز الدين المتفق عليه فقال له النصرانى فقد اتفقنا نحن وأنتم على نبوة عيسى واختلفنا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم أن يكون عيسى أفضل من محمد فأطرق الشيخ عز الدين ساكتا من أول النهار الى الظهر حتى ارتج المجلس واضطرب أهله ثم رفع الشيخ رأسه وقال عيسى قال لبنى اسرائيل ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فيلزمك أن تتبعه فيما قال وتؤمن بأحمد الذى بشر به فأقام الحجة على النصرانى وأسلم بأنه كيف أقام الحجة على كون محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من عيسى اذ غاية ما ذكر ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجبت بانه حيث ثبت أن محمدا رسول الله وجب الايمان به وبما جاء به ومما جاء به وأخبر به أنه أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد سئل أبو الحسن الجمال بالحاء المهملة من فقهاء متأخرى الشافعية محمد وموسى أيهما أفضل فقال محمد فقيل له ما الدليل على ذلك فقال ان الله تعالى أدخل بينه وبين موسى لام الملك فقال تعالى واصطنعتك لنفسى وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ففرق بين من أقام بوصفه وبين من أقامه مقام نفسه والله أعلم (وفى رواية) اذا كان يوم القيامة كان لى لواء الحمد وكنت امام المرسلين وصاحب شفاعتهم وفى لفظ الا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول شافع وأنا أول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة أى حلق بابها فيفتح الله لى فادخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر أى وفى رواية آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح أى بتحريك حلقة الباب أو قرعه بها لا بصوت فيقول الخازن أى وهو رضوان من أنت فأقول محمد وفى رواية أنا محمد فيقول بك أمرت لا أفتح وفى رواية أن لا أفتح لاحد قبلك زاد فى رواية ولا أقوم لاحد بعدك لا فتح له فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان رضوان لا يفتح الا له ولا يفتح لغيره من الانبياء وغيرهم وانما يتولى ذلك غيره من الخزنة وهى خصوصية عظيمة نبه عليها القطب الخضيرى وكون الفاتح له صلى الله عليه وسلم الخازن لا ينافى ما قبله من كون الفاتح له الحق سبحانه وتعالى لما علم أن الخازن انما فتح بامر الله فهو الفاتح الحقيقى (وفى رواية) أنا أول من يفتح له باب الجنة ولا فخر فآتى فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار جل جلاله فأخر له ساجدا أى فالكلام فى يوم القيامة فلا يرد ادريس بناء على ان دخوله الجنة مترتب على فتح الباب غالبا لان ذلك قبل يوم القيامة وفى يوم القيامة يخرج الى الموقف فيكون مع أمته للحساب ولا ينافيه ما جاء اول من يقرع باب الجنة بلال بن حمامة على تقدير صحته لانه يجوز أن يكون يقرع الباب الاصلى لا حلقته أو الاول من الامة والله أعلم (وفى الاوسط) للطبرانى باسناد حسن حرمت الجنة على الانبياء حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتى وسيأتى ان هذا من جملة ما أوحى اليه ليلة المعراج الذى أشار اليه قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى ولعل هذا هو المراد مما جاء فى المرفوع عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حرمت الجنة على جميع الامم حتى أدخلها أنا وأمتى وان ظاهرها من انه لا يدخلها أحد من الانبياء الا بعد دخول هذه الامة ليس مرادا وفى هاتين الروايتين منقبة عظيمة لهذه الامة المحمدية وهى أنه لا يدخل أحد الجنة من الامم السابقة ولو من صلحائها

ابن عباس رضي الله عنهما اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجته فبعث ولده عبد الملك الى معاوية رضي الله عنه فكلمه فيها فلما أدبر قال
معاوية رضي الله عنه أنشدك الله يا ابن عباس أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الاربعة فقال ابن
عباس رضي الله عنهما اللهم نعم وقد ولي الخلافة من ولده أربعة الوليد وسليمان وهشام ويزيد
ابن عبد الملك وليس في الحديث دلالة على أن عبد الملك صحابي لاحتمال أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم * ومن استهزاء العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص رضي الله عنه فعمرو ابنه صحابي وأما هو فانه هلك على كفره انه كان يقول غر محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث ومن استهزائه ان خباب بن الارت رضي الله عنه كان قينا بمكة أي حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يتقاضى ثمنها فقال يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم أو ولد قال خباب بلى قال فانظرني الى القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك والله لا تكون أنت وصاحبك آثر عند الله ولا أعظم حظا في ذلك وفي لفظ ان العاص قال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالا وولدا فأقضيك فانزل الله تعالى فيه أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع
الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا * ومن
استهزاء الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة وهو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأى المسلمين قال لاصحابه استهزاء
بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر أي لان الصحابة رضي الله عنهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن

وعلمائها وزهادها حتى يدخل من كان يعذب في النار من عصاة هذه الامة بناء على انه لا بد
من تعذيب طائفة من هذه الامة في النار ولا بعد في ذلك لانه تقدم ان أول من يحاسب من
الامم هذه الامة فيجوز ان الامم لا يفرغ حسابهم ولا يأتون الى باب الجنة الا وقد خرج من كان
يعذب من هذه الامة في النار ودخل الجنة * وجاء انه يدخلها قبله من أمته سبعون ألفا
مع كل واحد سبعون ألفا لا حساب عليهم وذلك معارض لقوله صلى الله عليه وسلم أنا أول من
يدخل الجنة الا أن يقال أول من يدخل الجنة من الباب وهؤلاء السبعون ألفا ورد أنهم
يدخلون من أعلى حائط في الجنة فلا معارضة ولا يعارض ذلك ما جاء أول من يدخل الجنة أبو
بكر لان المراد أول من يدخلها من رجال هذه الامة غير الموالى ولا يعارض ذلك ما تقدم عن
بلال رضي الله تعالى عنه أنه أول من يقرع باب الجنة لانه لا يلزم من القرع الدخول وعلى تسليم
ان القرع كناية عن الدخول فالمراد من الموالى ولا يعارض ذلك أيضا ما جاء أول من يدخل
الجنة بنتي فاطمة كما لا يخفى لان المراد أول من يدخلها من نساء هذه الامة فالاولية اضافية
* وجاء لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر وعن أنس رضي الله تعالى
عنه فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وقوة البطش وكثرة الجماع أي فعن سلمى
مولاته صلى الله عليه وسلم أنها قالت طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع ليلته
وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي الاخرى وقال هذا أطهر وأطيب * ومما يدل على قوة
بطشه صلى الله عليه وسلم ما وقع له مع ركانة كما سيأتي وفي الخصائص الصغرى وكان أفرس
العالمين فهو صلى الله عليه وسلم أجود بني آدم على الاطلاق كما أنه أفصحهم وأشجعهم وأعلمهم
وأكملهم في جميع الاخلاق الجميلة والاوصاف الحميدة قال ابن عبد السلام من خصائصه
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أخبره بالمغفرة أي لما تقدم وما تأخر ولم ينقل أنه أخبر احدا من
الانبياء بمثل ذلك أي ولانه لو وقع لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله بل ومما اختص به صلى
الله عليه وسلم نوع غفران نفس الذنب المتقدم والمتأخر كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في
بيان ما اختص به عن الانبياء وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر أي ولا ينافي ذلك قوله تعالى في
حق داود فغفرنا له ذلك لانه غفران لذنب واحد قال ابن عبد السلام بل الظاهر انه لم يخبرهم أي
بغفران ذنوبهم بدليل قولهم في الموقف نفسي نفسي لاني الى آخره وعن ابي موسى رضي الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بي من يهودي أو نصراني ثم لم يسلم دخل
النار أي لانه يجب عليه أن يؤمن به أقول والذي في مسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد
من هذه الامة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار
أي من سمع بنبينا صلى الله عليه وسلم ممن هو موجود في زمنه وبعده الى يوم القيامة ثم مات غير
مؤمن بما أرسل به كان من أصحاب النار أي ومن جملة ما أرسل به أنه أرسل الى الخلق كافة
لا لخصوص العرب تأمل وانما خص اليهود والنصارى بالذكر تنبيها على غيرهما لانه اذا كان
حالهما ذلك مع ان لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له كالمجوس أولى لان اليهود كتابهم التوراة
والنصارى كتابهم الانجيل لان شريعة التوراة التي هي شريعة موسى يقال لها اليهودية أخذا

وكان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما أشبه هذا القول * ومن استهزاء الاسود بن مطلب بن أسد
ابن عبد العزى انه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ويصفرون اذا رأوهم * ومن استهزاء الوليد
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والد خالد وعم أبي جهل وكان من عظماء قريش وكان في سعة من العيش ومكنة
من السيادة كان يطعم الناس أيام منى حيسا وينهى ان توقد نار لاجل طعام غير ناره وينفق على الحاج أيام الموسم نفقة واسعة وكانت الاعراب تثني عليه وكانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا ثم انه أصابته الجوائح والآفات في أمواله حتى ذهبت بأسرها ولم يبق له في أيام الحج ذكر وكان هو المقدم في قريش فصاحة وكان يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد أي في الشرف والسودد والجاه والرياسة واياه عنى سبحانه بقوله ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات في سورة المدثر قال بعضهم بل هو الوحيد في الكفر والخبث والعناد انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر مع اعترافه بانه بريء من السحر لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب قال انه أقرب القول فيه تنفيرا للناس عنه وتبعه على ذلك قومه بعد التشاور فيما يرمونه به فعند ابن اسحق والحاكم والبيهقي باسناد جيد انه اجتمع في بعض المواسم الى الوليد نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم يا معشر قريش قد حضرتم هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم فأجمعوا فيه رأيا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا قالوا فأنت أقم لنا رأيا نقوله
فيه قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة
الكاهن ولا بسجعه قالوا فنقول مجنون قال والله ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته قالوا شاعر قال
ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه قالوا ساحر قال ما هو بساحر لقد رأينا السحرة وسحرهم

من قول موسى عليه الصلاة والسلام انا هدنا اليك أي رجعنا اليك فمن كان على دين موسى
يسمى يهوديا وشريعة الانجيل يقال لها النصرانية أخذا من قول عيسى عليه الصلاة والسلام
من أنصاري الى الله فمن كان على دين عيسى يسمى نصرانيا وكان القياس أن يقال له أنصاري
وقيل النصراني نسبة الى ناصرة قرية من قرى الشام نزل بها عيسى عليه السلام كما تقدم ولا مانع
من رعاية الامرين في ذلك وجاء في رواية وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة أي والامم
السابقة كانوا يصلون متفرقين كل واحد على حدته وان أمته صلى الله عليه وسلم حط عنها الخطأ
والنسيان وحمل ما لا تطيقه الذي أشارت اليه خواتيم سورة البقرة وان شيطانه صلى الله عليه
وسلم أسلم وفي الخصائص الصغرى وأسلم قرينه ومجموع تلك الخصال سبع عشرة خصلة قال
الحافظ ابن حجر ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك ان أمعن التتبع (وذكر أبو سعيد النيسابوري
في كتابه شرف المصطفى انه عد الذي اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فاذا هو ستون
خصلة أي ومن ذلك أي مما اختص به صلى الله عليه وسلم في أمته ان وصف الاسلام خاص بها
لم يوصف به أحد من الامم السابقة سوى الانبياء فقط فقد شرفت هذه الامة المحمدية بان وصفت
بالوصف الذي كان يوصف به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو الاسلام على القول الراجح نقلا
ودليلا لما قام عليه من الادلة الساطعة قاله الجلال السيوطي رحمه الله

﴿باب بدء الوحي له صلى الله عليه وسلم﴾

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد
الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق أي وفي لفظ كفرق
الصبح أي كضيائه وانارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك أحد في وضوح ضياء الصبح ونوره وفي
لفظ فكان لا يرى شيأ أي في المنام الا كان أي وجد في اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة
وقد جاءت في رواية البخاري في التفسير أي ولا يخفى ان رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها
صادقة وان كانت شاذة كما في رؤياه يوم أحد قال القاضي وغيره وانما ابتدئ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذي هو جبريل عليه السلام بالنبوة أي الرسالة فلا تحتملها
القوى البشرية أي لان القوى البشرية لا تحتمل رؤية الملك وان لم يكن على صورته التي خلقه
الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به لا سيما الرسالة فكانت الرؤيا تأنيسا له صلى الله
عليه وسلم والمراد بالملك جبريل لكن ذكر بعضهم ان من لطف الله تعالى بنا عدم رؤيتنا
للملائكة أي على الصورة التي خلقوا عليها الا انهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت
أعيننا وأرواحنا لحسن صورهم وعن علقمة بن قيس أول ما يؤتى به الانبياء في المنام أي
ما يكون في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي اهـ أي في اليقظة لان رؤيا الانبياء وحي
وصدق وحق لا أضغاث أحلام ولا تخييل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية
فما يرونه في المنام له حكم اليقظة بجميع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون الا حقا ومن ثم جاء نحن
معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا (أقول) وحينئذ يكون في القول بان من خصوصياته

فما هو بنفثه ولا عقده قالوا فما تقول أنت قال والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة وما أنتم بقائلين
من هذا شيأ الا أعرف انه باطل وان أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين
المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون في سبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم
أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره فصدرت العرب من ذلك الموسم تتحدث بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها بل في جميع الآفاق وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من اسلام الانصار وأمر الهجرة ما كان وقدم عليه صلى الله عليه وسلم عشرون من نجران فأسلموا فبلغ أبا جهل فسبهم فقالوا له سلام عليكم وفيهم نزل واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآيات قال العلامة الزرقاني فانظر هذا اللعين يعني الوليد بن المغيرة كيف تيقنت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله ذما بليغا في قوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم الآيات وفي قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر * ومن استهزاء أبي لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يوم من الايام رآه أخوه حمزة رضي الله
عنه قد فعل ذلك فأخذه وطرحه على رأسه فجعل أبو لهب ينفضه ويقول صابئ أحمق ومن ذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في أول أمره في منازلهم يقول ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأبو لهب وراءه
يتبعه اذا مشى يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم وذلك عار عليكم قال العلامة الزرقاني فانظر هذا الابتلاء في

صلى الله عليه وسلم اجتماع أنواع الوحي الثلاثة له وعدمها لرؤياه في المنام وعدمها الكلام من
غير واسطة وبواسطة جبريل نظرا لما علمت ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم مشتركون
في الرؤيا وموسى عليه الصلاة والسلام حصل له كل من الكلام بلا واسطة وبواسطة جبريل
* وذكر بعضهم ان مدة الرؤيا ستة أشهر قال فيكون ابتداء الرؤيا حصل في شهر ربيع الاول وهو
مولده صلى الله عليه وسلم ثم أوحى الله اليه في اليقظة أي في رمضان ذكره البيهقي وغيره (وجاء
في الحديث) الرؤيا الصادقة وفي البخاري الرؤيا الحسنة أي الصادقة من الرجل الصالح جزء من
ستة وأربعين جزأ من النبوة قال بعضهم معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث أقام بمكة
ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحي اليه في اليقظة ثلاث وعشرون
سنة ومدة الوحي اليه في المنام أي التي هي الرؤيا ستة أشهر فالمراد خصوص رؤيته وخصوص
نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا القيل نقله في الهدى وأقره حيث قال كانت الرؤيا ستة أشهر
ومدة النبوة ثلاثا وعشرين سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ هذا كلامه وحينئذ
يكون المعنى ورؤيتي جزء من ستة وأربعين جزأ من نبوتي ولا يخفى ان هذا لا يناسب الرؤيا
الصالحة من الرجل الصالح اذ هو يقتضي ان مطلق الرؤيا الصالحة جزء من مطلق النبوة
الشامل لنبوته صلى الله عليه وسلم ونبوة غيره فليتأمل ولم أقف في كلام أحد على مشاركة أحد
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام له صلى الله عليه وسلم في هاتين المدتين وحينئذ تحمل
الخصوصية التي ادعاها بعضهم على هذا ومما يدل على ان المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة
لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم ما جاء في ذلك من الالفاظ التي بلغت خمسة عشر
لفظا ففي رواية انها جزء من سبعين جزأ وفي رواية من أربعة وأربعين وفي رواية انها جزء من
خمسين جزأ من النبوة وفي رواية من تسعة وأربعين وفي أخرى انها جزء من ستة وسبعين وفي
أخرى من خمسة وعشرين جزأ وفي أخرى من ستة وعشرين جزأ وفي أخرى من أربعة وعشرين
جزأ فان ذلك باعتبار الاشخاص لتفاوت مراتبهم في الرؤيا وذكر الحافظ ابن حجر ان أصح
الروايات مطلقا رواية ستة وأربعين ويليها رواية انها جزء من سبعين جزأ فعلم ان الرؤيا
المذكورة جزء من مطلق النبوة أي كجزء منها من جهة الاطلاع على بعض الغيب فلا ينافي
انقطاع النبوة بموته صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء ذهبت النبوة أي لا توجد بعدي وبقيت
المبشرات أي المرائي التي كانت مبشرات للانبياء بالنبوة بدليل ما في رواية لم يبق بعدي من
المبشرات أي مبشرات النبوة الا الرؤيا أي مجرد الرؤيا الخالية عن شئ من مبشرات النبوة
بدليل ما في لفظ لم يبق الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أي لنفسه أو ترى له لا يقال الرؤيا الصادقة
تكون من الكافر أو ترى له وهو خارج بالرجل الصالح وبالمسلم لانا نقول لو فرض وقوع ذلك
كان استدراجا وفيه انها واقعة وظاهر سياق الحديث الحصر وكما تكون الرؤيا مبشرة بخير
عاجل أو آجل تكون منذرة بشر كذلك قال بعضهم وقد تطلق البشارة التي هي الخبر السار
على ما يشمل النذارة التي هي الخبر الضار بعموم المجاز بان يراد بالبشارة ما يعود الى الخير لان
النذارة ربما قادت الى الخير وفي الاتقان ومن المجاز تسمية الشئ باسم ضده نحو فبشرهم
بعذاب

الله فلو كان من غير قريب كان أسهل لان العرب كانت تقول قوم الرجل أعلم به ولذا قال صلى الله عليه وسلم ما أوذي أحد ما أوذيت
لانه صلى الله عليه وسلم أصيب من قومه بأكبر البلاء آذوه أشد الايذاء ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وبرأه الله من جميع
ذلك بالبراهين القاطعة في كتابه العزيز ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه صلى الله عليه وسلم ويجعل الدم على بابه
وسلى الجزور على ظهره كما تقدم فلما بالغوا في الايذاء والاستهزاء أتى جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت وقال له أمرت ان أكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فأومأ الى ساق الوليد وقال قد كفيته فمر بنبال يريش نبله ويصلحها فتعلق بثوبه سهم فعرضت له شظية من نبل فلم ينعطف لاخذه تكبرا وتعاظما فأصاب عرقا في عقبه فمرض فمات كافرا ثم مر العاص ابن وائل السهمي فقال كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ الى أخمصه وقال كفيته فخرج يتنزه فنزل شعبا فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى وفي رواية كعنق البعير فمات ثم مر الحرث بن قيس السهمي فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى بطنه وقال قد كفيته وقيل أشار الى أنفه فامتخط قيحا فمات وقيل أكل حوتا مملوحا فما زال يشرب عليه حتى انقد بطنه ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال كفيته وقيل أشار اليه وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات على كفره وقيل أشار
جبريل الى بطنه باصبعه فاستسقى بطنه فمات وقيل خرج في رأسه قروح فمات قال الزرقاني ويمكن انها بسبب نطحه الشجرة وقيل
خرج من عند أهله فأصابته السموم حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه فأغلقوا دونه الباب فرجع وصار يطوف بشعاب مكة
حتى مات عطشا ويمكن الجمع باحتمال وقوع جميع ذلك له ثم مر الاسود بن مطلب فقال كيف تجده هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى

بعذاب أليم اه أي وهي في هذه الآية للتهكم وجاء رجل أي وهو أبو قتادة الانصاري الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أرى في المنام الرؤيا تمرضني فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم الرؤيا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان فاذا رأيت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من
الشيطان واتفل عن يسارك ثلاث مرات فانها لا تضرك أي وحكمة التفل احتقار الشيطان
واستقذاره وفي رواية اذا رأى أحدكم ما يكره فليعذ بالله من شرها ومن الشيطان كأن يقول
أعوذ بالله من شر ما رأيت ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فانها لا تضره
زاد في رواية وان يتحول عن جنبه الذي كان عليه زاد في أخرى وليقم فليصل أي ليكون فعل
ذلك سببا للسلامة من المكروه الذي رآه وفي البخاري اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانما هي
من الله فليحمد الله عليها وليتحدث بها أي ولا يخبر بها الا من يحب واذا رأى غير ذلك مما يكره
فانما هي من الشيطان أي لا حقيقة لها وانما هي تخييل يقصد به تخويف الانسان والتهويل
عليه فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وفي الاذكار ثم ليقل اللهم اني أعوذ
بك من عمل الشيطان وسيآت الاحلام وفي الحديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان قيل
في معناه لان صاحب الرؤيا يرى الشئ على ما هو عليه بخلاف صاحب الحلم فانه يراه على خلاف
ما هو عليه فان الحلم مأخوذ من حلم الجلد اذا فسد والرؤيا قيل انها أمثلة يدركها الرائي بجزء من
القلب لم تستول عليه آفة النوم واذا ذهب النوم عن أكثر القلب كانت الرؤيا أصفى وذكر الفخر
الرازي ان الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها أي أثرها عن قرب والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد
حين والسبب فيه ان حكمة الله تعالى تقتضي ان لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب
وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل وأما الاعلام بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمان
طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذلك الخير أكثر وهذا جرى على ما هو
الغالب والا فقد قيل لجعفر الصادق كم تتأخر الرؤيا فقال رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه
كأن كلبا أبقع يلغ في دمه فكان أي ذلك الكلب الابقع شمرا قاتل الحسين وكان أبرص فكان
تأخير الرؤيا بعد خمسين سنة وجاء عن عمرو بن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لخديجة اذا خلوت سمعت نداء أن يا محمد يا محمد وفي رواية أرى نورا أي يقظة لا مناما وأسمع
صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا أمر وفي رواية والله ما أبغضت بغض هذه الاصنام شيأ
قط ولا الكهان واني لاخشى ان أكون كاهنا أي فيكون الذي يناديني تابعا من الجن لان
الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن يأتيه الجني بخبر السماء وفي رواية
وأخشى ان يكون بي جنون أي لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك
فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفي رواية ان خلقك لكريم أي فلا
يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضي الله تعالى عنها بما فيه من الصفات العلية
والاخلاق السنية على انه لا يفعل به الا خير لان من كان كذلك لا يجزى الا خيرا ونقل الماوردي
عن الشعبي ان الله قرن اسرافيل عليه السلام بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه
يعلمه الشئ بعد الشئ ولا يذكر له القرآن فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة وأمهله هذه

المدة ليتأهب لوحيه وفيه انه لو كان في تلك المدة مبشرا بالنبوة ما قال لخديجة ما تقدم الا ان يقال ما تقدم انما قاله لخديجة في أول الامر ويدل لذلك ما قيل انه صلى الله عليه وسلم مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت أحيانا ولا يرى شخصا وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيأ غير ذلك وان المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة أشهر من تلك المدة التي هي اثنان وعشرون سنة وهذا الشيء الذي كان يعلمه له اسرافيل لم أقف على ما هو والله أعلم وبعد ذلك حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة التي يكون بها افراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهي تفرغ القلب عن أشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه أنوار المعرفة فلم يكن شيء أحب اليه من أن يخلو وحده وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر وهذا الجبل هو الذي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الي يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عني فاني أخاف ان تقتل على ظهري فاعذب فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث أي يتعبد به أي بغار حراء الليالي ذوات العدد ويروى أولات العدد أي مع أيامها وانما غلب الليالي لانها أنسب بالخلوة قال بعضهم وابهم العدد لاختلافه بالنسبة الى المدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهر رمضان أو غيره وفي كلام بعضهم ما قد يدل على انه لم يختل صلى الله عليه وسلم أقل من شهر وحينئذ يكون قوله في الحديث الليالي ذوات العدد محمول على القدر الذي كان يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها الى ان يتم الشهر وكذا قول بعضهم فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهرا ولم يصح انه صلى الله عليه وسلم اختلى أكثر من شهر قال السراج البلقيني في شرح البخاري لم يجيء في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه وسيأتي بيان ذلك قريبا ثم اذا مكث صلى الله عليه وسلم تلك الليالي أي وقد فرغ زاده يرجع الى خديجة رضي الله تعالى عنها فيتزود لمثلها أي قيل وكانت زوادته صلى الله عليه وسلم الكعك والزيت وفيه ان الكعك والزيت يبقى المدة الطويلة فيمكث جميع الشهر الذي يختلي فيه ثم رأيت عن الحافظ ابن حجر مدة الخلوة كانت شهرا فكان يتزود لبعض ليالي الشهر فاذا نفد ذلك الزاد رجع الى أهله يتزود قدر ذلك ولم يكونوا في سعة بالغة من العيش وكان غالب ادمهم اللبن واللحم وذلك لا يدخر منه لغاية شهر لئلا يسرع الفساد اليه ولا سيما وقد وصف بانه صلى الله عليه وسلم كان يطعم من يرد عليه هذا كلامه وهو يشير به الى ثلاثة أجوبة الاول انه لم يكن في سعة بحيث يدخر ما يكفيه شهرا من الكعك والزيت الثاني ان غالب ادمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر شهرا الثالث انه على فرض ان يدخر ما يكفيه شهرا أي من الكعك والزيت الا انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم فربما انفد ما ادخره وانما اختار الزيت للادم لان دسومته لا ينفر منها الطبع بخلاف اللبن واللحم ومن ثم جاء ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة وقوله ائتدموا من هذه الشجرة المباركة أي من عصارة ثمرة هذه الشجرة المباركة التي هي الزيتونة وهو الزيت وقيل لها مباركة لانها لا تكاد تنبت الا في شريف البقاع التي بورك فيها كأرض بيت المقدس حتى فجأه الحق وهو في غار حراء أي في اليوم والشهر المتقدم ذكره وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء في كل سنة شهرا

عينيه وقال قد كفيته قال ابن عباس رضي الله عنهما رماه بورقة خضراء فعمي بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح ووجعت عينه فضرب برأسه الجدار حتى هلك وهو يقول قتلني رب محمد وفي رواية انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس في ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمي فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا أحد يصنع بك شيأ وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول من هذا طعن بالشوك في عيني فيقال له ما نرى شيأ وقيل أتى شجرة فجعل ينطحها برأسه حتى خرجت عيناه وكان يقول دعا علي محمد بالعمى فاستجيب له وزاد بعضهم وهلك أبو لهب بالعدسة يعني الجدري وهي ميتة شنيعة وعقبة بن أبي معيط قتل صبرا بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من بدر والى الخمسة المشهورين المعنيين بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين أشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم سا ... ء نبيا من قومه استهزاء

خمسة كلهم أصيبوا بداء ... والردى من جنوده الادواء

فدهى الاسود بن مطلب ... أي عمى ميت به الاحياء

ودهى الاسود بن عبد يغوث ... أن سقاه كأس الردى استسقاء

وأصاب الوليد خدشة سهم ... قصرت عنها الحية الرقطاء

وقضت شوكة على مهجة العا ... ص فلله النقعة الشوكاء

وعلى الحرث القيوح وقد سا ... ل بها رأسه وساء الوعاء

خمسة طهرت بقطعهم الار ... ض فكف الاذى بهم شلاء

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء الخمسة هلكوا في ليلة واحدة فعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكر وان كان المستهزئون غير منحصرين فيهم فلا ينافي ان منهم ابني الحجاج منهم فقد قيل انهما ممن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يلقيانه فيقولان له أما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وأيسر فان كنت صادقا فأتنا

وكان

وكان ذلك مما تحنث فيه قريش في الجاهلية أي المتألهين منهم أي وكان أول من تحنث فيه من قريش جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فقد قال ابن الاثير أول من تحنث بحراء عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتأله أي يتعبد كورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة وقد أشار الى تعبده صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله

ألف النسك والعبادة والخلـ ... ـوة طفلا وهكذا النجباء

واذا حلت الهداية قلبا ... نشطت في العبادة الاعضاء

أي ألف صلى الله عليه وسلم العبادة والخلوة في حال كونه طفلا ومثل هذا الشأن العلي شأن الكرام وانما كان هذا شأن الكرام لانه اذا حلت الهداية قلبا نشطت الاعضاء في العبادة لان القلب رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ولعل الخلوة في كلام صاحب الهمزية المراد بها مطلق اعتزال الناس وأراد بطفلا زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم عند حليمة فقد تقدم عنها رضي الله تعالى عنها انها قالت لما ترعرع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيجتنبهم لا خصوص اعتزاله الناس في غار حراء فلا ينافي قوله طفلا ظاهر ما تقدم من ان خلوته صلى الله عليه وسلم بغار حراء كانت في زمن تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله تعالى عنها فكان صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر يطعم من جاءه من المساكين أي لانه كان من نسك قريش في الجاهلية أي في ذلك المحل ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين وقد قيل ان هذا كان تعبده في غار حراء أي مع الانقطاع عن الناس والا فمجرد اطعام المساكين لا يختص بذلك المحل الا ان كان ذلك المحل صار في ذلك الشهر مقصود المساكين دون غيره وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس أي لا سيما ان كانوا على باطل لان في الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة أبناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة وقول بعضهم كان يتعبد بالتفكر أي مع الانقطاع عما ذكرناه والا فمجرد التفكر لا يختص بذلك المحل الا ان يدعى ان التفكر فيه أتم من التفكر في غيره لعدم وجود شاغل به وقيل تعبده صلى الله عليه وسلم كان بالذكر وصححه في سفر السعادة وقيل بغير ذلك من ذلك الغير أنه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم وقيل بشريعة موسى غير ما نسخ منها في شرعنا وقيل بكل ما صح انه شريعة ان قبله غير ما نسخ من ذلك في شرعنا وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي تعبد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف قبل ان يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله تعالى ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به ما اراد من كرامته صلى الله عليه وسلم وذلك شهر رمضان وقيل شهر ربيع الاول وقيل شهر رجب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله أي عياله التي هي خديجة رضي الله تعالى عنها امامع أولادها أو بدونهم

عليك يشهد لك ويكون معك واذا ذكر لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتي به ولا ينافي أيضا عد أبي جهل وغيره منهم كما تقدم وفي السيرة الحلبية نقلا عن سيرة ابن المحدث من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه * ومن استهزاء أبي جهل أيضا بالنبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد ان جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا أفيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم وفي رواية ان رجلا من قريش وكان شديدا قوي البأس بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح قال لهم أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين وقيل ان هذا الرجل دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال يا محمد ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وفي رواية ان أبا جهل قال لهم أنا أكفيكم عشرة فاكفوني تسعة فأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الخ ما ذكره فهم أي لا ينبغي ان تقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد لان ذلك العدد لحكمة استأثر الله بعلمها وقد أبدى بعض المفسرين حكما لذلك تراجع وقد جاء في وصف تلك الملائكة ان أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي أي القرون ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة وفي رواية ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة كقوة الثقلين نزعت الرحمة منهم وأخرج العتبي في عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق لمالك أصابع على عدد أهل النار وما من أحد في النار الا ومالك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك أصبعا من أصابعه على السماء لاذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد منهم أتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك أي والمتبادر ان

حتى اذا كانت الليلة التي أكرمه الله تعالى فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر وقيل رابع عشريه وقيل كان ذلك ليلة ثمان من ربيع الاول أي وقيل ليلة ثالثه قال بعضهم القول بانه في ربيع الاول يوافق القول بانه بعث على رأس الاربعين لان مولده صلى الله عليه وسلم كان في ربيع الاول على الصحيح أي وهو قول الاكثرين وقيل كان ذلك ليلة أو يوم السابع والعشرين من رجب فقد أورد الحافظ الدمياطي في سيرته عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأول يوم هبط فيه جبريل هذا كلامه أي أول يوم هبط فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهبط عليه قبل ذلك وسيأتي في بعض الروايات ان جبريل عليه السلام نزل في سحر تلك الليلة التي هي ليلة الاثنين ويجوز أن يكون كل من تلك الليالي كانت ليلة الاثنين فقد جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال لا يفوتك صوم يوم الاثنين لاني ولدت فيه ونبئت فيه فلا مخالفة بين كونه نبئ في الليل وبين كونه نبئ في اليوم لان وقت السحر قد يلحق بالليل وفي كلام بعضهم أتاه صلى الله عليه وسلم جبريل ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان في حراء بأمر الله تعالى وهذا القول أي ان البعث كان في رمضان قال به جماعة منهم الامام الصرصري حيث قال

وأتت عليه أربعون فأشرقت * شمس النبوة منه في رمضان

واحتجوا بان أول ما أكرمه الله تعالى بنبوته أنزل عليه القرآن وأجيب بان المراد بنزول القرآن في رمضان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة في سماء الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني وأنا نائم بنمط وهو ضرب من البسط وفي رواية جاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب أي كتابة فقال اقرأ فقلت ما أقرأ أي أنا أمي لا أحسن القراءة أي قراءة المكتوب أو مطلقا فغطني أو فغتني بالتاء بدل من الطاء به أي غمني بذلك النمط بان جعله على فمه وأنفه قال حتى ظننت انه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ أي من غير هذا المكتوب فقلت ماذا أقرأ وما أقول ذلك الا افتداء منه أي تخلصا منه ان يعود لي بمثل ما صنع أي انما استفهمت عما أقرأه ولم أنف خوفا ان يعود لي بمثل ما صنع عند النفي أي وفي رواية فقلت والله ما قرأت شيأ قط وما أدري شيأ أقرأه أي لاني ما قرأت شيأ فهو من عطف السبب على المسبب قال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقرأتها فانصرف عني وهببت أي استيقظت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتابا (أقول) أي استقر ذلك في قلبي وحفظته ثم لا يخفى ان كلام هذا البعض وهو انه جاءه ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له يوم الاثنين يحتمل لان يكون أتاه بذلك النمط في ليلة السبت وليلة الاحد وسحر يوم الاثنين وهو نائم لا يقظة لقوله ثم هببت من نومي ولا ينافي ذلك قوله ثم ظهر له بالرسالة أي أعلن له بما يكون سببا للرسالة الذي هو اقرأ الحاصل في اليقظة وحينئذ يكون تكرر مجيئه هو السبب في استقرار ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا يبعده قوله في الليلة الثانية

هؤلاء من خزنتها قال بعضهم ان عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم ومن استهزاء أبي جهل أيضا انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم انها شجرة في النار مع ان النار تأكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد فأنزل الله تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم أي منبتها في أصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها أما علموا ان من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجرة في النار وحفظه لها من الاحتراق بها وقد قال ابن سلام انها تحيا باللهب كما يحيا شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مر له ذفرة وأخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه ومن استهزاء أبي جهل قوله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذي تعبده فأنزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل وفي الدر المنثور للجلال السيوطي في تفسير انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام بأصبعه في أجسادهم فصارت جروحا وأنتنت فلم يستطع أحد ان يدنو منهم حتى ماتوا قال الحلبي فلينظر الجمع أي بين هذا وما تقدم ثم قال وقد يدعى انهم طائفة آخرون غير من ذكر لانهم المستهزؤن ذلك الوقت ما أي فيكون نزول الآية قد تكرر والله أعلم * ومن استهزاء النضر بن الحرث انه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فاني والله يا معشر

ما قرأت شيأ لان المراد لم يتقدم لي قراءة قبل مجيئك الي ولا يبعده أيضا قوله ما أدري ما أقرأ لانه لم يستقر ذلك في قلبه لما علمت ان سبب الاستقرار التكرر فلم يستقر ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم في الليلة الاولى وفي سيرة الشامي ان مجيء جبريل عليه السلام له صلى الله عليه وسلم بالنمط لم يتكرر وانه كان قبل دخوله صلى الله عليه وسلم غار حراء وهذا السياق يدل على انه كان بعده وفي سفر السعادة ما يقتضي انه جاءه بالنمط يقظة في حراء ونصه فبينما هو في بعض الايام قائم على جبل حراء اذ ظهر له شخص وقال أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الامة ثم أخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها في يده وقال اقرأ قال والله ما أنا بقارئ ولا أدري في هذه الرسالة كتابة أي لا أعلم ولا أعرف المكتوب فيها قال فضمني اليه وغطني حتى بلغ مني الجهد فعل ذلك بي ثلاثا وهو يأمرني بالقراءة ثم قال اقرأ باسم ربك هذا كلامه فليتأمل والله أعلم قال فخرجت أي من الغار أي وذلك قبل مجيء جبريل اليه صلى الله عليه وسلم باقرأ خلافا لما يقتضيه السياق حتى اذا كنت في شط من الجبل أي في جانب منه سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فاذا جبريل على صورة رجل صاف قدميه أي وفي رواية واضعا احدى رجليه على الاخرى في أفق السماء أي نواحيها يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها الا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم امامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا اليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعا الى أهلي حتى أتيت خديجة أي في الغار فجلست الى فخذها مضيفا اليها أي مستندا اليها فقالت يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا الي (أقول) وهذا يدل على ان خديجة رضي الله تعالى عنها كانت معه بغار حراء وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه أهله أي خديجة رضي الله تعالى عنها على ما تقدم وقد يخالف ذلك ما روي ان خديجة رضي الله تعالى عنها صنعت طعاما ثم أرسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجده بحراء فأرسلت في طلبه الى بيت أعمامه وأخواله فلم تجده فشق ذلك عليها فبينما هي كذلك اذ أتاها فحدثها بما رأى وسمع فان هذا يدل على انها لم تكن معه صلى الله عليه وسلم بحراء وقد يقال يجوز أن تكون خرجت معه أولا وأرسلت رسلها اليه صلى الله عليه وسلم وهي بحراء فلم تجده وان الرسل أخطؤا المحل وقوفه صلى الله عليه وسلم بالجبل الذي هو حراء ثم رجعت الى مكة وأرسلت رسلها اليه صلى الله عليه وسلم بحراء لاحتمال عوده اليه ثم أرسلت الى بيت أعمامه وأخواله لما لم تجده صلى الله عليه وسلم بحراء فارسالها تكرر مرتين مع اختلاف محالها ويكون قوله وانصرفت راجعا الى أهلي أي بمكة لا بحراء لانه يجوز أن يكون بلغه رجوع خديجة رضي الله تعالى عنها الى مكة هذا على مقتضى الجمع وأما على ظاهر الرواية الاولى يكون رجوعه الى أهله بحراء كما ذكرنا وهو يدل على أن خروجه صلى الله عليه وسلم الى شط الجبل كان من غار حراء كما ذكرنا لا من مكة الذي يدل عليه قول الشمس الشامي فخرج مرة أخرى الى حراء قال فخرجت حتى أتيت الشط من الجبل سمعت صوتا الى آخره فليتأمل والله أعلم قال ثم حدثتها

قريش أحسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم أحاديثهم ويقول ما حديث محمد الا أساطير الاولين ويقال انه قال سأنزل مثل ما أنزل الله لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها أحاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول هذه كأحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث والمشهور انها في شراء المغنيات ولا بعد ان تكون الآية نزلت فيهما معا لصدقه فيهما وقوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا يناسب النضر ولما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبأ الاولين قال النضر بن الحرث لو شئنا لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين وأنزل الله تكذيبا له قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا له وجاء ان جماعة من بني مخزوم ومنهم أبو جهل والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي اذ سمعوا قراءته فأرسلوا الوليد ليقتله فانطلق حتى أتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم وأعلمهم بذلك فأتوه فلما سمعوا قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من أمامهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فأنزل الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وقيل في نزولها غير ذلك ولا مانع من أن تكون نزلت للكل وجاء ان النضر بن الحرث رأى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا أسفل من ثنية الحجون فقال لا أجده أبدا أخلى منه الساعة فاغتاله فدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتاله فرأى أسودا تضرب بأنيابها على رأسه فاتحة أفواهها فرجع على عقبه مرعوبا فلقي أبا جهل فقال من أين فأخبره النضر الخبر فقال أبو جهل هذا بعض سحره وعماته متوا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي وقودها وحصب بالزنجية حطب أي حطب جهنم وقد قرأتها عائشة

رضى الله عنها كذلك أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن
الزبعرى قد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعرى أنا أخصم لكم محمدا ادعوه لى فدعوه له فقال يا محمد
هذا شئ لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن
الزبعرى خصمت ورب هذه البنية
يعنى الكعبة ألست تزعم ان عيسى
عبد من دون الله وكذا عزير
والملائكة عبدت النصارى عيسى
واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة
فضج الكفار وفرحوا فقال النبى
صلى الله عليه وسلم لابن الزبعرى
ما أجهلك بلغة قومك ما لما
لا يعقل يعنى ما فى قوله تعالى وما
تعبدون وأنزل الله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها
مبعدون كعيسى وعزير والملائكة
وهذا الحديث ان صح كان نصا
من الشارع لقول النحويين
ما لما لا يعقل ومن تعنتهم
واستهزائهم سؤالهم انشقاق
القمر قيل انهم سألوه آية غير
معينة فانشق القمر وقيل بل
سألوه آية معينة وهى انشقاق
القمر فانشق وجمع بين الروايتين
بأنهم سألوا آية غير معينة أولا
ثم عينوها بانشقاق القمر قال ابن
عباس رضى الله عنهما اجتمع
المشركون على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا
فشق لنا القمر فرقتين نصفا على
أبى قبيس ونصفا على قعيقعان
وكانت ليلة أربعة عشر وهى ليلة
البدر فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم
فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربه أن يعطيه ما سألوا فانشق
القمر فرقتين نصفا على أبى قبيس
ونصفا على قعيقعان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا وفى رواية فانشق القمر نصفين نصفا على
الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب وفى رواية انه عاد بعد غروبه وفى رواية فانشق مرتين والمراد
فرقتين جمعا بين الروايات وعند ذلك قال كفار قريش سحركم محمد فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ

بالذى رأيت أى من سماع الصوت ورؤية جبريل وقوله له يا محمد أنت رسول الله فقالت أبشر
يا ابن عمى واثبت فوالذى نفسى بيده انى لارجو ان تكون نبى هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها
ثيابها أى التى تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه رأى وسمع أى رأى جبريل وسمع منه أنت رسول الله وأنا جبريل
فقال ورقة قدوس قدوس بالضم والفتح والذى نفسى بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد
جاءه الناموس الاكبر الذى أى موسى الذى هو جبريل وانه لنبى هذه الامة فقولى له يثبت
والقدوس الطاهر المنزه عن العيوب وهذا يقال للتعجب أى وجاء بدل قدوس سبوح سبوح وما
لجبريل يذكر فى هذه الارض التى تعبد فيها الاوثان جبريل أمين الله بينه وبين رسله أى لان
هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من بلاد العرب فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف
أى فرغ ما تزوده وليس المراد انقضاء جواره بانقضاء الشهر لان ذلك كان قبل ان يجئ اليه
جبريل باقرأ باسم ربك يقظة كما تقدم أى وذلك كان فى الشهر الذى أكرمه الله فيه برسالته
فعند ذلك صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة
فقال له يا ابن أخى اخبرنى بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة
والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ولتكذبنه
ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه بهاء السكت ولا تكون الا ساكنة ولئن أنا أدركت ذلك اليوم
لانصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى ورقة رأسه صلى الله عليه وسلم منه وقبل يأفوخه أى وسط رأسه
لان اليأفوخ بالهمز وسط الرأس اذا اشتد وقبل اشتداده كما فى رأس الطفل يقال له الفادية
بالفاء ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله أى ولا مانع من تكرار مراجعة ورقة
فتارة قال قدوس قدوس وتارة قال سبوح سبوح أو جمع بين ذلك فى وقت واحد وبعض الرواة
اقتصر على أحد اللفظين (وقد جاء) ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه دخل على خديجة أى وليس
عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد صلى الله عليه وسلم الى ورقة
أى بعد ان أخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيذكر فلما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة وذهب به الى ورقة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى يا محمد يا محمد فانطلق هاربا الى الارض
فقال له لا تفعل اذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتنى أى وهذا قبل أن يراه ويجتمع به
ويجئ اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة ثلاث مرات الاولى على يد أبى بكر رضى
الله تعالى عنه وذلك قبل أن يرى جبريل والثانية التى رأى فيها جبريل وسمع منه ولم يجتمع به
وذلك عند اجتماعه صلى الله عليه وسلم به فى المطاف والثالثة التى بعد مجئ جبريل له يقظة
بالقرآن أى باقرأ باسم ربك على المشهور من انه أول ما نزل وذلك على يد خديجة ولا ينافى ذلك
ما ذكره الحافظ ابن حجر كما سيأتى ان القصة واحدة لم تتعدد ومخرجها متحد لان مراده قصة
مجئ جبريل له يقظة باقرأ باسم ربك وسيأتى ما فيه # وانما قال ورقة له صلى الله عليه وسلم يا ابن

اخى

من سحره أن يسحر الارض كلها أى جميع أهل الارض فاسألوا من يأتيكم من بلاد آخر فسألوا القادمين من كل فج هل رأوا هذا
فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر أى مطرد وهذا الكلام صريح فى ان رؤية الانشقاق حصلت لجميع
أهل الآفاق لا لأنها مختصة باهل مكة وهو كذلك وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اقتربت الساعة وانشق
القمر وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر وستأتى ان
شاء الله هذه القصة بابسط مما
هنا عند ذكر المعجزات فى آخر
الكتاب ومن الآيات التى ظهرت
على يديه صلى الله عليه وسلم فى أول
البعثة بمكة قصة ركانة بن عبد يزيد
ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف
القرشى الصحابى المكى أسلم رضى
الله عنه عام الفتح وتوفى بالمدينة
فى خلافة معاوية رضى الله عنه
سنة اثنتين وأربعين من الهجرة
وكان شديد البأس قويا جسيما
معروفا بالقوة فى المصارعة بحيث
انه لم يصرعه أحد قط ولا مس
جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح
انه صلى الله عليه وسلم صارعه
فصرعه وكان ركانة قبل اسلامه
يرعى غنما له بوادى وهو من
أفتك الناس وأشدهم فخرج
صلى الله عليه وسلم يوما من بيته
وتوجه لذلك الوادى فلقيه ركانة
وليس ثمة احد غيرهما فقال له
أنت الذى تشتم آلهتنا وتدعو
الهك العزيز ولولا رحم بينى
وبينك قتلتك ولكن ادع الهك
أن ينجيك منى اليوم وأنا ادعوك
لامر وهو ان تصارعنى وتدعو
الهك وأدعو اللات والعزى فان
غلبتنى فلك من غنمى هذه عشرة
تختارها فصارعه صلى الله عليه
وسلم فغلبه فقال لم تصرعنى وانما
غلبنى الهك وخذلنى اللات والعزى
وما وضع جنبى على الارض أحد قبلك ولكن عد فان صرعتنى فلك عشرة أخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال أولا
ثم عاد ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمى تختارها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا أريد ذلك ولكن أدعوك الى الاسلام
فأسلم تسلم من النار فقال لا الا أن ترينى آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلى باذن الله تعالى

أخى قيل لانه يجتمع مع عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم فى قصى فكان عبد الله بمثابة الاخ له
أو انه قال ذلك توقيرا له وانما ذكر ورقة موسى دون عيسى عليهما الصلاة والسلام مع ان عيسى
أقرب منه وهو على دينه لانه كان على دين موسى ثم صار على دين عيسى عليهما الصلاة والسلام
أى كان يهوديا ثم صار نصرانيا أى لان نبوة موسى عليه الصلاة والسلام مجمع عليها أى على انها
ناسخة لما قبلها وان شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام قيل انها متممة ومقررة لشريعة
موسى عليه الصلاة والسلام لا ناسخة لها قيل ولان ورقة كان ممن تنصر أى كما علمت
والنصارى لا يقولون بنزول جبريل على عيسى عليه الصلاة والسلام أى بل كان يعلم الغيب
لانهم يقولون فيه أنه أحد الاقانيم الثلاثة اللاهوتية وذلك الاقنوم هو أقنوم الكلمة التى
هى العلم حل بناسوت المسيح واتحد به فلذلك كان يعلم علم الغيب ويخبر بما فى الغد (أقول) وفيه ان
فى رواية وانك على مثل ناموس موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أى ففى بعض الروايات
جمع وفى بعضها اقتصر على موسى وفى الاقتصار على موسى دون الاقتصار على عيسى ما علمت
ثم رأيت أنه جاء فى غير الصحيح الاقتصار على عيسى فقال هذا الناموس الذى نزل على عيسى
فهو كما جاء الجمع بينهما جاء الاقتصار على كل منهما ولا ينافى ذلك أى مجئ جبريل لعيسى ما تقدم
عن النصارى من انهم لا يقولون بنزول جبريل على عيسى لجواز أن يكون المراد لا ينزل عليه
دائما وأبدا بالوحى بل فى بعض الاحيان وفى بعضها يعلم الغيب بغير واسطة ثم رأيت فى فتح
البارى ان عند اخبار خديجة لورقة بالقصة قال لها هذا ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من
النصرانية وعند اخبار النبى صلى الله عليه وسلم له بالقصة قال له هذا ناموس موسى للمناسبة
بينهما لان موسى أرسل بالنقمة على فرعون وقد وقعت النقمة على يد نبينا صلى الله عليه وسلم
على فرعون هذه الامة الذى هو أبو جهل هذا كلامه فليتأمل وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال
فى حق أبى جهل فى يوم بدر هذا فرعون هذه الامة والله أعلم (وعن عائشة) رضى الله تعالى
عنها جاءه الملك سحرا أى سحر يوم الاثنين يقظة لا مناما أى بغير غط فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ
أى لا أوجد القراءة قال فأخذنى فغطنى أى ضمنى وعصرنى وفى لفظ فاخذ بحلقى حتى بلغ منى
الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ أى لا أحسن القراءة أى لا أحفظ شيأ أقرؤه
فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ أى أى شئ
أقرؤه وفيه انه لو كان كذلك لقال ما أقرأ أو ماذا أقرأ الا أن يقال أطلق ذلك وأراد لازمه الذى
هو الاستفهام خصوصا وقد قدمه قال فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى
فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم
الانسان ما لم يعلم (أقول) فقولنا أى بغير غط هو ظاهر الروايات ويجوز أن يكون لفظ الغط
سقط فى هذه الرواية كغيرها من الروايات ويؤيده اقتصار السيرة الهشامية على مجيئه بالغط
وأيضا كيف الجمع بين قوله هنا ما ذكر وبين قوله هناك فكأنما كتب فى قلبى كتابا وما بالعهد
من قدم الا أن يقال يجوز أى يكون صلى الله عليه وسلم جوز أن يكون جبريل يريد منه قراءة
غير الذى قرأه وكتب فى قلبه ولا يخفى أنه علم ان قول جبريل اقرأ أمر بالقراءة وفيه أنه من

فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم وبيدى ركانة فقال أريتنى أمرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له أسلم فقال أكره أن يتحدث نساء المدينة يعنى مكة وصبيانها بأنى أجبتك لرعب قاى منك ولكن الغنم لك فقال له لا حاجة لى بها وانطلق صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر رضى الله عنه فقال للنبى صلى الله عليه وسلم تخرج الى هذا الوادى وبه ركانة فضحك النبى صلى الله عليه وسلم واخبر أبا بكر رضى الله عنه بالقصة فتعجب أبو بكر رضى الله عنه وتقدم انه لم يسلم ركانة الا عام الفتح رضى الله عنه

باب فى بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين

قال فى المواهب وشرحها مازال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا هو والمسلمون فى دار الأرقم حتى نزل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فجهر هو وأصحابه بالدعوة الى الله تعالى فكان ذلك فى السنة الثالثة من النبوة وهى المدة التى أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أمره الى ان أمره الله باظهاره فبادأ قومه بالاسلام وكرر ذلك وأكده وبالغ فى اظهار الحجة حتى كأنه صدع قلوبهم بما أورده عليهم من الحجج والبراهين التى عجزوا عن دفعها كما أمره الله تعالى ومع ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه بل قال الزهرى كانوا غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم فى مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من فى السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها لما دخل المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين أبيكم ابراهيم فقالوا انما نعبدها لتقربنا الى الله تعالى فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم فاجمعوا على مخالفته وعداوته الا من عصم الله بالاسلام وهم قليلون مستخفون وحدب أى عطف عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه كما تقدم واشتد الامر بين القوم وضرب بعضهم بعضا وأظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت أى تشاورت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم وكان

التكلم به الا بطاق أى فى الحال أى ومن ثم ادعى بعضهم انه لمجرد التنبيه واليقظة لما يلقى اليه وفيه أنه لو كان كذلك لم يحسن ان يقال فى جوابه ما أنا بقارئ الذى معناه لا أوجد القراءة الآن يقال جبريل عليه السلام أراد التنبيه لا الامر وجوابه صلى الله عليه وسلم بناء على مقتضى ظاهر اللفظ وعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارئ فى المواضع الثلاثة معناه مختلف ففى الاول معناه الاخبار بعدم ايجاد القراءة والثانى معناه الاخبار بانه لا يحسن شيئا يقرؤه وان كان ذلك هو مستند الاول والثالث معناه الاستفهام عن أى شئ يقرؤه وفيه ما علمت وبعضهم جعل قوله الاول لا أقرأ لا أحسن القراءة بدليل انه جاء فى بعض الروايات ما أحسن أن أقرأ وحينئذ يكون بمعنى الثانى فيكون تأكيدا له أى الغرض منهما شئ واحد (قال بعضهم) وجه المناسبة بين الخلق من العلق والتعليم وتعليم العلم أن أدنى مراتب الانسان كونه علقة وأعلاها كونه عالما فالله سبحانه وتعالى امتن على الانسان بنقله من أدنى المراتب وهى العلقة الى أعلاها وهى تعلم العلم * وقد اشتملت هذه الآيات على براعة الاستهلال وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سيق الكلام لاجله فانها اشتملت على الامر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله الى غير ذلك مما ذكره فى الاتقان قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة فى أوله وكرر جبريل الغط ثلاثا للمبالغة وأخذ منه بعض التابعين وهو القاضى شريح أن المعلم لا يضرب الصبى على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات وأورد الحافظ السيوطى عن الكامل لابن عدى بسند ضعيف عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يضرب المؤدب الصبى فوق ثلاث ضربات (وذكر السهيلى) أن فى ذلك أى الغط ثلاثا اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش له صلى الله عليه وسلم الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله صلى الله عليه وسلم والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل أى قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى آخر ما تقدم فى الكلام على أمر الرضاع ثم قال له جبريل اقرأ الحديث فعلم ان اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخارى وما ورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك قال الحافظ ابن كثير هذا الاثر غريب فى اسناده ضعف وانقطاع أى فلا يدل للقول بان أول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم حكاه ابن النقيب فى مقدمة تفسيره وبه يرد على الجلال السيوطى حيث قال وعندى فيه ان هذا لا يعد قولا برأسه فان من ضرورة نزول السورة أى سورة اقرأ نزول البسملة معها فهى أول آية نزلت على الاطلاق هذا كلامه والله أعلم (قال الحافظ ابن حجر) هذا الذى وقع له صلى الله عليه وسلم فى ابتداء الوحى من خصائصه اذ لم ينقل عن أحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أنه جرى له عند ابتداء الوحى مثل ذلك * ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الآية

رجع

ذلك باغراء من أبى جهل لعنه الله كان اذا سمع برجل أسلم وله شرف ومنعة لامه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنغلبن رأيك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضربه (فممن عذب فى الله لاجل أن يفتتن فى دينه فثبت عمار بن ياسر رضى الله عنهما) كان يعذب بالنار وكان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب فيمر يده على رأسه ويقول يا نار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم عليه السلام وكشف عن ظهر عمار فوجد أثر النار به أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه له صلى الله عليه وسلم بان النار تكون عليه بردا وسلاما وعن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت ان عمار بن ياسر وأباه وأخاه عبد الله وسمية أم عمار رضى الله عنهم كانوا يعذبون فى الله فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة وفى رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر فى العذاب وأعطيت سمية أم عمار لابى جهل يعذبها أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فأخذها أبو جهل وعذبها تعذيبا شديدا رجاء أن تفتتن فى دينها فلم تجبه لما يسأل ثم طعنها فى فرجها بحربة فماتت وكان يقول لها ما آمنت بمحمد الا انك عشقتيه لجماله قيل انها أول شهيد فى الاسلام رضى الله عنها وعن بعضهم كان أبو جهل يعذب عمار بن ياسر وأمه ويجعل لعمار درعا من حديد فى اليوم الصائف وفيه نزل أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء أن عمارا رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال النبى صلى الله عليه وسلم صبرا أبا اليقظان ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار وكانت أمه سمية سابعة سبعة فى الاسلام وقتلت وهى عجوز كبيرة ورؤى مرة فى ظهر عمار رضى الله عنه أثر كالمخيط فسئل عنه فقال هذا ما كانت تعذبنى قريش فى رمضاء مكة وجاء انهم بعد ان قتلوا أباه وأمه تلفظ لهم بالكفر ظاهرا فقيل للنبى صلى

رجع بها ترجف بوادره والبادرة اللحمة التى بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع ويقال لها الفريصة والفرائص أى (وفى رواية) فؤاده أى قلبه ولا مانع من اجتماع الامرين لان تحرك البادرة ينشأ عن فزع القلب حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملونى زملونى أى غطونى بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع بفتح الراء أى الفزع ثم اخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسى وفى رواية على عقلى كما فى الامتاع قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا أى لا يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل أى الشئ الذى يحصل منه التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذى لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم أى توصل اليه الخير الذى لا يجده عند غيرك وبهذا يعلم سقوط قول الخطابى الصواب المعدم بلا واو لان المعدوم أى الشخص المعدوم لا يكسب أى لا يعطى الكسب وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق أى على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل فقالت له خديجة رضى الله تعالى عنها أى عم اسمع من ابن أخيك أى وقولها أى عم صوابه ابن عم لانه ابن عمها لا عمها كما وقع فى مسلم قال ابن حجر وهو وهم لانه وان كان صحيحا لجواز ارادة التوقير لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد أى فلا يقال يجوز أنها جاءت اليه بعد نزول الآية مرتين قالت فى مرة أى عم وفى مرة أى ابن عم قال ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى أى صاحب سر الوحى وهو جبريل ياليتنى فيها جذعا أى ياليتنى حينئذ أكون فى زمن الدعوة الى الله أى اظهارها الذى جاء به وأنذر وأصل وجودها بناء على تأخر الدعوة التى هى الرسالة عن النبوة على ما يأتى شابا حتى أبالغ فى نصرتها ياليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم بتشديد الياء المفتوحة لانه جمع مخرج والاصل أو مخرجونى حذفت النون للاضافة فصار مخرجوى قلبت الواو ياء وأدغمت قال ورقة نعم لم يأت رجل بما جئت به الا عودى أى فيكون المعاداة سببا لاخراجه وهذا يفيد بظاهره ان من تقدم من الانبياء أخرجوا من أماكنهم لمعاداة قومهم لهم والا فمجرد المعاداة لا يقتضى الاخراج فلا يحسن أن يكون علامة عليه وقد يؤيد ذلك ما تقدم عند الكلام على بناء الكعبة ان كل نبى اذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وتقدم ما فيه وفى كونه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيأ أى فى جواب قول ورقة انه يكذب ويؤذى ويقاتل وقال فى جواب قوله انه يخرج أو مخرجى هم استفهاما انكاريا دليل على شدة حب الوطن وعسر مفارقته خصوصا وذلك الوطن حرم الله وجوار بيته ومسقط رأسه * قال ورقة وان أدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا أى شديدا قويا من الازر وهو الشدة والذى فى الحديث الصحيح وان يدركنى يومك وسيأتى فى بعض الروايات وان يدركنى ذلك قال السهيلى وهو القياس لان ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذى يدركه ما يأتى بعده كما جاء أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى هذا كلامه * أى وفى بعض الروايات أنه قال لها ان ابن عمك لصادق وان هذا لبدء نبوة وفى لفظ انه لنبى هذه الامة أى. (وفى الشفاء) ان قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد

الله عليه وسلم قد كفر عمار فقال كلا والله ان الايمان قد خالط بشاشة قلبه وفيه أنزل الله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وروى انه كان يعذب حتى لا يدرى مايقول ثم فرج الله عنه بعد طول تعذيبه حتى عاش الى خلافة على رضى الله عنه وقتل بصفين ووردت فى فضائله أحاديث كثيرة رضى الله عنه (وممن كان يعذب فى الله خباب بن الارت رضى الله عنه) ففى البخارى عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يارسول الله الا تدعو الله لنا فقعد محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب مايصرفه ذلك عن دينه ليظهرن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله والذئب على غنمه وعن خباب بن الارت أيضا رضى الله عنه يحكى عن نفسه قال لقد رأيتنى يوما وقد أوقدوا لى نارا ووضعوها على ظهرى فما أطفاها الا ودك ظهرى أى دهنه وكان خباب رضى الله عنه قينا أى حدادا وكان قد سبى من أهله فى الجاهلية فاشترته امرأة تسمى أم انمار فلما أسلم صارت مولاته تعذبه تأخذ الحديدة وقد أحمتها فى النار فتضعها على رأسه فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوى مع الكلاب فقيل لها اكتوى فكانت تأمر خبابا فيأخذ الحديد فيكوى به رأسها وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه وأعتقه وهم كثيرون منهم بلال رضى الله عنه وكان مولى لامية بن خلف الجمحى واشترى حمامة أم بلال رضى الله عنها وعامر بن فهيرة رضى الله عنه وأبا فكيهة رضى الله عنه وجارية بنى المؤمل تسمى لبينة تصغير لبنة والنهدية وبنتها وزنيرة وأمة بنى زهرة (فمما كان يعذب به بلال رضى الله عنه) مارواه ابن اسحق ان أمية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه

خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشى أن لاتحتمل قوته صلى الله عليه وسلم مقاومة الملك وأعباء الوحى بناء على أنه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة أثقالا لا يستطيع حملها الا أولو العزم من الرسل وفى كلام الحافظ ابن حجر اختلف العلماء فى هذه الخشية على اثنى عشر قولا وأولاها بالصواب وأسلمها من الارتياب ان المراد بها الموت أو المرض أو دوام المرض هذا كلامه فليتأمل مع رواية خشيت على عقلى (قال وفى بعض الروايات) ان خديجة قبل أن تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من أهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام فقالت له ياعداس أذكرك الله الا ما أخبرتنى هل عندكم علم من جبريل أى فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من أرض العرب كما تقدم فقال عداس قدوس قدوس ماشأن جبريل يذكر بهذه الارض التى أهلها أهل أوثان أى والقدوس المنزه عن العيوب وان هذا يقال للتعجب كما تقدم فقالت أخبرنى بعلمك فيه قال هو أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اه وفيه انه سيأتى عند الكلام على ذهابه صلى الله عليه وسلم للطائف بعد موت أبى طالب يلتمس اسلام ثقيف اجتماعه بعداس الموصوف بما ذكر لكن فى تلك القصة ماقد يبعد معه كل البعد أنه المذكور هنا فليتأمل ثم رأيت أن عداسا المذكور هنا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وان خديجة قالت له أنعم صباحا ياعداس فقال كأن هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قالت اجل قال أدنى منى فقد نقل سمعى فدنت منه ثم قالت له ماتقدم وهذا صريح فى أنه غير عداس الآتى ذكره وانهما اشتركا فى الاسم والبلد والدين أى وكونهما غلامين لعتبة بن ربيعة ففى كلام ابن دحية عداس كان غلاما لعتبة بن ربيعة من أهل نينوى عنده علم من الكتاب فارسلت اليه خديجة تسأله عن جبريل فقال قدوس قدوس الحديث ولا يخفى ان هذا اشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك (وفى رواية) ان عداسا هذا قال لها ياخديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فاراه أمورا فخذى كتابى هذا فانطلقى به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هى برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات ن والقلم ومايسطرون ماأنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبى صلى الله عليه وسلم فداك أبى وأمى امض معى الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقول قدوس قدوس أنت والله النبى الذى بشر بك موسى وعيسى الحديث وفيه ان كان هذا قبل أن تذهب به لى ورقة اقتضى ان نزول سورة ن قبل اقرأ ولا يحسن ذلك مع قوله لجبريل ما أنا بقارئ اذ هو صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قبل ذلك شيأ ومن ثم كان المشهور ان أول مانزل اقرأ وكون ن نزلت لهذا السبب مخالف لما ذكر فى أسباب النزول أنها نزلت لما وصفه المشركون بانه مجنون الا أن يقال لا مانع من تعدد النزول

ويعطشه ليلة ويوما فيطرحه على ظهره فى الرمضاء أى الرمل اذا اشتدت حرارته ولو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعبد اللات والعزى فيأبى ذلك وقيل ان بلالا رضى الله عنه كان لعبد الله بن جدعان من جملة مماليكه فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن جدعان بهم فأخرجوا من مكة خوف اسلامهم فأخرجوا الا بلالا رضى الله عنه فانه كان يرعى غنمه ويكتم اسلامه فجاء يوما الى الاصنام التى حول الكعبة وصار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدك فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله بن جدعان فقالوا له اصبوت قال ومثلى يقال له هذا فقالوا له ان اسودك صنع كذا وكذا فأعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال رضى الله عنه ويجوز ان يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فكان يتولى تعذيبه فلا ينافى ماتقدم وقد مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول احد احد فقال ورقة نعم احد احد والله يابلال ثم ان ورقة بن نوفل قال لامية والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا أى لاتخذن قبره منسكا ومسترحما (يروى ان بلالا رضى الله عنه) حين اشتراه الصديق كان يعذب تحت الحجارة وهانت نفسه عليه فى الله عز وجل فلم يبال بتعذيبهم وكانوا يعطونه الولدان فيربطونه بحبل ويطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له أيضا عند موته كانت امرأته تقول واكرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در ابى محمد الشقراطى حيث قال فى قصيدته المشهورة

لاقى بلال بلاء من أمية قد * احله الصبر فيها اكرم النزل
اذ أجهدوه بضنك الاسر وهو على * شدائد الازل ثبت الازر لم يزل
ألقوه بطحا برمضاء البطاح وقد * عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت * بظهره كندوب الطل فى الطلل

* وذكر ابن دحية أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس ياسيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم فقالت بعلى وابن عمى أخبرنى بانه يأتيه فقال انه السفير بين الله وبين أنبيائه وان الشيطان لايجترئ أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه وهذه العبارة أى كون جبريل هو السفير بين الله وبين أنبيائه صدرت من الحافظ السيوطى وزاد ولا يعرف ذلك لغيره من الملائكة واعترض عليه بعضهم بان اسرافيل كان سفيرا بين الله وبينه صلى الله عليه وسلم فعن الشعبى أنه جاءته صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين سنة وقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل وفى لفظ عنه فلما مضت ثلاث سنين تولى عنه اسرافيل وقرن به جبريل أى وقد تقدم ان اسرافيل قرن به صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشئ بعد الشئ الى آخره وحينئذ يلزم أن يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين أيضا وسيأتى عن بحث بعض الحفاظ انها مدة فترة الوحى فليتأمل وأجاب الحافظ السيوطى عن ذلك بان السفير هو المرصد لذلك وذلك لايعرف لغير جبريل ولا ينافى ذلك مجئ غيره من الملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الاحيان ولك أن تقول ان كان المراد بالمجئ اليه بوحى من الله كما هو المتبادر فليس فى هذه الرواية ان اسرافيل كان يأتيه بوحى فى تلك المدة وجواب الحافظ السيوطى يقتضى ان اسرافيل وغيره من الملائكة كان يأتيه بوحى من الله قبل مجئ جبريل له صلى الله عليه وسلم بوحى غير النبوة ولا يخرجه ذلك عن الاختصاص باسم السفير وبان اسرافيل لم ينزل لغير النبى صلى الله عليه وسلم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما ثبت فى الحديث فلم يكن السفير بين الله وجميع أنبيائه (قيل) وانما خص بذلك لانه أول من سجد من الملائكة لآدم ورأيته سئل هل عيسى بعد نزوله يوحى اليه فاجاب بنعم وأورد حديث النواس بن سمعان الذى أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم وفيه التصريح بانه يوحى اليه قال والظاهر أن الجائى اليه بالوحى جبريل قال بل هو الذى يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك وظيفته وهو السفير بين الله تعالى وبين أنبيائه لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة ثم استدل على ذلك بما يطول قال وما اشتهر على ألسنة الناس أن جبريل لا ينزل الى الارض بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم فهو شئ لا أصل له وزعم زاعم أن عيسى انما يوحى اليه وحى الهام ساقط قال وحديث لا وحى بعدى باطل أى ويدل له مارأيته فى كلام بعضهم جبريل ملك عظيم ورسول كريم مقرب عند الله أمين على وحيه وهو سفيره الى أنبيائه كلهم وسماه روح القدس والروح الامين واختصه بوحيه من بين الملائكة المقربين قال ورأيت فى بعض التواريخ أن جبريل نزل عليه صلى الله عليه وسلم ستا وعشرين ألف مرة ولم يبلغ أحد من الانبياء هذا العدد والله أعلم (وفى أسباب النزول للواحدى) عن على رضى الله تعالى عنه لما سمع النداء يامحمد قال لبيك قال قل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة أى فلما بلغ ولا الضالين فقال قل آمين فقال آمين كما فى رواية عن وكيع وابن أبى شيبة (وجاء فى حديث) قال بعضهم اسناده

لبس بالقاسم فاذا دعا أحدكم فليختم بآمين فان آمين فى الدعاء مثل الطابع على الصحيفة وفى
الجامع الصغير آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين أى خاتم دعاء رب العالمين
أى يمنع من أن يتطرق اليه رد وعدم قبول ومن ثم لما سمع صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو قال
قد وجب ان ختم بآمين * وأتى صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة أبشر ثم
أبشر فانى أشهد أنك الذى بشر بك ابن مريم فانك على مثل ناموس موسى وانك نبى مرسل
وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك وان أدركنى ذلك لاجاهدن معك (أقول) هذا لا يدل للقول
بان الفاتحة أول ما نزل وعليه كما قال فى الكشاف أكثر المفسرين اذ يبعد كل البعد أن تكون
هذه الرواية قبل نزول اقرأ باسم ربك ثم رأيت عن البيهقى أنه قال فيما تقدم عن أسباب النزول
هذا مرسل ورجاله ثقات فان كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه
اقرأ والمدثر أى والمدثر نزلت بعد يا أيها المزمل ثم رأيت ابن حجر اعترض ما تقدم عن الكشاف
بقوله الذى ذهب اليه أكثر الامة هو الاول أى القول بانه اقرأ وأما الذى نسبه الى الاكثر لم
يقل به الا عدد أقل من القليل بالنسبة الى من قال بالاول هذا كلامه ثم رأيت الامام النووى
قال القول بان الفاتحة أول ما نزل بطلانه أظهر من أن يذكر أى ومما يدل على ذلك ما جاء من
طرق عن مجاهد ان الفاتحة نزلت بالمدينة ففى تفسير وكيع عن مجاهد فاتحة الكتاب مدنية
وفيه أنه جاء عن قتادة انها نزلت بمكة وعن على كرم الله وجهه كما فى أسباب النزول للواحدى انها
نزلت بمكة من كنز تحت العرش وفيها عنه لما قام النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فقال بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين قالت قريش رض الله فاك وفى الكشاف ان الفاتحة نزلت
بمكة وقيل نزلت بالمدينة فهى مكية مدنية هذا كلامه وتبعه على ترجيح أنها مكية القاضى
البيضاوى حيث قال وقد صح انها مكية وفى الاتقان وذكر قوم منه أى ممن تكرر نزوله الفاتحة
فليتأمل فانه لا يقال ذلك الا بناء على أنها نزلت بهما أى نزلت بمكة ثم بالمدينة مبالغة فى شرفها
وقد أشار القاضى البيضاوى الى أن تكرر نزولها ليس بمجزوم به وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها
بالمدينة قال فى الاتقان والظاهر أن النصف الذى نزل بالمدينة النصف الثانى قال ولا دليل لهذا
القول هذا كلامه * واستدل بعضهم على انها مكية بانه لا خلاف أن سورة الحجر مكية وفيها
ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم وهى الفاتحة فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرئ عليه الفاتحة والذى نفسى بيده ما أنزل الله تعالى
فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها انها هى السبع المثانى والقرآن
العظيم الذى أوتيته وقد حكى بعضهم الاتفاق على ان المراد بالسبع المثانى فى آية الحجر هى
الفاتحة ويرد دعوى الاتفاق قول الجلال السيوطى وقد صح عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما تفسير السبع المثانى فى آية الحجر بالسبع الطوال ومما يدل على أن المراد بها الفاتحة
ما ذكر فى سبب نزولها وهو أن عيرا لابى جهل قدمت من الشام بمال عظيم وهى سبع قوافل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ينظرون اليها وأكثر الصحابة بهم عرى وجوع فخطر ببال
النبى صلى الله عليه وسلم شئ لحاجة أصحابه فنزل ولقد آتيناك أى أعطيناك سبعا من المثانى

ان قد ظهر ولى الله من دبر * قد قد قلب عدو الله من قبل يعنى ان كان ظهر ولى الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده فقد
جوزى عدو الله أمية بقد قلبه يوم بدر لانه قتل يومئذ كافرا وكان قد وصل السيف الى قلبه وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه
قد أسره يومئذ وأراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما فى الجاهلية فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته
يا أنصار رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا رأس الكفر أمية بن
خلف لا نجوت ان نجا قال عبد
الرحمن رضى الله عنه فتسابقوا
اليه فلما خشيت ان يلحقونا
خلفت لهم ابنه علياً لاشغلهم به
يقتلونه دونه فقتلوه ثم تبعونا
وكان أمية رجلا ثقيلا فلما
أدركونا قلت له ابرك فبرك
فألقيت نفسى عليه لامنعه
فتهسوه باسيافهم حتى قتلوه أى
ضربوه باسيافهم فشبه ضربهم
بالنهس وهو أخذ اللحم بمقدم
الاسنان فعلم ان النصر مع الصبر
لما صبر بلال على تعذيبه وكان
قتله على يديه تحقيقا لقول الله
تعالى وان جندنا لهم الغالبون
ألا ان حزب الله هم المفلحون
والعاقبة للمتقين قيل ان أبا بكر
الصديق رضى الله عنه هنأ بلالا
بأبيات منها قوله
هنيئا زادك الرحمن خيرا
لقد أدركت ثارك يا بلال
واخرج الحاكم عن عبد الله بن
الزبير رضى الله عنهما قال قال أبو
قحافة والد أبى بكر رضى الله
عنهما أراك تعتق رقابا ضعافا فلو
أنك أعتقت رجالا جلدا يمنعونك
ويقومون دونك فقال يا ابت
انما أريد ما عند الله تعالى فانزل
الله تعالى فأما من أعطى واتقى
الى آخر السورة (قال فى السيرة
الحلبية) مر أبو بكر رضى الله
الله عنه ببلال وهو يعذب وعلى صدره صخرة عظيمة فقال أبو بكر رضى الله عنه لامية بن خلف ألا تتقى الله فى هذا مكان
المسكين قال انت افسدته فأنقذه مما ترى قال أبو بكر رضى الله عنه عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك اعطيكه به قال قبلت
هولك فأعطاه أبو بكر رضى الله عنه غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه وفى تفسير البغوى قال سعيد بن المسيب بلغنى ان أمية بن خلف

مكان سبع قوافل ولا تنظر الى ما أعطيناه لابى جهل وهو متاع الدنيا الدنية ولا تحزن عليهم أى
على أصحابك واخفض جناحك لهم فان تواضعك لهم أطيب لقلوبهم من ظفرهم بما تحب من
أسباب الدنيا * وفى زوائد الجامع الصغير لو أن فاتحة الكتاب جعلت فى كفة الميزان وجعل
القرآن فى الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات وفى لفظ فاتحة
الكتاب شفاء من كل داء * وفى لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثى القرآن فليتأمل ولها اثنان
وعشرون اسما وذكر بعضهم ان لها ثلاثين اسما وذكرها الاستاذ الشيخ أبو الحسن البكرى
فى تفسيره الوسيط قال السهيلى ويكره أن يقال لها أم الكتاب أى لما ورد لا يقولن أحدكم أم
الكتاب وليقل فاتحة الكتاب قال الحافظ السيوطى رحمه الله ولا أصل له فى شئ من كتب
الحديث وانما أخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين وقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة
تسميتها بذلك هذا كلامه ولا يخفى انه جاء فى تسمية الفاتحة ذكر المضاف تارة وهو سورة كذا
واسقاطه أخرى وتارة جوز والامرين معاوهو يشكل على ان تسمية السور توقيفى ثم رأيت فى
الاتقان قال قال الزركشى فى البرهان ينبغى البحث عن تعداد الاسامى هل هو توقيفى أو بما يظهر
من المناسبات فان كان الثانى فيمكن الفطن أن يستخرج من كل سورة معانى كثيرة تقتضى
اشتقاق أسمائها وهو بعيد هذا كلامه ويلزم القول بانها انما نزلت فى المدينة ان مدة اقامته
صلى الله عليه وسلم بمكة كان يصلى بغير الفاتحة (قال فى أسباب النزول) وهذا مما لا تقبله العقول
أى لانه لم يحفظ انه كان فى الاسلام صلاة بغير الفاتحة أى ويدل لذلك ما رواه الشيخان لا صلاة
لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وفى رواية لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها الرجل بفاتحة الكتاب والمراد
فى كل ركعة لقوله صلى الله عليه وسلم للمسئ صلاته اذا استقبلت القبلة فكبر ثم اقرأ بأم
القرآن ثم اقرأ بما شئت الى ان قال ثم اصنع ذلك أى القراءة بأم القرآن فى كل ركعة وجاء على
شرط الشيخين أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها منها عوضا ويدل لذلك أيضا وصف
القول بأنها انما نزلت بالمدينة بأنه هفوة من قائله لانه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه
أى لان نزولها كان بعد فترة الوحى بعد نزول يا أيها المدثر ويلزم على كونها نزلت بعد المدثر انه
صلى الله عليه وسلم صلى بغير الفاتحة فى مدة فترة الوحى أى لان المدثر نزلت بعد فترة الوحى على
ما سيأتى وقد يقال لا ينافيه ما تقدم من انه لم يحفظ انه لم يكن فى الاسلام صلاة بغير الفاتحة
لجواز ان يراد صلاة من الصلوات الخمس وما تقدم مما يدل على تعين الفاتحة فى الصلاة يجوز أن
يكون صدر منه صلى الله عليه وسلم بعد فرض الصلوات الخمس وفى الامتاع انزال الملك يبشره
بالفاتحة وبالآيتين من سورة البقرة يدل على انها نزلت بالمدينة فقد أخرج مسلم عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما قال بينما جبريل قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا أى صوتا من
فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال
هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك
فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة هذا كلامه فليتأمل وجه الدلالة من هذا على انه سيأتى عن
الكامل للهذلى ما يصرح بأن خواتيم البقرة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بقاب

قال لابى بكر الصديق رضى الله عنه فى بلال حين قال أتبيعنيه قال نعم أبيعه بقسطاس يعنى عبد لابى بكر رضى الله عنه كان تحت يده
لابى بكر رضى الله عنه عشرة آلاف دينار للتجارة وغلمان وجوار وكان مشركا يأبى الاسلام فاشترى أبو بكر رضى الله عنه بلالا به
وروى انه لما ساومه أبو بكر رضى الله عنه أمية بن خلف فى بلال قال أمية لاصحابه لألعبن بابى بكر لعبة ما لعبها
أحد باحد ثم تضاحك وقال اعطنى
عبدك قسطاس قال أبو بكر
رضى الله عنه ان فعلت تفعل
قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك
وقال لا والله حتى تعطينى معه
امرأته قال ان فعلت تفعل قال
نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال
لا والله حتى تعطينى ابنته مع
امرأته قال ان فعلت تفعل قال
نعم قال قد فعلت قال لا والله حتى
تزيدنى مائتى دينار فقال أبو بكر
رضى الله عنه أنت رجل لا تستحى
من الكذب قال واللات والعزى
لئن اعطيتنى لأفعلن قال هى لك
فأخذها وأخذ أبو بكر رضى الله
عنه بلالا فأعتقه وقيل اشتراه
بسبع أواق وقيل برطل من ذهب
وقيل غير ذلك يروى ان سيده قال
لابى بكر رضى الله عنه بعد شرائه
لو أبيت الا اوقية لبعناكه
أى لو قلت لا أشتريه الا باوقية
لاخذته فقال له أبو بكر رضى الله
عنه لو طلبت مائة أوقية لاخذتها
به ولما قال المشركون ما أعتق أبو
بكر بلالا الا ليد كانت له عنده
فكافأه بها أنزل الله تعالى والليل
اذا يغشى الى آخر السورة فقوله
فأما من أعطى واتقى وصدق
بالحسنى فهو أبو بكر رضى الله
عنه وقوله وأما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى فهو أمية بن
خلف وقوله لا يصلاها الا الاشقى
هو أمية وقوله وسيجنبها الاتقى
هو أبو بكر وفى قوله الاتقى
تصريح بانه اتقى البرية اذ التقدير الاتقى من كل احد لان الحذف يفيد العموم والمراد من كل احد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام
ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر رضى الله عنه اشترى بلالا قال له الشرك يا أبا بكر فقال قد أعتقته يا رسول الله أى لان بلالا
رضى الله عنه قال لابى بكر رضى الله عنه حين اشتراه ان كنت اشتريتنى لنفسك فامسكنى وان كنت انما اشتريتنى لله عز وجل فدعنى

قوسين * ومما يدل على ان البسملة آية منها نزولها معها أى كما فى بعض الروايات والاثار والرواية المتقدمة تدل على انها لم تنزل معها ويدل لكون البسملة آية من الفاتحة أيضا ما أخرجه الدارقطنى وصححه والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها وقد أخرج الدارقطنى عن على رضى الله تعالى عنه انه سئل عن السبع المثانى فقال الحمد لله رب العالمين فقيل له انما هى ست آيات فقال بسم الله الرحمن الرحيم آية وقيل لها السبع المثانى لانها سبع آيات وتثنى فى الصلاة وقيل المثانى كل القرآن لانه يثنى فيه صفات المؤمنين والكفار والمنافقين وقصص الانبياء والوعد والوعيد قال بعضهم والوجه أن يقال المراد بالسبع المثانى السبع الطوال أى كما انه المراد بقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى على ما تقدم وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة يونس وقيل براءة وقيل الكهف وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم عد البسملة آية من الفاتحة وبهذا يعلم ما فى تفسير البيضاوى عن أم سلمة من انه صلى الله عليه وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية فقد ذكر بعض الحفاظ ان هذا اللفظ لم يرد عن أم سلمة والذى رواه جماعة من الحفاظ عن أم سلمة بألفاظ تدل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية وحدها منها انها ذكرت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى فى بيتها فيقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وفى رواية عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الصلوات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والاستدلال على أن البسملة آية من الفاتحة بكونها نزلت معها يقتضى أن البسملة ليست آية من اقرأ باسم ربك ومن ثم قال الحافظ الدمياطى نزول اقرأ بدون بسملة يدل على ان البسملة ليست آية من كل سورة واستدل به أى بعدم نزولها فى أول سورة اقرأ أيضا كما قال الامام النووى من يقول ان البسملة ليست بقرآن فى أوائل السور أى وانما أنزلت وكتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها وهذا القول ينسب لقول امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه فى القديم وهو قول قدماء الحنفية قال وجواب المثبتين أى لقرآنيتها فى ذلك أنها نزلت فى وقت آخر كما نزل باقى السورة أى سورة اقرأ وجوابهم أيضا بأن الاجماع من الصحابة والسلف على اثباتها فى مصاحفهم مع مبالغتهم فى تجريدها عن كتابة غير القرآن فيها حتى انهم لم يكتبوا آمين فيها واستدل أيضا لعدم قرآنيتها فى أوائل السور بعدم تواترها فى محلها ورد بأن عدم تواترها فى محلها لا يقتضى سلب القرآنية عنها ورد هذا الرد بأن الامام الكافيجى قال المختار عند المحققين من علماء السنة وجوب التواتر أى فى القرآن فى محله ووضعه وترتيبه أيضا كما يجب تواتره فى أصله أى وفى الفتوحات البسملة من القرآن بلا شك عند العلماء بالله وتكرارها فى السور كتكرار ما تكرر فى القرآن من سائر الكلمات وهو بظاهره يؤيد ما ذهب اليه امامنا من انها آية من أول كل سورة ويحتمل لما قاله السهيلى حيث قال نقول انها آية من كتاب الله مقترنة مع السورة وفى كلام أبى بكر بن العربى وزعم الشافعى انها آية من كل سورة وما سبقه الى هذا القول أحد فانه لم يعدها أحد آية من سائر السور ونقل عن

امامنا

لله تعالى فأعتقه ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لقى أبا بكر رضى الله عنه فقال لو كان عندى مال اشتريت بلالا فانطلق العباس رضى الله عنه فاشتراه فبعث به الى أبى بكر رضى الله عنه أى ملكه له بثمنه فأعتقه فليتأمل الجمع بين هذه الأقوال ويمكن ان يقال ان العباس رضى الله عنه رغب أمية فى بيع بلال فلما ظهر له الرضا ببيعه أرسل الى أبى بكر رضى الله عنه لعلمه برغبة أبى بكر فى شرائه وعتقه فأطلق على ذلك ان العباس اشتراه والله سبحانه وتعالى أعلم * وقد اشترى أبو بكر رضى الله عنه جماعة آخرين ممن كان يعذب فى الله منهم حمامة أم بلال رضى الله عنهما ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب فى الله حتى لا يدرى ما يقول وكان لرجل من بنى تيم من قرابة أبى بكر رضى الله عنه ومنهم أبو فكيهة وكان عبد الصفوان بن أمية أسلم حين أسلم أبو بكر رضى الله عنه فمر به أبو بكر رضى الله عنه وقد أخذه صفوان بن أمية وأخرجه نصف النهار فى شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فأخرج لسانه وأبى بن خلف عم صفوان يقول زده عذابا حتى يأتى محمد فيخلصه بسحره فاشتراه أبو بكر رضى الله عنه وأعتقه (وممن كان يعذب فاشتراه أبو بكر رضى الله عنه أم عبيس) وكانت أمة لبنى زهرة كان الاسود بن عبد يغوث الزهرى يعذبها فاشتراها أبو بكر رضى الله عنه وأعتقها وكذا اشترى ابنتها واسمها الطبقة قيل كانت ابنتها للوليد بن المغيرة وكذا اشترى أخت عامر بن فهيرة أو أمه وكانت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل ان يسلم وكان يعذبها فمر أبو بكر رضى الله عنه عليه وهو يضربها فضربها حتى مل فاستامها منه أبو بكر رضى الله عنه ثم اشتراها وأعتقها وكذا اشترى لبينة جارية المؤمل بن حبيب وأعتقها واشترى أيضا الزنيرة على وزن سكينة وقيل بتشديد النون وكانت أمة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل ان يسلم فكان يعذبها ومعه جماعة من قريش فتأبى الا الاسلام وكان أبو جهل لعنه الله يقول ألا تعجبوا الى هؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيرا وحقا ما سبقونا اليه أفتسبقنا

امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه انها آية من أول الفاتحة دون بقية السور فعن الربيع قال سمعت الشافعى يقول أول الحمد بسم الله الرحمن الرحيم وأول البقرة الم قال بعضهم وهو يدل على ان البسملة آية من أول الفاتحة دون بقية السور فانها ليست آية من أولها بل هى آية فى أولها اعادة لها وتكريرا لها وربما يوافق ذلك قول الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بالبسملة والفاتحة هذا كلامه وكونه خص بالبسملة يخالف قوله فى الاتقان عن الدارقطنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه لاعلمنك آية لم تنزل على نبى بعد سليمان غيرى بسم الله الرحمن الرحيم كما سيأتى وسيأتى ما فيه قيل وانما تركت البسملة أول براءة لعدم المناسبة بين الرحمة التى تدل عليها البسملة والتبرى الذى يدل عليه أول براءة ورده فى الفتوحات بأنها جاءت فى أوائل السور المبدوءة بويل قال وأين الرحمة من الويل وذكر بعضهم ان الانفال وبراءة سورة واحدة أى فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سألت عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لم لم يكتبوا بين براءة والانفال سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كانت الانفال من أول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل بالمدينة وكانت قصتها شبيهة بالاخرى فظننت انهما سورة واحدة وفى كلام بعض المفسرين عن طاوس وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يقولان ان الضحى وألم نشرح سورة واحدة فكانا يقرآنهما فى ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك لانهما رأيا ان أولها مشبه لقوله ألم يجدك يتيما وليس كذلك لان تلك حال اغتمامه صلى الله عليه وسلم بايذاء الكفار فهى حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطيب القلب فكيف يجتمعان هذا كلامه وذكر أئمتنا انه يكفى فى وجوب الاتيان بالبسملة فى الفاتحة فى الصلاة الظن المفيد له خبر الآحاد وعدم التواتر بذلك لا يكفر من نفى كونها آية من الفاتحة باجماع المسلمين وتقدم جهره بها صلى الله عليه وسلم كما رواه جمع من الصحابة قال ابن عبد البر بلغت عدتهم أحدا وعشرين صحابيا وأما ما رواه مسلم عن أنس قال صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم أجيب عنه بأنه لم ينف الا السماع ويجوز انهم تركوا الجهر بها فى بعض الاوقات بيانا للجواز ويؤيده قول بعضهم كانوا يخفون البسملة وأما ما رواه البخارى وأبو داود والترمذى وغيرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين فمعناه بسورة الحمد لا بغيرها من القرآن ولا يبعد هذا الحمل ما فى رواية عبد الله بن مغفل انه قال سمعنى أبى وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال أى بنى اياك والحدث فانى صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ومع أبى بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقوله فاذا قرأت فقل الحمد لله رب العالمين فانه لما لم يسمع فهم انهم لم يأتوا بها أسرا فقال ذلك وكذا يقال فيما روى كانوا لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم فعلى تقدير ثبوت تلك الرواية وصحتها يجوز أن يكون الراوى فهم مما تقدم ترك البسملة فروى بالمعنى فأخطأ * ومما استدل به على ان البسملة ليست آية من الفاتحة ما جاء عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة أى الفاتحة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال الحمد لله رب العالمين

زنيرة الى رشد وكان كفار قريش يقولون أيضا لو كان خيرا ما سبقتنا زنيرة أى ومن كان مثلها فأنزل الله فى شأنها وقال الذين كفروا للذين آمنوا أى مشيرين اليهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولما اشتد الضرب والعذاب على زنيرة عميت وذهب بصرها فقال المشركون ما أصاب بصرها الا اللات والعزى وجاءها أبو جهل لعنه الله وقال لها انما فعل بك ما ترين اللات والعزى وتبعه كفار قريش على ذلك فقالت لهم والله ما هو كذلك وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربى قادر على أن يرد على بصرى فرد الله عليها بصرها صبيحة تلك الليلة فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر رضى الله عنه فأعتقها * وكان من تعذيب قريش لهؤلاء المسلمين أن يلبسوهم أدراع الحديد ويطرحوهم فى الشمس لتؤثر حرارتها فيهم * وأما النبى صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبى طالب وبما كان يظهره الله لاعدائه من الآيات وخوارق العادات كبعث جبريل فى صورة فحل ليلتقم أبا جهل * وأما أبو بكر رضى الله عنه فمنعه الله بقومه من توالى الاذى وشدته وكان يناله بعض الاذى وسيأتى أنه أراد الهجرة الى الحبشة مع من هاجر اليها ثم جلس * وأما المستضعفون فصاروا يعذبونهم بأنواع العذاب ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة روى ابن اسحق ان سبب الهجرة الى الحبشة أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لهم لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة فى الاسلام وذلك فى رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بنفسه وحده ومنهم من هاجر بأهله فمن هاجر بأهله عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وأبو سلمة بن عبد الاسد هاجر

ومعه زوجته أم سلمة رضى الله عنهما وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاجر ومعه زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو مراغما كل منهما لابيه فارين بدينهما فولدت له سهلة بالحبشة محمد بن أبى حذيفة * وممن هاجر باهله عامر بن أبى ربيعة هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية وهاجرت أم أيمن مع السيدة رقية رضى الله عنهما ويقال لها بركة الحبشية وهاجرت معها لتخدمها وتقوم بشأنها لانها مولاة أبيها وهو النبى صلى الله عليه وسلم وممن هاجر بلا زوجة عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وعثمان ابن مظعون وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبى رهم وحاطب بن عمرو العامريان وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم وخرجوا مشاة متسللين سرا ثم استأجروا سفينة بنصف دينار وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاؤا الى البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدا وكان أول من خرج عثمان ابن عفان رضى الله عنه مع امرأته رقية رضى الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد نبى الله لوط عليه السلام ثم أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال صلى الله عليه وسلم صحبهما الله وكانت رقية رضى الله عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضى الله عنه ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن

أحسن شئ قد يرى انسان
رقية وبعلها عثمان

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أرسل رجلا الى عثمان ورقية رضى الله عنهما فى حاجة وقيل بطعام ليحمله اليهما فأبطأ عليه الرسول فلما جاء قال له صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية وتعجب من حسنهما قال نعم والذى بعثك بالحق اى وكان ذلك قبل نزول آية الحجاب ويذكر أن نفرا من الحبشة كانوا ينظرون رقية رضى الله عنها فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جاء فى وصف عثمان رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل عليه السلام ان أردت ان تنظر فى أهل الارض

قال الله تعالى حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال مجدنى عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال فوض الى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذه بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فيقول عبدى اهدنا الصراط المستقيم الى آخرها قال أبو بكر بن العربى المالكى فانتفى بذلك ان تكون بسم الله الرحمن الرحيم آية منها من وجهين أحدهما انه لم يذكرها فى القسمة والثانى انها ان صارت فى القسمة لما كانت نصفين بل يكون ما لله فيها أكثر مما للعبد لان بسم الله ثناء على الله تعالى لا شئ للعبد فيه ثم ذكر ان التعبير بالصلاة عن الفاتحة يدل على ان الفاتحة من فروضها وأطال فى ذلك وسيأتى فى الحديبية أنه صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم موافقة للجاهلية قبل كتب ذلك فى أربعة كتب وأول من كتبها أمية بن الصلت فلما نزل بسم الله مجراها ومرساها كتب بسم الله ثم لما نزل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن ثم لما نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم كذا نقل عن الشعبى ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل وهذا يفيد ان البسملة لم تنزل قبل ذلك فى شئ من أوائل السور ويؤيده قول السهيلى ثم كان بعد ذلك أى بعد نزول وانه بسم الله الرحمن الرحيم ينزل جبريل عليه السلام ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة أى تمييزا لها عن غيرها وقد ثبت فى سواد المصحف الاجماع من الصحابة رضى الله تعالى عنهم على ذلك هذا كلامه فليتأمل ما فيه فانه قد يدل للقول بان البسملة ليست من أوائل السور وانما هى للفصل فقد علمت أن البسملة نزلت أول الفاتحة على ما فى بعض الروايات ونقل أبو بكر التونسى اجماع علماء كل أمة على ان الله سبحانه وتعالى افتتح جميع كتبه ببسم الله الرحمن الرحيم وفى الاتقان عن الدارقطنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لبعض الصحابة لاعلمنك آية لم تنزل على نبى بعد سليمان غيرى بسم الله الرحمن الرحيم وبهذا يعلم ما فى الخصائص الصغرى ان البسملة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه وسلم على نبى بعد سليمان غيرى يشكل عليه ان عيسى بين سليمان وبينه صلى الله عليه وسلم وكتابه الانجيل وهو من جملة كتب الله المنزلة * وعن النقاش ان البسملة لما نزلت سبحت الجبال فقالت قريش سحر محمد الجبال قال السهيلى ان صح ما ذكره فانما سبحت الجبال خاصة لان البسملة انما نزلت على آل داود وقد كانت الجبال تسبح مع داود والله أعلم ثم لم يلبث ورقة ان توفى قال سبط ابن الجوزى وهو آخر من مات فى الفترة ودفن بالحجون فلم يكن مسلما ويؤيده ما جاء فى رواية فى سندها ضعف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه مات على نصرانيته وهذا يدل على أن من أدرك النبوة وصدق بنبوته صلى الله عليه وسلم ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها لا يكون مسلما بل من أهل الفترة فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس يعنى ورقة فى الجنة وعليه ثياب الحرير أى والقس بكسر القاف رئيس النصارى وبفتحها تتبع الشئ ٥ هذا وفى القاموس القس مثلث القاف تتبع الشئ وطلبه كالتقسس وبالفتح صاحب الابل الذى لا يفارقها ورئيس النصارى فى العلم وفى رواية أبصرته فى بطنان الجنة وعليه السندس وفى رواية قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا وأحسبه

شبيه يوسف عليه السلام فانظر الى عثمان رضى الله عنه وجاء فى فضله رضى الله عنه أن لكل نبى رفيقا فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان رضى الله عنه ولما وصلوا الحبشة أكرمهم النجاشى وأقاموا عنده آمنين وقالوا جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيأ نكرهه ولما هاجر الناس الى الحبشة اشتد البلاء على بقية المسلمين بمكة فأراد أبو بكر رضى الله عنه الهجرة الى الحبشة فخرج حتى بلغ برك الغماد وهو موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن فلقيه ابن الدغنة سيد القارة وهى قبيلة مشهورة من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس وكانوا حلفاء لبنى زهرة من قريش فقال ابن الدغنة لابى بكر رضى الله عنه أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر رضى الله عنه أخرجنى قومى فاريد أن أسيح فى الارض وأعبد ربى فقال ابن الدغنة مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق أنا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف عشية فى اشراف قريش فقال ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم ينكروا شيأ من ذلك وأجازوا جواره وقالوا مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة لابى بكر رضى الله عنه ما قالوه له واشترط ذلك عليه فلبث أبو بكر رضى الله عنه يعبد ربه فى داره ولا يستعلن به مدة ثم ابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه أى يزدحم عليه نساء المشركين وأبناؤهم حتى يسقط بعضهم على بعض ويعجبون من قراءته وبكائه وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا بكاء اذا قرأ لا يملك عينيه فشق ذلك على أشراف قريش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره وهو قد بنى له مسجدا وأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد

أى أظنه لو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض أقول صريح الرواية الثالثة أنه لم يره فى الجنة فقد تعددت الرؤية وأما الرواية الثانية فلا تخالف الرواية الاولى لان السندس من افراد الحرير فلا دلالة فى ذلك على التعدد والله أعلم وفى رواية لا تسبوا ورقة فانى رأيت له جنة أو جنتين ٥ لانه آمن بى وصدقنى أى قبل الدعوة التى هى الرسالة وحينئذ يكون معنى قوله له جنة أو جنتين هيئت له جنة أو جنتان ولا مانع أن يكون بعض أهل الفترة من أهل الجنة اذ لو كان مسلما حقيقة بأن أدرك الدعوة وصدق به لم يقل فيه صلى الله عليه وسلم وأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الائمة أى بناء على انه أدرك الدعوة الى الله تعالى التى هى الرسالة فى الامتاع ان ورقة مات فى السنة الرابعة من المبعث ويوافقه ما يأتى عن سيرة ابن اسحق وعن كتاب الخميس وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم لانه آمن بى وصدقنى واضحا لكن ينازع فى ذلك قوله وأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وسيأتى عن الذهبى ما يخالفه ويخالفه أيضا ما تقدم عن سبط ابن الجوزى انه من أهل الفترة وعن يحيى بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله يعنى عن ابتداء الوحى فقال لا أحدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيأ فنظرت عن يسارى فلم أر شيأ فنظرت من خلفى فلم أر شيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ بين السماء والارض أى وفى رواية فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى زاد فى رواية متربعا عليه وفى لفظ على عرش بين السماء والارض فرعبت منه فأتيت خديجة فقلت دثرونى أى وفى رواية زملونى زملونى وصبوا على ماء باردا فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر أى الملتف بثيابه قم فأنذر وربك فكبر ولم يقل بعد فأنذر وبشر لانه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لان البشارة انما تكون ان آمن ولم يكن أحد آمن قبل وهذا يدل على ان هذه الآية أول ما نزل أى قبل اقرأ أو أن النبوة والرسالة مقترنان قال الامام النووى والقول بأن أول ما نزل يا أيها المدثر ضعيف أباطل وانما نزلت بعد فترة الوحى أى ومما يدل على ذلك قوله فاذا الملك الذى جاءنى بحراء ومما يدل على ذلك أيضا ما فى البخارى ان فى رواية جابر انه صلى الله عليه وسلم حدث عن فترة الوحى أى لا عن ابتداء الوحى فما تقدم من قول بعضهم يعنى عن ابتداء الوحى فيه نظر وكذا فى قول الراوى عن جابر جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت لان جواره بحراء كان قبل فترة الوحى الا ان يقال جابر جاء عنه روايتان واحدة فى ابتداء الوحى وأخرى فى فترة الوحى وبعض الرواة خلط فان صدر الرواية يدل على ان ذلك كان عند ابتداء الوحى وعجزها يدل على ان ذلك كان فى فترة الوحى هذا ويجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جاور بحراء فى مدة فترة الوحى ويؤيد ذلك ما فى البيهقى عن مرسل عبيد بن عمير انه صلى الله عليه وسلم كان يجاور فى كل سنة شهرا وهو رمضان وكان ذلك فى مدة فترة الوحى وسيأتى الجمع بين الروايات فى أول ما نزل وعن اسمعيل ابن أبى حكيم مولى الزبير أنه حدث عن خديجة رضى الله تعالى عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتستطيع ان تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم أى وذلك قبل

خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فأتهم فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان أبى الا أن يعلن فسله أن يرد عليك ذمتك
فأتاه فذكر هما أن تخفرك أى تغدرك فاتى ابن الدغنة الى أبى بكر رضى الله عنه وقال قد علمت الذى عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على
ذلك واما أن ترد على ذمتى وجوارى فانى ٢٦٨ لا أحب أن تسمع العرب انى أخفرت فى رجل عقدت له ذمة فقال أبو بكر رضى الله
عنه لابن الدغنة فانى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى أى حمايته قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفى الحديث من فضائل الصديق رضى الله عنه أشياء كثيرة قد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تأملها كموافقة ابن الدغنة فى وصف الصديق رضى الله عنه لخديجة رضى الله عنها فيما وصفت به النبى صلى الله عليه وسلم عند ابتداء نزول الوحى عليه كما تقدم وذلك يدل على عظيم فضل الصديق رضى الله عنه واتصافه بالصفات البالغة فى أنواع الكمال وجاء فى بعض الاحاديث كنت أنا وأبو بكر كفرسى رهان فسبقته الى النبوة فتبعنى ولو سبقنى لتبعته يعنى لو جاءته النبوة لتبعته * وجاء فى بعض الاحاديث ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما خلقوا من طينة واحدة ثم فى شهر شوال سنة خمس من المبعث قدم نفر من مهاجرة الحبشة الى مكة لانه بلغهم أن كفار قريش أسلموا كلهم وسبب شيوع هذا الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ بحضرة من قريش سورة والنجم من أولها الى آخرها وسجد فى آخرها فلما سجد سجد معه المشركون الا رجلا واحدا وهو أمية بن خلف أخذ كفا من تراب ووضع جبهته عليه استكبارا من أن يسجد وقال يكفينى هذا والصحيح فى سبب سجودهم أنهم
توهموا أنه ذكر آلهتهم بخير حين سمعوا ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقيل ان الشيطان ألقى فى أسماعهم فى
خلال القراءة بعد قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وهذه الكلمات أعنى
تلك الغرانيق الخ أثبتها بعض المحدثين والمفسرين ونفاها آخرون وقالوا انها كذب لا أصل لها وطعنوا فى الاحاديث التى فيها ذكر

أن يأتيه بالقرآن أى بشئ منه وهو اقرأ باسم ربك بناء على انه أول ما نزل ولا ينافى ذلك قولها هذا الذى يأتيك اذا جاءك لان المعنى الذى يتراءى لك اذا رأيته فجاءه جبريل عليه السلام فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل قد جاء فى أى قد رأيته لكن سيأتى عن ابن حجر الهيتمى ان ذلك كان بعد البعثة قالت قم يا ابن عمى فاجلس على فخذى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس فى حجرى فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فى حجرها فقالت هل تراه قال نعم فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عمى اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا بشيطان والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأتاه فى بيتها جبرئيل * ولذى اللب فى الامور ارتياء
فأماطت عنها الخمار لتدرى * أهو الوحى أم هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الرأس جبريل فما عاد أو أعيد الغطاء
فاستبانت خديجة انه الكنز الذى حاولته والكيمياء

أى وأتاه قال ابن حجر أى بعد البعثة أى النبوة واجتماعه به فى بيتها حامل الوحى جبريل ولصاحب العقل الكامل فى الاحوال التى قد تشتبه استبصار فبسبب كمال استبصارها أزالت عن رأسها ما يغطى به الرأس لتعلم عين اليقين ان هذا الذى يعرض له صلى الله عليه وسلم هل هو حامل الوحى الذى كان يأتى به الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله أو هو الاغماء الذى هو بعض الامراض الجائزة عليهم عليهم الصلاة والسلام وفيه انه ينبغى أن يكون المراد به الاغماء الناشئ عن لمة الجن فيكون من الكهان لا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذى قال بسببه لخديجة لقد خشيت على نفسى وسيأتى انه كان يعتريه وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن ما كان يعتريه عند نزول الوحى عليه أى من الاغماء الى آخره فبسبب ازالتها ما تغطى به رأسها عنها اختفى فلم يعد الى ان أعادت غطاء رأسها عليه فاستبانت علمت علم اليقين ان ما يعرض له صلى الله عليه وسلم هو الوحى أى لا الجنى لان الملك لا يرى الرأس المكشوف من المرأة بخلاف الجنى وشبه الناظم ذلك بالشئ النفيس والامر العظيم لان كلا من الكنز والكيمياء لا يظفر به الا القليل من الناس لعزتهما (أقول) وفى الخصائص الكبرى ما يدل لما قلناه من ان ما فعلته خديجة كان عند تراثيه له صلى الله عليه وسلم وقبل اجتماعه به وقول بعضهم ان ذلك من خديجة كان بارشاد من ورقة فانه قال لها اذهبى الى المكان الذى رأى فيه ما رأى فاذا رآه فتحسرى فان يكن من عند الله لا يراه أى يتراءى له وهو فى بيت خديجة ففعلت قالت فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره فرجعت فاخبرت ورقة فقال انه ليأتيه الناموس الاكبر * وفى فتح البارى ان فى سيرة ابن اسحق ان ورقة كان يمر ببلال رضى الله تعالى عنه وهو يعذب وذلك يقتضى انه تأخر الى زمن الدعوة والى ان دخل بعض الناس فى الاسلام أى وفى كلام صاحب كتاب الخميس فى الصحيحين ان الوحى تتابع فى حياة ورقة وانه آمن به وتقدم انه الموافق لما فى الامتاع من انه مات فى السنة الرابعة من البعثة وتقدم انه مخالف لما تقدم عن سبط ابن

الجوزى

ذلك وقالوا سبب سجودهم اغماء هو توهمهم مدح آلهتهم فقط والذين أثبتوها اختلفوا فيها اختلافا كثيرا والمحققون على تسليم ثبوتها
أنها ليست من كلام النبى صلى الله عليه وسلم بل الشيطان ألقاها الى اسماعهم ايهاما لهم ولم يسمعها أحد من المسلمين وهذا هو المراد من
قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان ٢٦٩ فى أمنيته الآيات وقيل ان بعض الكفار هم
الذين نطقوا بذكر تلك الكلمات فى خلال قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يكثرون اللغط والصياح عند قراءته صلى الله عليه وسلم ويتكلمون بالفحش خوفا من اصغاء الناس الى القراءة وسماعهم لها وكان ذلك كله باغراء من الشيطان وقد حكى الله عنهم ذلك فى قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ولما تبين الامر أنزل الله تعالى وما أرسلنا من قبلك الآيات ولا اشكال حينئذ فى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم ولما بلغ أرض الحبشة خبر اسلام أهل مكة فرح المسلمون الذين بأرض الحبشة وقالوا ان المسلمين قد أمنوا بمكة من الاذى فأقبلوا من أرض الحبشة سراعا حتى اذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد يشتم آلهتهم فعادوا له بالشر فتركناهم على ذلك فائتمروا القوم أى تشاوروا فى الرجوع الى الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة ندخل فننظر ما فيه قريش ونحدث عهدا بأهلنا ثم نرجع فدخلوها ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود رضى الله عنه فانه دخل بلا جوار ومكث قليلا ثم أسرع الرجوع الى الحبشة وعن عثمان بن مظعون
رضى الله عنه أنه لما رجع من الحبشة مع من رجع دخل مكة فى جوار الوليد بن المغيرة المخزومى فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين
المستضعفين الذين ليس لهم من يجيرهم ولا يدفع وهو آمن لا يؤذيه أحد رد على الوليد جواره وقال أكتفى بجوار الله فبينما هو فى
مجلس من مجالس قريش اذ وفد عليهم لبيد بن ربيعة قبل اسلامه رضى الله عنه فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد

الجوزى ويخالف أيضا القول الذهبى الاظهر أنه مات بعد النبوة وقبل الرسالة أى بناء على تأخرها ويدل لتأخرها ما تقدم من قول ورقة يا ليتنى فيها جذع فقد تقدم ان المراد يا ليتنى أكون فى زمن الدعوة أى ومن أدرك النبوة ولم يدرك البعثة لا يكون مسلما بل هو كما تقدم من أهل الفترة لان الايمان النافع عند الله تعالى الذى يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود فى النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم أى بما أرسل به وان لم يقر بالشهادتين مع التمكن من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وقيل لا بد مع ذلك من الاقرار بالشهادتين للمتمكن منه وحيث أدرك الرسالة فقد أسلم وحينئذ يكون صحابيا ونقل بعضهم عن الحافظ ابن حجر أنه فى الاصابة تردد فى ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل قال لكن المفهوم من كلامه فى شرح النخبة ثبوتها وانه يفرق بينه وبين بحيرا بأن ورقة أدرك البعثة وانه لم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا وهو ظاهر والتعريف السابق يشمله هذا كلامه وتعريفه السابق للصحابى هو من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا وعبارة شرح النخبة هل يخرج أى من تعريف الصحابى من لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به من لقيه مؤمنا بأنه سيبعث ولم يدرك البعثة محل نظر ولا يخفى عليك أن ما فى شرح النخبة لا يدل لهذا البعض على أنه تقدم ان ابن حجر فى الاصابة قال فى بحيرا ما أدرى أدرك البعثة أم لا ولا يخفى عليك ما تقدم عن ابن حجر من ان ورقة أدرك البعثة وانه لم يدرك الدعوة فانه يقتضى أن البعثة عبارة عن النبوة لا عن الرسالة وان الرسالة هى الدعوة لا البعثة (وروى ابن اسحق) عن شيوخه أنه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك هذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر فقالت له خديجة أوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا ولم أقف على من كان يرقيه ولا على ما كان يرقى به * واشتهر على بعض الالسنة أن آمنة يعنى أمه صلى الله عليه وسلم رقت النبى من العين ولعل مستند ذلك ما تقدم عن أمه أنها لما كانت حاملا به جاءها الملك وقال لها قولى اذا ولدتيه

أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد

والظاهر أنها قالت ذلك (وعن أسماء) بنت عميس رضى الله تعالى عنها أنها قالت يا رسول الله ان ابنى جعفر أى ولديها من جعفر بن أبى طالب تصيبهما العين أفنسترقى لهما قال نعم لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين فان قيل بهذه الامور علم صلى الله عليه وسلم أن جبريل ملك لا جنى فمن أين علم أنه يتكلم عن الله تعالى أجيب بانه على تسليم ان قول ورقة المذكور وما تقدم عنه لا يفيده العلم فقد يقال خلق الله تعالى فيه صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بعد ذلك علم به أنه جبريل وأنه يتكلم عن الله تعالى كما خلق فى جبريل علما ضروريا بأن الموحى اليه هو الله وقد ذكر بعض المفسرين أنه صلى الله عليه وسلم كان له عدو من شياطين الجن يقال له الابيض كان يأتيه فى صورة جبريل واعترض بأنه يلزم عليه عدم الوثوق بالوحى وأجيب عنه بمثل ما هنا وهو أن الله تعالى جعل فى النبى صلى الله عليه وسلم علما ضروريا يميز به بين جبريل عليه السلام

وبين هذا الشيطان ولعل هذا الشيطان غير قرينه الذي أسلم (وفي كلام ابن العماد) وشيطان الانبياء يسمى الابيض والانبياء معصومون منه وهذا الشيطان هو الذي أغوى به برصيصا الراهب العابد بعد عبادته خمسمائة سنة وهو المعني بقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك هذا كلامه والله أعلم (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان من الانبياء من يسمع الصوت أي ولا يرى مصوتا فيكون بذلك نبيا قال بعضهم يحتمل أن يكون صوتا تخلقه الله تعالى في الجو أي ليس من جنس الكلام وخلق لذلك النبي فهم المراد منه عند سماعه ويحتمل أن يكون من جنس الكلام المعهود يتضمن كون ذلك الشخص صار نبيا قال صلى الله عليه وسلم وان جبريل يأتيني فيكلمني كما يأتي أحدكم صاحبه فيكلمه و يبصره من غير حجاب أي وفي رواية كنت أراه أحيانا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال ولا يخفى ان هاتين الحالتين كل منهما حالة من حالات الوحي وحينئذ اما أن يكون جبريل عليه السلام على صورة دحية الكلبي وهو بكسر الدال المهملة على المشهور وحكي فتحها أو على صورة غيره ومنه ما وقع في حديث عمر رضي الله تعالى عنه بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد الحديث ورواية البخاري تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه الا في آخر الامر وورد ما جاءني يعني جبريل في صورة لم أعرفها الا في هذه المرة وفي صحيح ابن حبان والذي نفسي بيده ما اشتبه علي منذ أتاني قبل مرته هذه وما عرفته حتى ولى وبهذا يعلم ما في كلام الامام السبكي حيث قسم الوحي الى ثلاثة أقسام حيث قال في تائيته

ولا زملك الناموس اما بشكله * واما بنفث أو بحلية دحية

فليتأمل قيل وكان اذا أتاه على صورة الآدمي يأتيه بالوعد والبشارة فان قيل اذا جاء جبريل عليه السلام على صورة الآدمي دحية أو غيره هل هي الروح تتشكل بذلك الشكل وعليه هل يصير جسده الاصلي حيا من غير روح أو يصير ميتا أجيب بان الجائي يجوز أن لا يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالى جعل في الملائكة قدرة على التطور والتشكل باي شكل أرادوه كالجن فيكون الجسد واحدا ومن ثم قال الحافظ ابن حجران تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط وأخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة أنه لا مانع ولا بعد أن الحق سبحانه وتعالى يظهر في صورة علي رضي الله تعالى عنه وأولاده أي الائمة الاثني عشر وهم الحسن والحسين وابن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن محمد الباقر جعفر الصادق وابن جعفر الصادق موسى الكاظم وابن موسى الكاظم علي الرضا وابن علي الرضا محمد الجواد وابن محمد الجواد علي التقي والحادي عشر حسن العسكري والثاني عشر ولد حسن العسكري وهو المهدي صاحب الزمان وهو حي باق الى أن يجتمع بسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام على ما فيه فقد قال عبد الله بن سبا يوما لعلي رضي الله تعالى عنه أنت أنت

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان بن مظعون رضي الله عنه صدقت فقال * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش متى كان يؤذى جليسكم فقام رجل منهم فلطم عثمان بن مظعون فاخضرت عينه فلامه الوليد على رد جواره وقال له قد كنت في ذمة منيعة فقال عثمان ان عيني الاخرى الى ما أصاب أختها لفقيرة وقال الوليد عد الى جوارك فقال لا بل أرضى بجوار الله تعالى وكان من جملة من رجع من الحبشة بعد الهجرة الاولى عند بلوغهم خبر اسلام قريش أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومي زوج أم سلمة رضي الله عنها قبل أن يتزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو سلمة من السابقين للاسلام وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم لان أمه برة بنت عبد المطلب ولما رجع الى مكة مع من رجع دخل في جوار خاله أبي طالب فمشى الى أبي طالب رجال من مخزوم أي جاؤا اليه وقالوا يا أبا طالب منعت منا ابن أخيك فمالك ولصاحبنا تمنعه منا يريدون أخذه وتعذيبه فقال لهم أبو طالب انه استجار بي وانه ابن أختي وأنا ان لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي وقام أبو لهب مع أبي طالب على أولئك الرجال وقال لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه لتنتهن أو لنقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد قالوا ننصرف عما تكره يا أبا عتبة وأجازوا ذلك الجوار خوفا من ان يكون أبو لهب مع أبي طالب في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لان أبا لهب كان مع قريش في منابذة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداته فكان أبو لهب لقريش وليا وناصرا فخافوا من خروجه من بينهم ولما نصر أبو لهب أبا طالب في هذه القصة طمع أبو طالب في أن يكون أبو لهب معه في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ أبياتا يعرضه فيها على نصرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفعل ثم لما تبين للمسلمين الذين رجعوا من الحبشة ان قريشا لم يسلموا رجعوا الى الحبشة وتسمى هذه الرجعة بالهجرة الثانية الى الحبشة فهاجر عامة من آمن بالله ورسوله أي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة

يعني أنت الاله فنفاه علي الى المدائن وقال لا تساكني في بلد أبدا وكان عبد الله بن سبا هذا يهوديا كان من أهل صنعاء وأمه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء وكان أول من أظهر سب الشيخين ونسبهما للافتيات على سيدنا علي رضي الله تعالى عنه ولما قيل لسيدنا علي لولا انك تضمر ما أعلن به هذا ما اجترأ على ذلك فقال علي معاذ الله اني أضمر لهما ذلك لعن الله من أضمر لهما الا الحسن الجميل فأرسل الى ابن سبا فأظهر الاسلام في أول خلافة عثمان وقيل في أول خلافة عمر وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام وخذلان أهله وكان يقول قبل اظهاره الاسلام في يوشع بن نون بمثل ما قال في علي وكان يقول في علي انه حي لم يقتل وان فيه الجزء الالهي وانه يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل بعد ذلك الى الارض فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما وعبد الله هذا كان يظهر أمر الرجعة أي انه صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وكان يقول العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد وقد قال الله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فمحمد أحق بالرجوع من عيسى وأظهر أمر الوصية أي ان عليا رضي الله تعالى عنه أوصى له صلى الله عليه وسلم بالخلافة وكان هو السبب في اثارة الفتنة التي قتل فيها عثمان رضي الله تعالى عنه كما سيأتي ومن غلاة الشيعة من قال بألوهية أصحاب الكساء الخمسة محمد صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم ومنهم من قال بالوهية جعفر الصادق والوهية آبائه وهم الحسين وابنه زين العابدين وابن زين العابدين محمد الباقر وهؤلاء الشيعة موافقون في ذلك لمن يقول بالحلول وهم الحلاجية أصحاب حسين بن منصور الحلاج كانوا اذا رأوا صورة جميلة زعموا أن معبودهم حل فيها وممن زعم الحلول حتى ادعى الالوهية المقنع عطاء الخراساني وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة ادعى ان الله عز وجل حل في صورة آدم ثم في صورة نوح ثم الى أن حل في صورته هو فافتتن به خلق كثير بسبب التمويهات التي أظهرها لهم فانه كان يعرف شيأ من السحر والنيرنجيات فقد أظهر قمرا يراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ثم يغيب ولما اشتهر أمره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه وجاؤا الى القلعة التي كان متحصنا بها فلما علم ذلك أسقى أهله سما فشربوا وماتوا ودخل الناس تلك القلعة فقتلوا من بقي حيا بها من أتباعه والقول بالاتحاد كفر فقد قال العز بن عبد السلام من زعم أن الاله يحل في شيء من أجسام الناس أو غيرهم فهو كافر وأشار الى انه كافر اجماعا من غير خلاف وأنه لا يجري فيه الخلاف الذي جرى في تكفير المجسمة ومن ثم ذكر القاضي عياض في الشفاء ان من ادعى حلول الباري في أحد الاشخاص كان كافرا باجماع المسلمين وقول بعض العارفين وهو أبو يزيد البسطامي سبحاني ما أعظم شاني وقوله اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدون وقوله وأنا ربي الاعلى وقوله أنا الحق وهو أنا وأنا هو ليس من دعوى الحلول في شيء وانما قوله سبحاني اني أنا الله محمول على الحكاية أي قال ذلك على لسان الحق من باب حديث ان الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده وقوله أنا ربي الاعلى وأنا الحق الخ انما قال ذلك لانه انتهى سلوكه الى الله تعالى بحيث استغرق في بحر التوحيد بحيث غاب عن كل ما سواه سبحانه

وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله ابن مسعود وعبيد الله بالتصغير ابن جحش ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر زوجها هنالك ثم مات على النصرانية وبقيت أم حبيبة رضي الله عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت رأيت في المنام آتيا يقول يا أم المؤمنين ففزعت وأولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني فكان كذلك وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أنه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه فامرهم جعفر بالاقامة فاستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم عند فتح خيبر كما سيأتي ان شاء الله وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مقيمين عند النجاشي على أحسن مقام بخير دار عند خير جار فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمارة بن الوليد ابن المغيرة المخزومي ولكن المحققون على ان عبد الله بن أبي ربيعة لم يكن مع عمرو في هذه السفرة وانما كان معه في سفرة أخرى وهي التي بعد وقعة بدر كما سيأتي وأما هذه السفرة فالرسولان فيها عمرو وعمارة فقط وعمارة هذا هو الذي أرادت قريش دفعه لابي طالب بريبه بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم و يعطيهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلونه وبعثت قريش مع أولئك النفر هدية للنجاشي فرسا وجبة ديباج واهدوا ايالعظماء الحبشة ليعينوهم في قضاء طلبهم وهو ان يردوا من جاء اليهم من المسلمين فدخل على النجاشي عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله وقيل أجلس عمرو بن العاص معه على سريره وقبل هديتهما فقالا له ان نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا ولم يدخلوا

فى دينكم بل جاؤا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قريش ليردهم اليهم قال وأين هم قالوا بأرضك فارسل
فى طلبهم وقال له عظماء الحبشة ادفعهم اليهم فهم أعرف بحالهم فقال لهم لا والله حتى أعلم على أى شئ هم فقال عمرو وهم لايسجدون
لك وفى رواية لايخزون لك ولايحيونك كما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاؤا قال لهم
جعفر رضى الله عنه أنا خطيبكم
اليوم وفى رواية لما جاءهم رسول
النجاشى يطلبهم اجتمعوا ثم قال
بعضهم لبعض ما تقولون للرجل
اذا جئتموه فقال جعفر رضى الله
عنه أنا خطيبكم اليوم وانما نقول
ما علمنا وما أمرنا به رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويكون ما يكون
وقد كان النجاشى دعا أساقفته
وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله
فلما جاء جعفر وأصحابه صاح جعفر
وقال جعفر بالباب يستأذن
ومعه حزب الله فقال النجاشى نعم
يدخل بأمان الله وذمته فدخل
عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال الملك
لاتسجدوا فقال عمرو لعمارة ألا
ترى كيف يكتنون بحزب الله وما
أجابهم به الملك وفى رواية أخرى لم
يذكر فيها ان الملك قال لهم
لاتسجدوا وذكر بدله ان عمرو
ابن العاص قال للنجاشى ألا ترى
أيها الملك انهم مستكبرون ولم
يحيوك بتحيتك يعنى السجود
فقال النجاشى ما منعكم ان تسجدوا
لى وتحيونى بتحيتى التى أحيابها
فقال جعفر انا لانسجد الا لله عز
وجل قال ولم ذلك قال لان الله
تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا
أن لانسجد الا لله عز وجل وأخبرنا
ان تحية أهل الجنة السلام
فحييناك بالذى يحيى به بعضنا
بعضا وأمرنا بالصلاة يعنى ركعتين
بالغداة وركعتين بالعشى لان
الصلوات الخمس لم تكن فرضت
ذلك الوقت وأمرنا بالزكاة أى مطلق الصدقة لان زكاة المال لم تفرض الا بالمدينة وقيل المراد من
الزكاة الطهارة قال عمرو بن العاص للنجاشى فانهم يخالفونك فى ابن مريم العذراء يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام ولا يقولون انه ابن
الله قال النجاشى فما تقولون فى ابن مريم وأمه قال جعفر نقول كما قال الله تعالى روح الله وكلمته ألقاها الى مريم فقال النجاشى يا معشر

وصار لا يرى فى الوجود غيره سبحانه وتعالى الذى هو مقام الفناء ومحو النفس وتسليم الامر كله لله تعالى وترك الارادة منه والاختيار فالعارف اذا وصل الى هذا المقام ربما قصرت عبارته عن بيان ذلك الحال الذى نازله فصدرت عنه تلك العبارة الموهمة للحلول وقد اصطلحوا على تسمية هذا المقام الذى هو مقام الفناء بالاتحاد ولا مشاحة فى الاصطلاح لانه اتحد مراده بمراد محبوبه فصار المرادان واحدا الفناء ارادة المحب فى مراد المحبوب فقد فنى عن هوى نفسه وحظوظها فصار لا يحب الا لله ولا يبغض الا لله ولا يوالى الا لله ولا يعادى الا لله ولا يعطى الا لله ولا يمنع الا لله ولا يرجو الا الله ولا يستعين الا بالله فيكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما (وفى كلام سيدى على وفى) رضى الله تعالى عنه حيث أطلق القول بالاتحاد فى كلام القوم من الصوفية فمرادهم فناء مرادهم فى مراد الحق جل وعلا كناية لا بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما على وفق مراد الآخر ولله المثل الاعلى هذا كلامه رضى الله تعالى عنه ورضى عنا به وهذا المقام غير مقام الوحدة المطلقة الخارجة عن دائرة العقل التى ذكر السعد والسيد أن القول بها باطل وضلال أى لانه يلزم عليها القول بالجمع بين الضدين فقد قال بعض العلماء حضرة الجمع عبارة عن شهود اجتماع الرب والعبد فى حال فناء العبد فيكون العبد معدوما موجودا فى آن واحد ولا يدرك ذلك الا من أشهده الله الجمع بين الضدين ومن لم يشهده ذلك أنكره ويجوز أن يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن أن يجعل الله لروح الملك قوة يقدر بها على التصرف فى جسد آخر غير جسده المعهود مع تصرفها فى ذلك الجسد المعهود كما هو شأن الابدال لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر مشبها لشبحهم الاصلى بدلا عنه وقد ذكر ابن السبكى فى الطبقات ان كرامات الاولياء أنواع وعد منها أن يكون لهم أجساد متعددة قال وهذا الذى تسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره أى كواقعة الشيخ عبد القادر الطحطوطى نفعنا الله تعالى به فقد ذكر الجلال السيوطى رحمه الله تعالى أنه رفع اليه سؤال فى رجل حلف بالطلاق أن ولى الله الشيخ عبد القادر الطحطوطى بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على أحدهما قال فارسلت قاصدى الى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال ولو قال اربعة انى بت عندهم لصدقوا فأفتيت أنه لا حنث على واحد منهما لان تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان وقد قيل فى الابدال انهم انما سموا ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم الاول شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه ويقال له عالم المثال كما تقدم فهو عالم متوسط بين عالم الاجساد وعالم الارواح فهو ألطف من عالم الاجساد وأكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر فى صور مختلفة من عالم المثال قال وهذا الجواب أولى مما تكلفه بعضهم فى الجواب عن جبريل بانه كان يندمج بعضه فى بعض أى الذى أجاب به الحافظ ابن حجر ومما يدل على وجود المثال رؤيته صلى الله عليه وسلم للجنة والنار فى عرض الحائط وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه بانه مثل له يعقوب بمصر وهو بالشام ومن ذلك ما اشتهر أن الكعبة شوهدت تطوف ببعض

الحبشة والقسيسين ما تزيدون على ما تقولون أشهد انه رسول الله وانه المبشر به عيسى فى الانجيل ومعنى كونه روح الله انه حاصل
عن نفخة روح القدس الذى هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله انه قال له كن فكان وفى رواية ان النجاشى قال لمن عنده من القسيسين
والرهبان أنشدكم بالله الذى أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا صفته ما ذكر
هؤلاء قالوا اللهم نعم قد بشر به
عيسى فقال من آمن به فقد آمن
بى ومن كفر به فقد كفر بى فعند
ذلك قال النجاشى والله لولا ما أنا
فيه من الملك لاتبعته فأكون أنا
الذى أحمل نعليه وأوضيه أى
اغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا
حيث شئتم من أرضى آمنين بها
وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق
وقال من نظر الى هؤلاء الرهط
نظرة تؤذيهم فقد عصانى وفى
رواية قال لهم اذهبوا فأنتم آمنون
من سبكم غرم قالها ثلاثا أى غرم
أربعة دراهم أو ضعفها وأمر
بهدية عمرو ورفيقه فردها عليهما
وفى رواية ان النجاشى قال
ما أحب ان يكون لى دير من ذهب
أى جبل وان أوذى رجلا منكم
ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لى
بها فوالله ما أخذ الله منى الرشوة
حين رد على ملكى فآخذ الرشوة
وما أطاع الناس فى فأطيعهم
فيه وكان النجاشى أعلم النصارى
بما أنزل على عيسى عليه السلام
وكان قيصر يرسل اليه علماء
النصارى ليأخذوا العلم عنه وقد
بينت عائشة رضى الله عنها السبب
فى قول النجاشى ما أخذ الله منى
الرشوة حين رد على ملكى وهو
أن والد النجاشى كان ملكا
للحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذى
هو عم النجاشى فنشأ النجاشى فى
حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه
اثنا عشر ولدا لا يصلح واحد منهم
للملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشى خافوا ان يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لابيه فمشوا لعمه فى قتله فأبى وأخرجه وباعه
ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة ان لا يصلح أمرها الا النجاشى ذهبوا وجاؤا به من عند الذى
اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة وفى رواية ما يقتضى ان الذى اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به

الاولياء فى غير مكانها ومن وقع له ذلك أبو يزيد البسطامى والشيخ عبد القادر الجيلى والشيخ ابراهيم المتبولى نفعنا الله تعالى ببركاتهم ولعل مجئ جبريل على صورة دحية كان فى المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها فيبعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه قال الشيخ الاكبر رضى الله تعالى عنه دحية الكلبى كان أجمل أهل زمانه وأحسنهم صورة فكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى صورته اعلاما من الله تعالى أنه ما بينى وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن والجمال وهى التى لك عندى فيكون ذلك بشرى له ولا سيما اذا أتى بأمر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحركه ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا يأتيه الا على تلك الصورة الجميلة الا أن يدعى ان من حين أتاه على صورة دحية لم يأته على صورة آدمى غيره وتكون واقعة سيدنا عمر سابقة على ذلك لكن تقدم أنه كان اذا أتاه على صورة الآدمى يأتيه بالوعد والبشارة أى لا بالوعيد والزجر فليتأمل وفى البرهان للزركشى فى التنزيل أى تلقى القرآن طريقان أحدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية وأخذه من جبريل أى لان الانبياء يحصل لهم الانسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة الالهية من غير اكتساب فيما هو أقرب من لمح البصر والثانى أن الملك انخلع من الملكية الى البشرية حتى أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه هذا كلامه والراجح أن المنزل اللفظ والمعنى تلقفه جبريل من الله تعالى تلقفا روحانيا أو ان الله تعالى خلق تلك الالفاظ أى الاصوات الدالة عليها فى الجو وأسمعها جبريل وخلق فيه علما ضروريا بأنها دالة على ذلك المعنى القديم القائم بذاته تعالى وأوحاه اليه صلى الله عليه وسلم كذلك أو حفظه جبريل من اللوح المحفوظ ونزل به وعلم أن من حالات الوحى النفث أى انه كان ينفث فى روعه الكلام نفثا قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس أى المخلوق من الطهارة يعنى جبريل نفث أى ألقى والنفث فى الاصل النفخ اللطيف الذى لا ريق معه فى روعى بضم الراء أى قلبى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب أى عاملوا بالجميل فى طلبكم وتمته ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله أى كالكذب فان ما عند الله لن ينال الا بطاعته * وفى كلام ابن عطاء الله الاجمال فى الطلب يحتمل وجوها كثيرة منها أن لا يطلبه مكبا عليه مشتغلا عن الله تعالى به ومنها أن يطلبه من الله تعالى ولا يعين قدرا ولا وقتا لان من طلب وعين قدرا أو وقتا فقد تحكم على ربه وأحاطت الغفلة بقلبه ومنها أن يطلب وهو شاكر لله ان أعطى وشاهد حسن اختياره اذا منع ومنها أن يطلب من الله تعالى ما فيه رضاه ولا يطلب ما فيه حظوظ دنياه ومنها أن يطلب ولا يستعجل الاجابة وفى حديث ضعيف اطلبوا الحوائج بعزة النفس فان الامور تجرى بالمقادير ومن حالات الوحى أنه كان يأتيه فى مثل صلصلة الجرس وهى أشد الاحوال عليه صلى الله عليه وسلم أى لما قيل انه كان يأتيه فى هذه الحالة بالوعيد والنذارة (أقول) روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن الحرث ابن هشام رضى الله تعالى عنه وهو أخو أبى جهل لابويه وكان يضرب به المثل فى السودد حتى

الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ماهم فيه خرجوا فى طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ماسيأتى
انه عند وقعة بدر أرسل وطلب من كان عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ماهذا
أيها الملك فقال انا نجد فى الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث لعبده نعمة وجب عليه ان يحدث لله تواضعا وان الله تعالى
قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهى ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه التقوا مع أعدائه وأعدائهم واقتتلوا بواد يقال له الاراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدى من بنى ضمرة وان الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه * وذكر السهيلى انه كان اذا قرئ عليه القرآن يبكى حتى تخضل لحيته وهذا يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب مايفهم به معانى القرآن وعن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لانؤذى ولانسمع شيأ نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وان يهدوا للنجاشى هدايا مما يستطيعون من متاع مكة وكان أعجب مايأتيه منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا اليه هدية أى هيؤا له هدية ولا يخالف ماتقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز أن يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرق على اتباعه ليعاونوهما على مطلوبهما والاقتصار على الفرس والجبة فى الرواية لسابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبون من النجاشى ان يسلمنا لهم أى قبل ان
يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لانهما أوصلا هداياهم اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم الله
الينا قبل ان يكلمهم موافقة لما وضب عليه قريش فقد ذكر انهم قالوا لهما ادفعوا الكل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشى
فيهم ثم تقدما للنجاشى هداياه ثم اسألاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم فلما جاآ الى الملك قالا له أيها الملك قد صبا الى بلدك منا غلمان

قال الشاعر
أحببت أن أبلك حين تسبنى * فى المجد كان الحرث بن هشام
أولى قريش بالمكارم والندى * فى الجاهلية كان والاسلام

أسلم يوم الفتح وسيأتى انه استجار فى ذلك اليوم بأم هانئ أخت على بن أبى طالب وأراد على قتله فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد أجرنا من أجرت ياأم هانئ وحسن اسلامه وشهد حنينا وكان من المؤلفة كما سيأتى سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى أى حامله الذى هو جبريل قال أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم بالفاء أى يقلع عنى وقد وعيت ماقال وفى رواية يأتينى احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس وأحيانا يتمثل لى الملك أى الذى هو حامل الوحى رجلا أى يتصور بصورة الرجل وفى رواية فى صورة الفتى فيكلمنى فأعى مايقول وروى أنه فى الحالة الثانية ينفلت منه مايعيه بخلاف الحالة الاولى ونص هذه الرواية كان الوحى يأتينى على نحوين يأتينى جبريل فيلقيه على كما يلقى الرجل على الرجل فذلك ينفلت منى ويأتينى فى شئ مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبى فذلك الذى لاينفلت منى قيل وانما كان ينفلت منه فى الحالة الاولى لشدة تأنسه بحامله لانه يأتى اليه فى صورة يعهدها ويخاطبه بلسان يعهده فلا يتثبت فيما ألقى اليه بخلافه فى الحالة الثانية لان سماع مثل هذا الصوت الذى يفزع منه القلب مع عدم رؤية أحد يخاطبه اذا علم أنه وحى اضطر الى التثبت فى ذلك وقوله أى حامله يخالف قول الحافظ ابن حجر حيث ذكر ان قوله مثل صلصلة الجرس بين به صفة الوحى لا صفة حامله وفيه ان ذلك لايناسب قوله وقد وعيت ماقال وقول بعضهم الصلصلة المذكورة هى صوت الملك بالوحى وقوله يأتينى أحيانا له صلصلة كصلصلة الجرس وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا وكان صلى الله عليه وسلم يجد ثقلا عند نزول الوحى ويتحدر جبينه عرقا فى البرد كأنه الجمان وربما غط كغطيط البكر محمرة عيناه وعن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه كان اذا نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك ومرة وقع فخذه على فخذى فوالله ماوجدت شيأ أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما أوحى اليه وهو على راحلته فترعد حتى يظن ان ذراعها ينقسم وربما بركت أى وجاء أنه لما نزلت سورة المائدة عليه صلى الله عليه وسلم كان على ناقته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها وفى رواية فاندق كتف راحلته العضباء من ثقل السورة ولا يخالف ماقبله لانه جاز أن يكون حصل لها ذلك فكان سببا لنزوله ثم رأيت فى رواية مايصرح بذلك وجاء مامن مرة يوحى الى الا ظننت ان نفسى تقبض منه وعن أسماء بنت عميس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يكاد يغشى عليه وفى رواية يصير كهيئة السكران أقول أى يقرب من حال المغشى عليه لتغيره عن حالته المعهودة تغيرا شديدا حتى تصير صورته صورة السكران أى مع بقاء عقله وتمييزه ولا ينافى ذلك قول بعضهم ذكر العلماء أنه صلى الله عليه وسلم كان يؤخذ عن الدنيا لانه يجوز أن يكون مع ذلك على عقله وتمييزه على خلاف العادة وهذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم وحينئذ فلا ينتقض وضوءه ثم رأيت صاحب الوفاء قال فان قال قائل ماكان يجرى عليه صلى الله عليه وسلم من البرحاء حين نزول الوحى هل ينتقض وضوءه والجواب لا لانه صلى

سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاؤا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنت جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول
الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ليردوهم اليهم فهم أعلم بما عابوا
عليهم فقال بطارقته صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم فأسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشى وقال
لاهاء الله أى لا والله لا أسلمهم ولا يكادون من قومهم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان من أمرهم فان كان كما يقولان سلمتهم اليهما والا منعتهم عنهما وأحسنت جوارهم ماجاورونى قال جعفر رضى الله عنه ثم أرسل الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره مالكم لاتسجدون للملك قلنا لانسجد الا لله تعالى فقال النجاشى ماهذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من الملوك قلنا أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسئ الجوار ويأكل القوى الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافته فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع أى نترك ماكان يعبد آباؤنا من دونه من الاحجار والاوثان وأمرنا أن نعبد الله وحده وأمرنا بالصلاة أى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى والزكاة أى مطلق الصدقة والصيام أى ثلاثة أيام من كل شهر لان صوم رمضان انما فرض بالمدينة وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء أى ونهانا عن
الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة
الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك
ورجونا أن لانظلم عندك أيها الملك فقال النجاشى لجعفر هل عندك شئ مما جاء به قلت نعم قال فاقرأ على فقرأت عليه صدرا من

الله عليه وسلم كان محفوظا فى منامه تنام عيناه ولا ينام قلبه فاذا كان النوم الذى يسقط فيه الوكاء لاينقض وضوءه فالحالة التى أكرم فيها بالمسارة والقاء الهدى الى قلبه أولى لكون طباعه فيها معصومة من الاذى هذا كلامه وماذكرناه أولى لما تقرر أن الاغماء أبلغ من النوم فليتأمل وفى كلام الشيخ محيى الدين مايدل على أنه صلى الله عليه وسلم وجميع من يأتيه الوحى من الانبياء كان اذا جاءه الوحى يستلقى على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحى اليهم أن الوارد الالهى الذى هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانسانى عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى صدع فيغلف رأسه بالحناء قيل وهو محمل قول بعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالحناء والا فهو عليه الصلاة والسلام لم يخضب لانه لم يبلغ سنا يخضب فيه وفيه أنه امر بالخضاب للشباب فقد جاء اختضبوا بالحناء فانه يزيد فى شبابكم وجمالكم ونكاحكم (وفى مسلم) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى لم يستطع أحد منا يرفع طرفه اليه حتى ينقضى الوحى وفى لفظ كان اذا نزل عليه صلى الله عليه وسلم الوحى استقبلته الرعدة وفى رواية كرب لذلك وتربد له وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة أخذه من الشدة والكرب على قدر شدة السورة واذا أنزل عليه السورة اللينة أصابه من ذلك على قدر لينها وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل وذكر الحافظ ابن حجران دوى النحل لايعارض صلصلة الجرس أى المتقدم ذكرها لان سماع الدوى بالنسبة للحاضرين والصلصلة بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم فالراوى شبهه بدوى النحل والنبى صلى الله عليه وسلم شبهه بصلصلة الجرس أى فالمراد بهما شئ واحد والله أعلم (ومن حالاته) أى حالات الوحى أى حامله انه كان يأتيه على صورته التى خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح أقول فيوحى اليه فى تلك الحالة كما هو المتبادر وفيه أنه جاء عن عائشة وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل على صورته التى خلقه الله عليها الا مرتين حين سأله أن يريه نفسه فقال وددت انى رأيتك فى صورتك أى وذلك بحراء أوائل البعثة بعد فترة الوحى بالافق الاعلى من الارض وهذه المرة هى المعنية بقوله تعالى ولقد رآه بالافق المبين وبقوله تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى طلع جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر النبى صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه الحديث * والاخرى ليلة الاسراء المعنية بقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى وسيأتى الكلام على ذلك * وفى الخصائص الصغرى خص صلى الله عليه وسلم برؤيته جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها أى لم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة الا نبينا صلى الله عليه وسلم (وذكر السهيلى) أن المراد بالاجنحة فى حق الملائكة صفة ملكية

كهيعص أى الكون افم سائفه من مريم وعيسى عليهما السلام فبكى والله النجاشى حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته وفى رواية هل
عندك مما جاء به عن الله شئ فقال جعفر نعم قال فاقرأه على قال البغوى فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه
بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث ٢٧٦ فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشى هذا والله الذى جاء به موسى وفى
رواية ان هذا والذى جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وهذا يدل على أن عيسى عليه السلام كان مقررا لما جاء به موسى وفى رواية بدل موسى عيسى ويؤيده مافى رواية انه قال مازاد هذا على مافى الانجيل الا هذا العود مشيرا لعود كان فى يده أخذه من الارض وأنزل الله فى النجاشى وأصحابه واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الآيات فى سورة المائدة وفى رواية ان جعفرا قال للنجاشى سلهما أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا لهم فقال عمرو بل أحرار فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشى لعمرو وعمارة هل لكما عليهم دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما أبدا ولو أعطيتمونى دبرا من ذهب أى جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشى أى أتى اليه فى غد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون فى عيسى قولا عظيما أى يقولون انه عبد الله وانه ليس ابن الله وفى لفظ ان عمرا قال للنجاشى أيها الملك انهم يشتمون عيسى وأمه فى كتابهم فاسألهم فذكر له جعفر ذلك أى أجابه بما تقدم فى الرواية الاولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشى عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتأمل
ويمكن ان يقال ان مجالسهم ثلاث تكررت فمرة كان الكلام فيها مع جعفر ومرة مع عثمان رضى الله عنهما وروى فلا
الطبرانى عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد أى للعداوة التى
وقعت بينهما فى سفرهما أى من ان عمرو بن العاص كان مع زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا ففتن امرأة عمرو وهويته

وقوة روحانية وابست كأجنحة الطير ولا ينافى ذلك وصف كل جناح منها بأنه يسد ما بين المشرق والمغرب هذا كلامه فليتأمل ولعله لا ينافيه ما تقدم عن الحافظ ابن حجر من أن تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى فقط والله أعلم (ومن حالات الوحى) أى نفسه اى الموحى به لا حامله الذى هو جبريل ان الله تعالى أوحى اليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك بل من وراء حجاب يقظة أو من غير حجاب بل كفاحا وذلك ليلة المعراج واسم الاشارة يحتمل ان يكون لنوعين وقع كل منهما ليلة الاسراء ويحتمل أن يكون نوعا واحدا وان الاول بناء على القول بعدم الرؤية والثانى بناء على القول بالرؤية وحينئذ لا يناسب عد ذلك نوعين كما فعل الشامى ومن ثم نسب ابن القيم هذا النوع الثانى لبعضهم كالمتبرى منه حيث قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثانية وهى تكليم الله تعالى له صلى الله عليه وسلم كفاحا بغير حجاب هذا كلامه لان ابن القيم ممن لا يقول بوجود الرؤية فما زاده بعضهم بناء على القول بوجود الرؤية كما علمت وحينئذ يكون هذا ليلة المعراج وعلى هذا جاء قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا وقول ابن القيم السادسة أى من حالات الوحى ما أوحاه الله تعالى اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها لان ذلك انما هو ليلة المعراج بغير واسطة ملك وهذا محتمل لان يكون من غير حجاب وان يكون من وراء الحجاب فهى لم تخرج عما تقدم وكذا قوله السابعة أى من حالات الوحى كلام الله تعالى منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى أى من وراء حجاب فهى لم تخرج عما تقدم وحينئذ يكون كلمه صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج بواسطة الملك وكلمه بغير واسطة الملك من وراء حجاب ومشافهة من غير حجاب وصاحب المواهب نقل عن الولى العراقى كلاما فيه الاعتراض على ابن القيم بغير ما ذكروا الجواب عنه وأقره مع ما فى ذلك الكلام من النظر الظاهر الذى لا يكاد يخفى والله أعلم (قال الحافظ السيوطى) وليس فى القرآن من هذا النوع أى مما شافهه به الحق تعالى من غير حجاب شئ فيما أعلم نعم يمكن أن يعد منه آخر سورة البقرة أى آمن الرسول الى آخر الآيات لانها أنزلت كما فى الكامل للهذلى بقاب قوسين وروى الديلمى قيل يا رسول الله أى آية فى كتاب الله تحب أن تصيبك وأمتك قال آخر سورة البقرة فانها من كنز الرحمن من تحت العرش ولم تترك خيرا فى الدنيا والآخرة الا اشتملت عليه ولعل هذا لا يعارض ما جاء فى فضل آية الكرسى من قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له يا رسول الله أى آية فى كتاب الله تعالى أعظم قال آية الكرسى أعظم وما جاء عن الحسن رضى الله تعالى عنه مرسلا أفضل القرآن البقرة وأفضل آية فيه آية الكرسى وفى رواية أعظم آية فيها آية الكرسى وفى الجامع الصغير آية الكرسى ربع القرآن ونزل فى ذلك الموطن الذى هو قاب قوسين بعض سورة الضحى وبعض سورة ألم نشرح قال صلى الله عليه وسلم سألت ربى مسئلة وددت أنى لم أكن سألته سألت ربى اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك وضالا فهديتك وعائلا فأغنيتك وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك

فنزل هو وهى فى السفينة فقال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلنى أى تقبل معى فقال له عمرو ألا تستحى فأخذ عمارة عمرا ورمى به
فى البحر فجعل عمرو يسبح وينادى أصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى أدخله السفينة فأضمرها عمرو فى نفسه ولم يبده لعمارة
بل قال لامرأته قبلى ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا أرض الحبشة ٢٧٧ مكر به عمرو فقال أنت رجل جميل والنساء
يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشى لعلها ان تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وكرر تردده اليها حتى أهدت اليه من عطرها ودخل عندها يوما فلما تحقق ذلك عمرو أتى النجاشى وأخبره بذلك فقال ان صاحبى هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وانه عندها الآن فبعث النجاشى فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا انه جارى لقتلته ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ فى احليله نفخة صار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش فى الجبال الى ان مات على تلك الحال ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه
ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منه وغادر سبة
اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولا زال عمارة مع الوحوش الى ان كان موته فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن أبى ربيعة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذنه فى المسير اليه لعله يجده فأذن له عمر رضى الله عنه فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة والفحص عن أمره حتى أخبرانه فى جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه وأمسكه
فجعل يقول أرسلني والا أموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسيأتى بعد غزوة بدر ان شاء الله انهم أرسلوا للنجاشى عمرو بن
العاص أيضا وعبد الله بن أبى ربيعة هذا وكان اسمه بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وأبو ربيعة هذا وهو
أبو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وأم عبد الله هى أم أبى جهل بن هشام فهو أخو أبى جهل لامه فأرسلوهما اليه ليدفع اليهما

فلا أذكر الا وتذكر معى انتهى ﴿أقول﴾ قد يقال لا يلزم من النزول فى قاب قوسين أن يكون مشافهة من غير حجاب وقوله فقال يا محمد ألم أجدك الى آخره ليس هذا نص التلاوة وان هذا ظاهر فى ان المتلو الدال على ما ذكر نزل قبل ذلك وان هذا تذكير به والله أعلم (ومن حالات الوحى) انه أوحى اليه بلا واسطة ملك مناما كما فى حديث معاذ أتانى ربى وفى لفظ رأيت ربى فى أحسن صورة أى خلقة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت أنت أعلم أى رب فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السماء والارض أى وفى كلام الشيخ محيى الدين ابن العربى رضى الله تعالى عنه فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية أو المعنوية وهذا لا يبعد أن يقع مثله للاولياء بطريق الارث أى تجلى له الحق بالتجلى الخاص الذى ماذكر عبارة عنه وفى رواية فعلمت علم الاولين والآخرين أى (ومن حالات الوحى رؤيا النوم) قال صلى الله عليه وسلم رؤيا الانبياء وحى كما تقدم ومن حالاته العلم الذى يلقيه الله تعالى فى قلبه عند الاجتهاد فى الاحكام بناء على ثبوته لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث فى الروع وبذكر هذه الانواع للوحى يعلم ان ما تقدم من حصره فى الحالتين المذكورتين عند سؤال الحرث له صلى الله عليه وسلم أغلبى أو ان ما عداهما وقع بعد سؤال الحرث له * وفى ينبوع الحياة عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحى قط الا وينزل معه من الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبى الذى يوحى اليه يطردون الشياطين عنهم لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم من الغيب الذى يوحيه اليه فيلقوه الى أوليائهم ثم رأيته فى الاتقان ذكر أن من القرآن ما نزل معه ملائكة مع جبريل تشيعه من ذلك سورة الانعام شيعها سبعون ألف ملك وفاتحة الكتاب شيعها ثمانون ألف ملك وآية الكرسى شيعها ثمانون ألف ملك وسورة يس شيعها ثلاثون ألف ملك واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا شيعها عشرون ألف ملك ولعل هذا لا ينافى ما تقدم من أن الغرض من تساقط النجوم عند البعثة حراسة السماء من استراق الشياطين لما يوحى لجواز أن يكون هذا الحفظ ما يوحى من استراقه فى الارض وبين السماء والارض (وعن النخعى) ان أول سورة أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك قال الامام النووى وهو الصواب الذى عليه الجماهير من السلف والخلف هذا كلامه ولا يخفى ان مراد النخعى بالسورة هنا القطعة من القرآن أى أول آيات أنزلت فلا ينافى ما تقدم من رواية عمرو بن شرحبيل مما يدل على ان أول سورة أنزلت فاتحة الكتاب لان المراد أول سورة كاملة نزلت لا فى شأن الانذار فلا ينافى ما تقدم من رواية جابر مما يقتضى ان أول ما نزل يا أيها المدثر لان المراد بذلك أول سورة كاملة نزلت فى شأن الانذار بعد فترة الوحى أى فانها انزلت قبل تمام نزول سورة اقرأ وهذا الجمع تقدم الوعد به أى لكن يشكل عليه ما فى الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما أنزلتا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة فان هذا السياق يدل على انه لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم سورة كاملة الا براءة وقل هو الله أحد ويخالفه ما فى الاتقان ان مما نزل جملة سورة الفاتحة وسورة الكوثر وسورة تبت وسورة لم يكن وسورة النصر والمرسلات والانعام لكن ذكر

من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر وذكر بعضهم ان ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة ومعهما عمارة ابن الوليد كان في الهجرة الاولى للحبشة والصواب ان ارسال عمرو وعمارة في الهجرة الثانية وان ابن أبي ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن ان يكون عبدالله بن أبي ربيعة أرسلته قريش مرتين

قد انجر الكلام من الهجرة الاولى الى الهجرة الثانية واسلام عمر رضي الله عنه انما كان بعد الهجرة الاولى وقبل الهجرة الثانية قال ابن اسحق أسلم عمر رضي الله عنه عقب الهجرة الاولى الى الحبشة سنة ست من المبعث وقيل سنة خمس وقيل أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام وكان اسلامه بسبب استجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيه فانه قال اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام وهو أبو جهل وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا فكمل الله به الاربعين وكان عمر رضي الله عنه يحدث عن اسلامه قال بلغني اسلام اختي فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد قال وكنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش فقال أين تذهب انك تزعم انك هذا أي انك الصلب القوي في دينك وقد دخل عليك هذا الامر في بيتك قال وما ذاك قال أختك قد صبأت فرجعت مغضبا وقد كان صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج اختي رجلين فجئت حتى قرعت الباب فقيل من هذا فقلت ابن الخطاب قال وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا ونسوا الصحيفة من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لي فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني عنك انك صبأت أي خرجت عن دينك ثم ضربتها وفي رواية ان عمر وثب على ختنه سعيد بن زيد وأخذ بلحيته وضرب به الارض وجلس على صدره فجاءت أختها

ابن الصلاح ان هذا روي بسند فيه ضعف قال ولم أر له اسنادا صحيحا وقد روي ما يخالفه ولم يذكر في الاتقان مما نزل جملة سورة براءة وذكر أن المعوذتين نزلتا دفعة واحدة وحينئذ يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الا آية آية وحرفا حرفا اي كلمة والمراد بها ما قابل السورة والا فقد أنزل عليه ثلاث آيات وأربع آيات وعشر آيات كما أنزل عليه آية وبعض آية فقد صح نزول غير أولي الضرر منفردة وهي بعض آية (وفي الاتقان) عن جابر بن زيد قال أول ما أنزل الله تعالى من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر ثم الفاتحة الى آخر ما ذكر ثم قال قلت هذا السياق غريب وفي هذا الترتيب نظر وجابر بن زيد من علماء التابعين هذا كلامه (وذكر) بعض المفسرين ان سورة والتين أول ما نزل من القرآن والله أعلم وما تقدم من ان نزول يا أيها المدثر كان في شأن الانذار بعد فترة الوحي لانه كان بعد نزول جبريل عليه باقرأ باسم ربك مكث مدة لا يرى جبريل أي وانما كان كذلك ليذهب ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق الى العود ومن ثم حزن لذلك حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما وافى بذروة كي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه أي قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا وافى ذروة جبل تبدى له مثل ذلك قال وفي رواية انه لما فتر الوحي عنه صلى الله عليه وسلم حزن حزنا شديدا حتى كان يغدو الى ثبير مرة والى حراء مرة أخرى يريد أن يلقي نفسه منه فكلما وافى ذروة جبل منهما كي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد أنت رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك وكانت تلك المدة أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل اثني عشر يوما وقيل ثلاثة أيام قال بعضهم وهو الاشبه بحاله عند الله تعالى انتهى أقول ويبعد هذا الاشبه قوله فاذا طالت عليه فترة الوحي والله أعلم وفي الاصل وهذه الفترة لم يذكر لها ابن اسحق مدة معينة أقول في فتح الباري أن ابن اسحق جزم بأنها ثلاث سنين والله أعلم (قال أبو القاسم السهيلي) وقد جاء في بعض الاحاديث المسندة ان مدة هذه الفترة كانت سنتين ونصف سنة أي وفي كلام الحافظ ابن حجر وهذا الذي اعتمده السهيلي لا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن مدة الفترة كانت أياما أي وأقلها ثلاثة أي وتقدم ما فيه قال قال بعض الحفاظ والظاهر والله أعلم انها أي مدة الفترة كانت بين اقرأ ويا أيها المدثر هي المدة التي اقترن معه فيها اسرافيل كما قال الشعبي اه أقول ويوافق ذلك ما في الاستيعاب لابن عبد البر ان الشعبي قال أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين وقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين وقد تقدم ذلك وفي الاصل عن الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي ولم ينزل القرآن أي شئ منه على لسانه ثم وكل به جبريل فجاءه بالوحي والقرآن وهو موافق في ذلك لما في سيرة شيخه الحافظ الدمياطي حيث قال قال بعض العلماء وقرن به اسرافيل ثم قرن به جبريل وهو ظاهر في أن اقتران اسرافيل به كان بعد النبوة ويؤيده قوله ويأتيه بالكلمة من الوحي ويحتمل لان يكون ذلك قبل النبوة

فيوافق

لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها فسال الدم فلما رأت الدم بكت وغضبت وقالت أتضربني يا عدو الله على ان أوحد الله لقد أسلمنا على رغم انفك يا ابن الخطاب فما كنت فاعلا فافعل قال عمر رضي الله عنه فاستحييت حين رأيت الدم فقمت وجلست على السرير وأنا مغضب فنظرت فاذا كتاب في ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطنيه انظره وكان عمر قارئا فقالت له لا اعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ولا يمسه الا المطهرون قال فلم أزل بها حتى اعطتنيه وفي رواية قال أعطوني هذه الصحيفة أقرأها وكان عمر رضي الله عنه يقرأ الكتب قالت اخته لا أفعل قال ويحك وقع في قلبي مما قلت فاعطنيها أنظر اليها وأعطيك من المواثيق أن لا أخونك حتى تحوزيها حيث شئت قالت انك رجس فانطلق فاغتسل أو توضأ فانه كتاب لا يمسه الا المطهرون فخرج ليغتسل فخرج خباب اليها فقال أتدفعين كتاب الله الى كافر قالت نعم اني أرجو أن يهدي الله أخي فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي وجعلت أفكر من أي شئ اشتق أي أخذ ثم رجعت الى نفسي وأخذت الصحيفة فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض فجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (وفي رواية) فاخرجوا الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فعظمت في صدري وقلت من هذا فرت قريش فلما بلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى تشهد وفي رواية كان مع سورة طه اذا الشمس كورت وأن عمر انتهى الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت

فيوافق ما تقدم عن الماوردي لكن تقدم أنه كان يسمع حسه ولا يرى شخصه الا أن يقال لا يلزم من كونه يتراءى له أن يراه وقوله يأتيه بالكلمة من الوحي هو معنى قوله يأتيه بالشئ بعد الشئ ثم رأيت الواقدي أنكر على الشعبي كون اسرافيل قرن به أولا وقال لم يقترن به من الملائكة الا جبريل أي بعد النبوة ويحتمل مطلقا قال بعضهم ما قاله الشعبي هو الموافق لما هو المشهور المحفوظ الثابت في الاحاديث الصحيحة وخبر الشعبي مرسل أو معضل فلا يعارض ما في الاحاديث الصحيحة هذا كلامه ثم رأيت الحافظ ابن حجر نظر في كلام الواقدي بأن المثبت مقدم على النافي الا ان صحب النافي دليل نفيه فيقدم هذا كلامه لا يقال قد وجد الدليل فقد جاء بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل اذ سمع نقيضا اي هدة من السماء فرفع جبريل بصره الى السماء فقال يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل الى الارض قط قال جماعة من العلماء ان هذا الملك اسرافيل لانا نقول هذا مجرد دعوى لا دليل عليها ولا يحسن أن يكون مستندهم في ذلك ما في الطبراني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط على أحد بعدي وهو اسرافيل فقال أنا رسول ربك الحديث ومن ثم عد السيوطي من خصائصه صلى الله عليه وسلم هبوط اسرافيل عليه اذ ليس في ذلك دليل على ان اسرافيل لم يكن نزل اليه قبل ذلك حتى يكون دليلا على ان اقتران جبريل به سابق على اقتران اسرافيل به هذا وفي كلام الحافظ السيوطي ان مجئ اسرافيل كان بعد ابتداء الوحي بسنتين قال كما يعرف ذلك من سائر طرق الاحاديث وهو بظاهره يرد ما في سفر السعادة أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ تسع سنين أمر الله تعالى اسرافيل ان يقوم بملازمته ولما بلغ احدى عشرة سنة أمر جبريل بملازمته صلى الله عليه وسلم فلازمه تسعا وعشرين سنة فليتأمل * وعن يحيى بن بكير قال ما خلق الله خلقا في السموات أحسن صوتا من اسرافيل فاذا قرأ في السماء يقطع على أهل السماء ذكرهم وتسبيحهم (ثم رأيت في فتح الباري) ليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين أي على ما تقدم ما بين نزول اقرأ ويا أيها المدثر عدم مجئ جبريل اليه بل تأخر نزول القرآن عليه فقط هذا كلامه أي فكان جبريل يأتي اليه بغير قرآن بعد مجيئه اليه باقرأ ولم يجئ اليه بالقرآن الذي هو يا أيها المدثر الا بعد الثلاث سنين على ما تقدم ثم في تلك المدة مكث أياما لا يأتيه أصلا ثم جاءه بيا أيها المدثر فكان قبل تلك الايام يختلف اليه هو واسرافيل وهذا السياق كما لا يخفى يؤخذ منه عدم المنافاة بين كون مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما يقول ابن اسحق وسنتين ونصفا كما يقول السهيلي وسنتين كما يقول الحافظ السيوطي وبين كونها أياما أقلها ثلاثة وأكثرها أربعون كما تقدم عن ابن عباس لان تلك الايام هي التي كانت لا يرى فيها جبريل أصلا على ما تقدم أي ولا يرى فيها اسرافيل أيضا وفي غير تلك الايام كان يأتيه بغير القرآن وحينئذ لا يحسن رد الحافظ فيما سبق على السهيلي وينبغي ان تكون تلك الايام التي لا يرى فيها جبريل واسرافيل هي التي يريد فيها ان يلقي فيها نفسه من رؤس شواهق الجبال وهذا السياق أيضا يدل على ان النبوة سابقة على الرسالة بناء على ان الرسالة كانت بيا أيها المدثر ويصرح به ما تقدم من قول بعضهم نبأه

بقوله اقرأ باسم ربك وأرسله بقوله يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر وان بينهما فترة الوحي وعليه أكثر الروايات وقيل النبوة والرسالة مقترنان ولعل من يقول بتلك يقول يا أيها المدثر دلت على طلب الدعوة الى الله تعالى وهذا غير اظهار الدعوة والمفاجأة بها الذي دل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فليتأمل (وذكر) السهيلي أن من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها فلاطفه الحق سبحانه وتعالى بقوله يا أيها المدثر فبذلك علم رضاه الذي هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد نام وترب جنبه قم يا أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة في غزاة أحد وقد نام الى الاسفار قم يا نومان (وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي) في قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر اعلم ان التدثر انما يكون من البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك ان الملك اذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم بعلم أو حكم تلقى ذلك الروح الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن هذا ملخص كلامه (وذكر بعضهم) في تفسير قوله تعالى وثيابك فطهر أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي نفعنا الله تعالى ببركاته قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا أبا الحسن طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله تعالى في كل نفس فقلت يا رسول الله وما ثيابي قال ان الله كساك حلة التوحيد وحلة المحبة وحلة المعرفة قال ففهمت حينئذ قوله تعالى وثيابك فطهر (وجاء في وصف اسرافيل) في بعض الاحاديث لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كأنه الوصع فهو عند نزوله يكون حاملا لزاوية العرش أو يخلفه غيره من الملائكة في ذلك

﴿باب ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم أول البعثة﴾

أي أول الارسال اليه باقرأ أقول في المواهب انه روي ان جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال له يا محمد ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أنت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره أن يتوضأ وقام جبريل يصلي وأمره ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة الحديث وقوله فعلمه الوضوء يحتمل أن يكون بفعله المذكور ويحتمل أن يكون علمه بقوله افعل كذا في وضوئك وصلاتك وبدل للاول ما سيأتي وفيه ان قول جبريل المذكور انما كان عند أمره باظهار الدعوة والمفاجأة بها الى الله تعالى بعد فترة الوحي كما سيأتي فالجمع بينه وبين قوله ثم ضرب برجله الارض الى آخره لا يحسن لانه سيأتي ان ذلك كان في يوم نزوله له باقرأ باسم ربك ولعله من تصرف بعض الرواة والله اعلم فعن ابن اسحق حدثني بعض أهل العلم ان الصلاة حين افترضت على النبي صلى الله عليه وسلم أي قبل الاسراء أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ليريه كيف الطهور أي الوضوء للصلاة أي فغسل وجهه ويديه الى المرفقين ومسح برأسه وغسل رجليه الى الكعبين كما في بعض الروايات ٥ أي وفي رواية فغسل كفيه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثم غسل يديه الى المرفقين ثم مسح رأسه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ مثل وضوئه (أقول) وبهذه الرواية يرد قول بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم زاد في الوضوء التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الرأس والتخليل ومسح الاذنين والتثليث الا ان يقال مراد هذا البعض ان ما ذكر زاده على ما في الآية وفي كلام بعضهم كانت العرب في الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويداومون على المضمضة والاستنشاق والسواك والله أعلم ثم قام جبريل فصلى به صلى الله عليه وسلم ركعتين يحتمل ان تلك الصلاة كانت بالغداة قبل طلوع الشمس ويحتمل انها كانت بالعشي أي قبل غروب الشمس (وفي الامتاع) وانما كانت الصلاة قبل الاسراء صلاة بالعشي أي قبل غروب الشمس ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين أي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي والعشي هو العصر في كلام بعض أهل اللغة العصر العشاء والعصران الغداة والعشي وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة واستقبل الحجر الاسود أي جعل الحجر الاسود قبالته وهذا يدل على انه لم يستقبل في تلك الصلاة بيت المقدس لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا اذا صلى بين الركنين الاسود واليماني كما كان يفعل بعد فرض الصلوات الخمس وهو بمكة كما سيأتي أنه كان يصلي بين الركنين اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام ٥ أي بينه وبين بيت المقدس أي صخرته الا أن يقال يجوز أن يكون عند صلاته الى الكعبة كان بينهما الا انه كان الى الحجر الاسود أقرب منه الى اليماني فقيل استقبل الحجر الاسود فلا مخالفة لكن سيأتي ما قد يفيد انه لم يستقبل بيت المقدس الا في الصلوات الخمس أي بعد الاسراء وقبل ذلك كان يستقبل الكعبة الى أي جهة من جهاتها ولما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة جبريل قال جبريل هكذا الصلاة يا محمد ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وأخبرها فغشي عليها من الفرح فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلى به جبريل عليه الصلاة والسلام (وفي سيرة الحافظ الدمياطي) ما يفيد ان ذلك كان في يوم نزول جبريل عليه السلام له باقرأ باسم ربك حيث قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى فيه وصلت خديجة آخر يوم الاثنين ويوافقه ظاهر ما جاء أتاني جبريل في أول ما أوحي الي فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه أي رش بها فرجه أي محل الفرج من الانسان بناء على أنه لا فرج له وكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الانسان استدل عليه بانه ليس ذكرا ولا أنثى

وبمكن الجمع بانه وجد السور الثلاث في صحيفة أو صحيفتين فقرأ وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين ولما بلغ انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري قال ما ينبغي لمن يقول هذا أن يعبد معه غيره دلوني على محمد صلى الله عليه وسلم فخرج القوم الذين كانوا عند اخته يعني زوجها سعيد بن زيد وخباب بن الارت أحد الرجلين الذين ضمهما المصطفى صلى الله عليه وسلم الى سعيد وكان خباب يقرئهم القرآن والرجل الثالث لم يعرف اسمه يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه مني وحمدوا الله تعالى ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز الاسلام بعمر أو بعمرو وانا نرجو ان تكون دعوته لك فأبشر فلما عرفوا مني الصدق قلت اخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو في أسفل الصفا فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت في أسفل الصفا وهي دار الارقم كان صلى الله عليه وسلم مختفيا فيها بمن معه من المسلمين ويقال لها اليوم دار الخيزران قال عمر رضي الله عنه فقرعت الباب فقيل من هذا قلت ابن الخطاب قال وقد عرفوا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامي فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب فقال صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وقال حمزة رضي الله عنه لما رأى وجل القوم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم وان يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا ففتحوا له قال فدخلت وأخذ رجلان بعضدي قيل ان حمزة أخذ بيمينه والزبير بيساره حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه فارسلوني فجلست بين يديه فأخذ بمجمع ثيابي فجذبني اليه جذبة شديدة وفي رواية فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم في صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وهزه هزة فارتعد عمر من هيبة النبي صلى الله عليه وسلم فما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال أما انت منتهيا يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ولعله صلى الله عليه وسلم فعل معه ذلك ليثبته الله على الاسلام ويلقي حبه الطبيعي في قلبه ويذهب عنه

رجز الشيطان فكان كذلك حتى كان الشيطان يفر منه ولم يكون شديدا على الكفار في الدين فصار كذلك وفي رواية فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال يا رسول الله جئت لأومن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء من عند الله ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد أخذه بمجامع ثوبه وهزه أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه اللهم اهد عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب اللهم أخرج ما في صدر عمر من غل وابدله ايمانا قلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون بعد تكبيره واحدة سمعت بطرق مكة ولا ينافي هذا اتيانه بالشهادة في بيت أخته قبل خروجه الى النبي صلى الله عليه وسلم لاحتمال تكرر ذلك منه قال عمر رضي الله عنه وكان الرجل اذا أسلم استخفى باسلامه فقلت يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم قلت ففيم الخفاء يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال يا عمر انا قليل فقد رأيت ما لقينا فقال عمر والذي بعثك بالحق نبيا لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان قال عمر رضي الله عنه وأحببت ان يظهر اسلامي وان يصيبني ما أصاب من أسلم من الضرر والاهانة فذهبت الى خالي وكان شريفا في قريش وهو أبو جهل فأعلمته أني صبوت وفي رواية قال عمر رضي الله عنه لما أسلمت تذكرت أي أهل مكة أشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آتيه فأخبره اني قد أسلمت فذكرت أبا جهل فجئته فدققت عليه الباب فقال من بالباب فقلت عمر بن الخطاب فخرج الي وقال مرحبا وأهلا يا ابن أختي ما جاء بك قلت جئت لاخبرك وفي لفظ لابشرك ببشارة قال أبو جهل وما هي يا ابن أختي فقلت اني آمنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به فضرب الباب في وجهي وهو معنى أجف الباب الثابت في بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به ثم ما زال عمر رضي الله عنه يراجع النبي صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم فى الخروج من دار الارقم الى المسجد حتى وافقه على ذلك فخرجوا فى صفين فى أحدهما حمزة وفى الآخر عمر رضى الله عنهما
حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش اليهم فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها وفى رواية خرجوا فى صفين لهم كديد ككديد الطحين فسمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الفاروق ٢٨٢ رضى الله عنه لان الله فرق به بين الحق والباطل قال ابن مسعود رضى الله عنه مازلنا
أعزة منذ أسلم عمر رضى الله عنه وفى
رواية عن عمر رضى الله عنه بعد ان
أسلمت خرجت فذهبت الى رجل
لم يكتم السر فقلت انى صبوت
فرفع صوته بأعلاه ألا ان ابن
الخطاب قد صبا وقال عبد الله بن
عمر رضى الله عنهما لما أسلم عمر قال
أى قريش أنقل للحديث فقيل
له جميل بن حبيب فغدا عليه
وغدوت أتبع أثره وأنا غلام أعقل
ما رأيت حتى جاءه فقال أعلمت
يا جميل أنى قد أسلمت ودخلت فى
دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام
يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبى
حتى اذا قام على باب المسجد صرخ
بأعلى صوته يا معشر قريش وهم
فى أنديتهم حول الكعبة ألا ان
ابن الخطاب قد صبا ويقول عمر من
خلفه كذب ولكنى أسلمت وشهدت
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول
الله فما زال الناس يضربوننى
وأضربهم حتى قال خالى ما هذا
قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر
وأشار بكمه الا انى أجرت ابن أختى
فانكشف الناس عنى لجلالة خالى
عندهم قال بعضهم ان أم عمر حنتمة
بنت هاشم بن المغيرة وهاشم
وهشام والد أبى جهل أخوان
فأبو جهل ابن عم أم عمر فيكون
خاله مجازا لان عصبة الام أخوال
الابن (وفى السيرة الحلبية) أن عتبة
ابن ربيعة وثب على عمر رضى الله
عنه حين أسلم فألقاه عمر رضى
الله عنه الى الارض وبرك عليه
وجعل يضربه وجعل أصبعيه فى عينيه فجعل عتبة يصيح ولا يدنو منه أحد الا أخذه عمر رضى الله عنه بشراسيفه من
وهى طرف اضلاعه وعند ابن اسحق أن العاص بن وائل السهمى أجار عمر منهم حينئذ فيحتمل أنه هو وأبو جهل كل منهما جاره وروى
البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينا عمر فى الدار خائفا اذ جاء العاص بن وائل السهمى أبو عمرو بن العاص وعليه حلة حبرة

وفيه نظر لانه يجوز أن يكون له آلة ليست كآلة الذكر ولا كآلة الانثى كما قيل بذلك فى الخنثى
ويقال لذلك فرج وبعض شراح الحديث حمل الفرج على ما يقابل الفرج من الازار وبذلك
استدل أئمتنا على انه يستحب لمن استنجى بالماء أن يأخذ بعد الاستنجاء كفا من ماء ويرش فى ثيابه
التى تحاذى فرجه حتى اذا خيل له ان شيأ خرج ووجد بللا قدر أنه من ذلك الماء ولعل هذا هو
المراد بقوله صلى الله عليه وسلم علمنى جبريل الوضوء وأمرنى ان أنضح تحت ثوبى مما يخرج من
البول بعد الوضوء أى دفعا لتوهم خروج شئ من البول بعد الوضوء لو وجد بللا بالمحل وعن ابن
عمر رضى الله تعالى عنهما كان ينضح مراويله حتى يبلها وما جاء انه لما أقرأه اقرأ باسم ربك قال
له جبريل انزل عن الجبل فنزل معه الى قرار الارض قال فأجلسنى على درنوك بالدال المهملة
والراء والنون أى وهو نوع من البسط ذو خمل ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ
منها جبريل الحديث فشروعية الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التى هى غير الخمس وان
ذلك كان فى يوم نزول جبريل باقرأ وهو مخالف لقول ابن حزم لم يشرع الوضوء الا بالمدينة ومما يرد
ما قاله ابن حزم نقل ابن عبد البر اتفاق أهل السير على انه لم يصل صلى الله عليه وسلم قط الا بوضوء
قال وهذا مما لا يجهله عالم هذا كلامه الا ان يقال مراد ابن حزم انه لم يشرع وجوبا الا فى المدينة
وهو الموافق لقول بعض المالكية انه كان قبل الهجرة مندوبا أى وانما وجب بالمدينة بآية
المائدة يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الآية ويرده ما فى
الاتقان ان هذه الآية مما تأخر نزوله عن حكمه يعنى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى
الصلاة فاغسلوا الى قوله لعلكم تشكرون فالآية مدنية اجماعا وفرض الوضوء كان بمكة مع
فرض الصلاة أى فالوضوء على هذا مكى بالفرض مدنى بالتلاوة قال والحكمة فى ذلك أى فى
نزول الآية بعد تقدم العمل لما يدل عليه ان تكون قرآنيته متلوة هذا كلامه وقوله مع فرض
الصلاة يحتمل أن المراد صلاة الركعتين بناء على انهما كانتا واجبتين عليه صلى الله عليه وسلم وهو
الموافق لما تقدم عن ابن اسحق ويحتمل ان المراد الصلاة الخمس أى ليلة الاسراء وهو الموافق
لما اقتصر عليه شيخنا الشمس الرملى حيث قال وكان فرضه مع فرض الصلاة قبل الهجرة بسنة
هذا كلامه وحينئذ يكون قبل ذلك مندوبا حتى فى صلاة الليل وقول صاحب المواهب ما ذكر
من ان جبريل عليه الصلاة والسلام علمه الوضوء وأمره به يدل على ان فرضية الوضوء كانت
قبل الاسراء فيه نظر ظاهر اذ لا دلالة فى ذلك على الفرضية اذ يحتمل ان يكون اللفظ الصادر من
جبريل له أمرتك ان تفعل كفعلى وصيغة أمر مشتركة بين الوجوب والندب وذكر بعضهم ان
الغرض من نزول آية المائدة بيان ان من لم يقدر على الوضوء والغسل لمرض أو لعدم الماء يباح له
التيمم أى ففرضية الوضوء والغسل سابقة على نزولها ويؤيد ذلك قول عائشة رضى الله تعالى
عنها فى الآية فأنزل الله تعالى آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهى هى لان الوضوء كان مفروضا
قبل ان توجد تلك الآية ويوافقه ما ذكره ابن عبد البر من اتفاق أهل السير على ان الغسل من
الجنابة فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ما يقتضى ان
فرض الغسل كان مع فرض الصلوات ليلة الاسراء فقد جاء عنه كانت الصلاة خمسين والغسل

وقميص مكفوف بحرير فقال ما بالك قال زعم قومك انهم سيقتلونى لانى أسلمت قال لا سبيل اليك بعد أن قال أمنت فخرج العاص فلقى
الناس قد سال بهم الوادى فقال أين تريدون قالوا ابن الخطاب الذى قد صبا قال لا سبيل اليه فكر الناس وانصرفوا ثم رد عمر رضى الله
عنه الى العاص جواره قال فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام ٢٨٣ (وفى رواية) عن عمر رضى الله عنه فى سبب
اسلامه قال بينا أنا عند آلهتهم اذ
جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به
صارخ لم يسمع قط صوت أشد منه
يقول يا جليح أمر نجيح رجل
فصيح يقول لا اله الا الله فأنشبنا
أن قيل هذا نبى وروى أبو نعيم فى
الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر
رضى الله عنهم ان أبا جهل لعنه
الله جعل لمن يقتل محمدا مائة ناقة
حمراء أو سوداء أو ألف أوقية من
فضة وفى رواية ان أبا جهل بن
هشام قال يا معشر قريش ان
محمدا قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم
وزعم أن من مضى من آبائكم
يتهافتون فى النار الا من قتل
محمدا فله على مائة ناقة حمراء أو
سوداء أو ألف أوقية من فضة فقال
عمر رضى الله عنه أنا لها قالوا أنت
لها وتعاهد معهم على ذلك وفى
رواية فقلت له يا أبا الحكم الضمان
صحيح قال نعم فخرجت متقلدا
السيف متنكبا كنانتى أريد
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمررت على عجل وهم يريدون
ذبحه فقمت أنظر اليه فاذا صائح
يصيح من جوف العجل يا آل
ذريح أمر نجيح رجل يصيح
بلسان فصيح يدعو الى شهادة
أن لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله فقلت فى نفسى ان هذا الامر
ما يراد به الا أنا ثم مررت بصنم فاذا
هاتف من جوفه يقول
يا أيها الناس ذوو الاجسام
ما أنتم وطائش الاحلام
ومسند الحكم الى الاصنام * أصبحتم كراتع الانعام
أما ترون ما أرى أمامى * من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظرين من تهام * وقد بدا للناظر الشآمى
محمد ذو البر والاكرام * أكرمه الرحمن من امام
قد جاء بعد الشرك بالاسلام * يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للارحام * ويزجر الناس عن الآثام

من الجنابة سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل حتى جعل الصلاة خمسا
والغسل من الجنابة مرة (قال بعض فقهائنا) رواه أبو داود ولم يضعفه وهو اما صحيح أو حسن
قال ذلك البعض ويجوز أن يكون المراد بها أى الغرض من نزولها فرض غسل الرجلين فى قراءة
من قرأ وأرجلكم بالنصب فان حديث جبريل ليس فيه الا مسحهما أى وهو أن جبريل أول
ما جاء النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى توضأ فغسل وجهه ويديه الى المرفقين ومسح رأسه
ورجليه الى الكعبين وسجد سجدتين أى ركع ركعتين مواجهة البيت ففعل النبى صلى الله عليه
وسلم كما رأى جبريل يفعله هذا كلامه وفيه نظر لان أكثر الروايات وغسل رجليه كما تقدم
فرجليه فى هذه الرواية معطوفة على وجهه كما ان أرجلكم فى الآية على قراءة الجر معطوفة على
الوجوه وانما جر للمجاورة وان كان الجر للمجاورة فى غير النعت قليلا أو عبر عن الغسل الخفيف
بالمسح وفى كلام الشيخ محيى الدين مسح الرجلين فى الوضوء بظاهر الكتاب وغسلهما بالسنة
المبينة للكتاب قال ويحتمل العدول عن الظاهر بناء على أن المسح فيه يقال للغسل فيكون من
الالفاظ المترادفة وفتح أرجلكم لا يخرجها عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو المعية
وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة أى عملا بظاهر قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة
الآية فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له سيدنا عمر رضى الله تعالى
عنه فعلت شيأ لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر أى للاشارة الى جواز الاقتصار على وضوء
واحد للصلوات الخمس وجواز ذلك ظاهر فى نسخ وجوب الوضوء عليه لكل صلاة ويوافقه
قول بعضهم قيل كان ذلك الوضوء لكل صلاة واجبا عليه ثم نسخ هذا كلامه أى ويؤيد ذلك
ظاهر ما جاء انه أمر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان أو غير طاهر فلما شق ذلك عليه صلى الله
عليه وسلم وضع عنه الوضوء الا من حدث أى ويكون وقت المشقة يوم فتح مكة لما علمت أنه
لم يترك الوضوء لكل صلاة الا حينئذ وهذا السياق يدل على أن وجوب الوضوء لكل صلاة
كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما روى عن أنس رضى الله تعالى عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة قيل لهم كيف تصنعون أى هل كنتم
تفعلون كفعله صلى الله عليه وسلم قال يجزى أحدنا الوضوء ما لم يحدث أى فوجوب الوضوء لكل
صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ثم نسخ وذكر فقهاؤنا ان الغسل كان واجبا عليه
صلى الله عليه وسلم لكل صلاة ٥ فنسخ بالنسبة للحدث الاصغر تخفيفا فصار الوضوء بدلا عنه
ثم نسخ الوضوء لكل صلاة فظاهر سياقهم يقتضى ان وجوب الغسل ثم الوضوء لكل صلاة
كان عاما فى حقه صلى الله عليه وسلم وحق أمته ويحتاج الى بيان وقت نسخ وجوب الغسل فى
حقه صلى الله عليه وسلم وحق أمته وبيان وقت نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة فى حق الامة
ومنه يعلم ان نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة يكون بالنسبة للامة ثم بالنسبة اليه صلى الله عليه
وسلم وحينئذ لا يشكل قول فقهائنا الآية تقتضى وجوب الطهر بالماء أو التراب لكل صلاة
خرج الوضوء بالسنة أى بما تقدم من فعله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وبتجويزه صلى الله عليه
وسلم للامة ان يصلى الواحد منهم الصلوات بوضوء واحد وبقى التيمم على مقتضى الآية فقد

ونع النسخ أولا بالنسبة للامة ثم ثانيا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم واعل وجوب الغسل لكل صلاة كان بوحى غير قرآن أو باجتهاد ولا يخفى ان كون ظاهر الآية يقتضى وجوب الوضوء والتيمم لكل صلاة انما هو بقطع النظر عما نقله امامنا رضى الله تعالى عنه عن زيد ابن أسلم أن الآية فيها تقديم وحذف وان التقدير اذا قمتم الى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فاغسلوا وجوهكم الآية والله أعلم (وعن مقاتل ابن سليمان) فرض الله تعالى فى أول الاسلام الصلاة ركعتين بالغداة أى قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشى أى قبل غروب الشمس (أقول) ان كان المراد بأول الاسلام نزول جبريل عليه باقرأ رد ما تقدم عن الامتاع ان أول ما وجب ركعتان بالعشى ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشى ركعتين الا ان يراد الاولية الاضافية وفى بعض الاحاديث ما يدل على أن وجوب الركعتين كان خاصا به صلى الله عليه وسلم دون أمته منها قوله صلى الله عليه وسلم أول ما افترض الله على أمتى الصلوات الخمس وفيه أنه افترض عليها قبل ذلك صلاة الليل ثم نسخ بالصلوات الخمس وفى الامتاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى الكعبة أول النهار فيصلى صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه اذا جاء وقت العصر تفرقوا فى الشعاب فرادى ومثنى أى فيصلون صلاة العشى وكانوا يصلون الضحى والعصر ثم نزلت الصلوات الخمس هذا كلامه وهو يفيد ان الركعتين الاولين كان يصليهما وقت الضحى لا قبل الشمس فليتأمل والله أعلم ثم فرضت الخمس ليلة المعراج وذهب جمع الى أنه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة أى لا عليه ولا على أمته الا ما وقع الامر به من صلاة الليل من غير تحديد أى بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر أى صلوا (أقول) وهو الناسخ لما وجب قبل ذلك من التحديد فى أول السورة الحاصل بقوله قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه وقد نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس ليلة الاسراء ولم يذكر أئمتنا وجوب صلاة الركعتين عليه صلى الله عليه وسلم بل قالوا أول ما فرض عليه الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل المذكور فى أول سورة المزمل ثم نسخ بما فى آخرها ثم نسخ بالصلوات الخمس وهو مخالف لما تقدم عن ابن اسحق من وجوب صلاة الركعتين عليه ويوافقه قول ابن كثير فى قولهم ماتت خديجة قبل أن تفرض الصلوات مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء قال بعضهم وانما قال ذلك لان أصل الصلاة قد فرض فى حياة خديجة الركعتين بالغداة والركعتين بالعشى وفى كلام ابن حجر الهيتمى لم يكلف الناس الا بالتوحيد فقط ثم استمر على ذلك مدة مديدة ثم فرض عليهم من الصلاة ما ذكر فى سورة المزمل ثم نسخ ذلك كله بالصلوات الخمس ثم لم تكثر الفرائض وتتتابع الا بالمدينة ولما ظهر الاسلام وتمكن فى القلوب وكان كلما ازداد ظهورا وتمكن ازدادت الفرائض وتتابعت هذا كلامه ولم أقف على ما كان يقرأ فى صلاة الركعتين قبل فترة الوحى وبعدها وقبل نزول الفاتحة بناء على تأخر نزولها عن ذلك كما هو الراجح ثم رأيته فى الاتقان ذكر ان جبريل حين حولت القبلة أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الفاتحة ركن فى الصلاة كما كانت بمكة هذا كلامه وينبغى حمله على الصلوات الخمس

فبادروا سبقا الى الاسلام * بلا فتور وبلا احجام

قال عمر فقلت والله ما أراه الا أرادنى ثم مررت بالضمار فاذا هاتف من جوفه يقول

أودى الضمار وكان يعبد مرة * قبل الكتاب وقبل بعث محمد

ان الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى

سيقول من عبد الضمار ومثله * ليت الضمار ومثله لم يعبد

ابشر أبا حفص بدين صادق * يهدى اليك وبالكتاب المرشد

واصبر أبا حفص فانك آمر * يأتيك عز غير عز بنى عدى

لا تعجلن وأنت ناصر دينه * حقا يقينا باللسان وباليد

قال عمر رضى الله عنه فوالله لقد علمت أنه أرادنى فلقينى نعيم بن عبد الله النحام وكان يخفى اسلامه فرقا من قومه فقال أين تذهب قلت أريد هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش فأقتله فقال نعيم يا عمر أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على وجه الارض وبالغ فى منعه ثم أراد أن يشغله عن ذلك بشئ آخر فقال له ألا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم وذكر له اسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد فذهب اليهم وذكر القصة بطولها وقيل ان الذى لقيه سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه وكان قد أسلم قبل عمر رضى الله عنه فقال أين تريد يا عمر فقال أريد أن أقتل محمدا قال أنت أصغر وأحقر من ذلك تريد أن تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف تمشى على الارض فقال له عمر ما أراك الا قد صبأت فأبدأ بك فأقتلك فقال سعد أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا قال سعد لعمر مالك لا تصنع هذا بختنك يريد سعيد بن زيد وبأختك فقال صبأ قال نعم وأراد سعد بذلك صرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه عمر وسار الى أخته الى آخر القصة ولا مانع أنه اتفق كل من نعيم وسعد وحصل بينهما ما ذكر (وفى رواية) أن سبب اسلامه رضى الله عنه انه دخل المسجد يريد الطواف فرأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فقال لو سمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول وقلت ان دنوت منه أستمع لاروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثياب البيت وجعلت أمشى حتى قمت فى قبلته وسمعت قراءته فرق له قلبى فبكيت ودخلنى الاسلام فمكثت حتى انصرف فتبعته فالتفت فى أثناء طريقه فرآنى فظن انى انما تبعته لاوذيه فنهمنى أى زجرنى بشدة ثم قال ما جاء بك فى هذه الساعة قلت جئت لأومن بالله ورسوله وما جاء من عند الله فحمد الله ثم قال هداك الله ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات ثم انصرفت عنه ودخل بيته والنهم انما يطلق حقيقة على زجر الاسد ففيه من شجاعته صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى (وفى رواية) عن عمر رضى الله عنه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان أسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت هو شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت كاهن علم ما فى نفسى فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى آخر السورة فوقع الاسلام منى كل موقع * وذهب مرة هو وأبو جهم يريدان الفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم فوجداه فى بيته قائما يصلى وكان ذلك بالليل فسمعا قراءته صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ فى سورة الحاقة فلما وصل الى قوله تعالى فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية دخلهما رعب شديد فقال أحدهما للآخر الوحا الوحا أى الرواح بسرعة خوفا من نزول العذاب * والحاصل أن الاسباب المقتضية لاسلام عمر رضى الله عنه تكررت وكثرت وكان السبب فى ذلك أن يمكن الله الاسلام فى قلبه ويثبته عليه حتى ينصر به دينه ونبيه صلى الله عليه وسلم وكان الامر كذلك (قال ابن عباس) رضى الله عنهما لما أسلم عمر رضى الله عنه قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر لان الله أعز به الدين ونصر به المستضعفين * وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة والله ما استطعنا ان نصلى حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر رضى الله عنه رواه ابن أبى شيبة والطبرانى قال المشركون انتصف القوم * وروى أنه لما أسلم قال يا رسول الله لا ينبغى

الخمس وحينئذ يكون ما تقدم من قول بعضهم لم يحفظ انه كان فى الاسلام صلاة بغير الفاتحة محمولا على ذلك أيضا وقد تقدم ذلك والله أعلم

﴿باب ذكر أول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم﴾

أى بعد البعثة أى الرسالة وهى المرادة عند الاطلاق بناء على انها مقارنة للنبوة لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث اخفى أمره وجعل يدعو الى الله سرا واتبعه ناس عامتهم ضعفاء من الرجال والنساء والى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين بدا غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء ولا يخفى أن أهل الاثر وعلماء السير على ان أول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم على الاطلاق خديجة رضى الله عنها (أقول) نقل الثعلبى المفسر اتفاق العلماء عليه وقال النووى انه الصواب عند جماعة من المحققين وقال ابن الاثير خديجة أول خلق الله تعالى اسلم باجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة وفيه ان بناته الاربع كن موجودات عند البعثة ويبعد تأخر ايمانهن الأن يقال خديجة تقدم لها اشراك بخلافهن أخذا مما يأتى وعن ابن اسحق ان خديجة كانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت ما جاء به عن الله تعالى وكان لا يسمع شيأ يكرهه من قومه الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها واخبرها به * ثم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ففى المرفوع عن سلمان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أول هذه الامة ورودا على الحوض أولها اسلاما على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وجاء انه لما زوجه فاطمة قال لها زوجتك سيدا فى الدنيا والآخرة وانه لاول أصحابى اسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وكان لم يبلغ الحلم كما سيأتى حكاية الاجماع عليه كان سنه ثمان سنين وكان عند النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه يطعمه ويقوم بأمره لان قريشا كان اصابهم قحط شديد وكان أبو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تأخذ واحدا وأنا واحدا فجاآ اليه وقالا انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لى عقيلا قيل وطالبا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى خصائص العشرة) للزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم تولى تسميته بعلى وتغذيته أياما من ريقه المبارك يمصه لسانه فعن فاطمة بنت أسد أم على رضى الله تعالى عنها انها قالت لما ولدته سماه عليا وبصق فى فيه ثم انه ألقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدى أحد فدعونا له محمدا صلى الله عليه وسلم فألقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله عز وجل هذا كلامه فليتأمل وعنها رضى الله تعالى عنها انها فى الجاهلية ارادت ان تسجد لهبل وهى حامل بعلى فتقوس فى بطنها فمنعها من ذلك وكان على رضى الله تعالى عنه اصغر اخوته فكان بينه وبين أخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر واخيه عقيل كذلك وبين عقيل وأخيه طالب ذلك أيضا فكل أكبر من الذى بعده بعشر سنين وأكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم على أى وكلهم أسلموا الا طالبا فانه

اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل لما أسلم يا أبا يزيد انى أحبك حبين حبا لقرابتك منى وحبا لما كنت اعلم لحب عمى اياك وكان عقيل أسرع الناس جوابا وأبلغهم فى ذلك قال له معاوية يوما أين ترى عمك أبا لهب من النار فقال اذا دخلتها يا معاوية فهو على يسارك مفترشا عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولما وفد على معاوية وقد غضب من أخيه على المطالب منه عطاءه وقال له اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك فقال له لاذهبن الى رجل هو أوصل الى منك فذهب الى معاوية فأعطاه معاوية مائة ألف درهم ثم قال له معاوية اصعد المنبر فاذكر ما أولاك على وما أوليتك فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى أخبركم انى أردت عليا على دينه فاختار دينه وانى أردت معاوية على دينه فاختارنى على دينه وفى رواية ان معاوية قال لجماعة يوما بحضرة عقيل هذا أبو يزيد يعنى عقيلا لولا علمه بأنى خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه فقال عقيل أخى خير لى فى دينى وأنت خير لى فى دنياى وأسأل الله تعالى خاتمة الخير توفى عقيل فى خلافة معاوية (قال) وسبب اسلام على كرم الله تعالى وجهه انه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة وهما يصليان سرا فقال ما هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذى اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فأدعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال على هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره فقال له يا على اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فأصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم اه (أقول) وذلك فى اليوم الثانى من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة وهو يوم الثلاثاء كما فى سيرة الدمياطى أى لانه تقدم أن صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة كانت آخر يوم الاثنين وهذا انما يأتى على القول بأن النبوة والرسالة تقارنتا الا على أن الرسالة تأخرت عن النبوة وان بينهما فترة الوحى على ما تقدم (وفى أسد الغابة) ان أبا طالب رأى النبى صلى الله عليه وسلم وعليا يصليان وعلى على يمينه فقال لجعفر رضى الله تعالى عنه صل جناح ابن عمك فصلى عن يساره وكان اسلام جعفر بعد اسلام أخيه على بقليل قال بعضهم وانما صح اسلام على أى مع انهم أجمعوا على انه لم يكن بلغ الحلم أى ومن ثم نقل عنه أنه قال

سبقتكمو الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمى

أى كان عمره ثمان سنين على ما سبق لان الصبيان كانوا اذ ذاك مكلفين لان القلم انما رفع عن الصبى عام خيبر وعن البيهقى أن الاحكام انما تعلقت بالبلوغ فى عام الخندق وفى لفظ فى عام الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز هذا وقد ذكر أنه لم يحفظ عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال شعرا وقيل لم يقل الا البيتين أى ولعل أحدهما ما تقدم ثم رأيت عن القاموس أن البيتين هما قوله

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهمو * بذات ودقين لا تبقى ولا تذر

وذات ودقين هى الداهية وقد ذكر أن الزبير بن العوام أسلم وهو ابن ثمان سنين وقيل ابن

خمس

ان يكتم هذا الدين أظهر دينك فخرج ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيف ينادى لا اله الا الله محمد رسول الله قال فان تحرك واحد منهم أمكنت سيفى منه ثم تقدم امامه صلى الله عليه وسلم ليطوف ويحميه حتى فرغ من طوافه رواه ابن ماجه وقال صهيب لما أسلم عمر رضى الله عنه ولما رأت قريش عزة النبى صلى الله عليه وسلم بمن معه وباسلام عمر رضى الله عنه وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الاسلام فى القبائل أجمعوا على ان يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش فتريحونا وتريحون أنفسكم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فأمرهم فدخلوا شعبهم وادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ومنعوه ممن أراد قتله وأجاب كل منهم أبا طالب لذلك مؤمنهم وكافرهم وانما فعلوا ذلك حمية على عادة العرب فى المناصرة وانخزل عنهم بنو عمهم عبد شمس ونوفل ولهذا قال أبو طالب فى قصيدة

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل

(وقال فى قصيدة أخرى)

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أى تشاوروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ان لا ينكحوا اليهم أى لا يتزوجوا منهم ولا ينكحوهم أى يزوجوهم ولا يبيعوا منهم شيأ ولا يبتاعوا ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل أى يخلوا بينهم وبينه وكتبوه فى صحيفة بخط منصور ابن عكرمة فشلت يده وهلك على كفره وقيل بخط بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى فشلت يده وهو بغيض كاسمه هلك على كفره وقيل بخط النضر بن الحرث فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وقتل يوم بدر كافرا وقيل بخط هشام بن عمرو بن الحرث العامرى وهو من الذين سعوا فى نقضها كما سيأتى وقد أسلم رضى الله عنه يوم الفتح وكان من المؤلفة وقيل بخط طلحة بن أبى طلحة

خمس عشرة سنة وقيل ابن اثنتى عشرة سنة وقيل ابن ست عشرة سنة ومما يدل للاول ما جاء عن بعضهم كان على والزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص ولدوا فى عام واحد * ومن العجب أن الزمخشرى فى خصائص العشرة اقتصر على أن سن الزبير حين أسلم ست عشرة سنة وذكر بعد ذلك بأسطر انه أول من سل سيفا فى سبيل الله وهو ابن اثنتى عشرة سنة مقتصرا على ذلك ومما يدل للاول أيضا ما جاء فى كلام بعض آخر أسلم على بن أبى طالب والزبير بن العوام وهما ابنا ثمان سنين واجماعهم على أن عليا لم يكن بلغ الحلم يرد القول بأن عمره كان اذ ذاك عشر سنين أى بناء على أن سن امكان الاحتلام تسع سنين كما نقول به أئمتنا ويوافقه ما حكاه بعضهم أن الراشد بالله وهو الحادى والثلاثون من خلفاء بنى العباس لما كان عمره تسع سنين وطئ جارية حبشية فحملت منه فولدت ولدا حسنا ويرد القول بأن سنه اذ ذاك كان ثلاث عشرة أو خمس عشرة أو ست عشرة سنة (أقول) قال بعض متأخرى أصحابنا وانما صحت عبادة الصبى المميز ولم يصح اسلامه لان عبادته نفل والاسلام لا يتنفل به وعلى هذا مع ما تقدم يشكل ما فى الامتاع وأما على بن أبى طالب فلم يكن مشركا بالله أبدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كفالته كأحد أولاده يتبعه فى جميع أموره فلم يحتج أن يدعى للاسلام فيقال أسلم هذا كلامه فليتأمل فان عليا كان تابعا لابيه فى دينه ولم يكن تابعا له صلى الله عليه وسلم كأولاده وقوله فلم يحتج أن يدعى للاسلام يرده ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم له أدعوك الى الله وحده الى آخره ثم رأيت فى الحديث ما يدل لما فى الامتاع وهو ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلى بن أبى طالب وآسية امرأة فرعون والذى فى العرائس روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وهو أفضلهم الا أن يراد بعدم كفرهم انهم لم يسجدوا لصنم وفيه أنه قد يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم له وأدعوك الى الكفر باللات والعزى وانه قيل أيضا ان أبا بكر لم يسجد لصنم قط وقد عد ابن الجوزى من رفض عبادة الاصنام فى الجاهلية أى لم يأت بها أبا بكر الصديق وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل ورباب بن البراء وأسعد بن كريب الحميرى وقس بن ساعدة الايادى وأبا قيس بن صرمة ولا يخفى ان عدم السجود للاصنام لا ينافى الحكم بالكفر على من لم يسجد لها لكن فى كلام السبكى الصواب ان يقال الصديق لم يثبت عنه حال كفر بالله تعالى فلعل حاله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه فلذلك خص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة هذا كلامه وهو واضح اذ لم يكن أحد من جميع من ذكر أسلم وفى كلام الحافظ ابن كثير الظاهر ان أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا قبل كل أحد خديجة وزيد وزوجة زيد أم أيمن وعلى رضى الله تعالى عنهم فليتأمل قوله آمنوا قبل كل أحد وكذا يتأمل قول ابن اسحق أما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن أدركن الاسلام فأسلمن (وعن ابن اسحق) ذكر بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه على مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا أمسيا رجعا كذلك ثم ان أبا طالب عثر أى اطلع عليهما يوما وهما يصليان

العبدرى وقيل بخط منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم وجمع باحتمال ان يكونوا كتبوا منها نسخا وأخذ كل جماعة عندهم منها نسخة وعلقوا الصحيفة منها فى الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة وكان اجتماعهم وتحالفهم ومكاتبتهم بخيف بنى كنانة وهو المحصب فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبى طالب ودخلوا معه الشعب كما تقدم الا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وجزم به موسى بن عقبة امام المغازى حتى جهدوا وقطعوا عنهم الميرة والمادة وكانوا لا يصل اليهم شئ الا سرا ويخرجون من الموسم الى الموسم لاجل الحج فلا يمنعونهم من ذلك وفى الصحيح انهم جهدوا فى الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفى كلام السهيلى كانوا اذا قدمت العير مكة يأتى أحدهم السوق ليشترى شيأ من الطعام ليقتاته فيقوم أبو لهب فيقول يا معشر قريش التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيأ معكم فقد علمتم حالى ووفاء ذمتى فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا مضاعفة حتى يرجع الرجل منهم الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يده شئ يعللهم به فيغدو التجار على أبى لهب بما كسد فى أيديهم فيربحهم ويضعف لهم الثمن وخروج أحدهم الى السوق عند قدوم العير لا ينافى منعهم من الاسواق والمبايعة أى عموما ولما دخل النبى صلى الله عليه وسلم الشعب ومن معه من بنى هاشم والمطلب أمر من كان بمكة من المسلمين ان يخرجوا الى أرض الحبشة الخروج الاخير وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكان يصلهم فى الشعب هشام بن عمرو العامرى أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكان من أشد الناس قياما فى نقض الصحيفة كما سيأتى وكانت صلته لهم بما يقدر عليه من الطعام اذ دخل عليهم فى ليلة ثلاثة أحمال طعاما فعلمت قريش فمشوا اليه حين أصبح فكلموه فقال انى غير عائد لشئ خالفتكم فيه فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فأدخل عليهم حملا أو حملين فغالظته قريش أى أغلظوا له فى القول وهموا بقتله فقال لهم أبو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهله ورحمه أما انى أحلف بالله لو فعلنا مثل

مافعل لكان أحسن بنا وكان ممن يصلهم بالطعام أيضا حكيم بن حزام فلقيه أبو جهل مرة ومع حكيم غلام يحمل قمحا يريد به عمته
خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وهى معه فى الشعب فقال أبو جهل لحكيم تذهب بالطعام لبنى هاشم والله لا تذهب
أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فحضرهما أبو البحترى فقال لأبى جهل مالك وماله فقال له أبو جهل يحمل الطعام لبنى
هاشم فقال له أبو البحترى طعام
كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها
به خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل
حتى نال أحدهما من الآخر فأخذ
أبو البحترى لحى بعير فضرب به أبا
جهل وشجه ووطئه وطئا شديدا
فانكف عن ذلك وأبو البحترى
هذا ضبطه بعضهم بالحاء المهملة
وبعضهم بالخاء المعجمة والاول أصح
وهو ممن قتل كافرا يوم بدر وكان
أبو طالب مدة اقامتهم بالشعب
يأمره صلى الله عليه وسلم فيأتى
فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به
شرا أو غائلة فاذا نام الناس أمر
أحد بنيه أو اخوانه أو بنى عمه
ان يضطجع على فراش المصطفى
صلى الله عليه وسلم ويأمره هو
أن يأتى بعض فرشهم فيرقد عليها
وهذا على ماجرت به العادة من
الاحتراس بالامور العادية والا فهو
صلى الله عليه وسلم محفوظ
ومعصوم من القتل وولد عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهما وهم
بالشعب ثم ان الله تعالى أوحى الى
النبى صلى الله عليه وسلم ان
الارضة أكلت جميع مافى الصحيفة
من القطيعة والظلم فلم تدع سوى
اسم الله فقط وكانوا يكتبون باسمك
اللهم وفى رواية لم تترك الارضة
فى الصحيفة اسما لله عز وجل
الا لحسته وبقى مافيها من شرك
وقطيعة رحم قال الحلبى والرواية
الاولى أثبت من الثانية وجمع بين
الروايتين بأنهم كتبوا نسخا فأكلت
الارضة من بعضها ماعدا اسم الله لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم وأكلت من بعضها ظلمهم لئلا يجتمع مع اسم الله تعالى
فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب بذلك فقال يا ابن أخى أربك أخبرك بهذا قال نعم قال والثواقب ما كذبتنى قط فانطلق فى
عصابة من بنى هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر قريش ذلك وظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى بنخلة المحل المعروف فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى ماهذا الذى أراك تدين به
فقال هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم بعثنى الله به رسولا الى العباد
وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابنى الى الله تعالى وأعاننى
عليه فقال أبو طالب انى لا أستطيع ان أفارق دين آبائى وما كانوا عليه وفى رواية انه قال له
ما بالذى تقول من بأس ولكن والله لا تعلونى استى أبدا وهذا كما لا يخفى ينبغى أن يكون صدر
منه قبل ما تقدم من قوله لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبى صلى
الله عليه وسلم يصلى وعليا على يمينه لكن يروى أن عليا رضى الله تعالى عنه ضحك يوما وهو على
المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ورآنى أصلى مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنخلة فقال ماهذا الفعل الذى أرى فلما أخبرناه قال هذا حسن ولكن
لا أفعله أبدا انى لا أحب أن تعلونى استى فلما تذكرت الآن قوله ضحكت وقوله حين فرضت
الصلاة يعنى الركعتين بالغداة والركعتين بالعشى وهذا يؤيد القول بأن ذلك كان واجبا
وذكر ان أبا طالب قال لعلى أى بنى ماهذا الذى أنت عليه فقال يا أبت آمنت بالله ورسوله
وصدقت ماجاء به ودخلت معه واتبعته فقال له أما انه لم يدعك الا الى خير فالزمه أى ويذكر
عنه أنه كان يقول انى لأعلم ان مايقوله ابن أخى لحق ولولا انى أخاف أن تعيرنى نساء قريش
لاتبعته وعن عفيف الكندى رضى الله تعالى عنه قال كنت امرأ تاجرا فقدمت للحج وأتيت
العباس بن عبد المطلب لابتاع منه بعض التجارة وكان العباس لى صديقا وكان يختلف الى
اليمن يشترى العطر ويبيعه أيام الموسم فبينما أنا عند العباس بمنى أى وفى لفظ بمكة فى المسجد
اذا رجل مجتمع أى بلغ أشده خرج من خباء قريب منه فنظر الى الشمس فلما رآها مالت توضأ
فأسبغ الوضوء أى أكمله ثم قام يصلى أى الى الكعبة كما فى بعض الروايات ثم خرج غلام مراهق
أى قارب البلوغ فتوضأ ثم قام الى جنبه يصلى ثم جاءت امرأة من ذلك الخباء فقامت خلفهما
ثم ركع الرجل وركع الغلام وركعت المرأة ثم خر الرجل ساجدا وخر الغلام وخرت المرأة
فقلت ويحك يا عباس ماهذا الدين فقال هذا دين محمد بن عبد الله أخى يزعم ان الله بعثه رسولا
وهذا ابن أخى على بن أبى طالب وهذه امرأته خديجة قال عفيف بعد ان أسلم ياليتنى كنت
رابعا أى ولعل زيد بن حارثة لم يكن موجودا عندهم فى ذلك الوقت فلا ينافى أنه كان يصلى
معهم أو ان ذلك كان قبل اسلامه لانه سيأتى قريبا أن اسلامه كان بعد اسلام على وكذا
أبو بكر لم يكن موجودا عندهم بناء على أن اسلامه كان قبل اسلام على ويؤيده ماقيل أول
من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر لكن فى الاستيعاب لابن عبد البر أن العباس قال
لعفيف الكندى لما قال له ماهذا الذى يصنع قال يصلى وهو يزعم أنه نبى ولم يتبعه على أمره
الا امرأته وابن عمه هذا الغلام وفيه أن عليا قال لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه
الامة خمس سنين أى ولعل المراد أنه عبده بغير الصلاة وقوله فى هذا الحديث فنظر الى
الشمس فلما رآها مالت توضأ وصلى قد يخالف ماتقدم من ان فرض الصلاة كان ركعتين
بالغداة وركعتين بالعشى قبل غروب الشمس فقط (أقول) قد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن
تكون

اليهم فقال أبو طالب يامعشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر فى صحيفتكم فأتوا بها لعل ان يكون بيننا وبينكم صلح وانما قال
ذلك خشية ان ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها وهم لا يشكون ان أبا طالب يدفع اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فوضعوها بينهم
وقبل أن تفتح قالوا لابى طالب قد آن لكم ان ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال انما أتيتكم فى أمر هو نصف
بيننا وبينكم ان ابن أخى أخبرنى
ولم يكذبنى أن الله قد بعث على
صحيفتكم دابة فلم تترك فيها اسم
الله تعالى الا لحسته وتركت فيها
غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وفى
رواية أكلت غدركم وتظاهركم
علينا بالظلم وتركت كل اسم لله
تعالى فان كان كما يقول فأفيقوا
اى اقلعوا عما أنتم عليه فوالله
لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا
وان كان باطلا دفعناه اليكم فقتلتم
أو استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها
فوجدوها كما قال صلى الله عليه
وسلم فقالوا هذا سحر ابن أخيك
وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وقد
جاء أن أبا طالب قال لهم بعد
ان وجدوا الامر كما أخبر به صلى
الله عليه وسلم علام نحصر ونحبس
وقد بان الامر وتبين انكم أولى
بالظلم والقطيعة ودخل هو ومن
معه بين استار الكعبة وقال اللهم
انصرنا على من ظلمنا وقطع
أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا
ثم انصرف هو ومن معه الى
الشعب وعند ذلك مشت طائفة
من قريش فى نقض تلك الصحيفة
وهم هشام بن عمرو بن الحرث
العامرى وزهير بن أبى أمية
المخزومى وأمه عاتكة بنت عبد
المطلب عمة النبى صلى الله عليه
وسلم والمطعم بن عدى بن نوفل بن
عبد مناف وأبو البحترى بن هشام
وزمعة بن الاسود فمشى هشام
ابن عمرو الى زهير بن أبى أمية
وأسلم كل منهما بعد ذلك رضى الله عنهما فقال يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء
وأخوالك حيث قد علمت فقال ويحك يا هشام فماذا أصنع فانما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها فقال أنا
معك فقال ابغنا ثالثا ومشيا جميعا الى المطعم بن عدى فقالا له أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد فقال انما أنا

تكون صلاته فى الوقت ليست مما فرض عليه والجماعة فى ذلك جائزة وقد فعلها صلى الله عليه
وسلم فى النفل المطلق وهذا يدل على ان الجماعة كانت مشروعة بمكة حتى فى صدر الاسلام قبل
فرض الصلوات الخمس (وفى كلام بعض فقهائنا) أنها لم تشرع الا فى المدينة دون مكة لقهر
الصحابة رضى الله تعالى عنهم الآن يقال المراد بشروعيتها طلبها فكانت فى المدينة مطلوبة
استحبابا أو وجوبا كفاية أو عينا على الخلاف عندنا فى ذلك وفى مكة كانت مباحة لكن فى
كلام بعض آخر من فقهائنا أن الجماعة لم تفعل بمكة لقهر الصحابة وفيه أن القهر انما ينافى
اظهار الجماعة لا فعلها الا أن يقال تركت حسما للباب وفيه أنه بعد تركها وهم مستخفون
فى دار الارقم فليتأمل والله أعلم * ثم بعد اسلام على رضى الله تعالى عنه أسلم من الصحابة رضى
الله تعالى عنهم زيد بن حارثة بن شرحبيل وقال ابن هشام شرحبيل مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهبته له خديجة أى لما تزوجها صلى الله عليه وسلم أى وكان اشتراه لها ابن أخيها
حكيم بن حزام ممن سباه من الجاهلية أى فان عمته خديجة أمرته أن يبتاع لها غلاما ظريفا
عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع أى وعمره ثمان سنين فانه أسر من عند أخواله طى
وعليه اقتصر السهيلى فان أمه لما خرجت به لتزيره أهلها فأصابته خيل فباعوه فاشتراه أى
وقيل اشتراه من سوق حباشة بأربعمائة درهم ويقال بستمائة درهم فلما رآه خديجة أعجبها
فأخذته * أى ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة أى اشتراه لها فلما تزوجها
صلى الله عليه وسلم وهو عندها أعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتبناه قبل الوحى ٥ أى وقيل اشتراه صلى الله عليه وسلم لها فانه جاء الى خديجة
فقال رأيت غلاما بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه ولو كان لى ثمنه لاشتريته قالت وكم ثمنه قال
سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاذهب فاشتره فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء به اليها وقال انه لو كان لى لاعتقته قالت هو لك فأعتقه وقيل بل اشتراه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الشام لخديجة حيث توجه مع ميسرة فوهبته له فليتأمل ذلك وزعم أبو عبيدة
ان زيد بن حارثة لم يكن اسمه زيدا ولكن النبى صلى الله عليه وسلم سماه بذلك باسم جده قصى
حين تبناه ثم انه خرج فى ابل لابى طالب الى الشام فمر بأرض قومه فعرفه عمه فقام اليه وقال
من انت ياغلام قال غلام من أهل مكة قال من أنفسهم قال لا قال فحر أنت أم مملوك قال مملوك
قال عربى أنت أم أعجمى قال بل عربى قال ممن أهلك قال من كلب قال من أى كلب قال من بنى
عبد ود قال ويحك ابن من أنت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال واين أصبت قال فى اخوالى قال
ومن اخوالك قال طى قال ما اسم امك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا أباه فقال
ياحارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه قال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرنى على
أهله وولده ورزقت منه حبا فلا أصنع الا ماشئت فركب معه أبوه وعمه وأخوه (وفى رواية)
ان ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا وأعلموا أباه ووصفوا له مكانه
فجاء أبوه وعمه وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون اجتماعه بعمه وأبيه كان بعد اخبار
أولئك الناس فلما جاء أهله فى طلبه ليفدوه خيره النبى صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده

واحد فقالا انا معك فقال ابغنا رابعا فذهبوا الى أبي البختري فقال ابغنا خامسا فذهبوا الى زمعة بن الاسود فذكروا فوافقهم على ذلك فقعدوا
ليلا بأعلى مكة وتعاقدوا وتعاهدوا على نقض تلك الصحيفة واخراج بني هاشم من الشعب وقال لهم زهير أنا أبدؤكم وأكون أول من
يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا ٢٩٠ زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام

ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال له أبو جهل كذبت والله لا تشق فقال زمعة بن الاسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت فقال أبو البختري صدق زمعة فقال مطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال هشام بن عمرو مثل ذلك فقال أبو جهل هذا أمر قضي بليل واضطرب الامر بينهم وكثر القيل والقال فقام المطعم بن عدي الى الصحيفة فشقوها وفي رواية قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثم خرجوا الى بني هاشم والمطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا هذا هو الصحيح في ذكر القصة ان السعي من هؤلاء الرهط في نقضها انما كان بعد اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عمه بأكل الارضة لها وبعضهم قدم وأخر في حكاية القصة وكان نقض الصحيفة في السنة التاسعة من النبوة بناء على ان مكثهم كان سنتين أو في السنة العاشرة بناء على انه كان ثلاث سنين وفي الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة أشار صاحب الهمزية بقوله

فدبت خمسة الصحيفة بالخمـ * ـسة ان كان للكرام فداء

والرجوع الى أهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقد ذكر) أنهم لما جاؤا للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه ٥ أي وفي لفظ لما قدم أبوه وعمه في فدائه سألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه انتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون الاسير العاني وتطعمون الجائع جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا وأحسن في فدائه فانا سندفع لك فقال وما ذاك قالوا زيد بن حارثة فقال أو غير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على الذي اختارني فداء فقالوا زدت على النصف وفي لفظ زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال تعرف هؤلاء قال نعم أبي وعمي ولعل سكوته عن أخيه لاستصغاره بالنسبة لابيه وعمه على أن الاكثر روايات الاقتصار على مجيء أبيه وعمه (وفي كلام السهيلي) أن زيدا لما جاء قال صلى الله عليه وسلم له من هذان فقال هذا أبي حارثة بن شرحبيل وهذا كعب بن شرحبيل عمي فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم له أنا من علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما فقال زيد ما أنا بالذي أختار عليك احدا أنت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك وأهل بيتك قال نعم ما أنا بالذي اختار عليه أحدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ما رأى أخرجه الى الحجر أي الذي هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابني أرثه ويرثني فطابت أنفسهما وانصرفا (وفي كلام ابن عبد البر) أنه حين تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنه ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابني وارثا وموروثا يشهدهم على ذلك وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف أي من حالفه فنسخ ذلك وهذا الذي ذكره ابن عبد البر من أنه صلى الله عليه وسلم حين تبناه كان عمره ثمان سنين يدل على أن ذلك كان عقب ملكه صلى الله عليه وسلم له قبل الوحي وان ذلك كان قبل مجيء أبيه وعمه وحينئذ يكون عتقه وتبنيه بعد مجيء أبيه وعمه اظهارا لما تقدم فليتأمل (وفي أسد الغابة) ان حارثة اسلم وفي كلام بعضهم لم يثبت اسلام حارثة الا المنذري * ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر في القرآن من الصحابة أحد باسمه الا هو كما سيأتي قال ابن الجوزي الا ما روي في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ٥ أي وقد أبدى السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القرآن وهي أنه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع منه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة فصار اسمه يتلى في المحاريب ولا يخفى أنه يأتي في زيد ما تقدم في علي ولم تذكر في القرآن امرأة باسمها الا مريم ولزيد أخ اسمه جبلة أسن منه سئل جبلة من اكبر أنت أم زيد فقال زيد أكبر مني وانا ولدت قبله أي لان زيدا أفضل منه

فتية بيتوا على فعل خير * حمد الصبح أمره والمساء ‖ يالأمر أتاه بعد هشام * زمعة انه الفتى الاتاء ‖ وزهير والمطعم بن عدي * وأبو البختري من حيث شاؤا ‖ نقضوا مبرم الصحيفة اذ شد * دت عليهم من العدا الانداء ‖ أذكرتنا بأكلها أكل منسا * ة سليمان الارضة الخرساء ‖ وبها أخبر النبي وكم أخـ * ـرج خبأ له الغيوب خباء ‖ لسبقه
وتقدم انه أسلم من هؤلاء الخمسة هشام

ابن عمرو بن الحرث وزهير بن أبي أمية وأما المطعم بن عدي فمات بمكة كافرا وأما أبو البختري وزمعة بن الاسود فقتلا يوم بدر كافرين فسبحان
من لا يسئل عما يفعل وتوفي أبو طالب بعد خروجهم من الشعب وكانت وفاته في رمضان سنة تسع أو عشر من النبوة وتقدم الكلام
على ما يتعلق به مستوفى فارجع اليه ان شئت ثم بعد ذلك بثلاثة أيام ٢٩١ وقيل بخمسة أيام توفيت خديجة رضي الله عنها وقد

أشار صاحب الهمزية الى ذلك على ما في بعض نسخ الهمزية بقوله

ونضى عمه أبو طالب والد * هر فيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العا * م ونالت من أحمد المناء

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة وهي في الموت فقال تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله في الكره خيرا وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم أطعمها من عنب الجنة وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه انها دفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها حين دفنها وأدخلها القبر بيده صلى الله عليه وسلم وكان عمرها اذ ذاك خمسا وستين سنة وحزن صلى الله عليه وسلم عليها وعلى عمه أبي طالب حزنا شديدا حتى سمي ذلك العام عام الحزن وقالت له خولة بنت حكيم يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة رضي الله عنها فقال أجل أم العيال وربة البيت وقال عبيد الله بن عمير وجد عليها حتى خشي عليه وكانت مدة اقامته معها خمسا وعشرين سنة ثم في شوال من ذلك العام تزوج عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة ودخل بها وعقد على عائشة رضي الله عنها ولم يدخل بها الا بعد الهجرة وقال في السيرة الحلبية وفي الشهر الذي توفيت فيه خديجة رضي الله عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بأيام تزوج

لسبقه للاسلام * ثم أسلم من الصحابة أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال بعضهم في سبب اسلامه انه كان صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وكان سمع قول ورقة له لما ذهب معه اليه كما تقدم فكان متوقعا لذلك فهو مع حكيم بن حزام في بعض الايام اذ جاءت مولاة لحكيم وقالت له ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان زوجها نبي مرسل مثل موسى فانسل أبو بكر حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له بالرسالة فقال صدقت بأبي انت وأمي واهل الصدق انت أنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال انه سماه يومئذ الصديق وهذا السياق ربما يدل على ان اسلام أبي بكر تأخر الى نزول يا أيها المدثر بعد فترة الوحي بناء على ما تقدم وكونه سماه يومئذ الصديق لا ينافي ما سيأتي أنه سمي بذلك صبيحة الاسراء لما صدقه وقد كذبته قريش لجواز أنه لم يشتهر بذلك الا حينئذ (وقد جاء في تفسير قوله تعالى) والذي جاء بالصدق وصدق به ان الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر قال ولما سمعت خديجة مقالة أبي بكر خرجت وعليها خمار أحمر فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن أبي قحافة واسمه عبد الله أي سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسمه قبل ذلك عبد الكعبة فأبو بكر رضي الله تعالى عنه أول من غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولقبه عتيق لحسن وجهه أو لانه عتق من الذم والعيب ٥ أي أو نظر اليه صلى الله عليه وسلم فقال هذا عتيق من النار فهو أول لقب وجد في الاسلام وقيل سمته بذلك أمه لانه كان لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به الكعبة ثم قالت اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش قيل ويدل له ما ذكر بعضهم أن امه كانت اذا هزته تقول عتيق وما عتيق ذو المنظر الانيق (وفي كلام ابن حجر) الهيثمي وصح أن الملقب له به النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه في بيت عائشة وانه غلب عليه من يومئذ قال وبه يندفع أن الملقب له به أبوه وزعم انه امه هذا كلامه وليتأمل قوله في بيت عائشة مع ما تقدم وما في كلام السهيلي قيل وسمي عتيقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أسلم أنت عتيق من النار (وكان أبو بكر) رضي الله تعالى عنه صدرا معظما في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق من رؤساء قريش ومحط مشورتهم وكان من اعف الناس كان رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان من أعلم الناس بتعبير الرؤيا ومن ثم قال ابن سيرين وهو المقدم في هذا العلم اتفاقا كان أبو بكر أعبر هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان أعلم الناس بانساب العرب فقد جاء عن جبير ابن مطعم البالغ النهاية في ذلك أنه قال انما أخذت النسب من أبي بكر لا سيما انساب قريش فانه كان أعلم قريش بانسابها وبما كان فيها من خير وشر وكان لا يعد مساويهم فمن ثم كان محببا فيهم بخلاف عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فانه كان بعد أبي بكر أعلم قريش بانسابها وبآبائها وما فيها من خير وشر لكن كان مبغضا اليهم لانه كان يعد مساويهم وكان عقيل يجلس اليه في المسجد النبوي لاخذ علم الانساب وأيام العرب ووقائعهم (وفي كلام بعضهم) كان أبو بكر عند أهل مكة من خيارهم يستعينون به فيما نابهم وكانت له بمكة

سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عم لها يسمى السكران أسلم معها وهاجر بها الى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات
عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها أربعمائة درهم وكانت رأت في نومها ان النبي صلى الله عليه وسلم وطئ
عنقها فأخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك أموت أنا ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت في ليلة أخرى أن قمرا انقض

ضيافات لا يفعلها أحد (قال الزمخشري) ولعله كني بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة وكان
نقش خاتمه نعم القادر الله وكان نقش خاتم عمر رضي الله تعالى عنه كفى بالموت واعظا يا عمر وكان
نقش خاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وكان نقش خاتم علي الملك لله وكان نقش خاتم أبي عبيدة
ابن الجراح الحمد لله * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعوت أحدا الى الاسلام الا
كانت عنده كبوة أي وقفة وتأخر وتردد الا ما كان من أبي بكر (وفي رواية) ما كلمت أحدا في
الاسلام الا أبى علي وراجعني في الكلام الا ابن أبي قحافة فاني لم أكلمه في شيء الا قبله واستقام
عليه ٥ أي ومن ثم كان أسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا لخبر تمام أتاني جبريل فقال لي ان الله
أمرك أن تستشير أبا بكر ونزل فيه وفي عمر وشاورهم في الامر (كان أبو بكر) رضي الله تعالى
عنه بمكان الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره في أموره كلها وقد جاء ان الله
تعالى أيدني بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض
أبي بكر وعمر وفي حديث رواته ثقات ان الله يكره أن يخطأ أبو بكر (وفي رواية) ان الله يكره
في السماء أن يخطأ أبو بكر الصديق في الارض * وجاء الحسن بن علي وهو صغير الى أبي بكر
وهو يخطب على المنبر فقال له انزل عن مجلس أبي فقال مجلس أبيك والله لا مجلس أبي فأجلسه
في حجره وبكى فقال علي والله ما هذا عن رأيي فقال والله ما اتهمتك ووقع نظير ذلك لسيدنا عمر
رضي الله تعالى عنه مع سيدنا الحسين فانه قال له وهو يخطب انزل عن منبر أبي فقال له منبر
أبيك لا منبر أبي من أمرك بهذا فقام علي فقال له ما أمره بهذا أحد ثم قال للحسين لأوجعنك
يا غدر فقال لا توجع ابن أخي صدق منبر أبيه قال وسبب مبادرته الى التصديق ما علمه من دلائل
نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين صدق دعوته قبل دعوته ولرؤيا رآها قبل ذلك رأى القمر نزل
الى مكة فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها على بعض أهل الكتاب
فعبرها له بانه يتبع النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه وانه يكون أسعد الناس به ولعل هذا الذي
من أهل الكتاب هو بحيرا فقد رأيت ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه رأى رؤيا فقصها على بحيرا
فقال له ان صدقت رؤياك فانه سيبعث نبي من قومك تكون أنت وزيره في حياته وخليفته
بعد مماته أي وأخرج أبو نعيم عن بعض الصحابة ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه آمن بالنبي صلى الله
عليه وسلم قبل النبوة أي علم أنه النبي المنتظر لما مر عن بحيرا الراهب ولما سمعه من شيخ عالم من
الازد قد قرأ الكتب نزل به في اليمن فقال له أحسبك حرميا فقال أبو بكر نعم فقال له أحسبك
قرشيا قال نعم فقال له أحسبك تيميا قال نعم قال له بقيت لي فيك واحدة قال وما هي قال له
تكشف لي عن بطنك فقال له لا أفعل أو تخبرني لم ذلك فقال أجد في العلم الصحيح الصادق ان نبيا
يبعث في الحرم يعاون على أمره فتى وكهل فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات وأما
الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة أي مع كونه حرميا قرشيا
تيميا بدليل قوله أحسبك حرميا أحسبك قرشيا أحسبك تيميا وما عليك أن تريني ما سألتك
فقد تكاملت فيك الصفة أي كونه حرميا قرشيا تيميا أبيض نحيفا الا ما خفي علي فقال أبو بكر
فكشفت له عن بطني فرأى شامة بيضاء أو سوداء فوق سرتي أي ورأى العلامة على الفخذ

عليها من السماء وهي مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لا ألبث حتى أموت فمات من يومه ذلك وعن خولة بنت حكيم رضي الله
عنها وهي امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله ألا تتزوج قال من قلت ان شئت بكرا
وان شئت ثيبا قال فمن البكر قلت أحب خلق الله بك عائشة بنت أبي بكر وكان صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام
انه يتزوج بها وجيء له بصورتها من الجنة فكان يتعجب من ذلك لكونها صغيرة لا تصلح للتزوج ثم يقول ان يكن هذا الامر من عند الله يمضه حتى قالت له خولة ما ذكر فعلم ان الله سيقضي أمره حين أنطقها بذلك ولا علم لها ثم قال لها ومن الثيب قالت سودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما علي قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة قالت وماذاك قالت أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه قالت وددت ذلك ادخلي على أبي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا باقيا على دين قومه لم يسلم قالت فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قالت خولة بنت حكيم قال فما شأنك قالت أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة قال كفء كريم فما تقول صاحبتك قلت تحب ذلك قال ادعيها الي فدعوتها قال أي بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله أرسل يخطبك وهو كفء كريم أتحبين ان أزوجك منه قالت نعم فقال لخولة ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها وكان أخوها عبد الله بن زمعة غائبا فلما بلغه الخبر صار يحثي التراب على رأسه ولما أسلم رضي
الله عنه كان يقول لقد كنت في السفه يوم أحثي التراب على رأسي اذا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني أخته الايسر
ثم ذهبت خولة بنت حكيم الى أم رومان وهي أم عائشة رضي الله عنها فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة
قد أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة قالت انتظري أبا بكر رضي الله عنه حتى يأتي فجاء أبو بكر فقلت يا أبا بكر

الايسر فقال أنت هو ورب الكعبة قال أبو بكر فلما قضيت اربي من اليمن أتيته لاودعه فقال
أحافظ عني أبياتا من الشعر قلتها في ذلك النبي قلت نعم فذكر له أبياتا قال أبو بكر فقدمت مكة
وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فجاءني صناديد قريش كعقبة بن أبي معيط وشيبة وربيعة
وأبي جهل وأبي البختري فقالوا يا أبا بكر يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي ولولا انتظارك ما انتظرنا به
فاذ قد جئت فأنت الغاية والكفاية أي لان أبا بكر كما تقدم كان صديقا له صلى الله عليه وسلم قال
أبو بكر فصرفتهم على أحسن شيء ثم جئته صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الي
وقال لي يا أبا بكر اني رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك على ذلك
قال الشيخ الذي أفادك الابيات فقلت ومن أخبرك بهذا يا حبيبي قال الملك العظيم الذي يأتي
الانبياء قبلي قلت مد يدك فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله قال أبو بكر رضي الله تعالى
عنه فانصرفت وما بين لابتيها أشد سرورا من رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامي (وفي لفظ)
أشد سرورا مني باسلامي ولا مانع من صدور الامرين منه رضي الله تعالى عنه ويحتاج للجمع
بين هذا وبين ما تقدم من انه كان مع حكيم بن حزام يوما الى آخره على تقدير صحة الروايتين
وما جاء من شعر حسان رضي الله تعالى عنه من ان أبا بكر أول الناس اسلاما حيث يقول فيه
وأول الناس منهم صدق الرسلا * وأنه صلى الله عليه وسلم سمع ذلك منه ولم ينكره بل قال صدقت
يا حسان كما سيأتي عند الكلام على الهجرة وقول بعض الحفاظ ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه
أول الناس اسلاما هو المشهور عند الجمهور من أهل السنة لا ينافي ما تقدم من ان عليا أول
الناس اسلاما بعد خديجة ثم مولاه زيد بن حارثة لان المراد أول رجل بالغ ليس من الموالي أسلم
أبو بكر أي وعبارة ابن الصلاح والاورع أن يقال أول من أسلم من الرجال الاحرار أي غير الموالي
أبو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة وهذا وما قبله يدل على
ان اسلام زيد بن حارثة كان بعد البلوغ والا فلا حاجة لزيادة ليس من الموالي تأمل أو ان مراد
من قال ان أبا بكر سبق عليا في الاسلام أي في اظهار الاسلام لانه حين أسلم أظهر اسلامه
بخلاف علي فقد جاء عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه سبقني الى
أربع وعد منها اظهار الاسلام وقال وأنا أخفيته ولعله لا ينافي ذلك ما جاء بسند حسن ان أول
من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب لان ذلك كان عند اختفائه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه
في دار الارقم كما سيأتي فالاولية في اظهار الاسلام اضافية (قال ابن كثير) وورد عن علي رضي
الله تعالى عنه انه قال أنا أول من أسلم ولا يصح اسناد ذلك اليه قال وقد روي في هذا المعنى
أحاديث أوردها ابن عساكر كثيرة منكرة كلها لا يصح شيء منها هذا كلامه وعلى تقدير صحتها
مراده أول من أسلم من الصبيان فالاولية اضافية ومما يؤثر عن علي رضي الله تعالى عنه
لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الامل يحب الصالحين ولا يعمل
بأعمالهم البشاشة فخ المودة والصبر قبر العيوب والغالب بالظلم مغلوب العجب ممن يدعو
ويستبطئ الاجابة وقد سد طرقها بالمعاصي (وأول من أسلم من النساء بعد خديجة) رضي الله
تعالى عنها أم الفضل زوج العباس وأسماء بنت أبي بكر وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت

ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة قال وماذاك قالت أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة رضي الله عنها قال
وهل تصلح أي تحل له انما هي بنت أخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ارجعي اليه فقولي له أنا أخوك
وأنت أخي في الاسلام وابنتك تصلح لي أي تحل فذكرت ذلك له فقالت أم رومان ان مطعم بن عدي كان قد ذكرها على
ابنه جبير ووعده أبو بكر والله ما وعد أبو بكر وعدا قط فأخلفه فقام أبو بكر ودخل على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم ابنه جبير فقال أبو بكر للمطعم بن عدي ما تقول في أمر هذه الجارية التي ذكرتها على ابنك جبير فأقبل المطعم على امرأته وقال لها ما تقولين يا هذه فاقبلت على أبي بكر رضي الله عنه وقالت له لعلنا ان نكحنا هذا الفتى اليكم تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه فاقبل أبو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول انت فقال انها لتقول ما تسمع أي فقولي مثل قولها فقام أبو بكر رضي الله عنه وليس في نفسه من الوعد شيء فرجع وقال لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه اياها أي عقد له عليها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل بنت سبع ودخل على سودة بمكة وأخر الدخول على عائشة الى المدينة فدخل بها وعمرها تسع سنين وتقدم ان أبا طالب عند وفاته جمع قريشا وخطبهم خطبة يحثهم فيها على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم أيضا لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاطيعوه ترشدوا فلم يقبلوا قوله ولما مات ابو طالب اشتدت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونالت منه من الاذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب فدخل صلى الله
عليه وسلم يوما بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها
لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش مني شيأ أكرهه أي أشد الكراهة حتى مات أبو طالب
ولما رأى قريشا تجهموا عليه قال يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ أبا لهب ذلك قام بنصرته أياما وقال يا محمد امض لما أردت وما

كنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتى أموت فلم يزل أبو جهل وعقبة بن أبي معيط وغيرهما من أشراف قريش يحتالون على أبي لهب حتى صدوه عن ذلك وتأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم وترك نصرته ورجع الى ما كان عليه من معاداته فلما أجمعوا على معاداته ومقاطعته ٢٩٤ صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه والفتك به خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقى من قريش ومن قرابته وعترته خصوصا من أبي لهب وزوجته أم قبيح حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب ۞ وعن علي رضى الله عنه انه قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أبي طالب أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم انت الذى جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر رضى الله عنه فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله (وكان خروجه صلى الله عليه وسلم) الى الطائف فى شوال سنة عشر من النبوة وكان معه مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا ويناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه (قال فى السيرة الحلبية) ومن ثم أى من اجل أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهو راحة الامة وفيه تنفس كل ضيق وغمة سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فلما انتهى الى الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة أحدهم عبد ياليل واسمه كنانة ولم يعرف له اسلام وأخوه مسعود وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ولم يعرف له اسلام ايضا والاخ الثالث حبيب قال الذهبي وفى صحبته نظر وهؤلاء الثلاثة أولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي فجلس اليهم صلى الله عليه وسلم وكلمهم فيما جاءهم به من نصرته الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة اى يشقها او يقطعها ان كان الله أرسلك وقال له آخر ما وجد الله أحدا

عمر بن الخطاب وينبغي أن تكون أم أيمن سابقة فى الاسلام على أم الفضل على ما تقدم وقول السراج البلقيني موافقة للزين العراقى ان أول رجل أسلم ورقة بن نوفل لقوله للنبى صلى الله عليه وسلم أنا أشهد انك الذى بشر بك عيسى بن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبى مرسل قد علمت ما فيه وانه انما كان من أهل الفترة كما صرح به الحافظ الذهبى وهو برد القول المتقدم بأن وفاة ورقة تأخرت عن البعثة فورقة ونحوه كبحيرا ونسطورا من أهل الفترة لا من أهل الاسلام ويؤيده ما تقدم انه باجماع المسلمين لم يتقدم خديجة فى الاسلام لا رجل ولا امرأة لكن هؤلاء من القسم الذى تمسك بدين قبل نسخه وآمن وصدق بانه صلى الله عليه وسلم الرسول المنتظر وذلك نافع له فى الآخرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لما توفى ورقة لقد رأيت القس يعنى ورقة فى الجنة وعليه ثياب الحرير لانه آمن بى وصدقنى الى آخر ما تقدم وعلى تسليم انه لا يشترط فى المسلم أن يؤمن ويصدق برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها بل يكفى ولو قبل ذلك فليس ورقة بصحابى لان الصحابى من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد الرسالة مؤمنا بما جاء به عن الله تعالى أى محكوما بايمانه ومن ثم رد الحافظ الذهبى على ابن منده أى ومن وافقه كالزين العراقى فى عده له من الصحابة أى كما عد منهم بحيرا ونسطورا بقوله الاظهر أن من مات بعد النبوة وقبل الرسالة فهو من أهل الفترة هذا كلام الحافظ الذهبى والمراد بالرسالة نزول يا أيها المدثر لا اظهارها ونزول قوله تعالى فاصدع بما تؤمر بناء على تأخر الرسالة عن النبوة (وحين أسلم أبو بكر) رضى الله تعالى عنه دعا الى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من وثق به من قومه فأسلم بدعائه عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس أى ولما أسلم عثمان رضى الله تعالى عنه أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية والد مروان فاوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا أحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته فى الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع (وفى كلام ابن الجوزى) أن المعذب بالدخان ليرجع عن الاسلام الزبير ابن العوام هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك ۞ وجاء لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان (وأسلم بدعاء أبى بكر أيضا الزبير بن العوام) رضى الله تعالى عنه وكان عمره ثمان سنين على ما تقدم وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه أى وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة وقيل عبد الحرث فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان أمية بن خلف لى صديقا فقال لى يوما أرغبت عن اسم سماك به أبواك فقلت نعم فقال لى انى لا أعرف الرحمن ولكن أسميك بعبد الاله فكان ينادينى بذلك قال وسبب اسلام عبد الرحمن ابن عوف ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت نزلت على عسكلان بن عواكف الحميرى فكان يسألنى هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر هل خالف أحد منكم عليكم فى دينكم فأقول لا حتى كان السنة التى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة وعن على رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف أنت أمين فى أهل الارض أمين فى أهل السماء وجاء أنه وصفه بالصادق

برسله غيرك وقال له الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من عند الله كما تقول لانت أعظم خطرا أى قدرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب ما ينبغى لى ان اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد أيس من خيرهم وقال لهم اكتموا على وكره صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه ثم قال له هؤلاء الثلاثة من ٢٩٥ أشراف ثقيف أخرج من بلدنا والحق بما شئت من الارض وأغروا أى سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه وفى رواية حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم اذا أزلقته الحجارة أى وجد ألمها قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة رضى الله عنه يقيه بنفسه حتى لقد شج برأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم أى بستان من بساتينهم فاستظل فى حبلة أى شجرة من شجر الكرم وفى رواية أن الثلاثة من رؤساء ثقيف أغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه وفى البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت يوم العقبة والمراد منها موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد ياليل هناك لا عقبة منى التى اجتمع فيها مع الانصار ثم بين ذلك بقوله اذ عرضت نفسى على عبد ياليل فلم يجبنى الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق من الغم الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت اليها فاذا فيها جبريل فنادانى فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت قال صلى الله عليه وسلم فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد

بالصادق الصالح البار وأسلم بدعاية أبى بكر رضى الله تعالى عنه أيضا سعد بن أبى وقاص أى فان أبا بكر لما دعاه الى الاسلام لم يعد وأتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن أمره فأخبره فأسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو رضى الله تعالى عنه من بنى زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد خالى فليرنى امرؤ خاله (وفى كلام السهيلى) أنه عم آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم وكرهت أمه اسلامه وكان بارا بها فقالت له ألست تزعم ان الله يأمرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال فقلت نعم فقالت والله لا أكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد أى وتمس اسافا ونائلة وكانوا يفتحون فاها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فأنزل الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وفى رواية انها مكثت يوما وليلة لا تأكل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك قلت لها تعلمين والله يا أمه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت دين هذا النبى صلى الله عليه وسلم فكلى ان شئت أو لا تأكلى فلما رأت ذلك أكلت (وفى الانساب للبلاذرى) عن سعد قال أخبرت أمى أنى كنت أصلى العصر أى الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشى فجئت فوجدتها على بابها تصيح ألا أعوان يعينونى عليه من عشيرتى أو عشيرته فأحبسه فى بيت وأطبق عليه بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا أعود اليك ولا أقرب منزلك فهجرتها حينا ثم أرسلت الى أن عد الى منزلك ولا تتضيفن فيلزمنا عار فرجعت الى منزلى فمرة تلقانى بالبشر ومرة تلقانى بالشر وتعيرنى بأخى عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما أسلم عامر لقى منها ما لم يلق أحد من الصياح والاذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت والناس مجتمعون على أمى وعلى أخى عامر فقلت ما شأن الناس فقالوا هذه أمك قد أخذت أخاك عامرا وهى تعطى الله عهدا لا يظلها نخل ولا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صبأته فقلت لها والله يا أمه لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين حتى تتبوئى مقعدك من النار وجاء أنه صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن أبى وقاص ان يأتى الحرث بن كلدة طبيب العرب ليستوصفه فى مرض نزل بسعد وكان ذلك فى حجة الوداع فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود عبد الرحمن بن عوف لمرض نزل به فوجد عنده الحرث فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن انى لارجو ان يشفيك الله حتى يضر بك قوم وينتفع بك آخرون ثم قال للحرث بن كلدة عالج سعدا عما به وكان سعد بالمجلس فقال والله انى لارجو شفاءه فيما ينفعه من رحله هل معك من هذه الثمرة العجوة شئ قال نعم فخلط ذلك الثمر بحلبة ثم أوسعها سمنا ثم أحساه اياها فكأنما نشط من عقال وهذا استدل به على اسلام الحرث بن كلدة لان حجة الوداع لم يحج فيها مشرك فهو معدود من الصحابة وأنكر بعضهم اسلامه وجعله دليلا على جواز استشارة أهل الكفر فى الطب اذا كانوا من أهله وممن أسلم بدعاية أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أيضا طلحة بن عبد الله التيمى فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجاب له فأسلم أى ولما تظاهر أبو بكر وطلحة بالاسلام أخذهما نوفل بن العدوية

ان الله قد سمع قول قومك وماردوا عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني بأمرك ان شئت أن أطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل أرجو ان يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك له وهذا من مزيد حلمه وشفقته وعظيم عفوه وكرمه (وفي رواية) جاءه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال قد أرسله وأمره أن لا يفعل شيأ الا بأمرك فقال له ان شئت دمدمت عليهم الجبال وان شئت خسفت بهم الارض قال يا ملك الجبال فاني آتي بهم لعله أن يخرج منهم ذرية يقولون لا اله الا الله فقال ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤف رحيم * وقد أشار صاحب الهمزية الى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم حيث قال

جهلت قومه عليه فأغضى
وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما
فهو بحر لم تعيه الاعباء

وقوله في أول الحديث لعائشة رضي الله عنها لقد لقيت من قومك المراد منهم قريش اذ كانوا هم السبب في ذهابه الى ثقيف فلا يرد ان ثقيفا ليسوا بقومها وكذلك قوله في وسط الحديث ان الله قد سمع قول قومك وماردوا به عليك ظاهره انه اخبار عما قاله أشراف ثقيف ويحتمل انه أراد قريشا لما دعاهم الى الايمان فقالوا شاعر ساحر كاهن مجنون وغير ذلك فهم السبب في ذهابه الى ثقيف حتى نال منهم ما نال فلذا قال ان شئت أطبق عليهم الاخشبين قيل هما جبلان بمكة أبو قبيس ومقابله قعيقعان وقيل هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى ويحتمل أن المراد اطباق الجبال القريبة من ثقيف عليهم ولما ألجؤه صلى الله عليه وسلم الى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة خلص اليهما ورجلاه تسيلان دما فلما رآيا مالقي تحركت له رحمهما لانهما ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب بكسر القاف يعني العنقود ووضعه عداس في طبق بأمرهما وقالا له اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده في القطف ليأكل قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله

وكان يدعى أسد قريش فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية (أقول) سبب اسلام طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه ما تقدم انه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد فقلت نعم أنا قال هل ظهر أحمد بعد قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين يدعو الى الله وقد تبعه ابن أبي قحافة فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فأخبرته بما قال الراهب فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فسر بذلك وأسلم طلحة وطلحة هذا هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وقد شاركه رجل آخر في اسمه واسم أبيه ونسبه وهو طلحة ابن عبيد الله التيمي وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه الآية لانه قال لئن مات محمد رسول الله لا تزوجن عائشة وفي لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لا تزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية قال الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة أحد العشرة أجل مقاما من أن يصدر عنه ذلك حتى رأيت أنه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه هذا كلامه والحاصل ان أبا بكر أسلم على يده خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة بن الجراح وكان كل من أبي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن أبي وقاص يصنع النبل والله أعلم ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء وذكر في الاصل جماعة من السابقين للاسلام منهم عبد الله بن مسعود وان سبب اسلامه ما حدث به قال كنت في غنم لآل عقبة بن أبي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر بن أبي قحافة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك ابن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فأتيته بشاة شصوص لا ضرع لها فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا كذا في الاصل وفي الصحاح كما في النهاية الشصوص التي ذهب لبنها وحينئذ يكون قول الاصل لا ضرع لها أي لا لبن لها ويدل لذلك قول ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين فمسح ضرعها وقول ابن مسعود فمسح مكان الضرع أي محل اللبن فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر وسقاني ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان أي لا وجود له على ظاهر ما في الاصل أو لا لبن فيه على ما في النهاية كالصحاح والى ذلك أشار الامام السبكي في تائيته بقوله

ورب عناق ما نزا الفحل فوقها * مسحت عليها باليمين فدرت

قال ابن مسعود فلما رأيت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله علمني فمسح رأسي

ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك قال نصراني من نينوى وهي بلد قديم مقابل الموصل فقال له صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال عداس وما يدريك ما يونس بن متى والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ابن متى فمن أين عرفته وأنت أمي في أمة أمية قال ذاك أخي هو نبي مثلي فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم رضي الله عنه وفي رواية أنه قال أشهد انك عبد الله ورسوله ونظر اليه ابنا ربيعة فقال أحدهما للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض شئ خير من هذا فقد أعلمني بأمر لا يعلمه الا نبي قالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فانه خير من دينه (ويروى) ان عداسا لما أراد سيداه الخروج الى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما أقتال ذلك الرجل الذي رأيت بحائطكما تريدان والله ما تقوم له الجبال فقالا له ويحك يا عداس سحرك بلسانه (وفي الاصابة عن الواقدي) قيل قتل عداس ببدر وقيل لم يقتل بل رجع فمات بمكة وهو معدود من الصحابة رضي الله عنه وعنهم وأما عتبة وشيبة فقتلا كافرين ببدر (ويروى أنه صلى الله عليه وسلم) لما تخلص من ثقيف واطمأن في ظل الحبلة دعا بالدعاء المشهور بدعاء الطائف وهو اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني أم الى صديق قريب ملكته أمري ان لم تكن غضبان علي فلا أبالي غير ان عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ان ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لما توفي أبو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فأتى ظل شجرة فصلى

رأسي وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم أقول فان قيل قول ابن مسعود ولكني مؤتمن وعدوله صلى الله عليه وسلم عن ذات اللبن الى غيرها يخالف ما سيأتي في حديث المعراج والهجرة ان العادة كانت جارية باباحة مثل ذلك اللبن لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع مأذونا له في ذلك واذا كان ذلك أمرا مستمرا فما سبب امتناع ابن مسعود وعدوله صلى الله عليه وسلم عن ذات اللبن الى غيرها أقول يجوز ان تكون العادة تختلف فلذا قيد بقوله ابن السبيل المسافر وجاز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله تعالى عنه لم يكونا مسافرين لجواز ان يكون تلك الغنم التي كان فيها ابن مسعود ببعض نواحي مكة القريبة منها التي لا يعد قاصدها مسافرا ولعله لا ينافي ذلك ما سيأتي ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أبيح له أخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج صلى الله عليه وسلم اليهما وانه يجب على مالكهما بذل ذلك له وكان عبد الله بن مسعود يعرف بأمه وهي أم عبد وكان قصيرا جدا طوله نحو ذراع خفيف اللحم ولما ضحكت الصحابة رضي الله تعالى عنهم من دقة رجليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل عبد الله في الميزان أثقل من أحد وقال صلى الله عليه وسلم في حقه رضيت لامتي ما رضي لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد وقوله لرجل عبد الله في الميزان يدل للقول بأن الموزون الانسان نفسه لا عمله وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشي امامه صلى الله عليه وسلم ومعه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما في ذراعيه ولذلك كان مشهورا بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم بأنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولم أقف على انه أسلم حين احتلاب الشاة لكن قول العلامة ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين أسلم قديما بمكة لما مر به صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما الى آخره يدل على انه أسلم حينئذ وعما يؤثر عنه الدنيا كلها هموم فما كان فيها من سرور فهو ربح والله أعلم وذكر في الاصل ان من السابقين أبا ذر الغفاري واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما قال وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل ان ألقى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله أتوجه حيث يوجهني ربي فبلغنا ان رجلا خرج بمكة يزعم انه نبي فقلت لاخي أنيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه وائتني بخبره فلما جاء أنيس قلت له ما عندك فقال والله رأيت رجلا يأمر بخير وينهى عن الشر وفي رواية رأيته يدعو الى دينه يزعم ان الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفني حتى أذهب فأنظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فحملت جرابا وعصا ثم أقبلت حتى أتيت مكة فجعلت لا أعرفه وأكره ان أسأل عنه فكنت في المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على بطني سخفة جوع والسخفة بالتحريك رقة وهزال تجدها الانسان من الجوع ففي ليلة لم يطف بالبيت أحد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه جاآ فطافا بالبيت ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته أتيته فقلت السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار في وجهه ثم قال من الرجل قلت من غفار

ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو فذكره وعند رجوعه من الطائف نزل صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو موضع على ليلة من مكة فصرف الله
اليه سبعة من جن نصيبين وهى مدينة بين الشام والعراق يستمعون قراءته وقد قام عليه السلام فى جوف الليل يصلى فجاؤا يستمعون
قراءته والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآيات ثم أنزل الله قل أوحى الى أنه استمع نفر
من الجن وقيل انهم صرفوا
مرتين فمرة قبل نزول قل أوحى
والمرة الثانية بعد نزولها وانها هى
هذه المرة اى التى كان فيها صلى
الله عليه وسلم بنخلة وانه كان
يقرأ قل أوحى وقيل الرحمن وقيل
قرأ فى الركعة الاولى الرحمن وفى
الثانية قل أوحى وأقام صلى الله
عليه وسلم بنخلة أياما ثم أراد دخول
مكة فقال له زيد بن حارثة رضى
الله عنه كيف تدخل عليهم وهم قد
أخرجوك فقال يا زيد ان الله جاعل
لما ترى فرجا ومخرجا وان الله مظهر
دينه وناصر نبيه ثم انتهى الى
حراء فوجد عبد الله بن الارقط
فبعثه الى الاخنس بن شريق
الثقفى ليجيره فاعتذر وقال انى
حليف والحليف لا يجير وهذا قاله
اعتذارا والا فالنبى صلى الله عليه
وسلم لو لم يعلم ان الحليف يجير لما
بعث له ثم بعث صلى الله عليه وسلم
لسهيل بن عمرو العامرى لان
جده عامر بن لؤى أخو كعب بن
لؤى جد النبى صلى الله عليه
وسلم فاعتذر سهيل بان بنى
عامر لا تجير على بنى كعب أى
قد لا تجيز جوارها فبعث صلى
الله عليه وسلم الى المطعم بن عدى
ابن نوفل بن عبد مناف يقول
له انى داخل مكة فى جوارك
فأجابه الى ذلك وقال للرسول قل
له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه
وسلم فاخبره فدخل مكة بعد أن
تسلح مطعم بن عدى وركب على
راحلته ونادى يا معشر قريش انى أجرت محمدا فلا يؤذه أحد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدخل صلى
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت ثم انصرف الى منزله ومطعم بن عدى وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم
وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مطعم ولبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة أو سبعة وقالوا لرسول الله

بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت من ثلاثين ليلة ويوم ههنا قال فمن كان يطعمك قلت ما كان
لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما أجد على بطنى سخنة جوع قال مباركة
انها طعام طعم وشفاء سقم أى وجاء ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشفى شفاك الله وان
شربته لتشبع أشبعك الله وان شربته لتقطع ظمأك قطعه الله وهى همزة جبريل وسقيا الله
اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين انهم
لا يتضلعون من ماء زمزم وذكر ان أبا ذر أول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك
التى هى تحية الاسلام فهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يأخذه فى الله لومة لائم وعلى ان يقول الحق ولو كان مرا ومن
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء أى السماء ولا أقلت الغبراء أى الأرض
أصدق من أبى ذر وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه أبو ذر يمشى فى الارض على زهد عيسى بن
مريم وفى الحديث أبو ذر أزهد أمتى وأصدقها وقد هاجر أبو ذر الى الشام بعد وفاة أبى بكر واستمر
بها الى ان ولى عثمان فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية منه وأسكنه الربذة فكان بها
حتى مات فان أبا ذر صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن (وعن ابن عباس) رضى
الله تعالى عنهما ان لقيا أبى ذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بدلالة على رضى الله تعالى عنه
وانه قال له ما أقدمك هذه البلدة فقال له أبو ذر ان كتمت على أخبرتك وفى رواية ان أعطيتنى
عهدا وميثاقا ان ترشدنى أخبرتك ففعل قال أبو ذر فأخبرته فأرشدنى وأوصلنى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأسلمت وفى الامتاع ان عليا استضاف أبا ذر ثلاثة أيام لا يسأله عن شئ وهو
لا يخبره ثم فى الثالث قال له ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة قال له ان كتمت على أخبرتك قال
فانى أفعل قال له بلغنا انه خرج ههنا رجل يزعم انه نبى فأرسلت أخى ليكلمه فرجع ولم يشفنى من
الخبر فأردت ان ألقاه فقال له اما انك قد رشدت هذا وجهى أى خروجى اليه فاتبعنى أدخل
حيث أدخل فان رأيت أحدا أخافه عليك قمت الى الحائط كأنى أصلح نعلى وفى لفظ كأنى أريق
الماء فامض أنت قال أبو ذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبى صلى الله عليه وسلم
فقلت له اعرض على الاسلام فعرضه على فأسلمت مكانى الحديث وما تقدم من قوله صلى الله
عليه وسلم له من كان يطعمك وجواب أبى ذر له صلى الله عليه وسلم بقوله ما كان لى طعام الا
ماء زمزم يبعد ان يكون على رضى الله تعالى عنه أضاف أبا ذر ولم يأكل عنده وكذا يبعده ما جاء
ان أبا بكر قال يا رسول الله ائذن لى فى اطعامه الليلة قال أبو ذر فانطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأبو بكر فانطلقت معهما ففتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك
اول طعام أكلته الا ان يحمل الطعام على خصوص الزبيب ويمكن التوفيق بين الروايتين اى
رواية دخوله على النبى صلى الله عليه وسلم مع على فاسلم ورواية اجتماعه به فى الطواف فاسلم
بأن يكون أبو ذر دخل عليه أولا مع على ثم لقيه فى الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه
الثانى الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره فى عدم اجتماعه به فى المسجد مدة ثلاثين يوما
عدم خلو المطاف كما يرشد لذلك قوله ففى ليلة لم يطف بالبيت أحد الى آخره والا فيبعد ان يكون

صلى الله عليه وسلم طف ووقف أربعة منهم عند اركان البيت واحتبى الباقون بحمائل سيوفهم فى المطاف مدة طوافه صلى الله عليه
وسلم وكذا أبوهم المطعم فاقبل أبو سفيان على المطعم وقال له أمجير أم تابع فقال بل مجير فقال اذن لا تخفر اى لا تزال خفارتك أى جوارك
قد أجرنا من أجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ولا بدع فى دخوله صلى الله عليه وسلم فى جوار
كافر وأمانه وان حكمة الحكيم
القادر قد يخفى وان الله ليؤيد هذا
الدين بالرجل الفاجر وفى حديث
بأقوام لا خلاق لهم وهذا السياق
يدل على ان قريشا كانوا قد أجمعوا
على عدم دخوله صلى الله عليه
وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطائف
ودعائه لأهله ولهذا المعروف الذى
فعله المطعم بن عدى قال صلى الله
عليه وسلم فى أسارى بدر لو كان
المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء
النتنى لتركتهم له (وفى أسد
الغابة) ان جبيرا ولد المطعم بن
عدى أسلم بين الحديبية وفتح مكة
وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم
وهو كافر فسأله فى أسارى بدر
فقال لو كان الشيخ أبوك حيا فأتانا
فيهم لشفعناه لانه فعل معه صلى
الله عليه وسلم هذا الجميل وكان
من جملة من سعى فى نقض
الصحيفة كما تقدم وهذا من شيمه
صلى الله عليه وسلم تذكر وقت
النصر والظفر للمطعم هذا الجميل
ولم يذكر قوله صبح الاسراء كل
أمرك كان قبل هذا اليوم سهلا
هو يشهد انك كاذب وكان صلى الله
عليه وسلم لا يجزى بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح (ولما مات
المطعم بن عدى) وله بضع وتسعون
سنة وكان موته قبل وقعة بدر
رثاه حسان بن ثابت رضى الله
عنه بقوله
عينى ألا ابكى سيد الناس واسفحى
بدمع وان أنزفته فاسكبى الدما
وابكى عظيم المشعرين كليهما * على الناس معروف له ما تكلما فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيدك ما لبى مهل واحرما فلو سئلت عنه معد بأسرها * وقحطان أو باقى بقية جرهما
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره * وذمته يوما اذا ما تذمما هذا الفعل من حسان رضى الله عنه مجازاة للمطعم على ما صنع مع النبى صلى الله

صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف مدة ثلاثين يوما ويبعد هذا الجمع قوله صلى الله عليه
وسلم له من الرجل الى آخره ثم قال صلى الله عليه وسلم لابى ذر يا أبا ذر اكتم هذا الامر وارجع الى
قومك فاخبرهم يأتونى فاذا بلغك ظهورنا فأقبل فقلت والذى بعثك بالحق لاصرخن بها بين
ظهرانيهم قال وكنت فى أول الاسلام خامسا وفى رواية رابعا ولعل المراد من الاعراب فلا ينافى
ما يأتى فى وصف خالد بن سعيد فلما اجتمعت قريش بالمسجد ناديت بأعلى صوتى أشهد ان لا اله
الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابئ فضربت لاموت وفى لفظ فمال
على أهل الوادى بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على فاكب على العباس ثم قال لهم ويلكم
ألستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجاراتكم عليهم فخلوا عنى قال فجئت زمزم فغسلت عنى
الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت لمثل ذلك فصنع بى مثل ما صنع وأدركنى العباس وكان منه
كالامس فخرجت وأتيت أنيسا فقال ما صنعت فقلت قد أسلمت وصدقت فقال ما لى رغبة عن
دينك فانى قد أسلمت وصدقت فأتينا أمنا فقالت ما لى رغبة عن دينكما فانى أسلمت وصدقت ثم
أتينا قومنا غفارا فأسلم نصفهم وقال نصفهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا
فلما جاء المدينة أسلم نصفهم الثانى أى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر انى قد وجهت الى
أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب فهل أنت مبلغ قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم
وجاءت أسلم القبيلة المعروفة فقالوا يا رسول الله نسلم على الذى أسلم عليه اخواننا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله أى وقد ذكر ان أبا ذر وقف يوما عند الكعبة
اى فى حجة حجها أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ زادا
فقالوا بلى فقال سفر القيامة أبعد ما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة
لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور
وممن أسلم خالد بن سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه قيل كان حين أسلم رابعا وقيل ثالثا وقيل
خامسا وهو أول من أسلم من اخوته ويمكن أن يكون ذلك محمل قول ابنته أم خالد أول من أسلم
أبى اى من اخوته وسبب اسلامه أنه رأى فى النوم النار ورأى من فظاعتها وأهوالها أمرا
مهولا ورأى انه على شفيرها وان أباه يريد ان يلقيه فيها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا
بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وقال احلف بالله ان هذه لرؤيا حق وعلم ان نجاته
من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى أبا بكر فذكر له ذلك فقال له أريد بك
خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فأتاه فقال يا محمد ما تدعو قال أدعو الى الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر
ولا ينفع فأسلم خالد وفى الوفاء عن أم خالد بنت خالد بن سعيد انها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة
نائما قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر
امرؤ كفه فبينما هو كذلك اذ خرج نور أى من زمزم ثم علا فى السماء فأضاء فى البيت ثم أضاب
مكة كلها ثم تحول الى يثرب فأصابها حتى انى لانظر الى البسر فى النخل فاستيقظت فقصصتها
على أخى عمرو بن سعيد وكان جزل الرأى فقال يا أخى ان هذا الامر يكون فى بنى عبد المطلب ألا

ترى انه خرج من حفر أبيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد مبعثه فقال ياخالد أنا والله ذلك النور وأنا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد وعلم أبوه بذلك وهو سعيد أبو أحيحة وكان من عظماء قريش كان اذا اعتم لم يعتم قرشى اعظاما له ومن ثم قال فيه القائل

أبا أحيحة من يعتم عمته ✻ يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

وعند اسلام ولده خالد أرسل فى طلبه فانتهره وضربه أى بمقرعة كانت فى يده حتى كسرها على رأسه ثم قال اتبعت محمدا وأنت ترى خلافه قومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب أبوه وقال اذهب يالكع حيث شئت وقال والله لامنعنك القوت قال ان منعتنى فان الله يرزقنى ما أعيش به فأخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا أسلموا لا يكلمه أحد منكم الا صنعت به فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه فى نواحى مكة حتى خرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية فكان خالد أول من هاجر اليها وذكر ان والده سعيد انه مرض فقال ان رفعنى الله من مرضى هذا لا يعبد اله ابن أبى كبشة بمكة أبدا فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفى فى مرضه ذلك وخالد هذا أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأسلم أخوه عمرو بن سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه قيل وسبب اسلامه انه رأى نورا خرج من زمزم أضاءت له منه نخل المدينة حتى رأى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بنى عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سبب الاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤيا وقعت لخالد فكانت سبب اسلامه وانه قصها على أخيه عمرو المذكور فهو ممن خلط بعض الرواة الا ان يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولأخيه عمرو وانما كانت سببا لاسلامهما وأسلم من بنى سعيد أيضا أبان والحكم الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله أى ومن السابقين للاسلام صهيب كان أبوه عاملا لكسرى أغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشأ فى الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم بعض أهل مكة أى وهو عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر فقال له عمار بن ياسر أين تريد يا صهيب قال أريد ان أدخل الى محمد وأسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وأنا أريد ذلك فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وتلا عليهما ما حفظ من القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما ذلك حتى أمسيا فخرجا مستخفيين فدخل عمار على أمه وأبيه فسألاه أين كان فأخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن فى يومه ذلك فأعجبهما فأسلما على يده فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب المطيب ✻ وأسلم أيضا حصين والد عمران بن حصين رضى الله تعالى عنهما بعد اسلام ولده عمران وسبب اسلامه ان قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبى صلى الله عليه وسلم ودخل حصين فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال أوسعوا للشيخ وعمران ولده فى الصحابة فقال حصين ما هذا

عليه وسلم ولا يضر رثاء حسان له وهو كافر لان الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت ولا ريب فى أن فعله هذا مع النبى صلى الله عليه وسلم من أقوى المحاسن فلا ضير فى ذكره به

﴿باب خبر الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه﴾ كان الطفيل بن عمرو الدوسى شريفا فى قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا يا أبا الطفيل كنوه باسمه ولم يقولوا يا طفيل تعظيما له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أناظهرنا قد أعضل أمره بنا أى اشتد وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال الطفيل فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أى قصدت وعزمت على أن لا أسمع منه شيأ ولا أكلمه حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا أى قطنا فرقا أى خوفا من ان يبلغنى شئ من قوله فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله الا ان أسمع بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسى أنا ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى ان أعلم من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا لى كذا وكذا حتى سددت أذنى بكرسف حتى لا أسمع قولك فاعرض على أمرك فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن اى قرأ عليه سورة الاخلاص والمعوذتين وقيل انما نزلتا عليه بالمدينة وقيل تكرر نزولهما فلما سمع القرآن قال والله ما سمعت قط قولا أحسن من هذا ولا أمرا أعدل منه فأسلمت وقلت يا نبى الله انى امرؤ مطاع فى قومى وأنا راجع اليهم فأدعوهم الى الاسلام فادع الله ان يكون لى عونا عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر أى وهم الحاضرون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك فى ليلة مظلمة وقع نور بين عينى مثل المصباح فقلت فى غير وجهى فانى أخشى ان يظنوا انه مثلة فتحول فى

الذى بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة فى الارض وواحدا فى السماء فقال فاذا أصابك الضر من تدعو قال الذى فى السماء قال فاذا هلك المال من تدعو قال الذى فى السماء قال فيستجيب لك وحده وتشركهم معه أرضيته فى الشرك يا حصين اسلم تسلم فأسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم وفى حقه فدخلنى من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب أى عتبته رأته قريش قالوا قد صبا وتفرقوا عنه

﴿باب استخفائه صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى دار الارقم بن أبى الارقم رضى الله تعالى عنهما ودعائه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام جهرة وكلام قريش لابى طالب فى ان يخلى بينهم وبينه وما لقى هو وأصحابه من الاذى واسلام عمه حمزة رضى الله تعالى عنه﴾

عن ابن اسحق ان مدة ما أخفى صلى الله عليه وسلم أمره أى المدة التى صار يدعو الناس فيها خفية بعد نزول يا أيها المدثر ثلاث سنين أى فكان من أسلم اذا أراد الصلاة يذهب الى بعض الشعاب يستخفى بصلاته من المشركين أى كما تقدم فبينما سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة ذظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبى وقاص رجلا منهم بلحى بعير فشجه فهو أول دم اهريق فى الاسلام ثم دخل صلى الله عليه وسلم وأصحابه مستخفين فى دار الارقم أى بعد هذه الواقعة فان جماعة أسلموا قبل دخوله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ودار الارقم هى المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا اشتراها الخليفة المنصور وأعطاها ولده المهدى ثم أعطاها المهدى الخيزران أم ولديه موسى الهادى وهرون الرشيد ولا يعرف امرأة ولدت خليفتين الا هذه وولادة جارية عبد الملك بن مروان فانها أم الوليد وسليمان ه وتدروت الخيزران عن زوجها المهدى عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله وقاه كل شئ فكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى فيها الى ان أمره الله تعالى باظهار الدين أى هذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم استمر مستخفيا هو وأصحابه فى دار الارقم الى ان أظهر الدعوة وأعلن صلى الله عليه وسلم فى السنة الرابعة أى وقيل مدة استخفائه صلى الله عليه وسلم أربع سنين وأعلن فى الخامسة وقيل أقاموا فى تلك الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون وقد يقال الاقامة شهرا مخصوصة بالعدد المذكور فلا منافاة واعلانه صلى الله عليه وسلم كان فى الرابعة أو الخامسة بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وبقوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين أى أظهر ما تؤمر به من الشرائع وادع الى الله تعالى ولا تبال بالمشركين وخوف بالعقوبة عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب أى وبنو عبد شمس وبنو نوفل أولاد عبد المطلب بدليل ما يأتى قال بعضهم آية فاصدع بما تؤمر اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها وأحكامها وحلالها وحرامها وقال بعضهم انما أمر

رأسه سوطى فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلوم ومن ثم عرف الطفيل بذلك فقيل له ذو النور والى ذلك أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله وفى جبهة الدوسى ثم بسوطه ✻ جعلت ضياء مثل شمس مضيئة قال الطفيل فأتانى أبى فقلت اليك عنى يا أبت فلست منى ولست منك قال لم يا بنى قال قد أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال أى بنى دينى دينك وأسلم قال ثم أتتنى صاحبتى يعنى زوجه فذكرت لها مثل ذلك أى قلت لها اليك عنى فلست منك ولست منى قد أسلمت وتابعت محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه قالت فدينى دينك فأسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فأبطؤا على ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد غلبتنى دوس قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم قال اللهم اهد دوسا وائت بهم قال الطفيل فرجعت فلم أزل بأرض قومى أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فأسلموا فقدمت بمن أسلم من قومى عليه وقدمت عليه وهو بخيبر مع سبعين أو ثمانين بيتا من دوس ومنهم أبو هريرة رضى الله عنه فأسهم لنا مع المسلمين وقيل لم يعط أحدا لم يحضر القتال الا أهل السفينة الجائين من أرض الحبشة جعفر بن أبى طالب ومن معه ومنهم الاشعريون أبو موسى الاشعرى وقومه فقد تقدم انهم هاجروا من اليمن يريدون النبى صلى الله عليه وسلم فرمى بهم الريح الى الحبشة

﴿باب ذكر الاسراء والمعراج﴾

اعلم انه لا خلاف فى الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين ومن ثم حمل بعضهم اختلاف روايات الاحاديث على تعدد الاسراء وانه وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات أو أكثر وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها فى المنام وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى شيأ فى اليقظة الا بعد أن يريه الله اياه فى المنام فبعض تلك الاسراآت التى كانت فى المنام سابق على الذى فى اليقظة وبعضها متأخر وكان الاسراء

بجسده وروحه سنة احدى عشرة من البعثة وقيل قبل الهجرة بسنة قيل فى شهر ربيع الاول وقيل فى رمضان وقيل فى شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين كبقية أطواره صلى الله عليه وسلم من الولادة والهجرة والوفاة وقيل ليلة الجمعة وكان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج به صلى الله عليه وسلم ٣٠٢ الى السموات ليطلع على عجائب الملكوت كما قال تعالى لنريه من آياتنا والا

فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان ورأى ربه تلك الليلة وأوحى الى عبده ما أوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع الله له الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم فى بيت المقدس ثم استقبلوه فى السموات ورجع صلى الله عليه وسلم من ليلته الى مكة فلما أصبح أخبر الناس بما رآه فصدقه الصديق وكل من آمن ايمانا قويا وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فوصفه لهم وسألوه عن أشياء فى المسجد فمثل بين يديه فجعل ينظر اليه ويصفه ويعد أبوابه لهم بابا بابا فطابق ما عندهم وسألوه عن عيرلهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها فكان كما أخبر وكل ذلك مشهور وفى الكتب مسطور فلا حاجة لنا الى الاطالة به فان قصة الاسراء والمعراج قد أفردت بالتاليف (وفى السيرة الحلبية) أن صخرة بيت المقدس لما أراد جبريل عليه السلام أن يربط فيها البراق لانت له وعادت كهيئة العجين فخرقها وربط البراق بها قال الامام أبو بكر بن العربى فى شرح الموطا ان صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة فى وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذى يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه فى أعلاها من جهة الجنوب قدم النبى صلى الله عليه وسلم حين صعد عليها ومن الجهة الاخرى أصابع الملائكة التى أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التى انفصلت من كل جهة فهى معلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من أن ادخل تحتها لانى كنت أخاف أن تسقط على بسبب ذنوبى ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشى فى جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شئ ولا بعض شئ وبعض الجهات أشد انفصالا من بعض

بالصدع لغلبة الرحمة عليه صلى الله عليه وسلم قال ذكر بعضهم أنه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين اشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وضاق به زرعه اى عجز عن احتماله ٥ فمكث شهرا أو نحوه جالسا فى بيته حتى ظن عماته أنه شاك أى مريض فدخلن عليه عائدات فقال صلى الله عليه وسلم ما اشتكيت شيأ لكن الله أمرنى بقوله وأنذر عشيرتك الاقربين فأريد أن أجمع بنى عبد المطلب لادعوهم الى الله تعالى فان فادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنين عمه أبا لهب فانه غير مجيبك الى ما تدعوه اليه وخرجن من عنده صلى الله عليه وسلم أى وكنى عبد العزى بأبى لهب لجمال وجهه ونضارة لونه كأن وجهه وجبينه ووجنتيه لهب النار أى خلافا لما زعمه بعضهم ان ولده عقير الاسد أو ولد آخر غيره كان اسمه لهبا قال فى الاتقان ليس فى القرآن من الكنى غير أبى لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى أى الصنم لانه حرام شرعا هذا كلامه وفيه ان الحرام وضع ذلك لا استعماله وفى كلام بعضهم ما يفيد ان الاستعمال حرام أيضا الا ان يشتهر بذلك كما فى الاوصاف المنقصة كالاعمش (وفى كلام القاضى) وانما كناه والكنية تكرمة أى بالعدول عن الاسم اليها لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى الذى هو الصنم فاستكره ذكره ولانه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله فى الآخرة فهى كنية تفيد الذم فاندفع ما يقال هذا يخالف قولهم ولا يكنى كافر وفاسق ومبتدع الا لخوف فتنة أو تعريف لان ذلك خاص بالكنية التى تفيد المدح لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها قال فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بنى عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبو لهب فلما أخبرهم بما أنزل الله عليه أسمعه ما يكره قال تبالك ألهذا جمعتنا أى وأخذ حجرا ليرميه به وقال له ما رأيت أحدا قط جاء بنى أبيه وقومه بأشر ما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فى ذلك المجلس انتهى أى وفى الامتاع أن أبا لهب ظن انه صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزع عما يكرهون الى ما يحبون فقال له هؤلاء عمومتك وبنو عمومتك فتكلم بما تريدوا ترك الصباة واعلم انه ليس لقومك بالعرب طاقة وان أحق من أخذك وحبسك أسرتك وبنو أبيك ان أقمت على أمرك فهو أيسر عليك من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن أخى أحدا قط جاء بنى أبيه وقومه بشر ما جئتهم به وعند ذلك أنزل الله تعالى تبت أى خسرت وهلكت يدا أبى لهب وتب أى خسر وهلك بجملته أى أو المراد بالاول جملته عبر عنها باليدين مجازا والمراد به الدعاء وبالثانى الخبر على حد قولهم أهلكه الله وقد هلك أى ولما قال أبو لهب عند نزول تبت يدا أبى لهب وتب ان كان ما يقوله محمد حقا افتديت منه بمالى وولدى نزل ما أغنى عنه ماله وما كسب أى وأولاده لان الولد من كسب أبيه أى وفى رواية وهى فى الصحيحين أنه دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار أى وفيه انه انما أمر بالانذار لعشيرته الاقربين ثم قال صلى الله عليه وسلم يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى زهرة أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار

انتهى يروى انه صلى الله عليه وسلم لما رجع الى مكة من ليلته فأخبر بمسراه أم هانئ بنت أبى طالب أخت على رضى الله تعالى عنه وعنها وانه يريد أن يخرج الى قومه ويخبرهم بذلك لانه ما أحب أن يكتم قدرة الله وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم فتعلقت بردائه أم هانئ وقالت أنشدك الله أى أسألك به يا ابن عم أن لا تحدث بهذا ٣٠٣ قريشا فيكذبك من صدقك وفى رواية انى أذكرك الله أن تأتى قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك فضرب بيده على ردائه فانتزعه منها قالت وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصرى فخررت ساجدة فلما رفعت رأسى فاذا هو قد خرج قالت فقلت لجاريتى نبعة وكانت حبشية وهى معدودة فى الصحابة رضى الله عنها اتبعيه وانظرى ماذا يقول فلما رجعت أخبرتنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش فى الحطيم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقيل ما بين الركن والمقام وذلك النفر الذين انتهى اليهم فيهم المطعم بن عدى وأبو جهل بن هشام فأخبرهم بمسراه وفى رواية انه لما دخل المسجد قطع وعرف ان الناس تكذبه وما أحب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم أسرى بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير أنه يكذبه مخافة ان يجحده أى ينكره صلى الله عليه وسلم الحديث الذى حدث به ان دعا قومه اليه قال أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى قال نعم قال يا معشر بنى كعب بن لؤى فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أسرى بى قالوا الى أين قال الى بيت المقدس فنشر لى رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم قال أبو جهل كالمستهزئ صفهم لى قال أما عيسى عليه السلام ففوق الربعة ودون الطويل يعلوه حمرة كأنما

يا فاطمة أنقذى نفسك من النار يا صفية عمة محمد أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيأ وفى لفظ لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله أى لا تبقوا على كفركم اتكالا على قرابتكم منى فهو حث لهم على صالح الاعمال وترك الاتكال غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها أى أصلها بالدعاء أى والبلال بالفتح كقطام ما يبل الحلق من الماء أو اللبن وبل رحمه اذا وصلها وبلوا أرحامكم ندوها بالصلة (وفى الحديث) بلوا أرحامكم ولو بالسلام أى صلوها أى وقد ذكر أئمتنا ضابط الصلة وفى تخصيصه صلى الله عليه وسلم فاطمة من بين بناته مع انها أصغرهن وقيل أصغر بناته رقية وتخصيصه صلى الله عليه وسلم صفية من بين عماته حكمة لا تخفى * ومن الغريب ما فى الكشاف من زيادة يا عائشة بنت أبى بكر يا حفصة بنت عمر وعندى أن ذكر عائشة وحفصة بل وفاطمة هنا من خلط بعض الرواة وأن هذا ذكره صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فذكره بعض الرواة هنا فان المراد بالانقاذ من النار الاتيان بالاسلام بدليل قوله صلى الله عليه وسلم الا ان تقولوا لا اله الا الله مع انه تقدم ان بناته عليه الصلاة والسلام لم يكن كفارا فليتأمل ثم مكث صلى الله عليه وسلم أياما ونزل عليه جبريل وأمره بامضاء أمر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوأ وانها لجنة أبدا والنار أبدا والله يا بنى عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير أبى لهب فانه قال يا بنى عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل ان يأخذ على يديه غيركم فان أسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له أخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى عنها أى أخى أيحسن بك خذلان ابن أخيك فوالله ما زال العلماء يخبرون أنه يخرج من ضئضئ أى أصل عبد المطلب نبى فهو هو قال هذا والله الباطل والامانى وكلام النساء فى الحجال اذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب فما قوتنا بهم فوالله ما نحن عندهم الا أكلة رأس فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبى صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح بالنون والحاء المهملة أى أصل وفى لفظ سفح بالفاء والحاء المهملة هذا الجبل تريد ان تغير عليكم أكنتم تكذبونى قالوا ما جربنا عليك كذبا فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم من الله شيأ انى لكم نذير مبين بين يدى عذاب شديد أى وفى لفظ انما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله يخشى أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه اتيتم أتيتم (ومن أمثاله) صلى الله عليه وسلم أنا النذير العريان أى الذى ظهر صدقه من قولهم عرى الامر اذا ظهر وقولهم الحق عار أى ظاهر وقيل الذى جرده العدو فأقبل عريانا ينذر بالعدو وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما انه حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل واختلاف الروايات فى محل وقوفه

يتحادر من لحيته الجمان وفي رواية كأنما خرج من ديماس أي حمام وأما موسى فضخم آدم طويل كأنه من رجال شنوأة وأما ابراهيم فوالله انه لأشبه الناس بي خلقا وخلقا وفي رواية لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعني نفسه صلى الله عليه وسلم فلما سمعوا ذلك ضجوا وأعظموا ٣٠٤ ذلك الاسراء وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجبا وقال المطعم ابن عدي ان أمرك قبل اليوم كان أمرا يسيرا غير قولك اليوم هو يشهد أنك كاذب نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك أتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذي تقول قط فقال أبو بكر رضي الله عنه يا مطعم بئسما قلت لابن أخيك جبهته أي استقبلته بالمكروه وكذبته أنا أشهد أنه صادق وفي رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فيه نظر الا أن يراد من ثبت على الايمان وفي رواية فسعى رجال من المشركين الى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم اني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحة أي لانه يخبرني أن الخبر يأتيه من السماء الى الارض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فمجيء الخبر له من السماء بواسطة الملك أعجب مما تعجبون منه فقال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس أراد بذلك اظهار كذبه وعرف الصديق رضي الله عنه قصده وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب قط فقال أبو بكر رضي الله عنه صف لي يا رسول الله فاني قد جئته أراد بذلك اقامة البرهان على قومه بظهور صدقه صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل بصورته ومثاله فجعل يقول باب منه في موضع كذا وباب منه في موضع كذا وأبو بكر رضي الله عنه يقول أشهد انك رسول الله حتى أتى على أوصافه وفي رواية عنه

في رواية وقف على الصفا كما تقدم وفي رواية وقف على أضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم هتف ياصباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج أرسل رسولا الحديث وفي رواية صاح على أبي قبيس يا آل عبد مناف اني نذير (وروى) انه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين جمع بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون * وفي الامتاع خمسة وأربعون رجلا وأمر أن تصنع لهم على طعاما أي رجل شاة مع مد من البر وصاعا من لبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا باسم الله فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا وفي رواية حتى رووا وفي رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول القعب الذي فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم يأكل الجذعة وفي رواية يشرب العس من الشراب في مقعد واحد فشبعهم ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم بدره أبو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفي رواية محمد وفي رواية ما رأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام والشراب قال علي ففعلت ثم جمعتهم له صلى الله عليه وسلم فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا ثم قال لهم يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال وأنذر عشيرتك الاقربين وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة أن لا اله الا الله واني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الامر ويوازرني أي يعاونني على القيام به قال علي أنا يا رسول الله وانا أحدثهم سنا وسكت القوم زاد بعضهم في الرواية يكن اخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فلم يجبه احد منهم فقام علي وقال انا يا رسول الله قال اجلس ثم اعاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقام علي وقال انا يا رسول الله فقال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثا فلم يجبه أحد منهم فقام علي فقال انا يا رسول الله فقال اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي قال الامام أبو العباس بن تيمية أي في الزيادة المذكورة انها كذب وحديث موضوع من له أدنى معرفة في الحديث يعلم ذلك وقد رواه أي الحديث مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوي باسناد فيه أبو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه وقال أحمد انه ليس بثقة عامة أحاديثه بواطل وقال ابن المديني كان يضع الحديث وفي رواية عن علي رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خديجة فصنعت له طعاما ثم قال لي ادع لي بني عبد المطلب فدعوت أربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز أن يكون علي فعل ذلك عند خديجة وجاء به الى بيت أبي طالب ولعل جمعهم هذا كان متأخرا عن جمعهم مع غيرهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق فعل ذلك حرصا على اسلام أهل بيته فلما دعا قومه ولم يردوا عليه ويعيبوه أي وفي رواية صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان صلى الله عليه وسلم اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم أي وسفه عقولهم وضلل آباءهم أي حتى انه مر عليهم يوما وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم فقالوا انما نعبد

الاصنام

صلى الله عليه وسلم قال لما كذبني قريش وسألتني عن أشياء تتعلق ببيت المقدس لم أثبتها قالوا كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط فجلى الله لي بيت المقدس وفي رواية فجيء بصورته وأنا أنظر اليه فطفقت أخبرهم عن آياته أي علاماته وكانوا يعلمون انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فكان يخبرهم بما يعرفونه ٣٠٥ وأبو بكر رضي الله عنه يصدقه على كل مقالة يقولها فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الوصف ولم يخطئ في شيء منه قالوا صدق الوليد بن المغيرة أي في قوله انه ساحر فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قالت نبعة جارية أم هانئ وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا أبا بكر ان الله قد سماك الصديق ومن ثم كان علي رضي الله عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى أنزل اسم أبي بكر الصديق من السماء رضي الله عنه وفي رواية ان كفار قريش لما أخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما آية ذلك يا محمد أي ما العلامة الدالة على هذا الذي أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط هل رأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك أي لان وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب اليه قال آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا فأنفرهم حس الدابة يعني البراق فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه الى الشام ثم أقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وفي رواية فعثرت الدابة يعني البراق فقلب بحافره القدح الذي فيه الماء الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة والمراد الوضوء اللغوي ثم قال صلى الله عليه وسلم وانتهيت الى عير بني فلان فنفرت من الدابة يعني البراق وبرك منها بعير أحمر عليه جوالق مخطوط ببياض لا أدري أكسر البعير أم لا وفي رواية ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع

الاصنام حبا لله لتقربنا الى الله فأنزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فتناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم وجاؤا الى أبي طالب وقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا أي عقولنا أي نسبنا الى قلة العقل وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شيء والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ثم قام النبي يدعو الى الله * وفي الكفر شدة واباء

أمما أشربت قلوبهم الكفـ * ـر فداء الضلال فيهم عياء

أي ثم قام صلى الله عليه وسلم يدعو جماعاتهم الى الله تعالى بأن يقولوا لا اله الا الله حسبما أمر فقد جاء أن جبريل تبدى له صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وأطيب رائحة وقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك أنت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله فدعاهم والحال أن في أهل الكفر قوة تامة وامتناعا عن اتباعه اختلاط الكفر بقلوبهم وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل غيره وبسبب ذلك صار داء الضلال أي داء هو الضلال فيهم عضال يعيي الاطباء مداواته وحصول شفائه ثم شرى الامر أي بالشين المعجمة وكسر الراء وفتح المثناة تحت كثر وتزايد وانتشر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا أي اضمروا العداوة والحقد وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وتذامروا عليه بالذال المعجمة وحض أي حث بعضهم بعضا عليه أي على حربه وعداوته ومقاطعته ثم انهم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا أي عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بأن يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخي ان قومك قد جاؤني فقالوا لي كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أي حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك وأنشد أبياتا منها

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا

وحكمة تخصيص الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار لا تخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين أليق به والقمر النير الممحو واليسار أليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذي جاء به نور قال تعالى يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره * ومن غريب التعبير أن رجلا كان عاملا لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه

ذلك البعير وانكسر وأضلوا بعيرالهم قد جمعه فلان بدلالتى لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فلما قدموا سألوهم عن ذلك كله فقالوا كله صدق فقالوا صدق الوليد أى فى قوله انه ساحر ثم قالوا له صلى الله عليه وسلم متى تجىء عير بنى فلان فقال لهم يأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل أورق عليه مسح أدم ٣٠٦ وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجئ حتى كادت الشمس أن تغرب أو دنت للغروب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير كما وصف صلى الله عليه وسلم قال الامام السبكى

وشمس الضحى طاعتك عند مغيبها ... فما غربت بل وافقتك بوقفة

فأما أهل الايمان الكامل كأبى بكر رضى الله عنه فازدادوا ايمانا الى ايمانهم وأما أهل الكفر والعناد فازدادوا طغيانا على طغيانهم قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ومع ذلك لم يخبرهم صلى الله عليه وسلم بشىء مما شاهده من عجائب الملكوت وقد أفردت قصة الاسراء والمعراج بالتأليف وقد أشار صاحب الهمزية اليها بقوله

فطوى الارض سائرا والسموا ... ت العلى فوقها له اسراء

نصف الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء

وترقى بها الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء

رتب تسقط الامانى حسرى ... دونها ما وراءهن وراء

﴿باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب أن يحموه وينصروه على ما جاء به من الحق﴾

اعلم أنه صلى الله عليه وسلم أخفى رسالته فى أول أمره بأمر من الله تعالى ثم أعلن بها فى السنة الرابعة من النبوة ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافى المواسم كل عام يتبع الحجاج فى منازلهم بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتى اليهم يصلى فى أسواق الموسم وهى عكاظ ومجنة وذو المجاز وكانت العرب اذا حجت أى أرادت الحج تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجىء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجىء الى سوق ذى المجاز فتقيم به أيام الحج وكان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه عليهم ويدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ

فقال لسيدنا عمر انى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم فقال له عمر مع أيهما كنت قال مع القمر قال كنت مع الآية الممحوة اذهب فلا تعمل لى عملا فاتفق ان هذا الرجل كان مع معاوية يوم صفين وقتل ذلك اليوم فلما عرفت قريش ان أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أنهد أى أشد وأقوى فتى فى قريش وأجمله فخذه لك ولدا أى بأن تتبناه وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل فقال لهم أبو طالب والله لبئس ما تسوموننى أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله لا يكون أبدا أى وقال أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها ٥ قال المطعم بن عدى والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل منهم شيأ فقال له أبو طالب والله ما أنصفونى ولكن قد أجمعت أى قصدت خذلانى ومظاهرة القوم أى معاونتهم على فاصنع ما بدا لك أى وندمت عمارة بن الوليد هذا على كفره بأرض الحبشة بعد أن سحر وتوحش وسار فى البرارى والقفار كما سيأتى ومات المطعم بن عدى المذكور على كفره أيضا فعند عدم قبول أبى طالب ما أرادوه اشتد الامر ولما رأى أبو طالب من قريش ما رأى دعا بنى هاشم وبنى المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فأجابوه الى ذلك غير أبى لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من أسلم معه فمما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عمه العباس رضى الله تعالى عنه قال كنت يوما فى المسجد فأقبل أبو جهل فقال ان لله على ان رأيت محمدا ساجدا أن أطأ عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول أبى جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ شأن أبى جهل كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى الى أن بلغ آخر السورة سجد فقال انسان لابى جهل يا أبا الحكم هذا محمد قد سجد فأقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له فى ذلك فقال أبو جهل الا ترون ما أرى لقد سد أفق السماء على (وفى رواية) رأيت بينى وبينه خندقا من نار وسيأتى ان قوله تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل فى أبى جهل ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال ذكر ان أبا جهل بن هشام قال يوما لقريش يا معشر قريش ان محمدا قد أتى الى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم انى أعاهد الله لاجلسن له يعنى النبى صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بى بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشىء أبدا فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة أى وكانت قبلته صلى الله عليه وسلم الى الشام الى صخرة بيت المقدس فكان

رسالة ربه ﴿ وعن جابر رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى الموقف ويقول ألا رجل يعرض على قومه فان قريشا منعونى أن أبلغ كلام ربى وعن بعضهم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر الى المدينة يطوف على الناس فى منازلهم بمنى يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ٣٠٧ ووراءه رجل يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل أبو لهب يعنى عمه وفى لفظ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على القبائل من العرب يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان اى ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل لى انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الذى يرجمه قيل هو عمه عبد العزى يعنى أبا لهب (وفى السيرة الهشامية) عن بعضهم قال انى غلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف فى منازل القبائل من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأن تخلعوا ما تعبدون دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بى وان تصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به وخلفه رجل أحول له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بنى فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابى من هذا الرجل الذى يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عبد العزى بن عبد المطلب يعنى أبا لهب (وروى) ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب وعلى بنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له أنقاتل العرب دونك وفى رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك أى نجعل نحورنا هدفا لنبالهم فاذا أظهرك الله

يصلى بين الركن اليمانى والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام على ما تقدم وقريش جلوس فى انديتهم وهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه أى متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع وقد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده أى بعد ان تخلوا فكه من يده فلم يقدروا كما سيأتى وقامت اليه رجال من قريش وقالوا ما لك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى فحل من الابل والله ما رأيت مثله قط هم بى أن يأكلنى فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لاخذه والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

وأبو جهل اذ رأى عنق الفحل اليه كأنه العنقاء

أى وأبو جهل الذى هو أشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت أن هم أن يلقى الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد أبصر عنق الفحل وقد برزت اليه كأنه الداهية العظيمة أى فرجع عن ذلك الرمى بذلك الحجر أى وفى رواية ان أبا جهل قال رأيت بينى وبينه خندقا من نار ولا مانع ان يكون وجد الامرين معا ﴿ وذكر فى سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون أى انا جعلنا أيديهم متصلة بأعناقهم وأصلة الى أذقانهم ملصقة بها رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها من أقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون أن الآية الاولى نزلت فى أبى جهل لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه أثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى أصحابه أخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت فى آخر لما رأى ما وقع لابى جهل قال أنا ألقى هذا الحجر عليه فذهب اليه صلى الله عليه وسلم فلما قرب منه عمى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فأخبرهم بذلك وعن الحكم بن أبى العاص أى ابن مروان بن الحكم أن ابنته قالت له ما رأيت قوما كانوا أسوأ رأيا وأعجز فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بنى أمية فقال لها لا تلومينا يا بنية انى لا أحدثك الا ما رأيت لقد أجمعنا ليلة على اغتياله صلى الله عليه وسلم فلما رأيناه يصلى ليلا جئنا خلفه فسمعنا صوتا ظننا انه ما بقى بتهامة جبل الا تفتت علينا أى ظننا انه يتفتت وانه يقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته صلى الله عليه وسلم ورجع الى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقتا احداهما على الاخرى فحالتا بيننا وبينه وتأمل هذا لان صلاته صلى الله عليه وسلم انما تكون عند الكعبة وليست بين الصفا والمروة وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم يصلى فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فأنزل الله تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زاره أبو جهل أى انتهره وقال انك لتعلم ما بها ناد أكثر منى فأنزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله أى وقال يوما واقدا لقى النبى صلى الله عليه وسلم فقال للنبى صلى الله عليه وسلم لقد علمت أنى أمنع

كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن لا يقدر ان يوافي معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان في موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على ٣٠٨ رأسه ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف أي هل لهذه القضية من تدارك والذي نفس فلان بيده ما يقولها أي ما يدعي النبوة كاذبا أحد من بني اسمعيل قط وانها الحق وان رأيكم غاب عنكم * وروى الواقدي انه صلى الله عليه وسلم أتى بني عبس وبني سليم وبني محارب وفزارة ومرة وبني النضر وعذرة والحضارمة فردوا عليه صلى الله عليه وسلم أقبح الرد وقالوا أسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن أحد من العرب أقبح عليه من بني حنيفة وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب ومن ثم جاء في الحديث شر قبائل العرب بنو حنيفة وهم منسوبون الى أمهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان في رجلها ومن أقبح القبائل في الرد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف (ودفع) مرة هو وأبو بكر رضي الله عنه الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وقال ممن القوم قالوا من ربيعة وكان أبو بكر رضي الله عنه نسابا أي ذا معرفة بالانساب فقال لهم من أي ربيعة من هامتها أو من لهازمها قالوا من هامتها العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال أمنكم حامي الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال أمنكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال أمنكم صاحب العمامة الفردة فلان قالوا لا فقال لستم من ذهل الاكبر انتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين أبقل وجهه أي طلع شعر وجهه فقال له ان على سائلنا ان نسأله كما سألنا يا هذا انك قد سألتنا فأخبرناك فمن الرجل انت فقال أبو بكر رضي الله عنه أنا من قريش فقال الفتى بخ بخ أهل الشرف والرياسة ثم قال فمن أي قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة قال الفتى أمكنت الرامي من صفا الثغرة أمنكم قصي الذي كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه قال لا قال أمنكم

أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم فأنزل الله تعالى فيه ذق انك أنت العزيز الكريم كذا قاله الواحدي أي تقول له الزبانية عند القائه في النار ما ذكر توبيخا له (ومن ذلك ما حدث به بعضهم) قال لما أنزل الله تعالى سورة تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب وهي أم جميل واسمها العوراء وقيل اسمها أروى بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب ولها ولولة وفي يدها فهر أي بكسر الفاء وسكون الهاء حجر ملء الكف فيه طول يدق به في الهاون الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه فلما رآها قال يا رسول الله انها امرأة بذية أي تأتي بالفحش من القول فلو قمت لئلا تؤذيك فقال صلى الله عليه وسلم انها لن تراني فجاءت فقالت يا أبا بكر صاحبك هجاني أي وفي لفظ ما شأن صاحبك ينشد في الشعر قال لا وما يقول الشعر أي ينشئه وفي لفظ لا ورب هذا البيت ما هجاك والله ما صاحبي بشاعر وما يدري ما الشعر أي لا يحسن انشاءه قالت له أنت عندي تصدق وانصرفت أي وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها أي تعني عبد مناف جد أبيها ومن كان عبد مناف أباه لا ينبغي لاحد أن يتجاسر على ذمه قلت يا رسول الله لم ترك قال لم يزل ملك يسترني بجناحه أي فقد جاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر قل لها هل ترين عندي أحدا فقال لها أبو بكر فقالت أتهزأ بي والله ما أرى عندك أحدا (أقول) وفي الامتاع انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم في المسجد معه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر فأقبلت على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقالت أين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغني أنه هجاني والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فقال عمر رضي الله تعالى عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت اني لا أكلمك يا ابن الخطاب أي لما تعلمه من شدته ثم أقبلت على أبي بكر لما تعلمه من لينه وتواضعه فقالت والثواقب أي النجوم انه لشاعر واني لشاعرة أي فكما هجاني لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراك فقال انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب أي لانه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وفي رواية أقبلت ومعها فهران وهي تقول

مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا

فقالت أين الذي هجاني وهجا زوجي والله لئن رأيته لاضربن أنثييه بهذين الفهرين قال أبو بكر فقلت لها يا أم جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم ترك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حال بيني وبينها جبريل ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين ما ذكر وكذا ما يأتي وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم مرة بعد أخرى كما أن محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد أخرى كما تقدم * وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال ألا تعجبون كيف يصرف الله تعالى عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد * وفي الدر المنثور انها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الملا فقالت يا محمد علام تهجوني قال اني والله ما هجوتك ما هجاك الا الله قالت رأيتني أحمل حطبا أو رأيت في جيدي حبلا من مسد وهذا

شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كان وجهه يضيء كالقمر في الليلة الظلماء قال لا واجتذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان علي رضي الله عنه حاضرا فقال لابي بكر رضي الله عنه لقد وقعت من الاعراب على باقعة أي داهية أي ذي دهاء قال أجل يا أبا الحسن ٣٠٩ ما من طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق وكان الاعرابي لما ذكر له قصيا وهاشما وعبد المطلب يقول ان قبيلتك لم تشتمل على هؤلاء الاشراف كما ان قبيلتنا لم تشتمل على أولئك الاشراف فواحدة بواحدة والجزاء من جنس العمل * وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لقي جماعة من بني شيبان ابن ثعلبة وكان معه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما وان أبا بكر رضي الله عنه سألهم وقال لهم من القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر أي سادات في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق ابن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وله غديرتان أي ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر رضي الله عنه فقال له أبو بكر رضي الله عنه كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة فقال له أبو بكر رضي الله عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد أي الطاقة ولكل قوم جد أي حظ وسعادة أي علينا أن نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال له أبو بكر رضي الله عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما يكون غضبا حين نلقى وانا لاشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح أي نؤثر السلاح على ذوات اللبن من الابل والنصر من عند الله يديلنا أي ينصرنا مرة ويجعل الدولة لنا ويديل علينا مرة أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر رضي الله عنه أوقد بلغكم انه أي أخا قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا فقال مفروق بلغنا انه يذكر

مما يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على أي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه أحاديث لتحثهم بها على عداوته صلى الله عليه وسلم وان الحبل عبارة عن حبل من نار محكم وعن عروة بن الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله أعلم * والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأعدت حمالة الحطب الفهـ * ـر وجاءت كأنها الورقاء
ثم جاءت غضبى تقول أفي مثـ * ـلي من أحمد يقال الهجاء
وتولت وما رأته ومن أيـ * ـن ترى الشمس مقلة عمياء

أي وهيأت حمالة الحطب الفهر ولقبت بذلك لانها كانت تحتطب أي تجمع الحطب وتحمله لبخلها أو دناءة نفسها أو كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف الثلاثة لكن استفهامها يبعد الوصفين الاخيرين والفهر الحجر الذي يملأ الكف كما تقدم لتضرب به النبي صلى الله عليه وسلم والحال انها جاءت في غاية السرعة والعجلة كأنها في شدة السرعة الحمامة الشديدة الاسراع حالة كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها في سورة تبت يدا أبي لهب تقول أفي مثلي وأنا بنت سيد بني مخزوم يقال الهجاء والسب حالة كونه من أحمد وتولت والحال انها ما رأته وكيف ترى الشمس عين عمياء (أقول) في ينبوع الحياة انها لما بلغها سورة تبت يدا أبي لهب جاءت الى أخيها أبي سفيان في بيته وهي مضطرمة أي متحرقة غضبى فقالت له ويحك يا أحمس أي يا شجاع أما تغضب ان هجاني محمد فقال سأكفيك اياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت هل قتلته فقال لها يا أخية أيسرك ان رأس أخيك في فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كان ذلك يكون الساعة أي فانه رأى ثعبانا لو قرب منه صلى الله عليه وسلم لالتقم رأسه * ولما نزلت هذه السورة التي هي تبت يدا أبي لهب قال أبو لهب لابنه عتبة أي بالتكبير رضي الله تعالى عنه فانه أسلم يوم الفتح كما سيأتي رأسي من رأسك حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية رضي الله تعالى عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها ووقع في كلام بعضهم طلقها لما أسلم فليتأمل * وكان أخوه عتيبة بالتصغير متزوجا ابنته صلى الله عليه وسلم أم كلثوم ولم يدخل بها فقال أي وقد أراد الذهاب الى الشام لآتين محمدا فلأوذينه في ربه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم أي وفي لفظ برب النجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفي رواية اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها أبو طالب وقال ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه أبي لهب فأخبره بذلك ثم خرج هو وأبوه الى الشام في جماعة فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم نسبي وحقي فقالوا أجل يا أبا لهب فقال أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني أخاف على ابني دعوة محمد فاجمعوا أمتعتكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ثم افرشوا حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم وأناخوها

ذلك فالام يدعو فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله والى أن
تؤوونى وتنصرونى فان قريشا قد تظاهرت أى تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد
قال مفروق والام تدعونا أيضا يا أخا قريش فقال ٣١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ
وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا
أولادكم من املاق نحن نرزقكم
واياهم ولا تقربوا الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا
النفس التى حرم الله الا بالحق
ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال
مفروق ما هذا من كلام أهل
الارض عرفناه ثم قال والام تدعو
أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر
بالعدل والاحسان وايتاء ذى
القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى يعظكم لعلكم
تذكرون فقال مفروق دعوت
والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن
الاعمال ولقد أفك قوم صرفوا
عن الحق وكذبوك وظاهروا أى
عاونوا عليك وكان مفروقا أراد
ان يشاركه فى الكلام هانى بن
قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة
شيخنا وصاحب ديننا فقال هانى
قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش
وانى أرى ان تركنا ديننا واتبعنا ك
على دينك بمجلس جلسته الينا
ليس له أول ولا آخر زلة فى الرأى
وقلة نظر فى العواقب وانما
تكون الزلة مع العجلة وان وراءنا
قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا
ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر
وكان هانى احب ان يشركه فى
الكلام مثنى بن حارثة فقال
هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب
حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك
يا أخا قريش والجواب هو جواب
هانى بن قبيصة وان احببت ان نأويك وننصرك مما يلى سائر العرب دون انهار كسرى فعلنا انما نزلنا على عهد أخذه عليه
علينا كسرى لا نحدث حدثا ولا نأوى محدثا وانى أرى ان هذا الامر الذى تدعونا اليه هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما أسأتم اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من أحاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا

حولهم واحدا فواحدا حتى انتهى الى عتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفى رواية فضغ
رأسه وفى رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفى رواية
فضغمه ضغمة فكانت اياها فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة
ومات فقال أبوه قد عرفت والله ما كان ليفلت من دعوة محمد (أقول) وحلفه بالنجم الى آخره
يدل على أن ذلك كان بعد الاسراء والمعراج * ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق قيل له هذا فلان
ينشد الناس هجاءكم يعنى أهل البيت بالكوفة فقال لذلك القائل هل علقت من قوله بشئ
قال نعم قال فأنشد

صلبنا لكم زيدا على رأس نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة * وعثمان خير من على وأطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال اللهم ان كان كاذبا فسلط عليه كلبا من كلابك فخرج ذلك الرجل
فافترسه الاسد وانما سمى الاسد كلبا لانه يشبه الكلب فى انه اذا بال رفع رجله ومن ثم قيل ان
كلب أهل الكهف كان أسدا وقيل كان رجلا منهم جلس عند الباب طليعة لهم فسمى باسم
الكلب الملازمته للحراسة ووصف ببسط الذراعين لان ذلك من صفة الكلب الذى هو
الحيوان وقد جاء انه ليس فى الجنة من الحيوان الا كلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة
صالح والله أعلم (ومما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم) من الاذية ما حدث به عبد الله بن مسعود
رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو يصلى وقد نحر جزور
وبقى فرثه أى روثه فى كرشه فقال أبو جهل ألا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد أى
وفى رواية قال قائل ألا تنظرون الى هذا المرائى أيكم يقوم الى جزور بنى فلان فيعمد الى فرثها
ودمها وسلاها فيجئ به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفى رواية أيكم يأخذ سلى
جزور بنى فلان لجزور ذبحت من يومين أو ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام شخص من
المشركين وفى لفظ أشقى القوم وهو عقبة بن أبى معيط وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبى صلى
الله عليه وسلم وهو ساجد أى فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض أى من شدة الضحك قال
ابن مسعود فهبنا أى خفنا ان نلقيه عنه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ وأنا قائم انظر لو كانت لى
منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنها أى
بعد ان ذهب اليها انسان وأخبرها بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه
واستمراره فى الصلاة عند فقهائنا لعدم علمه بنجاسة ما ألقى عليه ولما ألقته عنه أقبلت عليهم
تشتمهم فقام النبى صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلى اللهم اشدد وطأتك أى
عقابك الشديد على مضر سنين كسنى يوسف اللهم عليك بابى الحكم بن هشام يعنى أبا جهل وعتبة
ابن ربيعة وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف زاد بعضهم وشيبة بن أبى ربيعة والوليد بن عتبة
بالمثناة فوق لا بالقاف كما وقع فى رواية فى مسلم فقد اتفق العلماء على انه غلط لانه لم يكن ذلك
الوقت موجودا أو كان صغيرا جدا وعمارة بن الوليد أى وهو المتقدم ذكره الذى أرادوا أن
يجعلوه عوضا عنه صلى الله عليه وسلم (أقول) والذى فى المواهب فلما قضى رسول الله صلى الله

حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن
لهم من الله فضلا كبيرا ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال العلامة الحلبى) ٣١١ زد ولاء لم أقف على اسلام واحد منهم
الان فى الصحابة شخصا يقال له
المثنى بن حارثة الشيبانى وكان
فارس قومه وسيدهم والمطاع
فيهم ولعله هو هذا القول هانئ
ابن قبيصة فيه انه صاحب حربنا
ورأيت بعضهم ذكر ان النعمان
ابن شريك له وفادة فيكون من
الصحابة (وفى أسد الغابة) ان
مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل
عن أبى نعيم انه قال لا أعرف
لمفروق اسلاما والله أعلم * ولما
قدمت قبائل بكر بن وائل مكة
للحج قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابى بكر رضى الله عنه ائتهم
فاعرضنى عليهم فأتاهم فعرض
عليهم ثم قال لهم صلى الله عليه
وسلم كيف العدد فيكم قالوا كثير
مثل الثرى قال كيف المنعة قالوا
لا منعة جاورنا فارسا فنحن لا نمتنع
منهم ولا نجير عليهم قال افتجعلون
لله عليكم ان هو أبقاكم حين أن
تنزلوا منازلهم وتنكحوا نساءهم
وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا
الله ثلاثا وثلاثين قالوا ومن أنت
قال انا رسول الله ثم مر بهم أبو
لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل
قال نعم فاخبروه بما دعاهم اليه
وانه زعم انه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لهم أبو لهب
لا ترفعوا لقوله رأسا فانه مجنون
يهذى من أم رأسه فقالوا لقد
رأينا ذلك حيث ذكر من أمر
فارس ما ذكر وفى رواية انه لما
سألهم قالوا له حتى يجئ شيخنا
حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبين الفرس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا بما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم
الرجل الذى دعاكم الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو عزكم فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بى نصروا أى
نصروا بذكرهم اسمى ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل فى كل موسم يقول لا أكره أحدا على شئ من رضى

عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام الى آخر ما تقدم
ذكره وفى الامتاع فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان اذا دعا
دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا
صوته ذهب عنهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم عليك بابى جهل بن هشام الحديث وان
ابن مسعود قال والله لقد رأيتهم وفى رواية رأيت الذى سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر واعترض بأن عمارة بن الوليد مات بالحبشة
كافرا كما تقدم وسيأتى وبان عقبة بن أبى معيط لم يقتل ببدر وانما أخذ أسيرا منها وقتل بعرق
الظبية كما سيأتى وبان أمية بن خلف لم يطرح بالقليب وأجيب بأن قول ابن مسعود رأيتهم
أى رأيت أكثرهم وقد يقال لا مانع ان يكون صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الدعاء وهو قائم يصلى
وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والله أعلم والمراد بسنى يوسف بتخفيف الياء ويروى سنين
باثبات النون مع الاضافة القحط والجدب أى فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم سنة أكلوا فيها
الجيف والجلود والعظام والعلهز وهو الوبر والدم أى يخلط الدم باوبار الابل ويشوى على النار
وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع
من المشركين فيهم أبو سفيان وقالوا يا محمد انك تزعم انك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع
الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة
المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاء انهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون أى لا نعود لما كنا عليه فلما كشف عنهم ذلك عادوا أى وفيه ان هذا انما كان بعد
الهجرة فسيأتى انه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع رأسه من ركوع الركعة الثانية من
صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش
ابن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم
سنين كسنى يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الاخيرة من صلاة العشاء وسيأتى
ما فيه وقد يقال لا مانع ان يكون حصل لهم ذلك قبل الهجرة وبعد الهجرة مرة أخرى سيأتى
الكلام عليها ثم رأيت فى الخصائص الكبرى ما يوافق ذلك حيث قال قال البيهقى قد روى فى
قصة أبى سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين أى وسيأتى فى السرايا ان
ثمامة لما منع عن قريش الميرة ان تأتى من اليمن حصل لهم مثل ذلك وكتبوا فى ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وفى البخارى لما استعصت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليهم
بسنين كسنى يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر وفى رواية فيه أيضا لما أبطؤا على النبى
صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف فأصابتهم سنة حصت كل شئ
الحديث وفى رواية اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام
فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى
فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فأتى أبو سفيان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فاستسقى صلى الله عليه وسلم

الذي أدعو إليه فذاك ومن كره لم أكرهه وإنما أريد منعي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي فلم يقبله صلى الله عليه وسلم أحد من
تلك القبائل ويقولون قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه * وعن ابن إسحق لما أراد الله تعالى إظهار دينه
وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وإنجاز ٣١٢ موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم (وفي مستدرك الحاكم) أن
ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة التي تضاف إليها الجمرة فيقال جمرة العقبة وهي على يسار القاصد منى من مكة وبها الآن أسفل منها مسجد يقال له مسجد البيعة إذ لقي رهطا من الخزرج لأن الأوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب وكان الذين لقيهم ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله بهم الخير وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث بن رفاعة ويعرف بابن عفراء ورافع بن مالك ابن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله بن رئاب وعبادة ابن الصامت وأبو الهيثم بن التيهان وأسقط بعضهم عبادة بن الصامت ومن بعده فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال ألا تجلسون أكلمكم قالوا بلى من أنت فانتسب لهم وأخبرهم خبره فجلسوا وفي رواية أنه وجدهم يحلقون رؤسهم ثم دعاهم إلى الله سبحانه وتعالى وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فقبلوا ذلك منه وأرق قلوبهم وكان قد أخذهم النبي صلى الله عليه وسلم في موضع بعيد من الناس خوفا من أن يراهم أحد فينقل خبرهم إلى قريش فنزل بهم تحت العقبة بالمكان
المعروف بمسجد البيعة وكان من صنع الله أن اليهود كانوا مع الأوس والخزرج بالمدينة وكانوا أهل كتاب والأوس والخزرج حتى
أهل شرك وأوثان وكانوا إذا كان بينهم شيء تقول اليهود إن نبيا سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وكانوا
يصفونه لهم بصفاته فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا الصفات التي كانوا يسمعونها قبل من اليهود فوجدوها متحققة فيه

فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون
يعني يوم بدر (ومن ذلك ما حدث به عثمان بن عفان) رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده في يد أبي بكر وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن أبي
معيط وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلما حاذاهم
أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فدنوت منه حتى وسطته أي
جعلته وسطا فكان صلى الله عليه وسلم بيني وبين أبي بكر وأدخل أصابعه في أصابعي وطفنا جميعا
فلما حاذاهم قال أبو جهل والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهى أن نعبد ما كان يعبد
آباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل
ذلك حتى إذا كان الشوط الرابع ناهضوه أي قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب أبو جهل يريد
أن يأخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعت في صدره فوقع على استه ودفع أبو بكر أمية بن
خلف ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه أي ينزل عليكم عاجلا قال
عثمان فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف إلى بيته وتبعناه حتى انتهى إلى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه
فقال أبشروا فإن الله عز وجل مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه إن هؤلاء الذين ترون مما
يذبح الله على أيديكم عاجلا ثم انصرفنا إلى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بأيدينا يوم بدر (أقول)
ولا يخالف ذلك كون عقبة بن أبي معيط حمل أسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا وهم
راجعون من بدر ولا كون عثمان بن عفان لم يحضر بدرا والله أعلم وفي رواية أن عقبة بن أبي
معيط وطئ على رقبته صلى الله عليه وسلم الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان أي
وفي رواية دخل عقبة بن أبي معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلي فيه فوضع ثوبه على
عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضي الله تعالى عنه حتى أخذ بمنكبه
ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم أي وفي البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال قلت لعبد الله بن
عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأخذ
بمنكبيه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ولعل أشدية ذلك باعتبار ما بلغ عبد الله
ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما أو ما رآه * وعنه رضي الله تعالى عنه قال ما رأيت قريشا أصابت
من عداوة أحد ما أصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع
ساداتهم وكبراؤهم في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا الأمر كصبرنا
لأمر هذا الرجل قط ولقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد
صبرنا منه على أمر عظيم فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي

فقال بعضهم لبعض بادروا الاتباعه لا تسبقنا اليهود إليه وفي رواية فلما سمعوا قوله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم إلى ما سمعوا منه
وعرفوا ما كانوا يسمعون من صفته ورأوا أمارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله أنه هو النبي الذي
توعدكم به اليهود فلا يسبقوكم إليه فأجابوه إلى ما دعاهم إليه وصدقوه ٣١٣ وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام فأسلم أولئك
النفر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي قالوا يا رسول الله إنا تركنا قومنا بين الأوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك وقولهم بينهم من العداوة والشر ما بينهم أصل هذه العداوة أن الأوس والخزرج كانوا أخوين لأب وأم فوقعت بينهم العداوة وتطاولت بينهم الحروب مائة وعشرين سنة وفي رواية قالوا له إنما كانت بعاث عام أول وهو يوم اقتتلوا فيه وقتل رؤساؤهم وافترق فيه ملؤهم فقالوا إن تقدم ونحن كذلك متفرقون لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله أن يصلح بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام المقبل ثم انصرفوا إلى المدينة ورضي رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم بذلك وهذا ابتداء إسلام الأنصار فلما وصلوا المدينة أخبروا قومهم وانتشر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وهي العقبة الثانية فأسلموا فيهم خمسة من المذكورين قبل وهم

أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي والسبعة
تتمة الاثني عشر هم معاذ بن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور قبل وذكوان بن عبد قيس الزرقي الخزرجي وعبادة
ابن الصامت وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي حليف الخزرج وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة والعباس بن نضلة بن مالك بن

حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر بهم لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر
بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة فلمزوه فوقف عليهم وقال
أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا لكلمته صلى
الله عليه وسلم تلك وما بقي رجل منهم إلا كأنما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون يا أبا القاسم
انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا
في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما
تكرهون تركتموه فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا إليه وثبة
رجل واحد وأحاطوا به وهم يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا يعني عيب آلهتهم ودينهم فقال نعم
أنا الذي أقول ذلك فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه عليه الصلاة والسلام فقام أبو بكر دونه وهو
يبكي ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله فأطلقه الرجل ووقعت الهيبة في قلوبهم فانصرفوا
عنه فذلك أشد ما رأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ألست تقول في آلهتنا
كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ إلى أبي بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج
أبو بكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال
ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكفوا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر يضربونه قالت بنته أسماء فرجع إلينا فجعل لا يمس شيأ من
غدائره إلا أجابه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والإكرام وجاء أنهم جذبوا رأسه صلى الله عليه
وسلم ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي
الله أي وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذي نفسي بيده إني
بعثت إليهم بالذبح ففرجوا عنه صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضي الله تعالى عنها قالت
اجتمعت مشركو قريش في الحجر فقالوا إذا مر محمد فليضربه كل واحد منا ضربة فسمعت
فدخلت على أبي فذكرت ذلك له أي قالت له وهي تبكي تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا في
الحجر حلفوا باللات والعزى ومناة وإساف ونائلة إذا هم رأوك يقومون إليك فيضربونك
بأسيافهم فيقتلونك فقال صلى الله عليه وسلم يا بنية اسكني وفي لفظ لا تبكي ثم خرج صلى الله عليه
وسلم أي بعد أن توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب
فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما أصاب رجلا منهم إلا قتل يوم بدر أي وكان بجواره
صلى الله عليه وسلم جماعة منهم أبو لهب والحكم بن أبي العاص بن أمية والد مروان وعقبة بن
أبي معيط فكانوا يطرحون عليه صلى الله عليه وسلم الأذى فإذا طرحوه عليه أخذه وخرج به
ووقف على بابه ويقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق ولم يسلم ممن ذكر
إلا الحكم وكان في إسلامه شيء وتقدم نفيه صلى الله عليه وسلم له إلى وج الطائف وأنه سيأتي
السبب في نفيه وأشار صاحب الهمزية إلى أن هذه الأذية له صلى الله عليه وسلم لا يظن ظان
أنها منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هي رفعة له ودليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظيم
رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره وحلمه واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند

العجلان وأقام العباس المذكور بمكة الى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فهاجر فهو انصارى مهاجرى واستشهد بأحد رضى الله عنهم يروى أنه قال لهم حين اجتماعهم في هذه العقبة الثانية تأخذون محمدا صلى الله عليه وسلم على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكتكم الحرب اسلمتموه فمن الآن فاتركوه وان صبرتم على ذلك فخذوه قال بعضهم والله ما قال ذلك الا ليشد العقد وكل هؤلاء المذكورين من الخزرج سوى أبي الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فانهما من الاوس فأسلموا كلهم وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم كما روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه صلى الله عليه وسلم فى معروف ونعطيه السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الامر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف فى الله لومة لائم ثم قال عليه الصلاة والسلام بعد هذه المبايعة فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشى من ذلك شيأ كان أمره مفوضا الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ولم يكن الجهاد مفروضا فى ذلك الوقت فلم يذكره لهم ولم يبايعهم عليه وقيل انما كانت بيعة العقبة الثانية على الايواء والنصر وما يتعلق بذلك وأما المبايعة بلفظ على أن لا نشرك بالله شيأ الخ فانما كانت عام الفتح ولا مانع من تعدد ذلك وجاء فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم أبايعكم على أن تمنعونى ما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو وأصحابه فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله واسم أمه عاتكة وهو ابن خالة السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله عنها ومصعب بن عمير معه رضى الله عنهما يعلمان من أسلم منهم القرآن ويعلمان من أراد أن يسلم الاسلام ويفقهانهم فى الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وقيل ان مصعبا بعثه أولا عليه

الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين عليهم الصلاة والسلام بقوله

لا تخل جانب النبي مضاما ＊ حين مسته منهم الاسواء
كل أمر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النا＊ ر لما اختير للنضار الصلاء

أى لا تظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حصل له الضيم وقت مسته الاذيات حالة كونها صادرة منهم لان كل أمر من الامور العظيمة أصاب النبيين فالشدة التى تحصل لهم منه محمودة لانها لرفع الدرجات والضيقة التى تحصل لهم أيضا محمودة لانه لو كان يمس الذهب هوان من ادخاله النار لما اختير له العرض على النار فالانبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدائد التى تصيبهم كالنار التى يعرض عليها الذهب فان ذلك لا يزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة قال ومما وقع لابى بكر رضى الله تعالى عنه من الاذية ما ذكره بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله تعالى ومن معه من أصحابه فيها سرا أى كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهور أى الخروج الى المسجد فقال يا أبا بكر انا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه الى المسجد وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ أبو بكر بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين أى مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن أبى بكر وحملوه فى ثوب الى ان أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته أى ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى أبى بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالى علم بصاحبك فقال اذهبى الى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب أى فانها كانت أسلمت رضى الله تعالى عنها كما تقدم وهى تخفى اسلامها فاسأليها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها أتريدين أن أخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر رضى الله تعالى عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لاهل فسق وانى لارجو أن ينتقم الله منهم فقال لها أبو بكر ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه أمك تسمع قال فلا عين عليك منها أى انها لا تفشى سرك قالت سالم فقال أين هو فقالت فى دار الارقم فقال والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمه فأمهلناه حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكئ علىّ حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وأكب

حين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك ان ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا فى ديننا ويدعو الناس بكتاب الله (وفى رواية) كتبوا له بذلك ولا مانع من الجميع فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير العبدلى رضى الله عنه وكان يقال له المقرى ثم بعث ابن أم مكتوم ولما قدم مصعب المدينة نزل على أبى امامة أسعد بن زرارة رضى الله عنه وكان مصعب يؤم القوم الاوس والخزرج لانهم لما بينهم من العداوة كرهوا أن يؤم بعضهم بعضا وجمع بهم مصعب رضى الله عنه أول جمعة فى الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم يتمكن من اقامة الجمعة بمكة فأمرهم باقامتها بالمدينة وكانوا أربعين رجلا واشتهر ان أول من جمع بهم أسعد بن زرارة رضى الله عنه ولا مخالفة لان مصعب بن عمير رضى الله عنه كان عند أبى امامة أسعد بن زرارة وكان هو المعاون على اقامة الجمعة ولولا أسعد بن زرارة ما قدر مصعب على اقامتها وهذا لا ينافى أن الخطيب والامام هو مصعب ابن عمير فنسب اقامة الجمعة تارة لهذا وتارة لهذا قيل انهم أقاموا الجمعة باجتهاد منهم من غير أمر من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا خطأ مردود بل روى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضى الله عنه أما بعد فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم أى اليوم الذى يليه يوم السبت فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله تعالى بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال أى صلى الجمعة بهم واستمر على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم خلق كثير من الانصار على يد مصعب بن عمير رضى الله عنه بعد ان اشتد عليهم أمره فى أول مجيئه وكادوا يقتلونه ثم هداهم الله به روى ابن اسحق ان أسعد بن زرارة رضى الله عنه خرج بمصعب بن عمير رضى الله عنه الى حائط أى بستان من حوائط بنى ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما أى بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ

عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال بأبى وأمى أنت يا رسول الله ما بى من بأس الا ما نال الناس من وجهى وهذه أمى برة بولدها فعسى الله أن ينقذها بك من النار فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام وأسلمت انتهى هذا وذكر الزمخشرى فى كتابه خصائص العشرة أن هذه الواقعة حصلت لابى بكر لما أسلم وأخبر قريشا باسلامه فليتأمل فان تعدد الواقعة بعيد ومما وقع لابن مسعود رضى الله تعالى عنه من الاذية ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ما سمعت قريش القرآن جهرا الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فيكم يسمعهم القرآن جهرا فقال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنا فقالوا انا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعونى فان الله سيمنعنى منهم ثم انه قام عند المقام وقت الضحى وقريش فى أنديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القرآن واستمر فيها فتأملته قريش وقالوا ما بال ابن أم عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر فى قراءته حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه فقال له أصحابه هذا الذى خشينا عليك منه فقال والله ما رأيت أعداء الله أهون علىّ مثل اليوم ولو شئتم لاتيتهم بمثلها غدا قالوا لا قد أسمعتهم ما يكرهون ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية انه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لانهم تواصوا وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن أتى خفية واسترق السمع خوفا منهم ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضى الله تعالى عنه وهو ما حدث به ابن اسحق قال حدثنى به رجل من أسلم ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا أى وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه ما يكرهه أى وقيل انه صب التراب على رأسه أى وقيل ألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان فى سكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل الى نادى قريش أى محل تحدثهم فى المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة ان أقبل متوشحا بسيفه راجعا من قنصه أى من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى أهله الا بعد أن يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فأخبرته الخبر أى فقالت له يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد صلى الله عليه وسلم آنفا من أبى الحكم بن هشام تعنى أبا جهل وجده ههنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم أى وقيل الذى أخبرته مولاة أخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه وعلى القاء الفرث عليه اقتصر أبو حيان فى النهر فقال لها حمزة أنت رأيت هذا الذى تقولين قالت نعم وفى رواية فلما رجع حمزة من صيده اذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت احداهما لو علم ماذا صنع أبو جهل بابن أخيه أقصر عن مشيته فالتفت اليهما فقال ماذاك قالت أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المرأتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا فى القوم فأقبل

لاسيد بن حضير لا أبالك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعنى أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير اللذين أتيا دار بنا تثنية دار وهى المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما (وفى رواية) قال له ائت أسعد بن زرارة فازجره ايكف عنا مانكره فانه بلغنى انه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه ضعفاءنا فانه لولا أسعد بن زرارة منى حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما فاخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل عليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه فاصدق الله فيه فوقف عليهما وقال ماجاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كان لكما بانفسكما حاجة (وفى رواية) قال يا أسعد مالك ولنا تأتينا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفى رواية علام أتيتنا فى دورنا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كففنا عنك ماتكره أى منعنا عنك ماتكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا أردتم ان تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين وهما صلاة التوبة ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد مافعلت قال كلمت الرجلين فوالله مارأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت ان بنى حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وقد عرفوا أنه ابن خالتك لينقضوا عهدك فقام سعد مغضبا مبادرا وأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك أغنيت شيأ ثم خرج اليهما فلما

نحوه حتى قام على رأسه ورفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه فانا على دينه أقول مايقول فرد على ذلك ان استطعت أى وفى لفظ ان حمزة لما قام على رأس أبى جهل بالقوس صار أبو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا قال ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقامت رجال من بنى مخزوم أى من عشيرة أبى جهل الى حمزة لينصروا أبا جهل فقالوا ما نراك الا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعنى وقد استبان لى منه أنا أشهد أنه رسول الله وان الذى يقوله حق والله لا أنزع فامنعونى ان كنتم صادقين فقال لهم أبو جهل دعوا أبا عمارة أى وبكنى أيضا بأبى يعلى باسم ولده أيضا فانى والله لقد أسمعت ابن أخيه شيأ قبيحا وتم حمزة على اسلامه أى استمر أى بعد ان وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه فى قلبى والا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة ثم لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انى قد وقعت فى أمر لا أعرف المخرج منه واقامة مثلى على مالا أدرى أرشد هو أم غى شديد فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله تعالى فى قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أنك لصادق فاظهر يا ابن أخى دينك ٥ وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هذه الواقعة سبب لنزول قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يعنى حمزة كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها يعنى أبا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كبيرا لانه كان أعز فتى فى قريش وأشدهم شكيمة أى أعظمهم فى عزة النفس وشهامتها ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على بعض أصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم أى لا ناصر لهم فان كل قبيلة عدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه ٥ بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك أى حتى ان الواحد منهم ما يقدران يستوى جالسا من شدة الضرب الذى به وكان أبو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا أسلم وله شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك ويهلك مالك وان كان ضعيفا أغرى به ٥ حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحرث بن ربيعة بن الاسود وأبى قيس بن الوليد بن المغيرة وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر وممن فتن عن دينه وثبت عليه ولم يرجع للكفر بلال رضى الله تعالى عنه وكان مملوكا لامية بن خلف فعن بعضهم ان بلالا كان يجعل فى عنقه حبل يدفع الى الصبيان يلعبون به ويطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد بالرفع والتنوين أو بغير تنوين أى الله أحد أو يا أحد فهو اشارة لعدم الاشراك وبدا أثر الحبل فى عنقه وعن ابن اسحق ان أمية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه يوما وليلة فيطرحه على

ظهوره

أقبل سعد قال أسعد بن زرارة لمصعب لقد جاءك سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيدا انما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا أبا امامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى تغشانا فى دارنا بما نكره فقال له مصعب أتقعد فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته عزلنا عنك ماتكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه القرآن فأعجبه ذلك وصار يقول ما أحسن هذا ثم قال لهما ماتصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين فقال تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا الى قومه ومعهم أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يابنى عبد الاشهل كيف تعرفون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا آراء وأبركنا نفسا وأمرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال والله ما أمسى فى دار قبيلة بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة فاسلموا فى يوم واحد كلهم الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو ابن ثابت من بنى عبد الاشهل فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد فأسلم واستشهد رضى الله عنه ولم يسجد لله سجدة واحدة وأخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة ثم رجع مصعب الى دار أسعد ابن زرارة فاقام عنده يدعو الى الاسلام حتى أسلم الرجال والنساء من الانصار الا جماعة من الاوس لانه كان فيهم أبو قيس وهو صيفى بن الاسلت وكان شاعرا لهم وكانوا يسمعون منه ويطيعون لانه كان قوالا بالحق معظما قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا له واتخذه مسجدا وقال اعبد اله ابراهيم ولا يدخل على فيه حائض ولا جنب فتوقف عن الاسلام ولم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى

ظهره فى الرمضاء أى الرمل اذا اشتدت حرارته لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحد أحد أى أنا لا أشرك بالله شيأ أنا كافر باللات والعزى * أى وقيل كان بلال مولدا من مولدى مكة وكان لعبد الله بن جدعان التيمى وكان من جملة مائة مملوك مولدة له فلما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أمر بهم فاخرجوا من مكة أى خوف اسلامهم فاخرجوا الا بلالا لانه كان يرعى غنمه فأسلم بلال وكتم اسلامه فسلح بلال يوما على الاصنام التى حول الكعبة ويقال انه صار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدكن فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله وقالوا له أصبوت قال ومثلى يقال له هذا فقالوا له ان أسودك صنع كذا وكذا فاعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال فكانوا يعذبونه بما تقدم أى ويجوز ان يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فلا يخالفه ما تقدم من ان أمية بن خلف كان يتولى تعذيبه وما يأتى من ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه اشتراه منه ويقال انه صلى الله عليه وسلم مر عليه وهو يعذب يقال سينجيك أحد أحد أى وقيل مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول أحد أحد فقال نعم أحد أحد والله يا بلال ثم أتى الى أمية وقال له والله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا أى لاتخذن قبره منسكا ومسترحما لانه من أهل الجنة وتقدم ان هذا يدل على ان ورقة أدرك البعثة التى هى الرسالة وتقدم مافيه فكان بلال بقوله أحد أحد يمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وقد وقع له رضى الله تعالى عنه انه لما احتضر وسمع امرأته تقول واحزناه صار يقول واطرباه غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه فكان بلال يمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وقد ذكر بعضهم ان هذا قاله أبو موسى الاشعرى ومن معه لما وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو فى خيبر أى صاروا يقولون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه ومر به أبو بكر رضى الله تعالى عنه يوما وهو ملقى على ظهره فى الرمضاء وعلى صدره تلك الصخرة فقال لامية بن خلف الا تتقى الله تعالى فى هذا المسكين حتى متى تعذبه قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى قال أبو بكر عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى أى على دينك أعطيكه به قال قبلت قال هو لك فاعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه وفى تفسير البغوى قال سعيد ابن المسيب بلغنى ان أمية بن خلف قال لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى بلال حين قال أتبيعنيه قال نعم أبيعه بقسطاس يعنى عبدا لابى بكر رضى الله تعالى عنه كان صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا يأبى الاسلام فاشتراه أبو بكر به هذا كلامه وفى الامتاع لما ساوم أبو بكر أمية بن خلف فى بلال قال أمية لاصحابه لالعبن بابى بكر لعبة ما لعبها أحد بأحد ثم تضاحك وقال له اعطنى عبدك قسطاس فقال أبو بكران فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطينى معه امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تعطينى ابنته مع امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تزيدنى معه مائتى دينار فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنت رجل لا تستحى من الكذب قال لا واللات والعزى لئن أعطيتنى لافعلن فقال

بدر وأحد والخندق فأسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير وسبب تأخر اسلامه أنه لما أراد الاسلام عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه عبد الله بن أبي بن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الاسلام وقال أبو قيس ما اتبعه الا آخر الناس فلما احتضر أرسل اليه صلى الله عليه وسلم أن قل لا اله الا الله أشفع لك بها عند الله فقالها ثم ان مصعب بن عمير رضي الله عنه رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين والانصار الى الموسم ومع قوم حجاج من أهل الشرك حتى قدموا مكة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمن أسلم فسر بذلك قال كعب بن مالك رضي الله عنه خرجنا مع حجاج قومنا من المشركين فاجتمعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة أي ان يوافوه في الشعب الايمن اذا انحدروا من منى أسفل العقبة حيث المسجد اليوم الذي يقال له مسجد العقبة ومسجد البيعة وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يأتوا اليه بليل وأن لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا ويكون اتيانهم في ليلة اليوم الذي فيه النفر الاول فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا نكتم أمرنا ممن معنا من قومنا من المشركين وكان من جملة المشركين أبو جابر عبد الله بن حرام سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له يا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه للاسلام فأسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فكنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هدأة من الليل نتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا في الشعب فملا عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا

هي لك فاخذه هذا كلامه وقيل اشتراه بتسع وقيل بخمس أواق أي ذهبا أي وقيل ببردة وعشرة أواق من فضة وفي رواية برطل من ذهب ويروى ان سيده قال لابي بكر لو أبيت الا أوقية أي لو قلت لا أشتريه الا باوقية لبعناكه فقال لو طلبت مائة أوقية لاخذته بها ولما قال المشركون انما أعتق أبو بكر بلالا ليد كانت له عنده فيكافئه بها أنزل الله تعالى والليل اذا يغشى السورة فالاتقى أبو بكر رضي الله تعالى عنه والاشقى أمية بن خلف قال الامام فخر الدين أجمع المفسرون هنا على ان المراد بالاتقى أبو بكر وذهب الشيعة الى ان المراد به علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه ويرده وصف الاتقى بقوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى لان هذا الوصف لا يصدق على علي رضي الله تعالى عنه لانه كان في تربية النبي صلى الله عليه وسلم اى كما تقدم فكان صلى الله عليه وسلم منعما عليه نعمة يجب عليه جزاؤها أي نعمة دنيوية لانها التي يجازى عليها بخلاف أبي بكر فانه لم يكن له صلى الله عليه وسلم عليه نعمة دنيوية وانما كان له نعمة الهداية وهي نعمة لا يجازى عليها قال الله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا فتعين حمل الآية على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فيلزم من ذلك ان يكون أبو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل الخلق لان الله تعالى يقول ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاكرم هو الافضل وبين ذلك الفخر الرازي بأن الامة مجمعة على ان أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم اما أبو بكر واما علي ولا يمكن حمل الآية على علي لما تقدم فتعين حملها على أبي بكر وذكر بعض أهل المعاني أي المبينين لمعاني القرآن كالزجاج والفراء والاخفش أن المراد بالاشقى والاتقى الشقي والتقي فأوقع أفعل التفضيل موضع فعيل فهو عام في أمية بن خلف وأبي بكر وغيرهما وان كان السبب خاصا والذي بخل واستغنى المراد به أبو سفيان لانه كان عاتب أبا بكر في انعامه واعتاقه وقال له أضعت مالك والله لا تصيبه أبدا وقيل المراد به أمية بن خلف ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر اشترى بلالا قال له الشركة يا أبا بكر فقال قد أعتقته يا رسول الله اى لان بلالا قال لابي بكر حين اشتراه ان كنت اشتريتني لنفسك فأمسكني وان كنت انما اشتريتني لله عز وجل فدعني لله فأعتقه هذا وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقال لو كان عندنا مال اشترينا بلالا فانطلق العباس رضي الله تعالى عنه فاشتراه فبعث به الى أبي بكر اى ملكه له فأعتقه فليتأمل الجمع بين هذا وما تقدم * وقد اشترى أبو بكر رضي الله تعالى عنه جماعة آخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة أم بلال ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله تعالى حتى لا يدري ما يقول وكان لرجل من بني تيم من ذوي قرابة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ومنهم أبو فكيهة كان عبدا لصفوان بن أمية أسلم حين أسلم بلال فمر به أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقد أخذه أمية أبو صفوان وأخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فخرج لسانه وأخو أمية يقول له زده عذابا حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره فاشتراه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ومنهم امرأة وهي زنيرة بزاي فنون مشددة مكسورتين فمثناة تحتية ساكنة وهي في اللغة الحصاة الصغيرة عذبت في الله تعالى حتى عميت قال لها يوما أبو جهل ان اللات والعزى

ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له وهذا لا يخالف ما جاء أنه كان معه أيضا أبو بكر وعلي رضي الله عنهما لان العباس أوقف عليا على فم الشعب عينا له وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عينا فلم يكن معه عند مجيئه لهم في محل مبايعتهم الا العباس رضي الله عنه فلما جلسوا كان العباس رضي الله عنه أول متكلم فقال يا معشر الخزرج والمراد ما يشمل الاوس وكانت العرب تغلب الخزرج على الاوس كثيرا ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم موافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده فقال البراء بن معرور انا والله لو كان من أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أن العباس رضي الله عنه قال قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم أهل قوة وجلد وبصيرة بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فروّوا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفترقوا الا عن ملأ واجتماع فان أحسن الحديث أصدقه وقوله قد أبى محمد الناس كلهم ربما يفيد ان الناس غير الانصار وافقوه على مناصرته فأباه ولا يساعده عليه ما تقدم من كونه كان يعرض نفسه على القبائل فلم يجد موافقا غير الانصار وأجيب بأن المراد لم يجد موافقا كل الموافقة غير الانصار وهذا لا ينافي أنه وجد من يوافق في بعض الاشياء دون بعض فلم يقبلهم كبني شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا ننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى وقيل المراد بالناس أهله وعشيرته وعند ما تكلم العباس رضي الله عنه بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت وفي رواية خذ

فعلا بك ما ترين فقالت له كلا والله لا تملك اللات والعزى نفعا ولا ضرا هذا أمر من السماء وربي قادر على ان يرد علي بصري فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله تعالى عليها بصرها فقالت قريش ان هذا من سحر محمد صلى الله عليه وسلم فاشتراها أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأعتقها اى وكذا ابنتها وفي السيرة الشامية أم عنيس بالنون أو الباء الموحدة فمثناة تحتية فسين مهملة أمة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث يعذبها ولم يصفها بأنها ابنة زنيرة فاشتراها أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأعتقها وكذا النهدية وابنتها وكانتا للوليد بن المغيرة وكذا امرأة يقال لها لطيفة وكذا أخت عامر بن فهيرة او أمه كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل ان يسلم فقد جاء أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه مر على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو يعذب جارية أسلمت استمر يضربها حتى مل قبل أن يسلم ثم قال لها اني اعتذر اليك فاني لم أتركك حتى مليت فقالت له كذلك يعذبك ربك ان لم تسلم فاشتراها منه وأعتقها وفي السيرة الشامية وصفها بأنها جارية بني المؤمل بن حبيب وكان يقال لها لبينة فجملة هؤلاء تسعة * وممن فتن عن دينه فثبت عليه خباب بن الارت بالمثناة فوق فانه سبي في الجاهلية فاشترته أم أنمار أي وكان قينا أي حدادا وكان صلى الله عليه وسلم يألفه ويأتيه فلما أسلم وأخبرت بذلك مولاته صارت تأخذ الحديدة وقد أحمتها بالنار فتضعها على رأسه فشكا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوي مع الكلاب فقيل لها اكتوي فكان خباب يأخذ الحديدة وقد أحماها فيكوي رأسها وفي البخاري عن خباب قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ولقد لقينا يعني معاشر المسلمين من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد صلى الله عليه وسلم محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه عن ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتى يصير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه قال وعن خباب رضي الله تعالى عنه انه حكى عن نفسه قال لقد رأيتني يوما وقد أوقدوا لي نارا ووضعوها على ظهري فما أطفأها الا ودك ظهري أي دهنه * وممن فتن عن دينه فثبت عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه كان يعذب بالنار وفي كلام ابن الجوزي كان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب بالنار فيمر يده على رأسه ويقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم هذا كلامه ثم ان عمارا كشف عن ظهره فاذا هو قد برص أي صار أثر النار أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه صلى الله عليه وسلم بأن النار تكون بردا وسلاما عليه * وعن أم هانئ رضي الله تعالى عنها ان عمار بن ياسر وأباه ياسرا وأخاه عبد الله وسمية أم عمار رضي الله تعالى عنهم كانوا يعذبون في الله تعالى فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة أي وفي رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر في العذاب وأعطيت سمية لابي جهل أي أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فطعنها في قلبها فماتت أي بعد أن قال

لنفسك ماشئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمري لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ولنفسي ان تمنعوني ماتمنعون به
أنفسكم وأبناءكم قال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل
وفي رواية وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب في الاسلام فقال أبايعكم
على ان تمنعوني ماتمنعون منه نساءكم وابناءكم وقيل لما قالوا له نبايعك قال تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم ماتمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة فأخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم وقال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع به أزرنا أي نساءنا وأنفسنا لان العرب تكني بالازار عن المرأة وعن النفس فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة أي السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال أبو الهيثم بن التيهان نتقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس رضي الله عنه اخفوا جرسكم أي صوتكم فان علينا عيونا ثم قال أبو الهيثم ان بيننا وبين الرجال يعني اليهود حبالا أي عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أي دمي دمكم أي تطالبون بدمي وأطالب بدمكم ذمتي وذمتكم واحد وفي رواية بدل الدم اللزم وهو بالتحريك الحرم
من القرابات أي حرمي حرمكم تقول العرب اذا أرادت تأكيد المحالفة هدمي هدمكم أي اذا هدرتم الدم أهدرته وذمتي جوار
ذمتكم ورحلتي رحلتكم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم فعند ذلك قال لهم العباس رضي الله عنه عليكم بما
ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم لتجدن في نصرته وتشدن أزره

لها ان آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم الا انك عشقتيه لجماله ثم طعنها بالحربة في قلبها حتى قتلها فهي أول شهيد في الاسلام انتهى أي وعن بعضهم كان أبو جهل يعذب عمار بن ياسر وأمه ويجعل لعمار درعا من حديد في اليوم الصائف فنزل قوله تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء ان عمار بن ياسر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صبرا أبا اليقظان ثم قال اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار * قال بعضهم وحضر عمار بدرا ولم يحضرها من أبوا مؤمنان الا هو أي من المهاجرين فلا ينافي ان بشر بن البراء بن معرور الانصاري حضر بدرا وأبواه مؤمنان (ومما أوذي به أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه) ماروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لما ابتلي المسلمون بأذى المشركين أي وحصروا بني هاشم والمطلب في شعب أبي طالب وأذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة وهي الهجرة الثانية خرج أبو بكر رضي الله تعالى عنه مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد ٥ بالغين المعجمة موضع باقاصي هجر وقيل موضع وراء مكة بخمسة أميال أي وفي رواية حتى اذا سار يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة بفتح الدال وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون وهو سيد القارة أي وهو اسمه الحرث والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب بهم المثل في قوة الرمي ومن ثم قيل لهم رماة الحدق لاسيما ابن الدغنة والقارة أكمة سوداء نزلوا عندها فسموا بها قال له أين تريد يا أبا بكر قال أبو بكر أخرجني قومي فأريد ان أسيح في الارض فأعبد ربي قال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك فرجع مع ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في أشراف قريش وقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق وهو في جواري فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة أي لم يرد جواره وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة ذلك لابي بكر رضي الله تعالى عنه فلبث أبو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم ابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فكانت نساء قريش يزدحمن عليه فأفزع ذلك كثيرا من أشراف قريش أي من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره وأعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب ان يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وان رأى أن يعلن بذلك فاسأله أن يرد اليك ذمتك فانا نكره أن نخفرك أي نزيل خفارتك أي ننقض جوارك ونبطل عهدك فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي تعاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما أن ترجع الي ذمتي فاني لا أحب أن تسمع العرب اني أخفرت أي أزيلت خفارتي في رجل عقدت له فقال له أبو بكر فاني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى قال ولما رد

قالوا جميعا ثم قال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخي شهيدا ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من
الاوس وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان موسى أخرج من بني اسرائيل اثني عشر نقيبا فلا يجد أحد في نفسه
أن يؤخذ غيره فانما يختار لي جبريل اى لانه حضر البيعة ثم عينهم وهم سعد بن عبادة وأسعد ابن زرارة وسعد بن الربيع وسعد ابن خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله ابن رواحة والبراء بن معرور وأبو الهيثم بن التيهان وأسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة ابن الصامت ورافع بن مالك كل واحد من قبيلة ثم قال لاولئك النقباء أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام وأنا كفيل على قومي يعني المهاجرين وقيل ان الذي تكلم وشد العقد عباس بن عبادة بن نضلة قال يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس أي على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في البداءة بالمحاربة الا بعد ان هاجر الى المدينة وكان قبل ذلك مأمورا بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل وقيل الذي تكلم وشد العقد أسعد بن زرارة وهو من أصغر الانصار ولا مخالفة بين الاقوال لان كل سيد من أولئك السادة تكلم بما يقوي البيعة ثم اتفقوا على جميع ذلك وقالوا يارسول الله مالنا ان نحن وفينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبايعوه وأول من بايعه البراء بن معرور وقيل أسعد بن
زرارة وقيل أبو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون وبايعه المرأتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان
لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن قال اذهبن فقد بايعتكن وكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر أي العرب
والعجم فهؤلاء الثلاثة الذين بايعوه أولا لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية وقيل ان أبا الهيثم بن

جوار ابن الدغنة لقيه بعض سفهاء قريش وهو عابر الى الكعبة فحثى على رأسه ترابا فمر عليه بعض كبراء قريش من المشركين فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه ألا ترى ماصنع هذا السفيه فقال له أنت فعلت بنفسك فصار أبو بكر يقول رب ما أحلمك قال ذلك ثلاثا انتهى أي وفي كلام بعضهم وينبغي لك أن تتأمل فيما وصف به ابن الدغنة أبا بكر بين أشراف قريش بتلك الاوصاف الجليلة المساوية لما وصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يطعنوا فيها مع ماهم متلبسون به من عظيم بغضه ومعاداته بسبب اسلامه فان هذا منهم اعتراف أي اعتراف بأن أبا بكر كان مشهورا بينهم بتلك الاوصاف شهرة تامة بحيث لا يمكن أحدا أن ينازع فيها ولا أن يجحد شيأ منها والا لبادروا الى جحدها بكل طريق أمكنهم لما تملوا به من قبح العداوة له بسبب ما كانوا يرون منه من صدق موالاته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم محبته له (ومما يؤثر عنه رضي الله تعالى عنه) صنائع المعروف تقي مصارع السوء ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر

* باب عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم أشياء من خوارق العادات وغير العادات ليكف عنهم لما رأوا المسلمين يزيدون ويكثرون وسؤالهم له أشياء من خوارق العادات معينات وغير معينات وبعثهم الى أحبار يهود بالمدينة يسألونهم عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعما جابه وحديث الزبيدي وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ومن حديثهم حديث الاراشي ومن قصد أذيته صلى الله عليه وسلم فرد خائبا *

حدث محمد بن كعب القرظي قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا مطاعا في قريش قال يوما وهو جالس في نادي قريش أي متحدثهم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يامعشر قريش ألا أقوم لمحمد صلى الله عليه وسلم وأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا قالوا يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه قال وفي رواية ان نفرا من قريش اجتمعوا وفي أخرى أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا وقالوا ابعثوا الى محمد حتى تعذروا فيه فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد فقالوا لا نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة انتهى فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب أي من الوسط أي الخيار حسبا ونسبا وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم قال زاد بعضهم انه قال له أيضا أنت خير أم عبد الله أنت خير أم عبد المطلب أي فسكت ان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فقل نسمع لقولك لقد أفضحتنا في العرب حتى طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا ما تريد الا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى انتهى فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع فقال يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا

التيهان قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من بنى اسرائيل موسى بن عمران عليه السلام وان عبد الله بن رواحة
قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من الحواريين عيسى بن مريم عليه السلام وقال أسعد بن زرارة أبايع الله عز
وجل يارسول الله وأبايعك على أن أتم عهدى بوفائى وأصدق قولى بفعلى فى نصرك وقال النعمان بن حارثة أبايع الله يارسول الله
وأبايعك على الاقدام فى أمر الله عز وجل لا أرأف فيك القريب ولا البعيد أى لا أعامل بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت أبايعك يارسول الله على ان لا تأخذنى فى الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع أبايع الله وأبايعك يارسول الله على ان لا أعصى لكما أمرا ولا أكذب لك حديثا فلما تمت البيعة وهى بيعة العقبة الثالثة صرخ الشيطان من رأس العقبة بأشد صوت وأبعده يا أهل الجباجب وهى منازل منى وفى رواية يا أهل الاخاشب هل لكم فى مذمم والصباة يعنى بمذمم محمدا أو بالصباة من تابعه فانهم قد أجمعوا أى عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة بفتح الهمزة وفتح الزاى وتشديد الباء الموحدة أى شيطان يسمى بهذا الاسم اسمع أى عدو الله أما والله لافرغن لك فهرب وعند ذلك قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم وفى رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يامعشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزع عند ذلك الانصار الذين كان يبايعون النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت انما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد مما تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ أزب العقبة
وصراخ ابليس الذى هو أبو الجن ويجوز ان يكون المراد بعدو الله ابليس أزب العقبة لانه من الابالسة وانه أتى باللفظين لانعلم
معا وقد حضر البيعة جبريل عليه السلام كما تقدم فعن حارثة بن النعمان قال لما فرغوا من المبايعة قلت يانبى الله لقد رأيت رجلا
عليه ثياب بيض أنكرته قائما على يمينك قال وقد رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل عليه السلام ثم ان الحديث غنا وسمع المشركون

جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا أى فيصير لك الامر والنهى فهو أخص مما قبله وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال لقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع منى قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقرأها عليه وقد أنصت عتبة لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف عن ذلك ثم انتهى الى السجدة فيها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا له ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائى انى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يامعشر قريش أطيعونى فاجعلوها بى خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم قال وفى رواية أن عتبة لما قام من عند النبى صلى الله عليه وسلم أبعد عنهم ولم يعد عليهم فقال أبو جهل والله يامعشر قريش ما نرى عتبة الا قد صبأ الى محمد صلى الله عليه وسلم وأعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فأتوه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما جئناك الا أنك قد صبوت الى محمد صلى الله عليه وسلم وأعجبك أمره فقص عليهم القصة فقال والله الذى نصبها بنية يعنى الكعبة ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه فأنشدته الرحم أن يكف وقد علمت أن محمدا صلى الله عليه وسلم اذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب فقالوا له ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال قال والله ما سمعت مثله والله ما هو بالشعر الى آخر ما تقدم فقالوا والله سحرك يا أبا الوليد قال هذا رأيى فيكم فاصنعوا ما بدا لكم انتهى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان قريشا أى أشرافهم وشيختهم منهم الاسود بن زمعة والوليد بن المغيرة وأمية ابن خلف والعاص بن وائل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان والنضر بن الحرث وأبو جهل * وفى الينبوع أتى الوليد بن المغيرة فى أربعين رجلا من الملأ أى من السادات منزل أبى طالب وسألوه أن يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمره باشكائهم مما يشكون منه أى ان يزيل شكواهم منه ويجيبهم الى أمر فيه الالفة والاصلاح فأحضره وقال يا ابن أخى هؤلاء الملأ من قومك فأشكهم وتألفهم فعاتبوا النبى صلى الله عليه وسلم على تسفيه أحلامهم وأحلام آبائهم وعيب آلهتهم الحديث أى قالوا له يا محمد انا بعثنا اليك لنكلمك فانا والله

بذلك من قريش وغيرهم وفى كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج قال عمرو بن العاص
فأتانا أبو جهل فذهبت أنا وهو الى عتبة بن ربيعة فأخبرته بصوت منبه بن الحجاج فلم يره ما راعنا فقال هل أتاكم فأخبركم بهذا منبه
فلما لعله ابليس الكذاب ولا ينافى سماع عمرو وأبى جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه أحد مما
تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء أجلتهم وأشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يامعشر الاوس والخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حى أبغض الينا من ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركو الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شئ وكل واحد يقول لهم وما كان قومى ليفتاتوا على بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع قومى هذا حتى يؤامرونى وصدقوا لانهم لا يعلمون كما علم مما تقدم ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن سعد فأما سعد فمسك وعذب فى الله وأما المنذر فأفلت ثم أنقذ الله سعدا من أيدى المشركين روى عنه رضى الله عنه انه قال لما ظفروا بى ربطوا يدى فى عنقى ولا زالوا يلطمونى على وجهى ويجذبونى حتى أدخلونى مكة فأوى الى رجل وهو أبو البخترى بن هشام مات كافرا وقال ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قلت بلى كنت أجير لجبير بن مطعم جاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى وللحرث بن حرب بن أمية وهو أخو أبى سفيان فقال
ويحك فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما فى المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج يضرب بالابطح
يهتف باسميكما فقالا من هو فقال يقال انه سعد بن عبادة فجاآ فخلصاه من أيديهم وعن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال بينا أنا مع القوم
اضرب اذ طلع على رجل أبيض وضئ زاد الحسن فقلت فى نفسى ان يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا منى رفع يده

لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسببت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ولم يبق أمر قبيح الا أتيته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك ونشرفك علينا وان كان هذا الذى يأتيك تابعا من الجن قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طلبك وفى رواية انهم لما اجتمعوا ودعوه صلى الله عليه وسلم فجاءهم مسرعا طمعا فى هدايتهم حتى جلس اليهم وعرضوا عليه الاموال والشرف والملك فقال صلى الله عليه وسلم ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم وان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بينى وبينكم * وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دعت قريش النبى صلى الله عليه وسلم الى أن يعطوه مالا فيكون به أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء ويكف عن شتم آلهتهم ولا يذكرها بسوء فقد ذكر أن عتبة بن ربيعة قال له ان كان انما بك الباه فاختر أى نساء قريش فنزوجك عشرا وقالوا له ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج اليه فى دنياك وآخرتك وقالوا له ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وما هى قال تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وأنت فى الامر فان كان الذى تعبده خيرا مما نعبد كنت أخذت منه بحظك وان كان الذى نعبد خيرا مما تعبد كنا قد أخذنا منه بحظنا فقال لهم حتى أنظر ما يأتى من ربى فجاء الوحى بقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم السورة * وعن جعفر الصادق أن المشركين قالوا له اعبد معنا آلهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا آلهتنا شهرا نعبد معك الهك سنة فنزلت أى لا أعبد ما تعبدون يوما ولا أنتم عابدون ما أعبد عشرة ولا أنا عابد ما عبدتم شهرا ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة روى ذلك التقدير جعفر ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا له طعنا فى القرآن لو قال امرؤ القيس
* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * وكرر ذلك أربع مرات فى نسق لما كان عيبا فكيف وقع فى القرآن قل يا أيها الكافرون السورة وهى مثل ذلك وقوله لكم دينكم ولى دين نسخ بآية القتال وبقوله تعالى أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين * ولما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل لما كرهتموه القرآن قالوا ائت بقرآن غير هذا فأنزل الله تعالى ولو تقول علينا الآيات وقد يقال المناسب للرد عليهم قوله تعالى قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى الآية ثم رأيت فى الكشاف ما يوافق ذلك وهو لما غاظهم ما فى القرآن من ذم عبادة الاصنام والوعيد الشديد قالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها انزل قوله تعالى قل ما يكون لى أن أبدله الآية قال وجلس أى صلى الله عليه وسلم

فلطمنى لطمة شديدة فقلت فى نفسى والله ماعندهم بعد هذا خير وهذا الرجل هو سهل بن عمرو رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام اظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم أن الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو ابن الجموح من سادات بنى سلمة بكسر اللام وأشرافهم ولم يكن أسلم وكان ممن أسلم ولده معاذ بن عمرو وكان لعمرو فى داره صنم من خشب يقال له مناة لان الدماء كانت تمنى أى تصب عنده تقربا اليه وكان يعظمه فكان فتيان قومه ممن أسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه فى بعض الحفر الذى فيها عذرة الناس منكسا بعد اخراجه من داره فاذا أصبح عمرو قال ويلكم من عدا على مناة هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا غسله غدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك فغسله وطيبه مرة ثم جاء بسيف وعلقه فى عنقه ثم قال ما أعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فاصنع فهذا السيف معك فلما أمسى غدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذرة الناس فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم طلبه الى أن وجده فى تلك البئر فلما رآه كذلك رجع عقله وكلمه من أسلم من قومه فأسلم رضى الله عنه وحسن اسلامه وأنشد أبياتا منها

والله لو كنت الها لم تكن
أنت وكلب وسط بئر فى قرن

(أى حبل) وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة لان قريشا لما علمت انه صلى الله عليه وسلم أوى أى استند الى قوم أهل حرب ونجدة ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم مالم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا مابين مفتون فى دينه وبين معذب فى أيديهم وبين هارب فى البلاد فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستأذنوه فى الهجرة فمكث أياما لا يأذن ثم قال أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هى هى والسراة بفتح السين أعظم جبال

مجلس فيه ناس من وجوه قريش منهم أبوجهل بن هشام وعتبة بن ربيعة أى وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم أليس حسنا ماجئت به فيقولون بلى والله وفى لفظ هل ترون بما أقول بأسا فيقولون لا فجاء عبدالله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين وهو ممن أسلم بمكة قديما والنبى صلى الله عليه وسلم مشتغل بأولئك القوم وقد رأى منهم مؤانسة وطمع فى اسلامهم فصار يقول يارسول الله علمنى مما علمك الله وأكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فأعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه انتهى أى وفى رواية أشار صلى الله عليه وسلم الى قائد ابن أم مكتوم بأن يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله تعالى فى ذلك بقوله عبس وتولى أن جاءه الأعمى ومايدريك السورة أى والمجىء مع العمى ينشأ عن مزيد الرغبة وتجشم الكلفة والمشقة فى المجىء ومن كان هذا شأنه فحقه الاقبال عليه لا الاعراض عنه فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه قال وبهذا يسقط ماللقاضى أبى بكر بن العربى هنا انتهى أقول لعل الذى له هو ماذكره تلميذه السهيلى وهو أن ابن أم مكتوم لم يكن أسلم حينئذ والا لم يسمه بالاسم المشتق من العمى دون الاسم المشتق من الايمان لو كان دخل فى الايمان قبل ذلك واذا دخل فيه بعد نزول الآية ويدل على ذلك قوله للنبى صلى الله عليه وسلم استدننى يامحمد ولم يقل استدننى يارسول الله ولعل فى قوله تعالى لعله يزكى يعطى الترجى والانتظار ولو كان ايمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجى والانتظار للتزكى هذا كلامه * وعن الشعبى قال دخل رجل على عائشة رضى الله تعالى عنها وعندها ابن أم مكتوم وهى تقطع له الأترج وتجعله فى العسل وتطعمه فقيل لها فى ذلك فقالت مازال هذا له من آل محمد منذ عاتب الله عزوجل فيه نبيه صلى الله عليه وسلم والله أعلم * وفى فتاوى الجلال السيوطى من جملة أسئلة رفعت اليه فاجاب عنها بأنه بلغه أن أباجهل قال يامحمد ان أخرجت لنا طاووسا من صخرة فى دارى آمنت بك فدعا ربه عزوجل فصارت الصخرة تئن كأنين المرأة الحبلى ثم انشقت عن طاووس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من جوهر فلما رأى ذلك أبوجهل أعرض ولم يؤمن * ومما سألوه صلى الله عليه وسلم من الآيات غير المعينات على مارواه الشيخان أو معينة كما فى رواية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وسيأتى مايعلم منه انهم سألوه صلى الله عليه وسلم أولا آية غير معينة ثم عينوها فلا مخالفة فقد ذكر ابن عباس أن قريشا سألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية أى وفى رواية عن ابن عباس اجتمع المشركون أى بعض منهم الوليد بن المغيرة وأبوجهل بن هشام والعاص ابن وائل والعاص بن هشام والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والنضر بن الحرث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان وقيل يكون نصفه بالمشرق ونصفه الآخر بالمغرب وكانت ليلة أربعة عشر أى ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ماسألوا فانشق القمر نصفا على أبى قبيس ونصفا

العرب ثم خرج صلى الله عليه وسلم اليهم مسرورا وقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب فاذن حينئذ وقال من أراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها أرسالا أى متتابعين يخفون ذلك وفى رواية أريت فى المنام انى هاجرت من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى أى وهمى الى انها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب ولعله انسى قول جبريل ليلة الاسراء صليت بطيبة واليها المهاجرة ثم تذكره بعد ذلك فى قوله قد أخبرت بدار هجرتكم وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين من المهاجرين على المواساة والحق فآخى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة رضى الله عنهما وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف رضى الله عنهما وبين الزبير وابن مسعود رضى الله عنهما وبين عبادة بن الحرث وبلال رضى الله عنهما وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما وبين أبى عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة رضى الله عنهما وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيدالله رضى الله عنهما وبين على بن أبى طالب ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى أن أكون أخاك قال بلى يارسول الله رضيت قال فأنت أخى فى الدنيا والآخرة وأنكر ابن تيمية مواخاة المهاجرين بعضهم بعضا قال والمواخاة انما هى بين المهاجرين والانصار قال ولا معنى لمواخاة مهاجرى لمهاجرى لان المواخاة انما شرعت لارفاق بعضهم ببعض قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس والحكمة فى مواخاة المهاجرين ان بعضهم كان أقوى من بعض فى المال والعشيرة فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى وبهذا ظهر مواخاته صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان هو الذى يقوم بأمره قبل البعثة وبعدها وفى الصحيح أن زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت أخى أى بسبب المواخاة وكان أول من هاجر منهم الى المدينة أبوسلمة واسمه عبدالله بن عبد الأسد المخزومى زوج أم سلمة قبل النبى صلى الله عليه وسلم وهو أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاع وابن عمته وهو أول من يدعى للحساب اليسير لانه لما تقدم من

على قعيقعان وفى لفظ فانشق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ولعل الفرقة التى كانت فوق الجبل كانت جهة المشرق والتى كانت دون الجبل كانت جهة المغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا ولا منافاة بين الروايتين ولا بينهما وبين ماجاء فى رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر مابين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب أى ثم ان كان الانشقاق قبل الفجر فواضح والا فمعجزة أخرى لان القمر ليلة أربعة عشر يستمر جميع الليل وسيأتى عن زين المعمر انه عاد بعد غروبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا والفرقتان هما المرادتان بالمرتين فى بعض الروايات التى أخذ بظاهرها بعضهم كالزين العراقى فقال انه انشق مرتين لان المرة قد تستعمل فى الأعيان وان كان أصل وضعها الأفعال فقد قال ابن القيم كون القمر انشق مرتين مرة بعد مرة فى زمانين من له خبرة بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته يعلم انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة أى وهو أبوكبشة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم من قبل أمه لان وهب بن عبد مناف بن زهرة جد أبى آمنة أمه يكنى أبا كبشة أو هو من قبل مرضعته حليمة لان والدها أو جدها كان يكنى بذلك أو كان لها ابنة تسمى كبشة فكان زوجها الذى هو أبوه من الرضاعة يكنى بتلك البنت كما تقدم فى الرضاع وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم فقال حدثنى حاضنى أبوكبشة أنهم لما أرادوا دفن سلول وكان سيدا معظما حفروا له فوقعوا على باب مغلق ففتحوه فاذا سرير عليه رجل وعليه حلل عدة وعند رأسه كتاب أنا أبو شهر ذوالنون مأوى المساكين ومستفاد الغارمين أخذنى الموت غصبا وقد أعى الجبابرة قيل قال صلى الله عليه وسلم كان ذوالنون هذا هو سيف بن ذى يزن الحميرى وقيل أبوكبشة جده صلى الله عليه وسلم لابيه لان أبا أم جده عبد المطلب كان يدعى أبا كبشة وكان يعبد النجم الذى يقال له الشعرى وترك عبادة الأصنام مخالفة لقريش فهم يشيرون بذلك الى أن له فى مخالفته سلفا وقيل الذى عبد الشعرى وترك عبادة الأصنام رجل من خزاعة فشبهوه صلى الله عليه وسلم به فى مخالفته لهم فى عبادة الأصنام أى ومما قد يؤيد هذا الأخير مافى الاتقان حيث مثل بهذه الآية للنوع المسمى بالتنكيت وهو أن يخص المتكلم شيئا من بين الأشياء بالذكر لأجل نكتة كقوله تعالى وأنه هو رب الشعرى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو سبحانه وتعالى رب كل شىء لان العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبى كبشة عبد الشعرى ودعا خلقا الى عبادتها فأنزل الله تعالى وأنه هو رب الشعرى التى ادعيت فيها الربوبية هذا كلامه وكبشة ليس مؤنث كبش لان مؤنث الكبش ليس من لفظه فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر أى بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها أى جميع أهل الأرض وفى رواية لئن كان سحرنا مايستطيع أن يسحر الناس كلهم فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فسألوهم فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وفى رواية ان أباجهل قال هذا سحر فاسألوا أهل الآفاق وفى لفظ انظروا ما يأتيكم به السفار حتى تنظروا أهل رأوا ذلك أم لا فأخبروا أهل الآفاق وفى لفظ فجاء السفار وقد قدموا من كل وجه فأخبروهم أنهم رأوه منشقا فعند ذلك

قالوا هذا سحر مستمر اى مطرد فهو اشارة الى ذلك والى ماقبله من الآيات وفى لفظ قالوا هذا سحر أسحر السحرة فأنزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اى مطرد كما تقدم أو محكم أو قوى شديد أو مار ذاهب لا يبقى وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على انه لم يختص برؤية القمر منشقا أهل مكة بل جميع أهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك أهل الارض كلهم فى معرفته ولم يختص بها أهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بانه طلبه جماعة خاصة فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه ولا بانه قد يكون القمر حينئذ فى بعض المنازل التى تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض ولا بقول بعضهم ان انشقاق القمر آية ليلية جرى مع طائفة فى جنح ليلة ومعظم الناس نيام وفى فتح البارى حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث (أقول) والى انشقاق القمر أشار صاحب الهمزية بقوله

شق عن صدره وشق له البد * ر ومن شرط كل شرط جزاء

أى شق عن صدره صلى الله عليه وسلم وفى نسخة قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره أولا ثم شق قلبه ثانيا وشق لاجله القمر ليلة أربعة عشر وانما شق له صلى الله عليه وسلم لان من شرط كل شرط جزاء لانه لما شق صدره صلى الله عليه وسلم جوزى على ذلك بأعظم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو من أظهر المعجزات بل أعظمها بعد القرآن وقد أشار الى ذلك أيضا الامام السبكى فى تائيته بقوله

وبدر الدياجى انشق نصفين عندما * أرادت قريش منك اظهار آية

أى فانهم ائتمروا فيما بينهم فاتفقوا على ان يقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم انشقاق القمر الذى هو بعيد عن الاطماع فى غاية الامتناع اى فقد سألوه أولا آية غير معينة ثم عينوها * وفى الاصابة عن بعضهم قال وأنا ابن تسع عشرة سنة سافرت مع أبى وعمى من خراسان الى الهند فى تجارة فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا الى ضيعة من الضياع فعرج أهل القافلة نحوها فسألناهم عن ذلك فقالوا هذه ضيعة الشيخ زين الدين المعمر فرأينا شجرة خارج الضيعة تظل خلقا كثيرا وتحتها جمع عظيم من أهل تلك الضيعة فلما رأونا رحبوا بنا فرأينا زنبيلا معلقا فى بعض اغصان تلك الشجرة فسألناهم فقالوا فى هذا الزنبيل الشيخ زين الدين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بطول العمر ست مرات فبلغ ستمائة سنة كل دعوة بمائة سنة فسألناهم أن ينزلوا الشيخ لنسمع كلامه وحديثه فتقدم شيخ منهم وأنزل الزنبيل فاذا هو مملوء بالقطن والشيخ فى وسط القطن وهو كالفرخ فوضع فمه على أذنه وقال يا جداه هؤلاء قوم قد قدموا من خراسان وقد سألوا أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قال لك فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع فقال سافرت مع أبى وأنا شاب من هذه البلاد الى الحجاز فى تجارة فلما بلغنا بعض أودية مكة وكان المطر قد ملأ الاودية فرأيت غلاما حسن الشمائل يرعى ابلا فى تلك الاودية وقد حالت السيل بينه وبين ابله وهو يخشى من خوض الماء لقوة السيل فعلمت حاله فأتيت اليه وحملته وخضت به السيل الى عند

الحبشة لمكة آذاه أهلها وأراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من أسلم من الانصار وهم الاثناعشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة فى حجرها وخرج يقود البعير فرآه رجال من قوم أم سلمة وهم أقرب منه اليها فقاموا اليه وقالوا له يا أباسلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم أبى سلمة رضى الله عنه وقالوا ان ابننا معها ان نزعتموها من صاحبنا فتنزع ولدنا منها ثم تجاذبوا حتى أطلقوا يده من الخطام وأخذ الولد قوم أبيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة الى الابطح تبكى حتى مضت سنة فمر بها رجل من بنى عمها فرحمها وقال لقومها اما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقى زوجك فلما بلغ ذلك قوم أبى سلمة ردوا عليها ولدها فركبت بعيرا وجعلت ولدها فى حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة الحجبى أى صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان مشركا يومئذ ثم أسلم رضى الله عنه فشيعها الى المدينة حتى اذا وافى على قباء قال لها هذا زوجك وكانت أم سلمة تقول ما رأيت صاحبا أكرم من عثمان بن طلحة فانه لما رآنى قال الى أين قلت الى زوجى قال أو ما معك أحد قلت لا ما معى الا الله تعالى وابنى هذا فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وصار معى فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بى ثم استأخر حتى اذا نزلت جاء وأخذ البعير فحط عنه ثم قيده فى شجرة ثم أتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيرى فرحله وقدمه ثم استأخر عنى وقال اركبى فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادنى وجمع بين القول بأن مصعب بن عمير أول من هاجر والقول بأنه أبو سلمة بأن أبا سلمة أول من قدم المدينة بوازع طبعه وأما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ان أبا سلمة أول من هاجر أى من بنى مخزوم فلا ينافى أنه ليس بأول بالنسبة لغير بنى مخزوم وأول

ابله

ابله من غير معرفة سابقة فلما وضعته عند ابله نظر الى ودعا لى ثم عدنا الى بلادنا وتطاولت المدة ففى ليلة ونحن جلوس فى ضيعتنا هذه فى ليلة مقمرة ليلة البدر والبدر فى كبد السماء اذ نظرنا اليه قد انشق نصفين فغرب نصف فى المشرق ونصف فى المغرب وأظلم الليل ساعة ثم طلع النصف من المشرق والثانى من المغرب الى أن التقيا فى وسط السماء كما كان أول مرة فتعجبنا من ذلك غاية العجب ولم نعرف لذلك سببا فسألنا الركبان عن سببه فأخبرونا أن رجلا هاشميا ظهر بمكة وادعى أنه رسول الله الى كافة العالم وأن اهل مكة سألوه معجزة واقترحوا عليه أن يأمر لهم القمر فينشق فى السماء ويغرب نصفه فى المشرق ونصفه فى المغرب ثم يعود الى ما كان عليه ففعل لهم ذلك فاشتقت الى رؤياه فذهبت الى مكة وسألت عنه فدلونى على موضعه وأتيت الى منزله واستأذنت فأذن لى فى الدخول فدخلت عليه فلما سلمت عليه نظر الى وتبسم وقال ادن منى وبين يديه طبق فيه رطب فتقدمت وجلست وأكلت من الرطب وصار يناولنى الى أن ناولنى ست رطبات ثم نظر الى وتبسم وقال لى ألم تعرفنى قلت لا فقال ألم تحملنى فى عام كذا فى السيل ثم قال امدد يدك فصافحنى وقال قل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقلت ذلك فسر أى وقال عند خروجى من عنده بارك الله فى عمرك قال ذلك ست مرات فبارك الله لى فى عمرى بكل دعوة مائة سنة فعمرى اليوم ست مائة سنة أى فى المائة السادسة مشرف على تمامها انا أمل (وسئل الحافظ) السيوطى عن مثل هذا الحديث وهو الحديث الذى رواه معمر الذى يزعم أنه صحابى وأنه يوم الخندق صار ينقل التراب بطاقين وبقية الصحابة بطاق واحد فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بكفه الشريف بين كتفيه أربع ضربات وقال له عمرك الله يا معمر فعاش بعد ذلك أربعمائة سنة ببركة الضربات التى ضربها بين كتفيه كل ضربة بمائة سنة وقال له بعد أن صافحه من صافحك الى ست أو سبع لم تمسه النار هل هو صحيح أم هو كذب وافتراء لا تجوز روايته فأجاب بانه باطل وان معمرا هذا كذاب دجال لانه ثبت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال قبل موته بشهر أرأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد وقد قال أهل الحديث وغيرهم ان من ادعى الصحبة بعد مائة سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم فهو كذاب ومعلوم أن آخر الصحابة مطلقا موتا أبو الطفيل مات سنة عشر ومائة من الهجرة ثبت ذلك فى صحيح مسلم واتفق عليه العلماء فمن ادعى الصحبة بعد أبى الطفيل فهو كذاب (ومما سألوه) صلى الله عليه وسلم من الآيات المعينات ما حدث به بعضهم قال ان قريشا قالت له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا وليخرق فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصى بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل قال زاد فى رواية فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله تعالى وأنه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله بما بعثنى به اه ثم قالوا له واسأل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا عنك أى وفى لفظ قالوا له لم لا ينزل علينا الملائكة فتخبرنا بان الله أرسلك أو نرى ربنا فيخبرنا بانه

ظعينة قدمت المدينة أم سلمة رضى الله عنها وقيل ليلى بنت أبى حثمة وقيل أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها ثم هاجر عمار وبلال وسعد وفى رواية ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا أى بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار فى دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعياش بن أبى ربيعة فى عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يهاجر معه وقال تجدنى او احدك عند محل كذا ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن على رضى الله عنه قال ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر الا مستخفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى اسهما فى يده واختصر عنزته وهى الحربة الصغيرة أى علقها عند خاصرته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالكعبة سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ثم قال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس يعنى الانوف من أراد ان تثكل أمه أى تفقده ويؤتم أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى قال على رضى الله عنه فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه وفى المواهب وشرحها انه هاجر مع عمر رضى الله عنه أخوه زيد بن الخطاب رضى الله عنه وكان أسن من عمر رضى الله عنه وأسلم قبله وشهد بدرا والمشاهد كلها واستشهد باليمامة وراية المسلمين بيده رضى الله عنه فى خلافة الصديق رضى الله عنه سنة ثنتى عشرة من الهجرة وكان عمر رضى الله عنه يقول أخى سبقنى الى الحسنيين أسلم قبلى واستشهد قبلى وحزن عليه حزنا شديدا وممن هاجر مع عمر رضى الله عنه سعيد بن زيد والزبير فقدموا المدينة ونزلوا على رفاعة بن عبد المنذر وممن هاجر عبد الله بن جحش رضى الله عنه ومعه زوجته الفارعة بنت أبى سفيان رضى الله عنها وأما أختها أم حبيبة رضى الله عنها فكانت مع الذين هاجروا الى الحبشة فى صحبة زوجها عبيد الله بن جحش أخى عبد الله بن جحش فتنصر بالحبشة ثم مات وبقيت هى بارض الحبشة مع المسلمين الذين كانوا

بهاثم أرسل صلى الله عليه وسلم فى السنة السابعة وخطبها فوكلت خالدبن سعيدبن العاص وكان أقرب العصبات الحاضرين عندها فزوجهامن النبى صلى الله عليه وسلم على يد النجاشى وجعفر بن أبى طالب ثم هاجرت الى المدينة رضى الله عنها فصارت من امهات المؤمنين رضى الله عنهن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ثم ان أباجهل وأخاه الحرث بن هشام قبل اسلامه فانه أسلم بعد ذلك رضى الله عنه قدما المدينة والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن أبى ربيعة وكان أخاهما لامهما وابن عمهما وكان اصغر ولدامه فقالاله ان أمك نذرت أن لا تغسل رأسها ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك وفى رواية لاتأكل ولاتشرب ولا تدخل كنا حتى ترجع اليها وقالا له أنت أحب ولد أمك اليها وأنت فى دين منه البر للوالدين فارجع الى أمك واعبد ربك كما تعبد فى المدينة فرقت نفسه وصدقهما وأخذ عليهما المواثيق ان لا يغشياه بسوء وقال له عمر رضى الله عنه ما يريدان الا فتنتك من دينك فاحذرهما والله لو آذى امك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر الشمس لاستظلت فقال عياش أبر أمى ولى مال هناك آخذه فقال له عمر رضى الله عنه خذ نصف مالى ولا تذهب معهما فأبى الا ذلك فقال له عمر حيث صممت خذ ناقتى هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان نابك منهما ريبة فانج عليها فأبى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه أى شدا يديه الى خلف وجلداه نحوا من مائة جلدة وقيل كل واحد جلده مائة جلدة ودخلا به مكة موثقا فى وقت النهار وقالا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا ولما جىء به مكة ألقى فى الشمس وحلفت أمه انه لا يخلى عنه حتى يرجع عما هو عليه ثم حبس عياش بمكة مع هشام بن العاص دلك وغيره وجعل كل واحد منهما فى قيد وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يدعو لهم فى قنوت الصبح فيقول اللهم أنج الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين بمكة من المؤمنين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا والوليد بن الوليد

أرسلك فنؤمن حينئذبك وقال آخر يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا واسأله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه أى فلابد ان تتميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا أى وفى لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نحن نأكل ويمشى فى الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمس نحن فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بالذى يسأل ربه هذا وأنزل الله تعالى وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ولما قالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا مثلنا أنزل الله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس ثم قالوا وأسقط السماء علينا كسفا أى قطعا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل وقد بلغنا أنك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن أبدا أى ويدعنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بان الرحمن المعلم له هو الله تعالى بقوله قل هو أى الرحمن ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب أى توبتى ورجوعى ٥ وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم حزينا أسفا على ما فاته من هدايتهم التى طمع فيها وقال له عبد الله ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب قبل أن يسلم رضى الله تعالى عنه يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك أن تجعل بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله لن نؤمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك أى كتاب معه أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول وايم الله انك لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك فأنزل الله تعالى عليه الآيات التى فيها شرح هذه المقالات فى سورة الاسراء وفيها الاشارة الى أن الله تعالى خيره بين أن يعطيه جميع ما سألوه وانهم ان كفروا بعد ذلك استأصلهم بالعذاب كالامم السابقة وبين أن يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثانى لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل ما سألوا فيستأصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (وعن محمد بن كعب) ما حاصله أن الملأ من قريش أقسموا النبى صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل انهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو الله تعالى أن يعطيهم ما سألوه فأتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكن لم آت قوما بآية فاقترحوها فلم يؤمنوا بها الا أمرت بتعذيبهم وفيه نه حينئذ يشكل رواية سؤالهم انشقاق القمر (وفى رواية) أتاه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت ان يصبح لهم الصفا ذهبا فان لم يؤمنوا أنزلت عليهم العذاب عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وان شئت أن لا تصير الصفا ذهبا وفتحت لهم باب الرحمة والتوبة فقال لا بل ان تفتح لهم باب التوبة والرحمة (وفى رواية) وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال صلى الله عليه وسلم بل حتى يتوب تائبهم وأيضا وافق على فتح باب الرحمة والتوبة لانه صلى الله عليه وسلم علم ان سؤالهم لذلك جهل لانه خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهى امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل

هو أخو خالد كان مع كفار قريش يوم بدر فأسر مع من أسر وافتكه اخواه خالد وهشام ابن الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فأسلم وأراد الهجرة فحبسوه وقيل له هلا أسلمت قبل ان تفتدى فقال كرهت الاسار ثم نجا وتوصل الى المدينة ثم رجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما المدينة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وممن هاجر قبل النبى صلى الله عليه وسلم سالم مولى أبى حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة وفيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لانه كان أكثرهم أخذا للقرآن وسمع النبى صلى الله عليه وسلم قراءته فقال الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يثنى عليه كثيرا حتى قال لما أوصى عند موته لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ما جعلتها أى الخلافة شورى قال ابن عبد البر المعنى انه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافه وقتل سالم رضى الله عنه يوم اليمامة وأرسل عمر رضى الله عنه ميراثه لمعتقته فأبت ان تقبله وجعلته فى بيت المال ولما أراد صهيب الهجرة الى المدينة وكانت هجرته بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلوا سبيلى قالوا نعم قال فانى قد جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب وفى الخصائص الكبرى عن صهيب رضى الله عنه قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه أبو بكر رضى الله عنه وقد كنت أردت الخروج معه فصدنى فتيان من قريش وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريدان تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك أبدا قال فقلت لهم هل لكم ان أعطيتكم أواقى من الذهب وفى لفظ ثلث مالى وفى لفظ مالى وتخلوا سبيلى تفعلوا قالوا نعم فقلت احفروا تحت اسكفة الباب فان تحتها الاواقى وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآنى قال يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله ما سبقنى اليك أحد وما أخبرك الا

ذلك ويحصل العقاب لمن أعرض عنه اذ مع كشف الغطاء يحصل العلم الضرورى فلا يحتاج الى ارسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب وأيضا لم يسألوا ما سألوا من تلك الآيات الا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك والى سؤالهم تلك الآيات وارتيابهم فى القرآن وقولهم فيه انه سحر وافتراء أى سحر يأثره أى يأخذه عن مثله وعن أهل بابل يفرق به بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته ان هو الا قول البشر من قول أبى اليسر وهو عبد لبنى الحضرمى كان النبى صلى الله عليه وسلم يجالسه وفى قول أبى جهل أيضا تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فنزل قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله والى هذا أشار صاحب الهمزية بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذى فيه للعقول اهتداء

والذى يسألون منه كتاب * منزل قد أتاهم وارتقاء

أى أعجب عجبا من حال الكفار حالة كونهم زادوا ضلالا بالقرآن الذى فيه اهتداء للعقول وأعجب عجبا أيضا من الامر الذى يطلبونه منه صلى الله عليه وسلم وهو كثير من جملته كتاب منزل معه عليهم من السماء وهو القرآن

أولم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء

أعجز الانس آية منه والجن * فهلا يأتى به البلغاء

كل يوم يهدى الى سامعيه * معجزات من لفظه القراء

تتحلى به المسامع والأفواه * فهو الحلى والحلواء

رق لفظا وراق معنى فجاءت * فى حلاها وحليها الخنساء

وأرتنا فيه غوامض فضل * رقة من زلاله وصفاء

انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء

سور منه أشبهت صورا منا * ومثل النظائر النظراء

والاقاويل عندهم كالتماثيل * فلا يوهمنك الخطباء

كم أبانت آياته عن علوم * من حروف أبان عنها الهجاء

فهى كالحب والنوى أعجب الزراع * منها سنابل وزكاء

فأطالوا فيه التردد والريب * فقالوا سحر وقالوا افتراء

واذا البينات لم تغن شيأ * فالتماس الهدى بهن عناء

واذا ضلت العقول على علم * فماذا تقوله الفصحاء

أى أولم يكفهم عما سألوه عنادا ذكر وصل اليهم حالة كونه من الله تعالى رحمة وشفاء للناس والجن والملائكة أعجز الانس والجن آية منه فهلا يأتى بتلك الآية أهل البلاغة كل وقت يهدى قراؤه الى سامعيه معجزات من لفظه ولذلك تتحلى بسماعه المسامع من التحلية التى هى لبس الحلى وتتحلى بالفاظه الافواه من الحلواء فهو الحلى والحلواء حسن من جهة اللفظ

جبريل عليه السلام وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن سعيد بن المسيب قال أقبل صهيب مهاجرا نحو النبى صلى الله عليه وسلم وقد أخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعته نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما فى كنانته ثم قال يامعشر قريش قد علمتم أنى من أرماكم رجلا وايم الله لا تصلون الى حتى أرمى بكل سهم من 330 كنانتى ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى شئ منه ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالى بمكة وخليتم سبيلى فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم وفى رواية قالوا له دلنا على مالك ونخلى سبيلك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين ان المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذرونى ودينى وتتركوا لى راحلة ونفقة ففعلوا وفيه نزل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما قدمت المدينة وجدت النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسين فلما رآنى أبو بكر رضى الله عنه قام فبشرنى بالآية التى نزلت فى وفى رواية فتلقانى أبو بكر وعمر ورجال فقال لى أبو بكر ربح بيعك أبا يحيى فقلت وبيعك هلا تخبرنى ماذاك فقال أنزل الله فيك كذا وقرأ الآية وأصل صهيب كان روميا أغارت خيل على دجلة أو الفرات فأسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه فأقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وكان اسلامه واسلام عمر رضى الله عنه فى يوم واحد قال صهيب رضى الله عنه صحبت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه وكان رضى الله عنه فيه عجمة شديدة وكان يحب الدعابة وفى المعجم الكبير للطبرانى عن صهيب رضى الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فأخذت آكل من التمر فقال لى أتأكل وبك رمد فقلت يارسول الله أمضغه من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه ان صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام بالليل وكان يقول ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة جاء شوقه واذا ذكر

وتصفى من شوائب النقص من جهة المعنى فأر تنارقة من زلاله وصفاء من ذلك الزلال خبايا فضل فيه وهى العلوم المستنبطة منه وانما تظهر الوجوه ظهورا واضحا الاخفاء معه بوجه اذا قوبلت بمرآة وقت جلاء الاصداء عن تلك المرآة سور منه أشبهت صور اصنام من حيث اشتمال كل صورة منها على عقل وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره والاقاويل الصادرة من الكفار فى القرآن كالصور التى يصورها المصورون فانه لا وجود لها فى الحقيقة فما قالوه فى القرآن باطل قطعى البطلان فاحذر الخطباء ان توقع فى وهمك أن ما تأتى به يقارب القرآن كم أوضحت آياته علوما حالة كونها متولدة من حروف قليلة كشف عنها التهجى كالحب الذى يلقيه الزارع والنوى الذى يلقيه الغارس أعجب الزراع والغراس منها أى من تلك الحبوب والنوى سنابل وثمار وعوفاق الحصر وأطالوا فى تلك السور الشك فقالوا سحر وتمويه لا حقيقة له وقالوا مرة أخرى أساطير الاولين واذا كانت الحجج والبراهين لم تفدهم شيأ من الهدى فطلب الهدى منهم بتلك الحجج تعب لا يفيد شيأ واذا ضاعت العقول عن طرق الحق مع علمها بتلك الطرق فأى قول يقوله الفصحاء أى وقال الوليد بن المغيرة يوما أينزل القرآن على محمد واترك أنا وانا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود الثقفى سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين اى مكة والطائف فأنزل الله تعالى وقالوا لولا اى هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أى أعظم وأشرف من محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله تعالى عليهم بقوله أهم يقسمون رحمة ربك الآية وفى لفظ قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من أهل مكة أو عروة بن مسعود الثقفى من أهل الطائف ثم لا يخفى أن كفار قريش بعثوا مع النضر بن الحرث عقبة بن أبى معيط الى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول أى التوراة لانه قبل الانجيل وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسألا أحبار يهود أى قالا لهم أتيناكم لامر حدث فينا منا غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم أنه رسول الله وفى لفظ رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفته فوصفوا قالوا فمن يتبعه منكم قالوا سفلتنا فضحك حبر منهم وقالوا هذا النبى الذى نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة قالت لهم أحبار يهود سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول أى وهم أهل الكهف ما كان من أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها أى وهو ذو القرنين ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ماهى فاذا أخبركم بذلك اى بحقيقة الاولين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فانه نبى فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وأخبراهم الخبر فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام أخبركم غدا ولم يستثن أى لم يقل ان شاء الله تعالى وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل أربعة أيام لا يأتيه الوحى وتكلمت قريش فى ذلك بما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه أى ومن جملة من قال ذلك له صلى الله عليه وسلم أم جميل امرأة عمه أبى لهب

الله طال شوقه وقصة أكله التمر رواها بعضهم على وجه آخر هو انه صلى الله عليه وسلم رآه يأكل قثاء ورطبا وهو أرمد احدى عينيه فقال أتأكل رطبا وأنت أرمد فقال انما آكل من ناحية عينى الصحيحة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبى ولا مانع من التعدد أى لكل من القصتين ولما أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى 331 الهجرة خرج الناس ارسالا متتابعين وهاجر أيضا عثمان بن عفان رضى الله عنه واشتد الاذى على المستضعفين ومكث صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه من أصحابه الا على بن أبى طالب وأبو بكر ومن كان مستضعفا محبوسا عند قريش وكان الصديق رضى الله عنه كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى المدينة فيقول لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر رضى الله عنه ان يكون الصاحب هو النبى صلى الله عليه وسلم وقد حقق الله رجاءه وفى رواية البخارى استأذن أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم فى الخروج فقال له صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى أرجو ان يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبى وأمى قال نعم فحبس أبو بكر رضى الله عنه نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر ثم ان قريشا لما رأوا هجرة الصحابة وعرفوا انهم صار لهم أصحاب من غيرهم وانهم أصابوا منعة لان الانصار قوم أهل حلقة أى سلاح وبأس حذروا خروجه صلى الله عليه وسلم وعرفوا انه أجمع لحربهم فاجتمعوا فى دار الندوة دار قصى ابن كلاب قال الحلبى دار الندوة من جهة الحجر عند مقام الحنفى الآن وكان لها باب الى المسجد أعدت للاجتماع للمشورة وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشى الا ان بلغ أربعين سنة بخلاف القرشى وقد أدخلوا أبا جهل ولم تستكمل لحيته وكان اجتماعهم يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة وكان اجتماعهم هذا ليتشاوروا فيما يصنعون فى أمره صلى الله عليه وسلم وكان المجتمعون مائة رجل وقيل خمسة عشر وكان يسمى ذلك اليوم

لهب قالت له ما أرى صاحبك الا وقد ودعك وقلاك أى تركك وبغضك وفى رواية قالت امرأة من قريش أبطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف وروى أنهم يكونون مع عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اذا نزل ويحجون البيت وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين أى وهو اسكندر ذو القرنين كان له قرنان صغيران من لحم تواريهما العمامة وفى لفظ كان له شبه القرنين فى رأسه وقيل غديرتان من شعر وقيل لانه قرن ما بين طلوع الشمس ومغربها أى بلغ قطرى المشرق والمغرب وقيل ضرب على قرن رأسه فمات ثم أحيى ثم ضرب على قرنه الآخر فمات ثم أحيى وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه انقرض فى زمنه قرنان من الناس والقرن زمان مائة سنة وكان ذو القرنين رجلا صالحا من أهل مصر من ولد يونن وفى لفظ يونان بن يافث بن نوح وكان من الملوك العادلة وكان الخضر صاحب لوائه الاكبر وقيل كان نبيا قاله الضحاك وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل بالجواب عن الروح المذكور ذلك فى سورة الاسراء وهو ان الروح من أمر الله أى قل لهم الروح من أمر ربى أى من علمه لا يعلمه الا هو أى وكان فى كتبهم أن الروح من أمر الله أى مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ومن ثم جاء فى بعض الروايات ما تقدم ان أجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبى والا بأن أجابكم عنها بانها من أمر الله فهو نبى ولعل هذا هو المراد كما جاء فى بعض الروايات سلوه عن الروح فان أخبركم به فليس بنبى وان لم يخبركم فهو نبى (أقول) اذا كان فى كتبهم أن حقيقة الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه كيف يسألونه فيخبرهم بذلك الا أن يقال المراد ان أجابكم بغير قوله من أمر ربى فاعلموا انه غير نبى فانه يحاول أن يخبركم عن حقيقتها وحقيقتها لا يعلمها الا الله تعالى ويوافقه ما فى مأثور التفسير من أمر ربى من علم ربى لا علم لى به وفى بعض الروايات عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سلوه عن الروح التى نفخ الله تعالى فى آدم فان قال هى من الله تعالى فقولوا له كيف يعذب الله فى النار شيأ هو منه وحاصل الجواب الذى أشارت اليه الآية أن الروح أمر بمعنى مأمور أى مأمور من مأموراته وخلق من خلقه لا أنها جزء منه والله أعلم أى وهذا يدل على ان المسؤل عنه روح الانسان التى هى سبب فى افادة الحياة للجسد (وفى كلام الامام الغزالى) رحمه الله تعالى أن الروح روحان حيوانى وهى التى تسميه الاطباء المزاج وهو جسم لطيف بخارى معتدل سار فى البدن الحامل لقواه من الحواس الظاهرة والقوى الجسمانية وهذه الروح تفنى بفناء البدن وتنعدم بالموت وروح روحانى وهى التى يقال لها النفس الناطقة ويقال لها اللطيفة الربانية ويقال لها العقل ويقال لها الروح ويقال لها القلب من الالفاظ الدالة على معنى واحد لها تعلق بقوى النفس الحيوانى وهذه الروح لا تفنى بفناء البدن وتبقى بعد الموت هذا كلامه (وفى كلام بعضهم) والروح عند أكثر أهل السنة جسم لطيف مغاير للاجسام ماهية وهيئة متصرف فى البدن حال فيه حلول الدهن فى الزيتون يعبر عنه بأنا وأنت واذا فارق البدن مات وذهب جمع منهم الغزالى والامام الرازى وفاقا للحكماء والصوفية الى أنه جوهر مجرد غير حال بالبدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق يدبر أمره على وجه لا يعلمه الا الله اه ورأيت فى كلام

عندهم يوم الزحمة لانه اجتمع فيه أشراف بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني أسد وبني مخزوم وبني جمح وبني سهم وبني الحرث
وبني كعب وبني تيم وبني عدي وغيرهم ولم يتخلف من أهل الرأي والحجا منهم أحد وجاءهم ابليس في صورة شيخ نجدي فوقف على باب
الدار في هيئة شيخ جليل عليه كساء غليظ وقيل طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذي تعدتم له فحضر ٣٣٢

ليسمع ما تقولون وعسى أن لا
يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل
فدخل وانما تمثل في صورة شيخ
نجدي لانهم قالوا لا يدخلن معكم
في المشاورة أحد من أهل تهامة
لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل
بصورة نجدي وتهيأ بهيئة تعظم
في عيونهم ثم قال بعضهم لبعض
ان هذا الرجل يعني النبي صلى
الله عليه وسلم قد كان من أمره
ما رأيتم وانا والله لا نأمنه على
الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا
فأجمعوا فيه رأيا فقال قائل وهو
أبو البختري بن هشام احبسوه في
الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا
به ما أصاب أشباهه من الشعراء
قبله فقال النجدي ما هذا برأي
والله لو حبستموه ليخرجن أمره
من وراء الباب الذي أغلقتم دونه
الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا
عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم
يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم
ما هذا برأي فانظروا في غيره فقال
أبو الاسود ربيعة بن عمرو العامري
ولم يعلم له اسلام نخرجه من بين
أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي
أين ذهب فقال النجدي لعنه الله
والله ما هذا برأي ألم تروا حسن
حديثه وحلاوة منطقه وغلبته
على قلوب الرجال بما يأتي به والله
لو فعلتم ذلك ما أمنت ان يحل على
حي من العرب فيغلب بذلك عليهم
من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم
يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم
فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أدبروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله ان لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه اكرام
أرى ان تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه
فيستريح منه ويتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنقلو لهم فقال النجدي لعنه الله القول ما قال

الشيخ الاكبر أن الامام ركن الدين السمرقندي لما فتح المسلمون بلاد الهند خرج بعض علمائها
لمناظر المسلمين فسأل عن العلماء فأشاروا الى الامام ركن الدين السمرقندي فقال له الهندي
ما تعبدون قالوا نعبد الله بالغيب قال من أنبأكم قالوا محمد صلى الله عليه وسلم قال فما الذي قال
في الروح قال هو من أمر ربي فقال صدقتم فأسلم وليس المراد بالروح خلق من الملائكة على
صورة بني آدم أو ملك عظيم عرض شحمة أذنه خمسمائة عام الى غير ذلك مما قيل قال بعضهم
ذات كذا في هذه الرواية انهم سألوه أي مشركو مكة عن الروح وحديث ابن مسعود يدل على
ان السؤال عن الروح ونزول الآية كان بالمدينة أي من اليهود هذا كلامه وفيه أنه سيأتي
جواز تكرر السؤال وتكرر نزول الآية لما يأتي آخرا وبه يعلم ما في الاتقان حيث تعقب
قول بعضهم ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سألوه عن الروح وعن ذي القرنين بقوله فان
السائل عن الروح وذي القرنين مشركو مكة أو اليهود كما في أسباب النزول لا الصحابة وفي
الاتقان قد يعدل عن الجواب أصلا اذا كان السائل قصده التعنت نحو ويسألونك عن الروح
قل الروح من أمر ربي قال صاحب الافصاح انما سأل اليهود تعجيزا وتغليطا اذ كان الروح يقال
بالاشتراك على روح الانسان والقرآن وعيسى وجبريل وملك آخر وصنف من الملائكة فقصد
اليهود ان يسألوه صلى الله عليه وسلم فبأي مسمى أجابهم قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا
وكان هذا الاجمال كيدا يرد به كيدهم وفي سورة الكهف أيضا آية ولا تقولن لشئ اني فاعل
ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت أي اذا أردت أن تقول سأفعل شيأ فيما
يستقبل من الزمان تقول ان شاء الله فان نسيت التعليق بذلك ثم تذكرت تأتي بها فاذكرها
بعد النسيان كذكرها بعد القول قال جمع منهم الحسن ما دام في المجلس أي وظاهره وان طال
الفصل وفي الخصائص الكبرى ان هذا أي الاتيان بالمشيئة بعد التذكر من خصائصه صلى الله
عليه وسلم وليس لاحد منا أن يستثني أي يأتي بالمشيئة الا في صلة يمينه (أقول) كان ينبغي أن
يقول في صلة اخباره لان مساق الآية في الاخبار لا في الحلف فان قيل هي عامة في الخبر
والحلف قلنا كان ينبغي أن يقول حينئذ في صلة كلامه وحينئذ يقتضي كلامه أنا نشاركه في
الخبر دون الحلف والله أعلم ثم لا يخفى أنه قيل سبب احتباس الوحي أنه لم يقل ان شاء الله تعالى
وهو المشهور وقيل لانه كان في بيته كلب وفي لفظ كان تحت سريره جرو ميت فقد جاء انه صلى
الله عليه وسلم لما عاتب جبريل في احتباسه قال أما علمت ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب
أي فانه صلى الله عليه وسلم قال لخادمته خولة يا خولة ما حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم جبريل لا يأتيني قالت فقلت في نفسي لو كنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير
فأخرجت الجرو ميتا (أقول) قال ابن كثير قد ثبت في الحديث المروي في الصحاح والسنن
والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تدخل
الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب وقد أورد بعض الزنادقة سؤالا وهو اذا كانت
الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو صورة أي صورة التماثيل التي فيها الارواح يلزم أن لا يموت
من عنده كلب أو صورة وأن لا يكتب عمله وأجيب عنه بان المراد لا تدخل ذلك البيت دخول

لا رأي غيره فأجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وقيل ان قول أبي جهل الذي صوّبه ابليس ان يعطى خمسة رجال من خمس قبائل
سيوفا فيضربوه ضربة رجل واحد فلعلهم استبعدوا قوله من كل قبيلة اذ لا يمكن عشرين مثلا ان يضربوا شخصا ضربة واحدة فقال
لهم خمسة رجال ثم أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت على فراشك ٣٣٣ الذي كنت تنام عليه فلما كان الليل اجتمعوا

على بابه يرصدونه أي يرقبونه حتى
ينام فيثبوا عليه وكانوا مائة قال
الحافظ الدمياطي في سيرته
فاجتمع أولئك القوم من قريش
يتطلعون من شق الباب
ويرصدونه يريدون بياته أي
يوقعون القتل به ليلا وقيل
أحدقوا ببابه وعليهم السلاح
يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه
ظاهرا فيذهب دمه في جميع
القبائل بمشاهدة بني هاشم فلا
يتم لهم أخذ ثاره فأمر عليه
الصلاة والسلام عليا فنام مكانه
وغطى ببرده صلى الله عليه وسلم
بقوله صلى الله عليه وسلم اتشح
ببردي هذا الحضري الاخضر
فنم فيه فانه لن يخلص اليك شئ
تكرهه منهم وكان صلى الله عليه
وسلم ينام في برده ذلك اذا نام فكان
علي رضي الله عنه أول من شرى
نفسه ابتغاء مرضاة الله ووقى
بنفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه امتثل أمر النبي صلى الله
عليه وسلم قبل ان يقول له لن
يخلص اليك شئ فصدق عليه انه
بالامتثال باع نفسه وفي ذلك يقول
علي رضي الله عنه

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به
فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا
موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت أراعيهم وما يتهمونني
* وقد وطنت نفسي على القتل والاسر

وكان القوم الحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وأمية بن خلف
وزمعة بن الاسود وأبو الهيثم وأبو جهل فقال أبو جهل ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم
بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون بها فسمعه صلى

اكرام لصاحبه وتحصيل بركة له فلا ينافي دخولهم لكتابة الاعمال وقبض الارواح والله أعلم
وقيل لانه صلى الله عليه وسلم زجر سائلا ملحا وقد كان قبل ذلك يرد السائل بقوله آتانا الله
من فضله أي وربما سكت فقد روى الشيخان ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فقال
لا قال الحافظ ابن حجر المراد بذلك أنه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده شئ أعطاه والا سكت وهذا
هو المراد بما جاء أنه صلى الله عليه وسلم ما رد سائلا قط أي ما شافهه بالرد وقد حكى بعضهم قال
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله استغفر لي فسكت فقلت يا رسول الله
ان ابن عيينة حدثنا عن جابر انك ما سئلت شيأ قط فقلت لا فتبسم صلى الله عليه وسلم واستغفر لي
أي فكان يأتي بالاول حيث لا يكون المقام يقتضي الاقتصار على السكوت ولعل هذا في غير
رمضان فلا يخالف ما رواه البزار عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل وبين الشيخ ابن الجوزي في
التنوير سبب الحاح هذا السائل فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أهدي اليه قطف عنب قبل
أوانه فهم أن يأكل منه فجاءه سائل فقال أطعموني مما رزقكم الله فسلم اليه ذلك القطف فلقيه
بعض الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد السائل الى النبي صلى الله عليه
وسلم فسأله فأعطاه اياه فلقيه رجل آخر من الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبي صلى الله عليه
وسلم فعاد السائل فسأله فانتهره وقال انك ملح قال وهذا سياق غريب جدا وهو معضل * وقيل
سبب ذلك غير ذلك من ذلك الغير أن جبريل عليه السلام لما قال له صلى الله عليه وسلم ما حبسك
عني قال كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شوربكم ولا
تستاكون (أقول) واختلاف هذه الاسباب ظاهر في أن الواقعة متعددة ولا ينافيه قوله
ونزلت أي آية سورة الضحى ردا عليهم في قولهم ان محمدا قلاه ربه وتركه وهي ما ودعك ربك وما
قلى أي ما قطعك قطع المودع وما أبغضك لانه يجوز أن يكون مما تكرر نزوله لاختلاف سببه
ويمكن أن يقال يجوز أن تكون الواقعة واحدة وتعددت أسبابها ولا ينافيه اخبار جبريل عليه
السلام تارة بأن سبب احتباسه عدم قص الاظفار وما ذكر معه وتارة بأن الملائكة لا تدخل
بيتا فيه كلب وتارة بقوله وما نتنزل الا بأمر ربك كما يأتي قريبا وكما سيأتي في قصة الافك لكن
قال الحافظ ابن حجر قصة ابطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية
أي ما ودعك ربك وما قلى غريب فالمعتمد ما في الصحيح هذا كلامه (أقول) ومما يدل على أن
واقعة الجرو كانت بالمدينة ما في بعض التفاسير أن هذا الجرو كان للحسن والحسين رضي الله
عنهما وما رواه مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام في ساعة أن يأتيه فجاءت تلك الساعة ولم يأته فيها قالت وكان بيده عصا
فطرحها من يده وهو يقول ما يخلف الله وعده ولا رسله ثم التفت فاذا كلب تحت السرير
فقال متى دخل هذا الكلب فقلت والله ما دريت به فأمر به فأخرج فجاء جبريل عليه الصلاة
والسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدتني فجلست لك ولم تأت فقال منعني الكلب
الذي كان في بيتك انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وفي زيادة الجامع الصغير أتاني جبريل

الله عليه وسلم فخرج من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو
قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف صلى الله عليه وسلم وفى رواية الامام أحمد حتى لحق بالغار أى غار ثور
فأفاده توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه فى نحر الظهيرة ثم خرج اليه هو وأبو بكر ثانيا فأتاهم آت وهم جلوس يرصدونه قيل
انه ابليس فى صورة النجدى فقال
ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال
قد خيبكم الله قد والله خرج محمد
عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع
على رأسه ترابا وانطلق فوضع كل
رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه
تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون
عليا على الفراش متسجيا ببرد
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون والله ان هذا لمحمد عليه
برده قال الزهرى وباتت قريش
يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم
على صاحب الفراش فيوثقه
وذكر السهيلى انهم هموا بالولوج
عليه فصاحت امرأة من الدار
فقال بعضهم لبعض والله انها
لسبة فى العرب ان يتحدث عنا أنا
تسورنا الحيطان على بنات العم
وهتكنا ستر حرمنا وكان تسور
الجدار ممكنا لهم لقصر الجدار
لكنهم خافوا السبة والعار فكان
هذا هو المانع فى الظاهر والمانع
فى الحقيقة باطنا حماية الله ورقايته
وحفظه الموجب لخذلانهم واظهار
عجزهم فأقاموا بالباب يحرسون
عليا يحسبونه النبى صلى الله عليه
وسلم حتى يقوم فى الصباح
فيفعلون به ما اتفقوا عليه فلما
أصبحوا قام على رضى الله عنه عن
الفراش فقالوا له أين صاحبك قال
لا أدرى وصدق الله قول النبى
صلى الله عليه وسلم له انه لن يخلص
اليك شئ تكرهه منهم وقيل انهم
تسوروا الجدار ودخلوا شاهرين
سيوفهم فثار على فى وجوههم فعرفوه فقالوا له أين صاحبك قال لا أدرى وقيل أمروه بالخروج وضربوه وأدخلوه
المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه ثم قالوا لقد صدقنا الذى كان حدثنا انه خرج علينا وفى هذه القصة نزل بعد ذلك بالمدينة تذكيرا
له بهذه النعمة قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة بقوله تعالى وقل رب

فقال لى انى كنت اتيتك البارحة فلم يمنعنى ان أكون دخلت عليك البيت الذى كنت فيه الا انه
كان على الباب تماثيل وكان فى البيت ستر فيه تماثيل وكان فى البيت كلب فأمر صلى الله عليه
وسلم برأس التمثال الذى فى البيت فليقطع فيصير كهيئة الشجرة وأمر بالستر فليقطع فيجعل منه
وسادتين منبوذتين توطا آن وأمر بالكلب فأخرج ومعلوم أن مجىء جبريل له صلى الله عليه
وسلم اكرام وتشريف له صلى الله عليه وسلم فلا ينافى ما تقدم فليتأمل * ولما نزلت السورة
المذكورة كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى واستمر صلى الله عليه وسلم لا يجاهر قومه
بالدعوة حتى نزل وأما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر صلى الله عليه وسلم أيضا وكان ذلك سببا
للتكبير فى افتتاح السور التى بعدها وفى ختمها الى آخر القرآن وعن أبى بن كعب رضى الله تعالى
عنه انه قرأ كذلك على النبى صلى الله عليه وسلم بعد أمره له بذلك وانه كان كلما ختم سورة وقف
وقفة ثم قال الله أكبر هذا وقيل ابتداء التكبير من أول ألم نشرح لا من أول والضحى وقيل ان
التكبير انما هو لآخر السورة وابتداؤه من آخر سورة الضحى الى آخر قل أعوذ برب الناس
والاتيان بالتكبير فى الاول والآخر جمع بين الروايتين الرواية التى جاءت بانه كبر فى أول
السورة المذكورة والرواية الاخرى انه كبر فى آخرها ومما يدل على ان التكبير أول سورة
الضحى ما جاء عن عكرمة بن سليمان قال قرأت على اسمعيل بن عبد ربه فلما بلغت الضحى قال
كبر فانى قرأت على عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة فلما بلغت والضحى قال لى كبر حتى تختم
وأخبرنى ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره أن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
أمره بذلك وأخبره ابن عباس أن أبى بن كعب أمره بذلك وأخبره أبى أن النبى صلى الله عليه
وسلم أمره بذلك قال بعضهم حديث غريب ونقل عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه أنه قال
لا آخر اذا تركت التكبير أى من الضحى الى الحمد فى الصلاة وخارجها فقد تركت سنة من سنن
نبيك صلى الله عليه وسلم لكن فى كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك أى التكبير عند نزول سورة
الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف * وقد ذكر الشيخ أبو المواهب الشاذلى عن شيخه أبى
عثمان أنه قال انما نزلت سورة ألم نشرح عقب قوله وأما بنعمة ربك فحدث اشارة الى ان من
حدث بنعمة الله فقد شرح الله صدره قال كأنه تعالى يقول اذا حدثت بنعمتى ونشرتها بين
عبادى فقد شرحت صدرك وعن ابن اسحق ذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سؤت ظنا وفى لفظ ما منعك أن تزورنا أكثر مما
تزورنا فقال له جبريل وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان
ربك نسيا أى لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل فى زمان دون زمان الا بأمره ومشيئته
على مقتضى حكمته وما كان ربك تاركا لك كما زعم الكفار بل كان ذلك لحكمة رآها * وأما
حديث الزبيدى فقد حدث بعضهم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد
ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول
يا معشر قريش كيف تدخل عليكم المارة أو يجلب اليكم جلب أو يحل بضم الحاء أى ينزل
بساحتكم تاجر وأنتم تظلمون من دخل عليكم فى حرمكم حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم

أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا * والحكمة فى هجرته الى المدينة أن تتشرف به
الازمنة والامكنة والاشخاص لأنه يتشرف بها فلو بقى بمكة لكان يتوهم انه قد تشرف بها لان شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل
عليهما الصلاة والسلام فأمره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به لحلوله فيها حتى وقع الاجماع على ان أفضل البقاع
الموضع الذى ضم أعضاءه الكريمة
صلوات الله وسلامه عليه حتى من
الكعبة لحلوله فيه بل نقل التاج
السبكى عن ابن عقيل الحنبلى انه
أفضل من العرش قال السيد
السمهودى والرحمات النازلات
بذلك المحل يعم فيضها الامة وهى
غير متناهية لدوام ترقياته صلى
الله عليه وسلم فهو منبع الخيرات
(وكان خروجه) صلى الله عليه
وسلم من مكة أول يوم من ربيع
الاول وقدم المدينة لاثنتى عشرة
خلت منه وكان مدة مقامه بمكة
بعد البعثة ثلاث عشرة سنة قال
صرمة بن قيس الانصارى
الصحابى رضى الله عنه ثوى فى
قريش بضع عشرة حجة يذكر
لو يلقى صديقا مواتيا وأمره
جبريل أن يستصحب أبا بكر رضى
الله عنه روى الحاكم عن على رضى
الله عنه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال لجبريل من يهاجر معى
قال أبو بكر الصديق رضى الله
عنه وأخبر عليه الصلاة والسلام
عليا بخروجه وأمره أن يتخلف
بعده حتى يؤدى عنه الودائع
التى كانت عنده عليه الصلاة
والسلام للناس قال ابن اسحق
وليس أحد بمكة عنده شئ يخاف
عليه الا وضعه عنده عليه الصلاة
والسلام لما يعلمون من صدقه
وأمانته (روى البخارى عن
عائشة) رضى الله عنها قالت بينما
نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر
فى نحر الظهيرة قال قائل لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أى مغطيا رأسه (وفى رواية الطبرانى) عن أسماء رضى الله
عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشيا فلما كان يوم من ذلك جاءنا فى الظهيرة فقلت يا أبت هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر فداه أبى وأمى والله ما جاء به فى هذه الساعة الا أمر حدث قالت فجاء رسول الله صلى الله

وسلم فى أصحابه فقال له صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكر أنه قدم بثلاثة اجمال خيرة ابله أى
أحسنها فسامه بها أبو جهل ثلث أثمانها ثم لم يسمه بها لاجله سائم قال فأكسد على سلعتى فظلمنى
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين اجمالك قال هذه هى بالحزورة فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقام أصحابه فنظروا الى الجمال فرأى جمالا حسانا فساوم ذلك الرجل
حتى ألحقه برضاه وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيرا
باعه وأعطى أرامل بنى عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وأبو جهل جالس فى ناحية من السوق ولم
يتكلم ثم أقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اياك يا عمرو أن تعود لمثل ما صنعت
بهذا الرجل فترى منى ما تكره فجعل يقول لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد فانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأقبل على أبى جهل أمية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذللت فى
يد محمد فاما ان تكون تريد أن تتبعه واما رعب دخلك منه فقال لهم لا أتبعه أبدا ان الذى رأيتم
منى لما رأيته رأيت معه رجالا عن يمينه ورجالا عن شماله معهم رماح يشرعونها الى لو خالفته
لكانت اياها أى لأتوا على نفسى ونظير ذلك ان أبا جهل كان وصيا على يتيم فأكل ماله وطرده
فاستغاث اليتيم بالنبى صلى الله عليه وسلم على أبى جهل فمشى معه اليه ورد عليه ماله فقيل له
فى ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت أن أعطيه لطعننى وأما
حديث المستهزئين فمما استهزئ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث به بعضهم ان أبا
جهل بن هشام ابتاع من شخص يقال له الاراشى بكسر الهمزة نسبة الى اراشة بطن من خثعم
اجمالا فمطله باثمانها فدلته قريش على النبى صلى الله عليه وسلم لينصفه من أبى جهل استهزاء
برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بأنه لا قدرة له على أبى جهل أى بعد ان وقف على ناديهم
فقال يا معشر قريش من رجل يعيننى على أبى الحكم بن هشام فانى غريب وابن سبيل وقد غلبنى
على حق فقالوا له أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك
عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع أبى جهل أى قال له يا أبا عبد الله
ان أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قبله وأنا غريب وابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم
عن رجل يأخذ لى بحقى منه فأشاروا اليك فخذ حقى منه يرحمك الله فخرج النبى صلى الله عليه
وسلم مع الرجل الى أبى جهل وضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه
أى تغير وصار كلون النقع الذى هو التراب وهو الصفرة مع كدرة كما تقدم فقال له اعط هذا
حقه قال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذى له فدفعه اليه قال ثم ان الرجل أقبل حتى وقف على ذلك
المجلس فقال جزاه الله خيرا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فقد والله أخذ لى بحقى وقد كانوا أرسلوا
رجلا ممن كان معهم خلف النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا له انظر ماذا يصنع فقالوا لذلك الرجل
ماذا رأيت قال رأيت عجبا من العجب والله ما هو الا أن ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه
روحه فقال اعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه
فأعطاه اليه فعند ذلك قالوا لابى جهل ويلك ما رأينا مثل ما صنعت قال ويحكم والله ما هو الا أن
ضرب على بابى وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسى لفحلا من الابل

عليه وسلم فاستأذن فأذن له أبو بكر رضى الله عنه فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبى أنت وأمى وذلك ان عائشة رضى الله عنها كان أبوها قد عقد لها عليه صلى الله عليه وسلم وأسماء أختها بمنزلة أهله

لنكاحه أختها فلا يخشى عليه منهما وقيل ان قول أبى بكر ذلك بمنزلة قول الصديق حريمى حريمك وأهلى أهلك يعنى أنا وأنت كالشئ الواحد فقال صلى الله عليه وسلم قد أذن لى فى الخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر رضى الله عنه الصحبة يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضى الله عنها فرأيت أبا بكر رضى الله عنه يبكى وما كنت أحسب ان أحدا يبكى من الفرح فقال أبو بكر رضى الله عنه فخذ بأبى أنت وأمى يارسول الله احدى راحلتى هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن وفى رواية قال لا أركب بعيرا ليس هو لى فهو لك قال لا ولكن بالثمن الذى ابتعتها به قال أخذتها بكذا وكذا (وكان أبو بكر) رضى الله عنه قد علف راحلتين أربعة أشهر لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم انه يرجو الهجرة وانما فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى وان تكون على أتم الاحوال والا فأبو بكر رضى الله عنه قد أنفق ماله فى حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن حبان عن عائشة رضى الله عنها قالت أنفق أبو بكر رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألف درهم (وروى الزبير) بن بكار عنها رضى الله عنها ان أبا بكر رضى الله عنه لما مات ما ترك دينارا ولا درهما وفى الصحيح قال صلى الله عليه وسلم ليس أحد من الناس أمن على فى نفسه وماله من أبى بكر (وروى الترمذى) مرفوعا ما لاحد عندنا يد الا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة (وروى ابن عساكر) عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجنى وهكذا

ما رأيت مثله قط لو أبيت أو تأخرت لاكلنى والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

واقتضاه النبى دين الاراشى * وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى أتاه بما لم * ينج منه دون الوفاء النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن * ما على مثله يعد الخطاء

أى وطالب صلى الله عليه وسلم من أبى جهل ان يؤدى دين الاراشى وقد ساء بيعه وشراؤه مع ذلك الرجل ورأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أتاه بفحل من الابل لم ينج منه دون الوفاء لذلك الدين كثير النجاء وذلك الذى أتاه به هو الفحل الذى قد رآه من قبل أى لما أراد عدو الله ان يلقى عليه صلى الله عليه وسلم الحجر وهو ساجد كما تقدم لكن ما على مثله فضلا عنه يعد الخطا لان خطأه لا ينحصر * أى ومن استهزاء أبى جهل بالنبى صلى الله عليه وسلم أنه فى بعض الاوقات سار خلف النبى صلى الله عليه وسلم يخلج بأنفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك الى ان مات قال ابن عبد البر وكان من المستهزئين الذين قال الله تعالى فيهم انا كفيناك المستهزئين أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبى معيط والحكم بن العاص بن امية وهو والد مروان بن الحكم عم عثمان بن عفان والعاص بن وائل فمن استهزاء أبى جهل ما تقدم * ومن استهزاء أبى لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومر يوما من الايام فرآه أخوه حمزة رضى الله تعالى عنه قد فعل ذلك فأخذه وطرحه على رأسه فجعل أبو لهب ينفض رأسه ويقول صابئ أحمق * ومن استهزاء عقبة بن أبى معيط به صلى الله عليه وسلم انه كان يلقى القذر أيضا على بابه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقد قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين أبى لهب وعقبة بن أبى معيط ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابى كما تقدم ومن استهزائه أنه بصق فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا أى فانه صلى الله عليه وسلم كان يكثر مجالسة عقبة بن أبى معيط فقدم عقبة يوما من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من أشراف قريش ودعا النبى صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل فقال ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لابى بن خلف فأخبر الناس ابيا بمقالة عقبة فأتى اليه وقال يا عقبة صبوت قال والله ما صبوت ولكن دخل منزلى رجل شريف فأبى أن يأكل طعامى الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة ليست فى نفسى فقال له أبى وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقى النبى صلى الله عليه وسلم ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان أثر الحرق فى وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بقوله فيما تقدم فعاد بصاقه برصا فى وجهه أى صار كالبرص وأنزل الله تعالى فى حقه ويوم يعض الظالم على يديه اى فى النار يأكل احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الاخرى فتنبت الاولى فيأكلها

ابنته وواسانى بنفسه وان خير المسلمين مالا أبو بكر أعتق منه بلالا وحملنى الى دار الهجرة فالحمل مجاز عن المعاوضة والخدمة فى السفر وعلف الدابة أربعة أشهر حتى باعها للمصطفى صلى الله عليه وسلم بحيث لم يحتج لتطلب شراء دابة قالت عائشة رضى الله عنها فجهزناهما أحث الجهاز أى أسرعه وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت أسماء

بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب وفى رواية شقت نطاقها وأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقى فسميت ذات النطاقين قالت عائشة رضى الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه بغار ثور فكمنا فيه ثلاث ليال وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت والله انك لاحب أرض الله الى وانك لاحب أرض الله الى الله ولولا ان أهلك أخرجونى ما خرجت منك رواه الامام أحمد والترمذى (وفى رواية له عن ابن عباس) رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أطيبك من بلد وأحبك الى ولولا ان قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك (وروى أبو نعيم) عن ابن اسحق بلاغا انه كان من قوله صلى الله عليه وسلم أيضا لما خرج مهاجرا الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيأ اللهم أعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والايام اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى وبارك لى فيما رزقتنى ولك فذللنى وعلى صالح خلقى فقومنى واليك رب فحببنى والى الناس فلا تكلنى أنت رب المستضعفين وأنت ربى أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والارض وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الاولين والآخرين أن يحل بى غضبك أو ينزل على سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندى خيرما استطعت ولا حول ولا قوة الا بك ولم يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم الا على رضى الله عنه وآل أبى بكر رضى الله عنهم ومنهم عامر بن فهيرة رضى الله عنه لانه مولى لابى بكر وآل الرجل أهله وعياله ومواليه (روى) انهما خرجا من

وهكذا * ومن استهزاء الحكم بن العاص أنه كان صلى الله عليه وسلم يمشى ذات يوم وهو خلفه يخلج بفمه وأنفه يسخر بالنبى صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك أى كما تقدم نظير ذلك لابى جهل واستمر الحكم بن العاص يخلج بأنفه وفمه بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه حتى مات أسلم يوم فتح مكة وكان فى اسلامه شئ اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه صلى الله عليه وسلم بالعنزة أى وقيل بمدرى فى يده والمدرى كالمسلة يفرق به شعر الرأس وقال من عذيرى من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغربه عن المدينة الى وج الطائف فلم يزل حتى ولى ابن أخيه عثمان رضى الله تعالى عنه الخلافة فدخل المدينة بعد ان سأل عثمان أبا بكر فى ذلك فقال لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل عمر لما ولى الخلافة فقال له مثل ذلك ولما أدخله عثمان نقم عليه الصحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت شفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدنى برده أى انى أرده ولا ينافى ذلك سؤال عثمان لابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم فى ذلك كما لا يخفى لانه يحتمل أن برده عثمان اما بنفسه أو بسؤاله وسيأتى ذلك فى جملة أمور نقموها عليه الصحابة وعن هند ابن خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بالحكم فجعل يغمز بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفى رواية فما قام حتى ارتعش * وعن الواقدى استأذن الحكم بن العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ما هم ذو ومكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق وكان لا يولد لاحد ولد بالمدينة الا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فأتى اليه بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابى ان ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل انه أتى به اليه صلى الله عليه وسلم فلم يأذن بادخاله عليه وربما يدل لذلك قوله هو الوزغ الى آخره وفى كلام بعضهم أن مروان ولد بمكة وفى كلام بعض آخر انه ولد بالطائف بعد ان نفى أبوه الى الطائف اى ولم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابى ومن ثم قال البخارى مروان بن الحكم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لمروان نزل فى أبيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك اى الذى هو العاص بن أمية انهم الشجرة الملعونة فى القرآن * ولى مروان الخلافة تسعة أشهر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لمروان بن الحكم حيث قال لاخيها عبد الرحمن بن أبى بكر لما بايع معاوية لولده قال مروان سنة أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن بل سنة هرقل وقيصر وامتنع من البيعة ليزيد بن معاوية فقال له مروان أنت الذى أنزل الله فيك والذى قال لوالديه أف لكما فبلغ ذلك عائشة فقالت كذب والله ما هو به ثم قالت له اما أنت يا مروان فاشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صلبه وعن جبير بن مطعم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر الحكم بن العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل

نوخة فى ظهر بيته ليلا (وروى) ان أباجهل لعنه الله لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا * ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة وهو الذى يعرف الاثر فى كل وجه قيل انهم بعثوا شخصين فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه ٣٣٨ حتى انقطع لما انتهى الى غار ثور ويروى انه قعد وبال فى أصل شجرة هناك ثم قال ههنا انقطع الاثر ولا أدرى أخذ يمينا أم شمالا أم صعد الجبل وفى رواية قال لهم القائف هذا القدم قدم ابن أبى قحافة وهذا الآخر لا أعرفه الا انه يشبه القدم الذى فى المقام يعنى مقام ابراهيم فقالت قريش ماوراء هذا شئ وشق على قريش خروجه صلى الله عليه وسلم وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده عن سيره ذلك بقتل أو أسر ولله در الشيخ شرف الدين الابوصيرى رضى الله عنه حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بأرض ألفته ضبابها والظباء

وسلوه وحن جذع اليه وقلوه وودّه الغرباء

أخرجوه منها وآواه غار وحمته حمامة ورقاء

وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء

(ولما دخل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه الغار أنبت الله على بابه شجرة من أم غيلان تسمى الراءة تكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخاد ويكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار فعششتا على بابه وكل ذلك مما صد المشركين عنه وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل والحماية فى الحرم فلا يتعرض له (وفى المثل) وعد آمن من حمام الحرم ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وهى العصى الضخمة وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه

لامتى مما فى صاب هذا قال بعضهم وكون النبى صلى الله عليه وسلم مع ماهو عليه من الحلم والاغضاء على مايكره فعل بالحكم ذلك يدل ذلك على أمر عظيم ظهر له فى الحكم وأولاده * وعن حمران بن جابر الجعفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبنى أمية ثلاث مرات اى وقد ولى منهم الخلافة أربعة عشر رجلا أولهم معاوية بن أبى سفيان وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم ثنتين وثمانين سنة وهى ألف شهر قال بعضهم لا يزيد ذلك يوما ولا ينقص يوما قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفيه نظر لان معاوية حين تسلم الخلافة من الحسن كان ذلك سنة أربعين أواحدى وأربعين واستمر الامر فى بنى أمية الى ان انتقل الى بنى العباس سنة ثنتين وثلاثين ومائة ومجموع ذلك ثنتان وتسعون سنة وألف شهر تعدل ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر هذا كلامه * ومن استهزاء العاص بن وائل انه كان يقول غر محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم ان يحيوا بعد الموت والله مايهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث * أى ومن استهزائه ان خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه كان قينا بمكة أى حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يتقاضى ثمنها فقال له ياخباب أليس يزعم محمد هذا الذى أنت على دينه ان فى الجنة ماابتغى أهلها من ذهب أوفضة أوثياب أوخدم اوولد قال خباب بلى قال فانظرنى الى يوم القيامة ياخباب حتى أرجع الى تلك الدار فأقضيك هناك حقك والله لاتكون أنت وصاحبك آثر عند الله منى ولا أعظم حظا فى ذلك وفى لفظ ان العاص قال له لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرنى حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالا وولدا فأقضيك فأنزل الله تعالى فيه أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب مايقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه مايقول ويأتينا فردا وفى كلام ابن حجر الهيتمى وفى البخارى من عدة طرق أن خبابا رضى الله تعالى عنه طلب من العاص بن وائل السهمى دينا له عليه قال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال لا أكفر به حتى يميتك الله ثم يبعثك وفيه أن هذا تعليق للكفر بممكن أى وتعليق الكفر ولو بمحال عادى وكذا شرعى أوعقلى على احتمال كفر لانه ينافى عقد التصميم الذى هو شرط فى الاسلام وأجيب بانه لم يقصد التعليق قطعا وانما أراد تكذيب ذلك اللعين فى انكار البعث ولا ينافيه قوله حتى لانها تأتى بمعنى الا المنقطعة فتكون بمعنى لكن التى صرحوا بان مابعدها كلام مستأنف وعليه خرج ابن هشام الخضراوى حديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أى لكن أبواه وعد بعضهم من المستهزئين الحرث بن عيطلة و يقال ابن عيطل ينسب الى أمه وكان من استهزائه ماتقدم عن العاص بن وائل وأبى جهل من الاختلاج خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد منهم الاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى المسلمين قال لاصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر أى لان الصحابة كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن و يقول للنبى صلى الله عليه وسلم أما كلمت اليوم من السماء يامحمد وما أشبه هذا القول وعد منهم الاسود بن عبد المطلب ومن استهزائه أنه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه و يصفرون اذا رأوهم

أحد فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ماقاله فعرف أن الله قد درأ عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أى حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ثم جاء فبال فقال أبو بكر رضى الله عنه ان هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال كلا ان ثلاثة من الملائكة تسترنا بأجنحتها لو كان يرانا مافعل هذا وقيل ٣٣٩ ان القائف قعد وبال أيضا (وفى رواية) انهم طافوا جبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذى فيه النبى صلى الله عليه وسلم الى آخر الحديث (روى) أن الحمامتين باضتا فى أسفل النقب ونسج على الغار العنكبوت فقالوا لو دخل الغار لكسر البيض ونسج العنكبوت وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فانظر بعين البصيرة كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب فحاكت ثوب نسجها على وجه المكان حتى عمى على القائف الطلب ورحم الله القائل

والعنكبوت أجادت حوك حلتها فما تخال خلال النسج من خلل

(روى) أن حمام مكة أظلته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة أيضا فدعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال هى جند من جنود الله (وقد روى الديلمى) فى مسند الفردوس مسلسلا بمحبة العنكبوت حدثنا فقال فيه أخبرنا والذى قال وأنا أحبها قال أخبرنا فلان وأنا أحبها حتى قال عن أبى بكر رضى الله عنه لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على وعليك ياأبابكر فى الغار حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا الينا (وأما ماروى) من حديث العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فهو حديث ضعيف نعم ورد عن على رضى الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيت يورث الفقر وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل شئ

فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبى

وعد منهم النضر بن الحرث فهؤلاء غالبهم قبيل الهجرة بضروب من البلاء (أقول) والذى ينبغى أن يكون المراد بالمستهزئين فى الآية وهى انا كفيناك المستهزئين الوليد بن المغيرة والداخل وعم أبى جهل فانه كان من عظماء قريش وكان فى سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس أيام منى حيسا وينهى أن توقد نار لاجل طعام غير ناره و ينفق على الحاج نفقة واسعة وكانت الاعراب تثنى عليه كانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا وببركته صلى الله عليه وسلم أصابته الجوائح والآفات فى أمواله حتى ذهبت بأسرها ولم يبق له فى أيام الحج ذكر وكان المقدم فى قريش فصاحة وكان يقال له ريحانة قريش و يقال له الوحيد أى فى الشرف والسودد والجاه والرياسة قال بعضهم بل هو وحيد فى الكفر والخبث والعناد والعاص بن وائل والد عمرو بن العاص والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطلة وفى لفظ ابن الطلاطلة والطلاطلة فى اللغة الداهية قال بعضهم وهو اشتباه لان ابن الطلاطلة اسمه مالك لاحارث والحرث بن العيطلة كان أحد أشراف قريش فى الجاهلية واليه كانت الحكومة والاموال التى تجعل للآلهة وذكره ابن عبد البر فى الصحابة قال فى أسد الغابة لم أر أحدا ذكره فى الصحابة الا أباعمرو يعنى ابن عبد البر والصحيح أنه كان من المستهزئين وهؤلاء الخمسة هم الذين اقتصر عليهم القاضى البيضاوى لما روى أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد أى يطوف بالبيت وقال له أمرت أن أكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال له يامحمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فأومأ الى ساق الوليد وقال كفيته ومر العاص بن وائل فقال كيف تجد هذا يامحمد قال عبد سوء فأشار الى أخمصه وقال كفيته ثم مر الاسود بن المطلب فقال كيف تجد هذا يامحمد قال عبد سوء فأومأ الى عينه وقال كفيته ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يامحمد قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال كفيته ثم مر الحرث بن عيطلة فقال كيف تجد هذا يامحمد قال عبد سوء فأومأ الى بطنه وقال كفيته وحينئذ يكون معنى كفاية هذا له صلى الله عليه وسلم أنه لم يسع ولم يتكلف فى تحصيل ذلك والى هذا أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وجبريل لما استهزأت فرقة الردى * أشار الى كل بأقبح ميتة

والله أعلم

قال وروى الزهرى ان الاسود بن عبد يغوث خرج من عند أهله فأصابته السموم فاسود وجهه فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب وسلط عليه العطش فلا زال يشرب الماء حتى انشق بطنه وهذا يناسب ماسيأتى عن الهمزية ولا يناسب ان جبريل عليه السلام أشار الى رأسه وفى كلام البلاذرى عن عكرمة ان جبريل أخذ بعنق الاسود بن عبد يغوث فحنى ظهره حتى احقوقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالى خالى أى لانه كما تقدم ابن خاله فهو اما على حذف المضاف أولاجل مراعاة أبيه أى يراعى لاجل أبيه الذى هو خالى فقال جبريل يامحمد دعه وفى رواية قال له جبريل خل عنك ثم حناه حتى قتله وهذا لا يناسب كون جبريل أشار الى رأسه والمناسب لذلك ماذكره بعضهم انه امتخض رأسه قيحا ثم لم يزل يضرب برأسه أصل شجرة حتى مات وكذا الحرث بن عيطلة أى وفى كلام القاضى وحارث بن قيس وفى تكملة الجلال

السيوطى عدى بن قيس فقد أكل حوتا مملحا فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقد بطنه وهذا المناسب لما ذكر هنا ان جبريل أشار الى بطنه لكن لا يناسب ما قاله القاضى البيضاوى انه أشار الى أنفه فامتخض قيحا وأما الاسود بن المطلب فقد عمى بصره فقد ذكر انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس فى ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا أحد يصنع بك شيأ أى وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول هاهو ذا طعن بالشوك فى عينى فيقال له ما نرى شيأ وقيل أتى شجرة فجعل ينطح رأسه بها حتى خرجت عيناه أى وفعل ذلك لا ينافى ما ورد فأشار أى جبريل الى وجهه فعمى بصره فى الحال لجواز أن يراد بالحال الزمن القريب وفى رواية انه كان يقول دعا على محمد بالعمى فاستجيب له ودعوت عليه بأن يكون طريدا شريدا فاستجيب لى وسيأتى عن بعضهم فى غزوة بدر أنه صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود بن المطلب بالعمى وفقد أولاده فجعل له العمى وفقد أولاده ببدر وأما الوليد بن المغيرة فمر بشخص يعمل النبل فتعلق بثوبه سهم فلم ينقلب لينحيه تعاظما فعدا فأصاب السهم عرقا فى ساقه فقطعه فمات وأما العاص بن وائل فدخلت شوكة فى أخمصه فانتفخت رجله حتى صارت كالرحا ومات (والى الخمسة الذين ذكرنا انهم المرادون بقوله تعالى) انا كفيناك المستهزئين أشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم سا * ء نبيا من قومه استهزاء
خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب اى * عمى ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبد يغوث * أن سقاه كأس الردى استسقاء
وأصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا * ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحرث القيوح وقد سا * ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء

أى وكفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم المستهزئين به ومرات كثيرة أحزن نبينا صلى الله عليه وسلم كغيره من الانبياء استهزاء قومه به وهؤلاء المستهزؤن به صلى الله عليه وسلم خمسة كلهم أصيبوا بداء عظيم والهلاك من جملة جنوده الامراض فأهلك الاسود بن المطلب عمى عظيم الاحياء أموات بسببه وهو المناسب لكون جبريل أشار الى عينيه ودهى أيضا الاسود بن عبد يغوث استسقاء سقاه كأس الموت وهذا لا يناسب كون جبريل أشار الى رأسه وأصاب الوليد أثر سهم فى ساقه قصرت عنه الحية الرقطاء أى سمها وقضت شوكة على مهجة العاص دخلت فى رجله فلله هذه النقعة الخشنة اللمس وقضت على الحرث القيوح والحال انه قد سال رأسه وفسد ذلك الوعاء لتلك القيوح وهذا هو المناسب لكون جبريل أشار الى أنفه لا للقول بعضهم انه أشار الى بطنه خمسة طهرت بهلاكهم الارض فكف الاذى بهم شلاء فائدة الحركة

(وروى) انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم أبصارهم أى اجعلها كالعمياء عنا فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة رضى الله عنه

أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم
وماحوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

يعنى انهم ظنوا أن الحمام لا تحوم حوله عليه السلام لان عادة الحمام النفرة وان العنكبوت لا تنسج عليه عليه السلام لما جرت به العادة أن هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معمورا فهما أحسا بالانسان فرا منه (وقد روى) ان المشركين لما مروا على باب الغار طارت الحمامتان فنظروا بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا لو كان هنا أحد لما كان هنا حمام فلما سمع صلى الله عليه وسلم حديثهم علم أن الله حماهما بالحمام وصرف كيدهم بالعنكبوت وما علم المشركون أن الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من خلقه وان وقاية الله عبده بما شاء تغنى عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالى من الاطم وهى الحصون ولله در الابوصيرى من شاعر وما أحسن قوله أيضا فى قصيدته اللامية التى أولها

الى متى أنت باللذات مشغول * وأنت عن كل ما قدمت مسؤل

حيث قال فيها

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به * كمثل قلبى معمور ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه ال * صديق ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على * وهن فياحبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها * وما مكايدهم الا الاضاليل
اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما * كأن أبصارهم من زيغها حول

(وقد

(وفى صحيح البخارى) عن أنس رضى الله عنه قال حدثنى أبو بكر رضى الله عنه قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار وفى

(وقد جاء عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما أن هؤلاء الخمسة هلكوا فى ليلة واحدة فعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكرنا وان كان المستهزؤن غير منحصرين فيهم فلا ينافى عد منبه ونبيه ابنى الحجاج منهم فقد قيل كانا ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يلقيانه فيقولان له أما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وأيسر فان كنت صادقا فأتنا بملك ايشهد لك ويكون معك واذا ذكر لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتى به ولا ينافى عد أبى جهل وغيره منهم كما تقدم (وفى سيرة ابن المحدث) قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ومن استهزاء أبى جهل أيضا) بالنبى صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد ان جنود الله الذين يقذفونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا فيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم أى وفى رواية ان بعض قريش وكان شديدا قوى الباس بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه قال له أنا أكفيك سبعة عشر واكفونى انتم اثنين ويقال ان هذا دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال له يا محمد ان صرعتنى آمنت بك فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن أى وفى رواية ان أبا جهل قال أنا أكفيكم عشرة فاكفونى تسعة فأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة أى لا يطاقون كما تتوهمون وما جعلنا عدتهم الا فتنة ضلالا للذين كفروا والآيات أى بأن يقولوا ما ذكر أو يقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد أى وهذا العدد لحكمة استأثر الله تعالى بعلمها وقد أبدى بعض المفسرين لذلك حكما تراجع (وقد جاء فى وصف تلك الملائكة) ان أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصى أى القرون ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة وفى رواية ما بين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة مثل قوة الثقلين نزعت الرحمة منهم (وأخرج العتبى) فى عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق مالكا وخلق له أصابع على عدد أهل النار فما من أهل النار معذب الا وملك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك اصبعا من أصابعه على السماء لاذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد أتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو أى وهؤلاء الاتباع منهم (وأخرج هناد عن كعب) قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك أى والمتبادر أن هؤلاء من خزنتها وفى كلام بعضهم لم يثبت لملائكة النار عدد معين سوى ما فى قوله تعالى عليها تسعة عشر وانما ذلك لسقر التى هى احدى دركات النار لقوله تعالى قبل ذلك سأصليه سقر وقد يكون على كل واحدة منها مثل هذا العدد أو أكثر قيل وبسم الله الرحمن الرحيم عدد حروفها على عدد هؤلاء الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم (أقول) ومن استهزاء أبى جهل أيضا انه قال يوما لقريش وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الحق يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم أنها شجرة فى النار يقال لها شجرة الزقوم والنار تأكل الشجر انما الزقوم

رواية فرفعت رأسى فرأيت أقدامهم فقلت له لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما أى جاعلهما ثالثا لانه بضم ذاته اليهما فى المعية المعنوية المشار اليها بقوله ان الله معنا (قال بعض أهل السير) ان أبا بكر رضى الله عنه لما قال ذلك قال له النبى صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق رضى الله عنه الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولا يستبعد بالنسبة لمعجزاته صلى الله عليه وسلم العظيمة وان كان الذى ذكره ما ذكر له اسنادا متصلا لكن حسن الظن بالائمة يقتضى انهم لا يذكرون مثل ذلك الا بتوقيف (وقد روى) ان أبا بكر رضى الله عنه قال نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه لم يكن تعود الحفاء والجفوة قيل ان ذلك من خشونة الجبل وكان صلى الله عليه وسلم حافيا ومشى ليلته على اطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجله على الارض وقيل انهم ضلوا عن الطريق الموصل للغار فبعدت المسافة عليهم (وفى بعض الروايات) ان أبا بكر رضى الله عنه كان يحمل النبى صلى الله عليه وسلم على كاهله فى بعض الطريق لشدة محبته له صلى الله عليه وسلم وفى رواية ان أبا بكر رضى الله عنه كان يمشى بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذكر الطلب فأمشى خلفك واذكر الرصد فأمشى امامك وعن يمينك وشمالك لا آمن عليك فقال لو كان شئ أحببت أن تقتل دونى فقال اى والذى بعثك بالحق ولهذا جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ليلة من ليالى أبى بكر رضى الله عنه خير مما أعطى عمر وآل عمر يعنى بذلك ليلة الهجرة هذه فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار فاستبرأه وذلك انه دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه خوفا من أن يكون فى الغار شئ من الهوام وروى انه قال والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى

أدخله قبلك فان كان فيه شيء نزل بي قبلك فدخله وجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه
أجمع فبقي جحر فوضع عقبه عليه و يروى فالقمه أبو بكر رجليه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتهاره بكونه
مسكن الهوام ثم بعد استبرائه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل فاني سويت لك مكانا فدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووضع رأسه في حجر أبي بكر رضي الله
عنه ونام وسد أبو بكر رضي الله عنه
ما بقي من نقوب الغار برجليه فلدغ
في رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا
يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم
وفي رواية فجعلت الحيات والافاعي
تلسعنه وجعلت دموعه تنحدر
من ألم ما يجده فسقطت دموعه
على وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستيقظ وقال مالك يا أبا بكر
قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذهب ما يجده وفي رواية فلما
أصبح رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على أبي بكر أثر الورم فسأله
فقال من لدغة الحية فقال هلا
أخبرتني قال كرهت ان أوقظك
فمسحه فذهب ما به من الورم وفي
رواية لابي نعيم عن أنس رضي
الله عنه فلما أصبح قال لابي بكر
رضي الله عنه أين ثوبك فأخبره
بالذي صنع فرفع يديه وقال اللهم
اجعل أبا بكر معي في درجتي في
الجنة فأوحى الله اليه قد استجبنا
لك وفي رواية عن ابن عباس
رضي الله عنهما فقال له صلى الله
عليه وسلم رحمك الله صدقتني
حين كذبني الناس ونصرتني حين
خذلني الناس وآمنت بي حين
كفر بي الناس وآنستني في وحشتي
قال الزرقاني والظاهر كما قال شيخنا
يعني الشبراملسي انه كان عليه غير
ثوبه مما يستر جميع البدن اذلم
ينقل طلبه لغيره ممن كان يأتي لهما بالغار كابنه وابن فهيرة و يروى أيضا ان أبا بكر رضي الله عنه لما دخل الغار أصاب يده
شيء فخرج من أصبعه دم فجعل يمسح الدم ويقول هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت فهذا البيت من انشاء الصديق
رضي الله عنه وقد تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه والممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر

لتمر والزبد وفي لفظ العجوة تترب بالزبد هاتوا تمرا وزبدا وتزقموا فأنزل الله تعالى انها شجرة تخرج
في أصل الجحيم أي منبتها في أصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها أما علموا ان من قدر على خلق من
يعيش في النار و يلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق بها وقد قال ابن
سلام رضي الله تعالى عنه انها تحيا باللهب كما يحيا شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مر له
زفرة (وأخرج) الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا
لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه اي وقال يا محمد لتتركن سب
آلهتنا أو لنسبن الهك الذي تعبد فأنزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا
الله عدوا بغير علم فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل ثم رأيت في الدر المنثور
في تفسير انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا
يغمزون في قفاه و يقولون هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام
باصبعه في اجسادهم فصارت جروحا وأنتنت فلم يستطع أحد يدنو منهم حتى ماتوا فلينظر الجمع
على تقدير الصحة وقد يدعى انهم طائفة آخرون غير من ذكر لانهم المستهزئون ذلك الوقت اي فقد
تكرر نزول الآية والله أعلم قال ومن استهزاء النضر بن الحرث انه كان اذا جلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه و يحذرهم ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله تعالى
خلفه في مجلسه و يقول لقريش هلموا فاني والله يا معشر قريش احسن حديثا منه يعني النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم أحاديثهم و يقول ما حديث محمد الا
أساطير الاولين و يقال انه الذي قال سأنزل مثل ما أنزل الله انتهى اي لانه ذهب الى الحيرة
واشترى منها أحاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها و يقول هذه كاحاديث محمد عن عاد
وثمود وغيرهم و يقال ان ذلك كان سببا لنزول قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث
قال في الينبوع والمشهور انها نزلت في شراء المغنيات وقال ولا بعد في ان تكون الآية نزلت
فيهما ليتحقق العطف في قوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا اي فان هذا الوصف
الثاني انما يناسب النضر فليتأمل ولما تلا عليهم صلى الله عليه وسلم نبأ الاولين قال النضر بن
الحرث لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين فانزل الله تعالى تكذيبا له قل لئن
اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
اي معينا له وجاء ان جماعة من بني مخزوم منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله صلى
الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلي سمعوا قراءته فارسلوا الوليد ليقتله
فانطلق حتى أتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم وأعلمهم بذلك
فاتوه فلما سمعوا قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من
أمامهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فأنزل الله تعالى قوله وجعلنا من بين أيديهم سدا
ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وتقدم في سبب نزولها غير ذلك و يمكن أن يدعى
انها نزلت لوجود الامرين فليتأمل وجاء ان النضر بن الحرث رأى النبي صلى الله عليه وسلم

منفردا

لا انشاده ثم ان هذا البيت تمثل به كثير من الصحابة كابن رواحة والوليد بن الوليد بن المغيرة وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم و يروى
ان أبا بكر رضي الله عنه لما رأى القافة اشتد حزنه وبكى وأقبل عليه الهم والخوف والحزن كل ذلك خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد لا تهلك الامة بقتلي فلا يفوتهم نفع ولا يلحقهم ضرر وان هلكت أنت هلكت الامة بهلاك
الدين فعند ذلك قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله
معنا يعني بالمعونة والنصر فالمعية
معنوية لاستحالة الحسية في حقه
تعالى وليس المراد بالعلم فقط لان
ذلك حاصل لكل موجود
لا يختص بهما قال الله تعالى وهو
معكم أينما كنتم وقوله تعالى فأنزل
الله سكينته عليه السكينة أمنة
اي حالة للنفس تطمئن عندها
القلوب لأمنها مما تكرهه وقوله
عليه الضمير عائد على أبي بكر رضي
الله عنه المعبر عنه بقوله صاحبه في
قول الاكثر قال البيضاوي وهو
الاظهر لانه كان منزعجا لا على النبي
صلى الله عليه وسلم لانه لم تزل
السكينة معه قاله ابن عباس رضي
الله عنهما وقوله وأيده الضمير عائد
على النبي صلى الله عليه وسلم بجنود
لم تروها يعني الملائكة اي ليحرسوه
و يصرفوا وجوه المشركين عنه
فانظر وتأمل بعين البصيرة في
أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم
وشفقته على الصديق رضي الله
عنه لما علم النبي صلى الله عليه وسلم
حزن الصديق لكن لا على نفسه
قوى الرسول صلى الله عليه وسلم
قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا
وكانت تحفة النبي صلى الله عليه
وسلم أبا بكر بكونه ثاني اثنين
مدخرة له دون جميع الصحابة رضي
الله عنهم فهو الثاني في الاسلام
والثاني في بذل النفس والعمر
وسبب الموت لانه لما جعل نفسه
وقاية له كأنه بذل نفسه وعمره حفظا له عليه الصلاة والسلام فلما وفى لرسول صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه جوزي بموازرته معه في
رمسه وقام مؤذن التشريف ينادي على منابر الامصار ثاني اثنين اذ هما في الغار وكفى للصديق بهذا شرفا ولقد أحسن حسان رضي
الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل قلت في أبي بكر شيأ قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

منفردا أسفل ثنية الحجون فقال لا أجده أبدا أخلى منه الساعة فاغتاله فدنا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليغتاله فرأى أساود تضرب بأذنابها على رأسه فاتحة أفواهها فرجع على عقبه
مرعوبا فلقي أبا جهل فقال من أين فأخبره النضر الخبر فقال أبو جهل هذا بعض سحره * ومما
تعنتوا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اي وقودها وحصب
بالزنجية حطب اي حطب جهنم وقد قرأتها عائشة رضي الله تعالى عنها كذلك أنتم لها واردون
لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعرى
قد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعرى انا أخصم لكم محمدا ادعوه
لي فدعوه له فقال يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل
من عبد من دون الله فقال ابن الزبعرى أخصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألست تزعم
يا محمد ان عيسى عبد من دون الله وكذا عزير والملائكة عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا
وبنو مليح الملائكة ففرح الكفار وفرحوا فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك
عنها مبعدون يعني عيسى وعزيرا والملائكة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

باب الهجرة الاولى الى أرض الحبشة وسبب رجوع من هاجر اليها من المسلمين الى مكة واسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بالمسلمين من توالي الاذى عليهم من كفار قريش مع
عدم قدرته على انقاذهم مما هم فيه قال لهم تفرقوا في الارض فان الله تعالى سيجمعكم قالوا الى
أين نذهب قال ههنا وأشار بيده الى جهة أرض الحبشة قال وفي رواية قال لهم اخرجوا الى
جهة أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد أي وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم
فرجا مما أنتم فيه انتهى أي و يجوز أن يكون قال ذلك عند استفساره صلى الله عليه وسلم عن محل
اشارته فقد جاء في الحديث من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب
له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم خليل الله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهاجر اليها ناس ذو عدد
مخافة الفتنة وفرارا الى الله تعالى بدينهم منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه فممن هاجر
بأهله عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم
وكان أول خارج وقيل أول من هاجر الى الحبشة حاطب بن أبي عمرو وقيل سليط بن عمرو ولا
ينافيه ما قوله صلى الله عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط أي حيث قال اني مهاجر
الى ربي فهاجر الى عمه ابراهيم الخليل ثم هاجرا عليهما الصلاة والسلام حتى أتيا حران ثم هاجر الى
ان نزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلسطين ونزل لوط عليه الصلاة والسلام المؤتفكة ووجه
عدم المنافاة ان كلا من حاطب وسليط يجوز أن يكون هاجر بغير أهله وكان مع رقية أم أيمن
حاضنته صلى الله عليه وسلم وكانت رقية رضي الله تعالى عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضي
الله تعالى عنه ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن

أحسن شيء قد يرى انسان * رقية و بعدها عثمان

ومن ثم ذكر انه صلى الله عليه وسلم بعث رجلا الى عثمان ورقية رضي الله تعالى عنهما فاحتبس

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد ● طاف العدو به اذ صاعد الجبلا وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا
فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت وعن أبى بكر رضى الله عنه انه قال لجماعة أيكم يقرأ
سورة التوبة قال رجل أنا اقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى أبو بكر رضى الله عنه وقال والله أنا صاحبه وقال
أبو الدرداء رضى الله عنه رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشى أمام أبى بكر رضى الله عنه فقال يا أبا الدرداء تمشى أمام من هو أفضل منك فى الدنيا والآخرة فوالذى نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتانى جبريل فقال ان الله يأمرك أن تستشير أبا بكر وعن أنس رضى الله عنه حب أبى بكر واجب على أمتى قال بعضهم وتأمل قول موسى عليه السلام لبنى اسرائيل كلا ان معى ربى سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فقدم المسند اليه للاشارة الى انه لا يزول عن الخاطر لشدة التعلق به أو لانه يستلذ به لكونه محبوبا للعباد اذ لا انفكاك لاحد عن الاحتياج اليه أو لتعظيمه بوصفه بالالوهية لان سائر صفات الكمال تتفرع عليه وموسى عليه السلام خص نفسه بشهود المعية له وحده ولم يتعد ذلك الشهود منه الى اتباعه حيث قال ان معى ربى ونبينا صلى الله عليه وسلم تعدى منه شهوده الى الصديق رضى الله عنه ولهذا لم يقل ان الله معى بل قال معنا لانه أمد الصديق رضى الله عنه بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر
السكينة الى أبى بكر رضى الله عنه والا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلى والشهود اذ ليس فى طوق البشر ذلك الثبوت الا بذلك فى
الامداد وفرق بين معية الربوبية فى قصة موسى عليه السلام ومعية الالوهية فى قصة نبينا عليه الصلاة والسلام فانه فى قصة موسى
قال ان معى ربى والرب من التربية وهى التنمية والاصلاح وقال فى قصة نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله معنا فعبر بلفظ الجلالة وهو

عليه الرسول فلما جاء اليه فقال له صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال
وقفت تنظر الى عثمان ورقية تعجب من حسنهما أى ومعلوم ان ذلك كان قبل آية الحجاب ويذكر
ان نفرا من الحبشة كانوا ينظرون اليهما فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جاء فى
وصف حسن عثمان رضى الله تعالى عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل ان أردت ان
تنظر من أهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان وسيأتى ذلك مع زيادة
وأبو سلمة هاجر ومعه زوجته أم سلمة أى وقيل هو أول من هاجر بأهله وهو مخالف للرواية
السابقة ان عثمان أول من هاجر بأهله ويمكن ان تكون الاولية فيه اضافية فلا ينافى
ماسبق عن عثمان وعامر بن ربيعة هاجر ومعه امرأته ليلى أى وعنها رضى الله تعالى عنها
كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من أشد الناس علينا فى اسلامنا فلما ركبت بعيرى
أريد ان أتوجه الى أرض الحبشة اذا أنا بعمر بن الخطاب فقال لى الى أين يا أم عبد الله فقلت
قد آذيتمونا فى ديننا نذهب فى أرض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله ثم ذهب فجاء زوجى
عامر فأخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال ترجين ان يسلم عمر والله لا يسلم حتى يسلم حمار
الخطاب أى استبعادا لما كان يرى من قسوته وشدته على أهل الاسلام وهذا دليل على أن
اسلام عمر كان بعد الهجرة الاولى للحبشة وهو كذلك اى خلافا لمن قال انه كان تمام الاربعين
من المسلمين اى ممن أسلم وفيه ان المهاجرين الى أرض الحبشة كانوا فوق ثمانين كما قاله بعضهم
اللهم الا ان يقال انه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين الى أرض الحبشة وربما يدل لذلك
قول عائشة رضى الله تعالى عنها فى قصة الصديق وفى ضرب قريش له رضى الله تعالى عنه لما قام
خطيبا فى المسجد الحرام وقد تقدمت حيث قالت وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا لكن فى
الرواية انهم قاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا
وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر فليتأمل وفى لفظ عن أم عبد الله زوج عامر
قالت انا لنرحل الى أرض الحبشة وقد ذهب عامر تعنى زوجها الى بعض حاجته اذ أقبل عمر بن
الخطاب حتى وقف على وكنا نلقى منه الاذى والبلاء والشدة علينا فقال انه لخروج يا أم عبد الله
فقلت والله لنخرجن الى أرض فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا وفرجا فقال صحبكم
الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وتفرست فيه حزنا لخروجنا وقلت لعامر يا أبا عبد
الله لو رأيت ما وقع من عمر وذكرت ما تقدم ومن هاجر أبو سبرة وهو أخو أبى سلمة رضى الله
تعالى عنهما لامه أمهما برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ومعه امرأته
أم كلثوم ومن هاجر بنفسه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنهما اى
وكان أميرا عليهم كما قيل وجزم به ابن المحدث فى سيرته وقال الزهرى لم يكن لهم أمير وسهيل بن
البيضاء اى والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنهم وقيل انما كان عبد الله
ابن مسعود فى الهجرة الثانية خرجوا سرا اى متسللين منهم الراكب ومنهم الماشى حتى
انتهوا الى البحر فوفق الله تعالى لهم سفينتين للتجار حملوهم فيهما بنصف دينار أى وفى المواهب
وخرجوا مشاة الى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار هذا كلامه فليتأمل * وكان مخرجهم

الاسم الجامع لصفات الكمال وكان مكثه صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر رضى الله عنه فى الغار ثلاث ليال وكان يبيت عندهما فى
الغار عبد الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وهو غلام شاب ثقف اى فطن حاذق ثابت المعرفة بما يحتاج اليه فيدلج من عندهما
بسحر الى مكة فيصبح مع قريش كبائت بمكة لشدة رجوعه بغلس فلا يسمع بأمر يكادان به اى يطلب لهما فيه المكروه
الا حفظه حتى يأتيهما به حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة رضى الله عنه مولى أبى بكر رضى الله عنه يرعى غنما لابى بكر رضى الله عنه فكان يروح عليهما بالغنم كل ليلة حين تذهب ساعة من العشاء فيحلبان ويشربان ثم يسرح بكرة فيصبح فى رعيان الناس فلا يفطن له أحد يفعل ذلك فى كل ليلة من الليالى الثلاث وكان عامر رضى الله عنه أمينا مؤتمنا حسن الاسلام وكان ممن يعذب فى الله فاشتراه أبو بكر رضى الله عنه وأعتقه واستشهد ببئر معونة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وفى بعض الروايات ان أسماء رضى الله عنها كانت تأتيهما من مكة اذا أمست بما يصلحهما من الطعام واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه قبل خروجهما من مكة عبد الله بن اريقط دليلا وهو على دين كفار قريش فسخره الله لهما ليقضى الله أمره ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وفى رواية الزهرى حتى اذا هدأت عنهما الاصوات جاء صاحبهما ببعيريهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما يردفه أبو بكر ويعقبه ليس معهما غيره والدليل فأخذ بهم طريق الساحل وفى رواية فأجازهما أسفل مكة ثم
مضى بهما حتى جاء بهما الساحل أسفل من عسفان ثم أجازهما حتى عارض الطريق وصار أبو بكر رضى الله عنه اذا
سأله سائل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الذى معك يقول هاد يهدينى الطريق وكان أبو بكر رضى الله عنه يكثر الاسفار للتجارة
فكان معروفا عندهم والنبى صلى الله عليه وسلم لكونه قليل الاسفار لا يعرفونه فكان كل من لقيهما يعرف أبا بكر رضى الله عنه دون

فى رجب من السنة الخامسة من النبوة فخرجت قريش فى آثارهم حتى جاؤا الى البحر فلم
يجدوا أحدا منهم ولعل خروجهم سرا لا ينافيه ما تقدم عن ليلى امرأة عامر بن ربيعة من سؤال
عمر لها واخبارها اياه بانها تريد أرض الحبشة فلما وصلوا الى أرض الحبشة نزلوا بخير دار عند
خير جار فكثوا فى أرض الحبشة بقية رجب وشعبان الى رمضان فلما كان شهر رمضان قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين سورة والنجم اذا هوى اى وقد أنزلت عليه فى ذلك
الوقت فى كلام بعضهم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مع المشركين وأنزل الله تعالى
عليه سورة والنجم اذا هوى فقرأها عليهم حتى اذا بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى وسوس اليه الشيطان بكلمتين فتكلم بهما ظانا انهما من جملة ما أوحى اليه وهما تلك
الغرانيق العلى أى الاصنام وان شفاعتهن لترتجى وفى لفظ لهى التى ترتجى شبهت الاصنام
بالغرانيق التى هى طير الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء ثم نون مفتوحة أو
غرنوق بضم الغين والنون أيضا أو غرنيق بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو
الكركى أو يشبهه ووجه الشبه بين الاصنام وتلك الطيور ان تلك الطيور تعلو وترتفع فى السماء
فالاصنام شبهت بها فى علو القدر وارتفاعه ثم مضى يقرأ السورة حتى بلغ السجدة فسجد
وسجد القوم جميعا أى المسلمون والمشركون (أقول) قال بعضهم ولم يكن المسلمون سمعوا الذى
ألقى الشيطان وانما سمع ذلك المشركون فسجدوا لتعظيم آلهتهم ومن ثم عجب المسلمون من
سجود المشركين معهم من غير ايمان * قال بعضهم والنجم هى أول سورة نزل فيها سجدة أى أول
سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافى ان اقرأ باسم ربك سورة نزلت فيها سجدة لان
النازل منها أوائلها كما علمت * وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قرأ يوما اقرأ باسم ربك فسجد فى
آخرها وسجد معه المؤمنون فقام المشركون على رؤسهم يصفقون وقد روى أبو هريرة رضى
الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم أى غير سجدته المتقدمة التى سجد معه
المشركون ومجموع ذلك يرد حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يسجد
فى شئ من المفصل قبل ان يتحول الى المدينة لان سورة النجم من المفصل لان عند أئمتنا ان أول
المفصل الحجرات على الراجح من أقوال عشرة لا يقال لعل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ممن
يرى ان النجم ليس من المفصل لانا نقول اقرأ باسم ربك من المفصل اتفاقا وعلى ما قال أئمتنا
يكون فى المفصل ثلاث سجدات فى النجم والانشقاق واقرأ باسم ربك وهى أى النجم أول
سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة * وذكر الحافظ الدمياطى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان رأى من قومه كفا عنه أى تركا وعدم تعرض له فجلس خاليا فتمنى فقال ليته لم
ينزل على شئ ينفرهم عنى وفى رواية تمنى أن ينزل عليه ما يقارب بينه وبينهم حرصا على اسلامهم
وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوما مجلسا فى ناد من تلك
الاندية حول الكعبة فقرأ عليهم والنجم اذا هوى الى آخر ما تقدم والله أعلم ومن جملة من كان مع
المشركين حينئذ الوليد بن المغيرة لكنه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا
لا يقدر على السجود وقيل الذى فعل ذلك سعيد بن العاص ويقال كلاهما فعل ذلك وقيل الفاعل

النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله عنه فيجيبه بقوله هاديهدينى السبيل ولا يتكلم بكلام الا ويورى فى كلامه ويروى ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه أله الناس أى اشغل الناس عنى أى تكفل عنى بالجواب لمن يسأل عنى فانه لا ينبغى لنبى ان يكذب
أى ولو صورة كالتورية فكان أبو بكر رضى الله عنه يجيبهم بنحو ما تقدم وفى الصحيحين أنهم مروا بحضرة فنام النبى صلى الله
عليه وسلم فى لحاظ ورأى أبو بكر رضى الله عنه راعيا معه غنم فاستحلبه فحلب له منها فبرده أبو بكر رضى الله عنه حتى قام صلى الله عليه وسلم فسقاه ثم ارتحلوا فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وهى معدودة من الصحابيات رضى الله عنها لانها أسلمت بعد ذلك وكانت امرأة برزة عفيفة جليلة جلدة قوية تحتبى بفناء القبة ثم تسقى وتطعم من يمر بها وكان القوم مرملين مسنتين أى مقحطين فطلبوا منها لبنا أو لحما أو تمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيأ وقالت والله لو كان عندنا شئ ما أعوزنا القرى فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد أى الهزال عن الغنم فسألها صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك تريد انها لضعفها وعدم طروق الفحل لها دون من لها لبن فقال أتأذنين لى ان أحلبها فقالت نعم بأبى أنت وأمى ان رأيت بها حلبا أى لبنا فى الضرع فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها اى وضع رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرّت ودعا باناء يجى له باناء يربض الرهط اى يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب فيه ثجا اى حلبا قويا وسقى أم معبد ثم سقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم وقال ساقى القوم آخرهم شربا ثم
حلب فيه مرة أخرى فشربوا علا بعد نهل اى ثانيا بعد الاول ثم حلب ثالثا وتركه عندها وفى رواية قال لها ارفعى هذا لابى معبد اذا جاءك ثم ركبوا وذهبوا وفى بعض الروايات انها لما شاهدت هذه المعجزة تسلفت من جيرانها شاة أخرى وذبحتها اكراما له صلى الله عليه وسلم فشاهدت فيها معجزة أخرى حيث أكل منها صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وملأت سفرتهم منها وبقى اكثرها عند أم

لذلك أمية بن خلف وصحح وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أبو لهب وقيل المطلب وقد يقال لا مانع أن يكونوا فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا وممن فعل ذلك تكبرا أبو لهب فقد جاء وفيها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير أبى لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفى هذا ولا يخالف ذلك ما نقل عن ابن مسعود ولقد رأيت الرجل أى الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز أن يكون المراد بقتل مات فعند ذلك قال المشركون له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا ان الله تعالى يحيى ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فاما اذا جعلت لنا نصيبا فنحن معك فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس فى البيت وفيه أنه كيف يكبر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك مع انه موافق لما تمناه من أن الله ينزل عليه ما يقارب بينه وبين المشركين حرصا على اسلامهم المتقدم ذلك عن سيرة الدمياطى الا أن يقال هذا كان بعد ما عرض السورة على جبريل وقال له ما جئتك بهاتين الكلمتين المذكور ذلك فى قولنا فلما أمسى صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين فيها فقال له جبريل ما جئتك بهاتين الكلمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على الله ما لم يقل أى فكبر عليه ذلك فأوحى الله تعالى اليه ما فى سورة الاسراء وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره بموافقتك لهم على مدح آلهتهم بما لم نرسل به اليك واذا لو فعلت أى دمت عليه لاتخذوك خليلا الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا أى مانعا يمنع العذاب عنك وهذا يدل لما تقدم أنه تكلم بذلك ظانا انه من جملة ما أوحى اليه وقيل نزل ذلك لما قال له اليهود حسدا له صلى الله عليه وسلم على اقامته بالمدينة لئن كنت نبيا فالحق بالشام لانها أرض الانبياء حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج برحله فنزلت فرجع أى بدليل ما بعدها وقيل ان التى بعدها نزلت فى أهل مكة وقيل ان آية وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى أمرك حتى تعطينا خلالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا ننحنى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرنى وقيل نزلت فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وقد يدعى أن هذا مما تعدد أسباب نزوله والقاضى البيضاوى اقتصر على ما عدا الاول والله أعلم قال وقيل ان هاتين الكلمتين لم يتكلم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ارتصد الشيطان سكتة عند قوله الاخرى فقالهما محاكيا نغمته صلى الله عليه وسلم فظنهما النبى صلى الله عليه وسلم كما فى شرح المواقف ومن سمعه انهما من قوله صلى الله عليه وسلم أى حتى قال قلت على الله ما لم يقل وتباشر بذلك المشركون وقالوا ان محمدا قد رجع الى ديننا أى دين قومه حتى ذكر ان آلهتنا تشفع لنا وعند ذلك أنزل الله تعالى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته أى قراءته ما ليس من القرآن أى مما يرضاه المرسل اليهم وفى البخارى اذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه فينسخ الله ما يلقى الشيطان ان يبطله ثم يحكم الله آياته أى يثبتها والله عليم بالقاء الشيطان ما ذكر حكيم فى تمكينه

معبد وبقيت الشاة التى مس ضرعها الى زمن عمر رضى الله عنه ثم بعد ارتحالهم جاء زوجها أبو معبد واسمه أكثم بن أبى الجون الخزاعى
رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قال السهيلى وله رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم وتوفى فى حياته أقبل يسوق غنما عجافا فلما رأى اللبن
عجب وقال ما هذا يا أم معبد انى لك هذا ولا حلوب بالبيت فقالت انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا اى رأى الشاة
ودعا لها وحكت له القصة فقال صفيه يا أم معبد فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة مليح الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة والمراد انه وسيم قسيم اى كامل الحسن فى عينيه دعج وفى أشفاره وطف أى طول احور اكحل ازج اقرن شديد سواد الشعر فى عنقه سطع اى طول وفى لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء كأن منطقه خرزات نظمن طوال يتحدرن حلو المنطق لا نزر ولا هذر اجهر الناس اذا تكلم وأجملهم من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به أى يستديرون حوله اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر تبادروا لامره محفود أى مخدوم محشود أى عنده قوم لا عابس ولا مفند أى ليس كثير اللوم فقال أبو معبد هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته وفى رواية ولقد هممت ان أصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا ومازالت قريش تطلب النبى صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما أدرى ما تقولون قد صادفنى حالب الحائل فقالوا ذاك الذى نريده ثم أسلمت
رضى الله عنها وهاجرت قال السيد السمهودى فى الوفاء هاجرت هى وزوجها وأسلما وفى خلاصة الوفاء فخرج أبو معبد فى أثرهم ليسلم
فيقال انه أدركهم ببطن ريم فبايعه وانصرف وفى شرح السنة للبغوى هاجرت هى وزوجها وأسلم أخوها حبيش واستشهد يوم
الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك روى ابن اسحق عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما انها قالت لما خفى

من ذلك يفعل ما يشاء ليميز به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه ولم أقف على بيان أحد من الانبياء والمرسلين وقع له مثل ذلك وفيه كيف يجترئ الشيطان على التكلم بشئ من الوحى ومن ثم قيل هذه القصة طعن فى صحتها جمع وقالوا انها باطلة وضعها الزنادقة أى ومن ثم اسقطها القاضى البيضاوى ومن جملة المنكرين لها القاضى عياض فقد قال هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما أولع به المفسرون المؤرخون المولعون بكل غريب أى وقال البيهقى رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم وقال الامام النووى نقلا عنه وأما ما يرويه الاخباريون والمفسرون ان سبب سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى على لسانه من الثناء على آلهتهم فباطل لا يصح منه شئ لا من جهة النقل ولا من جهة العقل لان مدح اله غير الله كفر ولا يصح نسبة ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان يقوله الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك أى والا يلزم عدم الوثوق بالوحى * وقال الفخر الرازى هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى أى والشيطان لا يجترئ ان ينطق بشئ من الوحى وقال بصحتها جمع منهم خاتمة الحفاظ الشهاب ابن حجر وقال رد عياض لا فائدة فيه ولا يعول عليه هذا كلامه وفشا أمر تلك السجدة فى الناس حتى بلغ أرض الحبشة ان أهل مكة أى عظماءهم قد سجدوا وأسلموا حتى الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاص وفى كلام بعضهم والناقل لاسلامه انه لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد انهم أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع معهم فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة فظنوا صحة ذلك فقال المهاجرون بها من بقى بمكة اذا أسلم هؤلاء عشائرنا أحب الينا فخرجوا أى خرج جماعة منهم من أرض الحبشة راجعين الى مكة أى وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون وذلك فى شوال حتى اذا كانوا دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا فسألوهم عن قريش فقال الركب ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر وتركناهم على ذلك فائتمر القوم فى الرجوع الى أرض الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل ننظر ما فيه قريش ويحدث عهدا من أراد باهله ثم نرجع فدخلوا مكة أى بعضهم بجوار وبعضهم مستخفيا قال فى الامتاع ويقال ان رجوع من كان مهاجرا بالحبشة الى مكة كان بعد الخروج من الشعب هذا كلامه وفيه نظر ظاهر ويرشد اليه التبرى لانهم مكثوا فى الشعب ثلاث سنين أو سنتين ومكث هؤلاء عند النجاشى حينئذ كان دون ثلاثة أشهر كما علمت وأيضا الهجرة الثانية للحبشة انما كانت بعد دخول الشعب كما سيأتى قال فى الاصل ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود فانه مكث يسيرا ثم رجع الى أرض الحبشة أى وهذا من صاحب الاصل تصريح بان ابن مسعود كان فى الهجرة الاولى وهو موافق فى ذلك لشيخه الحافظ الدمياطى لكن الحافظ الدمياطى جزم بان ابن مسعود كان فى الهجرة الاولى ولم يحك خلافا وصاحب الاصل حكى خلافا فانه لم يكن فيها وبه جزم ابن اسحق حيث قال ان ابن مسعود انما كان فى الهجرة الثانية فكان ينبغى

علينا أهر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال أين أبوك يا ابنة أبي بكر فقلت والله لا أدري أين أبي فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة واحدة خرج منها قرطي ثم انصرفوا قالت ولما لم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل بعد ثلاث ليال وفي رواية خمس ليال يعني أسفل مكة يسمعون صوته ولا يرونه قيل انه من الجن وقيل سمعوا هاتفا على أبي قبيس وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا
فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيالقصي ما زوى الله عنكم
به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها
فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب
يرددها في مصدر ثم مورد

قالت أسماء رضي الله عنها فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيري حيث يقول

وتغنت بمدحه الجن حتى
أطرب الانس منه ذاك الغناء

ولما بلغت أبيات الهاتف أهل المدينة من الانصار رضي الله عنهم قال حسان رضي الله عنه بعد اسلامه مجيبا للابيات

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم
وقدس من يسري اليه ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم
وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم
وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا
عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في اليوم أو في ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

(ثم بعد رواحهم من عند أم معبد) تعرض لهما سراقة بن مالك بن جعشم الاكل

للاصل أن يقول على ما تقدم هذا وفي كلام بعضهم فلم يدخل أحد منهم مكة الا مستخفيا وكلهم دخلوا مكة الا عبد الله بن مسعود فانه رجع الى أرض الحبشة وقد يقال لما لم يطل مكث ابن مسعود بمكة ظن به انه لم يدخلها فلا ينافي ما سبق ويجوز أن يكون أكثرهم دخل مكة بلا جوار فاطلقوا على الكل انهم دخلوا مستخفين فلا يخالف ما سبق أيضا ولما رجعوا القوا من المشركين أشد ما عهدوا قال وممن دخل بجوار عثمان بن مظعون دخل في جوار الوليد بن المغيرة ولما رأى ما يفعل بالمسلمين من الاذى قال والله ان غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من الاذى في الله لا يصيبني لنقص كبير فمشى الى الوليد فقال يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال له يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي وأنت في ذمتي فأكفيك ذلك قال لا والله ما اعترض لي أحد ولا آذاني ولكن أرضى بجوار الله عز وجل وأريد أن لا أستجير بغيره قال انطلق الى المسجد فاردد الى جواري علانية كما أجرتك علانية فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد على جواري فقال عثمان صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكني لا أستجير بغير الله عز وجل قد رددت عليه جواره فقال الوليد اشهدكم اني بريء من جواره الا أن يشاء ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك في مجلس من قريش ينشدهم قبل اسلامه فجلس عثمان معهم فقال لبيد

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت فقال لبيد * وكل نعيم لا محالة زائل *

فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه في سفهاء فارق ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد عليه عثمان فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال أما والله يا ابن أخي كانت عينك عما أصابها لغنية ولقد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت غنيا فقال عثمان رضي الله عنه بل كنت الى الذي لقيت فقيرا والله ان عيني الصحيحة التي لم تلطم لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله عز وجل ولي فيمن هو أحب الي منكم أسوة واني لفي جوار من هو أعز منك اه فعثمان فهم ان لبيدا أراد بالنعيم ما هو شامل لنعيم الآخرة ومن ثم قال له نعيم الجنة لا يزول لا يقال لولا ان لبيدا يريد مطلق النعيم الشامل لنعيم الآخرة لما انتوش من الرد عليه لانا نقول يجوز أن يكون تشوشه من مشافهة عثمان له بقوله كذبت على ان هذا السياق دال على ان لبيدا قال هذا الشعر قبل اسلامه ويؤيده ما قيل أكثر أهل الاخبار على ان لبيدا لم يقل شعرا منذ أسلم وبه يرد ما في الاستيعاب ان هذا أي قوله ألا كل شيء الى آخره شعر حسن فيه ما يدل على انه قاله في الاسلام وكذلك قوله

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه * اذا كشفت عند الاله المحاصل

وقد يقال لا يلزم من قوله المذكور الذي لا يصدر غالبا الا عن مسلم أن يكون قاله في حال اسلامه كما وقع لامية بن أبي الصلت حيث قال في شعره ما لا يقوله الا مسلم مع كفره ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فيه آمن شعره وكفر قلبه وفي رواية كاد يسلم وذكر محيي الدين بن العربي في قوله صلى الله عليه وسلم أصدق بيت قالته العرب وفي رواية أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد

المدلجي رضي الله عنه فانه أسلم بالجعرانة عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين والطائف والمدلجي نسبة الى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة فهو كناني حجازي * وسبب تعرضه لهما ما رواه البخاري عنه قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه دية أي في كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجالس قومي بني مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رأيت آنفا أسودة بالسواحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت (قال أبو بكر رضي الله عنه) تبعنا سراقة ونحن في جلد من الارض فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال لا تحزن ان الله معنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات قال فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قلت أما والله ما على نفسي أبكي ولكن عليك فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفناه بما شئت وفي رواية اللهم اصرعه فساخت قوائم فرسه حتى بلغت الركبتين وفي رواية الى بطنها فطلب الامان وفي رواية انه سقط عن فرسه واستقسم بالازلام فخرج ما يكره ثم ركبها ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فساخت يدا فرسه الى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالازلام فخرج الذي يكره فناداهم بالامان قال وكنت أرجو أن أرده فآخذ المائة الناقة (وروى) في بعض التفاسير انه عاهد الله سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه في الارض * وجاء في رواية أن سراقة لما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعني الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فأمرها بما شئت فقال

الا كل شيء ما خلا الله باطل اعلم ان الموجودات كلها وان وصفت بالباطل فهي حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام اذا غلب على صاحبه يرى ما سوى الله تعالى باطلا من حيث انه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم وهذا معنى قول بعضهم قوله باطل أي كالباطل لان العالم قائم بالله تعالى لا بنفسه فهو من هذا الوجه باطل والعارف اذا وصل الى مقامات القرب في بداية عرفانه ربما تلاشت هذه الكائنات وحجب عن شهودها بشهود الحق لانها زالت من الوجود بالكلية ثم اذا كمل عرفانه يشهد الحق تعالى والخلق معا في آن واحد وما كل أحد يدخل الى هذا المقام فان غالب الناس ان شهد الحق لم يشهد الخلق وان شهد الخلق لم يشهد الحق كما تقدم عند الكلام على الوحدة انه لا يدركها الا من أدرك اجتماع الضدين ولعل من المشهد الاول قول الاستاذ الشيخ أبي الحسن البكري رضي الله تعالى عنه أستغفر الله مما سوى الله لان الباطل يستغفر من اثبات وجوده لذاته ويوافق قول أكثر أهل الاخبار قول السهيلي وأسلم لبيد وحسن اسلامه وعاش في الاسلام ستين سنة لم يقل فيها بيت شعر فسأله عمر رضي الله تعالى عنه أي في خلافته عن تركه للشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد ان علمني الله تعالى البقرة وآل عمران فزاده عمر في عطائه خمسمائة من أجل هذا القول فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة وقيل انه قال بيتا واحدا في الاسلام وهو

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

قال وممن دخل بجوار أبو سلمة بن عبد الاسد ابن عمته صلى الله عليه وسلم فانه دخل في جوار خاله أبي طالب ولما أجاره مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا يا أبا طالب منعت منا ابن أخيك فلك ولصاحبنا تمنعه منا فقال انه استجار بي وهو ابن أختي وأنا ان لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي فقام أبو لهب على أولئك الرجال وقال لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه والله لتنتهن أو لأقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد قالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة أي لانه كان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى أي وطمع أبو طالب في أبي لهب حيث سمعه يقول ما ذكر ورجا ان يقوم معه في شأنه صلى الله عليه وسلم وأنشد أبياتا يحرضه فيها على نصرته صلى الله عليه وسلم * وممن أوذي في الله بعد اسلامه ووقع له نظير ما وقع لعثمان بن مظعون رضي الله عنه عمر بن الخطاب وسبب اسلامه على ما حدث به بعضهم قال قال لنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء اسلامي أي ابتداؤه والسبب فيه قلنا نعم قال كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش أي وهو نعيم بن عبد الله النحام بالحاء المهملة قيل له ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال فيه لقد سمعت نحمته في الجنة أي صوته وحسه كان يخفي اسلامه خوفا من قومه وأخبرني ان أختي يعني أم جميل واسمها فاطمة كما تقدم وقيل زينب وقيل آمنة قد صبت أي أسلمت وكذا زوجها وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن عم عمر وكانت أخت سعيد عاتكة تحت عمر فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة يكونان معه يصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج أختي رجلين ممن أسلم أي أحدهما خباب بن الارت بالمثناة فوق والآخر لم أقف على اسمه وفي السيرة الهشامية الاقتصار على خباب وانه كان يختلف اليهما يعلمهما القرآن فجئت حتى قرعت الباب فقيل من بالباب قلت ابن الخطاب وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا ونسوا الصحيفة فقامت المرأة يعني أخته ففتحت لي فقلت لها يا عدوة نفسها قد بلغني انك قد صبوت وضربتها بشيء كان في يدي فسال الدم فلما رأت الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت فدخلت وجلست على السرير فنظرت فاذا بالصحيفة في ناحية من البيت فقلت ما هذا الكتاب أعطينيه اى فان عمر كان كاتبا فقالت لا أعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر وهذا لا يمسه الا المطهرون فلم أزل حتى أعطتنيه أى بعد ان اغتسل كما في بعض الروايات وفي بعض الروايات قالت له يا أخي انك نجس على شركك فانه لا يمسه الا المطهرون وقولها لا تغتسل من الجنابة ربما يخالف قول بعضهم ان أهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة وكون عمر كان يخالفهم في ذلك من البعيد وكون هذا منها يحمل على انه لم يغتسل غسلا يعتد به يخالفه ما تقدم عن بعض الروايات انه لما اغتسل دفعت له تلك الرقعة وفي لفظ قالت له انا نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها فدفعتها اليه أى وطمعت في اسلامه فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال فلما مررت على بسم الله الرحمن الرحيم ذعرت أى فزعت ورميت الصحيفة من يدي ثم رجعت الى نفسي فأخذتها فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فكلما مررت باسم من أسمائه عز وجل ذعرت أى فألقيتها ثم ترجع الي نفسي فآخذها حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا مني وحمدوا الله عز وجل ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم أعز الاسلام وفي لفظ أيد الاسلام بأحد الرجلين اما بأبي جهل بن هشام واما بعمر بن الخطاب أى وفي لفظ بأحب هذين الرجلين اليك أبي الحكم عمرو بن هشام يعني أبا جهل وعمر بن الخطاب أى وفي غير ما رواية بعمر بن الخطاب من غير ذكر أبي جهل وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت انما قال صلى الله عليه وسلم اللهم أعز عمر بالاسلام لان الاسلام يعز ولا يعز ولعل قول عائشة ماذكر نشأ عن اجتهاد منها بدليل تعليلها او استبعادها أن يعز الاسلام بعمر فليتأمل وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك يوم الاربعاء فأسلم عمر يوم الخميس قال عمر رضي الله تعالى عنه فلما عرفوا مني الصدق قلت لهم أخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو في بيت بأسفل الصفا ووصفوه أي وهي دار الارقم فخرجت وفي رواية أن عمر قال يا خباب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام خباب وابن عمه سعيد معه قال عمر فلما قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب فما اجترأ أحد ان يفتح لي الباب لما عرفوه من شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا اسلامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أرض خذيه فأخذت الارض أرجل جواده الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الأمان لو أنجيتني لأكونن لك لا عليك فقال يا أرض أطلقيه فاطلقت جواده فلما أيس ورأى تلك المعجزة قال أنا سراقة انظروني أكلمكم فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه وأنا أعلم ان قد ٣٥٠ دعوتما علي فادعوا لي وفي رواية قد علمت يا محمد ان هذا من دعائك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ولكما أن ارد الناس عنكما ولا أضركما وفي رواية لابن عباس وأنا لكم نافع غير ضار ولا أدري لعل الحي يعني قومه فزعوا لركوبي وأنا راجع ورادهم عنكم قال فوقف الي ودعا له صلى الله عليه وسلم ان الله ينجيه مما هو فيه قال فركبت فرسي حتى جئتهما ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما من الحرص على الظفر بهما وبذل المال ان يحصلهما وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما وعاهدهم ان لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وان يكتم عنهم ثلاث ليال قال وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني أي لم ينقصاني مما معي شيأ وفي رواية قال هذه كنانتي فخذ منها سهما فانك تمر على ابلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لنا في ابلك ودعا له وفي رواية عرضت عليهما الزاد والمتاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب في دين الاسلام فاني لا راغب في ابلك ومواشيك وفي رواية ولم يسألاني شيأ الا أن قالا أخف عنا قال فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من اديم وفي رواية قال سراقة اني لأعلم ان سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني اني اذا أتيتك يوم ملكك تكرمني فأمر عامر بن فهيرة فكتب له وفي رواية لانس رضي الله عنه فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا فكان أول النهار جاهدا على نبي الله وآخر النهار مسلحة له اى حارساله بسلاحه وفي رواية أنه قال للقوم لما رجع اليهم قد عرفتم نظري بالطريق وبالاثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيأ فرجعوا (وجاء في الحديث) من تمام القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة

به خيرا يهده وفي لفظ يهديه باثبات الياء وهي لغة ففتحوا لي أي والذي أذن في دخوله حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فان اسلام عمر كان بعد اسلام حمزة بثلاثة أيام وقيل بثلاثة أشهر وكان اسلام عمر وهو ابن ست وعشرين سنة قال وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه فارسلوني فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فأخذ بمجامع قميصي فجذبني اليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده فقلت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرف مكة أي وفي الاوسط للطبراني ورواه الحاكم باسناد حسن عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب صدر عمر بيده حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم أخرج ما في صدر عمر من غل وأبدله ايمانا أي ولعل خبابا وسعيدا لم يدخلا معه الا ليبشرا باسلام عمر وفي رواية لما ضرب الباب وسمعوا صوته قام رجل فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا سيفه أي ولم ير معه خبابا ولا سعيدا فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه نعوذ بالله من شره فقال حمزة بن عبد المطلب فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال ان جاء بخير قبلناه وان جاء بشر قتلناه وفي لفظ ان يرد بعمر خيرا يسلم وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فأذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في صحن الدار فأخذ بحجزته وجذبه جذبة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أدرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة وفي لفظ أخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وقال ما أنت منته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل الله بالوليد بن المغيرة أي أحد المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فقال عمر يا رسول الله جئت لأومن بالله ورسوله أشهد أنك رسول الله وفي رواية أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرفت وفي رواية سمعها أهل المسجد وفي رواية لما جاء دفع الباب فوجد بلالا وراء الباب فقال بلال من هذا فقال عمر بن الخطاب فقال حتى استأذن لك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلال يا رسول الله عمر بالباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد الله به خيرا أدخله في الدين فقال لبلال افتح له وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضبعه فهزه وفي رواية أخذ بساعده وانتهزه فارتعد عمر هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس وفي لفظ أخذ بمجامع ثيابه ثم نتره نترة فما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب ما الذي تريد وما الذي جئت له فقال عمر اعرض علي الذي تدعو اليه فقال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم عمر مكانه (أقول) ولا ينافي هذا ما تقدم من اسلامه واتيانه بالشهادتين في بيت أخته قبل خروجه اليه صلى الله عليه وسلم وقوله ولم يعلموا اسلامي لانه يجوز ان يكون مراده بقوله جئت لأومن جئت لاظهر ايماني عندك وعند أصحابك وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم يا ابن الخطاب الى آخره وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم اعرض علي الذي تدعو اليه يجوز أن يكون عمر جوزان

كيف بك اذا لبست سواري كسرى وفي رواية اذا تسورت بسواري كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم فعجب من ذلك فلما أتي بهما في خلافة عمر رضي الله عنه وبتاجه ومنطقته وكان عمر رضي الله عنه قد سمع بوعد النبي صلى الله عليه وسلم لسراقة من أبي بكر رضي الله عنه فدعا بسراقة فألبسه السوارين تحقيقا لهذه المعجزة واظهارا لها وقال ٣٥١ ارفع يديك وقال الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة ابن مالك اعرابيا من بني مدلج ورفع عمر رضي الله عنه صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين * ومما جيء به لعمر رضي الله عنه مما غنمه المسلمون من كسرى بساطه وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان زهر الربيع كان يبسط له في ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور فقطع عمر رضي الله عنه البساط وقسمه على المسلمين فأصاب عليا رضي الله عنه قطعة باعها بخمسين ألف دينار * وفي القصة أيضا انه أخذ الكتاب الذي كتب له وجعله في كنانته قال سراقة فلم أذكر شيأ مما كان حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين خرجت لالقائه ومعي الكتاب فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدي بالكتاب فقلت يا رسول الله هذا كتابك قال يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه وأسلمت وفي رواية عن سراقة رضي الله عنه بلغني انه يريد انه سيبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه الى قومي فأتيته فقلت أحب ان توادع قومي فان أسلم قومك أسلموا والا أمنت منهم فأخذ صلى الله عليه وسلم بيد خالد فقال اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على ان لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أسلمت قريش أسلموا معهم فانزل الله تعالى الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم * قال ابن اسحق ولما بلغ أبا جهل ما لقي سراقة لامه في تركهم وفي رواية ان سراقة لما رجع الى مكة اجتمع عليه الناس فأنكر انه رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فلا زال به أبو جهل حتى اعترف فأخبرهم بالقصة فلامه أبو جهل في تركهم فانشده سراقة أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه   عليك بكف القوم عنه فانني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه

والى قصة سراقة أشار بعضهم بقوله   غرت سراقة اطماع فساخ به * جواده فانثنى للصلح مطلبا   وقال صاحب الهمزية

فاقتفى أثره سراقة فاستهـ * ـوته فى الارض صافن جرداء   ثم ناداه بعد ما سيمت الخسـ * ـف وقد ينجد الغريق النداء

(واجتاز صلى الله عليه وسلم) فى طريقه ذلك بعبد يرعى غنما فاستسقاه أبو بكر رضى الله عنه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير ان ههنا عناقا حملت عام أول وما بقى لها لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت وجاء أبو بكر رضى الله عنه بمجن وهو الترس فحلب صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر رضى الله عنه ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قال أوتراك تكتم على حتى أخبرك قال نعم قال فانى محمد رسول الله قال أنت الذى تزعم قريش انه صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال أشهد انك نبى وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبى وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فأتنا * ومما وقع لهم فى الطريق انه صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين فكسا الزبير رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا وكذا لقى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه فكساهما (وأخرج البيهقى) عن بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبى صلى الله عليه وسلم حملنى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم فلقيته صلى الله عليه وسلم فقال من أنت قلت بريدة فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر رضى الله عنه وقال برد أمرنا وصلح ثم قال ممن أنت قلت من أسلم قال سلمنا ثم قال ممن قلت من بنى سهم قال خرج سهمك يا أبا بكر فقال بريدة للنبى صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا محمد بن عبد الله رسول الله فقال بريدة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده

الذى يدعو اليه ويصير به المسلم مسلما أخص مما نطق به من الشهادتين والله أعلم قال عمر وأحببت ان يظهر اسلامى وان يصيبنى ما يصيب من أسلم من الضرر والاهانة فذهبت الى خالى وكان شريفا فى قريش وأعلمته انى صبوت اى وهو أبو جهل وقد جاء فى بعض الروايات قال عمر لما أسلمت تذكرت اى أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه وأخبره انى قد أسلمت فذكرت أبا جهل فجئت له فدققت عليه الباب فقال من بالباب قلت عمر ابن الخطاب فخرج الى فقال مرحبا وأهلا يا ابن اختى ما جاء بك قلت جئت لاخبرك وفى لفظ لابشرك ببشارة فقال أبو جهل وما هى يا ابن اختى فقلت انى قد آمنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به فضرب الباب فى وجهى اى أغلقه وهو بمعنى أجاف الباب كما فى بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به اى وانما كان أبو جهل خال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قيل لان أم عمر أخت أبى جهل وقيل لان أم عمر بنت هشام بن المغيرة والد أبى جهل فأبو جهل خال أم عمر وقيل ان أم عمر بنت عم أبى جهل وصححه ابن عبد البر وعصبة لام اخوال الابن قال عمر وجئت رجلا آخر من عظماء قريش وأعلمته انى صبوت فلم يصبنى منهم شئ فقال لى رجل تحب ان يعلم اسلامك قلت نعم قال اذا جلس الناس يعنى قريشا فى الحجر واجتمعوا فأت فلانا للشخص كان لا يكتم السر وهو جميل بن معمر رضى الله تعالى عنه أسلم يوم الفتح وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم حنينا وكان يسمى ذا القلبين وفيه نزلت ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ومات فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وحزن عليه عمر حزنا شديدا فقل له فيما بينك وبينه انى قد صبوت قال فلما اجتمع الناس فى الحجر جئت الرجل فدنوت منه واخبرته فرفع صوته بأعلاه فقال ألا ان عمر بن الخطاب قد صبا فما زال الناس يضربونى واضربهم فقام خالى يعنى أبا جهل على الحجر فأشار بكمه وقال ألا انى أجرت ابن اختى فانكشف الناس عنى فصرت اى بعد ذلك أرى الواحد من المسلمين يضرب وأنا لا اضرب فقلت ما هذا بشئ حتى يصيبنى ما يصيب المسلمين فامهلت حتى جلس الناس فى الحجر وصلت الى خالى وقلت له جوارك عليك رد فقال لا تفعل يا ابن اختى فقلت بل هو ذلك فما زلت اضرب واضرب حتى أعز الله الاسلام أى وفى السيرة الشامية بينما القوم يقاتلونه ويقاتلهم اذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم أى وهو العاص بن وائل فقال ما بالكم قالوا صبا عمر قال فمه رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون أترون بنى عدى بن كعب مسلمين لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل فانفرجوا عنه كأنهم ثوب كشط عنه أى وفى البخارى لما أسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا صبا عمر فبينا عمر فى داره خائفا اذ جاءه العاص ابن وائل فقال له ما لك قال زعم قومك انهم سيقتلونى ان أسلمت أى اذ أسلمت قال أمنت لا سبيل اليك فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادى فقال أين تريدون فقالوا نريد هذا عمر بن الخطاب الذى صبا قال لا سبيل اليه فانه له جار فكر الناس وتصدعوا عنه اى ويذكر ان عتبة بن ربيعة وثب عليه فألقاه عمر الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وادخل أصبعيه فى عينيه فجعل عتبة يصيح وصار لا يدنو منه احد الا أخذ بشراسيفه وهى أطراف أضلاعه

ورسوله فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا قال بريدة الحمد لله الذى أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين فلما أصبح قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها فى رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة ولما سمع المسلمون فى المدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه

صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة وكان خروجهم ثلاثة أيام وهى المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التى كان بها بالغار فانقلبوا يوما بعد ان طال انتظارهم وأحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على اطم أى محل مرتفع من آطامهم أى من محالهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين اى لابسين ثيابا بيضا وهى التى كساهم اياها الزبير وطلحة فى الطريق فلما رآهم ذلك اليهودى يزول بهم السراب أى يرفعهم ويظهرهم فلم يملك اليهودى ان قال بأعلى صوته يا معشر العرب وفى رواية يا بنى قيلة وهم الانصار وامهم تسمى قيلة هذا جدكم اى حظكم الذى تنتظرونه وفى رواية لما دنوا من المدينة بعثوا رجلا من اهل البادية الى ابى امامة اسعد بن زرارة واصحابه من الانصار ولا مانع من الامرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة وهو مع ابى بكر رضى الله عنه فى ظل نخلة كانت هناك ثم قالوا لهما ادخلا آمنين مطمئنين وفى رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم زهاء خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا آمنين مطاعين فعدل ذات اليمين حتى نزلا بقباء فى دار بنى عمرو بن عوف وذلك فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وكان نزوله صلى الله عليه وسلم عند كلثوم بن الهدم لانه كان شيخ بنى عمرو بن عوف وهم بطن من الاوس وكان كلثوم يومئذ مشركا ثم اسلم رضى الله عنه وتوفى قبل غزوة بدر بيسير وقيل اسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة وعند وصوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم يا نجيح لغلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه نجحت يا ابا بكر * وكان صلى الله عليه

وعن عمر رضى الله تعالى عنه فى سبب اسلامه قال خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان أسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن علم ما فى نفسى فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى آخر السورة فوقع الاسلام فى قلبى كل موقع أى ومن ذلك ما فى السيرة الشامية عن عمر رضى الله تعالى عنه قال جئت المسجد أريد ان أطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى وكان اذا صلى استقبل الشام أى صخرة بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين الشام فكان مصلاه بين الركن الاسود والركن اليمانى أى لانه لا يكون مستقبلا بيت المقدس الا حينئذ كما تقدم قال فقلت حين رأيته صلى الله عليه وسلم لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول قال فقلت لئن دنوت منه استمع لاروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها اى ثياب الكعبة فجعلت أمشى رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فقرأ صلى الله عليه وسلم الرحمن حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى وبينه الا ثياب الكعبة فلما سمعت القرآن رق له قلبى فبكيت ودخلنى الاسلام فلم أزل قائما فى مكانى ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف فتبعته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى وظن انما تبعته لاوذيه فنهمنى اى زجرنى ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قلت جئت لاؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله وفى رواية ضرب اختى المخاض ليلا فخرجت من البيت فدخلت فى أستار الكعبة فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر فصلى فيه ما شاء الله ثم انصرف فسمعت شيئا لم أسمع مثله فخرج فاتبعته فقال من هذا قلت عمر قال يا عمر ما تدعنى لا ليلا ولا نهارا فخشيت ان يدعو على فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال يا عمر أتسره قلت لا والذى بعثك بالحق لاعلننه كما أعلنت الشرك فحمد الله تعالى ثم قال هداك الله يا عمر ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته اى ويحتاج للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ثم رأيت العلامة ابن حجر الهيتمى قال ويمكن الجمع بتعدد الواقعة قبل اسلامه هذا كلامه فليتأمل فيه قال ومن ذلك اى مما كان سبب اسلام عمر أن أبا جهل بن هشام قال يا معشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه احلامكم وزعم ان من مضى من اسلافكم يتهافتون فى النار الا ومن قتل محمدا فله على مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضة اى وفى لفظ جعلوا لمن يقتله كذا وكذا أوقية من الذهب وكذا كذا أوقية من الفضة وكذا كذا نافجة من المسك وكذا كذا ثوبا وغير ذلك فقال عمر أنا لها فقالوا له أنت لها يا عمر وتعاهد معهم على ذلك قال عمر فخرجت متقلدا سيفى متنكبا كنانتى اى جعبتى على منكبى أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل يذبح فسمعت من جوفه صوتا يقول يا آل ذريح صائح يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت فى نفسى ان هذا الامر لا يراد به الا أنت وذريح اسم للعجل المذبوح وقيل له ذلك من أجل الدم لان الذريح شديد الحمرة يقال أحمر

وسلم يجلس للناس ويتحدث مع أصحابه في بيت سعد بن خيثمة لانه كان عزبا لا أهل له هناك وكان منزله يسمى منزل العزاب وبهذا يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم ومن قال نزل على سعد بن خيثمة ونزل أبو بكر رضي الله عنه على حبيب بن اساف وقيل خارجة بن زيد رضي الله عنه * ولما توجه صلى الله عليه وسلم المدينة ٣٥٤ أمر عليا رضي الله عنه أن يقيم بعده حتى يرد الودائع فقام علي كرم الله وجهه بالابطح ينادي من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليأت نؤدي اليه أمانته فلما انفذ ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم وأم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ولما وصل نزل على كلثوم ابن الهدم اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان علي رضي الله عنه في طريقه يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه ولما وصل اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرّهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من علي رضي الله عنه مع وجود ما يركبه لانه يجوز أن يكون هاجر ماشيا رغبة في عظيم الاجر * وسرى السرور الى القلوب بوصول النبي صلى الله عليه وسلم قال البراء بن عازب رضي الله عنهما ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير أي الاسطحة عند قدومه يعلن بقولهن طلع البدر علينا الخ وعن عائشة رضي الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاس النساء والصبيان والولائد يقلن جهرا طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع (ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم) قام أبو بكر رضي الله عنه للناس وأبو بكر شيخ أي شيبه ظاهر وان كان النبي صلى الله عليه وسلم أسن منه فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله

ذريحي أي شديد الحمرة ثم مر برجل أسلم وكان يكتم اسلامه خوفا من قومه يقال له نعيم اى ابن عبد الله النحام كما تقدم فقال له أين تذهب يا ابن الخطاب فقال أريد هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الارض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال وأي أهل بيتي قال ختنك اى زوج أختك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأختك قد أسلما فعليك واتما فعل ذلك نعيم ليصرفه عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي لقيه سعد بن أبي وقاص فقال له أين تريد يا عمر فقال أريد ان أقتل محمدا قال له أنت أصغر وأحقر من ذلك تريد ان تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف ان تمشي على الارض فقال له عمر ما أراك الا وقد صبأت فابدأ بك فأقتلك فقال سعد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا ثم قال سعد لعمر مالك يا عمر لا تصنع هذا بختنك وأختك فقال صبآ قال نعم فتركه عمر وسار الى منزل أخته أى ولا مانع ان يكون لقي كلا من نعيم وسعد بن أبي وقاص وقال له كل منهما ما ذكر وفي هذه الرواية وجد عندهم خباب بن الارت معه صحيفة فيها سورة طه يقرؤها عليهم وانه دق عليهم الباب فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب أي وترك الصحيفة فلما دخل قال لاخته ما هذه الهينمة التي سمعت قالت له ما سمعت شيأ غير حديث تحدثنا به بيننا قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بزوج أخته فألقاه الى الارض وجلس على صدره وأخذ بلحيته فقامت اليه أخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها أي فلما رأت الدم قالت له يا عدو الله أتضربني على أن أوحد الله تعالى لقد أسلمت على رغم أنفك فاصنع ما أنت صانع فلما رأى ما باخته وما صنع بزوجها ندم وقال لاخته اعطني هذه الصحيفة أنظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا قالت أخشاك عليها الخلف ليردنها اذا قرأها اليها فقالت له يا أخي أنت نجس ولا يمسه الا الطاهر فقم واغتسل أي وفي لفظ فذهب يغتسل فخرج اليها خباب وقال أتدفعين كتاب الله تعالى الى عمر وهو كافر قالت نعم اني أرجو أن يهدي الله أخي ورجع خباب الى محله ودخل عمر فأعطته تلك الصحيفة فلما قرأها عمر وبلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله اه أي وفي رواية انه لما قرأ الصحيفة قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه أي وقيل انه لما انتهى الى قوله تعالى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري قال ينبغي لمن يقول هذا أن لا يعبد معه غيره فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال يا عمر اني لارجو أن يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فاني سمعته أمس وهو يقول اللهم أيد الاسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك دلني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم أي عنده وعند أصحابه فلا ينافي ما في الرواية الاولى انه أسلم فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه فعمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث (أقول) ويمكن الجمع بين هاتين الروايتين حيث كانت القصة واحدة ولم تتعدد بأنه يجوز ان يكون زوج أخته استخفى أولا مع خباب ورفيقه ثم ظهر فاوقع به وباخته

عليه وسلم يحيي أبا بكر رضي الله عنه فيعرف بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى ظلل عليه بردائه فعرف من جاء منهم بعد ذلك ولا يرد ان تظليل الغمام يغني عن تظليل أبي بكر رضي الله عنه لان ذلك كان قبل البعثة ارهاصا النبوته صلى الله عليه وسلم ولم ينقل أحد وقوع ذلك بعد ٣٥٥ البعثة * وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة بعد ان لبث يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وقيل كان لبثه بضع عشرة ليلة وأسس صلى الله عليه وسلم بقباء المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي نزلت فيه الآية وقيل انه مسجد المدينة وروى كل منهما في أحاديث صحيحة وجمع بعضهم بأن كل منهما يسمى المسجد الذي أسس على التقوى (وروى الطبراني) عن الشموس بنت النعمان رضي الله عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم وأسس مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى تتعبه فيأتي الرجل من أصحابه فيقول يا رسول الله بأبي أنت وأمي أكفيك فيقول لا حتى أسه وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما أراد بناءه قال يا أهل قباء ائتوني بأحجار من الحرة فجمعت عنده أحجار فخط القبلة وأخذ حجرا فوضعه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجري ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر أبي بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كأنه أشار الى ترتيب الخلافة وصنع مثل ذلك عند بناء مسجد المدينة وكان صلى الله عليه وسلم بعد تحوله الى المدينة يأتي مسجد قباء يوم السبت ماشيا تارة وراكبا أخرى فيصلي فيه وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم عن ذلك فقال ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به فقالوا يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الا غسل فرجه أي بعد الاستنجاء بالاحجار وفي رواية نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع

ما ذكر وانه في الرواية الاولى اقتصر على ذكر أخته والصحيفة تعددت واحدة فيها سبح لله ما في السموات والارض والثانية فيها طه اقتصر في الرواية الاولى على احداهما وهي التي فيها سبح لله وفي الرواية الثانية على الاخرى التي فيها طه وانه في الرواية الاولى أسلم وفي الرواية الثانية سكت عن ذلك والله أعلم (وعن ابن عباس) أيضا رضي الله تعالى عنهما لما أسلم عمر رضي الله تعالى عنه قال المشركون لقد انتصف القوم منا وعن ابن عباس أيضا رضي الله تعالى عنهما لما أسلم عمر رضي الله تعالى عنه نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر (قال) وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مازلنا أعزة منذ أسلم عمر اه زاد بعضهم عن ابن مسعود والله لقد رأيتنا وما نستطيع ان نصلي بالكعبة اى عندها ظاهرين آمنين حتى أسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا فصلينا أي وجهروا بالقراءة وكانوا قبل ذلك لا يقرؤن الاسرا كما تقدم وعن صهيب لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا وفي كلام ابن الاثير مكث صلى الله عليه وسلم مستخفيا في دار الارقم ومن معه من المسلمين الى ان كملوا أربعين بعمر بن الخطاب وعند ذلك خرجوا وتقدم ما في ذلك ومما يؤثر عن عمر رضي الله تعالى عنه من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه السيد هو الجواد حين يسأل الحليم حين يستجهل أشقى الولاة من شقيت به رعيته أعدل الناس أعذرهم للناس وفي مختصر تاريخ الخلفاء لابن حجر الهيتمي ان عمر أول من قال أطال الله تعالى بقاك وأيدك الله قال ذلك لعلي رضي الله تعالى عنه وهو أول من استقضى القضاة في الامصار ويروى أن الارقم هذا لما كان بالمدينة بعد الهجرة تجهز ليذهب فيصلي في بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يودعه فقال له ما يخرجك أي من المدينة حاجة أم تجارة قال لا يا رسول الله بأبي أنت وأمي ولكن أريد الصلاة في بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فجلس الارقم ولم يذهب لبيت المقدس ولما حضرته الوفاة أوصى أن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص فلما مات كان سعد بالعقيق فقال مروان يحبس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل غائب وأراد الصلاة عليه فأبى ولده ذلك على مروان ووقع بينهم كلام ثم جاء سعد وصلى على الارقم اى وقيل لعمر رضي الله تعالى عنه ما سبب تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لك بالفاروق قال لما أسلمت والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مختفون قلت يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر الا أظهرت فيه الاسلام غير هائب ولا خائف والذي بعثك بالحق لنخرجن فخرجنا في صفين حمزة في أحدهما وأنا في الآخر له اى لذلك الجمع كديد ككديد الطحين اى لذلك الجمع غبار ثائر من الارض لشدة وطء الاقدام لان الكديد التراب الناعم اذا وطئ ثار غباره قال حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها اى فطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم رجع ومن معه الى دار الارقم فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق فرق الله بي بين الحق والباطل اى وفي رواية أنه

الاحجار الماء فقال هو هذا زاد فى رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة ولما ركب صلى الله عليه وسلم وخرج من قباء سار الناس معه ما بين ماش وراكب ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة الشريفة وصار الخدم والصبيان يقولون الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بنو عمرو بن عوف له حين أراد الخروج من قباء يا رسول الله أخرجت ملالا لنا أو تريد دارا خيرا من دارنا قال انى أمرت بقرية تأكل القرى أى تغلبها وتقهرها والمراد ان أهلها يفتحون القرى فيأكلون أموال تلك القرى ويسبون ذراريهم خلوا سبيلها يعنى ناقته صلى الله عليه وسلم ثم أدركته صلاة الجمعة فى مسجد بنى سالم بن عوف وهو المسجد الذى فى بطن الوادى على يمين السالك الى مسجد قباء ويسمى مسجد الجمعة فصلاها بمن معه من المسلمين وكانوا مائة وهى أول جمعة صلاها صلى الله عليه وسلم بالمدينة وخطب بها وهى أول خطبة خطبها فى الاسلام ٭ ومن خطبه صلى الله عليه وسلم تلك فمن استطاع ان يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته وفى رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم ركب صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة متوجها الى المدينة وهو مردف أبا بكر رضى الله عنه خلفه اكراما له والا فقد كانت له راحلة ولما ركب صلى الله عليه وسلم أرخى لناقته زمامها وهى تنظر يمينا وشمالا وكلما مر على دار من دور الانصار يدعونه المقام عندهم يقولون يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعنى ناقته فانها مأمورة وفى ذلك حكمة بالغة هى ان يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك فى صدر أحد منهم شيأ ولما مر على بنى سالم بن عوف سأله منهم عتبان بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يا رسول الله

صلى الله عليه وسلم خرج فى صف بن حمزة فى أحدهما وعمر فى الآخر لهم كديد ككديد الطحين وفى رواية أن عمر رضى الله تعالى عنه قال له يا رسول الله لا ينبغى ان تكتم هذا الدين اظهر دينك وفى رواية والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيفه ينادى لا اله الا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد ثم صاح مسمعا لقريش كل من تحرك منكم لامكنن سيفى منه ثم تقدم أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا حول الكعبة وقرؤا القرآن جهرا وكانوا كما تقدم لا يقدرون على الصلاة عند الكعبة ولا يجهرون بالقرآن وفى المنتقى على ما نقله بعضهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنهما حتى طاف بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار الارقم وفيه أن صلاة الظهر لم تكن فرضت حينئذ الا ان يقال المراد بصلاة الظهر الصلاة التى وقعت فى ذلك الوقت اى ولعل المراد بها صلاة الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة صلاها فى وقت الظهر وعن عمر رضى الله تعالى عنه وافقت ربى فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه فى الغيرة فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن أن يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت اى وقد قال له بعض نسائه صلى الله عليه وسلم يا عمر أما فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ومنع رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى على عبد الله بن أبى بن سلول وفى البخارى لما توفى عبد الله بن أبى جاء ولده عبد الله رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه وهذا لا يخالف ما فى تفسير القاضى البيضاوى من ان ابن أبى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه فسأله أن يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده الشريف ويصلى عليه فلما مات أرسل له صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه لانه يجوز أن يكون ارساله للقميص بسؤال ولده له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه قال فى الكشاف فان قلت كيف جازت له صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه فى قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا يوم بدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه اى ولان الضنة بارساله لقميص سيما وقد سئل فيه مخل بالكرم وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكن نأذن لك فقال لا ان لى فى رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واكراما لابنه وفى هذا تصريح بأن ابن أبى كان مع المسلمين فى بدر وفى الحديبية ثم ان ابنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى عليه فقال له أسألك أن تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء اى وذلك بعد سؤال والده له صلى الله عليه وسلم فى ذلك كما تقدم عن القاضى البيضاوى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فقام عمر رضى الله تعالى عنه فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اتصلى عليه وقد نهاك ربك أن تصلى عليه

أقم عندنا فى العز والثروة والمنعة وفى رواية انزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة أى السلاح ونحن أصحاب الحدائق والدرك كان الرجل من العرب يدخل هذه البحيرة خائفا فيلجأ الينا فقال لهم خيرا وقال لهم خلوا سبيلها يعنى ناقته فانها مأمورة وهو صلى الله عليه وسلم متبسم ويقول بارك الله فيكم فانطلقت حتى وردت دار بنى بياضة أى محاذتهم فسأله بنو بياضة ومنهم زياد بن لبيد وفروة ابن عمرو وقالوا له بمثل ما تقدم وأجابهم بانها مأمورة خلوا سبيلها حتى وردت دار بنى ساعدة ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك فأجابهم بخلوا سبيلها فانها مأمورة فانطلقت حتى مرت بدار بنى النجار وهم أخواله صلى الله عليه وسلم أى أخوال جده عبد المطلب فسأله بنو عدى بن النجار بمثل ما تقدم وفى رواية انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن أخوالك هلم الى العدد والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يا رسول الله ليس أحد من قومك أولى بك منا لقرابتنا فأجابهم بمثل ما تقدم وبانها مأمورة فانطلقت حتى بركت بمحل من محالهم وذلك فى محل المسجد أو محل بابه أو منبره عند دار بنى مالك بن النجار وكان ذلك الموضع الذى بركت فيه مربد السهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو والمربد الموضع الذى يجفف فيه التمر وقيل كل شئ حبست فيه الابل أو الغنم ثم سارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب أبى أيوب خالد بن زيد الانصارى وهو من بنى مالك بن النجار ثم سارت وبركت فى مبركها الاول عند المسجد قال الحافظ ابن حجر اشارة الى انه منزله حيا وميتا وألقت جرانها بالارض يعنى باطن عنقها وأرزمت يعنى صوتت من غير ان تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله باذنه صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بنى النجار أوسط دور الانصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جده عليه السلام فأكرمهم الله بنزوله صلى الله عليه وسلم عندهم وفى رواية انها استناخت به أولا فجاءه ناس فقالوا المنزل يا رسول الله فقال دعوها فانبعثت حتى بركت عند المنبر من المسجد ثم تحلحلت

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرت فقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيده على السبعين وفى رواية أتصلى على ابن أبى وقد قال يوم كذا كذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عنى يا عمر فلما أكثرت عليه قال انى خيرت لو أعلم انى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون ولينظر ما معنى التخيير فى الآية وما الجمع بين قوله سأزيد على السبعين وقوله لو أعلم انى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ثم رأيت القاضى البيضاوى قال فى وجه التخيير وقوله سأزيد على السبعين انه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوزان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له أى الحق سبحانه ان المراد به التكثير بقوله فى الآية الاخرى سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم هذا كلامه وحينئذ يشكل قوله لو أعلم انى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فان هذا مقتض لعدم الصلاة عليه لا للصلاة عليه فليتأمل وقد قال على رضى الله تعالى عنه ان فى القرآن لقرآنا من رأى عمر وما قال الناس فى شئ وقال فيه عمر الا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر وقد أوصل بعضهم موافقاته أى الذى نزل القرآن على وفق ما قال وما أراد الى أكثر من عشرين أى وقد أفردها بعضهم بالتأليف وقد سئل عنها الجلال السيوطى فأجاب عنها نظما قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ما نزل بالناس أمر فقال الناس وقال عمر الا نزل القرآن على نحو ما قال عمر وعن مجاهد كان عمر يرى الرأى فينزل به القرآن وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ومن موافقاته ما سيأتى فى أسارى بدر ومنها انه لما سمع قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية قال فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت كذلك ومنها أن بعض اليهود قال له ان جبريل الذى يذكره صاحبكم عدو لنا فقال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فنزلت كذلك واستأذن رضى الله تعالى عنه النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فأذن له وقال يا أخى لا تنسانا من دعائك أى وفى رواية يا أخى أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسانا قال عمر ما أحب أن لى بقوله يا أخى ما طلعت عليه الشمس وجاء أول من يصافحه الحق عمر بن الخطاب وأول من يسلم عليه وجاء ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وجاء لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب وممن نزل القرآن على وفق ما قال مصعب بن عمير أيضا رضى الله تعالى عنه كان اللواء بيده يوم أحد وسمع الصوت ان محمدا قد قتل فصار يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فنزلت

باب اجتماع المشركين على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب ابنى عبد مناف وكتابة الصحيفة

قد اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحون أنفسكم فأبى قومه فعند ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب واخراجهم من مكة الى شعب

فنزل عنها وقال رب انزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أربع مرات وأخذه الذى كان يأخذه عند الوحى وسرى عنه فقال هذا ان شاء
الله يكون المنزل فأتاه أبو أيوب فقال ان منزلى أقرب المنازل فأذن لى أن أنقل رحلك قال نعم فنقله وأناخ الناقة فى ظلاله فلما نقل رحله
صلى الله عليه وسلم المرء مع رحله ثم جاء أسعد بن زرارة فأخذ ناقته صلى الله عليه وسلم فكانت عنده قال أبو أيوب رضى الله ٣٥٨
عنه لما نزل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين قدم المدينة
فكنت فى العلو وفى رواية لما
نزل صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل
فى السفل وكنت أنا وأم أيوب
فى العلو فقلت يا نبى الله بابى أنت
وامى انى أكره وأعظم أن أكون
فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت
فكن فى العلو وننزل نحن
ونكون فى السفل فقال يا أبا أيوب
ان الارفق بنا وبمن يغشانا ان
نكون فى سفل البيت فكان
النبى صلى الله عليه وسلم فى سفله
وكنا فوقه فى المسكن فلما خلوت
الى أم أيوب يعنى زوجته قالت
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة
وينزل عليه الوحى فما بت تلك
الليلة لا أنا ولا أم أيوب بحالة هنيئة
بل بشر ليلة لتلك الفكرة وفى
رواية ان أبا أيوب انتبه ليلا فقال
نمشى فوق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتحولوا وباتوا فى جانب زاد
فى رواية فلقد انكسر لنا حب فيه
ماء فقمت أنا وأم أيوب لقطيفة
لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها
تخوفا ان يقطر على رأس رسول الله
صلى الله عليه وسلم منه شئ فيؤذيه
فلما أصبحت قلت يا رسول الله
ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب قال لم
يا أبا أيوب قلت كنت أحق بالعلو
منا تنزل عليك الملائكة وينزل
عليك الوحى فقال صلى الله عليه
وسلم السفل أرفق بنا قلت لا يكون
ذلك والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا زاد فى رواية فلم يزل أبو أيوب يتضرع اليه صلى الله عليه وسلم حتى تحول لا
الى العلو وأبو أيوب فى السفل قال أبو أيوب رضى الله عنه وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب
موضع يده نبتغى بذلك البركة حتى بعثنا اليه يوما بعشائه وقد جعلنا فيه بصلا أو ثوما فرده ولم أر ليده فيه أثرا فجئته فزعا فسألته فقال

أبى طالب فيه تصريح بان شعب أبى طالب كان خارجا عن مكة والتضييق عليهم بمنع حضور
الاسواق وان لا ينا كحوهم وان لا يقبلوا لهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل أى وفى لفظ لا تنكحوهم ولا تنكحوا اليهم ولا تبيعوهم
شيأ ولا تبتاعوا منهم شيأ ولا تقبلوا منهم صلحا الحديث وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى
الكعبة أى توكيدا على أنفسهم وقيل كانت عند خالة أبى جهل وقد يجمع بانه يجوز ان تكون
كانت عندها قبل أن تعلق فى الكعبة على أنه سيأتى أنه يجوز أن الصحيفة تعددت وكان
اجتماعهم وتحالفهم فى خيف بنى كنانة بالابطح ويسمى محصبا وهو باعلى مكة عند المقابر
فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم الشعب الا أبا لهب فانه ظاهر عليهم قريشا
وكان سنه صلى الله عليه وسلم حين دخل الشعب ستة وأربعين سنة وفى الصحيح انهم فى الشعب
جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفى كلام السهيلى كانوا اذا قدمت العير
مكة يأتى أحدهم السوق ليشترى شيأ من الطعام يقتاته فيقوم أبو لهب فيقول يا معشر التجار
غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيأ معكم فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فيزيدون عليهم فى
السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يده شئ
يعللهم به فيغدو التجار على أبى لهب فيربحهم هذا كلامه ولا منافاة بين خروج أحدهم السوق
اذا جاءت العير بالميرة الى مكة وكونهم منعوا من الاسواق والمبايعة لهم كما لا يخفى وكان دخولهم
الشعب هلال المحرم سنة سبع من النبوة وحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان
بمكة من المسلمين أن يخرجوا الى الحبشة (أقول) وفى رواية أن خروج بنى هاشم وبنى المطلب
الى الشعب لم يكن باخراج قريش لهم وانما خرجوا اليه لان قريشا لما قدم عليهم عمرو بن
العاص من عند النجاشى خائبا وردت معه هديتهم وفقد صاحبه الذى هو عمارة بن الوليد
وبلغهم اكرام النجاشى لجعفر ومن معه من المسلمين أى كما سيأتى وظهور الاسلام فى القبائل
كبر ذلك عليهم واشتد أذاهم على المسلمين واجتمع رأيهم على أن يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم
علانية فلما رأى أبو طالب ذلك جمع بنى هاشم والمطلب مؤمنهم وكافرهم وأمرهم أن يدخلوا
برسول الله عليه الصلاة والسلام الشعب ويمنعوه ففعلوا فبنو هاشم وبنو المطلب كانوا شيأ
واحدا لم يفترقوا حتى دخلوا معهم فى الشعب وانخزل عنهم بنو عمهم بنو عبد شمس ونوفل ولهذا
يقول أبو طالب فى قصيدته

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال فى قصيدة أخرى

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا وماثما

فلما علمت قريش ذلك أجمع رأيهم على ان يكتبوا عهودا ومواثيق على أن لا يجالسوهم
الحديث وفيه انه سيأتى أن خروج عمرو بن العاص الى الحبشة انما كان بعد الهجرة الثانية
وهى بعد دخول بنى هاشم والمطلب الى الشعب والله أعلم

﴿باب الهجرة الثانية الى الحبشة﴾

انى وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجى فأما أنتم فكلوه فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد وهذا لا ينافى أن الطعام كان
يأتيه أيضا من غير أبى أيوب فقد ورد انه ما من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون اليه الطعام وان
جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة تحملان اليه كل ليلة واستمرت جفنة ٣٥٩ سعد بن عبادة تدور معه عليه السلام
فى بيوت أزواجه وان أول هدية
دخلت عليه عليه السلام فى بيت
أبى أيوب قصعة فيها ثريد خبز بر
بسمن ولبن جاء بها زيد بن ثابت
ووضعها بين يديه صلى الله عليه وسلم
وقال يا رسول الله أرسلت بهذه
القصعة اليك أمى فقال بارك الله
فيك وفيها ودعا أصحابه وذكر ابن
اسحق أن هذا البيت الذى لابى
أيوب بناه له عليه الصلاة والسلام
تبع الحميرى لما مر بالمدينة فى
رجوعه من مكة وترك فيها
أربعمائة عالم روى ابن عساكر
انه قدم مكة وكسا الكعبة وخرج
الى يثرب وكان فى مائة ألف وثلاثين
ألفا من الفرسان ومائة ألف
وثلاثة عشر ألفا من الرجالة ولما
نزلها أجمع أربعمائة رجل من
الحكماء والعلماء وتبايعوا أن
لا يخرجوا منها فسألهم عن
الحكمة فى مقامهم فقالوا ان
شرف البيت وشرف هذه البلدة
بهذا الرجل الذى يخرج يقال له
محمد صلى الله عليه وسلم فأراد تبع أن
يقيم وأمر ببناء دار للنبى صلى الله
عليه وسلم وبناء أربعمائة دار لكل
رجل منهم دار واشترى لكل منهم
جارية وأعتقها وزوجها منه
وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم
بالاقامة الى وقت خروجه وكتب
كتابا للنبى صلى الله عليه وسلم فيه
اسلامه ومنه

شهدت على أحمد انه * رسول من الله بارى النسم

فلومد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وختمه بالذهب ودفعه الى كبيرهم وسأله ان يدفعه للنبى صلى
الله عليه وسلم ان أدركه والا من يدركه من ولده وولد ولده أبدا الى حين خروجه وكان فى الكتاب انه آمن به وعلى دينه وخرج تبع من يثرب
فمات بالهند ومن موته الى مولده صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء قاله الزرقانى فى شرح المواهب فتداول الدار التى بناها تبع للنبى

لا يخفى انه لما وقع ماذكر انطلق الى الحبشة عامة من آمن بالله ورسوله أى غالبهم فكانوا
عند النجاشى ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة وهذا بناء على أن عمار بن ياسر كان
منهم وقد اختلف فى ذلك وكلام الاصل يميل الى ذلك وكان من الرجال جعفر بن
أبى طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود
وعبيد الله بالتصغير بن جحش ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان فتنصر هناك ثم مات
على النصرانية أى وبقيت أم حبيبة رضى الله تعالى عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وعن أم حبيبة رضى الله تعالى عنها قالت رأيت فى المنام
كأن عبيد الله بن جحش زوجى باسوا حال وتغيرت صورته فاذا هو يقول حين أصبح
يا أم حبيبة انى نظرت فى هذا الدين فلم أر دينا خيرا من دين النصرانية وقد كنت دنت بها
ثم دخلت فى دين محمد ثم رجعت الى دين النصرانية قالت فقلت والله ما خير لك وأخبرته
بما رأيته له فلم يحفل بذلك وأكب على الخمر يشربه حتى مات فرأيت فى المنام كأن آتيا
يقول لى يا أم المؤمنين ففزعت وأولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجنى فكان
كذلك أى وذكر ابن اسحق ان أبا موسى الاشعرى هاجر الى الحبشة ومراده أنه هاجر
اليها من اليمن لا من مكة كما فهم الواقدى فاعترض عليه فى ذلك فعن أبى موسى انه بلغه مخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا فى سفينة مهاجرين اليه
صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشى بالحبشة فوجدوا جعفرا وأصحابه فأمرهم
جعفر بالاقامة واستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم هم وجعفر عند فتح خيبر
كما سيأتى وبهذا يندفع قول بعضهم ماذكره ابن اسحق من ان أبا موسى الاشعرى هاجر من
مكة الى الحبشة من الغريب جدا ولعله مدرج من بعض الرواة وأقاموا بخير دار عند خير جار
فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عمارة بن الوليد بن المغيرة التى أرادت قريش دفعه
لابى طالب ليكون بدلا عن النبى صلى الله عليه وسلم اذ أقتلوه بهدية الى النجاشى والهدية فرس
وجبة ديباج أى وأهدوا العظماء الحبشة هدايا ليردمن جاء اليه من المسلمين فلما دخلا عليه
سجداله وقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله وفى كلام بعضهم فأجلس عمرو بن العاص على
سريره وقبل هديتهما فقالا ان نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا أى ولم
يدخلوا فى دينكم بل جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف
قريش لتردهم اليهم ه قال وأين هم قالوا بارضك فأرسل فى طلبهم أى وقال له عظماء الحبشة
ادفعهم اليهما فهما أعرف بحالهم فقال لا والله حتى أعلم على أى شئ هم فقال عمرو هم لا يسجدون
للملك أى وفى لفظ لا يخرون لك ولا يحيونك بما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم
ودينكم فلما جاؤا قال لهم جعفر رضى الله تعالى عنه أنا خطيبكم اليوم أى فانه لما جاءهم رسول
النجاشى يطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قال جعفر ماذكر
وقال انما نقول ما علمنا وما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع يكون ما يكون وقد كان
النجاشى دعا أساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر وأصحابه صاح جعفر

وقال جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بامان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فلم يسجد فقال له الملك مالك لا تسجد وفي لفظ أن عمرا قال لعمارة ألا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما أجابهم به وان عمرا قال للنجاشي ألا ترى أيها الملك انهم مستكبرون لم يحيوك بتحيتك فقال النجاشي ما منعكم ان لا تسجدوا وتحيوني بتحيتي التي أحيا بها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذلك قال لان الله تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا ان لا نسجد الا لله عز وجل وأخبرنا ان تحية أهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا أي وعرف النجاشي ذلك لانه كذلك في الانجيل كما قيل أي وأمرنا بالصلاة أي غير الخمس لانها لم تكن فرضت بل التي هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي أي ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها على ما تقدم والزكاة أي مطلق الصدقة لا زكاة المال لانها انما فرضت بالمدينة ٥ أي في السنة الثانية ومراده بالزكاة الطهارة قال عمرو بن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم ولا يقولون انه ابن الله جل وعلا قال فما تقولون في ابن مريم وأمه قالوا نقول كما قال الله عز وجل روح الله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء أي البكر البتول أي المنقطعة عن الازواج التي لم يمسها بشر ولم يفرضها أي يشقها أو يخرج منها ولدا أي غير عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم فقال النجاشي يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما يزيدون لي ما تقولون أشهد أنه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى في الانجيل أي ومعنى كونه روح الله انه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله تعالى أنه قال له كن فكان أي حصل في حال الحول وفي لفظ أن النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان أنشدكم الله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا أي صفته ما ذكر هؤلاء فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتبعته فأكون أنا الذي أحمل نعله وأوضئه أي أغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم سيوم بأرضي أي آمنون بها وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي لفظ ثم قال اذهبوا فأنتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا أي أربع دراهم وضعفها كما جاء في بعض الروايات وأمر بهدية عمرو ورفيقه فردت عليهما وفي لفظ أن النجاشي قال ما أحب أن يكون لي دبر من ذهب أي جبل وان أوذي رجلا منكم ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها والله ما أخذ الله تعالى مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه وكان النجاشي أعلم النصارى بما أنزل على عيسى وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى ليأخذوا عنه العلم أي وقد بينت عائشة رضي الله تعالى عنها السبب في قول النجاشي ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي وهو أن والد النجاشي كان ملك الحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذي هو عم النجاشي فنشأ النجاشي في حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثنا عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشي خافوا أن يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لابيه فمشوا الى عمه في قتله فأبى وأخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فقتلته فلما رأت الحبشة أن لا يصلح أمرها الا

صلى الله عليه وسلم الملوك الى ان صارت لابي أيوب وهو من ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب ولما خرج صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليه كتاب تبع مع أبي ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى ومعك كتاب تبع الاول فبقي أبو ليلى متفكرا ولم يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أنت فاني لم أر في وجهك أثر السحر وتوهم انه ساحر فقال أنا محمد هات الكتاب فلما قرأه قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات قال ابن اسحق وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من ولد أولئك العلماء الاربعمائة وهم الاوس والخزرج فعلى هذا انما نزل صلى الله عليه وسلم في منزل نفسه لا في منزل غيره وعن أنس رضي الله عنه قال شهدت يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم فلم أر يوما أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وخرجت جويريات من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن

نحن جوار من بني النجار
يا حبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتحببنني قلن نعم يا رسول الله فقال الله يعلم أن قلبي يحبكن وفي رواية وأنا والله أحبكن قال ذلك ثلاثا وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله الله أكبر جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في رواية أن ناقته صلى الله عليه وسلم حين بركت في دار بني النجار أي محلتهم جاء رجل من بني سلمة وهو جبار بن صخر رضي الله عنه وكان من صالحي المسلمين فجعل ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعل وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحرث ثم بنو ساعدة وفي كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان من بني ساعدة وجد في نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الاربع أسرجوا لي حماري فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن أخيه سهل فقال أتذهب لترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أوليس حسبك أن تكون رابع أربع فرجع وقال الله ورسوله أعلم وأمر بحماره ان يفك عنه سرجه

النجاشي ذهبوا وجاؤا به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة وفي رواية ما يقتضي ان الذي اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه خرجوا في طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما سيأتي عنه انه عند وقعة بدر أرسل خلف من عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث بعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا وان الله تعالى قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي ان محمدا صلى الله عليه وسلم التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدي وهو من بني ضمرة وان الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه وذكر السهيلي أن بكاءه عند ما تليت عليه سورة مريم أي كما سيأتي حتى اخضل لحيته يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما فهم به تلك السورة قال وعن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار وأمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيأ نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان أعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا اهدوا له هدية أي هيؤا له هدية ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز ان يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرق على أتباعه ليعاونوهما على ما جاء بصدده والاقتصار على الفرس والجبة في الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبان من النجاشي ان يسلمهما لهم أي قبل أن يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لانهما لما أوصلا هداياهم اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم لنا قبل أن يكلمهم أي موافقة لما وصت عليه قريش فقد ذكرانهم قالوا لهما ادفعوا الكل بطريق هدية قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدما للنجاشي هداياه ثم اسألاه ان يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم فلما جاآ الى الملك قالا له أيها الملك انه قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت أي جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم فقال بطارقته صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم فأسلمهم لهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي وقال لاها الله أي لا والله لا أسلمهم ولا يكاد قوم يجاورني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فأسألهم عما يقول هذان من أمرهم فان كان كما يقولان سلمتهم اليهما والا منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني ثم أرسل لنا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره ما لكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد الا لله عز وجل فقال النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم

وفي رواية قال له اجلس الا ترضى أن سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم دارك في الدور الاربع التي سمى وما لم يسم أكثرها فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكث صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب سبعة أشهر الى ان بنى المسجد وبعض مساكنه ولما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون فتنافس فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا عليهم بالسهمان فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الانصار الا بقرعة بينهم وكان المهاجرون في دور الانصار وأموالهم ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما بالحمى روى النسائي عن عائشة رضي الله عنها لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض الله أصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأصابت الحمى أبا بكر وبلالا وعامر بن فهيرة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فأذن لي فدخلت عليهم وهم في بيت واحد فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك وكان أبو بكر رضي الله عنه اذا أخذته الحمى يقول اذا قيل له كيف تجدك

كل امرئ مصبح في أهله
والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت انا لله ان أبي ليهذي وما يدري ما يقول ثم دنوت الى عامر ابن فهيرة فقلت كيف تجدك فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه
ان الجبان حتفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه
كالنور يحمي أنفه بروقه

فقلت هذا والله ما يدري ما يقول أي لانها سألتهم عن حالهم فأجابوها بما لا تعلق له والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلا في الحث على حفظ الحرم وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى يقول ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء قالت عائشة رضي الله عنها فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته وقلت يا رسول الله انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فنظر الى السماء وقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا

وصححها الناو انقل حماها الى الجحفة فاستجاب الله له فطيب هواءها وترابها وساكنها والعيش بها حتى ان من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد فى غيرها وقد تكرر دعاؤه عليه الصلاة والسلام بتحبيب المدينة والبركة فى ثمارها قال العلامة الزرقانى والظاهر ان الاجابة حصلت بالاول والتكرير لطلب المزيد وقد ظهر ذلك فى الكيل بحيث يكفى المدبها مالا يكفيه بغيرها وهذا أمر محسوس لمن سكنها ونقل الله حماها الى الجحفة والمراد ٣٦٢ الحمى الشديدة النقل الوبيئة فصارت الجحفة من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها الا حم ولا يمر بها طائر الا حم وسقط قال الزرقانى والذى نقل عنها سلطان الحمى وشدتها ووباؤها وكثرتها بحيث لا يعد الباقى بالنسبة لما نقل شيأ واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فسكن حب المدينة فى قلوب أصحابه حتى قال عمر رضى الله عنه اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك فاستجاب الله دعاءه رضى الله عنه فرزقه الشهادة على يد أبى لؤلؤة المجوسى واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة ودفن عند حبيبه صلى الله عليه وسلم قال السهيلى بعد ذكر كلام بلال السابق فيه من حنينهم الى مكة ماجبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه * وقد جاء فى حديث أصيل الغفارى انه قدم من مكة فسألته عائشة رضى الله عنها كيف تركت مكة يا أصيل فقال تركتها حين ابيضت أباطحها واحجن ثمامها واغدق اذخرها وابشر سلمها فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تشوقنا يا أصيل دع القلوب تقر * وكان صلى الله عليه وسلم قبل بناء المسجد يصلى حيث أدركته الصلاة ولما أراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف قال يا بنى النجار ثامنونى بحائطكم أى بستانكم أى اذكروا الى ثمنه لاشتريه منكم قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاع ذلك منهم بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لابى امامة أسعد بن زرارة رضى الله عنه وكان أبو أمامة يجمع فيه بمن يليه وبعض منه كان مربدا للتمر لسهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو وهما يتيمان فى حجر معاذ بن عفراء وقيل فى حجر أسعد بن زرارة وجمع بانه كان فى حجرهما وبعض منه كان حائطا أى بستانا فيه نخل وبعض منه كان خربا وبعض منه كان

ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من الملل فقال أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوى الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع أى نترك ما كان نعبد آباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وأمرنا أن نعبد الله تعالى وحده وأمرنا بالصلاة أى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى والزكاة أى مطلق الصدقة والصيام أى ثلاثة أيام من كل شهر أى وهى البيض أو أى ثلاثة على الخلاف فى ذلك وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء أى ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك يا أيها الملك فقال النجاشى لجعفر هل عندك مما جاء به شئ قال نعم قال فاقرأه على فقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشى حتى اخضل أى بل لحيته وبكت أساقفته وفى لفظ هل عندك مما جاء به عن الله شئ فقال جعفر نعم قال فاقرأه على قال البغوى فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشى هذا والله الذى جاء به موسى أى وفى رواية ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة أى وهذا كما ترى يدل على أن عيسى كان مقررا لما جاء به موسى وفى رواية بدل موسى عيسى ويؤيده ما فى لفظ انه قال ما زاد هذا على ما فى الانجيل الا هذا العود لعود كان فى يده أخذه من الارض وفى لفظ ان جعفر قال للنجاشى سلهما أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا لهم فقال عمرو بل أحرار فقال جعفر سلهما هل أهرقنا دماء بغير حق فيقتص منا هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشى لعمرو وعمارة هل لكما عليهم من دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما أبدا زاد فى رواية ولو أعطيتمونى دبرا من ذهب أى جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشى أى أتى اليه فى غد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون فى عيسى قولا عظيما أى يقولون انه عبد الله أى وانه ليس ابن الله أى وفى لفظ ان عمرا قال للنجاشى أيها الملك انهم يشتمون عيسى وأمه فى كتابهم فاسألهم فذكر له جعفر ما تقدم فى الرواية الاولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشى عثمان ابن عفان وهو حصر عجيب فليتأمل وروى الطبرانى عن أبى موسى الاشعرى بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد أى للعداوة التى وقعت بينه وبينه فى سفرهما أى من ان عمرو بن العاص كان معه زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا فتن امرأة عمرو وهوته فنزل هو واياه فى السفينة فقال له عمارة مر امرأتك فلتقبلنى فقال له عمرو

ألا

فيه قبور وبهذا جمع بين الاحاديث التى فى بعضها أن موضع المسجد كان مربدا وفى بعضها كان بستانا وفى بعضها كان مسجدا لاسعد بن زرارة الى غير ذلك فأمر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالعظام فغيبت وبالخرب فسويت بازالة ما كان فيها وبالنخل فقطعت وجعلت عمد المسجد ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل * روى محمد بن الحسن المخزومى وغيره عن شهر بن حوشب لما أراد رسول الله صلى الله ٣٦٣ عليه وسلم ان يبنى المسجد قال ابنوا لى عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام أصاب رأسه السقف فلم يزل المسجد كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان عصا موسى وقامته وقبته كانت سبعة أذرع فهو تشبيه تام لانه جعل ارتفاع سقف المسجد سبعة أذرع * وروى البيهقى عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة وضع حجرا ثم قال ليضع أبو بكر حجره الى جنب حجرى ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر أبى بكر ثم ليضع عثمان حجره الى جنب حجر عمر ثم ليضع على ففيه اشارة الى ترتيبهم فى الخلافة رضى الله عنهم بل صرح به فى رواية انه سئل عن ذلك فقال هؤلاء الخلفاء بعدى قال الامام أبو زرعة اسناده لا بأس به فقد أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وفى رواية هؤلاء ولاة الامر بعدى * واما ما اشتهر من أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يستخلف فمعناه انه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند وفاته وذلك لا ينافى وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافى قولنا لم ينص قوله الخلفاء بعدى لانه ليس نصا لجواز أن يراد الخلافة فى العلم والارشاد وأيضا لما كان قوله ذلك متقدما على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت لم يكن نصا سالما من المعارضة ثم لما استخلفوا تحقق المراد من تلك الاشارة ثم قال للناس ضعوا أى الحجارة فوضعوا وعمل المسلمون فى بناء مسجده صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم معهم وكان المسلمون يحملون لبنة لبنة وعمار بن ياسر رضى الله عنه ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك قال انى أريد من الله

ألا تستحى فأخذ عمارة عمرا ورمى به فى البحر فجعل عمرو يصيح وينادى أصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى أدخله السفينة وأضمرها عمرو فى نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلى ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو فقال أنت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشى لعلها ان تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وتكرر تردده عليها حتى أهدت اليه من عطرها اى ودخل عندها فلما رأى عمرو ذلك أتى النجاشى وأخبره بذلك اى فقال له ان صاحبى هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وهو عندها الآن فاعلم علم ذلك فبعث النجاشى فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا انه جارى لقتلته ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ فى احليله نفخة طار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش فى الجبال الى ان مات على تلك الحال اه أى ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولا زال عمارة مع الوحوش الى أن كان موته فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن أبى ربيعة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد استأذنه فى المسير اليه لعله يجده فأذن له عمر رضى الله تعالى عنه فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة عنه والفحص عن أمره حتى اخبر أنه فى جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه ومسكه فجعل يقول له ارسلنى والا أموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسيأتى بعد غزوة بدر انهم ارسلوا للنجاشى عمرو بن العاص أيضا وعبد الله بن أبى ربيعة هذا وكان اسمه قبل أن يسلم بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وأبو ربيعة الذى هو أبو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وأم عبد الله هى أم أبى جهل بن هشام فهو أخو أبى جهل لامه أرسلوهما اليه ليدفع لهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر ومن العجب أن صاحب المواهب ذكر أن ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله ابن أبى ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد فى الهجرة الاولى للحبشة وانما كان عمرو وعمارة فى الهجرة الثانية وابن أبى ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن أن يكون عبد الله بن أبى ربيعة أرسلته قريش مرتين الا انه بعيد ويرده قول بعضهم ان قريشا أرسلت فى أمر من هاجر الى الحبشة مرتين الاولى أرسلت عمرو بن العاص وعمارة والثانية أرسلت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة فليتأمل ومكث بنو هاشم فى الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين فى أشد ما يكون من البلاء وضيق العيش وولد عبد الله بن عباس فى الشعب فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه وقالوا انظروا ما أصاب كاتب الصحيفة أى من شلل يده كما تقدم وصار لا يقدر أحد أن يوصل اليهم طعاما ولا أدما حتى ان أبا جهل لقى حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهى معه فى الشعب فتعلق به وقال أتذهب

الاجر فمسح صلى الله عليه وسلم التراب عن ظهره وقال له للناس أجر ولك أجران وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية
فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الطبرانى فى الكبير باسناد حسن عن أبى سنان الدؤلى الصحابى رضى الله عنه قال
رأيت عمار بن ياسر دعا غلاما له بشراب فأتاه بقدح لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الاحبه محمدا وحزبه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان آخر شئ تزوده من الدنيا شربة لبن والله لو هزمونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلمنا انا
على الحق وانهم على الباطل يعنى
لقوله صلى الله عليه وسلم وتقتلك
الفئة الباغية ثم قاتل فقتل رضى
الله عنه وكان ذلك بصفين مع
على رضى الله عنه ودفن بها سنة
سبع وثلاثين عن ثلاث أو أربع
وتسعين سنة * روى البخارى
فى صحيحه انه صلى الله عليه وسلم
كان ينقل معهم اللبن فى بناء
مسجده ويقول وهو ينقل اللبن
قول عبد الله بن رواحة رضى الله
عنه

هذا الحمال لا حمال خيبر
هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول أيضا قول عبد الله بن رواحة
اللهم ان الاجر أجر الآخره
فارحم الانصار والمهاجره

وأصل البيت لاهم الخ وقيل ان
البيت المذكور لامرأة من
الانصار وبعده

وعافهم من حر نار ساعره
فانها للكافر وكافره

والتمثيل بشئ من الشعر ليس يمتنع
عليه صلى الله عليه وسلم والممتنع
انما هو انشاء الشعر لا انشاده
ووضع النبى صلى الله عليه وسلم يوما
رداءه وهو يعمل فوضع الناس
أرديتهم وهم يعملون ويقولون

لئن قعدنا والنبى يعمل
ذاك اذن للعمل المضلل

ويروى * لذاك منا العمل المضلل
وروى البيهقى عن الحسن لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره صلى
الله عليه وسلم وكان عثمان بن مظعون رضى الله عنه رجلا متنطعا أى متأنقا مترفها ظريفا وكان يحمل اللبنة فيجافى
بها عن ثوبه فاذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه فان أصابه شئ من التراب نفضه فنظر اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فأنشد
يقول لا يستوى من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا وذلك على طريق المطايبة

بالطعام الى بنى هاشم والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فقال له أبو البخترى بن
هشام مالك وماله فقال أبو جهل انما يحمل الطعام لبنى هاشم فقال أبو البخترى طعام كان
لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه
فأخذ أبو البخترى لحى بعير اى العظم الذى تنبت عليه الاسنان فضربه فشجه ووطئه وطأ
شديدا وأبو البخترى بالخاء المهملة وفى مختصر أسد الغابة بالخاء المعجمة ممن قتل ببدر كافرا وحتى ان
هاشم بن عمرو بن الحرث العامرى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أدخل عليهم فى ليلة
ثلاثة أجمال طعاما فعلمت بذلك قريش فمشوا اليه حين أصبح وكلموه فى ذلك فقال انى غير عائد
لشئ خالفكم ثم أدخل عليهم ثانيا جملا وقيل جملين فعلمت به قريش فغالظته اى أغلظت له القول
وهمت به فقال أبو سفيان بن حرب دعوه وصل رحمه اما انى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان
أحسن بنا وكان أبو طالب فى كل ليلة يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى فراشه
ويضطجع به فاذا نام الناس أقامه وأمر أحد بنيه أو غيرهم اى من اخوته أو بنى عمه ان يضطجع
مكانه خوفا عليه أن يغتاله أحد ممن يريد به السوء اى وفى الشعب ولد عبد الله بن عباس رضى
الله تعالى عنهما ثم اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على أن الارضة اى وهى سوسة تأكل
الخشب اذا مضى عليها سنة نبت لها جناحان تطير بهما وهى التى دلت الجن على موت سليمان
على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أكلت ما فى الصحيفة من ميثاق وعهد أى الالفاظ
المتضمنة للظلم وقطيعة الرحم ولم تدع فيها اسما لله تعالى الا اثبتته فيها وفى رواية ولم تترك
الارضة فى الصحيفة اسما لله عز وجل الا لحسته وبقى ما فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم أى
والرواية الاولى أثبت من الثانية قال وجمع بين الروايتين بانهم كتبوا نسخا فأكلت الارضة من
بعض النسخ اسم الله تعالى وأكلت من بعض النسخ ما عدا اسم الله تعالى لئلا يجتمع اسم الله تعالى
مع ظلمهم انتهى أى والتى علقت فى الكعبة هى التى لحست تلك الدابة ما فيها من اسم الله تعالى
كما يدل عليه ما يأتى فذكر ذلك لعمه أبى طالب فقال له عمه والثواقب أى النجوم لانها تثقب
الشياطين وقيل التى تضىء لانها تثقب الظلام بضوئها وقيل الثريا خاصة لانها أشد النجوم
ضوأ ما كذبتنى قط أى ما حدثتنى كذبا وفى رواية انه قال له أربك أخبرك بهذا الخبر قال نعم
فانطلق فى عصابة أى جماعة من قومه أى من بنى هاشم وبنى المطلب ٥ أى وفى رواية ان أبا
طالب لما ذكر ذلك لاهله قالوا له فما ترى قال أرى ان تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا الى قريش
فتذكروا ذلك لهم قبل ان يبلغهم الخبر فخرجوا حتى أتوا المسجد على خوف من قريش فلما
رأتهم قريش ظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل
فتكلم معهم أبو طالب وقال جرت أمور بيننا وبينكم فأتوا بصحيفتكم التى فيها مواثيقكم فلعله
ان يكون بيننا وبينكم صلح أى مخرج يكون سببا للصلح وانما قال أبو طالب ذلك خشية أن
ينظروا فى الصحيفة قبل ان يأتوا بها اى فلا يأتون بها فأتوا بصحيفتهم لا يشكون أن رسول الله

والمباسطة كما هو عادة المجتمعين على عمل وليس ذلك طعنا على عثمان رضى الله عنه فسمع قول على عمار بن ياسر فجعل يرتجز به
ولا يدرى من يعنى به فمر بعثمان بن مظعون فقال يا ابن سمية لاعرفن بمن تعرض ومعه حديدة فقال لتكفن أو لاعترضن بها
وجهك فسمعه صلى الله عليه وسلم فغضب ثم قالوا لعمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ونخاف أن ينزل فينا قرآن
فقال أنا أرضيه كما غضب فقال يا رسول الله مالى ولاصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلى يحملون لبنة لبنة ويحملون على
لبنتين فأخذ صلى الله عليه وسلم
بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح
ذفرته وهى الشعر الذى فى جهة
القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا
بالذى يقتلونك تقتلك الفئة
الباغية وقوله يحملون على الخ
استعطاف ومباسطة ليزول
غضب النبى صلى الله عليه وسلم
وجعل صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد
الى جهة بيت المقدس وبنى بيوتا
الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع
النخل والجريد * وعن الحسن
البصرى رحمه الله قال كنت
وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج
النبى صلى الله عليه وسلم فى خلافة
عثمان رضى الله عنه فأتناول
سقفها بيدى وعن الواقدى قال كان
لحارثة بن النعمان رضى الله عنه
منازل قرب المسجد وحوله فكلما
أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم
أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى
صارت منازله كلها لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه
وسلم بعد استقراره فى المدينة بعث
زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة
فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة
بنت زمعة وأسامة بن زيد وأم
أيمن وأما رقية فسبقت مع زوجها
عثمان رضى الله عنه وزينب أخرت
عند زوجها أبى العاص بن الربيع
حتى أسر ببدر فلما من عليه أرسلها الى المدينة وبعث أبو بكر رضى الله عنه عبد الله بن أريقط وكتب معه الى عبد الله بن أبى بكر
أن يحمل معه أم رومان وأم أبى بكر وعائشة وأسماء قالت عائشة رضى الله عنها فخرج زيد بن حارثة ومن معه وخرج عبد الله بن أبى
بكر معهم بعيال أبيه ومنهم عائشة رضى الله عنها قالت واصطحبنا حتى قدمنا المدينة فنزلنا فى عيال أبى بكر ونزل آل النبى صلى الله عليه
وسلم عنده وهو يومئذ يبنى المسجد وبيوته فادخل سودة أحد تلك البيوت وكان يقيم عندها ذكره الطبرانى وأما عائشة رضى الله

صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم أى لانه الذى وقعت عليه العهود والمواثيق فوضعوها بينهم وقالوا
لابى طالب أى توبيخا له وان معه قد آن لكم ان ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال أبو
طالب انما أتيتكم فى أمر نصف بيننا وبينكم أى أمر وسط لا حيف فيه علينا ولا عليكم ان ابن
أخى أخبرنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله تعالى عليها دابة لم تترك فيها اسما من
أسماء الله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم (أقول) هذه على الرواية
الثانية وأما على الرواية الاولى التى هى أثبت فيكون قوله لم تترك اسما الا أثبتته ولحست
مواثيقكم وعهدكم ثم رأيت ابن الجوزى ذكر ذلك فقال ان أبا طالب قال ان ابن أخى قد أخبرنى
ولم يكذبنى قط ان الله تعالى قد سلط على صحيفتكم التى كتبتم الارضة فلحست كلما كان فيها من
جور أو ظلم أو قطيعة رحم وبقى فيها كلما ذكر به الله تعالى وفى الينبوع ان أبا طالب قال لما
حضرت الصحيفة ان صحيفتكم هذه صحيفة اثم وقطيعة رحم وان ابن أخى أخبرنى ان الله تعالى
سلط عليها الارضة فلم تدع ما كتبتم الا باسمك اللهم والله أعلم قال أبو طالب فان كان الحديث كما
يقول فأفيقوا أى وفى رواية نزعتم أى رجعتم عن سوء رأيكم أى وان لم ترجعوا فوالله لا نسلمه
حتى نموت من عند آخرنا وان كان الذى يقول باطلا دفعنا اليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم فقالوا
قد رضينا بالذى تقول أى وفى رواية أنصفتنا ففتحوا الصحيفة فوجدوا الامر كما أخبر به
الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فلما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب قالوا أى قال
أكثرهم هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وبعضهم ندم وقال هذا بغى منا على
اخواننا وظلم لهم أى وقد جاء ان أبا طالب قال لهم أى بعد ان وجدوا الامر كما أخبر به صلى الله
عليه وسلم يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم أولى بالظلم والقطيعة
والاساءة ودخلوا بين أستار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل
ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا الى الشعب وعند ذلك مشى طائفة منهم وهم خمسة فى نقض
الصحيفة أى ما تضمنته وهم هشام بن عمرو بن الحرث وزهير بن أمية ابن عمته صلى الله عليه وسلم
عاتكة بنت عبد المطلب وقد أسلم بعد ذلك كالذى قبله كما تقدم والمطعم بن عدى مات كافرا كما
تقدم وأبو البخترى بن هشام قتل ببدر كافرا كما تقدم وزمعة بن الاسود قتل ببدر كافرا واختلف
فى كاتب الصحيفة فعند ابن سعد انه بغيض بن عامر فشلت يده ولم يعرف له اسلام وعند ابن
اسحق ان الكاتب لها هشام بن عمرو المتقدم ذكره قال وقيل ان الكاتب لها منصور بن
عكرمة أى فشلت يده فيما يزعمون كذا فى النور نقلا عن سيرة ابن هشام وقيل النضر بن
الحرث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وهو ممن قتل على كفره عند
منصرفه صلى الله عليه وسلم من بدر وقيل الكاتب لها طلحة بن أبى طلحة العبدرى قال ابن
كثير رحمه الله والمشهور انه منصور ويجمع بين هذه الاقوال باحتمال ان يكون كتب بها
نسخ أى فكل كتب نسخة انتهى أى وينبغى أن يكون الذى شلت يده هو كاتب الصحيفة

عنها فلم يكن دخل بها ذلك الوقت ولما كان بعد قدومه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر آخى بين المهاجرين والانصار قال السهيلى لتذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث بين المتواخين وجعل المؤمنين كلهم اخوة وأنزل الله انما المؤمنون اخوة اى فى التوادد وشمول الدعوة وكان جملة الذين آخى بينهم تسعين خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الانصار وكانت المؤاخاة بينهم على الحق والمواساة والتوارث وبذل الانصار رضى الله عنهم فى ذلك جهدهم وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ودعا فيه يهود بنى قينقاع وبنى قريظة وبنى النضير وصالحهم على ترك الحرب والاذى أن لا يحاربهم ولا يؤذيهم وان لا يعينوا عليه أحدا وانه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وكانت المواخاة بين المهاجرين والانصار فى دار أبى طلحة زيد بن سهل رضى الله عنه زوج أم أنس بن مالك رضى الله عنه فآخى صلى الله عليه وسلم بين أبى بكر وخارجة بن زيد رضى الله عنهما وكان صهرا لابى بكر لانه زوج ابنته لابى بكر رضى الله عنه وبين عمر وعتبان بن مالك رضى الله عنهما وبين بلال وابن رويم الخثعمى رضى الله عنهما وبين زيد بن حارثة وأسيد ابن حضير رضى الله عنهما وبين أبى عبيدة وسعد بن معاذ رضى الله عنهما وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضى الله عنهما وعند ذلك قال سعد ابن الربيع لعبد الرحمن يا عبد الرحمن انى من أكثر الانصار مالا فأنا مقاسمك وعندى امرأتان فأنا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال بارك الله لك فى أهلك ومالك ثم قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه دلونى على السوق فباع واشترى حتى صار من أكثر الصحابة مالا رضى الله عنه وتوفى أسعد بن زرارة رضى الله عنه فى السنة الاولى من الهجرة وحزن صلى الله عليه وسلم عليه حزنا شديدا وكان رضى الله عنه نقيبا لبنى النجار فلم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم نقيبا بعده وقد قالوا له صلى الله عليه وسلم اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم أخوالى وأنا نقيبكم وكره ان يخص بذلك بعضهم دون اول

التى علقت فى الكعبة ولعلها هى التى كتبت أولا والى أكل الارضة الصحيفة والى عد الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة أشار صاحب الهمزية بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمسـة اذ كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير * حمد الصبح أمره والمساء
بالامر أتاه بعد هشام * زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدى * وأبو البخترى من حيث شاؤا
نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليه من العدا الانداء
أذكرتنا بأكلها أكل منسا * ة سليمان الارضة الخرساء
وبها أخبر النبى وكم أخرج خبأ له الغيوب خباء

أى فديت خمسة الصحيفة أى الناقضين لها بالخمسة المستهزئين السابق ذكرهم فتية بيتوا وتراودوا واشتوروا بالحجون ليلا على فعل خير وهو نقض الصحيفة حمد الصباح والمساء منهم ذلك الفعل بالامر عظيم وهو نقض الصحيفة أتاه بعد هشام زمعة بن الاسود وانه الكريم فى قومه الاتاء أى المبالغ فى ايتاء الخير وأتاه زهير وأتاه المطعم بن عدى وأتاه أبو البخترى من المكان الذى قصدوه فنقضوا مبرم الصحيفة أى الامر الذى أبرمته أذكرتنا الارضة الخرساء بأكلها تلك الصحيفة منسأة أى عصى سليمان وبأكلها الصحيفة أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ومرات كثيرة أخرج صلى الله عليه وسلم شيأ مخبأ الغيوب له ساترة والمراد ان كل واحد من هؤلاء الخمسة الذين نقضوا الصحيفة فدى بأولئك الخمسة المستهزئين من الاذى الذى أصابهم المتقدم ذكره فلا ينافى ان بعض هؤلاء الذين نقضوا الصحيفة مات كافرا قال جاء ان هشام بن عمرو بن الحرث رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك كما تقدم مشى الى زهير بن أمية بن عاتكة بنت عبد المطلب رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا كما تقدم فقال له يا زهير أرضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب واخوالك قد علمت لا يباعون ولا يبتاعون فقال ويلك يا هشام فماذا اصنع انما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمت لانقضها يعنى الصحيفة قال وجدت رجلا قال من هو قال أنا قال زهير ابغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدى فقال له يا مطعم أرضيت ان يهلك بطنان من بنى عبد مناف يعنى بنى هاشم وبنى المطلب وأنت شاهد على ذلك فقال له ويحك ماذا أصنع انما أنا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قلت أنا قال ابغنا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قلت زهير بن أمية قال ابغنا رابعا فذهبت الى أبى البخترى بن هشام فقلت له نحو ما قلت للمطعم فقال وهل معين على هذا الامر قلت نعم قال من هو قلت زهير ابن أمية والمطعم بن عدى وانا معك قال ابغنا خامسا فذهبت الى زمعة بن الاسود فكلمته فقال وهل من أحد يعين على ذلك فسميت له القوم ثم ان هؤلاء اجتمعوا ليلا عند الحجون وأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير انا أبدؤكم فأكون

بعض فكان من مفاخرهم كون النبى صلى الله عليه وسلم نقيبهم وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله عنها على رأس تسعة أشهر من الهجرة فى شوال * ولما قدم المسلمون المدينة كانوا يتحينون أوقات الصلوات من غير دعوة فاذا عرفوا دخول الوقت بعلامة حضروا وكان بلال ينادى الصلاة جامعة ثم تكلم الناس فى شئ يعرفون به أوقات الصلاة فقال بعضهم نتخذ ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود وقال عمر رضى الله عنه تبعثون رجلا منكم ينادى بالصلاة وقال بعضهم نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فرأى عبد الله بن زيد ابن ثعلبة بن عبد ربه الانصارى رضى الله عنه فى منامه رجلا يحمل ناقوسا قال فقلت له يا عبد الله أتبيع الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك قلت بلى فاستقبل القبلة وقال الله أكبر الله أكبر الى آخر الاذان والاقامة فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره فقال انها رؤيا حق ان شاء الله قم مع بلال فألق عليه فانه أندى منك صوتا قال فقمت مع بلال رضى الله عنه فجعلت ألقيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فخرج يجر رداءه يقول والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى بل روى انه رآه أربعة عشر رجلا وتأيد ذلك بالوحى من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فما كان الاعتماد الا على الوحى وكانت تلك المنامات سببا فى ذلك

باب معاداة اليهود

وعند ظهور الاسلام وقوته بالمدينة قامت نفوس أحبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا لما خص الله به العرب وأنزل الله فيهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر الآيات * فمن أعدائه الذين انتصبوا لعداوته حيى وأبو ياسر وجدى بنو أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وكعب بن الاشرف وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا ومخيريق ثم أسلم وصحب رضى الله عنه وكان له سبع حوائط فأوصى بها للنبى صلى الله عليه وسلم وكان أصبهم له العداوة عند مشروعية الاذان والاعلان بالشهادة له صلى الله عليه وسلم * وعن صفية أم المؤمنين رضى الله عنها بنت حيى بن أخطب اليهودى قال كنت أحب ولد أبى اليه والى عمى أبى ياسر وكانا من أحبار اليهود وأعظمهم فلما قدم رسول الله

أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم اى والمطلب هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال أبو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الاسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت قال أبو البخترى صدق زمعة قال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله تعالى منها ومما كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك فقال أبو جهل هذا أمر قضى بالليل فقام المطعم بن عدى الى الصحيفة فشقها انتهى اى وهذا يدل للرواية الدالة على ان الارضة لحست اسم الله تعالى وابقت ما فيها من العهود والمواثيق والا فبعد امحاء ذلك منها لا معنى لشقها وفى كلام بعضهم يحتمل ان أبا طالب انما أخبرهم بعد سعيهم فى نقضها قال ابن حجر الهيتمى ويبعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى وقام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة ولبسوا السلاح ثم خرجوا الى بنى هاشم وبنى المطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا

باب ذكر خبر وفد نجران

ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وفد نجران وهم قوم من النصارى ونجران بلدة بين مكة واليمن على نحو من سبع مراحل من مكة كانت منزلا للنصارى وكانوا نحو عشرين رجلا حين بلغهم خبره ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة فوجدوه صلى الله عليه وسلم فى المسجد فجلسوا اليه وسألوه وكلموه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وعرفوا منه ما هو موصوف به فى كتابهم فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون اى تنظرون الاخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا أحمق اى أقل عقلا منكم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ويقال نزل فيهم قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغى الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق * وذكر فى الوفاء وفود ضماد الازدى عليه صلى الله عليه وسلم فقال عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن ضمادا قدم مكة وكان من أزد شنوأة وكان يرقى من الريح اى ولعل المراد به اللمة من الجن فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقال لو أنى رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدى قال فأتيته فقلت يا محمد انى أرقى من الريح فان الله يشفى على يدى من شاء فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادى له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد

صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا عليه ثم جاآ من العشى فسمعت عمى يقول لابى أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما فى نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت وفى رواية قالت ان عمى أبا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم أطيعونى فان الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم أتيت من عند رجل فوالله لا أزال له عدوا فقال له أخوه أبو ياسر أطعنى فى هذا الامر واعصنى فيما شئت بعد لا تهلك فقال والله لا نطيعك ثم وافق ياسر أخاه حييا فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين فى رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فأنزل الله فيهما ومن كان موافقا لهما ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق (ومن شدة عداوة اليهود) للنبى صلى الله عليه وسلم ان لبيد بن الاعصم اليهودى صنع سحرا للنبى صلى الله عليه وسلم فى مشط ومشاطة وهى ما يخرج من شعر رأسه صلى الله عليه وسلم أعطاها لهم غلام يهودى كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من سمع وقيل من عجين كمثال النبى صلى الله عليه وسلم ثم غرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وجعل ذلك فى بئر ذروان فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم ان يفعل الفعل وهو لا يفعله مما لا تعلق له بالوحى كالاكل والشرب والنكاح ومكث سنة وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوما ثم جاء جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك السحر وبمكانه فأرسل صلى الله عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فاستخرجاه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء ممسوخا فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم فى نفسه بذلك خفة حتى قام كأنما نشط من عقال وأنزل الله عليه المعوذتين وهما احدى عشرة آية كلما قرأ آية انحلت عقدة وجعل جبريل عليه السلام يقول باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ثم انه صلى الله عليه وسلم احضر لبيدا فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بأن الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم قد عافانى الله وما وراءه من عذاب الله أشد

أعد على كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء هات يدك أبايعك على الاسلام فبايعه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومى

باب ذكر وفاة عمه أبى طالب وزوجته صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله تعالى عنها

لتعلم انهما ماتا فى عام واحد اى بعد خروج بنى هاشم والمطلب من الشعب بثمانية وعشرين يوما والى موتهما فى عام واحد أشار صاحب الهمزية بقوله

وقضى عمه أبو طالب والد * هر فيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العا * م ونالت من أحمد المناء

وذلك قبل الهجرة الى المدينة بثلاث سنين وبعد مضى عشر سنين من بعثته صلى الله عليه وسلم اى من مجىء جبريل عليه السلام بالوحى وهو يرد قول ابن اسحق ومن تبعه ان خديجة رضى الله تعالى عنها ماتت بعد الاسراء وأفاد كلام صاحب الهمزية أن موت خديجة كان بعد موت أبى طالب وقيل كانت وفاة خديجة رضى الله تعالى عنها قبل أبى طالب بخمس وثلاثين ليلة وقيل بعده بثلاثة أيام ويؤيد ما فى الهمزية قول الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور انه مات قبل خديجة رضى الله تعالى عنها اى بثلاثة أيام ودفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم فى حفرتها ولها من العمر خمس وستون سنة ولم تكن الصلاة على الجنازة شرعت ٥ وذكر الفاكهانى المالكى فى شرح الرسالة أن صلاة الجنازة من خصائص هذه الامة لكن ذكر ما يخالفه فى الشرح المذكور حيث قال وروى ان آدم عليه السلام لما توفى أتى بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملائكة فغسلته وكفنته فى وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك منهم فصلى عليه وصلت الملائكة خلفه ثم أقبروه وألحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث عليه الصلاة والسلام الذى هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك واخوتك فانها سنتكم هذا كلامه اى ويبعد انه لم يفعل ذلك بعد القول المذكور له ويحتمل ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء لا هذه الصلاة المعروفة المشتملة على التكبير لكن يبعده ما فى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن آدم لما مات قال ولده شيث لجبريل صل عليه فقال له جبريل بل أنت تقدم فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة وقد أخرج الحاكم نحوه مرفوعا وقال صحيح الاسناد ومنه تعلم ان الغسل والتكفين والصلاة والدفن واللحد من الشرائع القديمة بناء على أن المراد بالصلاة الصلاة المشتملة على التكبير لا مجرد الدعاء وحينئذ لا يحسن القول بأن صلاة الجنازة من خصائص هذه الامة الا أن يقال لا يلزم من كونها من الشرائع القديمة أن تكون معروفة لقريش اذ لو كانت كذلك لفعلوا ذلك وسيأتى انهم لم يفعلوا ذلك وأيضا لو كانت معروفة لهم لصلى صلى الله عليه وسلم على خديجة ومن مات

قبلها

وفى رواية اما أنا فقد دعا فى الله وكرهت ان أثير على الناس شرا (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما ان يهود كانوا يستفتحون أى يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه أى يقولون سيبعث نبى صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم فبعد ان ظهر الاسلام بالمدينة قال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء رضى الله عنهما يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل كفر وشرك وتخبرون انه مبعوث وتصفونه لنا فقال سلام بن مشكم وهو من عظماء يهود بنى النضير ما جاء بشىء نعرفه ما هو الذى كنا نذكره لكم فأنزل الله فى ذلك ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وكان مالك بن الصيف من أحبار اليهود وكان يبغض النبى صلى الله عليه وسلم ويأبس على اليهود وأخذ منهم كثيرا من المال فحضر يوما عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من المال الذى تطعمك اليهود فغضب والتفت الى عمر رضى الله عنه وقال ما أنزل الله على بشر من شىء فكان هذا منه كفرا بنبينا صلى الله عليه وسلم وبموسى عليه السلام وبما أنزل عليه فقالت له اليهود ما هذا الذى بلغنا عنك فقال انه أغضبنى فقلت ذلك فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وأنزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى وأنزل أيضا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به (ويروى) ان يهود المدينة من بنى قريظة والنضير وغيرهما كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركى العرب أسد وغطفان وجهينة وغيرهم قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبى الامى الذى وعدت أنك باعثه فى آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفى لفظ اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته وصفته فى التوراة فينصرون وفى لفظ يقولون اللهم ابعث النبى الذى نجد نعته فى التوراة يعذبهم ويقتلهم وفى لفظ ان يهود خيبر

قبلها من المسلمين كالسكران ابن عم سودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها الذى هو زوجها وسيأتى أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد البراء بن معرور قد مات فذهب هو وأصحابه فصلى على قبره وانها أول صلاة صليت على الميت فى الاسلام ومعرور معناه فى الاصل مقصود لا يقال يجوز أن يكون المراد بتلك الصلاة مجرد الدعاء لانا نقول قد جاء انه كبر فى صلاته أربعا وقد روى هذه الصلاة تسعة من الصحابة ذكرهم السهيلى وسيأتى عن الامتاع لم أجد فى شىء من السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على أسعد بن زرارة وقد مات فى السنة الاولى ولا على عثمان بن مظعون وقد مات فى السنة الثانية (وفى كلام بعضهم) صلاة الجنازة فرضت فى السنة الاولى من الهجرة وأول من صلى عليه صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارة فليتأمل وفى كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون عليهم وهو أن يقوم ولى الميت بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه كلها ويثنى عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن أى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذلك العام عام الحزن ولزم بيته وأقل الخروج وكانت مدة اقامتها معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح (ويذكر) أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة رضى الله تعالى عنها وهى مريضة فقال لها يا خديجة أتكرهين ما أرى منك وقد يجعل الله فى الكره خيرا أشعرت ان الله قد أعلمنى انه سيزوجنى وفى رواية اما علمت ان الله قد زوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وهى التى علمت ابن عمها قارون الكيمياء وآسية امرأة فرعون فقالت آلله أعلمك بهذا يا رسول الله وفى رواية آلله فعل ذلك يا رسول الله قال نعم قالت بالرفاء والبنين زاد فى رواية انه صلى الله عليه وسلم أطعم خديجة من عنب الجنة وقولها بالرفاء والبنين هو دعاء كان يدعى به فى الجاهلية عند التزويج والمراد منه الموافقة والملاءمة مأخوذ من قولهم رفأت الثوب ضممت بعضه الى بعض ولعل هذا كان قبل ورود النهى عن ذلك هذا (وفى الامتاع) ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما تزوج أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه جاء الى مجلس المهاجرين الاولين فى الروضة فقال رفئونى فقالوا ماذا يا أمير المؤمنين قال تزوجت أم كلثوم بنت على هذا كلامه ولعل النهى لم يبلغ هؤلاء الصحابة حيث لم ينكروا قوله كما لم يبلغ سيدنا عمر رضى الله تعالى عنهم (وفى الشهر) الذى ماتت فيه خديجة رضى الله تعالى عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بأيام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران ابن عمها وهاجر بها الى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها أربعمائة درهم وقد كانت رأت فى نومها ان النبى صلى الله عليه وسلم وطئ عنقها فأخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك أموت أنا ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت فى ليلة أخرى ان قمرا انقض عليها من السماء وهى مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لا ألبث حتى أموت فمات من يومه ذلك ٥ (وعقد صلى الله عليه وسلم على عائشة)

كانت تقاتل غطفان وكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسألك بحق النبي الذي وعدت ان تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا فنصرت فكانوا بعد ذلك اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان * وممن كان من أحبار اليهود حريصا على رد الناس عن الاسلام شاس بن قيس اليهودي كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعدما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر فتى شابا من اليهود فقال أعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث أي يوم الحرب الذي كان بينهم وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك أي قال أحد الحيين قد قال شاعرنا كذلك فرده عليه الآخرون وقالوا قد قال شاعرنا كذلك وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة أي قالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يا آل الاوس ونادى هؤلاء يا آل الخزرج ثم خرجوا للحرب وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله اتقوا الله أبدعوى الجاهلية أي أتقتلون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله في شاس بن قيس يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وأنزل الله في الانصار يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون ولا وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون وصار اليهود يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن

رضي الله تعالى عنها وهي بنت ست أو سبع سنين في شوال فعن خولة بنت حكيم امرأة عثمان ابن مظعون قالت قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله ألا تتزوج قال من قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قلت أحب خلق الله بك بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قال ومن الثيب قلت سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما علي قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وماذاك قلت أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه قالت وددت ادخلي على أبي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شأنك قلت أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة قال كفؤ كريم قال ما تقول صاحبتك قالت تحب ذلك قال ادعيها الي فدعوتها قال أي بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم أتحبين ان أزوجك منه قالت نعم قال ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها ولما قدم أخوها عبد ابن زمعة وقد بلغه ذلك صار يحثي على رأسه التراب ولما أسلم قال لقد كدت السفه يوم احثي على رأسي التراب اذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني أخته وذهبت خولة الى أم رومان أم عائشة فقالت لها ماذا أدخل الله عليكم من البركة والخير قد أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة قالت انتظري أبا بكر حتى يأتي فجاء أبو بكر فقلت له يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة قال وماذاك قلت قد أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة قال وهل تصلح أي تحل له انما هي بنت أخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ارجعي اليه فقولي له انا أخوك وأنت أخي في الاسلام وابنتك تصلح لي أي تحل فرجعت فذكرت ذلك له قالت أم رومان رضي الله تعالى عنها ان مطعم ابن عدي قد كان ذكرها على ابنه جبير ووعده والله ما وعد وعدا قط فأخلفه تعني أبا بكر فدخل أبو بكر على مطعم وعنده امرأته أم ابنه المذكور فكلمت أبا بكر بما أوجب ذهاب ما كان في نفسه من عدته لمطعم فان المطعم لما قال له أبو بكر ما تقول في أمر هذه الجارية أقبل المطعم على امرأته وقال لها ما تقولين يا هذه فأقبلت على أبي بكر وقالت له لعلنا ان أنكحنا هذا الفتى اليكم تصبيه وتدخله في دينك الذي أنت عليه فأقبل أبو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول أنت فقال انها لتقول ما تسمع فقام أبو بكر وليس في نفسه من الوعد شئ فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه اياها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل سبع سنين وهو الاقرب فعلم أن العقد على سودة تقدم على العقد على عائشة لان العقد على سودة كان في رمضان الشهر الذي ماتت فيه خديجة رضي الله تعالى عنها وعلى عائشة كان في شوال ومعلوم ان الدخول بسودة كان بمكة وعلى عائشة كان بالمدينة ثم رأيت بعضهم ذكر أن خولة ذهبت الى طلب عائشة وان النبي صلى الله عليه وسلم عقد عليها قبل ذهابها لسودة وعقده عليها

أشياء تعنتا وحسدا او بغيا ليلبسوا الحق بالباطل (فمن جملة ما سألوه) صلى الله عليه وسلم عنه الروح فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وهو يتوكأ على عسيب النخل أي جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشئ تكرهونه أي يجيبكم بما هو دليل على انه النبي الامي وأنتم تكرهون نبوته صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فقالوا يا أبا القاسم ما الروح وفي رواية أخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت انه يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي فقالوا كذا نجد في كتابنا التوراة وتقدم ان هذه الآية نزلت بمكة حين سأله كفار قريش عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولا مانع من تكرر نزولها حين سأله اليهود فلما سألوه سكت صلى الله عليه وسلم ينتظر هل يوحى اليه اجابتهم بشئ غير ما أجاب به كفار قريش بمكة أو بالجواب الاول بعينه فأوحى الله اليه الآية بعينها فقرأها عليهم فقالوا كذا نجد في كتابنا * وجاء يهوديان مرة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لهما لا تشركوا بالله شيأ ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببرئ الى سلطان ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة وعليكم يا يهود خاصة لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا نشهد أنك نبي قال ما يمنعكما ان تسلما فقالا نخاف ان أسلمنا تقتلنا اليهود وهذا التفسير للتسع آيات لا ينافي ان بعضهم فسرها بالمعجزات التي أعطيها موسى عليه السلام وهي التسعة المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لان تلك آيات تتعلق بالتكليف والتوحيد وأصوله وترجع الى أمر الدين وهذه آيات تدل على صدق موسى عليه السلام ولا مانع من ان يراد الآيات الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية والله أعلم * وقيل في سبب نزول قول الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من أحبار الشام لم يعلما ببعثه صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال

ولا تخفى المخالفة الا أن يراد بالعقد على سودة الدخول بها وفيه انه لا يحسن ذلك مع قوله قبل ذهابها لسودة ولما اشتكى أبو طالب أي مرض وبلغ قريشا ثقله أي اشتداد المرض به قال بعضهم لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا الى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا فانا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا أي يسلبونه ومنه قولهم من عز بز أي من غلب أخذ السلب وهو الثياب التي هي البز وفي لفظ انا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شئ أي قتل محمد كما في بعض الروايات فتعيرنا العرب ويقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه فمشى اليه أشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأمية بن خلف وأبو سفيان رضي الله تعالى عنه فانه أسلم ليلة الفتح كما سيأتي وأرسلوا رجلا يدعى المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء شيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك قال ادخلهم فدخلوا عليه فقالوا يا أبا طالب أنت منا حيث قد علمت وفي لفظ قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه صلى الله عليه وسلم أبو طالب فجاءه ولما دخل صلى الله عليه وسلم على أبي طالب وكان بين أبي طالب وبين القوم فرجة تسع الجالس فخشي أبو جهل أن يجلس النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الفرجة فيكون أرق منه فوثب أبو جهل فجلس فيها فلم يجد النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب أبي طالب فجلس عند الباب انتهى وفي الوفاء انه صلى الله عليه وسلم قال لهم خلوا بيني وبين عمي فقالوا ما نحن بفاعلين وما أنت بأحق به منا ان كانت لك قرابة فان لنا قرابة مثل قرابتك فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك وفي لفظ هؤلاء شيخة قومك وسرواتهم وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك وفي لفظ سألوك النصف وفي لفظ أعط سادات قومك ما سألوك فقد نصفوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم ان أعطيتكم ما سألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم أي تطيع وتخضع فقال أبو جهل نعم وأبيك عشر كلمات وفي لفظ لنعطينكها وعشر أمثالها ما هي قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم ثم قالوا يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة الها واحدا ان أمرك لعجب فأنزل الله تعالى ص والقرآن ذي الذكر الى آخر الآيات وفي لفظ قالوا أيسع لحاجاتنا جميعا اله واحد وفي لفظ قالوا سلنا غير هذه الكلمة وفي لفظ ان أبا طالب قال يا ابن اخي هل من كلمة غيرها فان قومك قد كرهوها قال يا عم ما أنا بالذي يقول غيرها ثم قال صلى الله عليه وسلم لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها ثم قال بعضهم لبعض والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيأ مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا وفي لفظ قالوا عند قيامهم والله لنشتمنك والهك الذي يأمرك بهذا أي وفي لفظ لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن

أحدهم بالله خرما أشبه هذه بمدينة النبي الخارج في آخر الزمان فأخبرهم بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك المدينة فجاؤا
اليه فلما رأوه صلى الله عليه وسلم قالوا له أنت محمد قال نعم قالوا نسألك مسئلة ان أخبرتنا بها آمنا فقال اسألاني فقالوا أخبرنا عن أعظم
الشهادة في كتاب الله تعالى فأنزل الله تعالى شهد الله الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فآمنا وعن قتادة رضي الله عنه ان رهطا
من اليهود جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أخبرنا عن ربك من أي شيء خلق فغضب صلى الله عليه
وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل
وقال له خفض عليك وأنزل الله
تعالى قل هو الله أحد الى آخر
السورة أي هو متوحد في صفات
الجلال والكمال منزه عن الجسمية
واجب الوجود لذاته أي اقتضت
ذاته وجوده مستغن عن غيره
وكل ما عداه محتاج اليه وقيل ان
وفد نجران لما نطقوا بالتثليث
تحاوروا مع المسلمين فقالوا لهم هل
كان المسيح يأكل الطعام قالوا
لا يأكل الطعام فأنزل الله سورة
الاخلاص ابطالا لالوهية عيسى
عليه السلام لان الصمد هو الذي
لا جوف له فهو غير محتاج الى
الطعام وذكر السيوطي في
الاتقان ان سورة الاخلاص
تكرر نزولها فنزلت جوابا
للمشركين بمكة حين قالوا صف لنا
ربك وجوابا لعبد الله بن سلام حين
قال انسب ربك يا محمد كما سيأتي في
خبر اسلامه وجوابا لاهل الكتاب
بالمدينة فقد ينزل الشيء مرتين
تعظيما لشأنه وتذكيرا له عند
حدوث سببه خوف نسيانه وكان
من أعلم أحبار اليهود عبد الله بن
سلام بالتخفيف وكان قبل ان
يسلم اسمه الحصين فلما أسلم سماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله وكان من ولد يوسف
الصديق وقد أثنى الله تعالى عليه
في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود بني قينقاع جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه في أول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبي أيوب والذي سمعه قوله صلى الله عليه
وسلم يا أيها الناس أفشوا السلام وصلوا الارحام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه رضي الله عنه
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس بابايم أي اسرعوا فكنت ممن أتى اليه قال فلما رأيت وجهه عرفت

الملك الذي أمرك بهذا قال في الينبوع وهذه العبارة أحسن من الاولى لانهم كانوا يعرفون
انه يعبد الله وما كانوا يسبوا الله عالمين لكنهم ما كانوا يعرفون ان الله أمره بذلك وذكر ان ذلك
سبب نزول قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم هذا وفي
النهر ان سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا لابي طالب اما ان تنهى محمدا عن سب
آلهتنا والنقص منها واما ان نسب الهه ونهجوه قال فيه وحكم هذه الآية باق في هذه الامة فاذا
كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الاسلام أو الرسول فلا يحل للمسلم ذم دين الكافر
ولا يتعرض لما يؤدي الى ذلك لان الطاعة اذا كانت تؤدي الى مفسدة خرجت عن أن تكون
طاعة فيجب النهي عنها كما ينهى عن المعصية هذا كلامه وعند ذلك قال أبو طالب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا أي بالحاء والطاء المهملتين أمرا بعيدا
فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول أي عم فأنت فقلها أستحل لك بها
الشفاعة يوم القيامة أي لو ارتكبت ذنبا بعد قولها والا فالاسلام يجب ما قبله فلما رأى حرص
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن أخي لولا مخافة السبة أي العار عليك وعلى بني
أبيك من بعدي وان تظن قريش اني انما قلتها جزعا أي بالجيم والزاي خوفا من الموت وهذا هو
المشهور وقيل بالخاء المعجمة والراء أي ضعفا لقلتها وفي رواية لاقررت بها عينك لما أرى من شدة
وجدك لكني أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فأنزل الله تعالى انك
لا تهدي من أحببت الآية أي وعن مقاتل ان أبا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم
أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة
لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند
الله تعالى فقال يا ابن أخي قد علمت انك صادق لكني اكره ان يقال الحديث قال في الهدى وكان
من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها أي
وكذا أقرباؤه وبنو عمه تأخر اسلام من أسلم منهم ولو أسلم أبو طالب وبادر أقرباؤه وبنو عمه
الى الايمان به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على
حبه من كان منهم حتى ان الشخص منهم يقتل أباه وأخاه علم ان ذلك انما هو عن بصيرة صادقة
ويقين ثابت وذكر انه لما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فأصغى
اليه باذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بقولها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم أسمع وفيه أنه لم يثبت أن العباس ذكر ذلك بعد الاسلام وأيضا نزول الآية حيث
ثبت ان نزولها في حق أبي طالب يرد ذلك ويرده أيضا ما في الصحيحين عن العباس رضي الله
تعالى عنه أنه قال قلت يا رسول الله ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم
وجدته أي كشف لي عن حاله وما يصير اليه يوم القيامة فوجدته في غمرات من النار فأخرجته
الى ضحضاح أي وفي لفظ آخر قال نعم هو أي يوم القيامة في ضحضاح من النار لولا أنا لكان في

انه وجه غير كذاب أي لان صورته صلى الله عليه وسلم وهيئته وسمته تدل العقلاء على صدقه وانه لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته
يقول يا أيها الناس أفشوا السلام الخ وعند ذلك قلت أشهد أنك رسول الله حقا وأنك جئت بحق ثم رجعت الى أهل بيتي فأسلموا
وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب وقلت له لقد علمت اليهود اني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن
أعلمهم فاخبئني يا رسول الله قبل ان يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عني قبل ان يعلموا اني أسلمت فانهم قوم بهت بضم
الباء والهاء يواجهون الانسان
بالباطل وهم أعظم قوم عضهة
أي كذبا وانهم ان يعلموا اني أسلمت
قالوا في ما ليس في وخذ عليهم
ميثاقا اني ان اتبعتك وآمنت
بك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي
أنزل عليك فأرسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله
فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون
اني رسول الله حقا واني جئتكم
بحق أسلموا قالوا ما نعلم فأعاد ذلك
عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك
قال فأي رجل فيكم ابن سلام قالوا
ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن
أعلمنا وفي رواية خيرنا وابن خيرنا
قال أفرأيتم ان شهد اني رسول الله
وآمن بالكتاب الذي أنزل علي أن
تؤمنوا قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن
سلام أخرج عليهم فخرج عليهم
فقال يا عبد الله بن سلام أما تعلم
اني رسول الله تجدوني عندكم مكتوبا
في التوراة والانجيل أخذ الله
ميثاقكم أن تؤمنوا بي وتتبعوني من
أدركني منكم قال ابن سلام بلى
يا معشر اليهود ويلكم اتقوا
الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم
لتعلمون انه رسول الله حقا وانه
جاء بالحق زاد في رواية انكم
لتعلمون انه رسول الله تجدونه
مكتوبا عندكم في التوراة اسمه وصفته فقالوا كذبت انت أشرنا وابن أشرنا وهذه لغة رديئة جاءت الرواية بها والفصحى شرنا وابن
شرنا قال ابن سلام هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله ألم أخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأظهرت اسلامي وأنزل الله تعالى قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله يعني الكتاب والرسول ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وأنزل الله فيه آيات كثيرة بعد ذلك منها قوله تعالى من أهل

الدرك الاسفل من النار ولو كانت الشهادة المذكورة عند العباس ما سأل هذا السؤال
ولاداها بعد الاسلام اذ لو أداها لقبلت وقد يقال انما سأل هذا السؤال ولم يعد الشهادة بعد
الاسلام لانه لما قال له صلى الله عليه وسلم أولا لم أسمع فهم انه حيث لم يسمعها صلى الله عليه وسلم لم
يعتد بها سأل هذا السؤال وفهم ان اعادة الشهادة بعد اسلامه لا تفيد شيأ ويرده أيضا ما جاء
في رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما كرر على أبي طالب أن يقول كلمة الشهادة وهو يأبى الى أن
قال هو على دين عبد المطلب قال صلى الله عليه وسلم أما والله لاستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك أي
عن الاستغفار لك فأنزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو
كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم أي وتقدم ان سبب نزول هذه الآية
طلبه استغفاره لامه عند زيارة قبرها الا أن يقال لا مانع من تكرر سبب نزولها لجواز أنه صلى
الله عليه وسلم جوز الفرق بين أمه وعمه لان أمه لم تدع للاسلام بخلاف عمه وفي منع استغفاره
لامه ما تقدم ولا يشكل على ذلك قوله يوم أحد اللهم اغفر لقومي لان ذلك أي غفران الذنوب
مشروط بالتوبة أي الاسلام فكأنه صلى الله عليه وسلم دعا لهم بالتوبة التي هي الاسلام ويؤيده
رواية اللهم اهد قومي أي للاسلام قال وأيضا جاء في صحيح ابن حبان عن علي رضي الله تعالى
عنه قال لما مات أبو طالب أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان عمك الشيخ
الضال قد مات قال اذهب فواره قال علي رضي الله تعالى عنه فلما واريته جئت اليه فقال لي
اغتسل أقول لانه غسله وبه ويقوله صلى الله عليه وسلم من غسل ميتا فليغتسل استدل أئمتنا على
ان من غسل ميتا مسلما أو كافرا استحب له ان يغتسل وروى البيهقي خبر ان عليا رضي الله تعالى
عنه غسله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك لكن ضعفه وفي رواية عن علي رضي الله تعالى
عنه لما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بموت أبي طالب بكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره
غفر الله له ورحمه وأما ما روي عنه أنه صلى الله عليه وسلم عارض جنازة عمه أبي طالب فقال
وصلتك رحم وجزيت خيرا يا عم فقال الذهبي انه خبر منكر والله أعلم وجاء أيضا انه ذكر عنده
عمه أبو طالب فقال انه ستنفعه شفاعتي وفي رواية لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في
ضحضاح من النار أي مقدار ما يغطي بطن قدميه وفي رواية في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه
يغلي منه دماغه وفي لفظ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة
شفعت لابي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية يعني أخاه من الرضاعة من حليمة كما في
رواية تأتي أقول يجوز أن يكون ذكر شفاعته لابويه كان قبل احيائهما وايمانهما به كما قدمناه
جوابا عن نهيه عن الاستغفار لهما والله أعلم وفي لفظ آخر شفعت في أبي وعمي أبي طالب وأخي
من الرضاعة يعني من حليمة ليكونوا من بعد البعث هباء ومما يستأنس به لايمان أبيه ما جاء انه
صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها وقد عزت قوما من الانصار في ميتهم
لعلك بلغت معهم الكدى بالدال المهملة أو الكرا بالراء يعني القبور فقالت لا فقال لو كنت

الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل الآية وقوله تعالى كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين الآية وقوله تعالى أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وغير ذلك من الآيات (وفى الخصائص الكبرى) للجلال السيوطى عن تاريخ الشام لابن عساكر ان ابن سلام اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال نشدتك بالذى أنزل التوراة على موسى هل فى كتاب الله يعنى التوراة صفتى قال انسب ربك يا محمد فتوقف صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدى ورسولى الى آخر ما تقدم عن التوراة وهذا يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم اسلامه ولكن قد يقال كيف قال فلما رأيت وجهه عرفت انه غير وجه كذاب وكيف قال عرفت صفته واسمه وكيف أسلم ثانيا وأجيب بانه فعل ذلك ثانيا بالمدينة اقامة للحجة على اليهود وقد وقع لميمون بن يامين وكان رأس اليهود مثل ما وقع لابن سلام فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابعث اليهم يعنى اليهود واجعلنى حكما فانهم يرجعون الى فأدخله وخبأه وأرسل اليهم فجاؤه فقال لهم اختاروا رجلا يكون حكما بينى وبينكم قالوا قد رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فخرج وقال أشهد انه رسول الله فابوا ان يصدقوه وقد أشار الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وأنكروه وظلما ✱ كتمته الشهادة الشهداء
أو نور الاله تطفئه الافوا ✱ ه وهو الذى به يستضاء
كيف يهدى الاله منهم قلوبا ✱ حشوها من حبيبه البغضاء

وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى يا بنى

بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك يعنى عبد المطلب ولم يقل جدك يعنى أباه الذى هو عبد الله وتقدم القول بان حليمة وأولادها أسلموا وعليه فيجوز أن يكون هذا منه صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم أخوه من الرضاعة كما تقدم مثل ذلك فى أبيه وأمه وفى رواة الحديث الاول من هو منكر الحديث وفى الثانى من هو ضعيف وقال فيه ابن الجوزى انه موضوع بلا شك أى وهذا أى قبول شفاعته صلى الله عليه وسلم فى عمه أبى طالب عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم فلا يشكل بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين أو لا تنفعهم شفاعة الشافعين فى الاخراج من النار بالكلية أى وفى هذا الثانى انه لا يناسب أن شفاعته لهم أن يكونوا من بعد البعث هباء أى فى مصيرورتهم هباء الا أن يقال انه لم يستجب له فى ذلك قال وجاء أيضا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهون أهل النار أى وهم الكفار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه أى وفى رواية كما يغلى المرجل أى القدر من النحاس حتى يسيل دماغه على قدميه وفى رواية كما يغلى المرجل بالقمقم قيل والقمقم بكسر القافين البسر الاخضر يطبخ فى المرجل استعجالا لنضجه يفعل ذلك أهل الحاجة وذكر السهيلى الحكمة فى اختصاص قدميه بالعذاب وزعم بعض غلاة الرافضة ان أبا طالب أسلم واستدل له باخبار واهية ردها الحافظ ابن حجر فى الاصابة أى وقد قال وقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام أبى طالب ولم يثبت من ذلك شئ وروى أبو طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حدثنى محمد ان الله أمره بصلة الارحام وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره وقال سمعت ابن أخى الامين يقول اشكر ترزق ولا تكفر تعذب انتهى وفى المواهب عن شرح التنقيح للقرافى ان أبا طالب ممن آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع لانه كان يقول انى لاعلم أن ما يقوله ابن أخى لحق ولولا انى أخاف أن يعيرنى نساء قريش لاتبعته فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن للاحكام هذا كلامه وفيه أن الايمان باللسان الاتيان بلا اله الا الله ولم يوجد ذلك منه كما علمت وتقدم ان الايمان النافع عند الله الذى يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود فى النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يقر بالشهادتين مع التمكين من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وأبو طالب طلب منه ذلك وامتنع وقد روى الطبرانى عن أم سلمة أن الحرث بن هشام أى أخا أبى جهل بن هشام أتى النبى صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فقال انك تحث على صلة الرحم والاحسان الى الجار وايواء اليتيم واطعام الضيف واطعام المسكين وكل هذا مما يفعله هشام يعنى والده فما ظنك به يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا اله الا الله فهو جذوة من النار وقد وجدت عمى أبا طالب فى طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه منى واحسانه الى فجعله فى ضحضاح من النار وذكر أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع اليه وجهاء

اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود أوفوا بعهدى الذى أخذته فى أعناقكم للنبى صلى الله عليه وسلم بأن تصدقوه وتتبعوه أوف بعهدكم أنجز لكم ما وعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به وأنتم تجدونه فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم (وقد روى) فى سبب اظهار اسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه زيادة على ما تقدم انه رضى الله عنه قال جاء رجل فأخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا فى رأس نخلة أعمل فيها وعمتى من تحتى جالسة فلما سمعت بقدومه صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لى عمتى لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت على هذا فقلت لها أى عمتى فوالله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قالت يا ابن أخى أهو النبى الذى كنا نخبر انه يبعث مع الساعة فقلت لها نعم قال ابن سلام وكنت عرفت صفته واسمه فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته فقلت له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن جبريل آنفا فقال ابن سلام ذاك يعنى جبريل عدو اليهود من الملائكة لانه ينزل بالخسف والهلاك وقيل لانه يطلع النبى صلى الله عليه وسلم على سرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم أما أول الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت أى وهى القطعة المعلقة بالكبد وهى فى الطعم فى غاية اللذة وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وان سبق ماء المرأة ماء الرجل ينزع الولد اليها وقد سأل علماء اليهود النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة فاجابهم عنها منها انهم سألوه مرة فقالوا اخبرنا عن علامة النبى فقال تنام عيناه ولا ينام قلبه وسألوه أى طعام حرمه اسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة قال أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه

قريش فأوصاهم وكان من وصيته ان قال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة أوصيكم بتعظيم هذه البنية أى الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فان فى صلة الرحم منسأة أى فسحة فى الاجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعى واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وانى أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش أى وهو الصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن أى البغض وهو لغة فى الشنآن وايم الله كأنى أنظر الى صعاليك العرب وأهل البر فى الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها دونكم يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد وفى لفظ آخر أنه لما حضرته الوفاة دعا بنى عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاطيعوه ترشدوا ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبى صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكى يا بنية فان الله تعالى مانع أباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش منى شيئا أكرهه أى أشد الكراهة حتى مات أبو طالب وتقدم وسيأتى بعض ما أوذى به قال ولما رأى قريشا تهجموا قال يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ أبو لهب ذلك قام أبو لهب بنصرته أياما وقال له يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذا كان أبو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل اليك حتى أموت واتفق ان ابن العيطلة أى وهو احد المستهزئين المتقدم ذكرهم سب النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه أبو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا أبو عتبة يعنى أبا لهب فأقبلت قريش على أبى لهب وقالوا له فارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقت وفى لفظ قالوا له أصبوت قال ما فارقت دين عبد المطلب ولكن امنع ابن أخى ان يضام حتى يمضى لما يريد قالوا لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك أياما لا يتعرض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب الى ان جاء أبو جهل وعقبة ابن أبى معيط الى أبى لهب فقالا له أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك أى المحل الذى يكون فيه

يزعم انه فى النار فقال له أبو لهب يا محمد أيدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار فقال أبو لهب لا برحت لك عدوا وأنت تزعم ان عبد المطلب فى النار فاشتد عليه هو وسائر قريش انتهى وفى لفظ قال له يا محمد اين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج أبو لهب الى أبى جهل وعقبة فقال قد سألته فقال مع قومه فقالا يزعم انه فى النار فقال يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الحديث ولا يخفى ان عبد المطلب من أهل الفترة وتقدم الكلام عليهم والله أعلم

﴿باب ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الطائف﴾

سميت بذلك لان رجلا من حضرموت نزلها فقال لاهلها ألا أبنى لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمى الطائف وقيل غير ذلك لما مات أبو طالب ونالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته منه فى حياته كما تقدم خرج الى الطائف أى وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقى من قريش وقرابته وعترته خصوصا من أبى لهب وزوجته أم جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب وعن على رضى الله تعالى عنه انه قال بعد موت أبى طالب لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم أنت الذى جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وخروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف كان فى شوال سنة عشر من النبوة وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء أن يسلموا وان يناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه قال فى الامتاع لانهم كانوا أخواله قال بعضهم ومن ثم أى من أجل انه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا على من ضاق صدره من أهل مكة كذا قال وفى كلام غيره ولا جرم جعل الله الطائف مستأنسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهى راحة الامة ومتنفس كل ذى ضيق وعمة سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فاليتأمل فلما انتهى صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة أحدهم عبد ياليل أى واسمه كنانة ٥ لم يعرف له اسلام وأخوه مسعود أى وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ٥ لم يعرف له اسلام أيضا وحبيب قال الذهبى فى صحبته نظر أى وهم أولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفى وجلس صلى الله عليه وسلم اليهم وكلمهم فيما جاءهم به أى من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة أى ينتفها او يقطعها أى وقيل يسرقها ان كان الله أرسلك وقال له آخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسول الله كما تقول لانت أعظم خطرا أى قدرا من ان أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى

فكان أحب الطعام اليه لحم الابل وأحب الشراب اليه ألبانها قالوا اللهم نعم أى حرمها رد علته ومنه الهامن شهوانها او قيل لانه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به وذكر ان سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الابل وتشرب ألبانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فنحن أولى بابراهيم منك ومن غيرك فأنزل الله تعالى الآية تكذيبا لهم بأن هذا انما حرمه يعقوب على نفسه وهو متأخر عن ابراهيم ونوح فكيف يكون محرما عليهما ومن ثم جاء قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود أتشهد أنى رسول الله قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجدنى فى التوراة والانجيل قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت هو فنظرنا فاذا أنت لست هو قال ولم قال ذلك معه من أمته سبعون ألفا ليس عليهم حساب ولا عتاب وانما معك نفر يسير قال والذى نفسى بيده لأنا هو وانهم لأكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا وسألته اليهود أيضا عن الرعد والبرق فقال الرعد صوت ملك موكل بالسحاب والبرق سوط من نار فى يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى وقيل فى سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها الآية أن اليهود أنكروا النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه فنزلت وقالوا مرة اغاظة له صلى الله عليه وسلم ما يرى لهذا الرجل همة الا فى النساء والنكاح فلو كان نبيا كما زعم اشغله أمر النبوة عن النساء فأنزل الله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فقد جاء ان سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة وتسعمائة سرية وسألوه عن رجل زنى بامرأة بعد احصانه أى لان شريفا فى خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قالوا لهم ان هذا الرجل الذى بيثرب ليس فى كتابه الرجم ولكنه التغريب فاسألوه فسألوه صلى الله عليه وسلم فأجاب بالرجم فلم يقبلوا ذلك فقال الجمع من علمائهم

لى ان اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد أيس من خير ثقيف وقال لهم اكتموا على وكره صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه وقالوا له اخرج من بلدنا والحق بمنجاتك من الارض واغروا به أى سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما أى دقوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم اذا أزلقته الحجارة أى وجد ألمها قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد ابن حارثة أى بناء على انه كان معه صلى الله عليه وسلم يقيه بنفسه حتى لقد شج رأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم أى بستان من بساتينهم فاستظل فى حبلة أى بفتح الباء الموحدة وتسكينها غير معروف شجرة كرم وقيل لها حبلة لانها تحمل بالعنب وقد فسر نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع حبل الحبلة ببيع العنب قبل أن يطيب قال السهيلى وهو غريب لم يذهب اليه أحد فى تأويل الحديث فجاء الى ذلك المحل وهو مكروب موجع أى وقد جاء النهى عن أن يقال لشجر العنب الكرم فى قوله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم الكرم فان الكرم قلب المؤمن ولكن قولوا حدائق العنب قال وسبب النهى عن تسميتها كرما لان الخمر تتخذ من ثمرتها وهو يحمل على الكرم فاشتقوا لها اسما من الكرم وفى لفظ ثم ان هؤلاء الثلاثة أى عبد ياليل واخوته أغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه قال وذكر انه صلى الله عليه وسلم دعا بدعاء منه اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى اه واذا فى الحائط أى البستان عتبة وشيبة ابنا ربيعة أى وقد رأيا مالقى من سفهاء أهل الطائف فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله فلما رأياه وما لقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس معدود فى الصحابة مات قبل الخروج الى بدر فقالا له خذ قطفا من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه أى وهذا لا ينافى كون زيد بن حارثة كان معه كما لا يخفى ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده الشريفة قال بسم الله ثم أكل أى لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع يده فى الطعام قال بسم الله ويأمر الآكل بالتسمية وأمر من نسى التسمية أوله أن يقول بسم الله أوله وآخره فنظر عداس فى وجهه وقال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت وما دينك يا عداس قال نصرانى وأنا من أهل نينوى بكسر النون الاولى وفتح الثانية وقيل بضمها قرية على شاطئ دجلة فى

أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى اما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فأنكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فاتلوها فأحضروا التوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا فيها آية الرجم وجاء فى بعض الروايات أن أحبار اليهود وهم كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو ومالك بن الصلت اجتمعوا فى بيت مدراسهم حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زنى رجل من اليهود بعد احصانه بامرأة محصنة من اليهود وقالوا ان أفتانا بالجلد أخذنا به واحتججنا بفتواه عند الله وقلنا فتيا نبى من أنبيائك وان أفتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا من مخالفته وفى رواية الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان رجلا منهم وامرأة زنيا بعد احصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة قالوا نفضحهما بالسواد أى نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل ادبار الحمارين ويطاف بهما ويجلدان بحبل من ليف مطلى بقار فقال عبد الله ابن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله ابن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم وفى رواية لما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا ابا القاسم ما ترى فى رجل وامرأة زنيا بعد الاحصان فقال لهم ما تجدون فى التوراة فقالوا دعنا من التوراة فقل ما عندك فأفتاهم بالرجم فأنكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود أخرجوا الى أعلمكم فأخرجوا له عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهودا فقالوا هؤلاء علماؤنا فقال أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان فقالوا نجمم اى يسود وجهه ويجنب فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم وفى رواية لما سألهم أجابوه الا شابا منهم فانه سكت فألح عليه صلى الله عليه وسلم فى النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا فانا نجد فى التوراة الرجم ولكن رأينا انه ان زنى الشريف لا يرجم ولو رجمنا الوضيع دون الشريف كان من الحيف

فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت يعنى التعزير السابق فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أحكم بما فى التوراة وهذا الشاب هو عبد الله بن صوريا ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالرجم أبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لهم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا انعم وهو أعلم يهودى على وجه الارض بما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام فى التوراة ورضوا به حكما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب وفى رواية قال فى جوابه للنبى صلى الله عليه وسلم نعم والذى ذكرتنى به لولا خشية أن تحرقنى التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هو فى كتابك يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول انه قد أدخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذى أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله فى التوراة على موسى فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ويجاب بأنه يحتمل أن القضية تكررت وعلى تسليم انها قضية واحدة لم تتكرر فيمكن أن مدة مراجعة النبى صلى الله عليه وسلم فيها طالت وأيامها اتسعت فحصل بينه وبين علماء اليهود تلك المخاطبات فى مجالس متعددة فحصل فى كل مجلس منها الكلام مع بعض منهم دون البعض الآخر واختلفت العبارات فكل من حفظ شيأ رواه فبعضهم يرويه بلفظه وبعضهم بمعناه وجاء وانها فى بعض الروايات أن ابن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها من اعلام نبوته فأجابه عنها فلما تحققها قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله النبى الامى وهذا مما يدل على اسلامه ومشى عليه السهيلى وجماعة وقال الحافظ ابن حجر لم أقف لعبد الله بن صوريا على اسلام من طريق صحيح والله أعلم ثم بعد تحقق الرجم فى التوراة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا

أرض الموصل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل قرية أى وفى رواية من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى اسم أبيه أى كما فى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وفى تاريخ جماة أنه اسم أمه قال ولم يشتهر باسم أمه غير عيسى ويونس عليهما الصلاة والسلام أى وفى مزيل الخفاء فان قيل قد ورد فى الصحيح لا تفضلونى على يونس بن متى ونسبه الى أبيه وهو يقتضى أن متى أبوه لا أمه أجيب بأن متى مدرج فى الحديث من كلام الصحابى لبيان يونس بما اشتهر به لا من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ولما كان ذلك موهما ان الصحابى سمع هذه النسبة من النبى صلى الله عليه وسلم دفع الصحابى ذلك بقوله ونسبه الى أبيه لا الى أمه هذا كلامه وعند ذلك قال عداس له صلى الله عليه وسلم وما يدريك ما يونس بن متى فانى والله لقد خرجت منها يعنى نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن اين عرفت ابن متى وانت أمى وفى أمة أمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى أمى وفى رواية أنا رسول الله والله أخبرنى خبره وماوقع له مع قومه أى حيث وعدهم العذاب بعد أربعين ليلة لما دعاهم فابوا ان يجيبوه وخرج عنهم وكانت عادة الانبياء اذا واعدت قومها العذاب خرجت عنهم فلما فقدوه قذف الله تعالى فى قلوبهم التوبة أى الايمان بما دعاهم اليه يونس وقيل كما فى الكشاف انه قال لهم يونس أنا أؤجلكم أربعين ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة اطبقت السماء غيما أسود يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم فعند ذلك لبسوا المسوح وأخرجوا المواشى وفرقوا بين النساء وأولادها وبين كل بهيمة وولدها فلما أقبل عليهم العذاب جأروا الى الله تعالى وبكى الناس والولدان ورغت الابل وفصلانها وخارت البقر وعجاجيلها وثغت الغنم وسخالها وقالوا ياحى حين لا حى وياحى يحيى الموتى وياحى لا اله الا أنت (وعن الفضيل) انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وفى الكشاف انهم عجوا أربعين ليلة وعلم الله تعالى منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب بعد أن صار بينه وبينهم قدر ميل فمر رجل على يونس فقال له ما فعل قوم يونس فحدثه بما صنعوا فقال لا أرجع الى قوم قد كذبتهم قيل وكان فى شرعهم ان من كذب قتل فانطلق مغاضبا لقومه وظن أن لن نقضى عليه بما قضى به عليه أى من الغم وضيق الصدر قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أى ان نضيق عليه وكانت التوبة عليهم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة أى وفى كلام بعضهم كشف العذاب عن قوم يونس يوم عاشوراء وأخرج فيه يونس من بطن الحوت وهو يؤيد القول بأنه نبذه من يومه وهو قول الشعبى التقمه ضحوة ونبذه عشية أى بعد العصر وقاربت الشمس الغروب وذكر أن الحوت لم يأكل ولم يشرب مدة بقاء يونس فى بطنه لئلا يضيق عليه وقال السدى مكث أربعين يوما وقال جعفر الصادق سبعة أيام وقال قتادة ثلاثة أيام وذلك بعد أن نزل السفينة فلم تسر فقال لهم ان معكم عبدا آبقا من ربه

بالشهود فجاؤا باربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة فأمر بهما فرجما عند باب المسجد قال ابن عمر رضى الله عنهما فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سبب النزول قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور الآية ونزول ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وما معها من الآيات وفيها فأولئك هم الكافرون وأولئك هم الفاسقون وعن عمرو ابن ميمون قال رأيت الرجم فى الجاهلية فى غير بنى آدم كنت فى اليمن فى غنم لاهلى فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومى اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاؤا بذلك القرد فحفر والهما حفرة فرجموهما ورجمتهما معهم قال بعضهم لو صح هذا لكانوا من الجن اذ التكاليف فى الانس والجن دون غيرهما وقد ذكر غير واحد ان أحبار اليهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة خوفا من انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيام الاحبار بالتوراة فخافوا أن تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة وكانوا يقولون ان أسلم لا تنفقوا أموالكم على هؤلاء يعنى المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فأنزل الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أى من العلم بصفة النبى صلى الله عليه وسلم التى يجدونها فى كتابهم فقد كان فى كتابهم انه صلى الله عليه وسلم أكحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا أزرق العينين سبط الشعر وأخرجوا ذلك الى اتباعهم وقالوا هذا نعت النبى الذى يخرج فى آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله الآية وكان اليهود اذا كلموا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا اسمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم لان ذلك سب قبيح بلسان اليهود فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا ان ذلك شئ كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم فصار المسلمون يقولون ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ففطن سعد بن معاذ لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا أعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وفى

وانه الآتى بر حتى تلقوه فى البحر وأشار الى نفسه فقالوا لا نلقيك يا نبى الله أبدا قال فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقوه فالتقمه الحوت وقيل قائل ذلك بعض الملاحين وحين خرجت القرعة عليه ثلاثا ألقى نفسه فى البحر وهذا السياق يدل على أن رسالته كانت قبل ان يلتقمه الحوت وقيل انما ارسل بعد نبذ الحوت له وفيه كيف يدعوهم ويعدهم العذاب وهو غير مرسل لهم وعن وهب بن منبه وقد سئل عن يونس فقال كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حملت عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها فألقاها عنه وخرج هاربا أى فقد تقدم أن للنبوة أثقالا لا يستطيع حملها الا أولو العزم من الرسل وهم نوح وهود وابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أما نوح فلقوله يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله الآية وأما هود فلقوله انى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه الآية وأما ابراهيم فلقوله هو والذين آمنوا معه انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الآية وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلقول الله تعالى له فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل فصبر صلى الله عليه وسلم فعند ذلك اكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه اى فقال احدهما اى عتبة وشيبة للآخر أما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس قال له احدهما ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى ما فى الارض شئ خير من هذا لقد اعلمنى بامر لا يعلمه الا نبى قال ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك (اقول) وفى رواية قالا له ماشأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلته باحدنا قال هذا رجل صالح اخبرنى بشئ عرفته من شأن رسول بعثه الله الينا يدعى يونس بن متى فضحكا به وقالا لا يفتننك عن نصرانيتك فانه رجل خداع ودينك خير من دينه وقد تقدم فى بعض الروايات أن خديجة رضى الله تعالى عنها قبل ان تذهب بالنبى صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام وتقدم انه غير هذا خلافا لمن اشتبه عليه به (وفى كلام) الشيخ محيى الدين بن العربى قد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنت فيه وقست أثر رجل واحد منهم فى الارض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثى شبر والله أعلم (وفى الصحيح) عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن كلال اى والمناسب لما سبق اسقاط لفظ ابن الاولى والاتيان بواو العطف موضع ابن الثانية اى فيقال عبد ياليل وكلال اى وعبد كلال ويكون خصهما بالذكر دون أخيهما حبيب لانهما كانا أشرف وأعظم منه أو لانهما كانا المجيبين له صلى الله عليه وسلم بالقبيح دون حبيب الا ان ثبت أن فى آباء هؤلاء الثلاثة شخصا يقال له عبد ياليل وعبد كلال وحينئذ يكون المراد هؤلاء الثلاثة لان ابن مفرد مضاف ثم رأيته فى النور ذكر ما يفيد أن لفظ ابن ثابت فى الصحيح والذى فى كلام ابن

اسحق وأبى عبيد وغيرهما اسقاطه ثم رأيت الشمس الشامى قال الذى ذكره أهل المغازى ان الذى كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه لا ابنه وعند أهل السير أن عبد كلال أخوه لا أبوه اى ابو أبيه كما لا يخفى فلم يجبنى الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب اى ويقال له قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد الحجاز أو اليمن بينه وبين مكة يوم وليلة وفى لفظ وهو موضع على ليلة من مكة وراء قرن بسكون الراء ووهم الجوهرى فى تحريكها وفى قوله ان أويسا القرنى منسوب اليه وانما هو منسوب الى قرن قبيلة من مراد كما ثبت فى مسلم فرفعت رأسى فاذا أنا بالسحابة قد أظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فنادى فقال قد سمع قول قومك لك اى أهل ثقيف كما هو المتبادر وما ردوا عليك به وقد بعث اليك ملك الجبال فتأمره بما شئت فيهم فناداه صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وسلم عليه وقال له ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين فعلت اى وهما جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى فمن الاولى قوله وهما أبو قبيس وقعيقعان وقيل الجبل الاحمر الذى يقابل أبا قبيس المشرف على قعيقعان ومن الثانية الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد وفيه أن ثقيفا ليسوا بينهما بل الجبلان خارجان عنهم فكيف يطبقهما عليهم وفى لفظ ان شئت خسفت بهم الارض أو دمدمت عليهم الجبال اى التى بتلك الناحية ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال المراد بقوم عائشة فى قوله لقد لقيت من قومك قريش اى لا أهل الطائف الذين هم ثقيف لانهم كانوا هم السبب الحامل على ذهابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ولان ثقيفا ليسوا قوم عائشة رضى الله تعالى عنها وعليه فلا اشكال و يوافقه قول الهدى فأرسل ربه تبارك وتعالى اليه صلى الله عليه وسلم ملك الجبال يستأمره ان يطبق على أهل مكة الاخشبين وهما جبلاها التى هى بينهما وعبارة الهدى فى محل آخر وفى طريقه صلى الله عليه وسلم أرسل الله تعالى اليه ملك الجبال فأمره بطاعته صلى الله عليه وسلم وان يطبق على قومه أخشبى مكة وهما جبلاها ان أراد هذا كلامه ولا يخفى ان هذا خلاف السياق اذ قوله وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى الى آخره وقول جبريل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك به ظاهر فى أن المراد بهم ثقيف لا قريش و يوافق هذا الظاهر قول ابن الشحنة فى شرح منظومة جده بعد أن ساق دعاءه صلى الله عليه وسلم المتقدم بعضه فارسل الله عز وجل جبريل ومعه ملك الجبال فقال ان شئت أطبقت عليهم الاخشبين وحينئذ يكون المراد اطباقهما عليهم بعد نقلهما من محلهما الى محل ثقيف الذى هو الطائف لان القدرة صالحة وعند قول ملك الجبال له ما ذكر قال النبى صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله تعالى وفى رواية استأنى بهم لعل الله ان يخرج من أصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيأ وعند ذلك قال له ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤف رحيم قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسم ملك الجبال والى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم أشار صاحب الهمزية بقوله

رواية ان اليهود لما سمعوا الصحابة رضى الله عنهم يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيأ يا رسول الله راعنا أى انظرنا وتأن علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتساب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون بذلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود وقال لهم يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده ان سمعتها من رجل منكم ٣٨٠ يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا له ألستم تقولونها أنتم فنزلت وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود باطفالهم فقالوا له يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذى نحلف به ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية وجاء ان جماعة من أحبار اليهود منهم ابن صوريا قبل ان يسلم على ما تقدم وشاس بن قيس وكعب ابن أسيد اجتمعوا وقالوا انبعث الى محمد لعلنا نفتنه فى دينه فجاؤا اليه فقالوا يا محمد قد عرفت انا أحبار اليهود وأشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم فنؤمن بك فأبى ذلك وأنزل الله تعالى وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم الآية (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما قال كان رجل من اليهود من التجار وفى رواية من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال أخزى الله الكاذب وفى رواية أحرق الله الكاذب فدخلت خادمته بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت واحترق هو وأهله ولما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال حيى بن أخطب يستقرض منا ربنا وانما يستقرض الفقير الغنى جهلت فأنزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وقيل فى سبب نزولها ان أبا بكر رضى الله عنه دخل بيت المدراس فقال لفنحاص بن عازوراء اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله فقال يا أبا بكر ما لنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب أبو بكر رضى الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لولا العهد الذى بيننا و بينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص الى رسول

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

أى جهلت قومه صلى الله عليه وسلم عليه فآذوه أذية لا تطاق فاغضى عنهم حلما وأخو الحلم أى وصاحب عدم الانتقام شأنه التغافل فان علمه وسع علوم العالمين ووسع حلمه حلمهم فهو واسع العلم والحلم لم تعيه الاعباء أى لم تتعبه الاثقال لكن تقييده بقومه السياق يدل على ان المراد به ثقيف وقد علمت ما فيه فليتأمل وعند منصرفه صلى الله عليه وسلم المذكور من الطائف نزل نخلة وهى محلة بين مكة والطائف فمر به نفر سبعة وقيل تسعة من جن نصيبين أى وهى مدينة بالشام وقيل باليمن أثنى عليها صلى الله عليه وسلم بقوله رفعت الى نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله تعالى ان يعذب نهرها و ينضر شجرها و يكثر مطرها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل أى وسطه يصلى (وفى رواية) يصلى صلاة الفجر وفى رواية هبطوا على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلعله كان يقرأ فى الصلاة والمراد بصلاة الفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس ولعله صلاهما عقب الفجر وذلك ملحق بالليل وفى قوله جوف الليل تجوز من الراوى أو صلى صلاتين صلاة فى جوف الليل وصلاة بعد الفجر وقرأ فيهما أو جمع بين القراءة والصلاة وأن الجن استمعوا القراءتين واطلاق صلاة الفجر على الركعتين المذكورتين سائغ وبهذا يندفع قول بعضهم صلاة الفجر لم تكن وجبت وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الجن وفيه اى فى الصحيحين أن سورة الجن انما نزلت بعد استماعهم وقد يقال سيأتى ما يعلم منه أنه ليس المراد بالاستماع الاستماع المذكور هنا بل استماع سابق على ذلك وهو المذكور فى رواية ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الآتية ورواية صلاة الفجر هنا ذكرها الكشاف كالفخر والا فالروايات التى وقفت عليها فيها الاقتصار على صلاة الليل وصلاة الفجر كانت فى ابتداء البعث فى بطن نخلة عند ذهابه وأصحابه الى سوق عكاظ كما سيأتى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فآمنوا به وكانوا يهود لقولهم انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى الا أن يكون ذلك بناء على أن شريعة عيسى مقررة لشريعة موسى لا ناسخة لها ولا يخفى أنهم غابوا ما نزل من الكتاب على ما لم ينزل لانهم لم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا قال وأنكر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اجتماع النبى صلى الله عليه وسلم بالجن أى بأحد منهم ففى الصحيحين عنه قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ اى وكان بين الطائف ونخلة كان لثقيف وقيس عيلان كما تقدم وقد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب ففزعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا قد حيل بيننا و بين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شئ قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمن النفر جماعة أخذوا نحو تهامة فاذا هم بالنبى صلى الله عليه وسلم

الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أبو بكر رضى الله عنه ما كان منه فأنكر قوله ذلك فنزل لقد سمع الله الآية وقيل فى سبب نزولها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله عنه الى فنحاص بن عازوراء بكتاب وكان قد انفرد بالعلم والسيادة على يهود بنى قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه يأمرهم فى ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرأ فنحاص الكتاب قال قد احتاج ربكم سنمده (وفى رواية) ٣٨١ قال يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان حقا ما تقول فان الله اذا لفقير ونحن أغنياء فضرب أبو بكر رضى الله عنه وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت ان اضربه بالسيف وما منعنى ان أضربه بالسيف الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الى الكتاب قال لا تفتت على بشئ حتى ترجع لى فجاء فنحاص الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا أبا بكر رضى الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله انه قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم أغنياء فغضبت لله تعالى قال فنحاص والله ما قلت هذا فنزلت الآية تصديقا لابى بكر رضى الله عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا ان الله فقير ونحن أغنياء لانه استقرض أموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها للفقراء ثم يكافئ عليها فهو الغنى الحميد وقد انضم الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا انهم دخلوا فى دين الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع اليهود فى السر وفى الظاهر مع المسلمين وهؤلاء هم المنافقون وقد ذكر بعضهم ان المنافقين الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثلثمائة منهم الجلاس بن سويد بن الصامت وانه قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضى الله عنه من جلاس وكان عمير يتيما فى حجره ولا مال له وكان جلاس يكفله ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه ثم قال ائن كان ما يقوله محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لاحب الناس الى وأحسنهم عندى يدا ولقد قلت مقالة ائن

رغمتم اعليك لافتضحنك ولئن صمت عليها اى امسكت عنها ليهلكن على ديني ولاحدهما أيسر على من الاخرى فمشى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جلاس فحلف بالله لقد كذب على عمير وماقلت
ماقال فقال عمير بن سعد لقد قلت فتب الى الله ولولا ان ينزل القرآن فيجعلني معك ماقلته وجاء انه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس
عند المنبر فحلف له ماقال واستحلف الراوى عنه فحلف لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق

وهو بنخلة عامدا الى سوق عكاظ يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا
هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى
الى الرشد فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحى الى أى قل أخبرت بالوحى من
الله تعالى أنه استمع لقراءتى نفر من الجن أى جن نصيبين (أقول) تقدم ان اطلاق الفجر على
الركعتين اللتين كان يصليهما قبل طلوع الشمس سائغ فان ذلك باعتبار الزمان لا لكونهما
احدى الخمس المفترضة ليلة الاسراء وقوله باصحابه يجوز أن تكون الباء بمعنى مع ويجوز أن
يكون صلى بهم اماما لان الجماعة فى ذلك جائزة ولا يخفى أن هذه القصة التى تضمنتها رواية ابن
عباس غير قصة انصرافه صلى الله عليه وسلم من الطائف يدل لذلك قوله انطلق فى طائفة من
أصحابه عامدين الى سوق عكاظ لانه فى تلك القصة التى هى قصة الطائف كان وحده أو معه
مولاه زيد بن حارثة على ماتقدم وكان مجيئه صلى الله عليه وسلم من الطائف قاصدا مكة وفى
هذه كان ذهابه من مكة قاصدا سوق عكاظ وأنه قرأ فى تلك اى مجيئه من الطائف سورة الجن
وفى هذه قرأ غيرها ثم نزلت تلك السورة وان هذه القصة التى تضمنتها رواية ابن عباس سابقة
على تلك لان قصة ابن عباس كانت فى ابتداء الوحى لان الحيلولة بين الجن وبين خبر السماء
بالشهب كانت فى ذلك الوقت وتلك كانت بعد ذلك بسنين عديدة وسياق كل من القصتين يدل
على أنه لم يجتمع الجن به صلى الله عليه وسلم ولا قرأ عليهم وانما استمعوا قراءته من غير أن يشعر
بهم وقد صرح به ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى هذه وصرح به الحافظ الدمياطى فى تلك
حيث قال فى سيرته فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعا الى مكة ونزل نخلة قام
يصلى من الليل فصرف اليه نفر من الجن سبعة من أهل نصيبين فاستمعوا له صلى الله عليه وسلم
وهو يقرأ سورة الجن ولم يشعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن هذا كلامه ونزول ماذكر كان بعد انصرافهم فقد قال ابن اسحق
فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا به وأجابوا الى ماسمعوا فقص الله تعالى
خبرهم على النبى صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم مافى سفر السعادة ولما وصل صلى الله عليه
وسلم فى رجوعه الى نخلة جاءه الجن وعرضوا اسلامهم عليه وكذا يعلم مافى المواهب من قوله
ولما انصرف صلى الله عليه وسلم عن أهل الطائف ونزل نخلة صرف اليه سبعة من جن نصيبين
الى أن قال وفى الصحيح أن الذى آذنه صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وأنهم سألوه
الزاد فقال كل عظم الى آخره لان سؤالهم له صلى الله عليه وسلم الزاد فرع اجتماعهم وقد
ذكر هو أنهم لم يؤذنه صلى الله عليه وسلم بهم الا الشجرة هناك وعلى جواز أن الشجرة آذنته
بهم قبل انصرافهم أى أعلمته بوجودهم وأن ذلك كان سببا لاجتماعهم به صلى الله عليه وسلم
وأن دعوى ذلك لا ينافى أنه صلى الله عليه وسلم لم يشعر باستماعهم للقرآن الا بما نزل عليه من
القرآن فسؤالهم له صلى الله عليه وسلم الزاد كان فى قصة أخرى غير هاتين القصتين كانت بمكة

فقال النبى صلى الله عليه وسلم
آمين فنزل يحلفون بالله ماقالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر الى قوله
فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف
الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله
عليه وسلم توبته وحسنت توبته
ولم ينزع عن خير كان يفعله مع عمير
فكان ذلك مما عرف به حسن
توبته رضى الله عنه وقال صلى
الله عليه وسلم لعمير لقد وفت اذنك
ومنهم نبتل بن الحرث قال النبى
صلى الله عليه وسلم من أحب
أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى
نبتل بن الحرث كان يجلس اليه
صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه
الى المنافقين وهو الذى قال
لهم انما محمد أذن من حدثه بشئ
صدقه فانزل الله تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبى ويقولون هو اذن
قل اذن خير لكم الآية وجاء
جبريل الى النبى صلى الله عليه
وسلم فقال له يجلس معك رجل
صفته كذا ينقل الحديث الذى
تحدث به كبده أغلظ من كبد الحمار
(وفى رواية) ينقل حديثك
للمنافقين ومنهم عبد الله بن أبى بن
سلول وهو رأس المنافقين
ولاشتهاره بالنفاق لم يعد فى الصحابة
وكان من أعظم أشراف أهل
المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله
عليه وسلم قد نظموا له الخرز
ليتوجوه ثم يملكوه لان الانصار من آل قحطان ولم يتوج من العرب الا قحطان ولم يبق من الخرز الذى يتوج به الا خرزة سياتى
واحدة كانت عند سمعون اليهودى وقد جاء فى بعض الروايات فى حكاية انتقاله صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة انه عرج على عبد
الله بن أبى بن سلول يريد النزول عنده تألفا له وكان عبد الله جالسا محتبيا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم يريد النزول عنده قال
اذهب الى الذين دعوك وأنزل عليهم فقال له سعد بن عبادة يارسول الله لا تجد فى نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن

تملكه فلما رد بالحق الذى أعطاك الله شرق فذلك الذى فعل به مارأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع له فى بعض الايام انه
صلى الله عليه وسلم قيل له يارسول الله لو أتيت عبد الله بن أبى ابن سلول أى متألفا له ليكون ذلك سبب الاسلام من تخلف من قومه
وليزول ماعنده من النفاق فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبى صلى الله عليه
وسلم قال له اليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب

سيأتى الكلام عليها ثم رأيت عن ابن جرير انه تبين من الاحاديث ان الجن سمعوا قراءة النبى
صلى الله عليه وسلم بنخلة وأسلموا فارسلهم صلى الله عليه وسلم الى قومهم منذرين اذ لا جائز ان
يكون ذلك فى أول البعث لمخالفته لما تقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وحينئذ يؤيد
الاحتمال الثانى الذى ذكرناه من أنه يجوز انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم بعد أن آذنته بهم
الشجرة وقوله فأرسلهم الى قومهم منذرين لم أقف فى شئ من الروايات على ماهو صريح فى
ذلك أى ان ارساله لهم كان من نخلة عند رجوعه من الطائف ولعل قائله فهم ذلك من قوله
تعالى ولوا الى قومهم منذرين وغاية مارأيت أن ابن جرير والطبرانى رويا عن ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما أن الجن الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة كانوا تسعة نفر من أهل
نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وهذا ليس صريحا فى أنه صلى الله
عليه وسلم كان عند رجوعه من الطائف لا يقال يعنى ذلك انكار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالجن المرة الاولى التى كانت عند البعث لاحتمال أنه صلى الله عليه
وسلم كان فى بطن نخلة فى مرة أخرى ثالثة ثم رأيت فى النور مايخالف ماتقدم عن ابن عباس
من قوله انه لم يجتمع صلى الله عليه وسلم بهم بالجن حين خروجه الى سوق عكاظ حيث قال الذى
فى الصحيح وغيره انه اجتمع بهم وهو خارج من مكة الى سوق عكاظ ومعه أصحابه فليتأمل قال
وذكر أنه صلى الله عليه وسلم أقام بنخلة أياما بعد ان أقام بالطائف عشرة أيام وشهرا لا يدع أحدا
من أشرافهم أى زيادة على عبد ياليل وأخويه الاجاء اليه وكلمه فلم يجبه أحد فلما أراد الدخول
الى مكة قال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم يعنى قريشا وهم قد أخرجوك أى كانوا سببا
لخروجك وخرجت تستنصر فلم تنصر فقال يازيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله ناصر
دينه ومظهر نبيه فصار صلى الله عليه وسلم الى حراء ثم بعث الى الاخنس بن شريق رضى
الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك ليجيره أى ليدخل صلى الله عليه وسلم مكة فى جواره فقال أنا
حليف والحليف لا يجير أى فى قاعدة العرب وطريقتهم واصطلاحهم فبعث صلى الله عليه وسلم
الى سهيل بن عمرو رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا فقال ان بنى عامر لا تجير على
بنى كعب وفيه أنه لو كان كذلك لما سألهما صلى الله عليه وسلم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يكن
يعرف هذا الاصطلاح بعيد الا أن يقال جوز صلى الله عليه وسلم مخالفة هذه الطريقة فبعث
صلى الله عليه وسلم الى المطعم بن عدى اى وقد مات كافرا قبل بدر بنحو سبعة أشهر يقول له
انى داخل مكة فى جوارك فاجابه الى ذلك وقال له قل له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه وسلم
فأخبره فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم تسلح المطعم بن عدى وأهل بيته وخرجوا
حتى أتوا المسجد فقام المطعم بن عدى على راحلته فنادى يامعشر قريش انى قد أجرت محمدا فلا
يؤذه أحد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله اى والمطعم بن

ريحا منك فغضب لعبد الله رجل
من قومه فشتمه فغضب لكل
واحد منهما أصحابه فكان بينهما
ضرب بالجريد والايدى والنعال
فنزل وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا فأصلحوا بينهما كذا فى
البخارى وفيه أيضا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر على عبد
الله بن أبى ابن سلول فى جماعة
فقال لقد آذانا ابن أبى كبشة فى
هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله
رضى الله عنه فاستأذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه
برأسه فقال صلى الله عليه وسلم
لا ولكن بر أباك وكان عبد الله بن
أبى جميل الصورة ممتلئ الجسم
فصيح اللسان وهو المعنى بقوله
تعالى واذا رأيتهم تعجبك
أجسامهم الآية وعن الزهرى
قال أخبرنى عروة عن اسامة بن
زيد رضى الله عنهما أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا
على أكاف وأردف اسامة خلفه
يعود سعد بن عبادة رضى الله عنه فى
بنى الحرث من الخزرج قبل وقعة
بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله
ابن أبى ابن سلول وذلك قبل أن
يسلم فاذا فى المجلس أخلاط من
المسلمين والمشركين عبدة الاوثان
واليهود وفى المسلمين عبد الله بن
رواحة رضى الله عنه فثار غبار من
مشى الحمار فخمر ابن أبى وجهه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل ودعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم
القرآن فقال ابن أبى أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه
فقال عبد الله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا به فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتبادرون القتال فلم
يزل صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضى الله عنه فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يعني عبد الله بن أبي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل الله عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذي أعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن أبي هذا رأس المنافقين وأبي أبوه وسلول أمه وقيل جدته ٣٨٤ أم أبيه ومن نفاقه ما أخرجه الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت

واذا لقوا الذين آمنوا الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبي انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه وقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي رضي الله عنه اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا أبا الحسن أتقول لي هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت الآية واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم الى آخر الآيات التي في المنافقين كلها فيه وفي أصحابه وهو الذي قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز يعني نفسه وأصحابه منها الاذل يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وستأتي القصة ان شاء الله تعالى وبالجملة فقد لاقى صلى الله عليه وسلم من شدة الاذى الصادر من المنافقين واليهود بالمدينة شيأ كثيرا ولكنه بالنسبة لاذى أهل مكة كالعدم فانه كان بالمدينة في غاية العزة والمنعة والقوة من أول يوم وأذى اليهود غايته بالمجادلة والتعنت في السؤال كما قال تعالى لن يضروكم الا أذى وكان كما

عدي وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم قال وذكر أنه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مطعم وقد لبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة أو سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم وأقبل أبو سفيان على المطعم فقال أمجير أم تابع فقال بل مجير فقال اذن لا تخفر أي لا تزال خفارتك أي جوارك قد أجرنا من أجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه اه أي ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في أمان كافر لان حكمة الحكيم القادر قد تخفى وهذا السياق يدل على ان قريشا كانوا أزمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهله أي ولهذا المعروف الذي فعله المطعم قال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له (ورأيت) في أسد الغابة ان جبيرا ولد المطعم رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بين الحديبية والفتح وقيل يوم الفتح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو كافر فسأله في أسارى بدر فقال لو كان الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه فيهم كما سيأتي أي لانه فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى في نقض الصحيفة كما تقدم قال وعن كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه لما انصرف النفر السبعة من أهل نصيبين من بطن نخلة جاؤا قومهم منذرين ثم جاؤا مع قومهم وافدين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وهم ثلثمائة فانتهوا الى الحجون فجاء واحد من أولئك النفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان قومنا قد حضروا بالحجون يلقونك فوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من الليل بالحجون اه وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أمرت ان أقرأ على اخوانكم من الجن فليقم معي رجل منكم ولا يقم رجل في قلبه مثقال حبة خردل من كبر فقمت معه أي بعد ان كرر ذلك ثلاثا ولم يجبه أحد منهم واعلهم فهموا أن من الكبر ما ليس منه وهو محبة الترفع في نحو الملبس الذي لا يكاد يخلو منه أحد وقد بين صلى الله عليه وسلم الكبر في الحديث ببطر الحق وغمص الناس أي استصغارهم وعدم رؤيتهم شيأ بعد ان قالوا له يا رسول الله ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمط الناس بالطاء المهملة كما في رواية أبي داود وجاء لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان قال الخطابي المراد بالكبر هنا أي في هذه الرواية كبر الكفر لانه قابله بالايمان قال ابن مسعود وذهب صلى الله عليه وسلم في بعض نواحي مكة أي باعلاها بالحجون فلما برز خط لي خطا أي برجله وقال لا تخرج فانك ان خرجت لم ترني ولم أرك الى يوم القيامة (وفي رواية) لا تحدثن شيأ حتى آتيك لا يروعنك أي لا يخوفنك ويفزعنك ولا يهولنك أي لا يعظم عليك شيء تراه ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجال سود كأنهم رجال الزط وهم طائفة من السودان الواحد منهم زطي وكانوا

جبريل يأتيه بغالب الاجوبة لاسئلتهم ومع ذلك صبر في أول قدومه على شيء يسير من أذى اليهود والمنافقين ثم لما قويت شوكة الاسلام واشتد الجناح أذن له صلى الله عليه وسلم بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية غالبها مكية كلها يأمره فيها هو ومن معه بالصبر على الاذى ثم أنجز الله له وعده عملا بقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ﴿باب مغازيه صلى الله عليه وسلم﴾ وأذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة ٣٨٥ قال الزهري أول آية نزلت في الاذن بالقتال قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أخرجه النسائي باسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها وأخرج الامام أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر رضي الله عنه أخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما فهي أول آية نزلت في القتال وقيل قوله تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقيل أول آية نزلت فيه ان الله اشترى من المؤمنين الآية كان الصحابة رضي الله عنهم يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأذن له بالقتال وحكمة تأخير الاذن بالقتال أنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا فلو أمر الله المسلمين وهم قليل بالقتال لشق عليهم فلما بغى المشركون وأخرجوه عليه السلام من بين أظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه المهاجرون والانصار وقاموا بنصره وصارت المدينة دار اسلام ومعقلا يلجؤن اليه شرع الله ٤٩ سيره أول جهاد لاعداء فبعث عليه السلام البعوث والسرايا وغزا بنفسه وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحاتهم غالبا أن يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة وما لم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه الى العدو سرية وبعثا وخرج بقولهم غالبا غير الغالب فانهم قد يسمون بعض السرايا غزوة كقولهم غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل واستمر صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يقاتلون حتى دخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا وبعد الفتح من اقطار الارض طائعين وكان عدد

كما قال الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا أي لازدحامهم لبدا أي كاللبد في ركوب بعضهم بعضا حرصا على سماع القرآن منه صلى الله عليه وسلم فأردت ان أقوم فأذب عنه فذكرت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت ثم انهم تفرقوا عنه صلى الله عليه وسلم فسمعتهم يقولون يا رسول الله ان شقتنا أي أرضنا التي نذهب اليها بعيدة ونحن منطلقون فزودنا أي لانفسنا ودوابنا ولعله كان نفد زادهم وزاد دوابهم فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدكم أوفر ما كان لحما رواه مسلم (وفي رواية) الا وجد عليه لحمه الذي كان عليه يوم أكل وكل بعر علف دوابكم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انهم لما سألوه صلى الله عليه وسلم الزاد قال لهم لكم كل عظم عراق ولكم كل روثة خضرة والعراق بضم العين وفتح الراء جمع عرق بفتح العين وسكون الراء العظم الذي أخذ عنه اللحم وقيل الذي أخذ عنه معظم اللحم قلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم أي عن أنفسهم وعن دوابهم بدليل قوله فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثه الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت (وفي رواية) وجدوه أي الروث والبعر شعيرا فهذه الرواية تدل على ان الروثة مطعوم دوابهم ويوافقه ما جاء أن الشعير يعود خضر الدوابهم ويحتاج للجمع بين كون الروث كالبعر يعود حبا يوم أكل وبين كونه يعود شعيرا وبين كونه يعود خضرا اهذا (وفي رواية) لابي نعيم ان الروث يعود لهم تمرا وهي تدل على ان الروث من مطعومهم ويحتاج الى الجمع وجمع ابن حجر الهيتمي بأن الروث يكون تارة علفا لدوابهم وتارة يكون طعاما لهم أنفسهم أي وفي لفظ سألوني المتاع فمتعتهم كل عظم حائل وكل روثة وبعرة والحائل البالي بمرور الزمن لانه لم يخرج بذلك عن كونه مطعوما لهم كما لم يخرج بذلك عن كونه مطعوما لهم لو حرق وصار فحما ولعل الغرض من ذكر الحائل الاشارة الى ان زادهم العظم ولو كان حائلا لا أنه لم يعتهم الا الحائل وقوله الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل يدل على ان المراد عظم المذكاة وبدليل ذكر اسم الله تعالى عليه فلا يأكلون ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من عظم أي وكذا من طعام الانس سرقة كما جاء في بعض الاخبار هذا ولكن في رواية أبي داود كل عظم لم يذكر اسم الله تعالى عليه قال السهيلي وأكثر الاحاديث تدل على معنى رواية أبي داود وقال بعض العلماء رواية ذكر اسم الله عليه في الجن المؤمنين ورواية لم يذكر اسم الله تعالى عليه في حق الشياطين منهم وهذا قول صحيح يعضده الاحاديث هذا كلامه أي التي من تلك الاحاديث ان ابليس قال يا رب ليس أحد من خلقك الا وقد جعلت له رزقا ومعيشة فما رزقي قال كل ما لم يذكر عليه اسمي ومعلوم ان ابليس أبو الجن وان ما لم يذكر اسم الله عليه يشمل عظم الميتة ومقابلة الشياطين بالمؤمنين تدل على ان المراد بهم فسقتهم لا الكفار منهم لان في كون الكفار من الجن اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين وان كانوا من الفريقين سأله الزاد وانه خاطب كلا بما يليق به فيه بعد لا سيما مع ما تقدم عن ابن مسعود وما يأتي من قوله اخوانكم من الجن ومن ثم قال بعضهم ان السائلين له صلى الله عليه وسلم الزاد كانوا مسلمين فيتأمل

ولما ذكر صلى الله عليه وسلم لهم العظم والروث قالوا يا رسول الله ان الناس يقذرونهما علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجي بالعظم أو بروثة بقوله فلا يستنقين أحدكم اذا خرج من الخلاء بعظم ولا ببعرة ولا روثة لانه زاد اخوانكم من الجن (وفى رواية) فلو اله صلى الله عليه وسلم انه أمتك عن الاستنجاء بهما فان الله تعالى قد جعل لنا فيهما رزقا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالعظم والبعر أى وحرمة نحو البول أو التغوط عليهما تعلم من ذلك بالاولى ومنه يعلم ان مرادهم بالتقذير التنجيس لا ما يشمل التقذير بالطاهر كالبصاق والمخاط

* وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشى اذ جاءت حية فقامت الى جنبه صلى الله عليه وسلم وأدنت فاها من أذنه وكأنها تناجيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت قال جابر فسألته فأخبرنى انه رجل من الجن وانه قال له مر أمتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة أى العظم لان الله تعالى جعل لنا فى ذلك رزقا ولعل هذا الرجل من الجن لم يبلغه انه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ولا يخفى ان سؤال الزاد يقتضى ان ذلك لم يكن زادهم وزادوا بهم قبل ذلك وحينئذ يسئل ما كان زادهم قبل ذلك وقد يقال هو كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام الآدميين وحينئذ يكون ما تقدم فى خبر ابليس المراد به ما لم يذكر اسم الله عليه غير العظام فليتأمل والنهى عن الاستنجاء يدل على ان ذلك لا يختص بحالة السفر بل هو زادهم بعد ذلك دائما وأبدا وقصة جابر هذه سيأتى فى غزاة تبوك نظيرها وهو ان حية عظيمة الخلق عارضتهم فى الطريق فانحاز الناس عنها فأقبلت حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذه قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الى يستمعون القرآن قال فى المواهب وفى هذا رد على من زعم ان الجان لا تأكل ولا تشرب أى وانما يتغذون بالشم (أقول) ذكرت فى كتابى عقد المرجان فيما يتعلق بالجان ان فى أكل الجن ثلاثة أقوال قيل يأكلون بالمضغ والبلع ويشربون بالازدراد والثانى لا يأكلون ولا يشربون بل يتغذون بالشم والثالث انهم صنفان صنف يأكل ويشرب وصنف لا يأكل ولا يشرب وانما يتغذون بالشم وهو خلاصتهم والله أعلم قال ابن مسعود فلما ولوا قلت من هؤلاء قال هؤلاء جن نصيبين (وفى رواية) فتوارى عنى حتى لم أره فلما سطع الفجر أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى أراك قائما فقلت ما قعدت فقال ما عليك لو فعلت أى قعدت قلت خشيت أن أخرج منه فقال أما انك لو خرجت لم ترنى ولم أرك الى يوم القيامة (أى وفى رواية) لم آمن عليك أن يخطفك بعضهم وفيه ان الخروج لا ينشأ عن القعود حتى يخشى منه الخروج (وفى رواية) قال لى أنمت فقلت لا والله يا رسول الله ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس أى لما تراكموا عليك وسمعت منهم لغطا شديدا حتى خفت عليك الى أن سمعتك تقرعهم بعصاك وتقول اجلسوا وقال ما سبب اللغط الشديد الذى كان منهم فقال ان الجن تداعت فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فحكمت بينهم بالحق (وفى رواية) عن سعيد بن جبير انه أى ابن مسعود قال له أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك أى ولا ينافى ذلك ما جاء عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه افتتح القرآن لان المراد بالقرآن القراءة زاد ابن مسعود على ما فى بعض الروايات ثم شبك أصابعه فى أصابعى وقال انى وعدت أن تؤمن بى الجن والانس أما الانس فقد آمنت وأما الجن فقد رأيت (أقول) وفى هذا ان ابن مسعود لم يخرج من الدائرة التى اختطها له صلى الله عليه وسلم وفى السيرة الشامية ما يقتضى انه خرج منها حيث قال عن ابن مسعود فجئتهم فرأيت الرجال ينحدرون عليه صلى الله عليه وسلم من الجبال فازدحموا عليه الى آخره فليتأمل فعلم ان هذه القصة بعد كل من قصة ابن عباس وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف فان قصة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت فى أول البعث وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف بعدها بمدة مديدة كما علمت وهذه القصة كانت بعدهما بمكة والله أعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود هل معك وضوء أى ماء نتوضأ به قلت لا فقال ما هذه الاداوة أى وهى اناء من جلد قلت فيها نبيذ قال تمرة طيبة وماء طهور وصب على فصببت عليه فتوضأ وأقام الصلاة وصلى (أقول) وهو محمول عند أئمتنا معاشر الشافعية على ان الماء لم يتغير بالتمر تغيرا كثيرا يسلب اسم الماء ومن ثم قال ماء طهور وقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فيها نبيذ أى منبوذ الذى هو التمر وسماه نبيذا باعتبار الاول على حد قوله تعالى انى أرانى أعصر خمرا وهذا بناء على فرض صحة الحديث والا فقد قال بعضهم حديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين وفى كلام الشيخ محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه الذى أقول به منع التطهر بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروى فيه ولو أن الحديث صح لم يكن نصا فى الوضوء به فانه صلى الله عليه وسلم قال تمرة طيبة وماء طهور أى قابل الامتزاج والتغير عن وصف الماء وذلك لان الله تعالى ما شرع الطهارة عند فقد الماء الا بالتيمم بالتراب خاصة قال ومن شرف الانسان ان الله تعالى جعل له التطهر بالتراب وقد خلقه الله من تراب وأمره بالتطهر أيضا به تشريفا له وعند أحمد ومسلم والترمذى عن علقمة قلت لابن مسعود هل صحب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد فقال ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا استطير أو اغتيل وطلبناه فلم نجده فبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل الحجون (وفى لفظ) من قبل حراء فقلنا يا رسول الله انا فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة فقال انه أتانى داعى الجن فذهبت معهم وقرأت عليهم القرآن فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وهذه القصة يجوز أن تكون هى المنقولة عن كعب الاحبار المتقدم ذكرها وهى سابقة على القصة التى كان فيها ابن مسعود ويجوز أن تكون غيرها وهى المرادة بقول عكرمة انهم كانوا اثنى عشر ألفا جاؤا من جزيرة الموصل لان المتقدم فى تلك عن كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه انهم كانوا ثلثمائة من جن

مغازيه التى غزا فيها بنفسه تسع وعشرون وهى غزوة ودان غزوة بواط غزوة العشيرة غزوة سفوان وتسمى غزوة بدر الاولى غزوة بدر الكبرى غزوة بنى سليم غزوة بنى قينقاع غزوة السويق غزوة قرقرة الكدر غزوة غطفان وهى غزوة ذى أمر غزوة بحران بالحجاز غزوة أحد غزوة حمراء الاسد غزوة بنى النضير غزوة ذات الرقاع وهى غزوة محارب وبنى ثعلبة غزوة بدر الاخيرة وهى غزوة بدر الموعد غزوة دومة الجندل غزوة بنى المصطلق ٣٨٦ ويقال لها المريسيع غزوة الخندق غزوة بنى قريظة غزوة بنى لحيان غزوة الحديبية غزوة ذى قرد بضمتين غزوة خيبر غزوة وادى القرى غزوة عمرة القضا غزوة فتح مكة غزوة حنين والطائف غزوة تبوك وأما سراياه التى بعث فيها أصحابه فسبع وأربعون سرية وقيل تزيد على سبعين سرية وستأتى كلها مفصلة ان شاء الله تعالى قال العلامة الحلبى فى السيرة لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة بمكة ينذر بالدعوة من غير قتال صابرا على شدة أذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولاصحابه لامر الله له بذلك أى بالانذار والصبر على الاذى والكف بقوله تعالى واعرض عنهم وبقوله واصبر ووعده بالنصر والفتح ولما كثرت أتباعه صلى الله عليه وسلم وكانوا يقدمون محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب اذن له فى القتال وقد ذكروا فى سبب نزول قوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم عبد الرحمن ابن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبى وقاص كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة فقالوا يا رسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة أذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا أيديكم عنهم فانى لم أومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمر بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه فأنزل الله ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية وكانت الصحابة رضى الله عنهم بمكة وبعد أن هاجروا وقبل ان يؤذن لهم بالقتال فى غاية من الحذر لان العرب رمتهم قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب حتى انهم اعنى المسلمين كانوا لا يبيتون الا فى السلاح ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز وجل فأنزل الله عليهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ثم أذن فى القتال أى أبيح الابتداء به حتى ان لم يقاتل لكن فى غير الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا ٣٨٧ المشركين حيث وجدتموهم الآية ثم أمر به مطلقا بقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة ثم استقر أمر الكفار معه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام القسم الاول محاربون وهم الكفار المحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية فى كل عام مرة والقسم الثانى أهل عهدوهم المؤمنون من غير عقد الجزية بأن صالحهم على ان لا يحاربوا ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم والقسم الثالث أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية وزاد بعضهم من دخل فى الاسلام تقية وهم المنافقون فانه أمر ان يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى فكان معرضا عنهم الا فيما يتعلق بشرائع الاسلام وأول ما ابتدأ به صلى الله عليه وسلم التعرض لعير قريش لاخذ ما فيها ليكون ذلك سببا لافتتاح القتال ولتقوى قلوب أصحابه على القتال شيأ فشيأ وينتفعوا بما يحصل لهم من الغنائم التى يغنمونها من تلك العير فيستعينوا بها فكان أول بعوثه وسراياه صلى الله عليه وسلم ان بعث عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وكان فى رمضان وقيل فى ربيع الاول فى السنة الثانية من الهجرة وأمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين فخرجوا يعترضون عيرا لقريش جاءت من الشأم تريد مكة أى يتعرضون لها ليغنموها من مقصدها باستيلائهم عليها وكان فيها أبو جهل لعنه الله فى ثلثمائة راكب وقيل فى ثلاثين ومائة فلما بلغوا ساحل البحر من ناحية العيص التقوا وتصافوا للقتال ثم حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان مصالحا للفريقين فانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم قتال وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى مجدى هذا انه ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر ولما قدم رهط مجدى هذا على النبى صلى الله

عليه وسلم كساهم ومجدى لم يعلم له اسلام ولم يذكره أحد في الصحابة مع انه شفى في هذا الصلح المبارك وكان المسلمون فيه قليلين والكفار كثيرون وهو أول التقاء وقع بينهم ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم معهم فلو علم ان المسلمين لم يثبتوا للكفار لكثرتهم عليهم فكان في هذا الصلح ستر الحال وبقاء الشوكة لأهل الاسلام فلهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في مجدى انه ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر وعما بعث النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السرية المهاجرين ولم يبعث معهم أحدا من الانصار بل أبقاهم حتى غزا بهم بدرا وهو معهم لانهم شرطوا له ان يمنعوه في دارهم ولم يذكر لهم وقت البيعة انهم يخرجون من دارهم حتى جاء الامر معهم بالتدريج ورضوا به وطابت به نفوسهم فقاتلوا معه خارج المدينة وقيل كان في هذه السرية جماعة من الانصار والله أعلم ﴿سرية عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف المستشهد ببدر كما سيأتي ان شاء الله﴾ وكانت الى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة في ستين رجلا وقيل في ثمانين رجلا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار يلقى أبا سفيان بن حرب وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وقيل مكرز بن حفص العامري اختلف في صحبته وقيل عكرمة ابن أبي جهل وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكانوا في مائتي رجل فلما التقوا لم يقع بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رمى بسهم فكان أول سهم رمى به في الاسلام وقيل انه نثر كنانته وتقدم امام أصحابه فرمى بما في كنانته وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين قوة وشوكة وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر من الهجرة في رمضان وبعث عبيدة على رأس ثمانية أشهر في شوال وقيل انه صلى الله عليه وسلم عقد رايتهما معا ثم تأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية لامر اقتضاه والله أعلم * ثم (سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) * وكانت الى الخرار بخاء معجمة وراءين الاولى منهما مشددة مفتوحة وهو واد في الحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة

نصيبين وحينئذ يحتمل ان تكون هذه القصة سابقة على القصة التي كان بها ابن مسعود ويحتمل ان تكون متأخرة عنها وعلى ذلك يكون اجتماع الجن به صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث مرات مرة كان فيها معه ابن مسعود ومرتين لم يكن معه ابن مسعود فيهما قال في الاصل ويكفي في أمر الجن ما في سورة الرحمن وسورة قل أوحى الي وسورة الاحقاف (أقول) فعلم ان الجن سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم ولم يجتمعوا به ولا شعر بهم في المرة الاولى وهو ذاهب من مكة الى سوق عكاظ في ابتداء البعث المتقدمة عن ابن عباس على ما تقدم ولا في المرة الثانية عند منصرفه من الطائف بنخلة على ما قدمناه فيه وعلم ان الروايات متفقة على استماعهم لقراءته صلى الله عليه وسلم في المرتين وبه يعلم ما في المواهب عن الحافظ ابن كثير ان كون الجن اجتمعوا له صلى الله عليه وسلم في نخلة عند منصرفه من الطائف فيه نظر وانما استماعهم له كان في ابتداء البعث كما يدل عليه حديث ابن عباس أي من ان ذلك كان عند ذهابه الى سوق عكاظ وعلم انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم وآمنوا به في مكة مرتين أو ثلاثة بعد ذلك والله أعلم وقد أخرج البيهقي في شعب الايمان عن قتادة انه قال لما أهبط ابليس قال أي رب قد لعنته فما عمله قال السحر قال فما قراءته قال الشعر قال فما كتابته قال الوشم قال فما طعامه قال كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه أي من طعام الانس يأخذه سرقة قال فما شرابه قال كل مسكر قال فأين مسكنه قال الحمام قال وأين مجلسه قال في الاسواق قال فما صوته قال المزمار قال فما مصايده قال النساء فالحمام محل أكثر اقامته والسوق محل تردده في بعض الاوقات والظاهر أن مثل ابليس فيما ذكر كل من لم يؤمن من الجن

﴿باب ذكر خبر الطفيل بن عمرو الدوسي واسلامه رضي الله تعالى عنه﴾

كان الطفيل بن عمرو الدوسي شريفا في قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا يا أبا الطفيل كنوه بذلك تعظيما له فانه ولو يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل أمره بنا أي اشتد وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق به بين المرء وأخيه أي وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه ۞ قال الطفيل فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أي قصدت وعزمت على أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه أي حتى حشوت في أذني حين غدوت الى المسجد كرسفا وهو بضم الكاف وسكون الراء ثم سين مهملة مضمومة ثم فاء أي قطنا فرقا أي خوفا من أن يبلغني شيء من قوله فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه ۞ فأبى الله الا ان سمع بعض قوله أي فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسي أنا ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي يأتي به حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا لي كذا وكذا حتى

سددت

أشهر في عشرين رجلا من المهاجرين يعترض عيرا لقريش فخرجوا على أقدامهم فوصلوا الخرار صبح خامسة من خروجهم من المدينة فوجدوا العير قد مرت بالامس فرجعوا ولم يلقوا كيدا وأول مغازيه التي خرج فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم غزوة ودان قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وقال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن وعن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول يا بني انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها فأول غزوة خرج فيها صلى الله عليه وسلم غزوة ودان بفتح الواو وتشديد الدال وهي قرية جامعة من أعمال الفرع وبعضهم يسميها غزوة الابواء فمنهم من أضافها الى ودان ومنهم من أضافها الى الابواء لانهما متقاربان في وادي الفرع خرج صلى الله عليه وسلم الى الابواء في صفر لاثنتي عشرة مضت منه على رأس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد عير القريش وبني ضمرة أي ويريد بني ضمرة وعبر بعضهم بقوله يريد قريشا وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة وقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم مريدا لهم بل مريدا للعير التي لقريش فقط فلما لقي بني ضمرة عقد بينه وبينهم صلحا وكان خروجه صلى الله عليه وسلم في ستين راكبا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار فلم يدرك العير التي أراد وكانت المصالحة بينه وبين بني ضمرة على انهم لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا وان لهم النصر على من رامهم بسوء وانه اذا دعاهم لنصر أجابوه وعقد ذلك معه سيدهم مخشي بن عمرو الضمري وكتب بينهم كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وان لهم النصر على من رامهم أي قصدهم بسوء بشرط ان لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم أبيض وكان مع عمه حمزة رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه وانصرف الى المدينة راجعا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وهذه أول غزواته صلى الله عليه وسلم ﴿غزوة بواط﴾ بفتح الباء وضمها

سددت أذني بكرسف حتى لا أسمع قولك فاعرض علي أمرك فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن أي قرأ عليه قل هو الله أحد الى آخرها وقل أعوذ برب الفلق الى آخرها وقل أعوذ برب الناس الى آخرها وفيه انه سيأتي أن نزول قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس كان بالمدينة عندما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يقال يجوز أن يكون ذلك مما تكرر نزوله ۞ فقال والله ما سمعت قط قولا أحسن من هذا ولا أمرا أعدل منه فأسلمت فقلت يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام فادع الله أن يكون لي عونا عليهم قال اللهم اجعل له آية فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر أي وهم النازلون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك في ليلة مظلمة ۞ وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت اللهم في غير وجهي فاني أخشى أن يظنوا انه مثلة فتحول في رأس سوطي فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلق أي ومن ثم عرف بذي النور والى ذلك أشار الامام السبكي في تائيته بقوله

وفي جبهة الدوسي ثم بسوطه * جعلت ضياء مثل شمس منيرة

قال فأتاني أبي فقلت له اليك عني يا أبت فلست مني ولست منك فقال لم يا بني قلت قد أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال أي بني ديني دينك فأسلم أي بعد ان قال له اغتسل وطهر ثيابك ففعل ثم جاء فعرض عليه الاسلام ۞ ثم أتتني صاحبتي فذكرت لها مثل ذلك أي قلت لها اليك عني فلست منك ولست مني قد أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فديني دينك فأسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فأبطؤوا علي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد غلبني دوس (وفي رواية) قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا قال زاد في رواية وأت بهم فقال الطفيل فرجعت فلم أزل بأرض قومي أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق اه فأسلموا قال فقدمت بمن أسلم من قومي عليه صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر سبعين أو ثمانين بيتا من دوس أي ومنهم أبو هريرة فأسهم لنا مع المسلمين أي مع عدم حضورهم القتال اه ﴿أقول﴾ قال في النور وفي الصحيح ما ينفي هذا وانه لم يعط أحد لم يشهد القتال الا أهل السفينة الجائين من أرض الحبشة جعفرا ومن معه أي ومنهم الاشعريون أبو موسى الاشعري وقومه فقد تقدم انهم هاجروا من اليمن الى الحبشة ثم جاؤا الى المدينة وفيه انه سيأتي انه صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه أن يشركوهم معهم في الغنيمة ففعلوا وسيأتي انه انما أعطى أهل السفينة أي والدوسيين على ما علمت من الحصنين اللذين فتحا صلحا فقد أعطاهم مما أفاء الله عليه لا من الغنيمة وسؤال أصحابه في عطائهم من المشورة العامة المأمور بها في قوله تعالى وشاورهم في الامر لا لاستنزالهم عن شيء من حقهم والله أعلم

﴿باب ذكر الاسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس﴾

وبتخفيف الواو آخره طاء جبل من جبال جهينة بقرب ينبع غزاها صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول وقيل الآخر على رأس ثلاثة
عشر شهرا من الهجرة فى مائتين من أصحابه المهاجرين يعترض عير التجار قريش عدتها ألفان وخمسمائة بعير فيها أمية بن خلف
ومائة رجل من قريش فرجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا أى حربا وكان اللواء بيد سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه واستعمل
على المدينة سعد بن معاذ رضى الله عنه ﴿غزوة العشيرة﴾ بضم العين المهملة مصغرا وبالشين أو بالسين آخره هاء بخلاف
غزوة العسرة فهى غزوة تبوك
وأما هذه فمنسوبة لموضع لبنى
مدلج بينبع خرج اليها صلى الله
عليه وسلم فى جمادى الاولى وقيل
الآخرة على رأس ستة عشر شهرا
من الهجرة فى خمسين ومائة رجل
وقيل فى مائتى رجل من المهاجرين
ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها
يريد عير قريش التى صدرت
من مكة الى الشام بالتجارة وكانت
قريش جمعت أموالها فى تلك العير
ويقال ان فيها خمسين ألف دينار
وألف بعير وكان قائد تلك العير
أبو سفيان بن حرب ومعه سبعة
وعشرون وقيل تسعة وثلاثون
رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو
ابن العاص رضى الله عنه فخرج
اليها ليغنمها فوجدها قد مضت
قبل ذلك بأيام وهى العير التى
خرج اليها حين رجعت من الشام
فكان بسببها وقعة بدر وحمل
اللواء حمزة بن عبد المطلب رضى
الله عنه واستعمل على المدينة
أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومى
رضى الله عنه وصالح صلى الله
عليه وسلم فى هذه الغزوة بنى مدلج
ابن كنانة وحلفاء بنى ضمرة قال
الواقدى ان هذه الغزوات الثلاث
كان صلى الله عليه وسلم يخرج فيها
لتلقى تجار قريش حين يمرون
الى الشأم ذهابا وايابا وبسبب
ذلك كانت وقعة بدر وكذلك السرايا التى بعثها قبل بدر ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وجعل
﴿غزوة بدر الاولى﴾ قال ابن اسحق ولما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالى حتى أغار كرز بن جابر الفهرى
على سرح المدينة أى الابل والمواشى التى تسرح للمرعى بالغداة وكان كرز بن جابر من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب رضى الله عنه
وأمر على سرية واستشهد فى فتح مكة فخرج صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سفوان بفتح السين والفاء آخره نون موضع من ناحية بدر

اعلم انه لا خلاف فى الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح أعاجيبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين أى ومن ثم ذهب الحاتمى الصوفى الى ان الاسراء وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة لحمل كل حديث اسراء واتفق العلماء على ان الاسراء كان بعد البعثة اهـ أى الاسراء الذى كان فى اليقظة بجسده صلى الله عليه وسلم فلا ينافى حديث البخارى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان الاسراء كان قبل أن يوحى اليه صلى الله عليه وسلم لان ذلك كان فى نومه بروحه فكان هذا الاسراء توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة وفى كلام الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ان اسراآته صلى الله عليه وسلم كانت أربعا وثلاثين واحد بجسمه صلى الله عليه وسلم والباقى بروحه وتلك الليلة أى التى كانت بجسمه صلى الله عليه وسلم كانت ليلة سبع عشرة وقيل سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الاول وقيل ليلة تسع وعشرين خلت من رمضان أى وقيل سبع وعشرين خلت من ربيع الآخر وقيل من رجب ٥ واختار هذا الاخير الحافظ عبد الغنى المقدسى وعليه عمل الناس وقيل فى شوال وقيل فى ذى الحجة (وفى كلام) الشيخ عبد الوهاب ما يفيد ان اسراآته صلى الله عليه وسلم كلها كانت فى تلك الليلة التى وقع فيها هذا الخلاف فليتأمل وذلك قبل الهجرة قيل بسنة وبه جزم ابن حزم وادعى فيه الاجماع وقيل بسنتين وقيل بثلاث سنين وكل من الاسراء والمعراج كان بعد خروجه صلى الله عليه وسلم للطائف كما دل عليه السياق وعن ابن اسحق أن ذلك كان قبل خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف وفيه نظر ظاهر واختلف فى اليوم الذى يسفر عن ليلتها ما قيل الجمعة وقيل السبت وقال ابن دحية يكون يوم الاثنين ان شاء الله تعالى ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة أى لانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين فليتأمل ﴿وعن أم هانئ﴾ بنت أبى طالب رضى الله تعالى عنها أى واسمها على الاشهر فاختة وسيأتى فى فتح مكة أنها أسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة الى نجران ومات بها على كفره قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلس أى فى الظلام بعيد الفجر وأنا على فراشى فقال أشعرت أى علمت انى نمت الليلة فى المسجد الحرام أى عند البيت أو فى الحجر وهو المراد بالحطيم الذى وقع فى بعض الروايات (وفى رواية) فرج سقف بيتى قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يكون السر فى ذلك أى فى انفراج السقف التمهيد لما يقع من شق صدره صلى الله عليه وسلم فكأن الملك أراه بانفراج السقف والتئامه فى الحال كيفية ما سيصنع به لطفا به وتثبيتا له صلى الله عليه وسلم أى زيادة تمهيد وتثبيت له والا فشق صدره صلى الله عليه وسلم تقدم له غير مرة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم نام فى بيت أم هانئ قالت ففقدته من الليل فامتنع منى النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش أى وحكى ابن سعد ان النبى صلى الله عليه وسلم فقد تلك الليلة فتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ووصل العباس الى ذى طوى

فقاته كرز بن جابر وتسمى بدر الاولى فرجع ولم يلق كيدا وكان اللواء بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه واستعمل على المدينة زيد
ابن حارثة رضى الله عنه ﴿سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش رضى الله عنه﴾ الاسدى أحد السابقين الى الاسلام واستشهد بأحد
رضى الله عنه روى أبو القاسم البغوى عن سعد بن أبى وقاص قال بعثنا صلى الله عليه وسلم فى سرية قال لأبعثن عليكم رجلا أصبركم
على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش رضى الله عنه وسماه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين فهو أول من تسمى
فى الاسلام به ولا ينافيه القول بأن
عمر رضى الله عنه أول من تسمى
بأمير المؤمنين لان المراد أول من
تسمى بذلك من الخلفاء وكانت
هذه الغزوة فى رجب على رأس
سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية
من المهاجرين وقيل اثنا عشر الى
نخلة وهو موضع على ليلة من مكة
بين مكة والطائف وكان يعتقب
كل اثنين منهم بعيرا وكتب له صلى
الله عليه وسلم كتابا وأمره أن لا
ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر
فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره
من أصحابه أحدا فلما سار يومين فتح
الكتاب فاذا فيه اذا نظرت فى
كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة
بين مكة والطائف فترصد بها
قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فقال
سمعا وطاعة وأخبر أصحابه انه نهاه
ان يستكره أحدا منهم ولم يتخلف
منهم أحد وسلك على الحجاز حتى
اذا كان ببحران بفتح الباء وضمها
أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة
ابن غزوان رضى الله عنهما بعيرهما
الذى كانا يعتقبان عليه فتخلفا فى
طلبه ومضى عبد الله وأصحابه حتى
نزلوا بنخلة يترصدون قريشا فمرت
بهم عيرهم تحمل زبيبا وأدما أى
جلودا وتجارة من تجارات قريش
فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان
ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان
والحكم بن كيسان فنزلوا قريبا منهم فهابوهم فأرشدهم عبد الله بن جحش الى ما يزيل رعبهم فحلق بعض أصحابه رأسه وأشرف عليهم فلما
رأوهم آمنوا وقالوا عمار أى معتمرون لا بأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاما فتشاور المسلمون وقالوا نحن فى آخر
يوم من رجب أو فى أول يوم من شعبان أى شكوا فى اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام
وان تركناهم دخلوا الحرم مكة فامتنعوا به مما تشجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتالهم أى قتل من قدروا عليه منهم فقتلوا

وجعل يصرخ يا محمد فاجابه لبيك لبيك فقال يا ابن أخى عنيت قومك فاين كنت قال ذهبت الى بيت المقدس قال من ليلتك قال نعم قال هل أصابك الا خير قال ما أصابنى الا خير واعلم له صلى الله عليه وسلم نزل عن البراق فى ذلك المحل وعن أم هانئ رضى الله تعالى عنها قالت ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أقامنا من نومنا ومن ثم جاء فى رواية نبهنا فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين الحديث والمراد انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاته التى كان يصليها وهى الركعتان فى الوقتين المذكورين والا فصلاة العشاء وصلاة الصبح التى هى صلاة الغداة لم يكونا فرضا وفى قولها وصلينا معه نظر لما تقدم ويأتى انها لم تسلم الا يوم الفتح ثم رأيت فى مزيل الخفاء وأما قولها يعنى أم هانئ وصلينا فاردت به وهيأنا له ما يحتاج اليه فى الصلاة كذا أجاب وأقرب منه انها تكلمت على لسان غيرها أو انها لم تظهر اسلامها الا يوم الفتح فليتأمل فقال صلى الله عليه وسلم ان جبريل أتانى وفى رواية أسرى به من شعب أبى طالب قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم نام فى بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبى طالب ففرج عن سقف بيته الذى هو بيت أم هانئ لانه صلى الله عليه وسلم كان نائما به فنزل الملك وأخرجه الى المسجد وكان به أثر النعاس أى فاضطجع فيه عند الحجر فيصح قوله صلى الله عليه وسلم نمت الليلة فى المسجد الحرام الى آخره وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر أى وهو مضطجع فى المسجد فى الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر رضى الله تعالى عنهما فقال أحدهم خذوا سيد القوم الاوسط بين الرجلين ٥ فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل فشق من ثغرة نحره وهو الموضع المنخفض بين الترقوتين الى أسفل بطنه أى وفى رواية الى مراق بطنه وفى رواية الى شعرته أى أشار الى ذلك فانشق فلم يكن الشق فى المرات كلها بآلة ولم يسل منه دم ولم يجد لذلك ألما كما تقدم التصريح به فى بعض الروايات لانه من خرق العادات وظهور المعجزات ثم قال جبريل لميكائيل ائتنى بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه وأشرح صدره فاستخرج قلبه أى فشقه فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من أذى وهذا الاذى يحتمل ان يكون من بقايا تلك العلقة السوداء التى نزعت منه صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع فى بنى سعد بناء على تجزئتها كما تقدم فى المرة الثانية وهو ابن عشر سنين والثالثة عند البعث فلا يخالف ان العلقة السوداء نزعت منه صلى الله عليه وسلم فى المرة الاولى وهو مسترضع فى بنى سعد ويستحيل تكرار اخراجها او القائها والذى ينبغى ان يكون نزع تلك العلقة انما هو فى المرة الاولى والواقع فى غيرها انما هو اخراج الاذى وانه غير تلك العلقة وان المراد به ما يكون فى الجبليات البشرية وتكرر اخراج ذلك الاذى استئصاله ومبالغة فيه وذكر

عمرو بن الحضرمى رماه عبد الله بن واقد بسهم فقتله واستأسر واعثمان بن عبد الله المخزومى والحكم بن كيسان وهرب من هرب
واستاقوا العير فكانت أول غنيمة فى الاسلام وكان القتل أول قتل وقع نصرة للاسلام فقسمها عبد الله بن جحش رضى الله عنه بين
أصحابه وعزل الخمس من ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم باجتهاد منه وقيل قدموا بالغنيمة كلها فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بعد
غزوة بدر وقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم

ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فسقط فى أيدى القوم وظنوا انهم هلكوا
وعنفهم اخوانهم فيما صنعوا
وتكلمت قريش فقالوا ان محمدا سفك الدماء وأخذ المال فى الشهر الحرام وقالت اليهود تتفاءل بذلك عليه صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب وواقد وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم وبعثت قريش تعير النبى صلى الله عليه وسلم بفعل أصحاب السرية فانزل الله تعالى بعد ان أكثر الناس القول يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة يعنى الكفر أكبر من القتل فكان فى ذلك تأييد لما صدر من تلك السرية وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش رضى الله عنه

تعدّون قتلا فى الحرام عظيمة
وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد
وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله
لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فانا وان عيرتمونا بقتله
وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا
بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا
ينازعه غل من القيد عاقد

وبعث قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله المخزومى والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان المتخلفين فى طلب بعيرهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة بعدها بأيام فأما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ومن

العلقة فى المرة الاولى وقول الملك هذا حظ الشيطان وهم من بعض الرواة واختلف الى ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم ثم أتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا أى نفس الحكمة والايمان لان المعانى قد تمثل بالاجسام أو فيه ما هو سبب لحصول ذلك والمراد كالحم! فلا ينافى ما تقدم فى قصة الرضاع انه ملئ حكمة وايمانا ووضعت فيه السكينة ثم أطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وتقدم فى قصة الرضاع ان فى رواية ان الختم كان فى قلبه وفى أخرى انه كان فى صدره وفى أخرى انه كان بين كتفيه وتقدم الكلام على ذلك (وأنكر القاضى عياض) شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وقال انما كان وهو صلى الله عليه وسلم صبى فى بنى سعد وهو يتضمن انكار شقه عند البعثة أيضا أى والتى قبلها وعمره صلى الله عليه وسلم عشر سنين ورده الحافظ ابن حجر بان الروايات تواردت بشق صدره صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة وعند البعثة أى زيادة على الواقع له صلى الله عليه وسلم فى بنى سعد وأبدى لكل من الثلاثة حكمة وتقدم انه شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين وانه صلى الله عليه وسلم شق صدره وهو ابن عشرين سنة وتقدم ما فيه (أقول) ويمكن ان يكون انكار القاضى عياض لشق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج على الوجه الذى جاء فى بعض الروايات انه أخرج من قلبه علقة سوداء وقال الملك هذا حظ الشيطان منك لان هذا انما كان وهو صلى الله عليه وسلم مسترضع فى بنى سعد ويستحيل تكرر القاء تلك العلقة وحمل ذلك على بعض بقايا تلك العلقة السوداء كما قدمناه ينافى قول الملك هذا حظ الشيطان منك الا أن يقال المراد انه من حظ الشيطان أى بعض حظ الشيطان فليتأمل ذلك والاولى ما قدمناه فى ذلك ثم لا يخفى انه ورد غسل صدرى وفى رواية قلبى وقد يقال انغسل وقع لهما معا كما وقع الشق لهما معا وأخبر صلى الله عليه وسلم باحدهما مرة وبالاخرى أخرى أى وتقدم فى مبحث الرضاع فى رواية شق بدنه صلى الله عليه وسلم ثم قلبه وفى أخرى شق صدره ثم قلبه وفى أخرى الاقتصار على شق صدره وفى أخرى الاقتصار على شق قلبه وتقدم ان المراد بالبطن الصدر وليس المراد باحدهما القلب وفى كلام غير واحد ما يقتضى ان المراد بالصدر القلب ومن ثم قيل هل شق صدره وغسله مخصوص به صلى الله عليه وسلم أو وقع لغيره من الانبياء وأجيب بانه جاء فى قصة تابوت بنى اسرائيل الذى أنزله الله تعالى على آدم حين أهبطه الى الارض فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ياقوتة حمراء ثلاثة أذرع فى ذراعين وقيل كان من نوع من الخشب تتخذ منه الامشاط مموها بالذهب فكان عند آدم الى ان مات ثم عند شيث ثم توارثه أولاد آدم الى أن وصل الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم كان عند اسمعيل ثم عند ابنه قيدار فنازعه ولد اسحق ثم أمر من السماء ان يدفعه الى ابن عمه يعقوب اسرائيل الله فحمله الى ان أوصله له ثم وصل الى موسى عليه الصلاة والسلام فوضع فيه التوراة وعصاه وعمامة هرون ورضاض الالواح التى تكسرت لما ألقاها وانه كان فيه

يضلل الله فلا هادى له وفى شهر رجب هذا حولت القبلة الى الكعبة بعد ان كانوا يصلون الى بيت المقدس وفى شعبان فرض صيام
رمضان ثم زكاة الفطر وأما زكاة المال فقيل فرضت فى هذا الشهر أيضا وقيل سنة تسع وقيل قبل الهجرة والله أعلم (غزوة بدر الكبرى)
ويقال العظمى ويوم وقعة بدر هو يوم الفرقان المذكور فى قوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان لان الله تعالى
فرق فيه بين الحق والباطل وهو يوم البطشة الكبرى المذكور فى قوله تعالى

يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فهو
يوم أعز الله فيه الاسلام وقوى أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو فهو آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان العدو عليه من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسومة والخيلاء الزائدة أعز الله به رسوله وأظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبى وقبيله وأخزى الشيطان وجيله ولهذا قال الله تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة أى قليل عددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد والحاصل أن هذه الغزوة كانت أعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره ومن حين وقوعها أذل الله الكفار وأعز الله من حضرها من المسلمين فهو عند الله من الابرار فقد قال صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم وكان خروجهم يوم السبت لثنتى عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا وخرجت معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة البدريين ثلثمائة وثلاثة

أول عشر أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر وسبب هذه الغزوة التعرض للعير التى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته فلم يزل مترقبا قفولها أى رجوعها من الشأم فعند قفولها ندب المسلمين أى دعاهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب ناس أى أجابوا وثقل آخرون لظنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد حربا ولم يحتفل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لم يهتم بها بل قال من كان ظهره أى ما يركبه حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر

الطشت طشت من ذهب الجنة الذى غسل فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك مقتض لعدم الخصوصية وكان هذا التابوت اذا اختلفوا فى شئ سمعوا منه ما يفصل بينهم وما قدموه أمامهم فى حرب الا نصروا وكان كل من تقدم عليه من الجيش لا بد ان يقتل أو ينهزم الجيش (وفى الخصائص للسيوطى) ومما اختص به صلى الله عليه وسلم عن جميع الانبياء ولم يؤتها نبى قبله شق صدره فى أحد القولين وهو الاصح وجمع بعضهم بحمل الخصوصية على تكرر شق الصدر لان تكرر شق صدره الشريف ثبت فى الاحاديث وشق صدر غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما أخذ من قصة التابوت وليس فيها تعرض للتكرار ولو جمع بان شق الصدر مشترك وشق القلب واخراج العلقة السوداء مختص به صلى الله عليه وسلم ويكون المراد بالقلب فى قصة التابوت الصدر وبالصدر فى كلام الخصائص القلب لم يكن بعيدا اذ ليس فى قصة التابوت ما يدل على ان تلك العلقة السوداء أخرجت من غير قلب نبينا صلى الله عليه وسلم ولم أقف على أثر يدل على ذلك وغسل قلب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس من لازمه الشق بل يجوز ان يكون غسله من خارج وقد أحلنا على هذا الجمع فى بحث الرضاع وبهذا يرد ما قدمناه من قول الشمس الشامى الراجح المشاركة ولم أر لعدم المشاركة ما يعتمد عليه بعد الفحص الشديد فليتأمل ثم رأيته ذكر انه جمع جزأ سماه نور البدر فيما جاء فى شق الصدر ولم أقف عليه والله أعلم قال فأتانى جبريل عليه الصلاة والسلام فذهب بى الى باب المسجد أى وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم فى الحجر جاءنى جبريل عليه الصلاة والسلام فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيأ فعدت لمضجعى فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيأ فعدت لمضجعى فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيأ فأخذ بعضدى فقمت معه فخرج بى الى باب المسجد وفيه انه اذا لم يجد شيأ من أخذ بعضديه الا أن يقال ثم رآه عند أخذه بعضديه فاذا دابة أبيض أى ومن ثم قيل له البراق بضم الموحدة لشدة بريقه وقيل قيل له ذلك لسرعته أى فهو كالبرق وقيل لانه كان ذا لونين أبيض وأسود أى يقال شاة برقاء اذا كان خلال صوفها الابيض طاقات سوداء أى وهى العفراء ومن ثم جاء فى الحديث ابرقوا فان دم عفراء عند الله أزكى من دم سوداوين أى ضحوا بالبرقاء وهى العفراء لكن فى الصحاح الاعفر الابيض وليس بالشديد البياض وشاة عفراء يعلو بياضها حمرة ولغلبة بياض شعره على سواده أو حمرته قيل أبيض ولعل سواد شعره لم يكن حالكا بل كان قريبا من الحمرة فوصف بانه أحمر وهذا لا يتم الا لو كان البراق كذلك أى شعره أبيض داخله طاقات سود أو حمر ولعله كان كذلك ويدل له قول بعضهم انه ذو لونين أى بياض وسواد والسواد كما علمت اذا اصفا شبه بالاحمر وهذه الرواية طوى فيها ذكر انه كان بين حمزة وجعفر وانه جاءه جبريل وميكائيل وملك آخر وانهم احتملوه الى زمزم وشق جبريل صدره الى آخر ما تقدم وذلك البراق فوق الحمار ودون البغل مضطرب الاذنين أى طويلهما أى وكان مسرجا ملجما كما فى بعض الروايات فركبته فكان يضع حافره مد بصره أى

من كان ظهره غائبا عنه وكان أبو سفيان لقي رجلا فأخبره انه صلى الله عليه وسلم قد كان عرض لعيره في بدايته وانه ينتظر رجوع العير فلما رجع وقرب العير من أرض الحجاز صار يتجسس الاخبار و يبحث عنها و يسأل من لقي من الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع من بعض الركبان انه صلى الله عليه وسلم استنفر أصحابه لك ولعيرك تخاف خوفا شديدا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالا ليأتي مكة وان يجدع بعيره ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة و يستنفر قريشا ويخبرهم ان محمدا قد عرض لعيرهم هو وأصحابه وكانت تلك العير فيها أموال قريش حتى قيل انه لم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به في تلك العير الا حويطب ابن عبد العزى ويقال ان في تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير وتقدم ان قائدها أبو سفيان وكان معه مخرمة بن نوفل وعمرو ابن العاص وكان جملة من معه سبعة وعشرين وقيل انها تسعة وثلاثون رجلا فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل أن يقدم بثلاث ليال رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي مختلف في اسلامها رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أقطعتني اي اشتدت علي وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك وفي رواية قالت له لن أحدثك حتى تعاهدني ان لا تذكرها فانهم ان سمعوها تعني كفار قريش آذونا وأسمعونا مالا نحب فعاهدها العباس ثم قال لها ما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث أي بعد ثلاثة أيام وقوله يا آل غدر معناه يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء قالت فأرى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله قالت رأيت بعيره مثل به أي انتصب به على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت أي تكسرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها منها فلقة فقال لها العباس والله ان هذه لرؤيا أي عظيمة وأنت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن

حيث ينتهي بصره وفي رواية ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها اذا أخذ في هبوط طالت يداه وقصرت رجلاه واذا أخذ في صعود طالت رجلاه وقصرت يداه أي وقد ذكر هذا الوصف في فرس فرعون موسى فقد قيل كان لفرعون أربع عجائب فذكر منها ان لحيته كانت خضراء ثمانية أشبار وقامته سبعة أشبار أي كانت لحيته اطول منه بشبر وكان له فرس وقيل برذون اذا اصعد الجبل قصرت يداه وطالت رجلاه واذا انحدر يكون على ضد ذلك وفي رواية ان البراق خطوه مد البصر قال ابن المنير فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات في سبع خطوات انتهى أي لان بصر من يكون في سماء الدنيا يقع على السماء فوقها وهكذا وهذا بناء على انه عرج به صلى الله عليه وسلم على المعراج راكب البراق وسيأتي ما فيه قال صلى الله عليه وسلم فلما دنوت منه اشمأز أي نفر وفي رواية فاستصعب ومنع ظهره أن يركب فقال جبريل اسكن فما ركبك احد أكرم على الله من محمد وفي رواية في فخذيها أي تلك الدابة التي هي البراق جناحان تحفز بهما أي تدفع بهما رجليها في اللغة الحفز الحث والاعجال فلما دنوت لاركبها شمست أي نفرت ومنعت ظهرها وفي رواية شمس وفي رواية صرت اذنها أي جمعتهما وذلك شأن الدابة اذا نفرت فوضع جبريل يده على معرفتها ثم قال ألا تستحين يا براق مما تصنعين والله ما ركب عليك أحد وفي رواية عبد الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم أكرم على الله منه فاستحيت حتى ارفضت عرقا أي كثر عرقها وسال ثم قرت حتى ركبها أي وفي رواية فقال جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله من الانبياء أي لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانت تركبها قبله صلى الله عليه وسلم ففي البيهقي وكانت الانبياء تركبها قبلي وعند النسائي وكانت تسخر للانبياء قبلي و بعد عليها العهد من ركوبهم لانها لم تكن ركبت في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كما ذكره ابن بطال وهو يقتضي انه لم يركبه أحد ممن كان بين عيسى ومحمد من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجاء التصريح بذلك في بعض الروايات أي والمتبادر منها انها التي بينه و بين عيسى عليهما الصلاة والسلام فيكون عيسى ممن ركبها دون من بعده من الانبياء عليهما الصلاة والسلام على تقدير ثبوت وجود أنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد عيسى وتقدم عن النهر انه كان بينهما ألف نبي وقوله لان الانبياء ظاهره يدل على ان جميع الانبياء أي عيسى ومن قبله ركبوه قال الامام النووي القول باشتراك جميع الانبياء في ركوبها يحتاج الى نقل صحيح هذا كلامه ومما يدل على ان الانبياء كانت تركبه قبله صلى الله عليه وسلم ما تقدم وظاهر ما سيأتي في بعض الروايات فربطه بالحلقة التي توثق بها الانبياء وانما قلنا ظاهر لانه لم يذكر الموثق بفتح المثلثة اذ يحتمل ان الانبياء كانت تربط غير البراق من دوابهم بها ثم رأيت في رواية البيهقي فاوثقت دابتي يعني البراق التي كانت الانبياء تربطها فيه ومن ثم قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ما من رسول الا وقد أسري به راكبا على ذلك البراق هذا كلامه وقد تقدم أن ابراهيم صلوات الله وسلامه

عتبة وكان صديقا له فذكرها له واستكتمه فذكرها الوليد لابيه فتحدث بها ففشا الحديث قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وماذاك قال الرؤيا التي رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم ان يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم وفي رواية ما رضيتم يا بني هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء ثم قال أبو جهل وقد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يكن حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا انكم أكذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه كبير أمر الا اني جحدت ذلك وأنكرت ان تكون رأت شيأ وفي رواية ان العباس قال لابي جهل هل أنت منته يا مصفر استه اي يا مأبون أو يا جبان فان الكذب فيك وفي أهل بيتك فقال من حضرهما ما كنت يا أبا الفضل جهولا ولا خرقا ثم ان العباس لقي من أخته عاتكة أذى شديدا حين أفشى من حديثها قال العباس فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني تقول لي أقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت فقلت لهن وأيم الله لاتعرضن له وان عاد قتلته فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى اني قد فاتني منه أمر أحب ان أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله اني لامشي نحوه أتعرضه ليعود الى بعض ما قال فأوقع به اذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد اي يعدو فقلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا الفرق أي الخوف مني فاذا هو يسمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدع بعيره أي قطع أنفه وأذنه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة اي ادركوا اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى ان تدركوها وفي لفظ ان أصابها محمد لن تفلحوا أبدا الغوث الغوث قال العباس فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر فتجهز

وسلامه عليه حمل هو وهاجر و ولدهما يعني اسمعيل على البراق الى مكة وفي تاريخ الازرقي وكان ابراهيم يحج كل سنة على البراق فعن سعيد بن المسيب وغيره أن البراق هو دابة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي كان يزور عليها البيت الحرام وعلى تسليم انه لم يركب البراق أحد قبله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن دحية ووافقه الامام النووي فقول جبريل عليه الصلاة والسلام ما ركبك ونحوه لا ينافيه لان السالبة تصدق بنفي الموضوع ومن ثم قال في الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بركوب البراق في أحد القولين اي وقيل ان الذي خص به هو ركوبه مسرجا ملجما وفي المنتقى أن البراق وان كان يركبه الانبياء الا انه لم يكن يضع حافره عند منتهى طرفه الا عند ركوب النبي صلى الله عليه وسلم وجاء في غريب التفسير ان البراق لما شمس قال له جبريل لعلك يا محمد مسست الصفر اليوم وهو صنم كان بعضه من ذهب وبعضه من نحاس كسره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال له صلى الله عليه وسلم ما مسسته الا اني مررت به وقلت تبا لمن يعبدك من دون الله فقال جبريل وما شمس الا لذلك اي لجرد مروره عليه وهذا حديث موضوع كما نقل عن الامام أحمد وقال الحافظ ابن حجر انه من الاخبار الواهية وقال مغلطاي لا ينبغي أن يذكر ولا يعزى لرسول الله صلى الله عليه وسلم و يقال فرس شموس أي صعبة ولا يقال شموسة وذكر لاستصعاب البراق غير ذلك من الحكم لا نطيل بذكره (قال) وعن الثعلبي بسند ضعيف في صفة البراق عن ابن عباس له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل وأظلاف وذنب كالبقر اي وحينئذ يكون اطلاق الخف على ذلك في الرواية السابقة ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها مجازا لان مع كونها لها قوائم كقوائم الابل لا خف لها بل ظلف وهو الحافر (وفي كلام بعضهم) في صفة البراق وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا أنثى اه ومن ثم وصف بوصف المذكر تارة و بوصف المؤنث أخرى فهي حقيقة ثالثة و يكون خارجا من قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين كما خرجت من ذلك الملائكة فانهم ليسوا ذكورا ولا اناثا وذكر بعضهم ان أذنيها كأذني الفيل وعنقها كعنق البعير وصدرها كصدر الفيل كأنه من ياقوت أحمر لها جناحان كجناح النسر فيهما من كل لون قوائمها كقوائم الفرس وذنبها كذنب البعير و يحتاج الى الجمع بين هذه الروايات على تقدير الصحة قال صلى الله عليه وسلم ثم سرت وجبريل عليه الصلاة والسلام لا يفارقني أي وفي رواية انه ركب معه البراق وفي الشفاء مازايلا ظهر البراق حتى رجعا وفي رواية ركبت البراق خلف جبريل اي وفي صحيح ابن حبان وحمله جبريل على البراق رديفا له قال وفي الشرف كان الآخذ بركابه جبريل و بزمام البراق ميكائيل وفي رواية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره اه (أقول) ولا منافاة لجواز ان يكون جبريل تارة ركب مردفا له صلى الله عليه وسلم وتارة اخذ بركابه من جهة اليمين وميكائيل تارة اخذ بالزمام وتارة لم يأخذه وكان جهة يساره اوكان اخذا

الناس سراعا ونزعوا أشد الفزع وخافوا من رؤيا عاتكة ويروى انهم قالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى والله
ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا وأعان قويهم ضعيفهم وقام أشراف قريش يحضون الناس على
الخروج وقال سهيل بن عمرو أتاركون أنتم محمدا والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالا فهذا مالى ومن أراد قوة
فهذى قوتى ولم يتخلف من أشراف قريش الا أبو ٣٩٦ لهب خوفا من رؤيا عاتكة وكان يقول رؤيا عاتكة كأخذ بيد أى صادقة

لا تتخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا فأفلس بها فقال له اخرج ودينى لك وهشام هذا قتل كافرا فى هذه الغزوة قتله عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأراد التخلف أمية بن خلف وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء اليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبى معيط بمجمرة فيها بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال له يا أبا على استجمر فانما أنت من النساء فقال له قبحك الله وقبح ما جئت به وكان عقبة سفيها وكان أبو جهل هو الذى سلط عقبة على ذلك وجاء أبو جهل امية بن خلف فقال له يا أبا صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادى وفى رواية من أشراف الوادى تخلفوا معك فسر يوما أو يومين فتجهز أمية مع الناس وسبب ارادته التخلف ان سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل على أمية لان أمية كان اذا قدم المدينة للذهاب الى الشأم فى تجارته ينزل على سعد فقال سعد لامية انظر لى ساعة لعلى أطوف بالبيت فقال أمية لسعد اذا انتصف النهار فبينما سعد يطوف اذ أتاه أبو جهل فقال من هذا الذى يطوف فقال له سعد أنا سعد بن معاذ فقال له أبو جهل

أتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه وفى لفظ آويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا
انك مع أبى صفوان ما رجعت الى أهلك سالما فتلاحيا أى تخاصما وسعد يرفع صوته فصار أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك على أبى
الحكم فانه سيد أهل الوادى وجعل يسكت فقال سعد لامية اليك عنى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه قاتلك قال
اياى قال نعم قال بمكة قال سعد لا أدرى قال أمية والله ما كذب محمد فكاد يحدث أى يبول فى ثيابه فزعا فرجع الى امرأته فقال ما تعلمين

بالزمام من جهة اليسار ولا يخالف هذا الجمع قول الشفاء ما زال بظهر البراق لامكان حمله على
غالب المسافة هذا وفى حياة الحيوان الظاهر عندى ان جبريل لم يركب مع النبى صلى الله عليه
وسلم البراق ليلة الاسراء لانه المخصوص بشرف الاسراء هذا كلامه فليتأمل والله أعلم (قال
صلى الله عليه وسلم) ثم انتهيت الى بيت المقدس فاوثقته بالحلقة التى بالباب اى باب المسجد التى
كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام توثق أى تربط بها اى تربطه بها على ما تقدم عن رواية
البيهقى وفى رواية ان جبريل خرق باصبعه الحجر أى الذى هو الصخرة وفى كلام بعضهم فادخل
جبريل يده فى الصخرة فخرقها وشد به البراق (أقول) لا منافاة لجواز ان يكون المراد وسع الخرق
باصبعه أو فتحه لعروض انسداده وان هذا الخرق هو المراد بالحلقة التى فى الباب لان الصخرة
بالباب وقيل لهذا الخرق حلقة لاستدارته وفى الامتاع وعادت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين
فربط دابته فيها والناس يلتمسون ذلك الموضع الى اليوم هذا كلامه وجمع بعضهم بأنه صلى الله
عليه وسلم ربطه بالحلقة خارج باب المسجد الذى هو مكان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأدبا
فاخذه جبريل فربطه فى زاوية المسجد فى الحجر الذى هو الصخرة التى خرقها باصبعه وجعله
داخلا عن باب المسجد فكأنه يقول له انك لست ممن يكون مركوبه على الباب بل يكون داخلا
وفى حديث أبى سفيان قبل اسلامه لقيصر انه قال لقيصر يحط من قدره صلى الله عليه وسلم
الا أخبرك أيها الملك عنه خبرا تعلم منه انه يكذب قال وما هو قال انه يزعم انه خرج من أرضنا
أرض الحرم فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا فى ليلة واحدة فقال بطريق انا أعرف تلك الليلة
فقال له قيصر ما علمك بها قال انى كنت لا أبيت ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك
الليلة اغلقت الابواب كلها غير باب واحد اى وهو الباب الفلانى غلبنى فاستعنت عليه بعمالى
ومن يحضرنى فلم نقدر فقالوا ان البناء نزل عليه فاتركوه الى غد حتى يأتى بعض النجارين فيصلحه
فتركته مفتوحا فلما أصبحت غدوت فاذا الحجر الذى من زاوية الباب مثقوب اى زيادة على
ما كان عليه على ما تقدم واذا فيه أثر مربط الدابة اى التى هى البراق اى ولم أجد بالباب ما يمنعه
من الاغلاق فعلمت أنه انما امتنع لاجل ما كنت أجده فى العلم القديم ان نبيا يصعد من بيت
المقدس الى السماء وعند ذلك قلت لاصحابى ما حبس هذا الباب الليلة الا هذا الامر وسيأتى
ذلك عند الكلام على كتابه صلى الله عليه وسلم لقيصر ولا يخفى أن المراد بالصخرة الحجر الذى
بالباب لا الصخرة المعروفة كما هو المتبادر من بعض الروايات وهى فأتى جبريل الصخرة التى فى
بيت المقدس فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق لان الذى فى بابه يقال انها فيه ولا يخفى
أن عدم انغلاق الباب انما كان آية والا فجبريل عليه الصلاة والسلام لا يمنعه باب مغلق ولا غيره
وفى رواية عن شداد بن أوس أنه قال ثم انطلق بى أى جبريل حتى دخلنا المدينة يعنى مدينة بيت
المقدس من بابها اليمانى فأتى قبلة المسجد فربط فيها دابته قد يقال لا يخالفه لانه يجوز أن يكون
ذلك الباب كان بجانب قبلة المسجد ولعل هذا الباب هو الباب اليمانى الذى فيه صورة الشمس

والقمر

ماقال أخى اليثربى يعنى سعد بن معاذ قالت وماذاك قال زعم انه سمع محمدا يزعم انه قاتلى قالت والله ما كذب محمد فلما جاء الصريخ وأراد
الخروج قالت له امرأته أما علمت ما قال لك أخوك اليثربى قال فانى لا أخرج فلما صمم على عدم الخروج بل أقسم بالله لا يخرج من مكة
أتاه عقبة بن أبى معيط بالمجمرة وقال له أبو جهل ما قال كما تقدم فخرج ناويا ان يرجع عنهم ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم قاتله انه كان
صلى الله عليه وسلم سببا فى قتله والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الا قتل أخى أمية ٣٩٧ وهو أبى بن خلف فى غزوة أحد كما سيأتى

ان شاء الله تعالى ومن ثم جاء فى رواية أن سعد بن معاذ قال لامية ان أصحابه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يقتلونك واستقسم بالازلام جماعة فخرج لهم ما يكرهون منهم أمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام فلما خرج لهم القدح الناهى المكتوب عليه لا تفعل اجمعوا على المقام وعدم الخروج فجاءهم أبو جهل وأزعجهم وحثهم على الخروج وأعانه على ذلك عقبة ابن أبى معيط والنضر بن الحرث يروى أن عداسا الذى اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم بالطائف وأسلم على يديه كما تقدم قال لسيديه عتبة وشيبة ابنى ربيعة بأبى وأمى أنتما والله ما تساقان الا لمصارعكما فأرادا عدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش ولما فرغوا من جهازهم وكان ذلك فى ثلاثة أيام وقيل فى يومين وأجمعوا السير أى عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا معهم من الخيل مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد ثم أسلم رضى الله عنه وهو الاب الخامس للامام الشافعى رضى الله عنه وخرجوا على الصعب والذلول

لشدة اسراعهم ومعهم القيان وهن الاماء المغنيات يضربن بالدفوف يغنين بهجاء المسلمين وهم فى غاية من البطر والخيلاء حين
خروجهم كما قال تعالى خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وكان المطعمون لهذا
الجيش اثنى عشر رجلا كل واحد منهم ينحر كل يوم عشر جزور وفيهم أنزل الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله
فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وهؤلاء الاثنا عشر هم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وحكيم بن حزام والعباس بن عبد

والقمر فى رواية ودخل المسجد من باب فيه تمثال الشمس والقمر أى مثالهما فيه والله أعلم
(وأنكر حذيفة رضى الله تعالى عنه) رواية ربط البراق وقال لم يفر منه وقد سخره له عالم
الغيب والشهادة ورد عليه بان الاخذ بالحزم لا ينافى صحة التوكل فعن وهب بن منبه رضى الله
تعالى عنه الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقى المهالك قال وهب وجدته فى سبعين من كتب
الله عز وجل القديمة أى ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل وقد كان صلى الله عليه وسلم
يتزود فى أسفاره ويعد السلاح فى حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين فى غزوة أحد (قال) وفى
رواية فلما استوى النبى صلى الله عليه وسلم فى صخرة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك
أن يريك الحور العين قال نعم قال جبريل فانطلق الى أولئك النسوة فسلم عليهن فرددن عليه
السلام فقال من أنتن قلن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا وأقاموا فلم يظعنوا
وخلدوا فلم يموتوا اه (أقول) فى كلام بعضهم أنه لم يختلف أحد أنه صلى الله عليه وسلم عرج به
من عند القبة التى يقال لها قبة المعراج من عند يمين الصخرة وقد جاء صخرة بيت المقدس من
صخور الجنة وفى لفظ سيدة الصخور صخرة بيت المقدس وجاء صخرة بيت المقدس على نخلة
والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ينظمان
سموط أهل الجنة الى يوم القيامة قال الذهبى اسناده مظلم وهو كذب ظاهر قال الامام أبو بكر
ابن العربى فى شرحه لموطأ مالك صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة
شعثاء فى وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذى يمسك السماء ان تقع
على الارض الا باذنه فى أعلاها من جهة الجنوب قدم النبى صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق
وقد مالت من تلك الجهة لهيبته صلى الله عليه وسلم وفى الجهة الاخرى أصابع الملائكة التى
أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التى انفصلت من كل جهة أى فهى معلقة بين السماء
والارض وامتنعت لهيبتها من أن أدخل تحتها لانى كنت أخاف أن تسقط على بالذنوب ثم بعد
مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشى فى جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض
لا يتصل بها من الارض شئ ولا بعض شئ وبعض الجهات أشد انفصالا من بعض وهذا الذى
ذكره ابن العربى ان قدمه صلى الله عليه وسلم أثر فى صخرة بيت المقدس حين ركب البراق وان
الملائكة أمسكتها لما مالت قال به الحافظ ناصر الدين الدمشقى حيث قال فى معراجه المسجع
ثم توجها نحو صخرة بيت المقدس وعماها فصعد من جهة الشرق أعلاها فاضطربت تحت
قدم نبينا صلى الله عليه وسلم ولانت فامسكتها الملائكة لما تحركت ومالت وقول ابن العربى
حين ركب البراق يقتضى أنه عرج به على البراق وسيأتى الكلام فيه وتقدم ان الجلال
السيوطى سئل عن غوص قدمه صلى الله عليه وسلم فى الحجر هل له أصل فى كتب الحديث فأجاب
بأنه لم يقف فى ذلك على أصل ولا رأى من خرجه فى شئ من كتب الحديث وتقدم ما فيه وفى
العرائس قال أبى بن كعب ما من ماء عذب الا وينبع من تحت الصخرة ببيت المقدس ثم يتفرق

المطاب وأبو البخترى وزمعة بن الاسود وأبى بن خلف وأمية بن خلف والنضر بن الحرث ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وقيل الآية المذكورة نزلت فى الذين انفقوا أموالهم لتجهيز الجيش الذى قاتلوا به النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقيل فى هؤلاء وهؤلاء ولما أرادوا الخروج من مكة كان بينهم و بين كنانة دماء لان قريشا كانت قتلت شيخا من كنانة فمر شاب وضىء من قريش بكنانة فقتلوه ثم ان أخا المقتول ظفر بعامر سيد كنانة بمر الظهران فقتله وجاء بسيفه وعلقه باستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأت سيف عامر فعرفوه وعرفوا قاتله فكاد ذلك يصرفهم عن الخروج خوفا من كنانة لكون طريقهم فى المسير عليهم وخافوا أن يخلفوهم على ديارهم بشئ يكرهونه فجاءهم ابليس لعنه الله فى صورة سراقة بن مالك المدلجى الكنانى وكان من أشراف بنى كنانة وقال لهم انا لكم جار من ان يأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه وخرج معهم ابليس ووعدهم أن بنى كنانة قد أقبلوا لنصرهم وحسن لهم الامر وقربه لهم وهونه عليهم كما قال تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ثم بعد ان خرج ضمضم الى أهل مكة اشتد حذر أبى سفيان فأخذ طريق الساحل وجد فى السير حتى فات المسلمين فلما أمن أرسل الى قريش يأمرهم بالرجوع وكانوا حينئذ بالجحفة فامتنع أبو جهل وقال والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم فيه ثلاثة أيام وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان بالمعازف اى بالملاهى وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا وهذا هو الرياء الذى أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والبطر الطغيان كلام أبى جهل قال هذا البغى والبغى منقصة وشؤم لان القوم انما خرجوا لنجاة أموالهم وقد نجاها الله تعالى ولما قال أبو جهل ما قال رجع من قريش بنو زهرة وكانوا نحو هذا المائة وقيل ثلثمائة فلذا قيل لم يقتل أحد منهم ببدر وقيل قتل منهم رجلان وكان قائد بنى زهرة الاخنس بن شريق الثقفى وكان حليفا لهم فقال لهم يا بنى زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل فانه كان فى العير وانما انفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا فانه لا حاجة لكم أن تخرجوا فى غير منفعة دعوا ما يقول هذا يعنى أبا جهل ثم خلا بأبى جهل وقال له أترى محمدا يكذب أصدقنى ليس

فى الارض والله سبحانه وتعالى أعلم قال صلى الله عليه وسلم فنشر لى بضم النون وكسر الشين المعجمة اى أحيى لى بعد الموت رهط من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان نشر الميت احياؤه والرهط مادون العشرة من الرجال فيهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام اى وحكمة تخصيص هؤلاء بالذكر لا تخفى فصليت بهم وكلمتهم اى فالمراد نشروا عند دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد وصلى بهم ركعتين ووصفهم بالنشور واضح فى غير عيسى عليه الصلاة والسلام لانه لم يمت ووصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاحياء بعد الموت سيأتى فى قصة بدر فى الكلام على أصحاب القليب ما يعلم منه أن المراد باحياء الانبياء بعد الموت شدة تعلق أرواحهم باجسادهم حتى انهم فى البرزخ بسبب ذلك أحياء كحياتهم فى الدنيا وقد ذكرنا هناك الكلام على صلاتهم فى البرزخ وحجهم وغير ذلك وفى رواية ثم صلى صلى الله عليه وسلم هو وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبثا الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير أى مع أولئك الرهط فلا مخالفة بين الروايتين فعرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة (أقول) ذكر ابن حبيب ان آية واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية نزلت ببيت المقدس ليلة الاسراء ويجوز ان يكون قوله وأقيمت الصلاة من عطف التفسير فالمراد بالاذان الاقامة وليس المراد بالاقامة الالفاظ المعروفة الآن لما سيذكر فى الكلام على مشروعية الاذان والاقامة بالمدينة وعلى انه من عطف المغاير ويدل له ما فى بعض الروايات فلما استوينا فى المسجد أذن مؤذن ثم أقام الصلاة فليس من لازم ذلك أن يكون كل من التأذين والاقامة باللفظين المعروفين الآن لانهما كما علمت لم يشرعا الا فى المدينة أى فى السنة الاولى من الهجرة وقيل فى الثانية كما سيأتى وحديث لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء أوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به فعلمه بلالا قال الحافظ ابن رجب موضوع وحديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان ليلة أسرى به فى اسناده متهم وفى الخصائص الكبرى انه صلى الله عليه وسلم علم الاقامة ليلة الاسراء فقد جاء لما أراد الله عز وجل ان يعلم رسوله الاذان اى الاقامة عرج به الى ان انتهى الى الحجاب الذى يلى الرحمن أى يلى عرشه خرج ملك من الحجاب فقال الله أكبر الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى لا اله الا أنا فقال الملك أشهد أن محمدا رسول الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أرسلت محمدا فقال الملك حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله فأخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه يؤم باهل السموات قال فى الشفاء والحجاب انما هو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق فهم المحجوبون قال فان صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه فى غير هذا الموطن بعد رفع الحجاب عن بصره حتى رآه وجاء انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن ذلك الملك فقال جبريل ان هذا الملك ما رأيته قبل ساعتى هذه وفى لفظ والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وان

بينى وبينك أحد فقال له أبو جهل ما كذب محمد قط كنا نسميه الامين لكن اذا كانت فى بنى عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأى شئ يكون لنا ونحن معهم كفرسى رهان فرجع الاخنس ببنى زهرة والاخنس هذا اختلف فى اسلامه والاكثرون على انه أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه قيل ان الاخنس جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأظهر الاسلام وقال الله يعلم انى اصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فحرق زرعهم فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الى قوله وبئس المهاد قال الحلبى نقلا عن الاصابة ولا مانع من انه أسلم ثم ارتد ثم أسلم ثم ان بنى هاشم أرادوا الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لقريش لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء وسيأتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بعيدا عن الماء أولا ثم انتقل وقرب منه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة استعمل عليها واليا أبا لبابة بن عبد المنذر الاوسى رضى الله عنه واستعمل ابن أم مكتوم رضى الله عنه على الصلاة بالناس وخلف عاصم بن عدى رضى الله عنه على قباء وأهل العالية لشئ بلغه عن أهل مسجد الضرار وعقد صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه لمصعب بن عمير رضى الله عنه وكان امامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع على بن أبى طالب والاخرى مع سعد بن معاذ وقيل مع الحباب بن المنذر ثم ضرب عسكره ببئر أبى عتبة على ميل من المدينة فعرض أصحابه ورد من استصغر وتقدم ان عدة أصحابه البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها وكان معهم من الخيل فرسان فرس لمرثد الغنوى وفرس للمقداد وقيل للزبير وقال بعضهم كان معهم خمسة أفراس فرسان له صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد وفرس للزبير وفرس للمقداد وتقدم ان قريشا عدتهم خمسون وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة ولما عد صلى الله عليه وسلم أصحابه فوجدهم ثلثمائة وثلاثة عشر فرح وقال عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلد

هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه وفيه أن هذا يقتضى ان جبريل عليه السلام كان معه صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان وسيأتى انه تخلف عنه عند سدرة المنتهى فليتأمل والله أعلم ولما أقيمت الصلاة ببيت المقدس قاموا صفوفا ينتظرون من يؤمهم فأخذ جبريل بيده صلى الله عليه وسلم فقدمه فصلى بهم ركعتين اى واما حديث لما أسرى بى أذن جبريل فظنت الملائكة أنه يصلى بهم فقدمنى فصليت بالملائكة قال الذهبى منكر بل موضوع والغرض من تلك الصلاة الاعلام بعلو مقامه صلى الله عليه وسلم وانه المقدم لا سيما فى الامامة وفى رواية ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا اى دفعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم اى ولا مخالفة لانه يجوز ان يكون جبريل قدمه صلى الله عليه وسلم بعد دفعهم وتقديمهم له صلى الله عليه وسلم وفى رواية فأذن جبريل اى أقام الصلاة ونزلت الملائكة من السماء وحشر الله له المرسلين اى جميعهم وقد نزلت الملائكة وحشر له الانبياء اى جميعهم بدليل ما فى بعض الروايات بعث له آدم فمن دونه فهو تعميم بعد تخصيص بناء على ان الرسول أخص من النبى لا بمعناه وهذا هو المراد بقول الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم احياء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وصلاته اماما بهم و بالملائكة لان الانبياء احياء وفيه اذا كان الانبياء احياء فما معنى احيائهم له ليصلى بهم وقد علمت معنى احيائهم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال جبريل يا محمد أتدرى من صلى خلفك قال لا قال كل نبى بعثه الله تعالى أى والنبى غير الرسول بعثه الله تعالى الى نفسه (أقول) ولا يخالف ما سبق من أنه عرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد لجواز ان يكون المراد عرف معظمهم أو انه عرفهم بعد هذا القول ٭وذكر القرطبى فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس جمع الله له الانبياء آدم فمن دونه وكانوا سبع صفوف ثلاث صفوف من الانبياء المرسلين وأربعة من سائر الانبياء وكان خلف ظهره ابراهيم الخليل وعن يمينه اسمعيل وعن يساره اسحق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والله أعلم وفى رواية ثم دخل أى مسجد بيت المقدس فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا الذى معك قال هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين قالوا وقد أرسل اليه أى للمعراج بناء على انه كان فى ليلة الاسراء قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة وهذه الرواية قد يقال لا تخالف ما سبق من أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالملائكة مع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لانه يجوز ان يكون انما أفردهم بالذكر لسؤالهم وفيه أن سؤالهم يدل على ان نزولهم من السماء لبيت المقدس لم يكن لاجل الصلاة معه صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض والاظهر أن صلاته صلى الله عليه وسلم بهم يعنى بالانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى بيت المقدس كانت قبل العروج أى كما يدل على ذلك سياق القصة وقال الحافظ ابن كثير صلى بهم فى بيت المقدس قبل العروج وبعده فان فى الحديث

بسيفه العضب المناظر الى أصحابه قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك فما رجع منهم أحد الا وله البعير والبعيران واكتسى من كان عاريا وأصابوا طعاما من أزواد قريش وأصابوا فداء الاسارى فاغتنى به كل عائل وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الروحاء وهو موضع به بئر على نحو أربعين ميلا من المدينة فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم وكان قد بعث صلى الله عليه وسلم رجلين يتجسسان أخبار عير أبى سفيان فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا الى تل قريب من الماء وأخذا يستقيان من الماء فسمعا جاريتين تقول احداهما لصاحبتها ان أتانى العير غدا أو بعد غد أعمل لهم ثم أخدمهم ثم أقضيك الذى لك فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى طلب العير وفى حرب النفير اى القوم النافرين للحرب يعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم خير أصحابه بين أن يذهبوا للعير أو الى محاربة النفير وأخبرهم عن قريش بمسيرهم وقال لهم ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش وكانت العير أحب اليهم ليستعينوا بما فيها من الأموال على شراء الخيل والسلاح قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين وفى رواية استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال لهم ان القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول أى مسرعين فما تقولون العير أحب اليكم من النفير قالوا نعم أى قالت طائفة منهم العير أحب الينا من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير وفى رواية يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو أيوب وفى ذلك أنزل الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون الآية ومن وروى أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أقبلت عير لأهل مكة من الشام فخرج النبى صلى الله عليه وسلم يريدها فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا اليها فسبقت العير المسلمين وكان الله وعدهم احدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنما من أن يلقوا النفير وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم استشار الناس

مايدل على ذلك ولا مانع منه قال ومن الناس من يزعم انه انما أمهم فى السماء اى لا فى بيت المقدس اى وهذا الزاعم هو حذيفة فانه أنكر صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فى بيت المقدس قال بعضهم والذى تظافرت به الروايات صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم اليه اى فلم يصل فى بيت المقدس الا مرة واحدة وانها بعد نزوله صلى الله عليه وسلم لانه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسأل جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم أى ولو كان صلى بهم أولا لعرفهم بل تقدم انه صلى الله عليه وسلم عرف النبيين مابين قائم وراكع وساجد ومابالعهد من قدم وهذا هو اللائق لانه صلى الله عليه وسلم أولا كان مطلوبا الى الجناب العلوى أى بناء على ان المعراج كان فى ليلة الاسراء وحيث كان مطلوبا بالذات اللائق أن لا يشتغل بشئ عنه فلما فرغ من ذلك اجتمع هو صلى الله عليه وسلم واخونه من النبيين ثم أظهر شرفه عليهم فقدمه فى الامامة هذا كلامه (أقول) بحث ان صلاته صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس ولم تكن الا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من العروج والاستدلال على ذلك بسؤاله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام واحدا واحدا فى السماء وان ذلك هو اللائق فيه نظر ظاهر لانه لا بحث مع وجود النقل بخلافه ومجرد الاستحسان العقلى لا يرد النقل فقد تقدم عن الحافظ ابن كثير انه ثبت فى الحديث مايدل على انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده وكونه سأل عن الانبياء فى السماء لا ينافى صلاته بهم أولا وانه عرفهم بناء على تسليم أن معرفته لهم كانت عند صلاته بهم أولا وانه عرفهم كلهم لا معظمهم على ماقدمناه لانه يجوز أن يكونوا فى السماء على صور لم يكونوا عليها ببيت المقدس لان البرزخ عالم مثال كما تقدم وبهذا يعلم مافى قول بعضهم رؤيته صلى الله عليه وسلم للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى السماء محمولة على رؤية أرواحهم الا عيسى وادريس عليهما الصلاة والسلام ورؤيته صلى الله عليه وسلم لهم فى بيت المقدس يحتمل أن المراد أرواحهم ويحتمل أجسادهم ويدل للثانى وبعث له آدم فن دونه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى رواية فنشر لى الانبياء من سمى الله ومن لم يسم فصليت بهم صلى الله عليه وسلم وعليهم والاشتغال عن الجناب العلوى المدعو له بما فيه تأنيس له وهو اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وصلاته بهم مناسب لائق بالحال والله أعلم * واختلف فى هذه الصلاة فقيل العشاء اى الركعتان اللتان كان صلى الله عليه وسلم يصليهما بالعشاء بناء على انه صلى ذلك قبل العروج وفيه انه صلى تينك الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة اى وهذا يدل على ان الفجر طلع وهو صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس بعد العروج وتقدم وسيأتى انه صلى الغداة بمكة وعليه تكون معادة بمكة قال والذى يظهر والله أعلم انها كانت من النفل المطلق انتهى أى ولا يضر وقوع الجماعة فيها وبقولنا أى الركعتان الى آخره يسقط ماقيل القول بانها العشاء أو الصبح ليس بشئ لان أول صلاة صلاها من الخمس مطلقا الظهر

فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم فقام أبو بكر فقال فأحسن اى جاء بكلام حسن ثم قام عمر فقال فأحسن روى ابن عقبة انه قال يارسول الله انها قريش وعزها والله ماذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون وفى رواية ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعنى مدينة الحبشة لجالدنا اى ضاربنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير قال ابن مسعود رضى الله عنه فى آخر قصة المقداد فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره يعنى قوله وروى ابن أبى حاتم عن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة انى أخبرت عن عير أبى سفيان فهل لكم أن تخرجوا اليها لعل الله يغنمناها ويسلمنا قلنا نعم فخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال قد أخبروا خبرنا فاستعدوا للقتال فقلنا لا والله مالنا طاقة بقتال القوم فأعاد فقال المقداد لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى انا ههنا قاعدون ولكن نقول انا معكما مقاتلون قال فتمنينا معشر الانصار لو أنا قلنا كما قال المقداد وأنزل الله فى ذلك كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ثم قال عليه الصلاة والسلام ثالث مرة أيها الناس أشيروا على وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا برآء من ذمامك اى من ضمان مناصرتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا وكان صلى الله عليه وسلم يخشى أن تكون الانصار لا ترى وجوب نصرته عليها الا ممن دهمه اى جاءه بغتة من العدو بالمدينة فقط وأن ليس عليهم ان يسير بهم من بلادهم الى عدو فلما قال ذلك اى كرر قوله أشيروا على قال له سعد بن معاذ رضى الله عنه وهو سيد الاوس بل هو سيد الانصار قال الزرقانى كان فيهم كالصديق رضى الله عنه فى المهاجرين قال والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال أجل اى نعم قال قد آمنا

ومن حمل الاولية على مكة اى ويكون صلى الصبح ببيت المقدس فعليه الدليل اى دليل يدل على أن تلك الصلاة احدى الصلوات الخمس وفى زين القصص كان زمن ذهابه صلى الله عليه وسلم ومجيئه ثلاث ساعات وقيل أربع ساعات اى بقيت من تلك الليلة لكن فى كلام السبكى أن ذلك كان فى قدر لحظة حيث قال فى تائيته * وعدت وكل الامر فى قدر لحظة * اى ولا بدع لان الله تعالى قد يطيل الزمن القصير كما يطوى الطويل لمن يشاء وقد فسح الله فى الزمن القصير لبعض اولياء أمته مايستغرق الازمنة الكثيرة وفى ذلك حكايات شهيرة قال صلى الله عليه وسلم وأتيت باناءين أحمر وأبيض فشربت الابيض فقال لى جبريل شربت اللبن وتركت الخمر لو شربت الخمر لارتدت أمتك اى غوت وانه مكث فى الشرب بدليل الرواية الاخرى وهى رواية البخارى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به بايليا بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فأخذ اللبن فقال جبريل الحمد لله الذى هداك للفطرة اى الاستقامة لو أخذت الخمرة غوت أمتك ولم يتبعك منهم الا القليل اى يكونوا على ما أنت عليه من ترك ذلك فالمراد بالارتداد الرجوع عما هو الصواب واتيانه بذلك وهو فى المسجد ببيت المقدس وسيأتى مايدل على أنه أتى له صلى الله عليه وسلم بذلك أيضا بعد خروجه صلى الله عليه وسلم منه قبل العروج قال صلى الله عليه وسلم واستويت على ظهر البراق فما كان باسرع من أن أشرفت على مكة ومعى جبريل فصليت به الغداة ثم قال صلى الله عليه وسلم لام هانئ بعد ان أخبرها بذلك أنا اريد ان أخرج الى قريش فأخبرهم بما رأيت قالت أم هانئ فعلقت بردائه صلى الله عليه وسلم وقلت أنشدك الله اى بفتح الهمزة أسألك بالله ابن عم اى يا ابن عم أن تحدث أى لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفى رواية انى أذكرك الله عز وجل انك تأتى قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك فضرب بيده الشريفة على ردائه فانتزعه من يدى فارتفع على بطنه صلى الله عليه وسلم فنظرت الى عكنه أى طبقات بطنه من السمن فوق ردائه صلى الله عليه وسلم وكأنه طى القراطيس أى الورق واذا نور ساطع عند فؤاده كاد يخطف بفتح الطاء وربما كسرت بصرى فخررت ساجدة فلما رفعت رأسى اذ هو قد خرج فقلت لجاريتى نبعة أى وكانت حبشية معدودة فى الصحابة رضى الله عنها اتبعيه وانظرى ماذا يقول فلما رجعت أخبرتنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش فى الحطيم هو مابين باب الكعبة والحجر الاسود وفى كلام بعضهم بين الركن والمقام سمى بذلك لان الناس يحطم بعضهم بعضا فيه من الازدحام لانه من مواطن اجابة الدعاء قيل ومن حلف فيه آثما عجلت عقوبته وربما أطلق كما تقدم على الحجر بكسر الحاء وأولئك النفر الذين انتهى صلى الله عليه وسلم اليهم فيهم المطعم بن عدى وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال صلى الله عليه وسلم انى صليت الليلة العشاء أى أوقعت صلاة فى ذلك الوقت فى هذا المسجد وصليت به الغداة أى أوقعت صلاة فى ذلك الوقت والا فصلاة العشاء لم تكن فرضت وكذا صلاة الغداة التى هى الصبح لم تكن فرضت كما تقدم وأثبت فيما

بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودا ومواثيق على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أمرت
وفى رواية ولعلك تخشى أن تكون الانصار ترى أن لا ينصروك الافى ديارهم وانى أقول عن الانصار وأجيب عنهم ولعلك يارسول الله
خرجت لامر فاحدث الله غيره فامض لماشئت وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من
أموالنا ماشئت واعطنا ماشئت وما أخذت ٤٠٢ مناكان أحب الينا مما تركت وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع أمرك ولئن سرت
بنا حتى تأتى برك الغماد لنسيرن
معك وفى رواية فو الذى بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
لخضته لخضناه معك ماتخلف
منارجل واحد ومانكره أن نلقى
عدونا انا لصبر عند الحرب صدق
عند اللقاء ولعل الله أن يريك منا
ماتقربه عينك فسر على بركة الله
زاد فى رواية ابن مردويه فنحن
عن يمينك وشمالك وبين يديك
وخلفك ولانكونن كالذين قالوا
لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت
وربك فقاتلا انا معكما متبعون
قال الحافظ ابن حجر ان المحفوظ أن
هذا الكلام للمقداد وان سعدا
انما قال ماذكر عنه أولا وروى
مسلم أن سعد بن عبادة سيد الخزرج
رضى الله عنه قال مثل ماقال سعد
ابن معاذ ولفظه عن أنس رضى
الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم استشار الناس حين بلغه
اقبال أبى سفيان فتكلم أبو بكر
فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض
عنه فقام سعد بن عبادة فقال ايانا
تريد يارسول الله والذى نفسى بيده
لو أمرتنا أن نخيضها البحر
لاخضناها ولو أمرتنا ان نضرب
أكبادنا الى برك الغماد لفعلنا قال
فى المواهب وانما يعرف ذلك عن
سعد بن معاذ قال الحافظ ابن حجر
ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين الاولى بالمدينة أول مابلغه خبر العير فتكلم سعد بن عبادة بماذكر وستجدون
والثانية كانت بعد ان خرج فتكلم سعد بن معاذ وقال الطبرانى ان سعد بن عبادة انما قال ذلك يوم الحديبية واختلف فى شهوده بدرا
والله أعلم قال الزرقانى ان سعد بن عبادة كان يتهيأ للخروج الى بدر و يأتى دور الانصار ويحضهم على الخروج فنهش أى لدغته حية قبل
أن يخرج فأقام فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصا ثم ضرب له بسهمه وأجره كما ان عثمان بن عفان

بين ذلك بيت المقدس اى لا يقال كان المناسب لذلك أن يقول وأتيت فى لحظة اوساعات وعلى
ماتقدم فيما بين ذلك بيت المقدس ولم يوسع لهم الزمن لانا نقول وسع لهم الزمن لان الطباع
لا تنفر منه نفرتها من تلك فليتأمل قال وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد قطع وعرف
أن الناس تكذبه اى وما أحب ان يكتم ماهو دليل على قدرة الله تعالى وماهو دليل على علو
مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد صلى الله عليه وسلم حزينا فمر به عدو الله
أبو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم أسرى
بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فلم ير أنه يكذبه
مخافة ان يجحده الحديث ان دعى قومه اليه قال أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم ماحدثتنى
قال نعم قال يامعشر بنى كعب بن لؤى فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال
حدث قومك بما حدثتنى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أسرى بى الليلة قالوا الى أين
قال الى بيت المقدس الحديث انتهى فنشر لى رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى
عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم فقال أبو جهل كالمستهزئ صفهم لى فقال صلى الله
عليه وسلم أما عيسى عليه الصلاة والسلام ففوق الربعة ودون الطويل أى لا طويل ولا قصير
عريض الصدر ظاهر الدم أى لونه أحمر وفى رواية يعلوه حمرة كأنما يتحادر من لحيته الجمان
وفى رواية كأنه خرج من ديماس أى حمام وأصله الكن الذى يخرج منه الانسان وهو
عرقان وأصله الظلمة يقال ليل دامس والحمام لفظ عربى وأول واضع له الجن وضعته لسيدنا
سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقيل الواضع له بقراط وقيل شخص سابق على بقراط
استفاده من رجل كان به تعقيد العصب فوقع فى ماء حار فى جب فسكن فصار يستعمله حتى
برئ وجاء من طرق عديدة كلها ضعيفة لكن يقوى بعضها بعضا ان سليمان عليه الصلاة
والسلام لما دخله ووجد حره وغمه قال أواه من عذاب الله لان دخول الحمام يذكر النار لان الحمام
أشبه شئ بجهنم لان النار أسفله والسواد والظلمة أعلاه وقد قيل خير الحمام ماقدم بناؤه واتسع
فناؤه وعذب ماؤه قال بعضهم و يصير قديما بعد سبع سنين قال بعضهم ولم يعرف الحمام فى بلاد
الحجاز قبل البعثة وانما عرفه الصحابة بعد موته صلى الله عليه وسلم بعد أن فتحوا بلاد العجم وفيه
ان فى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون
بيتا يقال له الحمام قالوا يارسول الله انه يذهب بالدرن و ينفع المريض قال فاستتروا وفى رواية
أنه لما قال صلى الله عليه وسلم اتقوا بيتا يقال له الحمام فقالوا يارسول الله انه يذهب بالدرن
و ينفع المريض الوسخ و يذكر النار قال ان كنتم لابد فاعلين فمن دخله فليستتر وهو صريح
فى ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم عرفوه فى زمنه صلى الله عليه وسلم الا أن يقال جاز ان يكونوا
عرفوه من غيرهم بهذا الوصف لهم والمنفى فى كلام هذا البعض معرفتهم له بالدخول فيه و يؤيده
قوله صلى الله عليه وسلم بيتا يقال له الحمام وقوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم أرض العجم

رضى الله عنه تخلف لتمريض زوجه رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فانها كانت مريضة وجعل النبى له أجره وسهمه
فهما معدودان من البدريين وان لم يحضراثم قال صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين اما
العير واما النفير أى وقد فاتت العير فلا بد من الطائفة الاخرى لان وعد الله لا يتخلف و يشير الى هذا قوله والله لكأنى أنظر الآن الى
مصارع القوم أى الذين يقتلون ببدر ولما وصلوا الى بدر أراهم صلى الله عليه وسلم مواضع ٤٠٣ مصارعهم روى مسلم عن أنس بن مالك
رضى الله عنه قال قال عمر رضى
الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم
ليرينا مصارع أهل بدر و يقول
ان هذا مصرع فلان غدا ان شاء
الله تعالى و يضع يده على الارض
ههنا وههنا فما ماط أحدهم أى
ماتنحى عن موضع يده عليه الصلاة
والسلام فهو معجزة ظاهرة ثم
ارتحل صلى الله عليه وسلم من
المكان الذى كان فيه وسار حتى
نزل قريبا من بدر وبعث عليا والزبير
وسعد بن أبى وقاص رضى الله
عنهم يتحسسون الاخبار فأصابوا
راوية لقريش معها غلام لنبيه
ومنبه ابنى الحجاج وغلام لبنى
العاص فأتوا بهما ورسول الله صلى
الله عليه وسلم قائم يصلى فقالوا لمن
أنتما وظنوهما لابى سفيان فقالا
نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم
من الماء فضربوهما فلما أوجعوهما
ضربا قالا نحن لابى سفيان
فتركوهما فلما فرغ صلى الله عليه
وسلم من صلاته قال اذا صدقاكم
ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما
صدقا والله انهما لقريش ثم قال
لهما أخبرانى عن قريش قالا هم
وراء هذا الكثيب أى التل من
الرمل فقال لهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير
وفى لفظ هم والله كثير عددهم
شديد بأسهم قال ماعدتهم قالا
لا ندرى قال كم تنحرون أى من الجزر كل يوم قالا يوما تسعا و يوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم مابين التسعمائة والالف ثم قال
لهما فمن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد وزمعة
ابن الاسود وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحرث وسهيل بن عمرو فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد
ألقت اليكم أفلاذ كبدها أى قطع كبدها وكان نزول قريش بالعدوة القصوى والعدوة جانب الوادى وحافته والمكان المرتفع

وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات وأما ماجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه صلى
الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فلا يرد لانه على تقدير صحته فالمراد به انه محل للاغتسال فيه الا
بالهيئة المخصوصة وكذا لا يرد مافى معجم الطبرانى الكبير عن أبى رافع أنه قال مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بموضع فقال نعم موضع الحمام هذا فبنى فيه حمام لجواز أن يكون بنى ذلك بعد
موته صلى الله عليه وسلم فهو من أعلام نبوته قال بعضهم ولعله قال ذلك لقبح الموضع اى فقول
بعضهم و يكفى ذلك فى فضيلة الحمام ليس فى محله وفيه أن هذا البعض لم يعول فى الفضيلة على
هذا فقط بل عليه وعلى مارواه البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الذى فيه انه يذهب
بالدرن و ينفع المريض ولا يرد أيضا مافى مسند أحمد عن ام الدرداء رضى الله تعالى عنها انها
خرجت من الحمام فلقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها من أين ياأم الدرداء قالت من
الحمام لان فى سنده ضعيفا ومتروكا ولانه يجوز أن يكون المراد به أنه محل الاغتسال لا انه المبنى
على الهيئة المخصوصة كما تقدم و به يجاب أيضا عما فى مسند الفردوس ان صح عن ابن عمر رضى
الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وقد خرجا
من الحمام طاب حمامكما قال ابن القيم ولم يدخل المصطفى صلى الله عليه وسلم حماما قط ولعله
مارآه بعينه هذا كلامه وعن فرقد السبخى أنه مادخل الحمام نبى قط و يشكل عليه ماتقدم عن
سليمان عليه الصلاة والسلام واعترض بعضهم قول ابن القيم لعله صلى الله عليه وسلم مارأى
الحمام بعينه بانه صلى الله عليه وسلم دخل الشام وبها حمامات كثيرة فيبعد انه مارآها انهم لم
ينقل انه صلى الله عليه وسلم دخل شيأ منها وفيه انه قد يقال هو صلى الله عليه وسلم لم يدخل من
بلاد الشام الا بصرى وجاز أن لا يكون بها حمام حين دخوله صلى الله عليه وسلم اليها وفى الطبرانى
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا شر البيوت الحمام تعلو فيه الاصوات وتكشف
فيه العورات فمن دخله لا يدخله الا مستترا ورجاله رجال الصحيح الا شخص منهم فيه مقال وما
أحسن قول الامام الغزالى وردنعم البيت الحمام يطهر البدن و يذهب الدرن و يذكر النار
و بئس البيت الحمام يبدى العورة و يذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لفائدته
ولا بأس بطلب الفائدة مع التحرز عن الآفة والحاصل ان الحمام تعتريه الاحكام الخمسة فيكون
واجبا وحراما ومندوبا ومكروها ومباحا والاصل فيه عندنا معاشر الشافعية الاباحة للرجال مع
ستر العورة مكروه للنساء مع ستر العورة حيث لا عذر وهو محمل ماجاء من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر من نسائكم فلا يدخل الحمامات ومع عدم ستر العورة حرام وهو محمل ماجاء الحمام حرام على
نساء أمتى وأول من اتخذ الحمام فى القاهرة العزيز ابن المعز العبيدى أحد الفواطم قال بعضهم
ليس فى شان الحمام مايعول عليه الا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم فى صفة عيسى عليه الصلاة
والسلام كأنما خرج من ديماس وقال غيره أصح حديث فى هذا الباب حديث اتقوا بيتا يقال له
الحمام فمن دخله فليستتر وقال ابن عمر فى وصف عيسى عليه الصلاة والسلام انما هو آدم وحاف

والقصوى البعدى من المدينة أى التى هى أبعد من الاخرى عن المدينة ونزل المسلمون على كثيب أعفر قيل المراد أحمر أو أبيض لبس
بالتشديد تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب لانفسهم ليجعلوا فيها الماء من
الآبار المعينة فيشربوا منها ويسقوا دوابهم ومع ذلك ألقى الله فى قلوبهم الخوف حتى صاروا يضربون وجوه خيلهم اذا صهلت من
شدة الخوف وألقى الله الامنة والنوم على المسلمين بحيث لم يقدروا على منعه وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم
جنب لانهم لما ناموا احتلم
أكثرهم وأصابهم الظمأ وهم
لا يصلون الى الماء لسبق المشركين
اليه ووسوس الشيطان لبعضهم
وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم
نبى الله وانكم أولياء الله وقد غلبكم
المشركون على الماء وأنتم عطاش
وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر
أعداؤكم الا أن يقطع العطش
رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا
فيكم كيف شاؤا فأرسل الله عليهم
مطرا سال منه الوادى فشرب
المسلمون واتخذوا الحياض على
عدوة الوادى واغتسلوا وتوضؤا
وسقوا الركاب وملؤا الاسقية
واطفأ المطر الغبار ولبد الارض
حتى ثبتت عليها الاقدام والحوافر
وزالت عنهم وسوسة الشيطان ورد
الله كيده فى نحره وطابت أنفسهم
وضر ذلك بالمشركين لكون
أرضهم كانت سهلة لينة وأصابهم
مالم يقدروا معه على الارتحال
وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك
بقوله اذ يغشيكم النعاس أمنة منه
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
به ويذهب عنكم رجز الشيطان
وليربط على قلوبكم أى بالصبر على
مجالدة العدو وبالوثوق على لطف
الله ويثبت به الاقدام حتى لا تسوخ
فى الرمل وعن على رضى الله عنه
أصابنا من الليل طش من مطر
فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه سلم يدعو ربه وفى رواية يصلى تحت
شجرة ويكثر فى سجوده ياحى ياقيوم يكرر ذلك حتى أصبح قال قتادة كان النعاس يوم بدر ويوم أحد وكان كله أمنة لكنه فى بدر كان ليلا
قبل القتال وفى أحد كان وقت القتال قال ابن مسعود النعاس فى مصاف القتال من الايمان والنعاس فى الصلاة من النفاق لانه فى
الاول يدل على ثبات الجنان وفى الثانى يدل على عدم الاهتمام بالصلاة قال على رضى الله عنه فلما ان طلع الفجر نادى رسول الله صلى الله
الليل

بالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل فى عيسى انه أحمر وانما قال آدم وانما اشتبه على الراوى
وأجاب الامام النووى بأن الراوى لم يرد حقيقة الحمرة بل ماقاربها أى والحمرة المقاربة لها أى
للادمة يقال لها أدمة أى كما يقال لها حمرة فلا منافاة قال صلى الله عليه وسلم جاعد الشعر أى
فى شعره تثن وتكسر (أقول) ينبغى حمل جعد الذى جاء فى بعض الروايات واذا هو بعيسى
جعد على هذا ثم رأيت النووى قال قال العلماء المراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه
واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر فليتأمل والله أعلم تعلوه صهبة اى يعلو شعره شقرة كأنه
عروة بن مسعود الثقفى اى رضى الله تعالى عنه فانه بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من الطائف
لحق به قبل ان يدخل المدينة وأسلم ثم جاء الى قومه ثقيف يدعوهم الى الاسلام فقتلوه وقال
صلى الله عليه وسلم فى حقه ان مثله فى قومه كصاحب يس كما سيأتى ذلك وأما موسى عليه
الصلاة والسلام فضخم آدم اى اسمر ومن ثم كان خروج يده بيضاء مخالفا لونها السائر لون
جسده آية طويل كأنه من رجال شنوءة طائفة من اليمن أى ينسبون الى شنوءة وهو عبد الله
ابن كعب من أولاد الازد لقب بذلك لشنآن كان بينه وبين أهله وقيل لانه كان فيه شنوءة وهو
التباعد من الادناس وفى رواية كأنه من رجال ازد عمان هو أبو حى من اليمن وعمان هذه
بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن سميت بذلك لانه نزلها عمان بن سنان من ولد ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وأما عمان بفتح العين وتشديد الميم فبلدة بالشام سميت بذلك لان عمان
ابن لوط كان سكنها وكما يقال أزد عمان يقال ازد شنوءة ورجال الازد معروفون بالطول قال صلى
الله عليه وسلم كثير الشعر غائر العينين مترا كم الاسنان مقاص الشفتين خارج اللثة اى وهو
اللحم الذى حول الاسنان عابس وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوالله انه لأشبه الناس بى
خلقا وخلقا وفى رواية لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعنى نفسه صلى الله
عليه وسلم فضجوا وأعظموا ذلك وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجبا فقال
المطعم بن عدى ان أمرك قبل اليوم كان أمما أى يسيرا غير قولك اليوم وأنا أشهد أنك كاذب
نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا أتزعم انك أتيته فى ليلة
واحدة واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذى تقول قط وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه
يامطعم بئس ماقلت لابن أخيك جبهته اى استقبلته بالمكروه وكذبته انا أشهد أنه صادق وفى
رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا أى وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق
وكل من آمن بالله فيه نظر الا أن يراد من ثبت على الاسلام وفى رواية سعى رجال من المشركين
الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت
المقدس قال أوقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه أنه ذهب الى بيت
المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه فى خبر السماء فى
غدوة أى وهى مابين صلاة الصبح وطلوع الشمس وروحة أى وهى اسم للوقت من الزوال الى

عليه وسلم للصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خطب وحض على القتال فى
خطبته فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه أما بعد فانى أحثكم على ماحثكم الله عليه الى أن قال وان الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله
به الهم وينجى به من الغم الحديث وقال ابن اسحق فى حكايته وقعة بدر فخرج صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى جاء أدنى ماء من
بدر فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضى الله عنه يارسول الله هذا منزل أنزلكه الله تعالى لا نتقدمه ولا نتأخر
عنه أم هو الرأى والحرب
والمكيدة فقال بل هو الرأى
والحرب والمكيدة قال فان هذا
ليس بمنزل فانهض بالناس حتى
تأتى أدنى ماء من القوم فانى أعرف
غزارة مائه فننزل به ثم نغور ماوراءه
من القلب اى ندفنها ونفسدها
عليهم ثم نبنى عليه اى على ذلك الماء
الذى ننزل عليه حوضا فنملؤه ماء
فنشرب ولا يشربون فقال صلى
الله عليه وسلم أشرت بالرأى وفى
رواية فنزل جبريل فقال الرأى
ما أشار به الحباب فنهض صلى الله
عليه وسلم ومن معه من الناس
حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل
عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى
حوضا على القليب الذى نزل عليه
فملئ ماء ثم قذفوا فيه الانية وفى
رواية ثم نهض المسلمون الى
أعدائهم فغلبوهم على الماء واغاروا
القلب التى كانت تلى العدو
فعطش الكفار وجاء النصر
وهذا كله انما حصل بعد اشارة
الحباب رضى الله عنه وكان مع
قريش رجل من بنى المطلب بن
عبد مناف يقال له جهم بن الصلت
أسلم عام خيبر رضى الله عنه وضع
رأسه بعد ان نزل القوم ببدر
فأغفى ثم قام فزعا فقال لاصحابه
هل رأيتم الفارس الذى وقف على
فقالوا لا قال وقف على فارس
وقال قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البخترى وأمية بن خلف وفلان وفلان وعد رجالا من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر
وقال أسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعد رجالا ممن أسر قال ثم رأيت ذلك الفارس ضرب فى لبة بعيره اى نحره ثم أرسله فى العسكر
فما من خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمه فقال له أصحابه انما لعب بك الشيطان ولما شاعت هذه الرؤيا فى العسكر وبلغت أبا
جهل قال جئتم بكذب بنى المطلب مع كذب بنى هاشم سترون غدا من يقتل وفى لفظ آخر قال أبو جهل هذا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم

الليل أى وهذا تفسير لهما بحسب الاصل والا فالمراد أنه ليخبرنى ان الخبر ليأتيه من السماء الى
الارض فى ساعة واحدة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أى مجىء الخبر له من السماء بواسطة
الملك أبعد مما تعجبون منه أى وحينئذ يجوز ان يكون قول أبى بكر للمطعم ما تقدم كان بعد هذا
القول أى قاله بعد ان اجتمع به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغته مقالته فلا مخالفة بين
الروايتين والى اسرائه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وتحديثه
قريشا بذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

حظى المسجد الحرام بممشا ٭ ه ولم ينس حظه ايلياء
ثم وافى يحدث الناس شكرا ٭ اذ أتته من ربه النعماء

أى جميع المسجد الحرام حصل له الحظ الاوفر بممشاه صلى الله عليه وسلم فيه ففضل سائر
البقاع ولم ينس حظه من ممشاه صلى الله عليه وسلم بيت المقدس بل شرفه الله تعالى بمشيه
فيه أيضا ففضل على ماعدا المسجدين اى مسجد مكة ومسجد المدينة ثم وافى صلى الله عليه وسلم
مكة يحدث الناس لاجل قيامه بالشكر لله تعالى او حال كونه شاكرا له تعالى وقت أو لاجل
أن أتته من ربه النعماء فى تلك الليلة ثم قال المطعم يامحمد صف لنا بيت المقدس أراد بذلك اظهار
كذبه وقيل القائل له ذلك أبو بكر قال له صفه لى فانى قد جئته أراد بذلك اظهار صدقه صلى الله
عليه وسلم لقومه فقال دخلته ليلا وخرجت منه ليلا فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام
فصوره فى جناحه اى جاء بصورته ومثاله فى جناحه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول باب منه
كذا فى موضع كذا وباب منه كذا فى موضع كذا وأبو بكر رضى الله تعالى عنه يقول صدقت
أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى على أوصافه أى ومعلوم ان من ذهب بيت
المقدس من قريش يصدق على ذلك أيضا وفى رواية لما كذبنى قريش أى وسألتنى عن أشياء
تتعلق ببيت المقدس لم أثبتها أى قالوا له كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله
قط فقمت فى الحجر فجلى الله عز وجل لى بيت المقدس أى وجلى بتشديد اللام وربما خففت كشفه
لى أى بوجود صورته ومثاله فى جناح جبريل وفى رواية فجىء بالمسجد أى بصورته وأنا أنظر
اليه حتى وضع أى يوضع محله الذى هو جناح جبريل فلا مخالفة بين الروايات وهذا من باب
التمثيل ومنه رؤية الجنة والنار فى عرض الحائط لا من باب طى المسافة وزوى الارض ورفع
الحجب المانعة من الاستطراق الذى ادعى الجلال السيوطى أنه أحسن مايحمل عليه حديث
رفع بيت المقدس حتى رآه النبى صلى الله عليه وسلم بمكة حال وصفه اياه لقريش صبيحة الاسراء
اذ ذلك لا يجامع مجىء صورته فى جناح جبريل وانما قلنا ان ذلك من باب التمثيل لان من العلوم
ان أهل بيت المقدس لم يفقدوه تلك الساعة من بلدهم فرفعه انما هو برفع محله الذى هو جناح
جبريل ثم رأيت ابن حجر الهيتمى قال الاظهر انه رفع بنفسه كما جىء بعرش بلقيس الى سليمان
عليه الصلاة والسلام فى أسرع من طرفة عين ولك أن تتوقف فيه فان عرش بلقيس فقد

غدا من المقتول نحن أم محمد وأصحابه ولما خرجوا من مكة كان أول من نحر لهم أبو جهل نحر لهم بمر الظهران عشر جزائر وكانت جزور منها بعد ان نحرت بها حياة فجالت في العسكر فما بقي خباء من أخبية العرب الا أصابه من دمها ومن ذلك المحل رجع بنو عدي تفاؤلا بذلك وبعد ان استقر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم بالموضع الذي أشار به الحباب قال سعد بن معاذ رضي الله عنه يا رسول الله ألا تبني لك عريشا تكون فيه وندع ٤٠٦ عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير وقال يقضي الله خيرا من ذلك يا سعد أي وهو نصرهم وظهورهم ثم بني له ذلك العريش فوق تل مشرف على المعركة وكان صلى الله عليه وسلم فيه وأبو بكر رضي الله عنه وعن علي رضي الله عنه انه قال أخبروني من أشجع الناس قالوا أنت قال أشجع الناس أبو بكر رضي الله عنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فكان أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما دنا منا أحد الا وأبو بكر رضي الله عنه شاهر بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى أحد اليه الا أهوى اليه أبو بكر رضي الله عنه وجاء انه لما التحم القتال وقف أيضا على باب العريش سعد بن معاذ رضي الله عنه وجماعة من الانصار ومما يستدل به على شجاعة الصديق رضي الله عنه أيضا ثبوته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقتاله أهل الردة وغير ذلك والعريش شيء يشبه الخيمة يستظل به فبني له صلى الله عليه وسلم قال السيد الذي السمهودي ومكانه عند مسجد بدر وهو معروف عند النخيل والعين قريبة منه ثم لما أصبحوا عدل النبي صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورآها صلى الله عليه وسلم وقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني ولما اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحي وكان كافرا ثم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقالوا احزر لنا أصحاب

بخلاف بيت المقدس وكان ذلك التجلي عند دار عقيل وتقدم انها عند الصفا وانها استمرت في يد أولاد عقيل الى ان آلت الى يوسف أخي الحجاج وأن زبيدة أو الخيزران جعلتها مسجدا كما تقدم وتقدم ما فيه قال صلى الله عليه وسلم فطفقت أي جعلت أخبرهم عن آياته أي علاماته وأنا أنظر اليه أي وذلك قبل ان تحول الابنية بين الحجر وتلك الدار أي لقوله صلى الله عليه وسلم فقمت في الحجر وهم يصدقونه صلى الله عليه وسلم على ذلك ومن ثم قيل ان حكمة تخصيص الاسراء الى المسجد الاقصى أن قريشا تعرفه فيسألونه عنه فيخبرهم بما يعرفونه مع علمهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع وأما قول المواهب ولهذا لم يسألوه صلى الله عليه وسلم عما رأى أي في السماء لانهم لا عهد لهم بذلك يقتضي سياقه انه أخبرهم بالمعراج عند اخباره لهم بالاسراء وسيأتي ما يخالفه على أنه سيأتي انه قيل ان المعراج كان بعد الاسراء في ليلة أخرى وقيل في حكمة ذلك أيضا ان باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس فيحصل العروج مستويا من غير تعويج قال الحافظ ابن حجر وفيه نظر لورود أن في كل سماء بيتا معمورا وان الذي في السماء الدنيا حيال الكعبة فكان المناسب ان يصعد من مكة ليصل الى البيت المعمور من غير تعويج هذا كلامه و يقال عليه وان سلم ذلك لكن لم يكن الباب في تلك الجهة فان ثبت ان في السماء بابا يقابل الكعبة اتجه سؤاله قالت نبعة جارية أم هانئ فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا أبا بكر ان الله تعالى قد سماك الصديق أي ومن ثم كان علي رضي الله تعالى عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وأما ما رواه اسحق بن بشر بسنده الى أبي ليلى الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب فانه أول من يراني وأول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة يفرق بين الحق والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين قال في الاستيعاب اسحق بن بشر لا يحتج بنقله اذا انفرد لضعفه ونكارة أحاديثه هذا كلامه وفي مسند البزار بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب أنت الصديق الاكبر وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وفي رواية ان كفار قريش لما أخبرهم صلى الله عليه وسلم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما آية ذلك يا محمد أي ما العلامة الدالة على هذا الذي أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط أي هل رأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك أي لان وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب اليه قال صلى الله عليه وسلم آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا فأنفرهم أي أنفر عيرهم حس الدابة يعني البراق فند لهم بعير أي شرد فدللتهم عليه وأنا متوجه الى الشام ثم أقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان اي وفي كلام بعضهم فعثرت الدابة يعني البراق فقلب بحافره القدح

محمد أي انظر عدتهم فجال بفرسه حول عسكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون أو ينقصون قليلا ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد فذهب في الوادي حتى أبعد ثم رجع اليهم وقال ما رأيت شيأ ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا رجال يثرب تحمل الموت الناقع ألا ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعي لا يريدون أن ينقلبوا الى أهليهم زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم والله ما نرى ٤٠٧ ان نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم عدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك ان تذكر بخير الى آخر الدهر فقال وما ذاك يا حكيم قال ترجع بالناس (وفي رواية) قال له حكيم تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو ابن الحضرمي أي الذي قتله واقد ابن عبد الله في سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وتحمل ما أصاب محمد من تلك العير فانهم لا يطلبون من محمد الا ذلك فقال عتبة نعم قد فعلت هو حليفي فعلي عقله أي ديته وعلي ما أصيب من المال ونعم ما قلت يا حكيم ونعم ما دعوت اليه فركب عتبة جملا له أحمر وصار يجيله في صفوف قريش يقول يا قوم أطيعوني فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمي وما أخذ في العير وقد تحملت ذلك ثم قال أنشدكم الله في الوجوه التي تضيء ضياء المصابيح يعني قريشا ان تجعلوها اندادا لهذه الوجوه التي كأنها عيون الحيات يعني الانصار وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم في القوم وهو على جمله فقال ان يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وذكر ابن اسحق ان عتبة قام خطيبا فقال يا معشر قريش والله ما تصنعون شيأ ان تلقوا محمدا وأصحابه والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه قد قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فان أصابه غيركم فذاك الذي أردتم وان كان غير ذلك الفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون يا قوم اعصبوها اليوم برأسي أي اجعلوا عارها متعلقا بي وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون أني لست بأجبنكم ثم قال عتبة لحكيم انطلق لابن الحنظلية وأخبره يعني أبا جهل قال حكيم

الذي فيه الماء الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة وشرب الماء الذي للغير جائز لانه كان عند العرب كاللبن مما يباح لكل مجتاز من أبناء السبيل على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن له أن يأخذ ما يحتاج اليه من مالكه المحتاج اليه ويجب على مالكه حينئذ بذله وأما الجواب عن ذلك بأنه مال حربي غير صحيح لان هذا كان قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال أهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا تتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم قاله ابن حجر في شرح الهمزية لكن في قطعة التفسير للجلال المحلي في تفسير قوله تعالى فرددناه الى أمه كي تقر عينها أن أمه أرضعته بأجرة وساغ لها أخذها لانها مال حربي أي من مال فرعون الا أن يقال ذلك أي أخذ مال الكافر كان جائزا في شريعتهم قال صلى الله عليه وسلم وآية ذلك أي علامته المصدقة لما أخبر به صلى الله عليه وسلم أن عيرهم الآن تصوب من الثنية يقدمها جمل أورق وهو ما بياضه الى سواد وهو أطيب الابل لحما عند العرب وأخسها عملا عندهم أي ليس بمحمود عندهم في عمله وسيره عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء أي فيها بياض وسواد كما تقدم فابتدر القوم الثنية فأول ما لقيهم الجمل الاورق عليه الغرارتان فسألوهم عن الاناء وعن نفار البعير وعن ند البعير وعن الشخص الذي دلهم عليه فصدقوا قوله ﴿أقول﴾ قد علم ان العير التي نفرت وند منها البعير ودلهم عليه مر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى الشام والعير التي كان بها الاناء التي بها الماء الذي شربه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهو راجع الى مكة وهي التي صوبت من الثنية وحينئذ لا يحسن سؤال أهلها عما وقع لاهل تلك العير وتصديقهم له صلى الله عليه وسلم فيما أخبر الا أن يقال يجوز أن تكون هذه العير التي مر عليها صلى الله عليه وسلم في العود اجتمعت في عودها بتلك العير الذاهبة الى الشام وأخبروهم بما ذكر والله تعالى أعلم وفي رواية قالوا يا مطعم دعنا نسأله عما هو أغنى لنا عن بيت المقدس أي فقولهم ذلك كان بعد أن أخبرهم ببيت المقدس يا محمد اخبرنا عن عيرنا أي عيراتنا الذاهبة والآتية هل لقيت منها شيأ فقال نعم أتيت على عير بني فلان بالروحاء أي وهو محل قريب من المدينة أي بينه وبين المدينة ليلتان قد أضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فانتهيت الى رحالهم ليس بها منهم أحد واذا قدح ماء فشربت منه فاسألوهم عن ذلك فقالوا هذه واللات والعزى آية أي علامة ﴿أقول﴾ وهذه العير هي التي مر صلى الله عليه وسلم عليها في العود وهي قادمة الى مكة وفي هذه الرواية زيادة أنهم أضلوا ناقة وتقدم في تلك الرواية انه صلى الله عليه وسلم وجدهم نياما وفي هذه الرواية أنه ليس بها منهم أحد وقد يقال لا مخالفة بين الروايتين لانه يجوز ان يكون الراوي أسقط منها هذه الزيادة وهي اضلال الناقة وأن قوله صلى الله عليه وسلم ليس بها منهم أحد أي مستيقظ بل بعضهم ذهب في طلب تلك الناقة وبعضهم كان نائما لكن في هذه الرواية انه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهي بالروحاء وهو لا يناسب قوله في تلك انها الآن تصوب من الثنية لان كونها تأتي من الروحاء الى مكة في ليلة

واحدة من أبعد البعيد الا أن يقال ان الروحاء مشتركة بين المحل المعروف المتقدم ذكره ومحل آخر قريب من مكة والله أعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم فانتهيت الى عير بنى فلان فنفرت منها أى من الدابة التى هى البراق الابل أى التى هى العير وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق مخطط ببياض لا أدرى أكسر البعير أم لا وهذه الرواية يحتمل أنها ثالثة ويمكن أن تكون هى الاولى أسقط من تلك قوله فى هذه وبرك منها جمل الى آخره كما أسقط من هذه قوله فى تلك فند لهم بعير وفى رواية ثم انتهيت الى عير بنى فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر أى وأضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان أى بدلا التى لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فاسألوهم عن ذلك فعلم ان هذه الرواية والتى قبلها هى الاولى غاية الامر انه زيد فى هذه قوله فسلمت عليهم فقالوا ها هذه واللات والعزى آية قال صلى الله عليه وسلم ثم انتهيت الى عير بنى فلان بالابواء أى وهو كما تقدم غير مرة أنه محل بين مكة والمدينة يقدمها جمل أورق أى بياضه الى سواد كما تقدم ها هى تطلع عليكم من الثنية فانطلقوا الينظروا فوجدوا الامر كما قال صلى الله عليه وسلم فقالوا صدق الوليد فيما قال أى فى قوله انه ساحر وانزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس وهذا يدل على ان المراد رؤيا الاسراء وأنها رؤيا العين وأنه يقال فى مصدر رهار رؤيا بالالف كما يقال رؤية بالتاء خلافا لمن أنكر ذلك اذلو كان رؤيا الاسراء مناما لما أنكر عليه فى ذلك اى وقيل نزلت وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم ولد الحكم بن أبى العاص أبى مروان وهم بنو أمية على منبره كأنهم القردة وقد ورد رأيت بنى مروان يتعاورون منبرى وفى لفظ ينزون على منبرى نزو القردة زاد فى رواية فما استجمع صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى مات وأنزل الله تعالى فى ذلك وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس وفى رواية فنزل انا أعطيناك الكوثر وفى رواية فنزل انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر قال بعضهم أى خير من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية فان مدة ملك بنى أمية كانت اثنتين وثمانين سنة وهى ألف شهر وكان جميع من ولى الخلافة منهم أربعة عشر رجلا أولهم معاوية وآخرهم مروان بن محمد وقد قيل لبعضهم ما سبب زوال ملك بنى أمية مع كثرة العدد والعدد والاموال والموالى فقال ابعدوا أصدقاءهم ثقة بهم وقربوا أعداءهم جهلا منهم فصار الصديق بالابعاد عدوا ولم يصر العدو صديقا بالتقريب له وحديث رأيت بنى مروان الى آخره قال الترمذى هو حديث غريب وقال غيره منكر قال صلى الله عليه وسلم ورأيت بنى العباس يتعاورون منبرى فسر فى ذلك وقيل ان هذه الآية أى آية وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس انما نزلت فى رؤيا الحديبية حيث رأى النبى صلى الله عليه وسلم انه وأصحابه يدخلون المسجد محلقين رؤسهم ومقصرين ولم يوجد ذلك بل صدهم المشركون وقال بعض الصحابة له صلى الله عليه وسلم ألم تقل انك تدخل مكة آمنا قال بلى أفقلت لكم من عامى هذا قالوا

فانطلقت فوجدت أبا جهل قد نثل درعا له من جرابها أى أخرجها فقلت يا أبا الحكم ان عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا فقال انتفخ سحره وهى كلمة تقال للجبان ثم جاء أبو جهل لعتبة وقال له لو غيرك يقول هذا الاعضضته بظر أمه والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد (وفى رواية) وأرسل بذلك حكيم بن حزام الى أبى جهل فأخبره فقال والله ما بعتبة ما قال ولكنه رأى ان محمدا وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه يعنى أبا حذيفة بن عتبة رضى الله عنه فانه كان ٤٠٨ مع النبى صلى الله عليه وسلم ومن السابقين فى الاسلام فيخوفكم عليه ثم أفسد أبو جهل على الناس رأى عتبة وبعث الى عامر بن الحضرمى وقال له هذا حليفك يريد الرجوع بالناس وقد رأيت ثارك بعينك فقم فانشد مقتل أخيك فقام عامر وكشف استه وحثا التراب على رأسه وصرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب وتهيؤا للقتال والشيطان معهم لا يفارقهم فى صورة سراقة يقول لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فخرج الاسود المخزومى وكان شرسا سيء الخلق فقال أعاهد الله لاشربن من حوضهم أولاهدمنه أولاموتن دونه فلما أقبل قصده حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم اقتحم الحوض زاعما ان تبر يمينه فقتله حمزة فى الحوض والاسود هذا هو الاسود ابن عبد الاسد المخزومى أخو عبد الله بن عبد الاسد المخزومى رضى الله عنه زوج أم سلمة رضى الله عنها والاسود أول قتيل قتل يوم بدر من المشركين وهو أول من يأخذ كتابه بشماله يوم القيامة وأما أخوه عبد الله بن عبد الاسد فهو أول من يأخذ كتابه بيمينه كما جاء ذلك فى أحاديث متعددة ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة أى خودة يدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فاعتجر ببرد له أى تعمم به ثم خرج بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى انفصل من الصف ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحرث الانصاريان النجاريان وأمهما عفراء بنت عبيد بن ثعلبة الانصارية وعبد الله بن رواحة الانصارى رضى الله عنهم فقال عتبة ومن معه لهم من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة أكفاء كرام انما نريد قومنا ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فناداهم أن ارجعوا الى مصافكم وليقم اليهم بنو عمهم ثم قال صلى الله عليه لا

لا قال فهو كما قال جبريل عليه السلام كما سيأتى ذلك فى قصة الحديبية وقيل انما نزلت هذه الآية فى رؤيا وقعة بدر حيث أراه جبريل مصارع القوم ببدر فأرى النبى صلى الله عليه وسلم الناس مصارعهم فتسامعت بذلك قريش فسخروا منه اى ولا مانع من تعدد نزول هذه الآية لهذه الامور فقد يتعدد نزول الآية لتعدد أسبابها قال ابن حجر الهيتمى ان اتحاد النزول لا ينافى تعدد أسبابه اى وذلك اذا تقدمت الاسباب ويروى انه عين لهم اليوم الذى تقدم فيه العير اى قالوا له متى تجيء قال لهم يأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل اورق عليه مسح آدم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجئ حتى كادت الشمس أن تغرب اى دنت للغروب فدعا الله تعالى فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير أى كما وصف صلى الله عليه وسلم (أقول) يجوز أن يكون هذا بالنسبة لبعض العيرات التى مر عليها فلا يخالف ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم قال فى بعض العيرات انها الآن تصوب من الثنية والى حبس الشمس عن المغيب أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها * فما غربت بل وافقتك بوقفة

وجاء فى بعض الروايات أنها احبست له صلى الله عليه وسلم عن الطلوع ففى رواية أن بعضهم قال له اخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها ومن فيها فقال كنت فى شغل عن ذلك ثم قيل له ذلك فأخبر بعدتها وعدة أحمالها وعدة من فيها وقال تطلع عليكم عند طلوع الشمس فحبس الله تعالى الشمس عن الطلوع حتى قدمت تلك العير فلما خرجوا لينظروا فاذا قائل يقول هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد أقبلت فيها فلان وفلان كما أخبر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى تقدير صحة هذه الروايات يجاب عنها بمثل ما تقدم والله أعلم وحبس الشمس وقوفها عن السير أى عن الحركة بالكلية وقيل بطء حركتها وقيل ردها الى ورائها قالوا ولم تحبس له صلى الله عليه وسلم الا ذلك اليوم وما قيل انها احبست له صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن الغروب أيضا حتى صلى العصر معارض بأنه صلى الله عليه وسلم صلى العصر بعد غروب الشمس وقال شغلونا عن الصلاة الوسطى كما سيأتى ثم رأيت فى كلام بعضهم ما يؤخذ منه الجواب وهو ان وقعة الخندق كانت أياما فحبست الشمس فى بعض تلك الايام الى الاحمرار أو الاصفرار وصلى حينئذ وفى بعضها لم تحبس بل صلى بعد الغروب قال ذلك البعض ويؤيده ان راوى التأخير الى الغروب غير راوى التأخير الى الحمرة أو الصفرة وجاء فى رواية ضعيفة ان الشمس حبست عن الغروب لداود عليه الصلاة والسلام وذكر البغوى انها احبست كذلك لسليمان عليه الصلاة والسلام أى فعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان حتى صلى العصر فى وقتها وهذا ردلها لا حبس لها عن غروبها الذى الكلام فيه والذى فى كلام بعضهم انما ضرب سيدنا سليمان سوق خيله وأعناقها حيث ألهاه عرضها عليه عن صلاة العصر حتى كادت الشمس ان تغرب ولم يتصدق

وسلم قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا على فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم لانهم كانوا متلثمين لما خرجوا فتسموا لهم قال ابن اسحق فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال على على قالوا انتم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم المسلمين عتبة وكان أسن الثلاثة وبارز حمزة شيبة هذه رواية ابن اسحق وأما رواية موسى بن عقبة فقال فبارز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة ورجحها بعضهم واتفقوا على أن عليا برز للوليد فقتل على الوليد وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة ٤٠٩ بضربتين كلاهما أثخن صاحبه فكر حمزة وعلى بأسيافهما على شيبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه وكانت الضربة التى أصابت عبيدة فى ركبته فمات منها لما رجعوا بالصفراء وقبره معروف بين الصفراء والحمراء ولما احتملوا عبيدة جاؤا به الى النبى صلى الله عليه وسلم ومخ ساقه يسيل وأضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريف فوضع خده عليها وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أنك شهيد بعد أن قال له عبيدة ألست شهيدا (وفى رواية) انه قال أشهيد أنا يا رسول الله قال نعم قال وددت والله أن أبا طالب كان حيا ليعلم اننا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول

فان يقطعوا رجلى فانى مسلم
أرجى به عيشا من الله عاليا
وألبسنى الرحمن من فضل منه
لباسا من الاسلام غطى المساويا

وفى هذه القصة فضيلة ظاهرة لحمزة وعبيدة وعلى رضى الله عنهم وعبيدة هذا هو عبيدة بن الحرث عبد بن المطلب بن عبد مناف قال أبو ذر رضى الله عنه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر فذكر هؤلاء الستة وعن على رضى الله عنه قال أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة فينا نزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم وكان من حكمة الله تعالى ان جعل المسلمين قبل ان يلتحم القتال فى أعين المشركين قليلا لاستدراجهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم فى أعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال فى أعين المسلمين قليلا ليقوى جأشهم على مقاتلتهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل

أراهم سبعين قال أراهم مائة وأنزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ومن ثم قال تعالى قد كان لكم
آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين أى يرى أولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأى العين
وقد ذكروا ان قباب بن اشيم كان مع المشركين ثم أسلم رضى الله عنه قال فى نفسه يوم بدر لو خرجت نساء مكة بأكمتها ردت محمدا وأصحابه
وعنه رضى الله عنه قال لما أسلمت بعد الخندق فسألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو ذاك فى المسجد
مع ملا من أصحابه فأتيته وأنا
لا أعرفه من بينهم فسلمت عليه
فقال يا قباب أنت القائل يوم
بدر لو خرجت نساء قريش بأكمتها
ردت محمدا وأصحابه قال قباب
والذى بعثك بالحق ما تحدثت به
لسانى ولا ترفرفت به شفتاى ولا
سمعه منى أحد وما هو الا شئ هجس
فى قلبى أشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده
ورسوله وان ما جئت به هو الحق
وحينئذ يكون معنى قوله صلى الله
عليه وسلم أنت القائل أى فى
نفسك فيكون اطلاعه على ذلك
من معجزاته صلى الله عليه وسلم
قال ابن اسحق لما قتل المبارزون
خرج صلى الله عليه وسلم من
العريش لتعديل الصفوف
فعدلهم بقدح فى يده أى سهم
لا نصل فيه ولا ريش فمر صلى الله
عليه وسلم بسواد بن غزية حليف
بنى النجار وهو خارج من الصف
فطعنه صلى الله عليه وسلم فى بطنه
بالقدح وقال استو يا سواد فقال
يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك
الله بالحق والعدل فأقدنى أى
مكنى من القود أى القصاص من
نفسك فكشف رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن بطنه وقال
استقد أى خذ القود فاعتنق
سواد النبى صلى الله عليه وسلم وقبل
بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد فقال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت ان يكون آخر العهد بك ان يمس جلدى جلدك دعا له
فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ثم لما عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف قال لهم ان دنا القوم منكم فانضحوهم أى
ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم أى لا ترموها على بعد فان الرمى مع البعد يخطئ غالبا ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم
خطبة حثهم فيها على الجهاد والمصابرة مثل التى قبل مجيئهم الى محل القتال ثم عاد الى العريش وتزاحف الناس أى مشى كل فريق

بها مبادرة لتعظيم أمر الله تعالى بالصلاة فى وقتها الان التصدق يحتاج الى صرف زمن فى دفعها
وأخذها وحبست كذلك ليوشع ابن أخت موسى عليه الصلاة والسلام وهو ابن نون بن
ابن يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام أى وهو الذى قام بالامر بعد موسى لان موسى عليه
الصلاة والسلام لما وعده الله تعالى أن يورثه وقومه بنى اسرائيل الارض المقدسة التى
هى أرض الشام وكان سكنها الكنعانيون الجبارون وأمر بمقاتلة أولئك الجبارين وهم
العماليق سار بمن معه وهم ستمائة ألف مقاتل حتى نزل قريبا من مدينتهم وهى أريحا فبعث
اليهم اثنى عشر رجلا من كل سبط واحد ليأتوه بخبر القوم فدخلوا المدينة فرأوا أمرا هائلا
من عظم اجسادهم فقد ذكر بعضهم انه رأى فى خاج اى نقرة عين رجل منه ضبعة رابضة
أى جالسة هى وأولادها حولها والفجاج فى الاصل الطريق الواسع واستظل سبعون رجلا
من قوم موسى فى قحف رجل منهم أى فى عظم أم رأسه وفى العرائس وكان لا يحمل عنقود
عنبهم الا خمسة أنفس منهم ويدخل فى قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة وان
رجلا من العماليق أخذ الاثنى عشر ووضعهم فى كمه مع فاكهة كانت فيه وجاء بهم الى ملكهم
فسألهم فقالوا نحن عيون موسى فقال ارجعوا وأخبروه وفى العرائس انه عوج بن عنق
احدى بنات آدم عليه السلام من صلبه ويقال انها أول بغى فى الارض وفى العرائس انه لما
لقيهم كان على رأسه حزمة حطب وأخذ الاثنى عشر فى حجره وانطلق بهم لامرأته وقال انظرى
الى هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لها الا اطحنهم
برجلى فقالت امرأته لا ولكن خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما رجعوا
أخبروا موسى عليه الصلاة والسلام فقال اكتموا خوفا من بنى اسرائيل ان يفشلوا ويرتدوا
عن موسى فلم يفعلوا وأخبر كل واحد سبطه بشدة ما رآه من أمرهم الهائل ففشلوا وجبنوا
عن القتال الا رجلان لم يخبرا سبطيهما وهما يوشع بن نون من سبط يوسف وكالب بن يوقنا من
سبط بنيامين وقالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فدعا عليهم وقال رب انى
لا أملك الا نفسى وأخى أى فانه لم يبق معه موافق يثق به غير أخيه هرون وكالب ويوشع وهما
المذكوران بقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا
دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده وانا قد خبرناهم فوجدنا أجسامهم عظيمة وقلوبهم
ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وحينئذ يكون مراد موسى بقوله
وأخى من واخاه ووافقه لا خصوص هرون ثم دعا بقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
اى باعد بيننا وبينهم فضرب عليهم التيه فتاهوا أى تحيروا فى ستة فراسخ من الارض يمشون
النهار كله ثم يمسون حيث أصبحوا ويصبحون حيث أمسوا وأنزل الله تعالى عليهم المن والسلوى
لانهم شغلوا عن المعاش وأبقيت عليهم ثيابهم لا تخلق ولا تتسخ وتطول مع الصغير اذا طال وظلل
عليهم الغمام من الشمس ولما رأى موسى عليه الصلاة والسلام ما بهم من التعب ندم على

جهة الاخرى ودنا بعضهم من بعض وأقبل نفر من قريش حتى وردوا حوضه صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ
الا قتل الا حكيم بن حزام فانه أسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه فكان اذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى يوم بدر وأمر صلى الله عليه
وسلم أصحابه أن لا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم وكان صلى الله عليه وسلم قد أخذته سنة من النوم فاستيقظ وقد أراه الله اياهم فى
منامه قليلا فأخبر أصحابه فكان تثبيتا لهم وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه متوشحا سيفه فى نفر من الانصار على باب
العريش يحرسونه صلى الله عليه
وسلم ورسول الله صلى الله عليه
وسلم فى العريش هو وأبو بكر رضى
الله عنه ليس معه فيه غيره وهو
عليه الصلاة والسلام يناشد ربه
انجاز ما وعده من النصر قال تعالى
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
وكان حقا علينا نصر المؤمنين
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون وان جندنا
لهم الغالبون ولما اصطف الناس
للقتال رمى قطبة بن عامر بحجر بين
الصفين وقال لا أفر الا ان فر هذا
الحجر وكان أول من خرج من المسلمين
مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فقتله عامر بن الحضرمى
بسهم أرسله اليه فكان
مهجع أول قتيل من المسلمين
وجاء عنه صلى الله عليه وسلم
ان مهجعا سيد الشهداء أى من
أهل بدر ثم قتل عمرو بن الحمام
وهو أول قتيل من الانصار ثم
حارثة بن سراقة وقد جاءت أمه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد أن قدم من بدر وهى عمة أنس
ابن مالك رضى الله عنه فقالت
يا رسول الله حدثنى عن حارثة فان
يكن فى الجنة لم أبك عليه ولكن
أحزن وان يكن فى النار بكيت
ما عشت فى الدنيا فقال يا أم حارثة
انها ليست بجنة ولكنها جنان
وحارثة فى الفردوس الاعلى فرجعت
وهى تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة (وفى رواية) قال لها ويحك أوهبلت أهى جنة واحدة انها جنان كثيرة والذى نفسى بيده انه لفى
الفردوس الاعلى ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم باناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها
فشربت ثم أمرهما ينضحان فى جيوبهما ففعلتا فرجعتا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امرأتان أقر عينا منهما ولا
أسر وقد كان حارثة رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله له بالشهادة فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة يوما وقد

دعائه عليهم وفى حياة الحيوان لما عبد بنو اسرائيل العجل أربعين يوما عوقبوا بالتيه أربعين
سنة لكل يوم سنة فأوحى الله تعالى له فلا تأس أى لا تحزن على القوم الفاسقين أى الذين
فسقوا أى خرجوا عن أمرك قال فى أنس الجليل ومن عجيب الاتفاق ان اريحا هذه كانت
فى زمن بنى اسرائيل منزل الجبارين وفى زمن الاسلام منزل حكام الشرطة فانها الآن قرية
من قرى بيت المقدس ثم مات موسى وهرون بالتيه مات هرون أولا ثم موسى بعده بسنتين
وفى ذلك رد على من قال ان قبر هرون أخى موسى بأحد كما سيأتى وفيه رد أيضا على من يقول
موسى مات قبل هرون وانه دفنه وقيل ان هرون رأى سريرا فى بعض الكهوف فقام عليه
فمات وان بنى اسرائيل قالوا قتل موسى هرون حسدا له على محبة بنى اسرائيل له فقال لهم
موسى ويحكم كان أخى ووزيرى أفترونى أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا فنزل
السرير الذى قام عليه فمات حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وعلى الاول أن
موسى انطلق ببنى اسرائيل الى قبره ودعا الله أن يحييه فأحياه الله تعالى وأخبرهم أنه مات
ولم يقتله موسى وعند ذلك قام بالامر يوشع بن نون المذكور أى فان موسى لما احتضر أخبرهم
بأن يوشع بعده نبى وأن الله أمره بقتال الجبارين فسار بهم يوشع وقاتل الجبارين وكان يوم
الجمعة ولما كاد أن يفضها كادت الشمس أن تغرب فقال للشمس أيتها الشمس انك مأمورة
وأنا مأمور بحرمتى عليك الا ركدت أى مكثت ساعة من النهار (وفى رواية) قال اللهم
احبسها على فحبسها الله تعالى حتى افتتح المدينة أى قال ذلك خوفا من دخول السبت المحرم
عليهم فيه المقاتلة وقد عبر الامام السبكى عن حبسها ليوشع بردها فى قوله

وردت عليك الشمس بعد مغيبها * كما انها قدما ليوشع ردت

ولولا قوله بعد مغيبها لما أشكل وأمكن أن يراد بالرد وقوفها وعدم غروبها ومن ثم ذكر ابن
كثير فى تاريخه أن فى حديث رواه الامام أحمد وهو على شرط البخارى أن الشمس لم تحبس
لبشر الا ليوشع عليه السلام ليالى سار الى بيت المقدس وفيه دلالة على أن الذى فتح بيت
المقدس هو يوشع بن نون لا موسى وان حبس الشمس كان فى فتح بيت المقدس لا فى فتح أريحا
هذا كلامه وهو خلاف السياق (وفى العرائس) أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمت
فى التيه بل سار ببنى اسرائيل الى أريحا وعلى مقدمته يوشع فدخل يوشع وقتل الجبارين ثم
دخلها موسى عليه الصلاة والسلام ببنى اسرائيل فأقام فيها ما شاء الله ثم قبض ولا يعلم موضع
قبره من الخلق أحد قال وهذا أولى الاقاويل بالصدق وأقربها الى الحق وذكر بعد ذلك أن
موسى لما حضرته الوفاة قال يا رب أدننى من الارض المقدسة برمية حجر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو أنى عنده لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال ابن كثير
وقوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر يدل على أن هذا من خصائص يوشع عليه الصلاة
والسلام فيدل على ضعف الحديث الذى رويناه أن الشمس رجعت أى بعد مغيبها أى فى

استقبله كيف أصبحت ياحارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يارسول الله عزلت نفسى عن
الدنيا فاسهرت ليلى وأظمأت نهارى فكأنى بعرش ربى بارزا وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر الى أهل النار
يتعاورون فيها قال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان فى قلبه فقال أى أنت عبد الخ فقال ادع الله لى بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك وقال أبو جهل لعنه الله وأصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد لنا العزى ولا عزى لكم ونادى منادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار وسيأتى وقوع مثل ما قال أبو جهل وأصحابه من أبى سفيان فى يوم أحد وانه أجيب بمثل هذا الجواب وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ماوعده من النصر * عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو فى قبة يعنى العريش يوم بدر اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد (وفى رواية) ان تهلك هذه العصابة من أهل الايمان اليوم فلا تعبد فى الارض (وفى رواية) اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين أى لانه صلى الله عليه وسلم علم انه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة وفى لفظ اللهم لا تودع منى ولا تخذلنى أنشدك ماوعدتنى ومازال يدعو ربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاخذ أبو بكر رضى الله عنه رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبى الله كفاك تناشد ربك فسينجز لك ماوعدك (وفى رواية) لينصرنك الله وليبيضن وجهك (وفى رواية) ألحت على ربك وانما قال أبو بكر
رضى الله عنه ذلك لانه شق عليه تعب النبى صلى الله عليه وسلم فى الحاحه بالدعاء لانه رضى الله عنه رقيق القلب شديد وقد
الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لان الصديق رضى الله عنه كان فى مقام الرجاء والنبى صلى الله عليه وسلم فى مقام الخوف
لان الله يفعل مايشاء وكلا المقامين فى الفضل سواء ذكره السهيلى قال بعضهم ان مقام الخوف يقتضى أن يجوز فيه أن لا يقع النصر
يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا فى تلك الواقعة وانما كان مجملا فبفرض تأخره لا ينافى انه أعطاه ماوعده ربه والجواب الاول

خيبر كما سنذكره هنا حتى صلى على بن أبى طالب العصر بعد ما فاتته بسبب نوم النبى صلى الله
عليه وسلم على ركبته وهو حديث منكر ليس فى شئ من الصحاح ولا الحسان وهو مما تتوفر
الدواعى على نقله وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها هذا كلامه
وسيأتى قريبا ما فيه على أن قوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر غيره صلى الله عليه وسلم
وقد علمت أن الحبس لها يكون منه الماهى مقبها والرد لها يكون بعد مغيبها قلت أمل وفى
كلام سبط ابن الجوزى ان قيل حبسها ورجوعها مشكل لانها لو تخلفت أو ردت لاختلت
الافلاك ولفسد النظام قلنا حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس فى خرق العادات
وذكر أنه وقع لبعض الوعاظ ببغداد انه قعد يعظ بعد العصر ثم أخذ فى ذكر فضائل آل البيت
فجاءت سحابة غطت الشمس فظن وظن الناس الحاضرون عنده أن الشمس غابت فأرادوا
الانصراف فأشار اليهم أن لا يتحركوا ثم أدار وجهه الى ناحية الغرب وقال

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى * مدحى لآل المصطفى ولنجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لولده ولنسله

فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمى عليه من الحلى والثياب هذا كلامه ولما اقتحموا المدينة التى
هى أريحا أصابوا بها أموالا عظيمة وكانوا فى الامم السابقة اذا أصابوا الغنائم قربوها فتجيء
النار تأكلها أى اذا لم يكن فيها غلول كما تقدم فتجيء النار وأكلها دليل على قبولها ولم تحل
الا لنبينا صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فلما أصابوا تلك الغنائم قربوها فلم تجئ اليها النار فقال
يانبى الله ان لها الا تأكل قربانا قال فيكم الغلول فدعا رأس كل سبط وصافحه فالتصق كف واحد
منهم فى كف يوشع عليه السلام فقال الغلول فى سبطك فقال كيف أعلم ذلك قال تصافح واحدا
بعد واحد فالتصقت كفه بكف واحد منهم فسئل فقال نعم رأيت رأس بقرة من ذهب عيناها من
ياقوت وأسنانها من لؤلؤ فأعجبتنى فغللتها فجاء بها ووضعها فى الغنيمة فجاءت النار فأكلتها وذكر
البغوى أن الشمس حبست عن الطلوع لموسى عليه الصلاة والسلام كما حبست كذلك لنبينا
صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكذا القمر حبس لموسى عليه الصلاة والسلام عن الطلوع به
فعن عروة بن الزبير رضى الله تعالى عنه قال ان الله تعالى حين أمر موسى عليه الصلاة والسلام
بالمسير ببنى اسرائيل الى بيت المقدس أمره أن يحمل معه عظام يوسف عليه الصلاة والسلام
وأن لا يخلفها بأرض مصر وأن يسير بها حتى يضعها بالارض المقدسة أى وفاء بما أوصى به
يوسف عليه الصلاة والسلام فقد تقدم أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أدركته الوفاة
أوصى أن يحمل الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فسأل موسى عليه الصلاة
والسلام عمن يعرف موضع قبر يوسف فما وجد أحدا يعرفه الا عجوزا من بنى اسرائيل فقالت
له يانبى الله أنا أعرف مكانه وأدلك عليه ان أنت أخرجتنى معك ولم تخلفنى بأرض مصر قال أفعل
وفى لفظ أنها قالت أكون معك فى الجنة فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له أعطها طلبتها فأعطاها

أولى أعنى كونه شق عليه تعب النبى صلى الله عليه وسلم وحين رأى المسلمون القتال قد نشب عجوا بالدعاء الى الله تعالى وعن ابن مسعود
رضى الله عنه ما سمعنا مناشدا ينشد ضالة أشد من مناشدة محمد لربه يوم بدر اللهم أنشدك ماوعدتنى وروى النسائى والحاكم عن على
ابن أبى طالب رضى الله عنه قال قاتلت يوم بدر شيأ من قتال ثم جئت لاستكشاف حال النبى صلى الله عليه وسلم فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول فى سجوده ياحى ياقيوم لا يزيد على ذلك فرجعت فقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك فعل ذلك أربع مرات
وقال فى الرابعة ففتح عليه وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين فتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه يحرسه (وفى رواية) عن على رضى الله عنه قام أبو بكر شاهرا السيف على رأسه صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه فقال عليه الصلاة والسلام وهو فى سجوده اللهم لا تودع منى اللهم لا تخذلنى اللهم انى أنشدك ماوعدتنى وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر فى العريش مع الصديق رضى الله عنه أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل على ثناياه النقع أى الغبار أى اشارة الى مناصرته صلى الله عليه وسلم ليدخل عليه وعلى أصحابه السرور وذلك انه لما التحم القتال وعج النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالدعاء أنزل الله الملائكة كما قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين أى متتابعين وقيل ردفا لكم وقيل وراء كل ملك
ملك آخر ويوافق ذلك ماجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم بدر بألف من الملائكة فكان جبريل
فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة وجاء أيضا أن الله أمده بثلاثة آلاف ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل
وقيل وعدهم الله ان يمدهم بألف ثم زيدوا فى الوعد بألفين وقيل أمدهم الله بثلاثة آلاف ثم أكملهم خمسة آلاف قال تعالى
اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين أى ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف

وقد كان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى اسرائيل أن يسير بهم اذا طلع القمر فدعا ربه
أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف عليه الصلاة والسلام ففعل فخرجت به العجوز
حتى أرته أياه فى ناحية من النيل وفى لفظ فى مستنقعة ماء أى وتلك المستنقعة فى ناحية من
النيل فقالت لهم انضبوا عنها الماء أى ارفعوه عنها ففعلوا قالت احفروا فحفروا وأخرجوه
وفى لفظ انها انتهت به الى عمود على شاطئ النيل أى فى ناحية منه فلا يخالفه ماسبق فى أصله
سكة من حديد فيها سلسلة أى و يجوز أن يكون حفرهم الواقع فى تلك الرواية كان على انطهار
تلك السكة فلا مخالفة ووجدوه فى صندوق من حديد وسط النيل فى الماء فاستخرجه موسى
عليه الصلاة والسلام وهو فى صندوق من مرمر أى داخل ذلك الصندوق الذى من الحديد
فاحتمله وفى أنس الجليل أن موسى عليه الصلاة والسلام جاءه شيخ له ثلثمائة سنة فقال له
يانبى الله مايعرف قبر يوسف الا والدتى فقال له موسى قم معى الى والدتك فقام الرجل ودخل
منزله وأتى بقفة فيها والدته فقال لها موسى ألك علم بقبر يوسف فقالت نعم ولا أدلك على قبره
الا ان دعوت الله تعالى أن يرد على شبابى الى سبع عشرة سنة و يزيد فى عمرى مثل ما مضى
فدعا موسى لها وقال لها كم عمرك قالت له تسعمائة سنة فعاشت ألفا وثمانمائة سنة فأرته
قبر يوسف وكان فى وسط نيل مصر ليمر النيل عليه فيصل الى جميع مصر فيكونون شركاء فى
بركته * وأما عود الشمس بعد غروبها فقد وقع له صلى الله عليه وسلم فى خيبر فعن أسماء بنت
عميس انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورأسه فى حجر على ولم يسر عن
النبى صلى الله عليه وسلم حتى غربت الشمس وعلى لم يصل العصر أى فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصليت العصر فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها طلعت بعد ماغربت قال بعضهم
لا ينبغى لمن سبيله العلم ان يتخلف عن حفظ هذا الحديث لانه من أجل اعلام النبوة وهو
حديث متصل وقد ذكر فى الامتاع انه جاء عن أسماء من خمسة طرق وذكرها وبه يرد ما تقدم
عن ابن كثير بأنه تفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها وبه يرد على ابن
الجوزى حيث قال فيه انه حديث موضوع بلاشك لكن فى الامتاع ذكر فى خامس الطرق
ان عليا اشتغل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى صليت العصر قال لا يارسول الله فتوضأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجلس فى المسجد فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنهما من كلام الحبش
فارتجعت الشمس كهيئتها فى العصر فقام على فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار فى الخشب
وذلك مخالف لسائر الطرق الا أن يدعى ان هذه الطريق فيها حذف والاصل اشتغل مع النبى
صلى الله عليه وسلم فى قسمة غنائم خيبر ثم وضع رأسه فى حجر على ونام فما استيقظ حتى غابت

مع اسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين وقيل ان المدد يوم بدر كان بألف ويوم أحد بثلاثة آلاف ثم وقع الوعد بأن كالهم خمسة آلاف لو صبروا وجاء ان الملائكة كانوا على صور الرجال فكان الملك يمشى أمام الصف فى صورة رجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم ويظن المسلمون أنه منهم وجاء أنهم يقولون للمسلمين اثبتوا فان عدوكم قليل أى قليل فى نظركم وان كثروا عددا قال تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا حتى قال ابن مسعود رضى الله عنه ان كان بجنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة (وروى) البيهقى عن حكيم بن حزام أن يوم بدر وقع نمل من السماء قد سد الافق فاذا الوادى يسيل نملا أى نازلا من السماء فوقع فى نفسى ان هذا شئ أيد به صلى الله عليه وسلم وهو الملائكة وروى بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الجراد الاسود مبثوثا حتى امتلأ الوادى فلم أشك انها الملائكة فلم يكن الا هزيمة القوم وانما نزلت الملائكة تشريفا للنبى صلى الله عليه وسلم وأمته والا فالملك الواحد كجبريل عليه السلام قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه كما فعل فى مدائن قوم لوط وأهلك قوم صالح بصيحة واحدة وقد قال تعالى فى اهلاك أهل القرية الذين كذبوا رسل عيسى عليه السلام وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون فأفاد سبحانه وتعالى بمفهوم الآية ان انزال الجند من خواصه صلى الله عليه وسلم تشريفا له ولم يقع ذلك لغيره وكانت الملائكة يوم بدر شركاء للمؤمنين فى بعض الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبى صلى الله عليه وسلم ولأصحابه وليرهبهم العدو حيث يعلم ان الملائكة تقاتل معهم وقد حكى الله عنهم صفة قتالهم حيث علمهم سبحانه وتعالى ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وجاء لولا ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التى نزلت يوم بدر لمات أهل الارض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم وجاء فى حديث مرسل مارؤى الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة الامارؤى يوم بدر وجاء أن ابليس جاء فى صورة سراقة بن مالك المدلجى الكنانى فى جند من الشياطين

الشمس فلا مخالفة * قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم قبل وصوله الى بيت المقدس ساروا حتى بلغوا أرضا ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل هنا ففعل ثم ركب فقال أتدرى أين صليت قال لا قال صليت بطيبة واليها المهاجرة وسيأتى ما فيه فى الكلام على الهجرة فانطلق البراق يهوى يضع حافره حيث أدرك طرفه حتى اذا بلغ أرضا فقال له جبريل انزل فصل ههنا ففعل ثم ركب فقال له جبريل أتدرى أين صليت قال لا قال صليت بمدين أى وهى قرية تلقاء غزة عند شجرة موسى سميت باسم مدين بن ابراهيم لما نزلها ثم ركب فانطلق البراق يهوى به ثم قال انزل فصل ففعل ثم ركب فقال له أتدرى أين صليت قال لا قال صليت ببيت لحم أى وهى قرية تلقاء بيت المقدس حيث ولد عيسى عليه الصلاة والسلام أى وفى الهدى وقيل انه نزل ببيت لحم وصلى فيه ولا يصح عنه ذلك البتة وبينا هو يسير على البراق اذ رأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل ألا أعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه فقال صلى الله عليه وسلم بلى فقال جبريل قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الارض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن أى فقال ذلك فانكب لفيه وطفئت شعلته ورأى حال المجاهدين فى سبيل الله أى كشف له عن حالهم فى دار الجزاء بضرب مثال له فرأى قوما يزرعون فى يوم أى فى وقت ويحصدونه فى يوم أى فى ذلك الوقت كما يرشد اليه الحال كلما حصدوا عاد كما كان فقال يا جبريل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من خير فهو يخلفه هذا الثانى هو المناسب لحالهم دون الاول فالاولى الاقتصار عليه الا ان يدعى أنه صلى الله عليه وسلم شاهد الحصاد والعود العدد المذكور الذى هو سبعمائة مرة على أن المضاعفة المذكورة لا تختص بالمجاهدين فقد جاء كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا أن يقال المراد تكرر الجزاء العدد المذكور للمجاهدين أمر مؤكد لا يكاد يتخلف وفى غيرهم بخلافه ووجد صلى الله عليه وسلم ريح ماشطة بنت فرعون ووجد داعى اليهود وداعى النصارى فأما الاول فقد رأى عن يمينه داعيا يقول يا محمد انظرنى أسألك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل فقال داعى اليهود اما انك لو أجبته لتهودت أمتك أى لتمسكوا بالتوراة والمراد غالب الامة وأما الثانى فقد رأى عن يساره داعيا يقول يا محمد انظرنى أسألك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل قال هذا داعى النصارى اما انك لو أجبته لتنصرت أمتك أى لتمسكت بالانجيل وحكمة كون داعى اليهود على اليمين وداعى النصارى على اليسار لا تخفى ورأى صلى الله عليه وسلم حال الدنيا أى كشف له عن حالها بضرب مثال فرأى امرأة حاسرة عن ذراعيها كأن ذلك شأن المقتص لغيره وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى أى ومعلوم ان النوع لواحد من الزينة يجذب القلوب اليه فكيف بوجود سائر أنواع الزينة فقالت يا محمد

أى مشركى الجن فى صورة رجال من بنى مدلج من بنى كنانة معه رايته وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وتقدم انه قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم حين خافوا من بنى كنانة وكان وحده ويجوز أن يكون جنده لحقوا به فلا منافاة فلما رأى الشيطان جبريل والملائكة وكانت يده فى يد الحرث بن هشام المخزومى أخى أبى جهل انتزع يده من يده ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الحرث يا سراقة أتزعم انك جار لنا فقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب فتشبث به الحرث وقال له والله لا أرى الا خفافيش يثرب فضربه ابليس فى صدره فسقط وفر من بين يديه قال الحرث ما علمت انه الشيطان الا بعد ان أسلمت وذكر السهيلى أن من بقى من قريش بعد وقعة بدر وهرب الى مكة وجدوا سراقة بمكة فقالوا له يا سراقة خرقت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشئ من أمركم وما شهدت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا انه ابليس (يروى) انه لما ضرب الحرث فى صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط فى البحر ورفع يديه وقال يا رب موعدك الذى وعدتنى اللهم انى أسألك نظرتك اياى يعنى قوله تعالى انك من المنظرين وخاف أن يخلص اليه القتل وفى قصة مجئ الشيطان وفراره ونكصه يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

سرنا وساروا الى بدر لحينهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلاهم بغرور ثم أسلمهم ان الخبيث لمن والاه غرار

ولما نكص الشيطان على عقبيه قال أبو جهل لعنه الله يا معشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فانهم عجلوا فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد وجاء انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمنى الجن سبعون لكن لم يثبت انهم قاتلوا بل كانوا مددا فقط وجاء أن جبريل عليه السلام جاء النبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد ان الله بعثنى اليك وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش الى الناس يحرضهم وقال والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم

انظرنى أسألك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل قال تلك الدنيا اما انك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ورأى عجوزا على جانب الطريق فقالت يا محمد انظرنى أسألك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل فقال انه لم يبق من عمر الدنيا الا ما بقى من عمر تلك العجوز أى فرينتها لا ينبغى الالتفات اليها لانها على عجوز شوهاء لم يبق من عمرها الا القليل وانظر لم يقل تلك الدنيا ولم يبق من عمرها الى آخره وفى كلام بعضهم الدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها الاول وهو حقيقة أنها من أول وجود هذا النوع الانسانى الى أيام ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ٢ بعدها تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك الى بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم كهلة ومن بعد ذلك الى يوم القيامة تسمى عجوزا واعترض بأن الائمة صرحوا بأن الشباب ومقابله انما يكون فى الحيوان ويجاب بأن الغرض من ذلك التمثيل وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يقبل الامانة مع عجزه عن حفظها بضرب مثال فأتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يترك الصلاة المفروضة فى دار الجزاء فأتى على قوم ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال يا جبريل ما هؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة أى المفروضة عليهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يترك الزكاة الواجبة عليه ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع وهو اليابس من الشوك والزقوم ثمر شجر مر له زفرة قيل انه لا يعرف بشجر الدنيا وانما هو لشجرة من النار وهى المذكورة فى قوله تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم أى منبتها فى أصل الجحيم وتقدم الكلام عليها عند الكلام على المستهزئين ويأكلون رضف جهنم أى حجارتها المحماة لان الرضف بالضاد المعجمة الحجارة المحماة التى يكوى بها فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم المفروضة عليهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال الزناة بضرب مثال ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدور ولحم نىء أيضا فى قدور خبيث فجعلوا يأكلون من ذلك النىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال ثم أتى على خشبة لا يمر بها ثوب ولا شئ الا خرقته فقال ما هذه يا جبريل قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يأكل الربا أى حالته التى يكون عليها فى دار الجزاء فرأى رجلا يسبح فى نهر من دم يلقم الحجارة فقال له

الحاء وتخفيف الميم وفي يده تمرات يأكلهن بخ بخ وهي كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه أما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني
هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه (وفي رواية) انه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة
عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فقام عمير بن الحمام وقال بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبجبج أي تتعجب فقال
رجاء ان أكون من أهلها (وفي رواية) ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يارسول الله الا رجاء ان أكون من أهلها

فأخذ تمرات فجعل يلوكهن ثم قال والله ان بقيت حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة فنبذهن وقاتل وهو يقول

ركضا الى الله بغير زاد
الا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

ولا زال يقاتل حتى قتل رضي الله عنه ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصى (وفي رواية) قبضة من تراب (وفي رواية) قال لعلي رضي الله عنه ناولني فاستقبل قريشا ثم قال شاهت أي قبحت الوجوه اللهم ارعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ثم نفحهم أي رماهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا امتلأت عينه (وفي رواية) وأنفه وفمه لا يدري أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ووقع مثل ذلك في غزوة أحد وغزوة حنين وبهذا يجمع بين الروايات وقاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم بدر قتالا شديدا وكذا أبو بكر رضي الله عنه فكما كانا في العريش مجتهدين في الدعاء قاتلا بأبدانهما جمعا بين المقامين ولما خرج صلى الله عليه وسلم من العريش قال سيهزم الجمع ويولون الدبر (وروى) ابن سعد انه لما انهزم المشركون دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذه الآية نزلت بمكة وكانت هزيمة الجند يوم بدر وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية سيهزم الجمع قلت أي جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم بالسيف مصلتا يقول سيهزم الجمع ويولون

من هذا قال آكل الربا وقد شبهه الله تعالى في القرآن بقوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أي اذا بعث الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين من قبورهم الا أكلة الربا فانهم لا يقومون من قبورهم الا مثل قيام الذي يصرعه الشيطان فكلما قاموا سقطوا على وجوههم وجنوبهم وظهورهم كما أن المصروع حاله ذلك أي فهذه حالته في الذهاب الى المحشر زيادة على حالته المتقدمة التي تكون في دار الجزاء وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يعظ ولا يتعظ ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء خطباء الفتنة خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال المغتابين للناس فمر على قوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يتكلم بالفحش بضرب مثال فأتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا الرجل من أمتك يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من أحوال الجنة فأتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال يا جبريل ما هذا قال هذا صوت الجنة تقول يارب ائتني بما وعدتني أي لانه يجوز أن يكون محل الجنة من السماء السابعة مقابلا لذلك الوادي وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من أحوال النار فأتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا خبيثة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول يارب ائتني بما وعدتني أي وليست جهنم بذلك الوادي كما سيأتي ان الوادي التي هي به هو الذي ببيت المقدس ولعل هذا الوادي مقابل لذلك الوادي وينبغي أن لا يكون هذا هو المراد بما في الخصائص الصغرى للسيوطي وخص صلى الله عليه وسلم باطلاعه على الجنة والنار بل المراد بذلك رؤية ذلك في المعراج وعند وصوله صلى الله عليه وسلم الى الوادي الذي ببيت المقدس بالنسبة للنار ورأى صلى الله عليه وسلم الدجال شبيها بعبد العزى بن قطن أي وهو ممن هلك في الجاهلية أي قبل البعثة ومر صلى الله عليه وسلم على شخص متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال جبريل سر يا محمد قال من هذا قال هذا عدو الله ابليس أراد أن تميل اليه اهـ (وفي رواية) لما وصلت بيت المقدس وصليت فيه ركعتين أي اماما بالانبياء والملائكة أخذني العطش أشد ما أخذني فأتيت باناءين في أحدهما اللبن وفي الاخرى عسل فهداني الله تعالى فأخذت اللبن فشربت وبين يدي شيخ متكئ على منبره فقال أي مخاطبا لجبريل أخذ صاحبك الفطرة انه لمهدي فلما خرجت منه جاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة أي الاستقامة التي سببها الاسلام ومنه كل مولود يولد على الفطرة أي على الاسلام (وفي رواية أخرى) فأتى بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها فأتى باناء منها

فيه

الدبر فكانت ليوم بدر أخرجه الطبراني في الاوسط والى رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى أشار صاحب الهمزية بقوله
ورمى بالحصى فأقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء
وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له ولما وضع القوم أيديهم يأسرون نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجد في وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يارسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان في القتل أي الاكثار منه والمبالغة فيه أحب الي من استبقاء الرجال وذكر بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اني قد عرفت ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا اكراها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله أي بل يأسره وقال من لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله أي لانه ممن قام في نقض الصحيفة ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فقال أبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة أنقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس لئن لقيته يعني العباس لألجمنه السيف وقال ذلك لان أباه عتبة وعمه شيبة وأخاه الوليد أول من قتل من الكفار مبارزة وعشيرته وهي بنو عبد شمس قد قتل منهم جماعة فبلغت تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عمر والله لانه أول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص ثم قال عمر يارسول الله دعني أضرب عنقه يعني أبا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو حذيفة رضي الله عنه يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتها يومئذ ولا أزال منها خائفا الا أن تكفرها عني الشهادة فقتل شهيدا يوم اليمامة عند قتالهم لمسيلمة الكذاب وأهل الردة في جملة من قتل فيها من الصحابة وهم أربعمائة وخمسون وقيل ستمائة رضي الله عنهم أجمعين ولقي المجذر أبا البختري فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك فقال وزميلي أي رفيقي وكان معه زميل قد خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة فقال له المجذر لا والله ما نحن

فيه ماء فشرب منه قليلا (وفي رواية) أنه لم يشرب منه شيأ وانه قيل له لو شربت الماء أي جميعه أو بعضه لغرقت أمتك أي (وفي رواية) أنه سمع قائلا يقول ان أخذ الماء غرق وغرقت أمته ثم رفع اليه اناء آخر فيه لبن فشرب منه حتى روي أي (وفي رواية) سمع قائلا يقول ان أخذ اللبن هدى وهديت أمته ثم رفع اليه اناء فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا أريده فقد رويت فقال له جبريل انها ستحرم على أمتك أي بعد اباحتها لهم (وفي رواية) أنه قيل له لو شربت الخمر لغويت أمتك ولم تتبعك أي لا يكون على طريقتك منهم الا القليل أي (وفي رواية) انه سمع قائلا يقول ان اخذ الخمر غوى وغويت امته (اقول) وهذه الرواية محتملة لان تكون وهو في بيت المقدس ولان تكون وهو خارج عنه ومن هذا كله تعلم انه تكرر عليه عرض اللبن والخمر داخل بيت المقدس وخارجه ولا مانع من تكرر عرض آنيتي الخمر واللبن قبل خروجه من بيت المقدس وبعد خروجه منه قبل العروج ولا تعارض بين الاخبار بأن احداهما كان فيه عسل مع اللبن وبين الاخبار بأن احداهما كان فيه خمر مع اللبن ولا بين الاخبار باناءين والاخبار بأواني ثلاثة لانه يجوز أن يكون بعض الرواة اقتصر على اناءين ولا بين كون الاناء الثالث كان فيه عسل أو ماء لانه يجوز أن يكون احدى الاواني الثلاثة كان فيها عسل ثم جعل فيها الماء بدل العسل أو مزج العسل به وغلب الماء على العسل أو تكون الاواني أربعة وبعض الرواة اقتصر وقد قال ابن كثير مجموع الاواني أربعة فيها أربعة أشياء من الانهار الاربعة التي تخرج من أصل سدرة المنتهى ولكن لم يسقط اللبن في رواية بخلاف غيره فانه تارة ذكر معه الخمر فقط وتارة ذكر معه العسل فقط وتارة ذكر معه الماء والخمر وعلى الاحتمال الاول يسئل عن سر عدم ذكر جبريل عليه السلام حكمة عدم الشرب من العسل والله أعلم قال ومر على موسى عليه الصلاة والسلام وهو يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر وهو يقول برفع صوته أكرمته فضلته اهـ (وفي رواية) سمعت صوتا وتذمرا هو بالذال المعجمة الحدة فسلم عليه فرد عليه السلام فقال يا جبريل من هذا قال هذا موسى بن عمران قال ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قال أو يرفع صوته على ربه والعتاب مخاطبة فيها ادلال وهذا يدل على ان الصوت الذي سمعه كان مشتملا على عتاب وتذمر مع رفعه (وفي رواية) على من كان تذمره اي حدته قال على ربه قلت أعلى ربه قال جبريل ان الله عز وجل قد عرف له حدته وهذا كما علمت كان كالذي بعده قبل وصوله الى مسجد بيت المقدس والله أعلم وجاء وليلة أسري بي مر بي جبريل على قبر أبي ابراهيم فقال انزل فصل ركعتين قال ومر على شجرة تحتها شيخ وعياله فقال من هذا يا جبريل فقال هذا أبوك ابراهيم عليه الصلاة والسلام فسلم عليه فرد عليه السلام فقال من هذا الذي معك يا جبريل فقال هذا ابنك أحمد قال مرحبا بالنبي العربي الامي ودعا له بالبركة اي فموسى عرفه فلم يسأل عنه وابراهيم لم يعرفه فسأل عنه لكن في السيرة الهشامية ان موسى سأل عنه أيضا فقال من هذا يا جبريل فقال هذا أحمد فقال مرحبا بالنبي العربي الذي

بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله لا أموتن أنا وهو جميعا لا تتحدث عنا نساء مكة أني تركت زميلي يقتل حرصا على الحياة فقتله المجذر بعد أن قاتله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى الا أن يقاتلني فقاتلني فقتلته وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة 418 وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسن أولاد أبي بكر رضي الله عنه وكان فيه دعابة فلما أسلم قال لابيه أبي بكر رضي الله عنه لقد اهدفت لي أي ارتفعت لي يوم بدر مرارا فصدفت عنك أي أعرضت فقال له أبو بكر رضي الله عنه لو هدفت لي لم أعرض عنك والمراد من كونه أهدف له أي ارتفع له وهو لا يشعر بذلك فلا ينافي ما قيل ان عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه أبو بكر رضي الله عنه ليبارزه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أما علمت أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وفي بعض السير ان الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم ابن مالي يا خبيث فقال له عبد الرحمن كلا ما معناه لم يبق الا عدة الحرب التي هي السلاح وفرس سريعة الجري نقاتل عليها شيوخ الضلال وروى ابن مسعود رضي الله عنه ان الصديق رضي الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى المبارزة يوم أحد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك أما علمت انك مني بمنزلة سمعي وبصري فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى في نزول الآية واستبعد بعضهم كون أبي بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها أولا في بدر فلعل ذكر أحد من الاشتباه على بعض الرواة ويرد ماذكر ان سببها ان أبا بكر رضي الله عنه سمع والده أبا قحافة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم بشر فلطمه لطمة سقط منها فأخبر أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضر في السيف لقتلته (وفي كلام الزمخشري) ان عبد الرحمن أسلم رضي الله

نصح أمته ودعا له بالبركة وقال اسأل لامتك اليسير والظاهر أن قبر ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان تحت تلك الشجرة أو قريبا منها فلا مخالفة بين الروايتين وسار صلى الله عليه وسلم حتى اتى الوادي الذي في بيت المقدس فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي أي وهي النمارق أي الوسائد فقيل يا رسول الله كيف وجدتها قال مثل الحمة أي الفحمة اه قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء أي من الصخرة كما تقدم أي على المعراج بكسر الميم وفتحها الذي تعرج أرواح بني آدم فيه وهو كما في بعض الروايات سلم له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب أي عشر مراق وهو المراد بقول بعضهم كانت المعاريج ليلة الاسراء عشرة سبع الى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى والعاشر الى العرش والرفرف أي فأطلق على كل مرقاة معراجا وهذا المعراج لم ير الخلائق أحسن منه أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء أي بعد خروج روحه فان ذلك عجبه بالمعراج الذي نصب لروحه لتعرج عليه وذلك شامل للمؤمن والكافر الا أن المؤمن يفتح لروحه باب السماء دون الكافر فترد بعد عروجها تحسيرا وندامة وتبكيتا له وذلك المعراج أتي به من جنة الفردوس وانه منضد باللؤلؤ أي جعل فيه اللؤلؤ بعضه على بعض عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فصعد هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام قال الحافظ ابن كثير ولم يكن صعوده على البراق كما توهمه بعض الناس أي ومنهم صاحب الهمزية كما سيأتي عنه حتى انتهى الى باب من أبواب سماء الدنيا أي ويقال له باب الحفظة عليه ملك يقال له اسمعيل أي وهذا يسكن الهواء لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط الى الارض قط الا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريفة وتحت يده اثنى عشر ألف ملك أي (وفي رواية) أن تحت يده سبعين ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك فاستفتح جبريل فقيل من أنت (وفي رواية) فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل سماء الدنيا أي حفظتها من هذا قال جبريل فقيل ومن معك أي فانهم رأوهما أو علموا وأعل جبريل لم يكن على الصورة التي يعرفونه بها قال محمد (وفي رواية) قال معك أحد يجوز أن يكون هذا القائل لم يرهما ويكون الرائي له معظم الحفظة قال نعم معي محمد قيل وقد بعث اليه أي للاسراء والعروج اليه لانه كان عندهم علم بأنه سيعرج به الى السموات بعد الاسراء به الى بيت المقدس أي الذي فيه صلى الله عليه وسلم ورسالته الى الخلق يبعد أن تخفى على أولئك الملائكة الى هذه المدة وأيضا لو كان هذا مرادهم لقالوا وقد بعث ولم يقولوا اليه فان قيل قد جاء في حديث أنس أن ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل وقد بعث قلنا تقدم ان حديث أنس كان قبل ان يوحى اليه وانه كان مناما لا يقظة قال السهيلي ولم نجد في رواية من الروايات ان الملائكة قالوا وقد بعث الا في هذا الحديث (وفي رواية) بدل بعث اليه أرسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا قال صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير واختلف في لفظ آدم فقيل أعجمي ومن ثم منع الصرف وقيل عربي لانه مشتق من الأدمة التي هي السمرة والمراد بها هنا لون بين البياض والحمرة حتى لا ينافي كونه

احسن

عنه في هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بجبل بينه وبين مكة ستة أميال فحمل على أعناق الرجال الى مكة ودفن بها وقدمت أخته عائشة رضي الله عنها من المدينة فأتت قبره فصلت عليه وأما أبو قحافة والد أبي بكر رضي الله عنه فأسلم عام الفتح رضي الله عنه وعاش الى أول خلافة الصديق رضي الله عنه ثم توفي بالمدينة ولم يعرف خليفة ولي الخلافة في حياة أبيه غير أبي بكر رضي الله عنه وفي هذا اليوم أعني يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح 419 أباه وكان مشركا وكان أبوه قد قصده ليقتله فولى عنه أبو عبيدة لينكف عنه ويرجع فلم ينكف فرجع اليه وقتله وأنزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم الآية * وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال لقيت أمية بن خلف وكان صديقا لي في الجاهلية ومعه ابنه علي آخذا بيده وكان معي أدراع استلبتها من القوم فأنا أحملها فلما رآني أمية ناداني باسمي الاول يا عبد عمرو فلم أجبه فناداني يا عبد الاله فأجبته وذلك انه كان قال لي لما سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن أترغب عن اسم سماك به أبوك فقلت نعم فقال الرحمن لا أعرفه ولكني أسميك بعبد الاله فلما ناداني بعبد الاله قلت نعم ثم قال هل لك في فأنا خير لك من هذه الادراع التي معك قلت نعم فطرحت الادراع من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه علي وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ثم قال لي يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره أي كانت في درعه بحيال صدره قلت ذلك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذي فعل بنا الافاعيل قال عبد الرحمن ثم خرجت أمشي بهما فوالله اني لأقودهما اذ رآه بلال معي وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على أن يترك الاسلام كما تقدم فقال بلال يا أنصار رسول الله هذا أمية ابن خلف رأس الكفر لا نجوت ان نجا فقلت يا بلال أبأسيري تفعل ذلك قال لا نجوت ان نجا وكررت وكرر ذلك ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا فأحاطوا بنا فأصلت بلال السيف أي سله من غمده وضرب رجل علي بن أمية فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط وفي رواية البخاري عن عبد الرحمن بن عوف ان بلالا لما استصرخ الانصار قال خشيت

أحسن الناس أو هو مشتق من أديم الارض أي وجهها لانه مخلوق منه وعلى أنه عربي يكون منع صرفه للعلمية ووزن الفعل (وفي رواية) تعرض عليه أرواح بنيه فيسر بمؤمنها أي عند رؤيته ويعبس بوجهه عند رؤية كافرها قال (وفي رواية) فاذا فيها آدم كيوم خلقه الله تعالى على صورته أي على غاية من الحسن والجمال فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين وتعرض عليه أرواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة خرجت من جسد خبيث اجعلوها في سجين (أقول) وهذا وان اقتضى كون أرواح العصاة من المؤمنين في عليين كأرواح الطائعين منهم لكن لا يقتضي تساويهما في الدرجة كما لا يخفى (وفي رواية) تعرض عليه أعمال ذريته وهو اما على حذف المضاف أي صحف أعمالهم التي وقعت منهم وهي التي في صحف الحفظة أو التي ستقع منهم وهي ما في صحف الملائكة غير الحفظة أو تعرض عليه نفس أعمال تجسمت لما سيأتي أن المعاني تجسم ففي كل من الروايتين اقتصار والله أعلم (وفي رواية) سندها ضعيف كما قاله الحافظ ابن حجر وعن يمينه أسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله أسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر عن يمينه أي الى تلك الاسودة ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله أي الى تلك الاسودة حزن وبكى فسلم عليه صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذا فقال هذا أبوك آدم أي وزاد في الجواب قوله وهذه الاسودة نسم أي أرواح بنيه فأهل اليمين أهل الجنة وأهل الشمال أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله حزن وبكى وزاد في الجواب أيضا قوله وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة اذا نظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر من يدخله من ذريته حزن وبكى اه أي اذا نظر الى أرواح من يدخلهما وفيه ان الجنة فوق السماء السابعة والنار في الارض السابعة وهي محيطة بالدنيا فكيف يكون بابهما في السماء الدنيا وأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء كما تقدم وأجيب عن الثاني بأن عرضها أي أرواح ذريته الكفار عليه نظره اليها وهي دون السماء لانها شفافة أو من ذلك الباب أي وكونها عن يساره الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم أي في جهة يساره ويجاب عن الاول بأن الباب الذي على يمينه يجوز ان يكون محاذيا لموضع الجنة من السماء السابعة ولهذا قيل له باب الجنة وكذا يقال في باب جهنم لان الاضافة تأتي لادنى ملابسة وبما أجبنا به عن كون أرواح ذريته الكفار عن جهة يساره يعلم انه لا حاجة في الجواب عن ذلك الى قول الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يقال ان النسم المرئية هي الارواح التي لم تدخل الاجساد بعد أي الآن ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أعلم بما سيصيرون اليه بناء على ان الارواح مخلوقة قبل أجسادها على انه لا يناسب قوله روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب الى آخره ولا حاجة لما نقل عن القرطبي في الجواب عن ذلك من ان الكفار التي لا يفتح لها أبواب السماء

أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم أتونا حتى لحقوا بنا وكان أمية رجلا ثقيلا فقلت ابرك فبرك فألقيت عليه نفسي لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه فأصاب أحدهم رجلي بسيفه أي ظهر قدمه والذي باشر قتله مع بلال معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف فهم اشتركوا في قتله قال ابن اسحق واما ابنه علي فقتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول ٤٢٠ رحم الله بلالا ذهبت ادراعي وفجعني باسيري وفي رواية فلا ادراعي ولا اسيري

وهنأ أبو بكر رضي الله عنه بلالا حين قتل امية بأبيات منها قوله

هنيئا زادك الرحمن خيرا

فقد أدركت ثأرك يابلال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل بن خويلد فقال علي رضي الله عنه انا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يامعشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني نوفل بن خويلد (وفي صحيح مسلم) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه قال اني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وعن شمالي واذا أنا بين غلامين من الانصار حديثة اسنانهما فغمزني احدهما سرا من صاحبه فقال ياعم هل تعرف أبا جهل بن هشام فقلت نعم وما حاجتك به قال بلغني انه كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا اي الاقرب اجلا فغمزني الآخر فقال مثلها سرا من صاحبه فعجبت لذلك أي لحرص كل منهما على ذلك واخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم انشب اي ألبث أن نظرت الى أبي جهل يزول في الناس أي يتحول من محل الى محل آخر فقلت لهما ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه اي اشرفا به الى القتل وصيراه الى حركة المذبوح وسيأتي ان ابن مسعود رضي الله عنه هو الذي تمم قتله ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته قال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السيفين فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لهما الا السيف فسيأتي انه قضى به لابن مسعود (قال ابن اسحق)

المشركون دون الكفار من أهل الكتاب فيجوز أن تكون تلك الاسودة أرواح كفار أهل الكتاب اذ هو يقتضي ان المراد بأرواح بنيه في الروايتين السابقتين الارواح التي خرجت من أجسادها قال صلى الله عليه وسلم ورأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل أي كشفاه الابل أي وفي أيديهم قطع من نار كالافهار أي الحجارة التي كل واحد منها ملء الكف يقذفونها في أفواههم تخرج من أدبارهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما وهؤلاء لم تتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم في الارض أي ولعل المراد بالرجال الاشخاص أو خصوا بذلك لانهم أولياء الايتام غالبا قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط (وفي رواية) أمثال البيوت زاد في رواية فيها حيات ترى من خارج البطون بسبيل أي طريق آل فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون على النار ولا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك أي فتطؤهم آل فرعون الموصوفون بما ذكر المقتضي اشدة وطئهم لهم والمهيومة التي أصابها الهيام وهو داء يأخذ الابل فتهيم في الارض ولا ترعى وفي كلام السهيلي الابل المهيومة العطاش والهيام شدة العطش أي (وفي رواية) كلما نهض أحدهم خر أي سقط قال قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء أكلة الربا وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم في الارض لا بهذا الوصف بل ان الواحد منهم يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة أي ولا مانع من اجتماع الوصفين لهم أي فيخرجون من ذلك النهر ويلقون في طريق من ذكر وهكذا عذابهم دائما قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب الى جنبه لحم خبيث منتن يأكلون من الغث أي الخبيث المنتن ويتركون السمين الطيب قال قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن أي وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم أي الرجال والنساء في الارض بنحو هذا الوصف (وفي رواية) رأى اخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد وأخرى عليها لحم منتن عليها ناس يأكلون قال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام أي من الاموال أعم مما قبله أي وهؤلاء لم تتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم في الارض قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت نساء متعلقات بثديهن فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهم أي بسبب زناهن أي وهؤلاء لم يتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهن في الارض والذي تقدم رؤيته لهن الزانيات لا بهذا القيد وهو ادخالهن على أزواجهن ما ليس من أولادهم على انه يجوز أن يكون المراد مطلق الزانيات لان الزنا سبب في حصول ماذكر غالبا ولا مانع من اجتماع الوصفين لهن قال ثم مضى هنيهة فاذا هو بأقوام يقطع اللحم من جنوبهم فيلقمونه فيقال له أي لكل واحد منهم كل كما كنت تأكل لحم أخيك قال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون أي المغتابون للناس النمامون لهم اه أي وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم للمغتابين في الارض بغير هذا الوصف أي وروي انه صلى الله عليه

ان ابا جهل لما نزل القتال اقبل يرتجز ويقول ما تنقم الحرب العوان مني ٭ بازل عامين حديث سني ٭ لمثل هذا ولدتني أمي فأذاقه الله الهوان وقتله شر قتلة وجعل ذلك حسرة عليه وجاء ان الملائكة شاركت قاتليه في قتله (وجاء في الحديث) ان الله قتل أبا جهل فالحمد لله الذي صدق وعده (ولما انقضى القتال) وانهزم المشركون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي جهل ان يلتمس في القتلى وقال ان خفي عليكم اي بان قطع رأسه وازيل عن جثته فانظروا الى أثر جرح ٤٢١ في ركبته فاني ازدحمت يوما انا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت اشف منه اي اكبر منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش اي خدش على احداهما جحشا لم يزل اثره به وهذا هو مراد بعضهم بقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم صارع ابا جهل فصرعه فخرج الناس يلتمسونه في القتلى وفيهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال عبد الله فرأيت أبا جهل وهو بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت له قد أخزاك الله ياعدو الله قال وبم أخزاني أعار على رجل قتلتموه اي ليس بعار علي رجل قتلتموه وفي رواية لا رجل اعمد من رجل قتلتموه اي انا سيد رجل قتلتموه لان عميد القوم سيدهم اي فلا عار علي في قتلكم اياي وفي رواية وهل اشرف من رجل قتله قومه ثم قال له لو غير أكار قتلني والاكار الزراع يعني الانصار لانهم كانوا أصحاب زرع اي لو كان الذي قتلني غير فلاح لكان اعظم اشأني ولم يكن علي نقص ثم قال لابن مسعود اخبرني لمن الدبرة أي النصرة والظفر اليوم لنا أو علينا قلت لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وسأل ابن مسعود عن أهل الاجسام الطوال الذين يقتلون ويأسرون فينا فقال له أولئك الملائكة فقال هم الذين غلبونا لا أنتم وهذا غاية في كفره وعناده حيث تحقق ذلك كله ولم يؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ثم ان ابن مسعود رضي الله عنه وطئ على عنقه وعلا فوق صدره يريد حز رأسه فقال له لقد ارتقيت يارويعي الغنم مرتقى صعبا قال ابن مسعود رضي الله عنه فضربته بسيفي لاحز رأسه فلم يغن عني شيأ فبصق في وجهي وقال خذ سيفي واحتز به رأسي من عرشي ليكون أنهى للرقبة والعرش عرق في أصل الرقبة ففعلت كذلك وجاء انه قال لابن مسعود رضي الله عنه احتز من أصل العنق ليرى عظيما مهابا في عين محمد

عليه وسلم رأى في هذه السماء النيل والفرات يطردان أي يجريان وعنصرهما أي أصلهما وهو يخالف ما يأتي أنه صلى الله عليه وسلم رأى في أصل سدرة المنتهى أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران وأن الظاهرين النيل والفرات وأجيب بانه يجوز ان يكون منبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما وهو المراد بعنصرهما الذي هو أصلهما في السماء الدنيا أي بعد مرورهما في الجنة ومن سماء الدنيا ينزلان الى الارض فقد جاء في تفسير قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض انهما النيل والفرات أنزلا من الجنة من أسفل درجة منها على جناح جبريل عليه الصلاة والسلام فأودعهما بطون الجبال ثم ان الله سبحانه وتعالى سيرفعهما ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الايمان وذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون وذكره السهيلي وفي زيادة الجامع الصغير ان النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يسيح لوجدتم فيه من ورقها قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه الصلاة والسلام فقيل من أنت قال جبريل ومن معك قال محمد قيل قد بعث اليه قال نعم قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما أي شبيه أحدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما فرحبا بي ودعوا الي بخير وفي بعض الروايات التي حكم عليها بالشذوذ أنهما في السماء الثالثة وقد ذكرها الجلال السيوطي في أوائل الجامع الصغير وذكر بعضهم أنها رواية الشيخين عن أنس والشذوذ لا ينافي الصحة المطلقة فقد قال شيخ الاسلام في شرح ألفية العراقي عند قوله من غير ما شذوذ خرج الشاذ وهو ما خالف فيه الراوي من هو أرجح منه ولا يرد عليه الشاذ الصحيح عند بعضهم لان التعريف للصحيح المجمع على صحته لا مطلقا هذا كلامه وفي كلام السخاوي نقلا عن شيخه ابن حجر ان من تأمل الصحيحين وجد فيهما أمثلة من ذلك أي من الصحيح الموصوف بالشذوذ (أقول) وكونهما ابني الخالة أي أن أم كل خالة الآخر هو المشهور وعليه قال ابن السكيت يقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة ويقال ابنا عم ولا يقال ابنا خال لكن في عيون المعارف للقضاعي ان يحيى انما هو ابن خالة مريم أم عيسى لا ابن خالة عيسى لان أم يحيى أخت أم مريم لا أخت مريم وكذا في كلام ابن اسحق أن عمران وزكريا كلاهما من ذرية سليمان عليهم الصلاة والسلام وانهما تزوجا أختين فزوجة زكريا ولدت يحيى قبل عيسى بستة أشهر ثم ولدت مريم عيسى وزوجة عمران ولدت مريم فأم يحيى أخت أم مريم فعيسى ابن بنت خالة يحيى وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بابني الخالة على التجوز وكذا قول عيسى ليحيى ياابن الخالة كما في تفسير التستري على التجوز ففيه حكي عن يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أنهما خرجا يمشيان فصدم يحيى امرأة فقال له عيسى ياابن الخالة لقد أخطأت اليوم خطيئة ما أرى الله عز وجل يغفرها لك قال وما هي قال صدمت امرأة قال والله ما شعرت بها قال عيسى سبحان الله بدنك

وقل له ما زلت عدو الله سائر الدهر واليوم أشد عداوة ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم برأسه وأخبره بقوله قال كما انى أكرم النبيين
على الله وأمتى أكرم على الله كذلك فرعون هذه الامة أشد وأغلظ من فراعنة سائر الامم اذ فرعون موسى حين أدركه الغرق قال
آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وفرعون هذه الامة ازداد عداوة وكفرا وفى رواية قال ابن مسعود رضى الله عنه
ثم جئت برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم آلله الذى لا اله
غيره ورددها ثلاثا قلت نعم والله
الذى لا اله غيره ثم ألقيت رأسه
بين يدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحمد الله (وجاء انه سجد)
خمس سجدات شكرا وفى رواية
صلى ركعتين وقال الحمد لله الذى
أعز الاسلام وأهله الله أكبر الحمد
لله الذى صدق وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده وكون أبى
جهل بصق فى وجه ابن مسعود وقال
له خذ سيفى الى آخر ما تقدم ينافى
كونه وصل الى حركة المذبوح الا
ان يقال يجوز ان يكون فى أول
الامر حين ضربه الانصار وصل
الى حركة المذبوح فتركوه ثم تراجعت
اليه روحه حتى قدر على ما ذكر
فذفف عليه ابن مسعود رضى الله
عنه (قال ابن قتيبة) ذكر ان أبا
جهل قال لابن مسعود رضى الله
عنه وهما بمكة لاقتلنك فقال والله
لقد رأيت فى النوم انى أخذت
حدجة حنظل فوضعتها بين
كتفيك ورأيتنى أضرب كتفيك
ولئن صدقت رؤياى لاطأن على
رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة فكان
فى تذفيف ابن مسعود رضى الله
عنه عليه تصديق تلك الرؤيا وجاء
فى رواية ان ابن مسعود وجده
متقنعا فى الحديد وهو منكب
لا يتحرك فرفع سابغة البيضة عن
قفاه فضربه فوقع رأسه بين يديه (وروى الطبرانى) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انتهيت الى أبى جهل وهو
صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعى سيف ردى فجعلت أنقف رأسه وأذكر نقفا كان ينقف رأسى بمكة فأخذت سيفه فرفع
رأسه فقال على من كانت الدبرة ألست برويعينا بمكة فقتلته ثم سلبته فلما نظرت اليه اذا هو ليس به جراح واذا هو اخدار وأورام فى
عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط اى آثار سود كسمة النار ليس به جراح من جراح الآدميين أى فى داخل بدنه فلا ينافى

معى فأين قلبك قال معلق بالعرش ولو أن قلبى اطمأن الى جبريل صلوات الله وسلامه عليه
طرفة عين لظننت أنى ما عرفت الله عز وجل ووجه التجوز أنه أطلق على بنت الاخت لفظ
الاخت قال بعضهم وهو كثير شائع فى كلامهم ثم رأيت المولى أبا السعود ذكر ما يجمع به
بين القولين وهو انه قيل ان أم يحيى أخت أم مريم من الام وأخت مريم من الاب فليتأمل
تصويره بناء على تحريم نكاح المحارم لان أم مريم حينئذ بنت موطوءة أبيها لانها ربيبته
الا أن يكون فى شريعتهم جواز ذلك ثم رأيت بعضهم ذكر ذلك حيث قال لا يبعد ان عمران
تزوج أولا أم حنة فولدت أشياع أى التى هى أم يحيى ثم تزوج حنة بعد ذلك التى هى
ربيبته بنت موطوءته فجاء منها مريم بناء على جواز ذلك فى شريعتهم وفيه أنه تقدم أن
نوحا عليه الصلاة والسلام بعث بتحريم نكاح المحارم الا أن يقال المراد محارم النسب دون
المصاهرة ولم يسم أحد يحيى بعد يحيى هذا الا يحيى بن خلاد الانصارى جىء به للنبى صلى
الله عليه وسلم يوم ولد فحنكه بتمرة وقال لاسمينه باسم لم يسم به بعد يحيى بن زكريا فسماه
يحيى ومما يدل على شرف سيدنا يحيى بن زكريا ما فى الكشاف عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما كنا فى المسجد نتذاكر فضل الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فذكرنا نوحا بطول
عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله تعالى اياه وعيسى برفعته الى السماء وقلنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وهو خاتم الانبياء أى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال
لا ينبغى لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولا هم بها أى
ففى الحديث ما من أحد الا و يلقى الله عز وجل وقد هم بمعصية عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم
يهم بها ولم يعملها فليتأمل ما فى ذلك وقد ذكر أن والده زكريا لامه على كثرة العبادة
والبكاء فقال له أنت أمرتنى بذلك يا أبت ألست أنت القائل ان بين الجنة والنار عقبة
لا يجوزها الا البكاؤن من خشية الله عز وجل فقال بلى فجد واجتهد وقد جاء فى الحديث أن يحيى
هو الذى يذبح الموت يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة تكون فى يده والناس ينظرون اليه
أى فان الموت يكون فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ويقال لاهلهما أتعرفون
هذا فيقولون نعم هو الموت أى يلقى الله عز وجل معرفته فى قلوبهم وتجسيم المعانى جاء به الحديث
الصحيح على أنه جاء فى تفسير قوله تعالى خلق الموت والحياة أن الموت فى صورة كبش لا يمر على
أحد الا مات وخلق الحياة فى صورة فرس لا يمر على شىء الا حيى وهو يدل على ان الموت جسم
وان الميت يشاهد حلول الموت به وقيل الذى يذبح الموت جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل
ان فى هذه السماء الثانية ادريس وهو قول شاذ وقيل يوسف جاءت به رواية ذكرها الجلال
السيوطى فى أوائل الجامع الصغير وذكر فيها أن ابنى الخالة فى السماء الثالثة كما تقدم وتقدم
أن بعضهم ذكر أنها رواية الشيخين عن أنس قال أبو حيان وعيسى لفظ أعجمى والظاهر ان

مثله

ما تقدم من قطع ابن الجموح لرجله ومن ضرب ابن عفراء له حتى أثبته فأتى ابن مسعود رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره
به أى بالضرب الذى كهيئة السياط فقال ذلك ضرب الملائكة وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال كنا ننظر الى المشرك أمامنا
مستلقيا فننظر اليه فاذا هو قد حطم انفه وشق وجهه كضربة بالسوط فاخضر ذلك الموضع (وعن سهل بن حنيف) رضى الله عنه عن
أبيه رضى الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك اى يرفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل ان

يصل اليه السيف وقد جاء ان
الملائكة كانت لا تعلم كيف تقتل
الآدميين فعلمهم الله ذلك بقوله
فاضربوا فوق الاعناق واضربوا
منهم كل بنان أى مفصل فكانوا
يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم
بآثار سود كسمة النار وفى رواية
وصف ذلك الاثر بالخضرة ولا
منافاة لان الاخضر لشدة خضرته
ربما قيل فيه اسود وتلك الآثار
بعد مفارقة الرأس او اليد يستدل
بها على ان مفارقة الرأس أو اليد
من فعل الملائكة وجاء ان بعض
ضربهم كان فى الكتفين وفى
الوجه والانف وأكثره فوق
الاعناق والبنان وفسر بعضهم
الاعناق بالرؤس والضرب فى
الاعناق تارة يفصلها وتارة لا وفى
الحالين يرى أثر ذلك اسود فى
العنق ليستدل به على انه من فعل
الملائكة وجاء ان النبى صلى الله
عليه وسلم وقف على القتلى والتمس
أبا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك
فى وجهه ثم قال اللهم لا تعجزنى
فرعون هذه الامة فسعى له الرجال
حتى وجده ابن مسعود الحديث
وفى الصحيحين عن أنس رضى الله
عنه لما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو
جهل انطلق ابن مسعود رضى الله
عنه فوجده قد ضربه ابنا عفراء
حتى برد وفى رواية برك فاخذ بلحيته فقال انت أبو جهل الحديث ولما جاء ابن مسعود يخبر النبى صلى الله عليه وسلم بانه وجده فقتله اى
ثم قتله قال له عقيل بن أبى طالب وكان قبل اسلامه رضى الله عنه وهو اسير عند النبى صلى الله عليه وسلم كذبت ما قتلته قال فقلت له
بل انت الكذاب الآثم يا عدو الله قد والله قتلته قال فما علامته قلت ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال نعم وهذا هو اثر الجحش
الذى جحشه اياه النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم ولا منافاة بين اخبار ابن مسعود النبى صلى الله عليه وسلم بقتل أبى جهل ومجيئه برأسه

مثله يحيى هذا كلامه وفى كلام غيره ان يحيى عربى ومنع صرفه العلمية ووزن الفعل وقيل فى
عيسى انه عربى مشتق من العيس وهو بياض يخالطه صفرة وعلى أنه أعجمى قيل عبرانى وقيل
سريانى ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم أى
ومعه نفر من قومه واذا هو أعطى شطر الحسن أى (وفى رواية) صورته صورة القمر ليلة
البدر والمراد بشطر الحسن نصف الحسن الذى أعطيه الناس وفى الحديث أعطى يوسف
وأمه ثلث حسن الدنيا وأعطى الناس الثلثين ويحتاج للجمع بينها وبين ما جاء فى رواية قسم
الله ليوسف من الحسن والجمال ثلثى حسن الخلق وقسم بين سائر الخلق الثلث وعن وهب بن
منبه الحسن عشرة أجزاء تسعة منها ليوسف وواحد منها بين الناس وفى كلام بعضهم كان فضل
يوسف فى الحسن على الناس كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار فى أزقة مصر
يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يتلألأ نور الشمس وضوء القمر على الجدران والمراد
بالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم لان حسن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يشارك فى شىء منه كما
أشار اليه صاحب البردة بقوله فجوهر الحسن فيه غير منقسم * خلافا لابن المنير حيث
ادعى ان يوسف أعطى شطر الحسن الذى أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وتبعه على ذلك شارح
تائية الامام السبكى وعبارته فاذا هو أى يوسف عليه الصلاة والسلام أعطى شطر الحسن
الذى أعطيه كله صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل ان يوسف ورث الحسن من اسحق الذى هو
جده واسحق ورث الحسن من سارة التى هى أمه وسارة أعطيت سدس الحسن ورثت ذلك
من حواء أى (وفى رواية) وصف يوسف وانه أحسن ما خلق الله تعالى قد فضل الناس بالحسن
كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب أى كفضل القمر ليلة البدر على بقية الكواكب الليلية
والمراد بخلق الله تعالى وبالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت أنه أعطى شطر الحسن الذى
لغير نبينا صلى الله عليه وسلم ولان المتكلم لا يدخل فى عموم خطابه على ما فيه وقد جاء أن يوسف
أعطى نصف حسن آدم (وفى رواية) ثلث حسن آدم وقد جاء كان يوسف يشبه آدم يوم خلقه
ربه وفى الخصائص الصغرى للسيوطى وخص بأنه صلى الله عليه وسلم أوتى كل الحسن ولم يعط
يوسف الا شطره فلينظر الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد جاء ما بعث الله نبيا الا
حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها أحسنهم صوتا قال فرحب بى ودعا لى
بخير وفى بعض الروايات أن فى هذه السماء الثالثة ابنى الخالة يحيى وعيسى كما مر ثم عرج بنا الى
السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب بى ودعا لى بخير (وفى رواية) قال مرحبا
بالاخ الصالح والنبى الصالح (وفى رواية) قتادة مرحبا بالابن الصالح قال بعضهم وهو القياس
لانه جده الاعلى لانه من ولد شيث بينه وبين شيث أربعة آباء أرسل بعد موت آدم بمائتى سنة

لاحتمال أن يكون اخبر أولا ثم رجع وجاء برأسه وتكذيب عقيل لابن مسعود يحتمل ان يكون فى اصل قتل أبى جهل وانه يعتقد انه ماقتل بل هو حى مع قومه أو التكذيب فى ان ابن مسعود هو القاتل ويريد ان القاتل غيره كالانصار ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم بعد القاء الرأس بين يديه خرج يمشى مع ابن مسعود رضى الله عنه حتى أوقفه على أبى جهل فقال الحمد لله الذى اخزاك ياعدو الله هذا كان فرعون هذه الامة ورأس قاعدة الكفر قال ٤٢٤ ابن مسعود رضى الله عنه ونفلنى سيفه أى اعطانيه وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة (وعن قتادة) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل قتله الله شر قتلة بكسر القاف لبيان الهيئة قتلته الملائكة وفى رواية قتله ابن عفراء أى وابن الجموح وقتلته الملائكة واجهز عليه ابن مسعود رضى الله عنه وعن معاذ بن عمرو ابن الجموح رضى الله عنه قال رأيت أبا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون أبو الحكم لايخلص اليه فلما سمعتها أعمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة اطنت قدمه بنصف ساقه أى أسرعت قطعه فوالله ماشبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى فضربنى ابنه عكرمة رضى الله عنه فانه اسلم بعد ذلك على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جسمى واجهضنى القتال أى شغلنى فلقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت عليها حتى طرحتها ثم جئت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليها وألصقها فلصقت قال ابن اسحق وعاش رضى الله عنه الى خلافة عثمان رضى الله عنه وهو صحيح سليم ثم بعد ضربة ابن الجموح لابى جهل جاءه وهو عقير معوذ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ابن عفراء فضربه حتى انبته أى أثخنه وتركه وبه رمق حتى جاء ابن مسعود فذفف عليه هكذا يجمع بين الروايات فان فى بعضها اقتله ابن الجموح وفى بعضها ابن عفراء وفى بعضها ابن مسعود رضى الله عنهم ومعوذ هذا لايزال يقاتل حتى قتل رضى الله عنه وجاء فى بعض الروايات ان ابن الجموح ومعاذا ومعوذا ابنى عفراء اشتركوا فى قتل أبى جهل فلعل معاذا اعان اخاه معوذا وكان معه فى ذلك وقد جاء فى الحديث رحم الله ابنى عفراء اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة قيل له يارسول

وهو أول من أعطى الرسالة من ولد آدم وهو يقتضى ان شيثا لم يكن رسولا ونوح من ولده بينه وبينه ابنان فادريس فى عمود نسبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قوله بالاخ الصالح فى تلك الرواية محمول على التواضع منه خلافا لمن تمسك بذلك على ان ادريس ليس جد النوح ولا هو من آباء النبى صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا أى حال حياته لانه رفع الى السماء قيل من مصر بعد ان خرج منها ودار الارض كلها وعاد اليها ودعا الخلائق الى الله تعالى باثنتين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم وعلمهم العلوم وهو أول من استخرج علم النجوم أى علم الحوادث التى تكون فى الارض باقتران الكواكب قال الشيخ محيى الدين بن العربى وهو علم صحيح لايخطئ فى نفسه وانما الناظر فى ذلك هو الذى يخطئ لعدم استيفاء النظر ودعوى ادريس عليه السلام الخلائق يدل على انه كان رسولا وفى كلام الشيخ محيى الدين لم يجئ نص فى القرآن برسالة ادريس بل قيل فيه صديقا نبيا وأول من افتتحت به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام ومن كانوا قبله انما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل معه فى شرعه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومما يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام حب الدنيا والآخرة لايجتمعان فى قلب أبدا الناس اثنان طالب لايجد وواجد لايكتفى من ذكر عار الفضيحة هان عليه لذتها خير الاخوان من نسى ذنبك ومعروفه عندك وقد قبضت روحه فى هذه السماء الرابعة فصلت عليه الملائكة ومدفنه بها تصلى عليه الملائكة كلما هبطت وحينئذ لا يقال من كان فى السماء الخامسة والسادسة والسابعة أرفع منه على انه قيل لما مات أحياه الله تعالى وأدخله الجنة وهو فيها الآن أى غالب أحواله فى الجنة فلا ينافى وجوده فى السماء المذكورة فى تلك الليلة لان الجنة أرفع من السموات لانها فوق السماء السابعة ولا ماجاء فى الحديث انه فى السماء حى كعيسى عليهما الصلاة والسلام وفى بعض الروايات أن فى هذه السماء الرابعة هرون ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون أى ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء تكاد تضرب الى سرته من طولها وحوله قوم من بنى اسرائيل وهو يقص عليهم فرحب بى ودعالى بخير أى (وفى رواية) فقال ياجبريل من هذا قال هذا الرجل المحبب فى قومه هرون بن عمران أى لانه كان ألين لهم من موسى عليهما الصلاة والسلام لان موسى عليه السلام كان فيه بعض الشدة عليهم ومن ثم كان له منهم بعض الايذاء ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعالى بخير أى (وفى رواية) جعل يمر بالنبى والنبيين معهم القوم والنبى والنبيين ليس معهم أحد ثم مر بسواد عظيم فقال من هذا قيل موسى وقومه المناسب هذا قوم موسى كالايخفى لكن ارفع رأسك فاذا هو بسواد عظيم قد سد الافق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل هؤلاء امتك

الله من قتله معهما قال الملائكة وعفراء اسم امهما وأبوهما اسمه الحرث وقيل ان معاذ بن عمرو بن الجموح اخوهما لامهما فان كلا من الحرث وعمرو بن الجموح تزوج عفراء فيصح ان يقال فى ابن الجموح انه ابن عفراء فلا تنافى بين الروايات ولذا قال صلى الله عليه وسلم يرحم الله ابنى عفراء قد اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر وقد كان أبو جهل اشد الناس عداوة وحسدا للنبى صلى الله عليه وسلم ولم يلق صلى الله عليه وسلم من احد من الاذية مثل مالقى من أبى ٤٢٥ جهل لعنه الله وكان مقاربا للنبى صلى الله عليه وسلم فى السن وكان بينه وبينه قبل البعثة شدة مخالطة ومصاحبة فلما بعثه الله صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس له حسدا وعداوة ولم يزل على ذلك حتى أهلكه الله يوم بدر وهو يوم البطشة الكبرى وكان أشد الناس اجتهادا فى اخراج النفير ولما أرادوا الخروج من مكة أخذ بأستار الكعبة هو وبقية قريش وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأجل الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين وفى ذلك نزل قوله تعالى ان تستفتحوا أى تطلبوا الفتح أى النصر فقد جاءكم الفتح الآية ولما دنا القوم بعضهم من بعض يوم بدر قال اللهم أقطعنا للرحم فاحنه أى أهلكه الغداة اللهم من كان أحب اليك وأرضى عندك فانصره وفى لفظ اللهم أولانا بالحق فانصره فقوله تعالى ان تستفتحوا الخ شامل لذلك كله وفى رواية انه قال يوم بدر اللهم انصر أفضل الدينين عندك وأرضاهما لك وفى رواية اللهم انصر خير الدينين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث وقد استجاب الله دعاءه وكان ذلك عليه لا له ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون وكان رأسه أول رأس حمل فى الاسلام (وكانت سيما الملائكة) يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها خلف ظهورهم الا جبريل عليه السلام فانه كان عليه عمامة صفراء وقيل حمراء وقيل بعض الملائكة كانوا بعمائم صفر وبعضهم بعمائم بيض وبعضهم بعمائم سود وبعضهم بعمائم حمر جمعا بين الروايات بل صرح بذلك فى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر أى وبيض وسود وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه يوم بدر متعمما بعمامة صفراء فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة أى بعضهم

أمتك هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب أى منهم بدليل ماجاء فى رواية قيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وهم الذين لايكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن أنا منهم قال نعم ثم قال رجل آخر أنا منهم قال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة لان هذا الرجل كان منافقا فلم يقل له صلى الله عليه وسلم لست منهم لانك منافق بل أجابه بما فيه ستر عليه والقول بأن ذلك الرجل هو سعد بن عبادة مردود وهذا تمثيل أى مثل له صلى الله عليه وسلم أمته أى وأمة موسى أيضا اذ يبعد وجودها حقيقة فى السماء السادسة وهذا السياق يدل على ان الذى مر بهم من النبى والنبيين فى السماء السادسة فلما خلصا أى جاوزا ماذكر من النبى والنبيين والسواد العظيم فاذا موسى بن عمران رجل آدم طوال كأنه من رجال شنوءة كثير الشعر أى مع صلابته لو كان عليه قميصان لنفذ الشعر منهما أى وكان اذا غضب يخرج شعر رأسه من قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته نار الشدة غضبه وفى كلام بعضهم كان اذا غضب خرج شعره من مدرعته كسل النخل ولشدة غضبه لما فر الحجر بثوبه صار يضربه حتى ضربه ست ضربات أو سبع مع انه لا ادراك له ووجه بأنه لما فر صار كالدابة والدابة اذا جمحت بصاحبها يؤدبها بالضرب فسلم عليه النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم دعا له ولامته بخير وقال يزعم الناس انى أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله منى فلما جاوزه بكى فقيل له ما يبكيك فقال أبكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتى أى وبل من سائر الامم فقد ذكر الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى أن مما اختص به صلى الله عليه وسلم فى أمته فى الآخرة أن أهل الجنة أى من الامم مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون وسائر الامم أربعون وجاء فى المرفوع كل أمة بعضها فى الجنة وبعضها فى النار الا هذه الامة فانها كلها فى الجنة وفى العرائس عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لما كلم الله عز وجل موسى كان بعد ذلك يسمع دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ وفى الحديث ليس أحد يدخل الجنة الا جرد مردا الا موسى بن عمران فان لحيته الى سرته ثم عرج بنا الى السماء السابعة واسمها عريبا واسم الارض السابعة جريبا روى الخطيب باسناد صحيح أن وهب بن منبه قال من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له ثواب يملأ ما بين عريبا وجريبا فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بابراهيم صلوات الله وسلامه عليه أى رجل أشمط وفى لفظ كهل ولا ينافى ذلك ماتقدم من قوله صلى الله عليه وسلم فى وصفه انه أشبه بصاحبكم يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا جالس عند باب الجنة أى فى جهتها كما تقدم والا فالجنة فوق السماء السابعة على كرسى مسندا ظهره الى البيت المعمور أى وهو من عقيق ويقال له الضراح بضم الضاد المعجمة

بسيما أبى عبيد الله بن الزبير وقد ذكر ان الزبير رضى الله عنه قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى كان الرجل يدخل يده فى الجراح التى
فى ظهره وكان شعار الانصار أى علامتهم التى يتعارفون بها فى ذلك اذا جاء الليل أو وقع اختلاط أحد أحد وشعار المهاجرين يا منصور
أمت ويقال أحد أحد وكانت خيل الملائكة بلقا مسومة أى معلمة وكان ذلك بوضع الصوف فى نواصى الخيل وأذنابها وفى رواية
العهن الاحمر والابيض وعن ابن عباس رضى ٤٢٦ الله عنهما قال حدثنى رجل من بنى غفار قال أقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا على
جبل مشرف بنا على بدر ونحن
مشركان ننتظر على من تكون
الدبرة أى الغلبة وقيل بمعنى الهزيمة
والأول أرجح فننهب مع من ينهب
فبينا نحن فى الجبل واذا سحابة
فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت
قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمى
فانكشف قناع قلبه أى غشاؤه
فمات مكانه وأما انا فكدت أهلك
ثم تماسكت وقوله اقدم بضم
الدال من التقدم كلمة يزجر بها
الخيل وحيزوم قيل اسم فرس
جبريل عليه السلام وفى أثر
مرسل ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لجبريل عليه السلام من
القائل يوم بدر من الملائكة اقدم
حيزوم فقال جبريل ما كل أهل
السماء اعرف قال ابن كثير وهذا
الاثر يرد قول من زعم ان حيزوم
اسم فرس جبريل وفيه انه
لا يبعد ان يقول أحد من الملائكة
لفرس جبريل اقدم حيزوم ولا
يعرف جبريل ذلك القائل وفى
رواية جاءت سحابة فسمعنا أصوات
الرجال والسلاح وسمعنا قائلا
يقول لفرسه اقدم حيزوم فنزلوا
عن ميمنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم جاءت سحابة أخرى فنزل
منها رجال كانوا على ميسرته صلى
الله عليه وسلم فاذا هم على الضعف
من قريش فمات ابن عمى وأما أنا
فتماسكت وأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم واسلمت وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الغمام الذى ظلل بنى اسرائيل المقدس
فى التيه هو الذى جاءت فيه الملائكة يوم بدر وعنه أيضا قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين امامه اذ
سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم فنظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد حطم انفه
وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع فجاء ذلك الانصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد

وتخفيف الراء أو فى آخره حاء مهملة من ضرح اذا بعد ومنه الضريح أى وفى كلام الحافظ ابن حجر
يقال له الضراح والضريح وجاء أنه مسجد بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها أى فهو فى تلك السماء
فى محل يحاذى الكعبة أى وقيل فى السماء الرابعة وبه جزم فى القاموس وقيل فى السادسة
وقيل فى الاولى وتقدم أن فى كل سماء بيتا معمورا وان كل بيت منها بحيال الكعبة واذا هو
يدخله كل يوم ألف ملك لا يعودون اليه (أقول) عن بعضهم ان البيت المعمور يدخله كل يوم
سبعون ألف ملك (وفى رواية) سبعون وجها مع كل وجه سبعون ألف ملك والوجه الرئيس
ولعله صلى الله عليه وسلم علم ذلك باعلام جبريل والا فرؤيته صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة
لا تقتضى ذلك ثم رأيت الشيخ عبد الوهاب الشعرانى أشار الى ذلك حيث قال وسماه البيت
المعمور فنظر اليه وركع فيه ركعتين وعرفه أى جبريل أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من
الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج
من باب مغاربها والظاهر ان دخول هؤلاء الملائكة خاص بالذى فى السماء السابعة وقال
السهيلى وقد ثبت فى الصحيح ان أطفال المؤمنين والكافرين فى كفالة ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين رآهم مع ابراهيم عليه الصلاة
والسلام من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا قال له وأولاد
الكافرين قال وأولاد الكافرين خرجه البخارى فى الحديث الطويل فى كتاب الجنائز
وخرجه فى موضع آخر فقال فيه أولاد الناس وقد روى فى أطفال الكافرين أيضا أنهم خدم
أهل الجنة هذا كلامه وجاء فى حديث مرفوع لكن سنده ضعيف أن فى السماء الرابعة
نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم أى سحرا كما فى بعض الروايات فينغمس ثم يخرج
فينتفض فيخرج عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا وفى لفظ يخلق الله
عز وجل من كل قطرة كذا وكذا ألف ملك يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور يصلون فيه فهم
الذين يصلون فى البيت المعمور لا يعودون اليه أبدا يولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم فى
السماء موقفا يسبحون الله عز وجل الى أن تقوم الساعة وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى
ان جبريل أخبره بذلك فى تلك الليلة والله أعلم وفى رواية واذا أنا بأمتى شطرين شطر عليهم
ثياب بيض كأنها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمدة فدخلت البيت المعمور ودخل معى
الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت أنا ومن معى فى
البيت المعمور أى والظاهر أنه ليس المراد بالشطر النصف حتى يكون العصاة من أمته بقدر
الطائعين منهم وان الصلاة محتملة للدعاء ولذات الركوع والسجود ويناسبه ما تقدم من قوله
ركعتين وان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له يا بنى انك لاق ربك الليلة وان أمتك آخر
الامم وأضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك فى أمتك فافعل وفى السيرة الشامية أن
سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له صلى الله عليه وسلم ذلك فى الارض قبل وصول بيت

السماء وعن على رضى الله عنه وكرم وجهه قال هبت ريح شديدة يوم بدر ما رأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت أخرى
كذلك فكانت الاولى جبريل نزل فى ألف من الملائكة امام النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الثانية ميكائيل نزل فى ألف من
الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل فى ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفى مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه انه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه ٤٢٧ وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما
ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد
يقاتلان كأشد القتال يعنى جبريل
وميكائيل * وانكسر سيف عكاشة
رضى الله عنه وهو بتشديد الكاف
أكثر من تخفيفها ابن محصن
الاسدى رضى الله عنه وهو
يقاتل به فأعطاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم جذلا من حطب أى
أصلا من أصول الحطب وقال
قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه
فعاد فى يده سيفا طويل القامة
شديد المتن ابيض الحديد فقاتل به
حتى فتح الله تعالى على المسلمين
وكان ذلك السيف يسمى العون
ثم لم يزل عند عكاشة وشهد به
المشاهد كلها مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده
فى قتال أهل الردة فى زمن
الصديق رضى الله عنه ثم لم يزل
متوارثا عند آل عكاشة وسيأتى
مثل ذلك فى غزوة أحد لعبد الله
ابن جحش رضى الله عنه وجاء فى
فضل عكاشة رضى الله عنه انه ممن
يدخل الجنة بغير حساب وانكسر
سيف سلمة بن أسلم رضى الله عنه
فأعطاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قضيبا كان فى يده أى عرجونا
من عراجين النخل وقال اضرب به
فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده
* وضرب خبيب رضى الله عنه فمال
شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق * ورمى رفاعة بن مالك رضى الله عنه بسهم ففقئت عينه فبصق عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له فما آذاه شىء منها ورجعت كما كانت (ثم أمر) رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين
أن ينقلوا من مصارعهم وان يطرحوا فى القليب فطرحوا فى القليب الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأه فذهبوا
ليحركوه فتزايل أى تقطعت أوصاله فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة قال السهيلى وانما ألقوا فى القليب ولم يدفنوا لانه عليه

المقدس وقال له هنا مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وأرضها واسعة فقال له
وما غراس الجنة فقال لا حول ولا قوة الا بالله وفى رواية أخرى اقرئ أمتك منى السلام
وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
أكبر وقد يقال لا مخالفة بين الروايتين لانه يجوز أن يكون غراس الجنة مجموع ما ذكر وان
بعض الرواة اقتصر قال صلى الله عليه وسلم واستقبلتنى جارية لعساء وقد أعجبتنى فقلت لها
يا جارية أنت لمن قالت لزيد بن حارثة أى ولعل تلك الجارية خرجت من الجنة فيكون استقبالها
له صلى الله عليه وسلم بعد مجاوزة السماء السابعة لكن فى رواية فرأيت فيها أى فى الجنة جارية
الحديث وقد يقال يجوز أن يكون رآها مرتين خارج الجنة وداخلها فيكون سؤالها فى المرة
الاولى واللعس لون الشفة اذا كانت تضرب الى السواد قليلا وذلك مستملح قاله فى الصحاح وفى
رواية فلما انتهى الى السماء السابعة رأى فوقه رعدا وبرقا وصواعق أى وهذه الرواية ظاهرة فى
انه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك فى السماء السابعة محتملة لان يكون رآه قبل دخوله فيها وحينئذ
يكون قوله ثم أتى باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل على الاحتمالين المذكورين وعند
عرض تلك الاوانى عليه صلى الله عليه وسلم أخذ اللبن فقال جبريل أصبت الفطرة أى بأخذك
اللبن الذى هو الفطرة أصاب الله عز وجل بك أمتك على الفطرة أى أوجدهم على الفطرة
ببركتك وفى رواية هذه الفطرة التى أنت عليها وأمتك ٥ أى وتقدم ان المراد بها الاسلام
وورد ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى السماء السادسة وموسى فى السماء السابعة وهذه
الرواية فى البخارى عن أنس وتقدم أن ذلك كان فى الاسراء بروحه صلى الله عليه وسلم لا بجسده
وفيه ان رؤيا الانبياء حق فالاولى الجمع بين الروايات بالانتقال وان بعض الانبياء نزل من محله
الى ما تحته لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند صعوده وبعضهم خرج عن محله وصعد الى ما فوقه
لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند هبوطه فاخبر صلى الله عليه وسلم عنه تارة بأنه فى سماء كذا وتارة
بأنه فى سماء كذا والحافظ ابن حجر لا يرى الجمع بل يحكم على ما خالف أصح الروايات بانه لا يعمل به
قال والجمع انما هو مجرد استرواح لا ينبغى المصير اليه هذا كلامه وعندى فيه نظر ظاهر والجمع
أولى من اثبات المعارضة لا سيما بين الاصح والصحيح وان كان الصحيح شاذا الا ان لا نقدم الاصح
أو الصحيح على غيره الاحيث تعذر الجمع فليتأمل وعلى المشهور من الروايات الذى صدر نا به
أبدى بعضهم لاختصاص هؤلاء الانبياء بملاقاته صلى الله عليه وسلم واختصاص كل واحد منهم
بالسماء الذى لقيه فيها حكمة يطول ذكرها قال صلى الله عليه وسلم ثم ذهب بى أى جبريل الى
سدرة المنتهى واذا أوراقها كآذان الفيلة وفى رواية مثل آذان الفيول وفى رواية الورقة منها
تظل الخلق وفى رواية تكاد الورقة تغطى هذه الامة وفى رواية لو أن الورقة الواحدة ظهرت
لغطت هذه الدنيا وحينئذ يكون المراد بكونها كآذان الفيلة فى الشكل وهو الاستدارة
لا فى السعة واذا ٥ ثمرها كالقلال وفى رواية كقلال هجر قرية بقرب المدينة والواحدة

الصلاة والسلام كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب أيسر اليهم وفيه أيضا اشارة الى أن الحربى لا يجب دفنه بل يجوز اغراء الكلاب على جيفته ولما ألقى عتبة والد أبى حذيفة رضى الله عنه فى القليب تغير وجه أبى حذيفة ففطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك دخلك من شأن أبيك شئ فقال لا والله ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت مامات عليه أحزننى ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خير وجاء ان أبا حذيفة رضى الله عنه أراد أن يبارز أباه و يقتله لما طلب المبارزة فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل أبيه وان تمكن منه ثم بعد القائهم فى القليب بثلاثة أيام جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على شفير القليب وجعل يناديهم بأسمائهم و يقول يا فلان بن فلان و يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا فانى وجدت ما وعدنى الله حقا وجاء فى بعض الطرق ناداهم بأسمائهم فقال يا عتبة بن ربيعة يا شيبة ابن ربيعة و يا أمية بن خلف و يا أبا جهل بن هشام وانما ذكر أمية بن خلف وان لم يكن من أهل القليب لانه كان قريبا من القليب وفى رواية قال لهم صلى الله عليه وسلم بئس عشيرة كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس وأخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا شيأ وفى رواية يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون وعن قتادة أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة عليهم والمراد باحيائهم شدة تعلق أرواحهم باجسادهم حتى صاروا كالاحياء في الدنيا لان الروح بعد مفارقة الجسد يصير لها تعلق به و بواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره و يأنس به و يرد سلامه اذا سلم ولا يصير الميت به حيا كحياة الدنيا لكنه قد يقوى فى نحو الانبياء والشهداء والصالحين حتى يصير كالحى فى الدنيا ولا يرد على قوله ما أنتم بأسمع منهم قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لان المراد لا تسمعهم سماع قبول وقد أشار الى ذلك الجلال السيوطى فى قوله

من قلالها تسع قربتين ونصفا من قرب الحجاز والقربة تسع من الماء مائة رطل بغدادى فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشيها تغيرت أى صار لها حالة من الحسن غير تلك الحالة التى كانت عليها فما أحد من خلق الله عز وجل يستطيع أن ينعتها من حسنها أى لان رؤية الحسن تدهش الرائى وهذا السياق يدل على ان سدرة المنتهى فوق السماء السابعة أى وهو قول الاكثر وفى بعض الروايات ان أغصانها تحت الكرسى وعن وهب أن العرش والكرسى فوق السماء السابعة قال و يسئل هل ثمرة سدرة المنتهى كالثمار المأكولة فى أنه يزول ويعقبه غيره وهذا الزائل يؤكل أو يسقط أى فلا يؤكل انتهى قال صلى الله عليه وسلم ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ أى بالمعجمة قباب اللؤلؤ وفى لفظ حبائل اللؤلؤ أى المعقود والقلائد واذا ترابها المسك ورمانها كالدلاء وطيرها كالبخت فدخوله صلى الله عليه وسلم للجنة قبل كان عروجه للسماء وفى الحديث ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل والذى نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من الجنة فتصل الى فيه حتى يبدل الله مكانها خيرا منها وهذا القسم يرشد الى أن ثمرة الجنة كلها حلوة تؤكل وانها تكون على صورة ثمرة الدنيا المرة * وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة أى تؤكل من غير قطع أى يؤكل منها فالآكل موجود والعين باقية فى غصن الشجرة وليس المراد أن الفاكهة غير مقطوعة فى شتاء ولا صيف أو يخلق مكان قطعها أخرى على الفور كما فهمه بعضهم فعين ما يأكل العبد هو عين ما يشهد وأطال فى ذلك وكأنه لم يقف على هذا الحديث أولم يثبت عنده فليتأمل قال و يخرج من أصل تلك الشجرة أربعة أنهار نهران باطنان أى يبطنان و يغيبان فى الجنة بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة ونهران ظاهران أى يستمران ظاهرين بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة فيجاوزان الجنة فقال ما هذه أى الانهار يا جبريل قال أما الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات انتهى (أقول) قول جبريل أما الباطنان ففى الجنة لا يحسن أن يكون جوابا عن هذا السؤال أى الذى هو سؤال عن بيان الحقيقة و يحصل بذكر اسمهما فكان المناسب بحسب الظاهر أن يقول وأما الباطنان فنهر كذا ونهر كذا وهذا السياق يدل على أن النيل والفرات يمران فى الجنة و يجاوزانها وان ما عداهما كسيحان وجيحان بناء على انهما ينبعان من أصل شجرة المنتهى يغيبان فيها ولا يجاوزانها والنيل نهر مصر والفرات نهر الكوفة و يحتمل ان النهرين اللذين هما ما عدا النيل والفرات بناء على انهما سيحان وجيحان يبطنان فى الجنة ولا يظهران الا بعد خروجهما منها الوجود هما فى الخارج بخلاف النيل والفرات فانهما يستمران ظاهرين فيها الى أن يخرجا منها وقد جاء فى حديث ما من يوم الا و ينزل ماء من الجنة فى الفرات قال بعضهم ومصداقه أن الفرات مد فى بعض السنين فوجد فيه رمان كل واحدة مثل البعير فقال انه رمان الجنة وهذا الحديث ذكره ابن الجوزى فى الاحاديث الواهية وفى حديث موقوف على ابن عباس اذا حان خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل فرفع

سماع موتى كلام الخلق قاطبة * جاءت به عندنا الآثار فى الكتب
وآية النفى معناها سماع هدى * لا يقبلون ولا يصغون للادب

وجاء فى بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم نادى أهل القليب وقال لهم ما تقدم قبل طرحهم فيه وجمع بين الروايات بأن ذلك تكرر منه قال لهم ذلك قبل طرحهم و بعد طرحهم وسمى من تقدم منهم وهم أربعة ولم يسم الباقين وهم عشرون لان الاربعة المذكورين هم أعظم رؤساء قريش و بقية أصحاب القليب من بنى عبد مناف ستة عبيدة والعاص ولدا أبى أحيحة سعيد بن العاص ابن أمية وحنظلة بن أبى سفيان والوليد بن عتبة والحرث بن عامر وطعيمة بن عدى ومن سائر قريش أربعة عشر نوفل بن عبد وزمعة وعقيل ابنا الاسود والعاص ابن هشام أخو أبى جهل وأبو قيس ابن الوليد ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمى وعلى بن أمية بن خلف وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ومسعود بن أبى أمية أخو أم سلمة وقيس بن الفاكه ابن المغيرة المخزومى والاسود ابن عبد الاسد أخو أبى سلمة وأبو العاص بن قيس بن عدى السهمى وأمية بن رفاعة فهؤلاء عشرون تنضم الى الاربعة فتكمل العدة ولقد أحسن العلامة ابن جابر الاندلسى حيث ذكر قصة بدر فى بعض أشعاره فقال

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله * كواكب فى أفق المواكب تجتلى
وجبريل فى جند الملائك دونه * فلم تغن أعداد العدو المخذل
رمى بالحصى فى أوجه القوم رمية * فشردهم مثل النعام المجفل
وجادلهم بالمشرفى فسلموا * لجادله بالنفس كل مجندل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع * حديثهم فى ذلك اليوم من على
هم عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا * فذاق الوليد الموت ليس له ولى
وشيبة لما شاب خوفا تبادرت * اليه العوالى بالخضاب المعجل
وجال أبو جهل فحقق جهله * غداة تردى بالردى عن تذلل
وأضحى قليبا فى القليب وقومه * يؤمونه فيه الى شر منهل
وجاءهم خير الانام موبخا * ففتح من أسماعهم كل مقفل
وأخبر ما أنتم بأسمع منهم * ولكنهم لا يهتدون لمقول
سلاعنهم يوم السلا اذ تضاحكوا * فعاد بكاء عاجلا لم يؤجل
ألم يعلموا علم اليقين بصدقه * ولكنهم لا يرجعون لمعقل
فيا خير خلق الله جاهك ملجئى * وحبك ذخرى فى الحساب وموئلى

من الارض هذه الانهار والقرآن والعلم والحجر والمقام وتابوت موسى بما فيه الى السماء هذا وفى بعض الروايات ما يدل على ان سيحان وجيحان لا ينبعان من أصل شجرة المنتهى فليسا هما المراد بالباطنين وعن مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر أى ومعنى كونهما باطنين انهما لم يخرجا من الجنة أصلا ومعنى كون النيل والفرات ظاهرين انهما يخرجان منها وفى السيرة الشامية لم يثبت فى سيحان وجيحان أنهما ينبعان من أصل شجرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك وأما الباطنان المذكوران أى فى الحديث فهما غير سيحان وجيحان قال القرطبى ولعل ترك ذكرهما أى سيحان وجيحان فى حديث الاسراء كونهما ليسا أصلا برأسهما وانما يحتمل أن يتفرعا عن النيل والفرات هذا كلامه ولعل المراد أنهما يتفرعان عنهما بعد خروجهما من الجنة فهما لم يخرجا من أصل السدرة ولا يبطنان فى الجنة أصلا قال واذا فيها فى تلك الشجرة عين أى فى أصلها أيضا يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة فاغتسلت منه فغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر انتهى أى فهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى لكن لا من المحل الذى يخرج منه النيل والفرات وحينئذ يحسن القول بأنه يخرج من أصل تلك الشجرة أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان وفى جعل الكوثر قسيما من السلسبيل يخالفه جعله قسيما له كما تقدم عن مقاتل فالباطنان الكوثر ونهر الرحمة فالانهار التى تخرج من أصل سدرة المنتهى أربعة بناء على ان سيحان وجيحان لا يخرجان منها أو ستة بناء على انهما يخرجان منها وعلى الاول لا ينافى قول القرطبى ما فى الجنة نهر الا و يخرج من أصل سدرة المنتهى لان المراد اما خروجه بنفسه أو أصله الذى يتفرع منه بناء على ما تقدم من أن سيحان وجيحان يتفرعان عن النيل والفرات ولا ينافى ما عند مسلم يخرج من أصلها يعنى سدرة المنتهى أربعة أنهار من الجنة وهى النيل والفرات وسيحان وجيحان ولا ما عند الطبرانى سدرة المنتهى يخرج من أصلها أربعة أنهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى وعن كعب الاحبار ان نهر العسل نهر النيل أى و يدل لذلك قول بعضهم لولا دخول بحر النيل فى البحر الملح الذى يقال له البحر الاخضر قبل أن يصل الى بحيرة الزنج و يختلط بملوحته لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان لان غاية ذلك سكوتهما عن النهرين الآخرين وهما الكوثر ونهر الرحمة ومعنى كونها تخرج من أصل سدرة المنتهى من الجنة انه يحتمل أن تكون سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة والانهار تخرج من أصلها فصح أنها من الجنة هكذا ذكره العارف ابن أبى جمرة ولم أقف على ما يدل على ثبوت هذا الاحتمال أى ان سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة ولا حاجة لهذا الاحتمال فى تصحيح هذه الرواية لان المعنى أن تلك الانهار تخرج من أصل تلك الشجرة ثم تكون خارجة من الجنة ثم لا يخفى ان فى كلام القاضى عياض أن سيحان يقال فيه سيحون وجيحان يقال فيه جيحون و يخالفه قول صاحب

عليك صلاة يشمل الآل عرفها * وأصحابك الاخيار أهل التفضل (وحكى) العلامة ابن مرزوق ان عبد الله بن عمر رضى الله
عنهما مر مرة ببدر فاذا رجل يعذب ويئن من وجع العذاب فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر رضى الله عنهما فلا أدرى أعرف
اسمى أم كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل فان
هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله ٤٣٠ عليه وسلم ببدر قال الزرقانى هو أبو جهل وقد رواه الطبرانى وابن أبى الدنيا وغيرهما

النهاية اتفقوا كلهم على ان جيحون غير جيحان وسيحون غير سيحان ومن ثم أنكر الامام
النووى على القاضى عياض حيث قال الثانى أى من وجوه الانكار على القاضى قوله
سيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون فجعل الاسماء مترادفة وليس كذلك فسيحان
وجيحان غير سيحون وجيحون هذا كلامه وذكر صاحب النهاية أن جيحون نهر وراء
خراسان عند بلخ وسكت عن بيان سيحون فليتأمل قال والذى غشى الشجرة فراش من ذهب
والفراش هو الحيوان الذى يلقى نفسه فى السراج ليحترق وملائكة على ورقة ملك يسبح الله
تعالى وملائكة أى آخرون يغشونها كأنهم الغربان يأوون اليها متشوقين اليها متبركين
بها زائرين كما يزور الناس الكعبة انتهى ورأى صلى الله عليه وسلم جبريل عند تلك السدرة
على الصورة التى خلقه الله عز وجل عليها له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يتناثر
من أجنحته تهاويل الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله عز وجل وغشيت تلك السدرة سحابة
فتأخر جبريل عليه الصلاة والسلام ثم عرج به صلى الله عليه وسلم أى فى تلك السحابة
حتى ظهر لمستوى سمع فيه صرير الاقلام وفى رواية صريف أى صوت حركتها حال الكتابة
أى ما تكتبه الملائكة من الاقضية وهذا السياق يدل على ان جبريل لم يتعد سدرة المنتهى
ويدل على ما تقدم من ان سدرة المنتهى فوق السماء السابعة الى آخر ما تقدم وهو الموافق
لقول بعضهم انها على يمين العرش وفى رواية ثم انطلق بى أى جبريل الى ظهر السماء السابعة
حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير أخضر أنعم الطير رأيت
قال جبريل هذا الكوثر الذى أعطاك الله فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضاض
من الياقوت والزمرد الذال المعجمة كما تقدم وماؤه أشد بياضا من اللبن فأخذت من آنيته
واغترفت من ذلك فشربت فاذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك أقول وقد
تقدم ان هذا النهر من العين التى تخرج من سدرة المنتهى التى يقال لها السلسبيل أى
فهو يخرج من تلك الشجرة ويمر على ما ذكر ثم يدخل الجنة وبسقة غيرها فلا ينافى كون
الكوثر نهرا فى الجنة وان السلسبيل عين فى الجنة لان السلسبيل على ما تقدم أصل
الكوثر والله أعلم وفى رواية انها أى سدرة المنتهى فى السماء السادسة واليها ينتهى ما يعرج
من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها وعندها تقف الحفظة
وغيرهم فلا يتعدونها ومن ثم سميت سدرة المنتهى وعن تفسير ابن سلام عن بعض السلف
قال انما سميت سدرة المنتهى لان روح المؤمن ينتهى بها اليها فتصلى عليها هنالك الملائكة
المقربون وجمع الحافظ ابن حجر بين كون سدرة المنتهى فى السادسة وكونها فى السابعة
بأن أصلها فى السادسة وأغصانها فى السابعة أى فوق السابعة أى جاوزت السابعة فلا
ينافى القول بأنها فوق السابعة على ما تقدم وهذا الحمل المقتضى لكون أصلها فى
السادسة لا يناسب كون الانهار تخرج من أصلها الى آخر ما تقدم ويروى ان جبريل لما وصل

وفى رواية ابن منده عن ابن عمر
رضى الله عنهما بينما أنا سائر بجنبات
بدر اذ خرج رجل من حفرة فى عنقه
سلسلة فنادانى يا عبد الله اسقنى
فلا أدرى أعرف اسمى أو دعانى
بدعاية العرب وخرج رجل من تلك
الحفرة فى يده سوط فنادانى يا عبد
الله لا تسقه فانه كافر ثم ضربه
بالسوط فعاد الى حفرته فاتيت
النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته
بذلك فقال لى قد رأيته قلت نعم
قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك
عذابه الى يوم القيامة وروى ابن
أبى الدنيا عن الشعبى ان رجلا
قال للنبى صلى الله عليه وسلم
انى مررت ببدر فرأيت رجلا
يخرج من الارض فيضربه رجل
بمقمعة معه حتى يغيب فى الارض
ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مرارا
فقال صلى الله عليه وسلم ذاك
أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم
القيامة (وكان) جملة من قتل
من المشركين سبعين وأسر منهم
سبعون فمن القتلى أهل القليب
المتقدم ذكرهم وهم أربعة
وعشرون كلهم من رؤسائهم
والباقون من باقيهم وكان من
أفضل الاسرى العباس بن عبد
المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم
وعقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث
ابن عبد المطلب وكل هؤلاء أسلموا

بعد ذلك رضى الله عنهم وهم من بنى هاشم وممن أسلم من الاسرى من سائر قريش أبو العاص بن الربيع زوج السيدة الى
زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها أسلم قبيل فتح مكة وأثنى عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم فى مصاهرته ورد عليه زينب
رضى الله عنه وعنها وأبو عزيز بن زرارة بن عمير أخو مصعب بن عمير أسلم يوم بدر بعد الفداء رضى الله عنه والسائب بن عبيد كذلك أسلم رضى
الله عنه بعد الفداء وعدى بن الخيار والسائب بن أبى حبيش وأبو وداعة السهمى وسهيل بن عمرو العامرى أسلموا فى فتح مكة وخالد

ابن هشام المخزومى وعبد الله بن السائب والمطلب بن حنطب وعبد الله بن أبى بن خلف أسلم يوم الفتح وقتل يوم الجمل وعبد الله بن زمعة
أخو سودة ووهب بن عمير الجمحى وقيس بن السائب المخزومى وقسطاس مولى أمية بن خلف والوليد بن الوليد قال فى المواهب وكان
العباس رضى الله عنه فيما قاله أهل العلم بالتاريخ قد أسلم قديما وكان يكتم اسلامه وكان يسره ما يفتح الله على المسلمين وكان النبى صلى
الله عليه وسلم يطلعه على أسراره حين كان بمكة وكان يحضر مع النبى صلى الله عليه ٤٣١ وسلم حين كان يعرض نفسه على القبائل وكان

الى مقامه وهو سدرة المنتهى فوق السماء السابعة قال له صلى الله عليه وسلم ها أنت وربك هذا
مقامى لا أتعداه فزج بى فى النور أى ما غشيته تلك السحابة ويعبر عن تلك السحابة بالرفرف
قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى وهو نظير المحفة عندنا وفى تاريخ الشيخ العينى شارح البخارى
عن مقاتل بن حيان قال انطلق بى جبريل حتى انتهى الى الحجاب الاكبر عند سدرة المنتهى
قال جبريل تقدم يا محمد قال فتقدمت حتى انتهيت الى سرير من ذهب عليه فراش من حرير
الجنة فنادى جبريل من خلفى يا محمد ان الله يثنى عليك فاسمع وأطع ولا يهولنك كلامه فبدأت
بالثناء على الله عز وجل الحديث أى وفى ذلك النور المستوى الذى يسمع فيه صريف الاقلام
ثم العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب وفى رواية أنه لما وقف جبريل قال له صلى الله
عليه وسلم فى مثل هذا المقام يترك الخليل خليله قال ان تجاوزت احترقت بالنار فقال النبى
صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك قال يا محمد سل الله عز وجل لى ان أبسط
جناحى على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال ثم زج بى فى النور فخرق بى الى سبعين ألف
حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا غلظ كل حجاب خمسمائة عام وانقطع عنى حس كل ملك فلحقنى
عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة أبى بكر رضى الله تعالى عنه قف ان ربك يصلى
فبينا أنا أتفكر فى ذلك أى فى وجود أبى بكر فى هذا المحل وفى صلاة ربى فأقول هل سبقنى
أبو بكر وكيف يصلى ربى وهو غنى عن أن يصلى كما يدل على ذلك ما يأتى فاذا النداء من العلى
الاعلى ادن يا خير البرية ادن يا أحمد ادن يا محمد فأدنانى ربى حتى كنت كما قال عز وجل ثم دنى
فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وفى الخصائص الصغرى وخص بالاسراء وما تضمنه من
اختراق السموات السبع والعلو الى قاب قوسين ووطئه مكانا ما وطئه نبى مرسل ولا ملك مقرب
وهذه الرواية ككلام الخصائص تدل على أن فاعل دنى وتدلى واحد وكان هو صلى الله عليه
وسلم وحينئذ يكون معنى تدلى زاد فى القرب وجعل بعض العلماء من جملة ما خالف شريك فيه
المشهور من الروايات أنه جعل فاعل دنى فتدلى الحق سبحانه وتعالى أى دنى الجبار رب العزة
فتدلى حتى كان من محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أو أدنى ثم رأيت الحافظ ابن حجر ذكر
عن البيهقى انه روى بسند حسن ما يوافق ما ذكر شريك ومعلوم ان معنى الدنو والتدلى الواقعين
من الله سبحانه وتعالى كمعنى النزول منه فى ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سماء الدنيا كل ليلة
حين يبقى ثلث الليل الاخير وهو أى ذلك عند أهل الحقائق من مقام التنزل بمعنى انه تعالى
يتلطف بعباده ويتنزل فى خطابه لهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على أنفسهم فهو فى حقهم
حقيقة وفى حقه تعالى مجاز ورأيت بعضهم ذكر ان فاعل دنى جبريل وفاعل تدلى محمد صلى الله
عليه وسلم أى سجد لربه سبحانه وتعالى شكرا على ما أعطى من الزلفى ورأيت بعضا آخر ذكر ان
فاعل تدلى الرفرف وفاعل دنى محمد صلى الله عليه وسلم أى تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم
حتى جلس عليه ثم دنى محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى أى قرب قرب منزلة

يحثهم ويحرضهم على مناصرته
كما تقدم ذلك فى حضوره بيعة
العقبة التى كانت مع الانصار
قبل الهجرة فهذا كله يدل على
اسلامه وكان النبى صلى الله عليه
وسلم أمره بالمقام بمكة ليكتب له
أسرار قريش وأخبارهم ولما
أرادوا الخروج واستنفروا الناس
ما أمكنه التخلف عنهم ولهذا قال
النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر
من لقى العباس فلا يقتله فانه
خرج مستكرها ولا ينافى ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم له لما طلب
منه الفداء ظاهر أمرك انك كنت
علينا لان كونه عليهم فى الظاهر
لا ينافى كونه مكرها فى الباطن
فعامله النبى صلى الله عليه وسلم
بظاهر حاله تطييبا لقلوب الصحابة
رضى الله عنهم حيث فعل مثل ذلك
بآبائهم وأبنائهم وعشائرهم وجاء
ان العباس رضى الله عنه كان له
مال وديون فى قريش وكان يخشى
ان أظهر اسلامه ضياعها عندهم
فكان يخفى اسلامه باذن من النبى
صلى الله عليه وسلم ولم يظهر النبى
صلى الله عليه وسلم اسلامه للصحابة
رفقا به وخوفا على ضياع ماله وللنبى
صلى الله عليه وسلم غرض فى اخفاء
اسلامه ليكون له عينا ينقل
أخبار القوم ومن ثم لما قهرهم
الاسلام يوم فتح مكة أظهر اسلامه

فهو لم يظهر اسلامه لهم الا يوم فتح مكة وهذا لا ينافى اسبقية اسلامه وانه أظهره للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعد وقعة بدر كما يأتى
لان الذى تأخر الى فتح مكة ظهوره لاهل مكة وكان العباس رضى الله عنه كثيرا ما يطلب الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيكتب له النبى صلى الله عليه وسلم مقامك بمكة خير لك وفى رواية استأذن العباس رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة
فكتب اليه يا عم أقم مكانك الذى أنت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة وكان كذلك فقد كان آخر المهاجرين

لانه استقبل النبى صلى الله عليه وسلم بالابواء ولا علم له بخروج النبى صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فرجع معه وكان الذى أسر العباس رضى الله عنه كعب بن عمرو الانصارى السلمى ويكنى بأبى اليسر رضى الله عنه فقيل للعباس كيف اسرك أبو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته فى كفك فقال ماهو الا أن لقيته فظهر فى عينى كالخندمة الأشم وهو جبل عظيم من جبال مكة وفى رواية عن على رضى الله عنه فجاء رجل من الانصار بالعباس رضى الله عنه أسيرا فقال العباس ان هذا والله ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه فى القوم فقال الانصارى أنا أسرته يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اسكت فقد أيدك الله بملك كريم وفى رواية قال له النبى صلى الله عليه وسلم كيف أسرته فقال قد أعاننى الله عليه بملك كريم ولما أسر رضى الله عنه شدوا وثاقه كبقية الاسرى فصار يئن فسمع النبى صلى الله عليه وسلم أنينه فلم يأخذه نوم فقيل ما أسهرك يا رسول الله قال أنين العباس فقام رجل وأرخى وثاقه وكان العباس رضى الله عنه رجلا طويلا فاراد النبى صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه الى المدينة بالاسرى أن يلبسه قميصا وكان ذلك بعد أن حصل الفداء واظهاره اسلامه فلم يجدوا له قميصا يكون على طوله فكساه عبد الله ابن أبى بن سلول قميصه ولهذا لما مات عبد الله بن أبى هذا وكان رئيس المنافقين جاء ابنه وكان من فضلاء الصحابة رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب قميصه صلى الله عليه وسلم ليكفن أباه فيه رجاء بركة النبى صلى الله عليه وسلم فاعطاه صلى الله عليه وسلم قميصه تطييبا لقلب ابنه وتألفا لبقية المنافقين ومكافأة لما فعله مع عمه العباس رضى الله عنه وجعل صلى الله عليه وسلم فداء العباس رضى الله عنه أربعمائة أوقية وفى رواية مائة أوقية وفى رواية أربعين أوقية من ذهب وجعل عليه فداء ابن أخيه عقيل بن أبى طالب ثمانين أوقية وجعل عليه فداء ابن أخيه نوفل بن الحرث كذلك وفى رواية قال له افد نفسك يا عباس وابنى أخويك عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد بأربعين أوقية وقال للنبى صلى الله عليه وسلم تركتنى فقير قريش ما بقيت وفى لفظ تركتنى أسأل الناس فى كفى فقال له

وتشريف لاقرب مكان تعالى الله عز وجل عن ذلك قال صلى الله عليه وسلم وسألنى ربى فلم أستطع أن أجيبه عز وجل فوضع يده عز وجل بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد أى يد قدرته تعالى لانه سبحانه منزه عن الجارحة فوجدت بردها فاورثنى علم الاولين والآخرين وعلمنى علوما شتى فعلم أخذ على كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله غيرى وعلم خيرنى فيه وعلم امرنى بتبليغه الى العام والخاص من أمتى وهى الانس والجن أى وكذلك الملائكة على ما تقدم ﴿أقول﴾ هذا التفصيل يدل على ان العلوم الشتى هى هذه العلوم الثلاثة الا أن يقال كل علم من هذه الثلاثة يشتمل على أنواع من العلوم والله أعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم قلت اللهم انه لما لحقنى استيحاش سمعت مناديا ينادى بلغة تشبه لغة أبى بكر فقال لى قف فان ربك يصلى فعجبت من هاتين هل سبقنى أبو بكر الى هذا المقام وان ربى لغنى أن يصلى فقال تعالى أنا الغنى عن أن أصلى لاحد وانما أقول سبحانى سبحانى سبقت رحمتى غضبى اقرأ يا محمد هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتى رحمة لك ولامتك وأما أمر صاحبك يا محمد فان أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبى بكر خلقنا ملكا على صورته ينادى بلغته ليزول عنك الاستيحاش لما يلحقك من عظم الهيبة ﴿أقول﴾ لعل المراد خلقنا صورة على صورة صوته لانه ليس فى الرواية انه رأى ذلك الملك على صورة أبى بكر وانما سمع صوته والله أعلم ثم قال الله عز وجل يا محمد وأين حاجة جبريل فقلت اللهم انك أعلم فقال يا محمد قد أجبته فيما سأل ولكن فيمن أحبك وصحبك ﴿أقول﴾ لعل المراد بمن صحبك من كان تابعا لك فى دينك عاملا بسنتك أى وهو مراد جبريل بأمته صلى الله عليه وسلم فى قوله ان أبسط جناحى لامتك على الصراط والله أعلم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما رأى الحق سبحانه وتعالى خر ساجدا قال صلى الله عليه وسلم فأوحى الله عز وجل الى ما أوحى وقد ذكر الثعلبى والقشيرى فى تفسير قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى أن من جملة ما أوحى اليه أن الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها أمتك قال القشيرى وأوحى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل أهل الجنة أضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ﴿أقول﴾ تقدم ان من جملة ما أوحى اليه فى هذا الموطن من القرآن خواتيم سورة البقرة وبعض سورة الضحى وبعض ألم نشرح وقد تقدم ذلك عند الكلام على أنواع الوحى وقدمنا أنه يضم لذلك هو الذى يصلى عليكم وملائكته الآية على ما تقدم هذا وفى حديث رواته ثقات لما وصلت الى السماء السابعة قال لى جبريل عليه السلام رويدا أى قف قليلا فان ربك يصلى قلت أهو يصلى وفى لفظ كيف يصلى وفى لفظ آخر قلت يا جبريل أيصلى ربك قال نعم قلت وما يقول قال يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتى غضبى ولا مانع من تكرر وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين المال الذى دفعته لام الفضل يعنى زوجته وقلت لها ان أصبت فهذا لبنى الفضل وعبد الله وقثم وفى رواية فللفضل كذا وعبد الله كذا فقال والله انى أشهد انك رسول الله ان هذا شئ ما علمه الا أنا وأم الفضل أنا أشهد ان لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله وفى رواية قال للنبى صلى الله عليه وسلم لقد تركتنى فقير قريش ما بقيت فقال له كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت وفى رواية أين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل فقال أشهد ان الذى تقوله قد كان وما اطلع عليه الا الله وأتى بالشهادتين أى نطق بهما بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلا ينافى القول باسبقية اسلامه وانه كان يكتمه والنبى صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك ومما يؤيد ذلك أنه جاء فى بعض الروايات ان العباس رضى الله عنه قال علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين وفى رواية وكنت مسلما ولكن القوم استكرهونى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا وقد أنزل الله تعالى فى العباس رضى الله عنه يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم وعند نزول الآية قال العباس رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم وددت انك كنت أخذت منى اضعاف ما أخذت وقد صدق الله وعده له فاعطاه الله مالا عظيما حتى كان عنده مائة عبد فى كل يد عبد مال يتجر فيه وكان يقول وانى لارجو من الله المغفرة وقيل ان العباس ما فدى نوفلا بل عقيلا فقط بدليل انه جاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابن عمه نوفل بن الحرث ابن عبد المطلب افد نفسك يا نوفل قال مالى شئ أفدى به نفسى قال افد نفسك من مالك وفى رواية من رماحك فقال أشهد انك رسول الله والله ما أحد يعلم ان لى بمكة رماحا غير الله أى وفدى نفسه ولم يفده العباس رضى الله عنه (وكان من الاسرى) النضر بن الحرث العبدرى بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى وكان من أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول فى القرآن انه أساطير الاولين ويقول لو نشاء لقلنا مثل هذا وغير ذلك من الاقاويل فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسير

من جبريل ومن غيره فى السماء السابعة وفيما فوقها لكن يبعد تعجبه صلى الله عليه وسلم من كونه عز وجل يصلى فى المرة الثانية وما بعدها وورد ان بنى اسرائيل سألوا موسى هل يصلى ربك فبكى موسى عليه الصلاة والسلام لذلك فقال الله تعالى يا موسى ما قالوا لك فقال قالوا الذى سمعت قال أخبرهم أنى أصلى وأن صلاتى تطفئ غضبى والله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فنزلت الى موسى أى وفى رواية ثم انجلت تلك السحابة أى عند وصوله الى سدرة المنتهى الذى هو المحل الذى وقف فيه جبريل فأخذ بيده جبريل فانصرف سريعا فأتى على ابراهيم فلم يقل شيأ ثم أتى على موسى ه وهذا يدل على ما هو المشهور فى الروايات أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان فى السابعة وموسى كان فى السادسة لا على غير المشهور ان ابراهيم عليه السلام كان فى السادسة وموسى كان فى السابعة كما تقدم ولما أتى الى موسى عليه الصلاة والسلام قال له ما فرض ربك عليك أى وفى لفظ بم أمرت قال خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فانى بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم أى وفى البخارى ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وانى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة أى فانه فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما أى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى وقيل فرض ركعتان عند الزوال أى فما قاموا بذلك وفى تفسير البيضاوى ان الذى فرض على بنى اسرائيل خمسون صلاة فى اليوم والليلة وسيأتى ذكر ذلك فى بعض الروايات ويرده قولهم ان سبب طلب التخفيف أنه استكثر الخمس التى هى المرة الاخيرة فهو انما يناسب ما تقدم ثم رأيت القاضى البيضاوى قال فى تفسير قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ان من ذلك الاصر الذى كلفت به بنو اسرائيل خمسون صلاة فى اليوم والليلة وكتب عليه الجلال السيوطى فى الحاشية ان كون بنى اسرائيل كلفوا بخمسين صلاة فى اليوم والليلة باطل وبسط الكلام على ذلك ثم قال موسى فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك أى وانما كانت أمته مأمورة بما أمر به ومفروض عليها ما فرض عليه لان الفرض عليه صلى الله عليه وسلم فرض على أمته والامر له صلى الله عليه وسلم أمر لها لان الاصل أن ما ثبت فى حق كل نبى ثبت فى حق أمته الا أن يقوم الدليل على الخصوصية قال فرجعت الى ربى أى انتهى الى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا فقلت يا رب خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك واسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى صلى الله عليه وسلم حتى قال الله تعالى يا محمد انهن خمس صلوات فى كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة قال صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه أى

فقال النضر للاسير الذى بجانبه محمد والله قاتلى فانه نظر الى بعينين فيهما الموت فقال له والله ماهذا منك الارعب ثم قال النضر لمصعب
ابن عمير العبدرى يامصعب أنت أقرب من هنا الى رحما فكلم صاحبك ان يجعلنى كرجل من أصحابى يعنى المأسورين هو والله قاتلى
فقال له مصعب أنت كنت تقول فى كتاب الله ماتقول ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فضرب عنقه
وذكر بعضهم ان النضر هذا له أخ يسمى باسمه 434 أسلم عام الفتح وشهد حنينا وكان من المؤلفة وقيل بل أسلم قديما وهاجر الى
الحبشة والله أعلم ولما ضربت
عنق النضر وبلغ الخبر أخته قتيلة
وقيل اغا هى بنته رثته ثم أسلمت
رضى الله عنها وتلك الابيات تقول
فيها

يا راكبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية
ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليك وعبرة مسفوحة
جادت بوا كفها وأخرى تخنق
هل يسمعنى النضر ان ناديته
أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ولانت نجل نجيبة
فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن
بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة
وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه
لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا
رسف المقيد وهو عان موثق

وفى رواية بدل قولها أمحمد البيت
أمحمد يا خير ضنء كريمة
فى قومها والفحل فحل معرق
وحين سمع ذلك صلى الله عليه وسلم
بكى وقال لو بلغنى هذا الشعر قبل
قتله لمننت عليه اى لقبول شفاعتها
عنده فلا ينافى ان ما فعله حق (ومن الاسرى أيضا) عقبة بن أبى معيط بن ذكوان المكنى بأبى عمرو بن أمية بن عبد
شمس وكان من أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وهو من المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فأمر بضرب عنقه عند عرق
الظبية وهى شجرة يتظلل بها وقال حين قدم للقتل من للصبية يا محمد قال النار وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عقبة لما قدم للقتل
نادى يا معشر قريش مالى أقتل من بينكم صبرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك واجترائك على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

وفى رواية أنه وضع عنه عشر صلوات عشر صلوات الى أن أمر بخمس صلوات وجاء فى الحديث أكثروا من الصلاة على موسى فما رأيت أحدا من الانبياء أحوط على أمتى منه ﴿أقول﴾ فى الوفاء ان رواية وضعت خمس صلوات من افراد مسلم ورواية وضع عنه عشر صلوات أصح لانه قد اتفق البخارى ومسلم عليها والرواية التى فيها حط خمسا خمسا غلط من الرواة هذا كلامه فليتأمل والمتبادر من قوله الى أن أمر بخمس صلوات انه رفع التعلق بجميع الخمسين وأثبت تعلقا جديدا بخمس ليست من الخمسين فالمنسوخ جميع الخمسين ويحتمل انه رفع التعلق بجملة الخمسين مع اثبات التعلق بخمسة منها التى هى بعضها فيكون المنسوخ ماعدا الخمس من الخمسين قيل وفى هذا وقوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق أهل السنة والمعتزلة على منعه ورد بأن هذا وقع بعد البلاغ بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك ثم نسخ فقد قال شيخ الاسلام ذكريا الانصارى رحمه الله تعالى وما قيل ان الخمس فى ليلة الاسراء ناسخة للخمسين انما هو فى حقه صلى الله عليه وسلم لبلوغه له لا فى حق الامة أى لعدم بلوغه لهم هذا كلامه واذا نسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم نسخ فى حق أمته كما هو الاصل الا أن تثبت الخصوصية بدليل صحيح وهذا يرد ما فى الخصائص الصغرى للسيوطى رحمه الله تعالى من أن وجوب الخمسين لم ينسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم وانما نسخ فى حق الامة ولعل مستنده فى ذلك رواية فرض الله على أمتى ليلة الاسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه وأسأله التخفيف حتى جعلها خمسا فى كل يوم وليلة أى على الامة كما هو المتبادر وقول موسى عليه الصلاة والسلام له صلى الله عليه وسلم ان أمتك لا تطيق ذلك وربما يوافق ذلك قول الامام السبكى فى تائيته

وقد كان رب العالمين مطالبا * بخمسين فرضا كل يوم وليلة
فأبقيت أجر الكل ما اختل ذرة * وخففت الخمسون منا بخمسة

وفيه النسخ قبل التمكن من الفعل وهو يرد قول المعتزلة القائلين بأنه لا يجوز النسخ قبل التمكن من الفعل ودخول وقته والظاهر من الخمسين التى فرضت أولا ان كل صلاة من الخمس تكرر عشر مرات فما زاد على الخمس مساولها ويحتمل أن تكون صلوات أخر مغايرة لتلك الخمس ولم أقف على بيان تلك الصلوات وعلى ان الخمسين لم تنسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم لم أقف على ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلاها ولا على كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم لها والى عروجه صلى الله عليه وسلم ورجوعه أشار صاحب الهمزية بقوله

وطوى الارض سائرا والسموا * ت العلا فوقها له اسراء
فصف الليلة التى كان للمخـ * ـتار فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسيـ * ـن وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الامانى حسرى * دونها ما وراءهن وراء

وفى رواية بزاقك فى وجهى وتقدم ان عقبة كان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فاتخذ ضيافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت
ياعقبة قال لا ولكن أبى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه وشهدت له الشهادة وليست فى نفسى فقال له أبى وجهى من
وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجد النبى صلى الله 435 عليه وسلم ساجدا ففعل به ذلك ولما بزق
رجع بزاقه اليه واحترق وجهه
وصار أثر ذلك باقيا فى وجهه الى
موته وهو الذى وضع سلا الجزور
على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم
وهو ساجد وكان شديد السفه
والفجور وأنزل الله تعالى فيه
ويوم يعض الظالم على يديه يقول
ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا
ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا
لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى
وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال له بمكة لا ألقاك خارج مكة
الا علوت رأسك بالسيف وفى
رواية لما قال مالى أقتل من بينكم
صبرا قال له النبى صلى الله عليه
وسلم بكفرك وفجورك وعتوك
على الله ورسوله وقيل ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال له لست
من قريش هل أنت الا يهودى
من أهل صفورية وذلك لان
أمية جد أبيه خرج الى الشام
فوقع على يهودية لها زوج من
صفورية وهو نسبة لموضع من
ثغور الشام فولدت ذكوان وهو
والد أبى معيط على فراش اليهودى
فاستلحقه بحكم الجاهلية
واختلف فى من باشر قتله فقيل
عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر
ابن الخطاب لامه وقيل ان عاصم
ابن ثابت خاله لا جده لان أم
عاصم جميلة بنت ثابت أخت
عاصم بن ثابت وكون القاتل لعقبة عاصم بن ثابت هو الصحيح وقيل قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه ويحتمل انهما اشتركا فى
مباشرة ذلك وقيل انه بعد قتله صلب على شجرة وذكر ابن قتيبة ان طعيمة بن عدى أخا المطعم بن عدى كان من جملة الاسرى وان
النبى صلى الله عليه وسلم أمر بضرب عنقه كالنضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط والصحيح عند أهل السير والمغازى ان طعيمة بن
عدى قتل فى معركة القتال قتله حمزة رضى الله عنه وسيأتى ان شاء الله تعالى فى غزوة أحد ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة

وتلـــقى من ربه كلمات * كل علم فى شمسهن هباء
زاخرات البحار يغرق فى قطـ * ـرتها العالمون والحكماء

أى وطوى الارض حالة كونه صلى الله عليه وسلم سائرا عليها الى المدينة عند الهجرة كما طويت له صلى الله عليه وسلم قبل ذلك السموات العلا لما كان له صلى الله عليه وسلم فوقها اسراء أى ليلة الاسراء الى أن جاوزها جميعها فى أسرع وقت فصف تلك الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء واستقرار وصعد به ذلك البراق الى مقدار قاب قوسين وتلك الرتبة التى وصل اليها صلى الله عليه وسلم هى السعادة الثابتة التى لا يعتريها نقص ولا زوال وهذه رتب تسقط دونها الامانى حسرى ذات اعياء وتعب ما قدامهن قدام أى ليس بعدها من رتبة ينالها أحد غيره صلى الله عليه وسلم وتلقى من ربه كلمات ما عداها بالنسبة اليها كالهباء وهو ما يرى فى ضوء الشمس وبث سبحانه وتعالى اليه علوما لا يدرك العلماء والحكماء شذرة منها وكونه صلى الله عليه وسلم صعد السموات على البراق يوافقه ما فى حياة الحيوان ان قيل لم عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء على البراق ولم ينزل عند منصرفه عليه فالجواب انه عرج به الى دار الكرامة ولم ينزل به عليه اظهار القدرة الله تعالى هذا كلامه فليتأمل وتقدم عن الحافظ ابن كثير انكار صعوده صلى الله عليه وسلم على البراق وتقدم ان موسى أشدهم على حين مررت عليه وخيرهم الى حين رجعت ونعم الصاحب كان لكم أى فانه صلى الله عليه وسلم كما تقدم لما جاوزه عند الصعود بكى فنودى ما يبكيك قال رب هذا غلام أى لانه صلى الله عليه وسلم كان حديث السن بالنسبة لموسى صلى الله عليه وسلم هذا هو المناسب للمقام بعثته بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتى وفى رواية تزعم بنو اسرائيل أى وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله وفى لفظ تزعم الناس انه أكرم على الله منى ولو كان هذا وحده هان ولكن معه أمته وهم أفضل الامم عند الله تعالى أى انضم الى شرفه شرف أمته على سائر الامم ﴿أقول﴾ والغرض من هذا وما تقدم عنه عند مروره صلى الله عليه وسلم على قبره عليه الصلاة والسلام عند الكثيب الاحمر اظهار فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم وفضيلة أمته بأنه أفضل الانبياء وأمته أفضل الامم وفى رواية عن ابن عمر كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل الثوب من البول سبع مرات ولم يزل صلى الله عليه وسلم يسأل حتى جعلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل الثوب من البول مرة قال وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال لان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهى هذا والراجح عند أئمتنا ان درهم الصدقة أفضل من درهم القرض وبيان كون درهم القرض بثمانية عشر درهما ان درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء فى بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة

المذكور (ثم استشار) رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى الاسرى فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون فى هؤلاء
الاسرى ان الله قد مكنكم منهم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر وعمر وعليا رضى الله عنهم فيما هو الاصلح من الامرين
القتل أو أخذ الفداء فقال أبو بكر يا رسول الله اهلك وقومك وفى رواية هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد أعطاك الله الظفر بهم
ونصرك عليهم أرى ان تستبقيهم وتأخذ الفداء ٤٣٦ منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم بك
فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا ابن الخطاب فقال يا رسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ما أرى ما رأى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكننى من فلان قريب لعمر وفى رواية نسيب له فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل أخيه فيضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس فيضرب عنقه حتى يعلم انه ليس فى قلوبنا مودة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم وقال ابن رواحة انظر واديا كثير الحطب فأضرمه عليهم نارا وفى رواية ان عمر رضى الله عنه لما قال ذلك أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله أضرب أعناقهم فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثلاثا وهو يعرض عنه لما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة فى حالة ايذائهم له فكيف فى حال قدرته عليهم فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال يا رسول الله أرى أن تعفو عنهم وتقبل الفداء منهم فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان من الغم ولم يذكر عن على رضى الله عنه
جواب مع انه أحد الثلاثة المستشارين قال العلامة الزرقانى لانه لما رأى تغير المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اختلف ارادة
الشيخان لم يجب أو لم تظهر له مصلحة حتى يذكرها ولهذا لما ظهر لعبد الله بن رواحة رضى الله عنه الجواب قال انظر واديا كثير
الحطب فاضرمه عليهم نارا فقال العباس رضى الله عنه وهو يسمع قطعت رحمك وفى رواية ثكلتك أمك فدخل صلى الله عليه وسلم
فقال أناس يأخذ بقول عمر وأناس بقول أبى بكر وأناس بقول ابن رواحة ثم خرج فقال ان الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون

تصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للقرض بدله وهو بدرهمين من عشرين يتخلف ثمانية عشر * وعرضت عليه صلى الله عليه وسلم النار فاذا فيها غضب الله تعالى أى نقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتهما وفى هذه الرواية زيادة على ما تقدم وهى فاذا قوم يأكلون الجيف فقال صلى الله عليه وسلم من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس أى وتقدم انه صلى الله عليه وسلم رأى هؤلاء فى الارض وان لهم أظفارا من حديد يخمشون بها وجوههم وصدورهم ورآهم فى السماء الدنيا وأنهم يقطعون اللحم من جنوبهم فيلقمونه ولينظر ما الحكمة فى تكرر رؤية هؤلاء دون غيرهم من بقية أهل الكبائر الذين رآهم فى الارض وفى السماء الدنيا ولعل الحكمة فى ذلك المبالغة فى الزجر عن الغيبة لكثرة وقوعها ورأى فيها رجلا أحمر أزرق فقال من هذا يا جبريل فقال هذا عاقر الناقة أى ولعل دخول الجنة وعرض النار عليه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان تغشاه السحابة ويزج به فى النور ولا مانع من ان تعرض عليه النار وهو فوق السماء السابعة وهى فى الارض السابعة (أقول) ونقل القرطبى فى تفسيره عن الثعلبى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى الى السماء تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنيا كم هذه سبعين مرة مملوآت من الملائكة يسبحون الله عز وجل ويقدسونه ويقولون فى تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة أى صلاتها اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة أى لصلاتها وهذا يفيد أن هذه التسمية أى تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة معروفة عند الملائكة وعنده صلى الله عليه وسلم وهو يوافق ما قيل ان المسمى لها بذلك كعب بن لؤى كما تقدم ويخالف ما سيأتى من ان تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة هداية من الله عز وجل للمسلمين بالمدينة وانه لما أرسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلوها فى ذلك اليوم لم يسمه بيوم الجمعة بل اقتصر على قوله اليوم الذى يليه اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم أى فى أكثر الروايات والا فقد رأيت السهيلى ذكر حديثا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سمى ذلك اليوم بيوم الجمعة ونصه كتب صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير أما بعد فانظر اليوم الذى يليه اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا الى الله تعالى فيه بركعتين فعلى أكثر الروايات يجوز أن يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك هنا أى فى قصة المعراج كان بعد التسمية وصلاة الجمعة وعبر بهذه العبارة لكونها عرفت لهم فيكون الذى سمعه من الملائكة يوم العروبة مثلا والله أعلم * قال ورأى صلى الله عليه وسلم مالكا خازن النار فاذا هو رجل عابس يعرف الغضب فى وجهه فبدأ النبى صلى الله عليه وسلم أى بالسلام ثم أغلقت دونه انتهى وفى الاصل وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وقد رأيتنى أى يخبر انه صلى الله عليه وسلم رأى نفسه فى جماعة من الانبياء فحانت الصلاة أى حضرت

ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبا بكر فى الملائكة كمثل ميكائيل ينزل بالرحمة
ومثلك فى الانبياء مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر فى الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله
ومثلك فى الانبياء مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ٤٣٧ ومثلك فى الانبياء مثل موسى اذ قال ربنا اطمس
على أموالهم الآية لو اتفقتما ما خالفتكما وأخذ بقول أبى بكر رضى الله عنه وقال لا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يا رسول الله الا سهيل بن بيضاء فانى سمعته يذكر الاسلام فسكت صلى الله عليه وسلم فما رأيتنى فى يوم أخاف أن تقع على الحجارة منى فى ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء وأنزل الله تعالى ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فجاء عمر رضى الله عنه والنبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال صلى الله عليه وسلم أبكى للذى عرض على أصحابك من الفداء وفى رواية قال ان كاد ليمسنا فى خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما افلت منه الا ابن الخطاب وفى رواية وسعد بن معاذ لانه أيضا كره الاسر وأحب الاثخان ولم يقل وابن رواحة لانه أشار
باضرام النار وليس بشرع قال بعضهم فى هذه الآيات دليل على انه يجوز الاجتهاد للانبياء لان العتاب لا يكون فيما صدر عن وحى
وقال السبكى فى قوله تعالى ما كان لنبى أى غيرك يا محمد أن يكون له أسرى الخ أى وأما أنت فمخير بين قتلهم وأخذ الفداء منهم
وعن الاعمش فى قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق أى بأنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا ممن شهد بدرا ويؤيده حديث وما يدريك
لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم وأحسن ما قيل فى الآية ان فيها العتاب على ارتكاب خلاف الاولى وانه كان الاولى

ارادة الصلاة فأممتهم أى صليت بهم اماما قال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فبدأنى بالسلام قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لم آت لاهل سماء الا رحبوا بى وضحكوا الا غير واحد سلمت عليه فرد على السلام ورحب بى ودعا لى ولم يضحك الى قال ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك اليك انتهى (أقول) وهذا السياق يدل على ان ضحك من لقيه من الانبياء والملائكة فى السموات له صلى الله عليه وسلم سقط من جميع روايات المعراج اذ لم يذكر فى شئ منها على ما علمت ويدل على ان مالكا خازن النار وجده فى السماء السابعة وانه مرة بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام ومرة بدأه النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام والمناسب ان يكون فى المرة الاولى هو الذى بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام وهو عند الباب ثم رأيت الطيبى صرح بذلك حيث قال انما بدأ خازن النار بالسلام عليه ليزيل ما استشعر من الخوف منه لما ذكر من انه رأى رجلا عابسا يعرف الغضب فى وجهه فلا ينافيه ما ذكره السهيلى من انه صلى الله عليه وسلم لم يره على الصورة التى يراه عليها المعذبون فى الآخرة ولو رآه عليها لم يستطع أن ينظر اليه وقوله صلى الله عليه وسلم لم آت أهل سماء الى آخره قد يعارضه ما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لم أر ميكائيل ضاحكا قال ما ضحك منذ خلقت النار وفيه ان هذا يفيد ان ميكائيل كان موجودا قبل خلق النار وايجادها وهذا لا ينافى ان ميكائيل ضحك بعد ذلك فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم تبسم فى الصلاة فسئل عن ذلك فقال رأيت ميكائيل راجعا من طلب القوم أى يوم بدر وعلى جناحه الغبار فضحك الى فتبسمت اليه ولعل هذا كان بعد ما أخرجه أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل انى لم أر ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ومما يدل على ان جبريل عليه الصلاة والسلام خلق قبل النار أيضا ما فى مسند أحمد عن أنس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم لجبريل لم تأتنى الا رأيتك صار ا بين عينيك قال انى لم أضحك منذ خلقت النار وهذا مع ما تقدم من رؤية الجنة والنار يرد على الجهمية وبعض المعتزلة كعبد الجبار وأبى هاشم حيث زعموا ان الله تعالى لم يخلق الجنة والنار وانهما ليستا موجودتين الآن وانما يخلقهما سبحانه وتعالى يوم الجزاء مستدلين بأنه لا يحسن من الحكيم أن يخلق الجنة دار النعمة والنار دار النقمة قبل خلق أهلهما وبأنهما لو كانا مخلوقتين فى السماء والارض لفنيا بفنائهما وأجيب عن الاول بأنه يحسن من الحكيم خلقهما قبل يوم الجزاء لان الانسان اذا علم ثوابا مخلوقا اجتهد فى العبادة لتحصيل ذلك الثواب واذا علم عقابا مخلوقا اجتهد فى اجتناب المعاصى لئلا يصيبه ذلك العقاب فليتأمل وأجيب عن الثانى بأن الله استثناهما من قوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وفيه ان هذه صعقة الموت ولا يتصف بالموت غير ذى الروح ولان الجنة كما قيل ليست فى السماء السابعة بل فوقها والنار ليست فى الارض السابعة بل تحتها وحينئذ يكون القول بأن الجنة

الاثخان بالقتل لكن لما سبق في علم الله ان هذا هو الذي يقع وأنتم مخيرون بين الامرين لم يؤاخذكم بفعل الامر الجائز لكم المقدر
وقوعه قبل خلق السموات والارض وفي الآية تخويف للكفار ووعيد شديد وترغيب لهم في الاسلام وحث للمؤمنين على قتال الكفار
وتأييد لرأي عمر رضي الله عنه وهذا من المواضع التي جاء القرآن فيها موافقا لقول عمر رضي الله عنه وهي كثيرة نحو بضع وثلاثين
أفردت بالتأليف وروى الحاكم باسناد صحيح عن ٤٣٨ علي رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال
خير أصحابك في الاسرى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا (وفي رواية) قالوا بل نفاديهم فنقوى به عليهم ويدخل قابلا منا الجنة سبعون ففاداهم (ثم لما استقر الامر على الفداء) فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسرى في أصحابه ليرجعوا بهم الى المدينة حتى يرسل لهم أهلوهم وعشائرهم بالفداء وقيل تفريقهم بين أصحابه انما كان بعد وصولهم المدينة وقال لما فرقهم استوصوا بهم خيرا (قال ابن اسحق) فكان أبو عزيز ابن عمير شقيق مصعب بن عمير في الاسرى فقال مر بي أخي ورجل من الانصار يأسرني فقال له شد يديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال فكنت في رهط من الانصار حين أقبلوا من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ولما قال أخوه للانصاري شد يديك به قال يا أخي هذه وصاتك بي ثم أرسلت أمه أربعة آلاف درهم ففدته بها ثم أسلم رضي الله عنه وتواصت قريش على أن لا يعجلوا في طلب فداء الاسرى قالوا لئلا يتغالى محمد وأصحابه
في الفداء فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبي وداعة السهمي بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فافتدى أباه بأربعة آلاف
درهم وقد قال صلى الله عليه وسلم لما رأى أبا وداعة أسيرا ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاء في طلب أبيه فجاء وفداه فكان
أول أسير فدي واسم أبي وداعة الحرث ثم أسلم رضي الله عنه فقد عده بعضهم من الصحابة وعند ذلك بعثت قريش في فداء الاسارى
وكان الفداء فيهم على قدر أموالهم وكان من أربعة آلاف درهم الى ثلاثة الى ألفين الى ألف ومن لم يكن معه مال وهو يحسن

في السماء السابعة والنار في الارض السابعة فيه تجوز والله أعلم قال واختلف في رؤيته
صلى الله عليه وسلم ربه تبارك وتعالى تلك الليلة فأكثر العلماء على وقوع ذلك أي انه صلى الله عليه
وسلم رآه عز وجل بعين رأسه واستدل له بحديث رأيت ربي في أحسن صورة ورد بأن هذا
الحديث مضطرب الاسناد والمتن ٥ وقد قال بعض العارفين شاهد الحق سبحانه وتعالى
القلوب فلم ير قلبا أشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية
والمكالمة وأنكرتها عائشة رضي الله تعالى عنها وقالت من زعم ان محمدا رأى ربه بعين رأسه
فقد أعظم الفرية على الله عز وجل أي أتى بأعظم الافتراء والكذب على الله عز وجل ووافقها
على ذلك من الصحابة ابن مسعود وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهم وجمع من العلماء ونقل عن
الدارمي الحافظ انه نقل اجماع الصحابة على ذلك ونظر فيه وذهب الى الرؤية أي المذكورة أكثر
الصحابة وكثير من المحدثين والمتكلمين بل حكى بعض الحفاظ على وقوع الرؤية بعين رأسه
الاجماع والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

ورآه وما رآه سواه * رؤية العين يقظة لا المرائي

واحتجت عائشة رضي الله تعالى عنها على منع الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار قال وروى
أن مسروقا قال لها ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى أي مرة أخرى أي بناء على ان الضمير
المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال انما رأيت جبريل منهبطا أي فالضمير البارز انما هو
لجبريل وفي رواية قال ذلك جبريل لم أره في صورته التي خلق عليها الا مرتين أي مرة
في الارض ومرة في السماء في هذه الليلة كما تقدم وعلى ظاهر الآية أي من جعل الضمير
المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى وقطع النظر عن هذه الرواية التي جاءت
عن عائشة رضي الله تعالى عنها يلزم أن يكون صلى الله عليه وسلم رأى الحق سبحانه وتعالى ليلة
المعراج مرتين مرة في قاب قوسين ومرة عند سدرة المنتهى ولا مانع من ذلك ولعل ذلك هو
المعنى بقول الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم برؤيته للباري عز وجل مرتين
وفيها وجمع له بين الكلام والرؤية وكلمه عند سدرة المنتهى وكلم موسى بالجبل قال بعضهم يجوز
انه صلى الله عليه وسلم خاطب عائشة رضي الله تعالى عنها اذ ذكر لها بقوله انما رأيت جبريل
الى آخره على قدر عقلها أي في ذلك الوقت انتهى وأيد قولها ما روي عن أبي ذر رضي الله تعالى
عنه قلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال رأيت نورا أي حجبني ومنعني عن رؤيته عز وجل
ومن ثم جاء في رواية نوراني أراه أي كيف أراه مع وجود النور لان النور اذا غشي البصر حجبه
عن رؤية ما وراءه أي وليس المراد انه سبحانه وتعالى هو النور المرئي له خلافا لمن فهم ذلك وأيده
عبارة روي نوراني أي لان هذه الرواية كما قيل تصحيف ومن ثم قال القاضي عياض لم أرها في أصل
من الاصول ومحال أن تكون ذاته تعالى نورا لان النور من جملة الاعراض أي لانه كيفية

تدركها

الكتابة دفعوا له عشرة من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا علمهم كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر يسأل النبي صلى الله
عليه وسلم في أسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه (وفي رواية) لو كان مطعم حيا
وكلمني في هؤلاء النفر (وفي رواية) في هؤلاء النتنى لتركتهم له لان المطعم أجار النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وكان ممن
سعى في نقض الصحيفة كما تقدم وسماهم نتنى لكفرهم وكان موت المطعم قبل وقعة ٤٣٩ بدر وهو على كفره وأما جبير ابنه فأسلم رضي
الله عنه (وكان من الاسرى أبو العاص بن الربيع) رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو زوج زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضي الله عنها أخت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وكنيته أبو العاص واسمه لقيط وقيل مقسم بكسر الميم قيل هشيم واشتهر بكنيته وأبوه الربيع بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ابن عبد مناف فلما أسر أبو العاص بعثت زينب رضي الله عنها في فدائه قلادة لها كانت أمها خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها حين تزوجها أبو العاص فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها قلادتها فافعلوا وشرط عليه صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيل زينب أي ان تهاجر الى المدينة ولم يكن في ذلك الوقت تزوج الكافر بالمسلمة محرما وانما حرم ذلك بعد لان الاحكام انما شرعت بالتدريج فلما بعث صلى الله عليه وسلم وأسلم أهله وبناته ولم يسلم أبو العاص زوج زينب لم يفرق بينهما صلى الله عليه وسلم وقد كان كفار قريش مشوا الى أبي العاص وسألوه أن يطلق
زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له تزوجك أي امرأة شئت من قريش فأبى ذلك وقال والله لا أفارق صاحبتي وما
أحب ان لي بامرأتي أفضل امرأة من قريش وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك خيرا وشكر له ذلك فلما وصل أبو العاص مكة
أمرها باللحوق بأبيها وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة ورجلا من الانصار وقال لهما تكونان بمحل كذا المحل قريب
من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتياني بها فلما أرادت الخروج من مكة خرج معها كنانة بن الربيع وهو أخو زوجها قدم

تدركها الباصرة أولا وبواسطة تلك الكيفية تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة
من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما والله تعالى يتعالى عن ذلك أي فحجابه تعالى النور
كما رواه مسلم أي ومن ثم قيل في قوله تعالى الله نور السموات والارض أي ذو نور او هو على
المبالغة أي وجاء رأيته في صورة شاب أمرد عليه حلة خضراء دونه ستر من لؤلؤ وجاء رأيت
ربي في أحسن صورة قال الكمال بن الهمام ان كان المراد به رؤية اليقظة فهو حجاب الصورة قال
وقيل رآه بفؤاده مرتين لا بعيني رأسه فعن بعض الصحابة قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك
قال لم أره بعيني رأيته بفؤادي مرتين ثم تلا ثم دنا فتدلى الآية وهذا السياق يدل على ان
فاعل دنا فتدلى الحق سبحانه وتعالى والمراد بالفؤاد القلب أي خلقت الرؤية في القلب أو خلق
الله لفؤاده بصرا رأى به انتهى (أقول) وكون الفؤاد له بصر واضح لقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى وأجيب عما احتجت به عائشة رضي الله تعالى عنها من قوله تعالى لا تدركه الابصار
بأنه لا يلزم من الرؤية الادراك أي الذي هو الاحاطة فالنور انما منع من الاحاطة به لا من
أصل الرؤية وقد قال بعضهم للامام أحمد بأي معنى تدفع قول عائشة رضي الله تعالى عنها
من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله تعالى الفرية فقال يدفع بقول النبي صلى
الله عليه وسلم رأيت ربي وقول النبي صلى الله عليه وسلم أكبر من قولها هذا وقد قال أبو
العباس بن تيمية الامام أحمد انما يعني رؤية المنام فانه لما سئل عن ذلك قال نعم رآه فان رؤيا
الانبياء حق ولم يقل انه رآه بعين رأسه يقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصوصه
موجودة ليس فيها ذلك (أقول) وفيه انه يبعد ان يكون الامام أحمد يفهم عن عائشة رضي
الله تعالى عنها انها تنكر رؤيا المنام حتى يرد عليها وقد ضعف حديث ابي ذر المتقدم وهو قلت
يا رسول الله رأيت ربك فقال نور أنى أراه وهو من جملة الاحاديث التي في مسلم التي نظر فيها
والله أعلم قال أبو العباس بن تيمية وأهل السنة متفقون على ان الله عز وجل لا يراه أحد
بعينه في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ولم يقع النزاع الا في نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة مع ان
أحاديث المعراج المعروفة ليس في شيء منها انه رآه وانما روي ذلك باسناد موضوع باتفاق
أهل الحديث وفي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واعلموا ان أحدا منكم
لن يرى ربه حتى يموت وقد سأله موسى الرؤية فمنعها وقد نقل القرطبي عن جماعة من المحققين
القول بالوقف في هذه المسئلة لانه لا دليل قاطع وغاية ما استدل به الفريقان ظواهر
متعارضة قابلة للتأويل وهو من المعتقدات فلا بد فيها من الدليل القطعي هذا كلامه
ونازع فيه السبكي بأنه ليس من المعتقدات التي يشترط فيها الدليل القطعي وهي التي نكلف
باعتقادها كالحشر والنشر بل من المعتقدات التي يكتفى فيها بخبر الآحاد الصحيح وهي التي لم
نكلف باعتقادها كما نحن فيه وفي الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم برؤيته من
آيات ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى وبرؤيته للباري مرتين وفي كلام بعضهم

قال العلماء فى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى رأى صورة ذاته المباركة فى الملكوت فاذا هو عروس المملكة وفى كلام ابن دحية خص صلى الله عليه وسلم بألف خصلة منها الرؤية والدنو والقرب قال بعضهم قد صحت الاحاديث عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى اثبات الرؤية وحينئذ يجب المصير الى اثباتها ولا يجترئ أحد أن يظن فى ابن عباس ان يتكلم فى هذه المسئلة بالظن والاجتهاد قال الامام النووى والراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينى رأسه أى وأما رؤيته عز وجل يوم القيامة فى الموقف فعامة لكل أحد من الخلائق الانس والجن من الرجال والنساء المؤمن والكافر والملائكة جبريل وغيره وأما رؤيته عز وجل فى الجنة فقيل لا تراه الملائكة وقيل يراه منهم جبريل خاصة مرة واحدة قال بعضهم وقياس عدم رؤية الملائكة عدم رؤية الجن ورد ذلك واختلف فى رؤية النساء من هذه الامة له تعالى فى الجنة فقيل لا يرينه لانهن مقصورات أى محبوسات فى الخيام وقيل يرينه فى أيام الاعياد دون أيام الجمع بخلاف الرجال فانهم يرونه فى كل يوم جمعة فقد جاء انه تعالى يتجلى فى مثل عيد الفطر ويوم النحر لاهل الجنة تجليا عاما ومن أهل الجنة مؤمنو الجن على الراجح وجاء ان كل يوم كان للمسلمين عيدا فى الدنيا فانه عيد لهم فى الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه ويدعى يوم الجمعة فى الجنة بيوم المزيد قال بعضهم هذا العموم أهل الجنة وأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يرون ربهم فيه بكرة وعشيا وأما رؤية الله عز وجل فى النوم ففى الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له رؤية الله عز وجل فى المنام ولا يجوز ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم فى أحد القولين وهو اختيارى وعليه أبو منصور الماتريدى وفى كلام الامام النووى قال القاضى عياض اتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى فى المنام وصحتها أى وقوعها قال وان رآه حينئذ انسان على صفة لا تليق بجلاله من صفات الاجساد لان ذلك المرئى غير ذات الله تعالى والله أعلم ثم لا يخفى ان أكثر العلماء على ان الاسراء الى بيت المقدس ثم المعراج الى السماء كانا فى ليلة واحدة أى وقيل كان الاسراء وحده فى ليلة ثم كان هو والمعراج فى ليلة أخرى قال وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما نزل الى سماء الدنيا نظر الى أسفل منه فاذا هو برهج ودخان وأصوات فقال ما هذا يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم لا يتفكرون أى وذلك مانع لهم من التفكر فى ملكوت السموات والارض أى لعدم نظرهم للعلامات الموصلة لذلك لولا ذلك لرأوا العجائب أى أدركوها ثم ركب صلى الله عليه وسلم البراق منصرفا أى بناء على انه لم يعرج على البراق فمر بعير لقريش الى آخر ما تقدم انتهى أقول ذكر بعضهم ان مما نزل عليه صلى الله عليه وسلم بين السماء والارض أى عند نزوله من السماء قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم الآيات الثلاث وقوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية والآيتان من آخر سورة البقرة وتقدم أنهما نزلتا بقاب قوسين والله أعلم واستدل على ان كلا من الاسراء والمعراج كان يقظة بجسده صلى الله عليه وسلم وروحه

لها بعيرا فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقودها فى هودج لها وكانت حاملا فتحدث بخروجها رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى فكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ونخس البعير بالرمح فوقعت وألقت حملها ثم ان كنانة بن الربيع برك ونثر كنانته وأخذ قوسه وقال والله لا يدنو منى رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه أبو سفيان فى رجال من قريش وقال كف عنا نبلك ٤٤٠ حتى نكلمك ثم قال له انك لم تصب فى فعلك فانك خرجت بزينب علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا فيظن الناس ان ذلك من ذل أصابنا وان ذلك منا ضعف ووهن ولعمرى ما لنا بحبسها عن أبيها حاجة ولكن ارجع بها حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسربها سرا فألحقها بأبيها ففعل وأقامت ليالى ثم خرج بها ليلا حتى أسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه (وفى رواية) انه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة ألا تنطلق فتجئ بزينب قال بلى يا رسول الله قال فخذ خاتمى فأعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقى راعيا فقال لمن ترعى قال لابى العاص قال فلمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم قال له ان أعطيتك شيأ تعطها اياه ولا تذكره لاحد قال نعم فأعطاه الخاتم فانطلق الراعى الى زينب فأدخل غنمه وأعطاها الخاتم فعرفته فقالت من أعطاك هذا قال رجل قالت فأين تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها زيد اركبى بين يدى على بعيرى قالت لا ولكن اركب أنت بين يدى فركب وركبت خلفه حتى أتت المدينة وذلك بعد شهر من بدر وكونها خرجت فى الليل الى زيد لا ينافى الرواية التى فيها اخرج معها حموها أى أخو زوجها حتى سلمها لزيد لامكان أن يكون معها حين خرجت ثم أسلم زوجها رضى الله عنه وهاجر وردها اليه صلى الله عليه وسلم بغير عقد بل بالنكاح الاول وقيل عقد له عليها عقدا آخر وولدت له امامة التى كان يحملها صلى الله عليه وسلم على ظهره وهو يصلى ثم لما كبرت تزوجها على رضى الله عنه بعد خالتها فاطمة رضى الله عنها بوصية من فاطمة رضى الله عنها لعلى بذلك ولما حضرت عليا رضى الله عنه الوفاة قال لها انى لا آمن أن يخطبك معاوية بعد موتى فان كان لك فى الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن بقوله

بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا لان العبد حقيقة هو الروح والجسد قال تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وقال وانه لما قام عبد الله يدعوه ولو كان الاسراء مناما لقال بروح عبده ولان الدواب التى منها البراق لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجساد واستدل على ان الرؤية كانت بعين بصره صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى لان وصف البصر بعدم الازاغة يقتضى ان ذلك يقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال ما زاغ قلبه ٥ (أقول) فيه ان لقائل أن يقول يجوز ان يكون المراد بالبصر بصر قلبه لما تقدم ان الله تعالى خلق لقلبه بصرا والله أعلم وقيل كان الاسراء بجسده والمعراج بروحه الشريفة أى بذاتها عرج بها حقيقة من غير اماتة للجسد وكان حالها فى ذلك أرقى منه كحالها بعد مفارقتها لجسدها بموته فى صعودها فى السموات حتى تقف بين يدى الله تعالى وهذا أمر فوق ما يراه النائم وغيره صلى الله عليه وسلم لا تنال ذات روحه الصعود الا بعد الموت لجسدها قيل ومن ثم لم يشنع كفار قريش الا أمر الاسراء دون المعراج (أقول) الظاهر ان اخباره صلى الله عليه وسلم بالمعراج لم يكن عند اخباره بالاسراء بل تأخر عن اخباره بالاسراء بناء على انهما كانا فى ليلة واحدة والا فقد ذكر بعضهم ان المعراج لم يكن ليلة الاسراء الذى أخبر به كفار قريش قال اذ لو كان أى فى تلك الليلة لاخبره حين أخبرهم بالاسراء أى ولم يخبر به حينئذ اذ لو أخبر به حينئذ لنقل ولذكره سبحانه وتعالى مع الاسراء لان المعراج أبلغ فى المدح والكرامة وخرق العادة من الاسراء الى المسجد الاقصى واجيب عنه بأنه على تسليم انه كان فى ليلة الاسراء الذى أخبر به قريشا هو صلى الله عليه وسلم استدرجهم الى الايمان بذكر الاسراء أولا فلما ظهرت لهم أمارات صدقه على تلك الآية الخارقة التى هى الاسراء أخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج بعد ذلك أى وحيث أخبرهم بذلك لم ينكروه لذلك أى لثبوت صدقه صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه من الاسراء وتقدم عن المواهب انهم لم يسألوه عن علامات تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم فى ذلك لعدم علمهم ومعرفتهم بشئ فى السماء والحق سبحانه وتعالى أرشده الى ذلك أى الى ان يخبرهم بالاسراء أولا ثم بالمعراج ثانيا حيث لم ينزل قصة المعراج فى صورة الاسراء بل أنزل ذلك فى سورة النجم ومما يؤيد انهما كانا فى ليلة واحدة قول الامام البخارى فى صحيحه باب كيف فرضت الصلاة ليلة الاسراء لان من المعلوم ان فرض الصلاة أى الصلوات الخمس انما هو فى المعراج وأما افراده كلا من الاسراء والمعراج بترجمة فلا يخالف ذلك لانه انما أفرد كلا منهما بترجمة لان كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وان كانا وقعا معا وقد خالف الحافظ الدمياطى فى سيرته فذكران

نوفل بن الحرث بن عبد المطلب عشيرا فلما توفى على رضى الله عنه وانقضت عدتها أرسل معاوية رضى الله عنه يخطبها وبذل لها من المهر مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل أرسل يخطبنى فان كان لك حاجة فى فأقبل فجاء وخطبها من الحسن بن على رضى الله عنه فزوجها منه وقيل زوجها منه الزبير بن العوام بوصية من أبيها له عليها ويمكن الجمع بينهما (وكان من جملة الاسرى عمرو بن أبى سفيان) بن حرب أخو معاوية أسره على بن أبى طالب رضى الله عنه فقيل لابى سفيان افد عمرا ابنك فقال أيجمع على دمى ومالى قتلوا حنظلة يعنى ابنه وهو شقيق أم حبيبة أم المؤمنين رضى الله عنها وأفدى عمرا دعوه فى أيديهم يمسكونه ما بدا لهم فبينما أبو سفيان بمكة اذ وجد سعد بن النعمان أخا بنى عمرو بن عوف قد ٤٤١ وفد من المدينة معتمرا فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو ابن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى أبى سفيان فخلى سبيل سعد ولم يذكر عمرو وهذا فيمن أسلم من الاسرى والظاهر انه مات على شركه (وكان من جملة الاسرى سهيل بن عمرو العامرى) وكان من أشراف قريش وفصحائها وخطبائها وكان يخطب قريشا ويحثهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم فلما أسر قال عمر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعنى انزع ثنيتى سهيل بن عمرو حتى يدلع لسانه أى يخرج فلا يستطيع الكلام لانه كان أعلم الاعلم اذا نزعت ثنيتاه لا يستطيع الكلام فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا وعسى أن يقوم مقاما لا تذمه فكان كذلك فانه أسلم رضى الله عنه عام الفتح وحسن اسلامه وصار من

فضلاء الصحابة حتى انه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام فقام سهيل بن عمرو خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بخطبة ثبت الله بها الناس تشبه خطبة أبى بكر رضى الله عنه التى خطبها بالمدينة يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وقال سهيل فى خطبته أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ألم تعلموا أن الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين ثم قال والله انى لاعلم ان هذا الدين يمتد امتداد الشمس فى طلوعها وغروبها فتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمة

الله تامة وان الله ناصر من نصره ومفوّدينه وقد جمعكم الله على خيركم يعنى أبا بكر رضى الله عنه وان ذلك لا يزيد الاسلام الا قوة فمن
رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به فكان فى قيامه ذلك المقام معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم حيث أخبر به
قبل حصوله بأعوام كثيرة وذلك يوم بدر حين قال لعمر رضى الله عنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه ولما أسر سهيل قدم مكرز بن
حفص فى فدائه فلما ذكر قدرا أرضاهم به قالوا له هات قال ليس عندى هنا شئ ولكن اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى
نبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا فى محله حتى جاءهم الفداء (وكان فى الاسرى الوليد بن الوليد) أخو خالد بن الوليد
رضى الله عنه فافتكه اخواه هشام وخالد ٤٤٢ فلما سلموا افداءه وافتكوه ووصل الى مكة أسلم فعاتبوه فى ذلك فقال كرهت
أن ينطق بى أنى جزعت من الاسر
ثم لما أسلم أراد الهجرة فحبسه
أخواه هشام وخالد فكان النبى
صلى الله عليه وسلم يدعو له فى
القنوت ويقول اللهم أنج الوليد
ابن الوليد ثم انفلت ولحق بالنبى
صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء
(وكان فى الاسرى وهب بن عمير
الجمحى) رضى الله عنه فانه أسلم
بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع
وبقى بالمدينة مع الاسرى وكان
أبوه عمير شيطانا من شياطين
قريش وكان ممن يؤذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة
فجلس عمير يوما مع صفوان بن
أمية بن خلف بن وهب الجمحى
رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك
وكان جلوسه معه فى الحجر فتذاكرا
ما أصاب قريشا يوم بدر وذكرا
أصحاب القليب ومصابهم فقال
صفوان والله ما فى العيش خير
بعدهم لانه قتل أبوه أمية وأخوه
على فقال له عمير صدقت اما والله
لولا دين على ليس له عندى قضاء
وعيال أخشى عليهم الضيعة
بعدى لكنت آتى محمدا حتى أقتله
فان لى فيهم علة ابنى أسير فى
أيديهم فاغتنمها صفوان وقال له على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالى
أواسيهم ما بقوا فقال عمير فاكتم عنى شأنى وشأنك وتعاقدا وتعاهدا على ذلك ثم ان عميرا أخذ سيفه فشحذه أى سنه وسمه أى جعل فيه
السم ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى عمير حين
أناخ راحلته على باب المسجد متوشحا بالسيف فقال عمر رضى الله عنه هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء الا بشر فدخل عمر
رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا بسيفه قال فأدخله على فأقبل
عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فأمسكه بها وقال لرجال ممن كان معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا

المعراج كان فى رمضان والاسراء كان فى ربيع الاول والله أعلم وقيل الاسراء وقع له صلى الله
عليه وسلم أى بعد البعثة مرتين مناما أولا ويقظة ثانيا أى فكانت مرة المنام توطئة وتبشيرا
لوقوعه يقظة وبذلك يجمع بين الاختلاف الواقع فى الاحاديث أى فبعض الرواة خلط الواقع
له صلى الله عليه وسلم مناما بالواقع له صلى الله عليه وسلم يقظة وعلى هذا لا يشكل قول شريك
فلما استيقظت لكنه قال ان مرة المنام كانت قبل البعثة ففى رواية وذلك قبل ان يوحى اليه
وقد أنكر الخطابى عليه ذلك وعده من جملة أوهامه الواقعة فى حديث الاسراء والمعراج ورد
على الخطابى الحافظ ابن حجر فى ذلك بما ينبغى الوقوف عليه وقيل كان المعراج يقظة ولم يكن
ليلا ولم يكن من بيت المقدس بل كان من مكة وكان نهارا فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يسأل
ربه عز وجل ان يريه الجنة والنار فلما كان نائما ظهرا أتاه جبريل وميكائيل فقالا انطلق الى
ما سألت الله تعالى فانطلقا بى الى ما بين المقام وزمزم فاتى بالمعراج فاذا هو أحسن شئ منظرا
فعرجا بى الى السموات سماء سماء الحديث ولا يخفى ان سياق هذا الحديث يدل على ان
ذلك كان مناما فلا يحسن ان يكون دليلا على قوله يقظة وقد جاء عن أبى ذر رضى الله تعالى
عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل
ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغهما
فى صدرى ثم أخذ بيدى فعرج الى السماء الحديث وقد يدعى أن فى رواية أبى ذر اختصارا
وليس فيها ان ذلك كان مناما أو يقظة أى وأما ما ادعاه بعضهم أن المعراج تكرر يقظة
فغريب اذ كيف يتكرر يقظة سؤال أهل كل باب من أبواب السماء هل بعث اليه وكيف
يتكرر سؤاله صلى الله عليه وسلم عن كل نبى وكيف يتكرر فرض الصلوات الخمس والمراجعة
وأما مناما فلا بعد فى تكرر ذلك توطئة لوقوعه يقظة ه أى وهذا منشأ الاختلاف
الروايات أدخل بعض الرواة ما وقع فى المنام بما وقع فى اليقظة كما تقدم نظيره فى الاسراء وتعدد
روايات الاسراء لا يقتضى تعدده فى اليقظة خلافا لمن زعمه ومن ثم قال الحافظ ابن كثير من
جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فأثبت اسرا آت متعددة فقد أبعد وأغرب
أى فالحق أنه اسراء واحد بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم يقظة وذلك من خصائصه صلى
الله عليه وسلم وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم كان له اسرا آت أربعة وعشرون مرة وقيل
ثلاثون مرة منها مرة واحدة بروحه وجسده يقظة والباقى بروحه رؤيا رآها أى ومن ذلك
ما وقع له صلى الله عليه وسلم فى المدينة بعد الهجرة وهو محمل قول عائشة رضى الله تعالى عنها

مافقدت

عنده فان هذا الخبيث غير مأمون ثم دخل به عمر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال أرسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال عمير أنعموا صباحا وكانت تحية الجاهلية بينهم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتكم يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذى فى
أيديكم يعنى ولده وهبا فأحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبح الله السيوف وهل أغنت عنا شيأ قال أصدقنى ما الذى جئت له قال
ما جئت الا لذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فتذاكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت
لولا دين على وعيال لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك ٤٤٣ حتى تقتلنى له والله حائل بينى وبين ذلك قال عمير
أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول
الله نكذبك فيما تأتى به من خبر
السماء وما ينزل عليك من الوحى
وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان
فوالله انى لاعلم انه ما أتاك به الا الله
تعالى فالحمد لله الذى هدانى للاسلام
وساقنى هذا المساق ثم شهد شهادة
الحق فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقهوا أخاكم فى دينه وأقرئوه
القرآن وأطلقوا له أسيره ففعلوا
ذلك وأسلم ابنه أيضا رضى الله عنه
ثم قال عمير يا رسول الله انى كنت
جاهدا على اطفاء نور الله شديد
الاذى لمن كان على دين الله فأنا
أحب ان تأذن لى فأقدم مكة
فأدعوهم الى الله والى الاسلام
لعل الله يهديهم والا آذيتهم فى دينهم
كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم
فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج
عمير يقول لاهل مكة أبشروا بوقعة
تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان
صفوان يسأل عن عمير الركبان
حتى قدم راكب فأخبره باسلامه
فحلف أن لا يكلمه أبدا وأن لا ينفعه
ولا يواسيه أبدا فلما قدم عمير مكة
لم يبدأ بصفوان بل بدأ ببيته
وأظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ
ذلك صفوان فقال قد عرفت حيث لم يبدأ بى قبل منزله انه انتكس وصبأ ولا أكلمه أبدا ولا أنفعه ولا عياله بنافعة أبدا ثم ان عميرا
رضى الله عنه وقف على صفوان وناداه أنت سيد من سادتنا أرأيت الذى كنا عليه من عبادة حجر والذبح له أهذا دين أشهد أن لا اله
الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة وعند فتح مكة هو الذى استأمن النبى صلى الله عليه وسلم لصفوان ثم أسلم
صفوان رضى الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه صلى الله عليه وسلم واديا مملوأ من النعم فقال أشهد أن الملوك لا تطيب
نفوسهم بهذا ولا تطيب به الا نفوس الانبياء أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه وصار من فضلاء
الصحابة رضى الله عنه وكان يسمى سيد البطحاء وكان من فصحاء قريش (ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم) على نفر من الاسرى بغير

مافقدت جسده الشريف وفى صبيحة ليلة المعراج أى حين زالت الشمس من اليوم الذى يلى
الليلة التى فرضت فيها الصلوات الخمس كان نزول جبريل عليه السلام وامامته بالنبى صلى الله
عليه وسلم ليعلمه أوقات الصلوات أى وكيفيتها أى لانه لا يلزم من علمه صلى الله عليه وسلم بكيفية
صلاة الركعتين وصلاة قيام الليل علم كيفية الصلوات الخمس وان قلنا بأن الرباعية منها
فرضت ركعتين فأمر صلى الله عليه وسلم فصيح بأصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به صلى الله
عليه وسلم جبريل وصلى النبى صلى الله عليه وسلم بالناس فسميت تلك الصلاة الظهر لانها أول
صلاة ظهرت أو لانها فعلت عند قيام الظهيرة أى شدة الحر أو عند نهاية ارتفاع الشمس وهذا
الحديث ظاهر بأن صلاته صلى الله عليه وسلم بالناس كانت بعد صلاته مع جبريل ويحتمل لان
يكون صلى الله عليه وسلم صلى بصلاة جبريل والناس صلوا بصلاته صلى الله عليه وسلم ففى بعض
الروايات لما نودى بالصلاة جامعة فزعوا لذلك واجتمعوا فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظهر أربع ركعات لا يقرأ فيهن علانية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدى الناس
وجبريل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدى الناس برسول الله صلى الله عليه
وسلم ويقتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل ثم يصلى كذلك فى العصر ولما غابت
الشمس صلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب ثلاث ركعات يقرأ فى الركعتين
علانية وركعة لا يقرأ فيها علانية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدى الناس وجبريل
بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل وفى
كلام الامام النووى قوله ان جبريل نزل فصلى امام رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بكسر
الهمزة ويوضحه قوله فى الحديث نزل جبريل فأمنى واستدل بذلك بعضهم على جواز الاقتداء
بمن هو مقتد بغيره لا كما يقوله أئمتنا من منع ذلك وأجيب عنه من جانب أئمتنا بأن معنى كونه
صلى الله عليه وسلم مقتديا بجبريل أنه متابع له فى الافعال من غير نية اقتداء ولا ايقاف فعله على
فعل جبريل فلا يشكل على أئمتنا ثم هذا حينئذ يشكل على أئمتنا القائلين بأنه لا بد من علم
كيفية الصلاة قبل الدخول فيها ولا يكفى علمها بالمشاهدة وقد يجاب بأنه يجوز أن يكون جبريل
عليه الصلاة والسلام علمه صلى الله عليه وسلم كيفيتها بالقول ثم أتبع القول الفعل وهو صلى الله
عليه وسلم علم أصحابه كذلك وبما تقرر يسقط الاستدلال بذلك على جواز الفرض خلف النفل
لان تلك الصلاة لم تكن واجبة على جبريل لان الملائكة ليسوا مكلفين بذلك وأجيب بأنها
كانت واجبة على جبريل لانه مأمور بتعليمها له صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وكان ذلك عند

فدا منهم أبو عزة عمرو الجمحى الشاعر كان يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يارسول الله انى فقير وذو عيال وحاجة
قد عرفتها فامنن على صلى الله عليك وسلم فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال له انى لى خمس بنات ليس لهن شئ
فتصدق بى عليهن ففعل وأطلقه وأخذ عليه عهدا أن لا يظاهر عليه أحدا ولما وصل الى مكة قال سحرت محمدا ورجع لما كان عليه من
الايذاء بشعره ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فأسر فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه
فقال أعتقنى وأطلقنى فانى تائب فقال صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فضربت عنقه وجعل رأسه الى المدينة
وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله ٤٤٤ من قبل فأمكن منهم (ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرح أهل
القليب فى قليبهم أرسل عبد الله
ابن رواحة رضى الله عنه بشيرا
لأهل العالية وهو موضع قريب
من المدينة وزيد بن حارثة رضى
الله عنه بشيرا لأهل السافلة بما
فتح الله على رسوله والمسلمين
وأركب صلى الله عليه وسلم زيد
ابن حارثة ناقته القصواء وقيل
العضباء فجعل عبد الله بن رواحة
رضى الله عنه ينادى فى أهل
العالية يامعشر الانصار أبشروا
بسلامة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقتل المشركين وأسرهم
ونادى زيد بن حارثة فى أهل
السافلة بذلك ويقولان قتل فلان
وأسر فلان وفلان من أشراف
قريش فصار عدو الله كعب بن
الاشرف اليهودى يكذبهما
ويقول ان كان محمد قتل هؤلاء
فبطن الارض خير من ظهرها
قال اسامة بن زيد رضى الله عنهما
فأتانا الخبر بالمدينة حين سوينا
التراب على رقية بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضى عنها زوج
عثمان رضى الله عنه وكان عمرها
عشرين سنة ثم زوجه صلى الله
عليه وسلم ابنته الاخرى أم كلثوم
وتوفيت عنده أيضا رضى الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان لى ثالثة لزوجته اياها وما زوجته قال
الا بوحى من الله وفى رواية لو أن لى أربعين زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة قال العلامة الحلبى وأم عثمان بنت
عمته صلى الله عليه وسلم أروى بنت عبد المطلب توأمة عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم ولما جاء زيد بن حارثة بشيرا قال رجل من
المنافقين لابى لبابة رضى الله عنه قد تفرق أصحابكم تفرقا لا تجتمعون بعده أبدا قد قتل محمد وغالب أصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة
لا يدرى ما يقول من الرعب قال اسامة فبلغنى ذلك فجئت حتى خلوت بأبى وسألته عما قال ذلك الرجل وقلت أحق ما تقول قال اى والله
انه لحق ما أقول يا بنى فقويت نفسى ورجعت الى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم لنقدمنك الى رسول الله

البيت أى الكعبة مستقبلا بيت المقدس أى صخرته واستقباله صلى الله عليه وسلم لبيت
المقدس قيل كان باجتهاد منه وقيل كان بأمر من الله تعالى له قيل بقرآن وقيل بغيره أى
وعلى أنه بقرآن يكون مما نسخت تلاوته وقد قال أئمتنا ونسخ قيام الليل بالصلوات الخمس الى
بيت المقدس كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم اذا استقبل بيت المقدس يجعل الكعبة بينه وبينه
فيصلى بين الركن اليمانى وركن الحجر الاسود أى كما صلى به جبريل الركعتين أول البعث كما تقدم
وحينئذ لا يخالف هذا قول بعضهم لم يزل صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة حتى خرج منها أى
من مكة أى لم يستدبرها فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة استقبل بيت المقدس أى تمحض
استقباله واستدبر الكعبة وظاهر اطلاقهم أن هذا أى استقباله بيت المقدس وجعل الكعبة
بينه وبينه كان شأنه صلى الله عليه وسلم غالبا وان صلى خارج المسجد بمكة ونواحيها والظاهر أنه
صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك أدبا لا وجوبا وافقد جاء أن صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم
كانت عند باب الكعبة كما رواه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الام وروى الطبراوى عند
باب البيت مرتين أى وذلك فى المحل المنخفض الذى تسميه العامة المعجنة كما تقدم وصلاته صلى
الله عليه وسلم عند باب الكعبة فى المحل المذكور لبيت المقدس لا يكون مستقبلا للكعبة بل
تكون على يساره لانه لا يتصور أن يستقبل بيت المقدس ويكون مستقبلا للكعبة أيضا
الا اذا صلى بين اليمانيين كما تقدم وأيضا ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسجد نحو بيت
المقدس ويجعل الكعبة وراء ظهره وهو بمكة أى فى بعض الاوقات حتى لا يخالف ما سبق فى أنه
صلى الله عليه وسلم كان يستقبلهما مع استقباله لبيت المقدس ولا ينافى ذلك ما فى زبدة
الاعمال أقام صلى الله عليه وسلم بعد نزول جبريل ثلاث عشرة سنة وكان يصلى الى بيت المقدس
مدة اقامته بمكة يجعلها أى الكعبة بين يديه ولا يستدبرها الا مكان جل مدة اقامته على غالبها
ومما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم مع الصحابة كانوا يصلون الى بيت المقدس وهم بمكة
ما سيأتى عن البراء بن معرور أنه أول من عدل عن استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة قبل
أن يهاجر صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك قال له قد كنت على قبلة لو صبرت عليها وأمه صلى
الله عليه وسلم جبريل مرتين مرة أول الوقت ومرة آخر الوقت لكن الوقت الاختيارى
بالنسبة للعصر والعشاء والصبح الا آخر الحقيقى ليعلمه الوقت أى ولما جاء صلى الله عليه
وسلم جبريل أمر فصيح بأصحابه الصلاة جامعة كما تقدم أى لان الاقامة المعروفة للصلوات
الخمس لم تشرع الا بالمدينة على ما تقدم وسيأتى قال فقد جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم اذا قدم فيضرب عنقك فقال انما هو شئ سمعته من الناس يقولونه ثم أقبل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة ولما
خرج من مضيق الصفراء قسم الغنيمة ونادى مناديه من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له وكان قد نادى بمثل ذلك حين القتال
للتحريض على القتال والترغيب فيه وأسهم لجماعة قد تخلفوا بأمر منه صلى الله عليه وسلم منهم عثمان بن عفان رضى الله عنه تخلف
لتمريض رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فهو معدود من أهل بدر وان لم يحضر كما أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وجعل
له سهمه فى الغنيمة ومنهم أبو لبابة رضى الله عنه خلفه صلى الله عليه وسلم على أهل المدينة وعاصم بن عدى خلفه على أهل قباء والعالية
ومنهم من أرسله ليكشف أمر العدو ويتجسس خبره فلم يجئ الا وقد انقضى ٤٤٥ القتال وهما طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد
ومنهم الحرث بن حاطب أمره
النبى صلى الله عليه وسلم على بنى
عمرو بن عوف * ولما قارب رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة خرج
المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله
عليه فتلاقوا معه بالروحة وتلقته
الولائد عند دخول المدينة يقلن

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داعى

وتلقاه أسيد بن حضير وقال الحمد
لله الذى أظفرك وأقر عينك (وأما
أهل مكة) فأول من قدم عليهم
بمصاب قريش الحيسمان بن اياس
الخزاعى رضى الله عنه فانه أسلم
بعد ذلك فلما جاء مكة صار يحدثهم
بما شاهده ويقول قتل عتبة
وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان
وفلان من أشراف قريش وأسر
فلان وفلان فقال صفوان بن أمية
وكان جالسا فى الحجر والله ما يعقل
هذا سلوه عنى فسألوه قالوا له
ما فعل صفوان بن أمية فقال هو
ذاك جالس فى الحجر وقد رأيت أباه
وأخاه حين قتلا ثم قدم أبو سفيان
ابن الحرث بن عبد المطلب وهو
ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع ارتضع معه من حليمة رضى الله عنها وكان مشركا من أشد الناس على النبى صلى الله
عليه وسلم ثم أسلم رضى الله عنه وحسن اسلامه وهاجر مع عمه العباس والتقيا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالابواء وهو متوجه الى فتح
مكة فلما قدم أبو سفيان بن الحرث على أهل مكة بعد وقعة بدر سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال هلم الى فعندى الخبر والله ما هو
الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على
خيل بلق بين السماء والارض والله لا يقوم لها شئ أى لا يقاومها شئ فقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك
الوقت مولى للعباس رضى الله عنه ثم وهبه للنبى صلى الله عليه وسلم فقلت له والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده فضربنى فى وجهى

قال هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم وصلى به فى أول يوم الظهر حين زالت الشمس كما تقدم أى
عقب زوالها وصلى به العصر حين صار ظل كل شئ مثله أى زيادة على ظل الاستواء أو على
الظل الحاصل عقب الزوال وصلى به المغرب حين أفطر الصائم أى دخل وقت فطره وهو
غروب الشمس وصلى به العشاء حين غاب الشفق وصلى به أى فى غد ذلك اليوم وهو اليوم
الثانى الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم أى حين دخل وقت حرمة ذلك وهو
الفجر أى فان قيل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم حينئذ لم يكن الصوم الذى هو
رمضان فرض أجيب بأنه على تسليم أنه لم يفرض عليه صوم قبل رمضان وهو صوم عاشوراء
أو ثلاثة أيام من كل شهر على ما سيأتى جاز أن يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة كان
بعد فرض رمضان وصلى به الظهر حين كان ظل الشئ مثله وصلى به العصر حين كان ظل الشئ
مثليه وصلى به المغرب حين أفطر الصائم وصلى به العشاء ثلث الليل الاول وصلى به الفجر أى فى
اليوم الثالث فأسفر ثم التفت وقال يا محمد هذا وقتك ووقت الانبياء من قبلك والوقت ما بين
هذين الوقتين اه وأما رواية صلى بى الظهر الى أن قال وصلى بى الفجر فلما كان الغد صلى بى
الظهر المقتضى ذلك لان يكون الفجر ليس من اليوم الثانى بل من تتمة ما قبله ففيه دليل
على أن اليوم من طلوع الشمس كما يقول الفلكيون أى ولا يخفى أن قوله والوقت ما بين هذين
الوقتين محمول عند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه على الوقت الاختيارى بالنسبة للعصر
والعشاء والفجر والا فوقت العصر لا يخرج الا بغروب الشمس ووقت العشاء لا يخرج الا بطلوع
الفجر ووقت الصبح لا يخرج الا بطلوع الشمس خلافا للاصطخرى حيث ذهب الى خروج وقت
العصر بمصير ظل الشئ مثليه والعشاء بثلث الليل والصبح بالاسفار متمسكا بظاهر الحديث
والبداءة بالظهر هو ما عليه أكثر الروايات وروى أن البداءة كانت بالصبح عند طلوع الفجر وعلى
الاول انما لم تقع البداءة بالصبح مع أنها أول صلاة تحضر بعد ليلة الاسراء لان الاتيان بها يتوقف
على بيان علم كيفيتها المعلق عليه الوجوب كأنه قيل أوجبت عليه حيثما تبين كيفيته فى وقته
والصبح لم تتبين كيفيتها فى وقتها فلم تجب فلا يقال هذا من تأخير البيان عن وقت الحاجة
وأجاب الامام النووى بأنه حصل التصريح بأن أول وجوب الخمس من الظهر كأنه قيل
أوجبت ما عدا صلاة الصبح يوم هذه الليلة فعدم وجوبها ليس لعدم علم كيفيتها فهى غير
واجبة وان فرض علم كيفيتها وفيه أنه يلزم حينئذ أن الخمس صلوات فى اليوم والليلة لم
توجد الا فيما عدا ذلك اليوم وليلته قال أبو بكر بن العربى ظاهر قوله هذا وقتك ووقت الانبياء

ضربة شديدة وثاورته فاحتملني وضرب بي الارض ثم برك على يضربني فقامت أم الفضل زوج العباس رضي الله عنها وهي لبابة بنت الحرث الهلالية أخت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها وكانت من السابقات للاسلام كما تقدم الى عمود فضربت به رأس أبي لهب حتى سجته سجة منكرة وقالت استضعفته ان غاب سيده قال أبو رافع فقام موليا ذليلا فوالله ماعاش بعدها الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويقولون انها تعدى أشد العدوى فتباعد عنه أهله وبنوه حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وأما أولاده فأسلم منهم عتبة ومعتب يوم الفتح ٤٤٦ رضي الله عنهما وثبتا يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت أيضا اختهما درة وهاجرت فلها صحبة رضي الله عنها وأما عتيبة بالتصغير فمات كافرا عقره الاسد في طريق الشام في حياة أبيه بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم حين طلق ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وسفه عليه فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك كما تقدم ولما ظهر خبر [illegible] [illegible] ناحت قريش على قتلاهم كثر النوح واستداموه شهرا وجز النساء شعورهن وكن يأتين بفرس الرجل أو راحلته وتستر بالستور وينحن حولها ويخرجن الى الازقة ثم أشير عليهم أن لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تبكوا قتلانا حتى نأخذ بثارهم وتواصوا على ذلك (ولما بلغ النجاشي الخبر) أي خبر نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا وطلب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن كان معه بأرض الحبشة من الصحابة رضي الله عنهم فدخلوا عليه فوجدوه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال لهم اني أبشركم بما يسركم انه قد جاءني من نحو أرضكم عين لي فاخبرني ان الله نصر نبيه صلى الله عليه وسلم وأهلك عدوه فلان بن فلان وفلان بن فلان وعدد جماعة التقوا بمحل يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه غنما لسيدي من بني ضمرة فقال له جعفر رضي الله عنه مالك جالسا على التراب وعليك هذه الاخلاق قال انا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام ان حقا على عباد الله ان يحدثوا لله عز وجل تواضعا عندما أحدث لهم نعمة وفي رواية كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه اذا أحدثت له من الله نعمة ازداد تواضعا فلما أحدث الله نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثت هذا التواضع ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستأصل رؤسهم قالوا ان ثارنا بأرض الحبشة فلترسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من اتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن

من قبلك أن هذه الصلوات في هذه الاوقات كانت مشروعة لكل واحد من الانبياء قبله وليس كذلك وانما معناه أن وقتك هذا المحدود الطرفين مثل وقت الانبياء قبلك فانه كان محدود الطرفين والا فلم تكن هذه الصلوات الخمس على هذه المواقيت الا لهذه الامة خاصة وان كان غيرهم قد شاركهم في بعضها أي فقد جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن آدم لما تيب عليه كان ذلك عند الفجر فصلى ركعتين فصارت الصبح وفدى اسحق عند الظهر أي على القول بأنه الذبيح فصلى أربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير فقيل له كم لبثت قال لبثت يوما فلما رأى الشمس قريبة من الغروب قال أو بعض يوم فصلى أربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب أي الغروب فقام فصلى أربع ركعات فجهد أي تعب فجلس في الثالثة أي [illegible] المغرب [illegible] العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه وسلم فصلاتها [illegible] وفي شرح مسند [illegible] الشافعي رضي الله تعالى عنه للامام الرافعي رحمه الله تعالى كانت الصبح صلاة آدم والظهر صلاة داود أي فقد اشترك داود واسحق في صلاة الظهر والعصر صلاة سليمان أي فقد اشترك سليمان وعزير في صلاة العصر والمغرب صلاة يعقوب أي فقد اشترك يعقوب وداود في صلاة المغرب والعشاء صلاة يونس وأورد في ذلك خبرا وعليه فليست صلاة العشاء من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم والاصل أن ما ثبت في حق نبي ثبت في حق أمته الا أن يقوم الدليل على الخصوصية فليست من خصائص هذه الامة وذكر بعضهم أن المغرب كانت صلاة عيسى أي وكانت أربعا ركعتين عن نفسه وركعتين عن أمه أي فقد اشترك عيسى ويعقوب وداود في صلاة المغرب وفي كلام بعضهم أول من صلى الفجر آدم والظهر ابراهيم أي وعليه فقد اشترك ابراهيم واسحق وداود في صلاة الظهر وأول من صلى العصر يونس أي وعليه فقد اشترك سليمان وعزير ويونس في صلاة العصر وأول من صلى المغرب عيسى وأول من صلى العتمة التي هي العشاء موسى أي وعليه فقد اشترك موسى ويونس ونبينا صلى الله وسلم عليهم في صلاة العشاء وفي الخصائص الكبرى خص صلى الله عليه وسلم بأنه أول من صلى العشاء ولم يصلها نبي قبله ومن لازمه أنه لم يصلها أحد من الامم وقد جاء التصريح به في بعض الروايات انكم فضلتم بها أي العشاء على سائر الامم وعليه فهي من خصائصنا ومن خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وقد تقدم عند بناء الكعبة أن جبريل صلى بابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم الصلوات الخمس فليتأمل قال قيل فرضت الصلوات الخمس في المعراج ركعتين ركعتين أي حتى المغرب ثم زيدت في صلاة الحضر فاكملت أربعا في

ربيعة رضي الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى النجاشي ليدفع اليهما من عنده من المسلمين وأرسلوا معهما هدايا للنجاشي وأصحابه فردهما خائبين وتقدمت القصة بتمامها عند ذكر الهجرة الى الحبشة وقدوم عمرو بن العاص رضي الله عنه على النجاشي مرة ثالثة ستأتي ان شاء الله وفيها قصة اسلامه (ولما رجع رسول الله) صلى الله عليه وسلم الى المدينة مؤيدا منصورا خافه كل عدو بها وحولها وأسلم كثير من أهل المدينة ودخل عبد الله بن أبي في الاسلام ظاهرا وقالت اليهود تيقنا أنه النبي الذي نجد نعته في التوراة وآمن منهم جماعة وبقي على كفرهم آخرون ومن يضلل الله فلا هادي له (وكان) جملة من استشهد يوم بدر أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار منهم ستة من الخزرج واثنان من الاوس ٤٤٧ فالستة المهاجرون عبيدة بن الحرث بن المطلب قطعت رجله في المبارزة مع عتبة ابن ربيعة وأخيه وولده فمات بالصفراء فدفنه صلى الله عليه وسلم بها ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل انه أول قتيل وأول من يدعى يوم القيامة من شهداء هذه الامة وكان قتله بسهم أرسله عامر بن الحضرمي وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم استصغر عميرا فرده فبكى فلما رأى بكاءه أذن له في الخروج فقتل وهو ابن ست عشرة سنة وعاقل بن بكير الليثي وصفوان بن بيضاء الفهري وذو الشمالين عمير وقيل الحرث وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي والثمانية الانصاريون الخزرجي منهم عوف بن عفراء وأخوه شقيقه معوذ بن عفراء وحارثة بن سراقة ويزيد بن الحرث بن قيس بن مالك ورافع بن المعلى وعمير بن الحمام ابن الجموح والاوسي منهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عنهم أجمعين وكلهم دفنوا ببدر ماعدا عبيدة لتأخر وفاته دفن بالصفراء وقيل بالروحاء روى الطبراني باسناد رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الذين قتلوا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة فبينماهم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال يا عبادي ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شيء قال فيقول ماذا تشتهون فيقولون في الرابعة ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا قال في المواهب ولا يقدح في وعد الله تعالى للمسلمين بالظفر استشهاد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لانه وعدهم الظفر بقريش حيث قال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم ولم يعدهم انه لا يقتل منهم أحد فلا ينافي قتل هؤلاء فقد نجز الموعود وغلبوا عدوهم كما وعد الله فكان وعد الله مفعولا ونصره للمؤمنين ناجزا والحمد لله على ذلك وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون كما رواه البخاري

الظهر أي في غير يوم الجمعة وأربعا في العصر والعشاء وثلاثا في المغرب وأقرت صلاة السفر على ركعتين أي حتى في المغرب فعن عائشة رضي الله تعالى عنها فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتان أي في الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فلما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أي بعد شهر وقيل وعشرة أيام من الهجرة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر أي لم يزد عليها شيء لطول القراءة أي فانها يطلب فيها زيادة القراءة على الظهر والعصر المطلوب فيهما قراءة طوال المفصل وصلاة المغرب أي تركت صلاة المغرب فلم يزد فيها ركعتان بل ركعة فصارت ثلاثة لانها وتر النهار أي كما في الحديث فتعود عليه بركة الوترية ان الله وتر يحب الوتر والمراد أنها وتر عقب صلاة النهار وتركت صلاة السفر فلم يزد فيها شيء أي في غير المغرب هذا هو المفهوم من كلام عائشة رضي الله تعالى عنها وهو يفيد أن صلاة السفر استمرت على ركعتين أي في غير المغرب أي وحينئذ يلزم أن يكون القصر في الظهر والعصر والعشاء عزيمة لا رخصة ولا يحسن ذلك مع قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة وفي كلام الحافظ ابن حجر المراد بقول عائشة فأقرت صلاة السفر باعتبار ما آل اليه الامر من التخفيف أي لانه لما استقر فرض الرباعية خفف منها أي في السفر لانه استقر أمرها بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر أو بأربعين يوما ثم نزلت آية القصر في ربيع الاول من السنة الثانية الا أنها استمرت منذ فرضت فلا يلزم من ذلك أن القصر عزيمة وقيل فرضت أي الصلوات الخمس في المعراج أربعا الا المغرب ففرضت ثلاثا والا الصبح ففرضت ركعتين أي والا صلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت الاربع في السفر أي وهو المناسب لقوله تعالى ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ومن ثم قال بعضهم ان هذا هو الذي يقتضيه ظاهر القرآن وكلام جمهور العلماء ويمكن أن يكون المراد من كلام عائشة رضي الله تعالى عنها أنها فرضت ركعتان بتشهد ثم ركعتان بتشهد وسلام وفيه ان هذا لا يأتي في الصبح والمغرب وقال بعضهم ويبعد هذا الحمل ما روى عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي أي الصلوات الخمس التي فرضت بالمعراج بمكة ركعتين ركعتين فلما قدم المدينة أي وأقام شهرا أو وعشرة أيام فرضت الصلاة أربعا وثلاثا وتركت الركعتان تماما أي تامة للمسافر وعن يعلى بن أمية قال قلت لعمر ابن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم وقد أمن الناس قال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أي فصار سبب القصر مجرد السفر لا الخوف وهذا قد يخالف ما في الاتقان

عن البراء بن عازب رضى الله عنهما وفى المواهب وشرحها قال ابن مرزوق فى شرح البردة ومن آيات بدر الباقية مدى الازمان ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع أى بدر يسمعون هيئة الطبل كهيئة طبل الملوك و يرون ان ذلك لنصر أهل الايمان وربما أنكرت ذلك وربما تأولته بأن الموضع صلب أى شديد لا سهولة فيه فتجيب فيه حوافر الدواب أى تكون بصوت يشبه تصويتها فى الارض الصدى فيقولون لى ان الموضع سهل رمل غير صلب وغالب ما يسير هناك الابل واخفافها لا تصوت فى الارض ثم لما من الله على بالوصول الى ذلك الموضع المشرف بالنور نزلت عن الراحلة أمشى و بيدى عود طويل من شجر السعدان المسمى بأم غيلان وقد نسيت ذلك ٤٤٨ الخبر الذى كنت أسمع فما راعنى وأنا سائر فى الهاجرة الا واحد من عبيد الاعراب الجمالين يقول أتسمعون الطبل فأخذتنى لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت أخبرت به وكان فى الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش مما أصابنى من الفرح والهيبة فشككت وقلت لعل الريح سكنت فى هذا العود الذى فى يدى فجلست على الارض أو ثبت قائما أو فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا وسمعت صوتا لا أشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمين ونحن سائرون الى مكة ثم نزلنا ببدر فظللت أسمع ذلك الصوت يومى أجمع المرة بعد المرة ولقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس اه كلام ابن مرزوق قال العلامة الزرقانى قال صاحب تاريخ الخميس ولما نزلت ببدر سنة ست وثلاثين وتسعمائة صليت الفجر يوم الاربعاء أوائل شعبان وأقمنا يوما فوجدت صوت ذلك الطبل يجيء من كثيب ضخم طويل مرتفع كالجبل شمالى بدر فطلعت أعلاه وتتابع الناس لسماعه وكانوا زهاء مائة من رجال ونساء فما سمعت شيأ فنزلت أسفله فسمعت من سفح الكثيب صوتا كهيئة الطبل الكبير سماعا محققا بلا شك مرارا متعددة وسمعه الناس كلهم كما سمعت وكان ذلك الصوت يجيء تارة من تحتنا ثم ينقطع وتارة من خلفنا ثم ينقطع وتارة من قدامنا وتارة من شمالنا فسمعناه سماعا محققا وكان الوقت صحوا رائقا لا ريح فيه اه (وقد جاء) فى فضل أهل بدر أحاديث وآثار فيها أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وفى رواية ان للملائكة الذين شهدوا بدرا فى السماء افضلا على من تخلف منهم وروى الطبرانى بسند جيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أو فقد وجبت

سأل قوم من بنى النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نضرب فى الارض فكيف نصلى فأنزل الله عز وجل واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ثم انقطع الوحى فلما كان بعد ذلك غزا النبى صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم أخرى مثلها فى أثرها فأنزل الله عز وجل بين الصلاتين ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا الى قوله عذابا مهينا فنزلت صلاة الخوف فتبين بهذا الحديث أن قوله ان خفتم شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف لا فى صلاة القصر قال ابن جرير هذا تأويل فى الآية حسن لو لم يكن فى الآية اذا قال ابن الغرس يصح مع اذا لى جعل الواو زائدة قلت و يكون من اعتراض الشرط على الشرط وأحسن منه أن يجعل اذا زائدة بناء على قول من يجيز زيادتها هذا كلامه فليتأمل وقيل فرضت أى الرباعية أربعا فى الحضر وركعتين فى السفر فعن عمر رضى الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان وصلاة الجمعة ركعتان وصلاة الغدر ركعتان غير قصر أى تامة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وفيه بالنسبة لصلاة السفر ما تقدم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فرضت فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين وفى الخوف ركعة أى وفيه فى صلاة السفر ما تقدم وقوله فى الخوف ركعة أى يصليها مع الامام و ينفرد بالاخرى وذلك فى صلاة عسفان حيث يحرم بالجميع و يسجد معه صف أول و يحرس الصف الثانى فاذا قاموا سجد من حرس ولحقه وسجد معه فى الركعة الثانية وحرس الآخرون فقد صلى كل صف مع الامام ركعة فلا يقال ان فى كلام ابن عباس ما يفيد أن صلاة الفجر تقصر وفرض التشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم متأخر عن فرض الصلاة فعن ابن مسعود كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد السلام على الله قبل عباده السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان أى من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام وقال له بعض الصحابة كيف نصلى عليك اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره ولم أقف على الوقت الذى فرض فيه التشهد والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيه ولا على أن قولهم السلام على الله الى آخره هل كان واجبا أو مندوبا قال بعضهم والحكمة فى جعل الصلوات فى اليوم والليلة خمسا ان الحواس لما كانت خمسة والمعاصى تقع بواسطتها كانت كذلك لتكون ماحية لما يقع فى اليوم والليلة من المعاصى أى بسبب تلك الحواس وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله أرأيتم لو كان بباب أحدكم نهر يغتسل منه فى اليوم

والليلة خمس مرات أكان ذلك يبقى من درنه شيأ قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا قيل وجعلت مثنى وثلاث ورباع ليوافق أجنحة الملائكة كأنها جعلت أجنحة للشخص يطير بها الى الله تعالى وسئل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هل تجد الصلوات الخمس فى كتاب الله تعالى فقال نعم وتلا قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون أراد بحين تمسون المغرب والعشاء وبحين تصبحون الفجر وبعشيا العصر وبحين تظهرون الظهر اطلاق التسبيح بمعنى الصلاة جاء فى قوله تعالى فلولا أنه كان من المسبحين قال القرطبى أى من المصلين وفى الكشاف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب أن يحموه و يناصروه على ما جاء به من الحق﴾

لكم الجنة أى غفرت لكم ما مضى وما سيقع من الذنوب يقع مغفورا وقيل ان ذلك كناية عن الحفظ من الوقوع فى الذنوب فى المستقبل ولو فرض حصول شئ منها يلهمون توبة عنها تغفر أو يوجد ما يكفر عنهم فليس فيه اباحة الذنوب ولا الاغراء عليها وقد كان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر و يقربهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر للنبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى صفة ضيقة ومعه جماعة من أصحابه فوقفوا بعد ان سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من أهل بدر من الجالسين قم يا فلان قم يا فلان بعدد الواقفين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة فى وجه من أقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك و يجلسونهم وجاء عن كثير من العلماء ان تلاوة أسمائهم والتوسل بها وكتابتها ومحوها وتعليقها فى الدور سبب للحفظ والنصر والفتح والسلامة من كيد الاعداء وظلم الظالمين الى غير ذلك من الفوائد والخواص وقد أفردت بالتأليف تلك الخواص مع بقية مناقبهم وكذلك غزوة بدر وذكر ما وقع فيها قد أفردت بالتأليف وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم